القول المكتوب في تاريخ الجنوب

(موسوعة تاريخية حضارية)

(ق١ - ق١٥هـ/ ق٧ - ق ٢١م)

الجزء الخامس والعشرون

أ . د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م

القـول المكتـوب
في تاريخ الجنوب

(موسوعة تاريخية حضارية)

(ق ١ – ق١٥هـ/ ق٧ – ق٢١م)




❁ الجزء الخامس والعشرون ❁

أ . د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد

الطبعة الأولى

(١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

جريس ، غيثان بن علي بن عبد الله

القول المكتوب في تاريخ الجنوب : (ق١ - ق ١٥هـ / ق٧ - ق ٢١م) - (الجزء الخامس والعشرون) ./ غيثان بن علي بن عبد الله جريس .- الرياض ، ١٤٤٣هـ

٦٠٠ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٧- ٠٣٣٨ - ٠٤ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- المنطقة الجنوبية (السعودية) - تاريخ أ - العنوان

ديوي ٩٥٣,١٥ ١٤٤٣/٥٨٧٦

رقم الإيداع ١٤٤٣/٥٨٧٦

ردمك: ٧- ٠٣٣٨ - ٠٤-٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

(١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)

يوجد الكتاب كاملاً على الرابط الآتي : prof-ghithan.com

الرياض: مطابع الحميضي


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرست العام لمحتويات الكتاب

المقدمة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر ، ١-٢]. و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ ﴾ [الكهف ، ١-٢]. والصلاة والسلام على خير البرية، وخاتم الأنبياء، وسيد الرسل، وهادي البشرية الرسول الكريم محمد بن عبدالله الهاشمي القرشي عليه أفضل الصلوات والسلام. كما أحمد المولى ـ عز وجل ـ أن مَدّ في عمري حتى فرغت من هذا السفر ، المجلد رقم (٢٥) من موسوعة كتاب: **(القول المكتوب في تاريخ الجنوب : موسوعة تاريخية حضارية (ق١ـ ق١٥هـ/ ق٧ـ ق ٢١م)** . ويشتمل على مقدمة وأربعة أقسام رئيسية على النحو الآتي:

١. **القسم الأول : دراستان في النقوش، واللهجات، ومقالات وصفية ونقدية لموسوعة تاريخية حضارية حديثة في جنوب شبه الجزيرة العربية .**

٢. **القسم الثاني : رحلة ثلاثة أيام بين أبها والقنفذة وغيرهما (٤ـ ٦/ ٥/ ١٤٤٣هـ الموافق ٨ـ - ٩/ ١٢/ ٢٠٢١) (مشاهدات وانطباعات، وتوثيقات) .**

٣. **القسم الثالث : رحلتا فيلبي وابن جريس في الدرب والبرك وما بينهما عامي (١٣٥٥هـ، ١٤٤٣هـ الموافق ١٩٣٦م، ٢٠٢١م) .**

٤. **القسم الرابع : رحلات ومشاهدات في تهامة والسراة خلال العصر الحديث والمعاصر (الجزء الأول) .**

معظم هذه البحوث المنشورة في هذا المجلد اعتمدت بالدرجة الأولى على الرحلات الميدانية لرحالة في القرن (١٤هـ/٢٠م)، أو رحلات ميدانية قمت بها هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م).واتضح لي أن بلاد (السروات وتهامة) أوطان عربية قديمة وحديثة ومعاصرة فيها الكثير من الكنوز العلمية والمعرفية وفي شتى الجوانب الحضارية. وهي فعلاً بحاجتنا نحن معاشر المؤرخين والباحثين فنبذل قصارى جهودنا في الكشف عن تراثها وموروثها منذ عهود ما قبل الإسلام حتى يومنا الحاضر. والواقع أن الباحث

الجـاد المنصـف ينبهر مما عرفته هذه البلاد من الحضـارات والتواريخ المتنوعة . كما أنـه يحزن أحياناً عندما يشاهد أو يعرف أن صفحات مـن تاريخها وتراثها وحضارتها مـازال مفقود وغير معروف وبخاصة في العصور السابقـة لعصر الإسلام ، ثم القرون الإسلاميـة الممتـدة مـن القـرن الأول إلى الحادي عشر أو الثاني عشـر للهجرة (ق٧-ق١٨م) [١].

وهـذا العمـل البحثي والتوثيقي مساهمـة محدودة جداً لخدمة أرضنـا وإنسانها ، وأسأل الله أن يكون من العمل النافع الذي يكون حجة لصاحبه عند خالقه لا حجة عليه. كمـا آمـل أن يجد فيه طالبات وطلاب العلم فائدة تنير لهـم دروب البحث والمعرفة عن مكنونات بلادنا العزيزة والغنية بفكرها وتراثها وآدابها وحضارتها القديمة والحديثة . وفي الختام أشكر كل من قدم لي المساعدة والعون القليل والكثير حتى خروج هذا العمل العلمي الذي لا أدعي فيه الكمال ، وإنما أرجو أن يكون من الأعمال النافعة . وصلى الله وسلم على خير الهدى ، محمد رسول الله ،وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

عكف على جمع ودراسة وتوثيق هذا الجهد المتواضع
عبدالله الذي يطلب مغفرة ورحمة ربه (عز وجل)
غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس الثوابي
الجبيري الشهري الحجري الهنوئي الأزدي بمنزله
في مدينة أبها الجميلة يوم الثلاثاء ٢٩ /٦ /١٤٤٣هـ
الموافق ١ /فبراير/٢٠٢٢م) .

(١) هـذا الذي عرفتـه وتأكدت منه ، وأنا أبحث وأنقـب عن تاريخ وتراث هذه البـلاد التهامية والسروية منذ أربعة عقود. ووضعنا المعرفي والعلمي والبحثي اليوم أفضل بكثير مما كانت عليه البلاد قبل خمسة أو ستة عقـود . ففـي بلادنا (المملكة العربية السعودية) حالياً ، والحمد لله، عشرات الجامعات ، ومئات الكليات والأقسـام العلميـة . وكذلك آلاف الباحثات والباحثين في شتـى الميادين . كما أن وطننا ميدان رحب وكبير يتسع لإنجاز عشرات بل مئات الدراسات العلمية في شتى التخصصات والمجالات .



دراستان في النقوش ، واللهجات، ومقالات وصفية نقدية لموسوعة تاريخية حضارية حديثة في جنوب شبه الجزيرة العربية

القسم الأول

دراستان في النقوش ، واللهجات، ومقالات وصفية ونقدية لموسوعة تاريخية حضارية حديثة في جنوب شبه الجزيرة العربية

أولاً: مدخل:

الجميل أن يكون الإنسان في ميدان تعليم وتعلم طوال حياته، وهذا من السنن الكونية. فكيف بمن يعمل في مجال العلم والثقافة، فالواجب عليه الحرص على طلب كل معرفة تساعده في أموره الخاصة والعامة، ولا ينسى نصيبه من الآخرة، فيدرس، ويتعلم، ويقدم ما يقدر عليه لخدمة دينه ووطنه، وأهله. ونحن معاشر الباحثين والمؤرخين علينا مسؤولية عظيمة لدراسة ورصد تاريخ وأحداث وحضارة أمتنا، مع التحلي بالصدق، والإنصاف، والأمانة، وهذه مهنة وعمل شاق، لكن من يجتهد في نيل أجري الدنيا والآخرة، فالله – عز وجل- لن يضيع أجر العاملين[١].

(١) إن الكتابة والتوثيق صعبة جداً، وبخاصة إذا كانت تدور في فلك علم التاريخ. والإنسان مكون من عواطف وأحاسيس، ورغبات ويحب ويكره. وإن قرأ أو كتب في تاريخ الأمم والحضارات فقد يتأثر ومن ثم يلين، أو يذهب به الهوى إلى رصد أقوال وحقائق ومعلومات مغلوطة. وعندئذ يقع في خطأ كبير جداً أمام خالق الخلق ورب الأرباب، ولن يسلم من عقوبة العزيز القهار. ولهذا فالواجب على كل من يعمل في التاريخ وتوثيقه أن يستشعر هذا الأمر، ويراجع نفسه من وقت لآخر حتى لا تحيد به عن الجادة وعن السير في طريق الحق والإنصاف.

إنني أعمل في مجال البحث والدراسات التاريخية الحضارية منذ نهاية القرن الهجري الماضي، وما زلت حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، مستمراً في أداء رسالتي، ولا أبرئ نفسي من الخطأ والزلل، فكل بني آدم يقعون في الأخطاء بقصد أو بدون قصد. ونسأل الله – عز وجل– أن يغفر لنا ذنوبنا، وأن يتجاوز عن زلاتنا، ويعيننا على جهاد أنفسنا. ومما اكتسبته في هذه الرحلة العلمية البحثية الطويلة، أنني تعلمت الكثير من أفراد، وجماعات، ومؤسسات. وما زلت أشعر بالنقص، فلم نبلغ من العلم والمعرفة إلا قليلاً. وأرجو من المولى – عز وجل– أن يسخرنا لكل قول وعمل نافع لنا في دنيانا وآخرتنا[1].

هذا التمهيد الذي وثقته في السطور السابقة جزء من العبرة والاعتبار في هذه الحياة. وعلى الإنسان الصراع مع نفسه ومع المجتمع الكبير الذي يعيش فيه، ويحرص أن يكون فيه عاملاً وفاعلاً، مع توخي الحذر والاجتهاد في ممارسة كل ما يعود عليه بالخير، وبخاصة في صلات العبد بربه، فلم يخلق الإنسان عبثاً، وإنما خلق لمهمة عظيمة، وهي عبادة رب العباد، والعمل ليوم الرحيل وما يليه من ثواب وعقاب[2].

هذا القسم الذي استهللته بما سبق، عنوانه: **دراستان في النقوش، واللهجات. ومقالات مختصرة عن موسوعة تاريخية حضارية حديثة.** وجل مادة هذا الباب شذرات من تاريخ وحضارات بعض المواطن والبشر في جنوب الجزيرة العربية وحظيت أجزاء من بلاد تهامة والسراة بالنصيب الأكبر من المادة المدونة. ويتكون من ثلاثة محاور، هي:

(١) **بنو مخزوم في وادي تبالة من خلال النقوش الصخرية في القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين.** (٢) **من وجوه التشابه بين لهجات اليمن وجنوب المملكة العربية السعودية.** (٣) **مقالات وصفية ونقدية مختصرة لبعض الباحثين وأساتذة الجامعات عن موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) لغيثان بن جريس**[3].

---

(١) نعم عمر الإنسان قصير، ورحلة الحياة أيضاً قصيرة. والموفق من هداه الله، عز وجل، إلى السير في دروب الخير، ومحاسبة النفس بين الفينة والأخرى. ومهما بذل المخلوق وعمل من إيجابيات، فهو ضعيف، ويقع في الزلات المتفاوتة من مكان أو وقت لآخر.

(٢) ربما يقول قائل أو قارئ لقد حولت مدونتك إلى وعظ وإرشاد. وأقول نعم إنني أعظ وأرشد نفسي أولاً، ثم كل من يطلع على هذه الجزئية، ونعلم جميعاً أن الله خلق الكون، ثم قدر فيه كل الأمور التي تخص من يعيش فيه، وصلتهم بربهم وخالقهم. وهذا كله لم يحدث بالصدفة، وإنما لأمر يريده الله لجميع المخلوقات، ويرى كيف عاشت وتعاملت مع نعم الله وأفضاله (عز وجل).

(٣) لا أقول إن هذه الأعمال كاملة في معلوماتها ومنهجها العلمي، لكنها جاءت من باحثين وأساتذة لهم شأن وخبرة طويلة في ميدان الدراسات والبحوث العلمية، ثم إنها تحتوي على معارف جديدة قد تفيد وتفتح أبواباً أكبر وأرحب لخدمة الدراسات الأكاديمية البحثية في جنوب المملكة العربية السعودية، أو في نواحي أخرى من بلدان شبه الجزيرة العربية.

ثانياً : بنو مخزوم في وادي تبالة من خلال النقوش الصخرية بمركز الثنية في محافظة بيشة بمنطقة عسير، بقلم: أ. محمد بن جرمان العواجي الأكلبي[١]

أولاً : مقدمة

يهـدف هـذا البحث إلى دراسة خمسة نقوش إسلامية يرجـع تاريخها إلى القرنين الثالـث والرابع الهجريـين، تم اكتشافها في موقع أم وقر الذي يقـع بمركز الثنية التابع لمحافظـة بيشـة، وبيـان أهميتهـا التاريخية، كما يلقـي الضوء على تاريـخ بني مخزوم وبلادهم في القرون الإسلامية الأولى، ومدى استقرارها بوادي تبالة مقر هذه النقوش، كون شخصيات هذه النقوش تنسب لقبيلة بني مخزوم القرشية.

تقع هذه النقوش المكتشفة في موقع أم وقر في بلدة الثنية شمالاً من وادي تبالة، مما يعطينـا أهمية هـذا الوادي التاريخية، فنحن نعلم أن وادي تبالـة[٢] من أشهر الأودية، ومن أهم روافد وادي بيشة، وقد زاد من شهرته قيام بلدة تبالة على ضفافه، التي تحمل اسمـه، وكانت هذه البلدة إحدى محطات الطريق التجـاري الذي يربط جنوب ممالك الجزيـرة العربية بشمالها، وكانت في العصر الجاهلـي تتمتع بسيادة دينية لاحتضانها لصنم ذي الخلصة. وكذلك كانت ملتقى طرق الحج والقوافل التجارية.

وقـد حَبَـا اللّه واديهـا بالخصـب والنمـاء، لمـا يتمتع به مـن ميـزات جغرافيـة وبيئية، واستراتيجيـة جعلته مستقرا لكثير من القبائل القحطانيـة والعدنانية ومن هذه القبائل قبيلة

(١) هذا البحث للأستاذ محمد بن جرمان الأكلبي من سكان محافظة بيشة ، وله عدد من الكتب والبحوث المطبوعة والمنشورة ، وقد نشر عدد من الدراسات العلمية في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ، والأكلبي قدم خدمات جيدة في ميدان البحوث التاريخية والأثرية وبخاصة لأهله وبلادة محافظة بيشة ، فجزاه اللّه كل خير ، ونأمل أن نرى جامعة بيشة تؤسس مراكز بحوث جديدة لخدمة أرض وانسان بيشة . (ابن جريس) .

(٢) سبق أن تطرقنا لتاريخ هذا لوادي وسكانه في دراسات سابقة ومنعًا للتكرار نكتفي بإيجاز هذه المقدمة.

بنـي مخزوم التي تنتمـي إليها شخصيات النقوش المكتشفة، لذلك سـوف نتعرف على شيء مـن أخبارها في الجاهلية والإسلام، وعلـى بلادها، وصلتها بوادي تبالة في القرون الإسلامية المبكرة، ثم نرجع لدراسة النقوش الصخرية وتحليلها، وربط شخصياتها بالأصول المخزومية.

ثانياً: من أخبار بني مخزوم في الجاهلية والإسلام:

بنـو مخـزوم من قبيلة قريش العدنانية، ينتسبون إلى جدهـم الأعلى: مخزوم بن يقظـة بـن مرة بن كعب بن لؤي بن فهر. (وهو قريش) بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمـة بن مدركـة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنـان [١]، ويلتقون مع بني هاشم وبني أمية في مرة بن كعب بن لؤي. كان لهم دور بارز في المجتمع المكي قبل الإسلام، إذ ساهمـوا في تأسيس بعض أحياء مكـة بعد أن قسمها قصي بـن كلاب إلى أرباع، فكانت منازلهم على مقربة من بيت الله الحرام.

ساهمـوا في إعـادة بناء الكعبة وترميمها قبـل الإسلام. إذ قاموا ببنـاء ما بين الركن الأسـود والركن اليماني، وَلَمَّا هَابت قريشٍ هدمِ الكعبة خوفاً من العقوبة الإلهية بادر الوليد بن المغيرة المخزومي بالهدم واستمر يوماً كاملاً يهدم لوحده، فلما رأته قريش قد هدم منها ما هدم، ولم يأتيهم ما يخافون من العذاب، هدموا معه، وأتموا بناء الكعبة وترميمها [٢].

ولمـا تم تقسيـم الوظائـف والسلطـة بـين بطـون قريـش لإدارة شئـون مكـة ورعاية البيـت الحـرام وحماية قاصديه مـن كل مكان، انتهـى ذلك الأمر إلى عشـرة بطون هم: هاشم، وأمية، ونوفل، وعبد الدار، وأسد، وتميم، ومخزوم، وعدي، وجمح، وسهم. كانت لهاشـم سقاية الحاج، ولأمية راية الحرب، ولنوفل الرفادة، وهي إعانة الحجاج المنقطعين بالمـال، ولعبد الدار السدانة والحجابة واللواء، ولبني تميم الديات والمغارم، ولبني مخزوم القبة وهي مجتمع الجيش، والأعنة وهي قيادة الفرسان، ولبني عدي السفارة، ولبني أسد المشـورة أو رئاسة مجلس الشورى في مهمات الأمور، ولبني جمح الأيسار أو الأزلام، ولبني سهم الحكومة والأموال المحجرة، وظلوا يتوارثوها جيلاً بعد جيل إلى ظهور الإسلام [٣].

مـن توزيـع المهام والسلطـات السابقة يتضـح أن لبني مخزوم السلطـة العسكرية من قيادة الجيوش والإشراف على الأسلحة والخيل وغير ذلك، فكان دورهم بارز في أيام قريش وحروبها قبل الإسلام مثل: يوم عكاظ، وأيام الفجار الأول والثاني، ويوم الأحزاب وغيرها.

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م)، ص١١.

(٢) الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ص١٥٩.

(٣) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص١٧٧، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص٣٧٦، محمود العقاد، عبقرية خالد، ص١٧.

يظهر أن بني مخزوم كان لهم دور بارز في إنعاش الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع المكي قبل الإسلام وبعده، وتوسيع دائرة تجارة قريش في الداخل والخارج، ويتضح ذلك من كثرة أثرياء بني مخزوم واشتهارهم بالجود والكرم، ومن أشهرهم في هذا الجانب: سويد بن هرمي بن عامر المخزومي، فهو أول من وضع النمارق من قريش، وسقى الخمر واللبن[١]، وكذلك من ثراء أبناء المغيرة بن عبدالله المخزومي وكرمهم، فقد كان الوليد بن المغيرة يكسو الكعبة وحده سنة وتكسوها قريش كلها سنة أخرى، وأخوه الفاكه بن المغيرة من أكرم العرب في زمانه، له بيت للضيافة يأوي إليه من شاء بغير استئذان[٢]. وأبو أمية بن المغيرة يلقب بزاد الركب لأنه يكفي أصحابه في السفر مئونتهم فلا يتزودون بزاد [٣].

كان هشام بن المغيرة سيداً من سادات قريش في زمانه إطعاماً للطعام، وتوسيعاً على الناس، وقريش تؤرخ بموته، فتقول: (كان هذا ليالي مات هشام بن المغيرة) [٤]. وغير هؤلاء الكثير من بني مخزوم لا يتسع المقام لذكرهم؛ لذلك تتضح قوتهم الاقتصادية بين بطون قريش ورجاحتهم في كثير من المواقف قبل الإسلام وبعده، وتحملهم ، كما ذكرنا سابقا ، بناء ربع الكعبة ما بين الركنين الأسود واليماني، واشتركت قريش كلها في بناء بقية الأركان. كان لهم وحدهم في غزوة بدر ثلاثون فرساً من مائة فرس لقريش كلها، وخمسة آلاف مثقال ذهب، وغير ذلك من العدة والعتاد [٥].

عندما ظهر الإسلام في مكة ودعا النبي -صلى الله عليه وسلم- الناس إليه، كان بنو مخزوم في مقدمة العشائر التي قاومت الدعوة إلى الإسلام، وكان زعماؤها أبرز المستهزئين والمغالين في إيذاء النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، وهذه العداوة الشديدة تنطلق من عدة اعتبارات اجتماعية واقتصادية ودينية، كان يتمتع بها هؤلاء الزعماء قبل الإسلام، ويخشون من فقدها بعده، ومن أشهر المعارضين من بني مخزوم: الوليد بن المغيرة المخزومي، الذي يلقب بالعدل، والوحيد في مكة، ويزعم أنه أحق الناس بالنبوة والقرآن، ويقول: " أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها" . فهو أحد الرجلين المقصودين في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾[٦]،

---

(١) الكلبي، جمهرة النسب، ص٩٢.

(٢) الزبيري، مصعب بن عبد الله، نسب قريش، ص٩٨، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٣٤٧.

(٣) الكلبي، هشام، جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، ص٨٦.

(٤) المصدر نفسه، ص٨٦.

(٥) الواقدي، المغازي، ج١، ص٢٥، العقاد، عبقرية خالد، ص١٩.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص٢٢٦.

وقد ذمه الله تعالى في كتابه الكريم ذماً كبيراً لكفره وذمه القرآن فنزلت فيه الآيات من (١١) إلى (٢٦) من سورة المدثر.

وعمرو بن هشام (أبا جهل)، كان سيداً مطاعاً في قومه، يكنى عند قريش (أبا الحكم) لرجاحة عقله، وصواب رأيه، فلما بُعث النبي – صلى الله عليه وسلم – طاش عقله، وفقد صوابه، ولم يهده هذا العقل لإتباع دين الحق، بل زاد عناده وجهله، فأذى النساء والصبيان والموالي، وعذبهم فسماه النبي – صلى الله عليه وسلم – (أبا جهل) لمخالفته ما كان يعرف عنه من الحكمة وصواب الرأي. وكان رفضه لهذه الدعوة وعدم قبولها بسبب الأنفة، والافتخار بالنفس، والمنافسة بينه وبين بني عبد مناف على الشرف والسؤدد حيث يقول فيما يُروى عنه " تنازعنا نحن وبنو عبد مناف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاذبنا على الركب وكنا كفرس رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه"[١].

والأسود بن عبد الأسد بن هلال من أشد المؤذين للنبي – صلى الله عليه وسلم – قتله حمزة بن عبد المطلب يوم بدر [٢]. والعاص بن هشام بن المغيرة، كان من المعادين للرسول – صلى الله عليه وسلم – بذل أمواله في معاداة الدعوة، وشارك ضد الرسول – صلى الله عليه وسلم – يوم بدر فقتل على يد عمر بن الخطاب[٣]، وغير هؤلاء الكثير.

لم يكتف بنو مخزوم بهذا، بل كانوا جزءاً من المساومة التي عرضها كفار قريش على أبي طالب، لعلَه يتخلى عن محمد – صلى الله عليه وسلم – فمشوا بعمارة بن الوليد [٤]، فقالوا: " يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد فتى قريش، وأشعرهم وأجملهم، فخذه فلك عقله ونصرته، فاتخذه ولداً، وأسلم لنا ابن عمك هذا الذي سفه أحلامنا، وفارق دينك ودين آبائك نقتله"[٥].

كان لبني مخزوم دور بارز في مقاطعة بني هاشم، وفي مطاردة النبي – صلى الله عليه وسلم – في طريق هجرته من مكة إلى المدينة، وفي قتال معركة بدر، والخندق، وصلح الحديبية، وفتح مكة. ورغم هذا العداء من بني مخزوم إلا أن هناك قلة منهم كان لهم السبق في الإسلام مثل: الأرقم بن الأرقم فكانت داره أول مقر للدعوة إلى الإسلام.

وبعد فتح مكة في رمضان من العام الثامن للهجرة، وإعلان النبي – صلى الله عليه وسلم – العفو العام، دخل بنو مخزوم تحت طائلة هذا العفو، وأسلموا، وحَسُن إسلامهم، وجندوا أنفسهم في الدفاع عن الدعوة، وخرجوا مع النبي – صلى الله عليه وسلم – في كثير من المعارك.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٣٤٣.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٦٢٤.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٣٥٩، البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٣٩٩.
(٤) الرميح، أثر بني مخزوم، ص٣٠.
(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص١٠١.

في عصر الخلافة الراشدة (١١- ٥٤هـ/ ٦٣١- ٦٦٠م)، كان لهم دور مميز في القضاء على المرتدين بقيادة خالد بن الوليد، وإرساء دعائم دولة الإسلام، في عهد أبي بكر، وعندما خرجت الجيوش الإسلامية من مكة والمدينة، لنشر الإسلام وإعلاء كلمة الله، خرج منهم الكثير للمشاركة في هذه الفتوحات الإسلامية، وكان منهم: القادة والأبطال كخالد بن الوليد المخزومي، سيف الله المسلول، الذي فتح بلاد الشام والعراق، ولو أن قبيلة بني مخزوم لم تنجب من الأبطال إلا هذا البطل الشجاع، لكفاها فخرًا وشرفًا. والولاة والأمراء كجعدة بن هبيرة المخزومي الذي كن والياً على خراسان، وابنه عون بن جعدة والياً على سجستان[١]. وعبد الله بن أبي ربيعة (ذو الرمحين)، والياً على اليمن[٢]. وعمار بن ياسر، والياً على الكوفة[٣].

في آخر العهد الراشدي، قُتل الخليفة عثمان بن عفان –رضي الله عنه– وظهرت أحداث الفتنة الكبرى، فانقسم بنو مخزوم ثلاثة أقسام: قسم مع علي، وآخر مع معاوية –رضي الله عنهما– والثالث اعتزل الفريقين، وظلوا على هذا الحال حتى انتهى الأمر باستشهاد الإمام علي، وتولي معاوية الخلافة.

نجد في العصر الأموي (٤١- ١٣٢هـ/ ٦٦٠- ٧٩٤م)، أن علاقة بني مخزوم بخلفاء بني أمية، كانت علاقة متينة وقوية، وتُوجَتْ هذه العلاقة بعدد من المصاهرات بين خلفاء بني أمية وأبنائهم، وبين بني مخزوم مثَل: زواج معاوية بن أبي سفيان من عائشة بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، وزواج ابنه عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان من أم مجير بنت عبد الرحمن بن الحارث المخزومي[٤]. وزواج عبدالملك بن مروان من فاطمة بنت هشام بن إسماعيل المخزومي[٥]، وزواج يحيى بن الحكم عم عبدالملك بن مروان، من زينب أخت المغيرة بن عبدالرحمن المخزومي[٦]. وزواج عبد الله بن عبد الملك بأم سلمة بنت يعقوب بن سلمة المخزومي، فمات عنها فتزوجها مسلمة بن هشام بن عبد الملك فمات عنها[٧]، وكذلك زواج هشام بن عبد الملك بأم عبد الملك المخزومية[٨].

---

(١) ابن عبد البر، الأنساب، ج١، ص٢٤٠، البلاذري، فتوح البلدان، ج٢، ص٤٨٧.
(٢) الزبيري، نسب قريش، ص١٠٤، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢، ص١٠٥.
(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٧١.
(٤) الزبيري، نسب قريش، ج١، ص١٠٠.
(٥) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٠.
(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٣٥
(٧) ابن حبيب، المحبر، ج١، ص٤٤٥، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص١٣٥.
(٨) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص١٣٥.

نظراً لقوة هذه العلاقة الاجتماعية المبنية على وشائج القربى والمصاهرة، كان اعتماد خلفاء بني أمية على بعض رجال بني مخزوم واضحًا ومشاهدًا للجميع، من خلال توليهم بعض المناصب القيادية والإدارية في الدولة، ومنها: أمارة الحج، التي كانت من المهام الصعبة التي لا يتولاها إلا خليفة المسلمين، لأنها ذات أهمية دينية وسياسية واجتماعية، لذلك سار الخلفاء الراشدون على هذا النهج، وكانوا يتولون أمارة الحج بأنفسهم.

لما آلت الخلافة لبني أمية اتخذوا مدينة دمشق مركزاً لدولتهم، وأصبحوا بعيدين عن مكة المكرمة، لذلك صعُبت عليها أمارة الحج، فكان عليهم وضع أمير للحج، ينوب عنهم، ويكون على قدر المسئولية والثقة، وقد حظي بهذا المنصب الرفيع، وهذه الثقة، أربعة من رجال بني مخزوم وهم: **(١)** الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي[١]، **(٢)** هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد المخزومي [٢]، **(٣)** محمد بن هشام بن إسماعيل بن الوليد المخزومي [٣]، **(٤)** إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن الوليد المخزومي [٤].

لم يقتصر اعتماد خلفاء بني أمية على بني مخزوم عند هذا الحد، بل تعداه إلى اختيار عدد من أصحاب القدرة والكفاية العالية، وتكليفهم بإمارة بعض الولايات التابعة لهم، ومن أبرز هؤلاء الولاة وأماكن ولايتهم ما يلي:

١. عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي كان بطلاً شجاعاً وقائداً محنكاً مثل والده، عين على ولاية حمص في عهد الخليفة عثمان بن عفان –رضي الله عنه– ثم أبقاه معاوية بن أبي سفيان عليها عندما تولى الخلافة[٥].
٢. مالك بن الحارث بن هشام المخزومي كان والياً على حوران حتى توفي سنة (٥٥هـ/٥٨٣م)[٦].
٣. عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد المخزومي، كان والياً على اليمن، في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان [٧].
٤. هشام بن إسماعيل المخزومي، كان والياً على المدينة من سنة (٨٢هـ) حتى سنة (٨٦هـ)، وعزله الخليفة عبد الملك بن مروان قبل وفاته [٨].

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١١، ص٤١٦.
(٢) الطبري، تاريخ الأمراء والملوك، ج٥، ص٢١٦.
(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص٤٤٢.
(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٤٧.
(٥) الزبيري، نسب قريش، ج١، ص١٠٧.
(٦) الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٢٩٥.
(٧) الزبيري، نسب قريش، ج١، ص١٠٩.
(٨) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص.٦٣٤

٥. إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي، كان والياً على مكة والمدينة والطائف في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك [١].
٦. محمد بن هشام بن إسماعيل، كان والياً على مكة، والمدينة والطائف، واستمر حتى وفاة الخليفة هشام بن عبد الملك [٢].

أمـا دور بنـي مخزوم في المجـال العلمي والثقـافي في العصر الأمـوي، فكان منهم الصحابـة والتابعين ورواة الحديث الشريف، والعلماء البارزين في العلم الشرعي، وكان أكثرهـم له عناية خاصة برواية الحديث الشريف والاشتغـال بعلومه ونظراً لكثرتهم لا نستطيع أن نذكر أسماءهم وجهودهم في هذا البحث المختصر [٣] ، أما في مجال الشعر والأدب، فلـم نجد لبني مخزوم في العصر الأمـوي شعراء مشهورين، لهم إسهامات في الساحـة الأدبية، أو على مستوى القبيلة في الدفاع عنها، أو الفخر بأمجادها وبطولاتها، سوى شاعرين هما: عمر بن ربيعة المخزومي، والحارث بن خالد المخزومي وقد اشتهرا بشعر الغزل دون غيره من أنواع الشعر.

وخلاصـة القـول: أن خلفـاء بني أمية اعتمدوا على كثير من رجـال بني مخزوم وقادتهم في عـدد مـن الأمور المهمـة ، كما مر معنا ، وكان بنو مخزوم محافظـين على وشائج القربى والمصاهـرة التـي تجمعهـم مع خلفاء بنـي أمية. وهـذا لا يشمل كل قبيلة بنـي مخزوم، فإن بعضهم كان على علاقة سيئة مع خلفاء بني أمية، وكان ضمن القوى المناهضة للدولة الأموية، مثل حركة الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وكان منهم قادة وولاة في هذه الحركات.

أمـا في العصر العباسي (١٣٢هـ - ٦٦٦هـ/ ٧٤٩- ١٢٥٨م) فلم نجد لبني مخزوم شهـرة واسعة كما كان لهـم في السابق، ويظهر أن لخلفاء بنـي العباس دوراً في تحجيم دورهـم السياسـي، وإبعادهـم عن المناصـب القياديـة في الدولة، لكن ذلـك ليس على إطلاقـه إذ نجد منهـم عيسى بن محمد بـن إسماعيل المخزومـي، كان والياً على مكة مـن قبل الخليفة العباسي المعتز بالله بن المتوكل (ت:٢٥٥هـ) [٤]. وأبو عيسى محمد بن يحيـى بن محمد بن عبد الوهاب بن سلمـان المخزومي، والياً على مكة من قبل الخليفة العباسي المعتمد على الله أحمد بن جعفر المتوكل (ت: ٢٧٩هـ) [٥].

---

(١) الفاكهي، أخبار مكة، ج٥، ص١٥٨.
(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص١٤٠.
(٣) للتوسع في هذا الموضوع انظر: الرميح، طارق بن عبد الله، أثر بني مخزوم في عصر الدولة الأموية.
(٤) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج٢، ص٢٢٢.
(٥) الشريف، مساعد بن منصور، جداول أمراء مكة وحكامها، ص١٥.

أمـا في المجال العلمي والثقافي فنجد منهم الكثير مـن العلماء والفقهاء والأدباء الذين خدموا الأمة الإسلامية في كثير من البلدان الإسلامية، مثل :

١. كان المغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث من رواة الحديث، ومن علماء المدينة المشهورين، عرض عليه أمير المؤمنين هارون الرشيد القضاء بالمدينة فرفض، توفي سنة١٨٦هـ[(١)].
٢. تـولى محمد بن عبد الرحمن بن هشام الأوقص، القضاء بمكة في عهد أبي جعفر المنصور العباسي (١٣٦- ١٥٨هـ)، توفي سنة ١٦٩هـ[(٢)].
٣. كان محمد بن عبد الرحمن بن يزيد المخزومي، قاضياً على بغداد، وعلى مكة المكرمة [(٣)].
٤. أحمد بن عبد الله بن أحمد بن زيدون المخزومي الأندلسي، الوزير العلامة الشاعر، حامـل لـواء الشعر في عصره، له ديـوان شعر مطبوع، كان من أبنـاء وجوه الفقهاء بقرطبـة، فانتقـل منهـا إلى عند صاحـب إشبيليـة المعتضد بن عبـاد، فجعله من خواصه، وبقي معه في صورة وزير [(٤)].

كان لبنـي مخـزوم في العصر العباسي إسهامات كثيرة في منـاح الحياة السياسية والاجتماعيـة والثقافيـة، لكنها لا تصل إلى ما كانت عليـه في العصرَ الأموي؛ من القوة والتأثير، وقد يكون لتفرقهم في الأمصار والبلدان أثناء الفتوحات الإسلامية، واستقرار أكثرهـم في هذه البلدان، وعدم تجمعهم في بلد واحد، أثر في إضعاف دورهم السياسي في العصر العباسي.

كانـت منازلهم في العصـر الجاهلي وصدر الإسلام في مكـة والمدينة وما حولهما، ومـع انتشـار الفتوحـات الإسلاميـة وخـروج المسلمين خـارج الجزيرة العربيـة، لنشر الإسـلام والجهاد في سبيل الله، أصبحت قبيلة بني مخزوم إحدى القبائل العربية التي خرج معظم رجالها حبًا في نشر الإسلام، وطلبًا للشهادة في سبيل الله، واستقر أكثرهم في البلـدان المفتوحة مثـل: الكوفة، والبصرة، والشام، ومصـر، وخراسان، وسجستان، وأفريقيـا، واليمـن، وغيرها مـن البلدان. وعاد أكثرهـم إلى موطنه الأصلـي، واستقر بعضهـم في بلاد الحجـاز، وتهامة والسراة، وبيشة، وغيرها مـن البلدان. ولا يعنينا في هـذا البحث إلا اتصالهم ببلدتي بيشة وتبالـة وما حولهما في القرون الإسلامية المبكرة أي مـن القـرن الأول إلى القرن الرابع الهجري، إذ تشير بعض المصادر التاريخية إلى

---

(١) القيرواني، أبو محمد، النوادر والزيادات على ما في المدونة وغيرها من الأمهات، ج١، ص٦٤.
(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٤، ص١٠٢.
(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣، ص١١١.
(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٥٧٢.

وجـود بعض بطون قريش مثل: بنو هاشم، وبنو مخزوم، وبنو سهم في بيشة وتبالة، فقد ذكر الهمداني (١) أن أكثر سكان تبالة هم من قبيلة قريش (٢)، ولعله يقصد بني مخزوم، كما يحدد في موضع آخر أعراض نجد بأنها بيشة وتبالة وترج والمراغة، وأن أكثر سكان المراغة من قريش، وهما: بنو مخزوم، وبنو سهم، وأن لهما فيها حصنان: الأول: حصن القـرن مخزومي، والثاني حصن البرقـة سهمي (٣)، ويذكر أبو علي الهجري – وهو من أهـل القرن الثالث الهجـري- أن شَيْحَاط لبنِي مخزوم، وأنه بلـد مِن غربي ترج، وفيه حصن لبني مخزوم (٤). ولا أعرف اليوم مكاناً يسمى شيحاط قريباً من ترج.

كما ذكر ياقوت الحموي بيشة ووصفها بأنها قريةٌ غناء في واد كثير الأهل والسكان، وأنَّ مـن سكانهـا بنو هاشم من قريشـ، وأن لهم ملكاً في وادي بيًشــة يسمى المعمل (٥)، وكان يُعـرف قبـل ذلك باسم (مطلـوب)، وكان أول أمره مدار خـلافٍ بين خثعم وبني سلول، حتى عُمِرَ أيام هشام بن عبد الملك بن مروان (٦).

ويظهر أن صلة قريش، وبني مخزوم خاصة بتبالة كانت صلة قوية، من بداية القرن الثاني الهجري، حيث تذكر بعض المصادر التاريخية أن بعض ولاة مكة استعمل جُوان بن عمر بن ربيعةٍ المخزومي على تبالة لجمع الزكاة، فحمل على خثعم في صدقات أموالهم حملاً شديداً، فصارت خثعم تؤرخ بهذا العام، قال ضبارة بن الطفيل الخثعمي:

أتلبسـنا ليـلى علـى شعـثٍ بنا مـن العـام أو يرمـي بنا الـرجـوان
فلـو شـهدتني في ليـالٍ خلـونَ لي عـامـين مَــرًّا بعـد عـام جُــوانِ (٧)

---

(١) صفة جزيرة العرب، ص٤٣١.
(٢) قول الهمداني هذا فيه نظر، فأكثر سكان تبالة هم فروع خثعم.
(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٥٨.
(٤) التعليقات والنوادر، ص١٥٠٨.
(٥) لا أعـرف مكانـاً يعرف اليوم في حدود محافظة بيشة باسم المعمـل أو مطلوب، وقد ذكرت سابقاً في كتاب النقوشـ الإسلاميـة في موقع أم وقر، ص٤٢٧، أنه يوجد قرية قديمـة تقع في أعلى وادي بيشة قرب شفان، وقريـة عيا التابعة لمركز وادي ابن هشبـل تسمى (المَعْملة)، ويُطلق عليها عند بادية شهران (بلاد العَبْد). قـد تكـوَن المعمل، ولكن بعد التأكد مـن مكان القرية اتضح أنـه بعيداً عن حاضرة بيشـة، ولا تنطبق عليه أوصـاف موقع مطلوب، فالذي أرى أن مكان المعمـل يجب أن يكون في أسفل وادي بيشة، قريباً من حاضرة بيشـة، فهـذا الجزء من الوادي هو الذي تسكن فيه قبيلة بني سلول مجاورة لفروع خثعم، وهو الذي يصلح لزراعـة النخيـل، ويكثر فيه نبـات الأثل، والأراك، اللـذان ورد ذكرهما مقروناً بمطلـوب في شعر الهلالي والسلولي الذي أورده ياقوت في رسم الموضع.
(٦) معجم البلدان، مج١، ص٥٢٩، مج٥، ص١٥٠، ١٥٨.
(٧) الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص٧٨- ٨٠، والزبير بن بكار، نسب قريش وأخبارها، ج١، ص٤٨٩.

وكذلك عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي (٨٠ - ١٤٣هـ) استعمله زياد بن عبد الله الحارثي على تبالة، فأصاب بها مالاً، فقدم المدينة، فبنى داراً وسماها تبالة، فاشتراها موسى بن جعفر من ورثته [١].

ومما يقوي صلة قبيلة قريش بوادي تبالة، فضلاً عن الشواهد السابقة، وجود جبل صغير يقع على وادي تبالة عندما يحمل اسم الثنية بالقرب من قرية شُديق يسمى (قُريش) نسبة لهذه القبيلة، ولا يزال يحمل اسمه إلى اليوم، ولا يبعد كثيراً عن موقع هذه النقوش.

وفي ضوء ما تقدم من المصادر السابقة ومن النقوش الصخرية المكتشفة في المنطقة، يتضح لنا أن قبيلة قريش كانت من سكان المنطقة في القرون الإسلامية المبكرة، خصوصاً بني مخزوم، ثم رحلوا منها بعد ذلك، ومن بقي منهم في المنطقة دخلوا تحت مسمى قبائل المنطقة، فلا يوجد في وقتنا الحاضر في محافظة بيشة قبيلة تحمل اسم قريش أو بني مخزوم.

ثالثا: الدراسة الوصفية والتحليلية للنقوش:

تم اكتشاف هذه النقوش الصخرية في مركز الثنية التابع لمحافظة بيشة، في موقع هضبة أم وقر الأثري، وقد تم اختيار هذه النقوش الخمسة كعينة من نقوش بني مخزوم المنتشرة في المنطقة، والبالغ عددها (٢١) نقشًا إسلاميًا [٢].

(*) النقش رقم: (١):

مقاساته: ٣٣سم × ١٠سم   **عدد الأسطر:** ٣ أسطر

نوع الخط: كوفي بسيط   **طريقة تنفيذ النقش:** الحز الغائر الدقيق

صيغته: الثقة بالله والإقرار بوحدانية الله

تاريخه: غير مؤرخ ويحتمل التأريخ بنهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري

(*) صاحب النقش: القاسم بن عبد الله بن محمد المخزومي

(*) قراءة نص النقش:

١- القاسم بن عبد الله بن محمد المخزومي
٢- يثق بعفو الله ويشهد أن لا إله إلا الله وحده
٣- لا شريك له

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٣٥٦.

(٢) للتوسع حول هذه النقوش أنظر: الأكلبي، محمد بن جرمان العواجي، النقوش الصخرية في موقع أم وقر بمحافظة بيشة، مطابع الحميضي، الرياض، (١٤٤١هـ/٢٠١٩م).

كتــب هذا النقش الصخري غير المؤرخ بالخط الكوفي البسيط على صخر جرانيتي يقع بالجهة الشرقية من موقع أم وقر، بالقرب من نقوش بني مخزوم الأخرى. وقد جاء النقش خالياً من علامات الشكل والإعجام، ومكتمل اللفظ والمعنى ومقروءاً بالكامل.

(*) **ومـن السمات الخطية المميزة للنقش:** استقامة أجسام حروف الألفات واللامات وظهور الشكل الخطابي بقاعدة الألف في كلمات (القاسم: ١ والله:١، والله:٢). وانزلاق حرف النــون النهائية تحت مستوى سطر الكتابة وتقويس محيطها ربع دائري في كلمتي (ابن:١ وأن:٢). وكتابة الباء الراجعة للخلف في كلمة (المخزومي:١).

(*) **موضـوع النقش:** بدأ الكاتب نقشه بإثبات اسمه ولقبه ثم إثبات الثقة بعفو الله سبحانه وتعالى، ثم الإقرار بوحدانية الله.

(*) **صاحـب النقش:** ورد اسمه في النقش بتركيبه الرباعــي: القاسم بن عبد الله بن محمد المخزومي، وقد بحثنا عنه في جميع المصادر المتوفرة لدينا فلم نعثر له على ترجمة،

ويرى الباحث أنه من عائلة أبي ربيعة المخزومية.

(*) النقش رقم: (٢):

مقاساته: ٢٥سم × ٩سم — **عدد الأسطر:** ٢

نوع الخط: كوفي بسيط — **طريقة تنفيذ النقش:** الحز الغائر الدقيق

صيغته: الثقة بالله

تاريخه: غير مؤرخ ويحتمل التأريخ بنهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري

(*) **صاحب النقش:** محمد بن أحمد بن محمد المخزومي

(*) قراءة نص النقش:

١- محمد بن أحمد بن محمد
٢- المخزومي بالله يثق

كتــب هــذا النقش الصخري غير المؤرخ على صخر جرانيتــي قريباً من النقش السابق بالخط الكوفي البسيط، وجاءت كلمات النقش خالية من الشكل والإعجام ومقروءة بالكامل.

(*) **ومن السمات الخطية البارزة بالنقش:** انزلاق حرف النون النهائية عن مستوى سطر الكتابة وتقويس محيطها ربع دائرة كما في كلمة (ابن: ١)، وظهور الياء الراجعة للخلف كما في كلمة (المخزومي:٢). وهذا من التأثيرات النبطية التي لحقت بالخط العربي.

(*) **موضوع النقش:** يتضمن بعد كتابة اسم صاحبه تأكيد الثقة بالله تعالى. والثقة تعني الائتمان [١] وثقة العبد بربه تعني ائتمان العبد خالقه على نفسه وماله وجميع أمور دنياه وآخرته.

(*) **صاحب النقش:** وردٍ اسمه في بداية النقش بتركيبه الرباعي محمد بن أحمد بن محمد المخزومي منتسباً إلى قبيلة بني مخزوم البطن القرشي المعروف. كما ورد اسم والده وأخيه عبد الرحمن ضمن نقوش بني مخزوم في موقع أم وقر، وقد بحثنا عنه في جميع المصادر المتاحة فلم نجد له ذكرًا، لذا يرى الباحث أنه من أحفاد موسى بن إبراهيم المخزومي أحد رواة الحديث الشريف.

(*) **النقش رقم: (٣):**

مقاساته: ٣٤سم × ٧سم　　**عدد الأسطر:** ٢

نوع الخط: كوفي بسيط　　**طريقة تنفيذ النقش:** الحز الغائر الدقيق

صيغته: طلب الرحمة من الله تعالى

تاريخه: غير مؤرخ، ويمكن تأريخه بسنة ٢٤٠هـ [٢].

صاحب النقش: عبد الرحمن بن موسى بن إسماعيل المخزومي

(*) **قراءة النقش:**

١- رب أرحم عبد الرحمن بن موسى
٢- بن إسماعيل المخزومي

كتب هذا النقش الصخري غير المؤرخ على صخر جرانيتي بالخط الكوفي البسيط، وقد جاء النقش خالياً من علامات الشكل والإعجام، ومكتمل اللفظ والمعنى ومقروءاً بالكامل. وسليماً من الأخطاء اللغوية والإملائية. ماعدا إسقاط حرف ألف المد الوسطى من كلمة إسماعيل (إسمعيل: ٢). وهذا من التأثيرات النبطية في الخط العربي. ويخلو النص من الزخرفة ما عدا الاستمداد البسيط في كلمة (المخزومي).

(*) **ومن السمات الخطية البارزة في النص:** استقامة أجسام حروف الألفات واللامات، وانزلاق حرف النون النهائية تحت مستوى سطر الكتابة وتقويس محيطها ربع دائري كما في كلمة (عبد الرحمن: ١)، وورود حرف العين الوسطى على شكل مثلث مقلوب في كلمة (إسماعيل).

ويلاحظ على الكاتب عدم التزام قاعدة واحدة في كتابة حرف الياء النهائية، فقد

---

(١) البستاني، بطرس، محيط المحيط، ط٣، مكتبة لبنان، بيروت، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص٩٥٦.
(٢) بناءً على النقش المؤرخ بسنة ٢٤٠هـ في موقع جبل علي أنظر (الأكلبي، الآثار، ص٨٨).

كتبها بطريقتين: الأولى على شكل الياء العربية المتأخرة كما في كلمة (موسى)، والثانية راجعة إلى الخلف متأثرة بالخط النبطي في كلمة (المخزومي).

أما موضوع النقش فهو نص دعائي يطلب صاحبه الرحمة من الله تعالى مستوحياً ذلــك من بعض الآيات القرآنية كقولــه تعالى: ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[١]. وقولــه تعــالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٣].

(*) **صاحب النقش:** ورد اسمه في هذا النقش عبد الرحمن بن موسى بن إسماعيل المخزومــي، كمــا ورد بالصفــة نفسها في نقش آخــر من نقوش جبل علي مــؤرخ في سنة ٢٤٠هـــ[٤]. وقــد بحثنــا عنه في جميع المصــادر المتاحة فلم نعثر له علــى ترجمة، ويرى الباحث أنه من أحفاد إسماعيل بن إبراهيم المخزومي.

(*) النقش رقم: (٤):

مقاساته: ٥٢سم × ١٥سم   **عدد الأسطر:** ٢

نوع الخط: كوفي بسيط   **طريقة تنفيذ النقش:** الحز الغائر الدقيق

صيغته: التصريح بالثقة بعفو الله

تاريخه: غير مؤرخ، ويحتمل التاريخ بالقرن الثالث الهجري

(*) **صاحب النقش:** أحمد بن محمد بن إسماعيل المخزومي

(*) قراءة نص النقش:

١- أحمد بن محمد بن إسماعيل المخزومي

٢- يثق بعفو الله

كتب هذا النقش الصخري غير المؤرخ على صخر جرانيتي التكوين بالخط الكوفي البسيط، وقد جاء نص النقش خالياً من الشكل والتنقيط، ومكتمل اللفظ والمعنى ومقروءاً بالكامل.

(*) **ومن السمات الخطية المميزة بالنقش:** استقامة أجسام حروف الألفات واللامات كمــا في كلمات (أحمــد١، وإسماعيــل:١، والله:٢)، انزلاق حرف النــون النهائية تحت مستوى سطر الكتابة وتقويس محيطها ربع دائري في كلمة (ابن:١)، الاستدارة الكاملة

(١) سورة يوسف: ٦٤.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٢.

(٣) سورة الأنعام: ١٥٥.

(٤) أنظر عن هذا النقش: الأكلبي، الآثار في محافظة بيشة، ص٨٨.

لحرف الميم المتوسطة كما في كلمتي (محمد:١، وأحمد:١)، وكذلك ورود حرف العين الوسطى على هيئة مثلث مقلوب حاد الزوايا في كلمتي (إسماعيل:١، وبعفو:٢)، والرجوع العكسي لحرف الياء النهائي في كلمة (المخزومي) متأثراً بالخط النبطي.

ويظهر نص النقش منسقاً وسليماً من الهفوات اللغوية والإملائية ما عدا حذف الكاتب لحرف ألف المد الوسطى في رسم كلمة (إسمعيل: ١) والصواب إبقاؤها هكذا (إسماعيل). وهذا الحذف من الظواهر الخطية المبكرة في اللغة العربية المستمدة من سمات الخط النبطي القديم.

كما يلحظ بالنقش بعض المحاولات الزخرفية مثل ظاهرة الاستمداد البسيط كما في كلمة (الله: ٢).

(*) **موضوع النقش:** تأكيد الثقة بعفو الله سبحانه وتعالى، وإثبات اسم صاحبه في بداية النقش بصيغته الرباعية.

(*) **صاحب النقش:** ورد اسمه في النقش بتركيبه الثلاثي (أحمد بن محمد بن إسماعيل) وقد كتب لقبه (المخزومي) في بداية النقش في سطر مستقل كأنه أضيف بعد أن انتهى الكاتب من كتابة النص، وقد ورد له نقش آخر في الموقع يحمل اسمه ولقبه (أحمد بن محمد بن إسماعيل المخزومي)، بالإضافة إلى نقشين آخرين باسم ابنيه محمد وعبد الرحمن. وقد بحثنا عنه في جميع المصادر المتوفرة، فلم نجد له إي ترجمة، ولكن يرى الباحث أنه من أحفاد إسماعيل بن إبراهيم المخزومي.

(*) **النقش رقم: (٥)**

مقاساته: ٤٨سم × ١٢سم　　**عدد الأسطر:** ٢

نوع الخط: كوفي بسيط　　**طريقة تنفيذ النقش:** الحز الغائر الدقيق

صيغته: تصريح بالثقة بعفو الله

تاريخه: غير مؤرخ، ويمكن إرجاع تأريخه إلى أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري.

(*) **صاحب النقش:** عبد الرحمن بن أحمد المخزومي

(*) **قراءة النقش:**

١- عبد الرحمن بن أحمد المخزومي
٢- يثق بعفو الله

كتـب هذا النقش الصخري، على صخر جرانيتـي بالخط الكوفي البسيط، وجاءت كلماته خالية من الشكل والتنقيط، ومكتوبة بخط منسق، كما جاء النقش مكتمل اللفظ والمعنى، ومقروءاً بالكامل وخالياً من الهفوات اللغوية والإملائية.

(*) **ومـن السمـات الخطيـة البـارزة بالنقش:** استقامـة أجسـام حـروف الألفـات واللامات في كلمات (عبدالرحمن، وأحمد، والمخزومي، والله:٢)، وكذلك انزلاق حرف النـون تحـت مستوى سطر الكتابة وتقويس محيطها ربـع دائري كما في كلمتي (ابن:١، وعبدالرحمـن:١)، استدارة الميم المتوسطة استـدارة كاملة كما في كلمة (عبدالرحمن:١)، ظهـور الياء الراجعة للخلف والمتأثـرة بالشكل النبطي في كلمة (المخزومي). رسم الهاء المنتهية المربوطة على شكل مثلث في كلمة (الله:٢).

كما ظهرت بالنقش بعضـ ظواهر الزخرفة البسيطة مثل: التعريض لهامات بعض الحروف على شكل مثلثات صغيرة، وقد برزت في اللامات والألفات، والاستمداد المقوس في لفـظ الجلالـة (الله:٢)، وهو نوع من أنواع الزخرفة وقد شـاع استخدامه في نقوش القرن الثالث الهجري وما بعده.

(*) **أما موضوع النقش:** فهو نص دعائي يصرح فيه صاحبه بثقته بعفو الله سبحانه وتعالى، مع تسجيل اسمه بصيغته الثلاثية.

(*) **أما صاحب النقش:** فورد اسمه في بداية النقش بتركيبه الثلاثي (عبد الرحمن بن أحمد المخزومي) منتسبًا إلى قبيلة بني مخزوم القرشية، وقد ورد اسم والده وأخيه محمـد ضمـن نقوش الموقع. ولهـذا يرى الباحث أنه مـن أحفاد إسماعيـل بن إبراهيم المخزومي، أحد رواة الحديث الشريف.

رابعا: الشخصيات الواردة في النقوش وربطها بالأصول المخزومية:

بعـد دراسة النقوشـ وتحليلها توصلنا بفضل الله إلى معرفـة الشخصيات الواردة فيهـا، وتمكنا مـن ربطها بأصولها المخزوميـة، فجميع أصحابها يرجعـون بنسبهم إلى أسرة أبي ربيعة المخزومي. فمن هو أبو ربيعة؟ ومن هم أبناءه، وأحفاده؟

وللإجابة على هذا السؤال، قمنا باستعراض كتب الأنساب والمصادر القديمة مثل: كتب ابن الكلبي، وابن حزم، والبلاذري، والزبيري، والزبير بن بكار، وغيرها، وخلاصة ما ورد في هذه المصادر حول هذه الأسرة يمكن إيراده على النحو الآتي:

ولد المغيرة بن عبد الله بن عمُر بن مخزوم ثلاثة عشر ولداً:

منهم: أبو ربيعة واسمه عمرو، وولد عمرو (أبو ربيعة):

١-عبد الله ٢- وعياش [١].

وعبد الله بن عمرو، كان اسمه في الجاهلية بجيراً وفيه يقول ابن الزّيعري:

بجير ابن ذي الرمحين قرب مجلس وراح علينا فضله غير غائم

وقد أسلم يوم فتح مكة فسماه النبي -ﷺ- عبد الله وكان من أشراف قريش في الجاهلية، وقد بعثته قريش مع عمرو بن العاص إلى النجاشي في مطالبة أصحاب رسول الله -ﷺ- الذين كانوا عنده بأرض الحبشة، وكان والياً على اليمن، واستمر فيها حتى هلك في أيام عثمان بن عفان [٢].

وقد ولد عبد الله بن أبي ربيعة: ١-عبد الرحمن، ٢- والحارث ٣- وإبراهيم ٤-وعمراً.

فأما عبد الرحمن بن عبد لله فكان راويًا من رواة الحديث الشريف، وسيدًا من سادات قريش، أمه ليلى ابنة عطارد بن حاجب بن زرارة، وقد تزوج أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق فولدت له: ١-عثمان، ٢- وموسى، ٣- وإبراهيم، وتزوج فاطمة ابنة الوليد بن عبد شمس بن المغيرة، فولدت له: ١- أبو بكر، ٢- ومحمد. ولعبد الرحمن عُقب كثير منهم: إبراهيم بن موسى بن عبد الرحمن، وإسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن، وأخوه موسى بن إبراهيم بن عبد الرحمن، وكلهم من رواة الحديث الشريف [٣].

وأما الحارث بن عبد الله فكان والياً على البصرة من قبل عبد الله بن الزبير، فأتاه أهل البصرة بمكيال، فقال: إن مكيالكم هذا لقُباع، والقُباع: الأجوف الواسع، فلقب من ذلك اليوم بالقباع، قال أبو الأسود مخاطباً ابن الزبير:

أبا بكر جزاك الله خيراً أرحنا من قُباع بني المغيرة

كما ولاه مصعب الكوفة وكان حازمًا وخطيبًا، ومن وجوه قريش [٤].

وأما إبراهيم، فله ولداً اسمه إسماعيل، وأما عمراً فهو الشاعر المشهور بشعر الغزل، وله ابناً اسمه جُوان ولجُوان ابناً اسمه غنى، وقد انقرض عقبه.

وأما عياش بن عمرو (أبو ربيعة) فكان من المهاجرين الأوائل، وكان له ولداً واحداً هو: عبد الله بن عياش وقد تزوج عبد لله بن عياش ابنة مطرف بن سلامة بن مخربة،

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٤٦.
(٢) الزبيري، نسب قريش، ص٣١٧، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٣٥٢، الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص٧٣.
(٣) ابن حزم، الجمهرة، ص١٤٧، المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج٣، ص١٦.
(٤) الزبير بن بكار، جمهرة قريش وأخبارها، ج١، ص٤٨٩، الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص٨٧٨، الكلبي، الجمهرة، ص٨٧.

فولدت له الحارث، فتزوج الحارث بن عبد الله عمرة بنت عبد الله بن أبي ربيعة فولدت له: عبد الله، وتزوج عائشة بنت نعمان فولدت له: عبد الملك. وتزوج أم الولد فولدت له: عبد الرحمن، وولد عبد الله بن الحارث، عبد العزيز، لا عقب له [١].

وولد عبدا لرحمن بن الحارث: ١-المغيرة، ٢-وعبد الله، وولد المغيرة: عياشًا.

وعندما ذكر ابن حزم فروع هذه الأسرة قال: " انقرض عقب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة، وعقب إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي ربيعة، وجميع عقب عياش بن أبي ربيعة"[٢].

وبنــاء علــى هذا القول لم يبق مــن هذه الأسرة إلا عقب عبــد الرحمن بن عبد الله بــن أبي ربيعة المخزومــي. ومن دراسة الأسماء الواردة في النقوش والمقارنة بينها وبين أسماء أبناء وأحفاد عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي اتضح أنها تتعلق بشخصيتين من شخصيات هذه الأسرة وهما:

١- إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبدا لله بن أبي ربيعة.

وهو تابعي من أهل المدينة، وراوٍ من رواة الحديث الشريف، روى عن: أبيه إبراهيم، ومحمــد بن كعــب، وروى عنه: حاتمٍ بــن إسماعيل، وزيد بن الحبــاب، وسفيان الثوري، وسعيد بن أبي هلال. قال أبو داود: إسماعيل بن إبراهيم ثقة وذكره ابن حبان في جملة الثقات وقال: مات في آخر ولاية المهدي سنة ١٦٩هـ[٣].

٢- موسى بن إبراهيم بن عبدا لرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة:

هــو أخو إسماعيل صاحب الترجمة السابقــة، وهو من رواة الحديث الشريف، روى عــن: أبيه، وعن سلمة بن الأكــوع، وروى عنه: العطاف بن خالد، وعبد الرحمن بن زيد، ومحمد بن إسماعيل، وغيرهم [٤]، وقد وثقه ابن حبان [٥] والذهبي [٦].

وفي ضوء ما تقدم فإنَّ نسب الأسماء الواردة في النقوش يمكن إيراده على النحو التالي:

١. **صاحـب النقش الأول:** اسمــه الوارد في النقش: القاســم بن عبد الله بن محمد المخزومــي، ونسبه هو: القاسم بن عبد الله بــن محمد بن معتب بن موسى بن

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٤٦.
(٢) المصدر نفسه، ص١٤٧.
(٣) المزي، جمال الدين، كتاب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج٣، ص١٦.
(٤) الخزرجي، أحمد بن عبد الله، خلاصة تهذيب تهذيب الكمال، ج٣، ص٣٨٩.
(٥) الثقات، ج٧، ص٤٤٩.
(٦) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج٦، ص٥٣٥.

إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو (أبو ربيعة) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

٢. **صاحب النقش الثاني: اسمه الوارد في النقش:** محمد بن أحمد بن محمد المخزومي، ونسبه هو: محمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو (أبو ربيعة) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

٣. **صاحب النقش الثالث اسمه الوارد في النقش:** عبد الرحمن بن موسى بن إسماعيل المخزومي، ونسبه هو: عبد الرحمن بن موسى بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو (أبو ربيعة) بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم.

٤. **صاحب النقش الرابع اسمه الوارد في النقش:** أحمد بن محمد بن إسماعيل المخزومي، ونسبه هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو (أبو ربيعة) بن المغيرة بن عبدا لله بن عُمر بن مخزوم.

٥. **صاحب النقش الخامس:** اسمه الوارد في النقش: عبد الرحمن بن أحمد المخزومي، ونسبه هو: عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بين إبراهيم بن عبدا لرحمن بن عبد الله بن عمرو (أبو ربيعة) بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم. وهو أخو صاحب النقش الثاني.

وفي ضوء ما تقدم نستطيع القول: أن النقوش الصخرية تعد مصادر تاريخية أولية، يعتمد عليها في دراسة الأنساب العربية، ومعرفة الشخصيات والأعلام وفي تصحيح بعض الأسماء المختلف فيها في المصادر العربية القديمة.

خامساً: الخاتمة (النتائج والتوصيات):

استعرضنا في هذه الدراسة أهمية وادي تبالة وموقعه المتميز ثم تطرقنا لقبيلة بني مخزوم وأخبارها في الجاهلية والإسلام، ثم قمنا بدراسة بعض النقوش الصخرية العائدة لهذه القبيلة وربطنا شخصياتها بالأصول المخزومية بعد مقارنتها مع كتب الأنساب القديمة، وقد توصلنا بعد دراستنا لهذا الموضوع إلى عدد من النتائج والتوصيات، نوجزها على النحو التالي:

أولاً: النتائج:

١. يتميز وادي تبالة بموقعه الاستراتيجي الذي جعله ممراً لطرق التجارة والحج التي كانت تربط جنوب الجزيرة العربية وشمالها، بالإضافة لخصوبة أرضه

وكثرة غاباته، وغزارة مياهه في السابق، كل هذه المعطيات جعلته مستقراً لكثير من القبائل العربية العدنانية والقحطانية، ومن هذه القبائل قبيلة قريش، التي أثبتت الدراسة وجودها في بيشة وتبالة في القرون الإسلامية المبكرة.

٢. أظهـرت الدراسة أن الموطن الأصلي لبني مخزوم في الجاهلية وصدر الإسلام هـو مكة المكرمة وما حولها، ولكنهم أثنــاء الفتوحات الإسلامية انتقل أكثرهم مـن البلدان داخـل الجزيرة العربية وخارجها، ومن ضمن مـا انتقلوا إليه من البلدان بيشة، وتبالة.

٣. كشفت الدراسة أن بني مخزوم كان لهم دور بارز في رفع مستوى الحياة الاقتصادية في المجتمع المكي قبل الإسلام، وفي توسيع دائرة تجارة قريش داخلياً وخارجياً.

٤. أظهرت الدراسة اعتماد خلفاء بني أمية في العصر الأموي على كثير من رجال بنــي مخزوم، وذلك مــن خلال توليهم المناصب القياديــة والإدارية في الدولة، وتكليفهم بإخماد بعضـ الثورات والفتن التي ظهرت ضد الدولة الأموية، وكان اعتمادهم مبنياً على الكفـاءة العالية لقادة بني مخزوم، وعلى وشائج القُربى والمصاهرة التي كانت بين بعض بني مخزوم، وبعض خلفاء بني أمية.

٥. بينت الدراسة أن دور بني مخزوم السياسي وإسهاماتهم في الحياة الاجتماعية والاقتصاديــة في العصر العباسي، لم تكن كما كانــت عليه في العصر الأموي، من حيث القوة التأثير.

٦. أثبتــت الدراســة أن صلة قبيلــة قريش بشكل عام، وبني مخــزوم بشكل خاص بتبالــة وبيشة كانــت صلة قويــة، ومتصلة من القــرن الأول إلى القــرن الرابع الهجــري، ويتضح ذلك مما ذكرته المصادر القديمــة مثل: التعليقات والنوادر للهجــري، وصفــة جزيرة العــرب للهمــداني، وأنســاب الأشــراف للبلاذري، والأغاني للأصفهاني، ومعجــم البلدان لياقوت الحموي، ومما ورد في النقوش الصخرية المكتشفة في وادي تبالة، حيث تتفق هذه المصادر المكتوبة مع النقوش الصخرية في إثبات هذه الصلة.

٧. أوضحــت الدراســة أن الكتابــات الصخريــة تعــد مصدرًا مــن مصادر حفظ الأنســاب العربية، وأنها مصادر أولية، يمكن الاعتماد عليها في تصحيح بعض الأنساب أو بعض الأسماء الواردة في كثير من المصادر التاريخية.

٨. أثبتــت الدراسة أن النقوش الصخرية المكتشفة في وادي تبالة، تعود لأسرة أبي

ربيعة المخزومية، فقد تمكنا من إرجاع الشخصيات الواردة في النقوش إلى أصولها في أسرة أبي ربيعة من خلال إيجاد سلسلة نسب متصلة لأصحاب هذه النقوش إلى جدهم الأعلى مخزوم بن يقظة.

ثانياً: التوصيات:

١. لفت نظر المسئولين في هيئة السياحة والتراث الوطني إلى أهمية مواقع النقوش الصخرية في وادي تبالة وغيرها من بلدان السروات، آملين منهم المحافظة على هذه النقوش في أماكنها وحمايتها من العبث والتشويه، وإيقاف الزحف العمراني الذي أحاط بها من جميع الجهات بهدف احتوائها وتملكها.

٢. لفت نظر المسئولين في هيئة السياحة والتراث الوطني إلى وجود عشرات المواقع الأثرية في محافظة بيشة وعلى وجه الخصوص في مركز الثنية وتبالة، لا زالت في حكم المجهول، لأنها تحتاج إلى دراسات متخصصة تعتمد على الحفر والتنقيب، لإماطة اللثام عما خفا من أسرارها وتاريخها الحضاري.

٣. انطلاقاً من رؤية المملكة ٢٠٣٠ والتي تدعو إلى المحافظة على المواقع الأثرية، والتعريف بها واستغلالها اقتصادياً وسياحياً بما يعود بالنفع على الوطن والمواطن فإنني أوصي باستغلال موقع أم وقر الأثري اقتصادياً وسياحياً وتهيئته بالمرافق الخدمية ليكون متحفاً للنقوش الإسلامية، يَطّلِعُ عليه كل من يزور المنطقة لكونه أكبر موقع أثري للنقوش الإسلامية في منطقة عسير.

٤. أظهرت الدراسة أن قبيلة بني مخزوم، قبيلة كثيرة الفروع، متعددة المنازل والديار، فيا حبذا لو تصدى أحد الباحثين لدراسة تاريخها وبلادها دراسة تاريخية حضارية.

وأخيراً نأمل أن نكون قد وفقنا في تقديم ما فيه فائدة للباحثين، وصلى الله على رسوله الأمين.

سادسًا: المصادر والمراجع:

١. ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق، محمد أبو الفضل، بيروت، (١٣٨٢هـ).

٢. الأصفهاني، أبو فرج، **الأغاني**، تحقيق: عبد علي مهنا، وسمير جابر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

٣. الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، تحقيق، رشدي صالح ملحس، ط٤، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

٤. الأكلبي، محمد بن جرمان العواجي، **النقوش الإسلامية في موقع أم وقر بمحافظة بيشة**، الرياض، الحميضي (١٤٤٢هـ).

٥. --------، **الآثار في محافظة بيشة**، ط١، الحميضي، الرياض، (١٤٢٦هـ).

٦. البلاذري، أحمد بن يحيى، **أنساب الأشراف**، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

٧. ---------------- **فتوح البلدان**، تحقيق عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، منشورات المعارف، بيروت لبنان، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٨. البستاني، بطرس، **محيط المحيط**، ط١ مكتبة لبنان، بيروت، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

٩. ابن حبان، الأمام الحافظ محمد بن حبان التميمي، **الثقات**، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الركن – الهند، (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).

١٠. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، (١٣٣٦هـ).

١١. ابن حزم: علي بن أحمد الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

١٢. الحموي، شهاب الدين ياقوت، **معجم البلدان**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

١٣. ابن حبيب، أبي جعفر محمد بن حبيب، **كتاب المحبر**، تصحيح إليزه لختن، دار نشر الكتب الإسلامية، باكستان، (١٤٠٣هـ/١٩٨٢م).

١٤. الخطيب البغدادي، الحافظ أبي بكر أحمد بن علي، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، (بدون تاريخ).

١٥. الخزرجي، أحمد بن عبدالله، **خلاصة تهذيب تهذيب الكمال**، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، ط٥، مكتب المطبوعات الإسلامية، دار البشائر، بيروت، (١٤١٦هـ).

١٦. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، (١٤١٧ه/١٩٩٧م).

١٧. -------------- ، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق محمد البجاوي،ط١، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت - لبنان، (١٣٨٢م/١٩٦٣).

١٨. الرميح، طارق بن عبدالله، **"أثر بني مخزوم في عصر الدولة الأموية"**، دراسة تاريخية حضارية، (١٤٣٠ هـ/٢٠٠٩م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٩. الزبيري، مصعب بن عبدالله ، **نسب قريش**، تصحيح وتعليق ليفي بروفنسال ، دار المعارف مصر ، (١٣٩٠هـ).

٢٠. الزركلي، خير الدين بن شهاب، **الأعلام**، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٦م.

٢١. الشريف، مساعد بن منصور، **جداول إمراء مكة وحكامها منذ فتحها إلى الوقت الحاضر**، مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط١، (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).

٢٢. الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، **تأريخ الأمم والملوك**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٢٣. ابن عساكر: أبي القاسم علي بن الحسن، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق عمرو بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر، (١٤١٥-١٩٩٥م).

٢٤. ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

٢٥. ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد الأندلسي، **العقد الفريد**، تحقيق مفيد محمد قميحة، بيروت، دار الكتاب العلمية، (١٤٠٤هـ/١٩٨٣م).

٢٦. العقاد، عباس محمود، **عبقرية خالد**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (٢٠١٤م).

٢٧. الفاسـي، محمد بـن أحمد، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

٢٨. ------------------، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٨م).

٢٩. الفاكهـي، محمد بن إسحاق، **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، تحقيق عبدالملك بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

٣٠. القرشي، الزبير بن بكار، **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، تحقيق عباس هاني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (٢٠١٠م).

٣١. القيرواني، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد، **النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات**، تحقيق محمد عثمان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢٠٠٢ م).

٣٢. ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **تفسير القران العظيم** ، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (١٣٦٤هـ).

٣٣. الكلبي، هشام بن محمد، **جمهرة النسب**، تحقيق ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، بيروت، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨١م).

٣٤. المزي، جمال الدين أبي الحجاج، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، (١٩٨٠م).

٣٥. ابن هشام، جمال الدين أبو محمد، **السيرة النبوية**، تعليق: عمر عبد السلام تدمري، يروت، دار الكتاب العربي، ط٢ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩).

٣٦. الهجري، أبو علي هارون بن زكريا، **التعليقات والنوادر**، تحقيق حمد الجاسر، العبيكان للطباعة والنشر الرياض، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

٣٧. الهمداني، الحسن بن أحمد، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، مطبعة نهضة مصر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، (١٣٩٧هـ/ ١٩٩٧م).

٣٨. الواقدي، أبو عبدالله بن عمر، **المغازي**، تحقيق مارسد ن جونس، دار الكتاب العلمي ، بيروت ،(١٣٨٦هـ).

ثالثاً: من وجوه التشابه بين لهجات اليمن وجنوب المملكة العربية السعودية. بقلم أ.د. عباس بن علي السوسوة[(١)]

أولاً: تمهيد:

اللهجات أشكال محلية للكلام في لغة معينة، أو قل: تنوعات جغرافية في لغة ما. وعادة ما تُستعمل للتواصل في أمور الحياة اليومية من بيع وشراء وتحية وشكر وتعزية وتهنئة، ويضم معجمُها المحلي المفردات المتداولة لما ذكرناه، ولألفاظ القرابة والزراعة والتجارة والرعي وغير ذلك من المهن والحرف.

واللهجات الجغرافية تتقارب وتتباعد في معجمها، وفي أنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية، بحسب كثرة التفاعل واللقاء بين المتكلمين بها، وطول زمن هذا التفاعل وقصره. وقلما تخضع اللهجات للحدود بين الدول؛ ففي فرنسا لهجات ألمانية كما أن في ألمانيا لهجات فرنسية، وفي مصر نجد لهجات محافظة الشرقية القريبة من قناة السويس، مع لهجة شبه جزيرة سيناء أقرب إلى لهجات فلسطين. ونجد اللهجات في شرقي المملكة السعودية قريبة جداً إلى لهجات دول البحرين والكويت وقسم من العراق. ونجد لهجة محافظة دير الزور في سوريا كأنها لهجة عراقية من الوسط.

---

(١) هذا العمل العلمي لعالم جليل، في علم اللسانيات، إنه الصديق الأستاذ الدكتور/ عباس بن علي السوسوة، الذي يعمل حاليا في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الملك خالد. وللدكتور السوسوة الكثير من الكتب والدراسات الرصينة في مجال تخصصه، وقد نشرت عدد من بحوثه الجيدة في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، وما زال يقدم دراسات قيمة ورصينة. وهذه الدراسة التي نحن بصددها جاءت من الزميل الدكتور عباس بعنوان (من وجوه التشابه بين لهجات اليمن السعودية) فغيرت كلمة (السعودية) إلى جنوب المملكة العربية السعودية، لأن جل المفردات واللهجات الخاصة بالسعودية من جنوبها وبخاصة من مناطق (جازان، ونجران، وعسير) (ابن جريس).

كذلك فإن اللهجات اليمنية متقاربة كثيراً مع اللهجات في المملكة العربية السعودية، خصوصاً لهجات إمارات عسير ونجران وجيزان[١].

ومنــذ بداية القرن العشرين الميــلادي حاول بعض المستشرقــين الأوروبيين تقسيم اللهجــات الكبرى في البلدان العربية ومدى تقاربهــا، فقالوا: إن اليمن والسعودية لهجة واحــدة، وكذا مصر والســودان[٢]. ثم تونس والجزائر والمغرب. وهــذا الحكم / الرأي يصدق على الملامح الكبرى لها عامة دون التفاصيل والخصوصيات كما لا يخفى.

ورأى اللغوي الألماني فيرنر ديم تقسيم اللهجات اليمنية الحديثة على أسس صرفية أولا ثــم نحوية، بعد رحلات متفرقة بين ألمانيا الغربية وأرجاء اليمن مدة عشر سنوات، فجعلها في ست مجموعات لهجية كبرى.

وبعــده جاء ألماني آخر هو بينشتيد، واستقصى لهجات محافظة صعدة فتوصل إلى أنها ست لهجات. وليس عمله بين يدي لأرجع إليه[٣].

وإنما أكتب ما أتذكره منه، وفي هذه اللهجات أداة التعريف قبل الاسم (أل) وفي بعضها (أن) وبعضها (ام) قبل الاسم، وفي بعضها أداة التعريف (ان) بعد الاسم كما في السبئية، وبعضها يجمع بين (ان) في بداية الاسم وختامه، كما يقال (ان محافظان) = المحافظ[٤].

والتشابــه حــادث بينها وبين لهجات إمــارة نجران، بل وأطراف مــن جازان كبني مالك وفيفاء وبلغازي.

كذلك فاللهجات في تهامة اليمن التي تضم مناطق ساحلية وداخلية من محافظات الحديــدة وحجة، تشابه كثيــراً لهجات إمارات جازان عموماً. وقــد زرت صبيا ومناطق مجاورة في عام (٢٠١٦م)، وأكرمتنا إدارتها التعليمية بغداءٍ في جبل فيفاء مع نخبة من التربويين، وأخذ الحديث يتشعب بيننا وبينهم يميناً وشمالاً، فكأن المستضيفين يتكلمون بكلام أهل الحديدة إلاّ مالا خطر له.

---

(١) هي متقاربة مع بقية اللهجات الأخرى، لكن خصصنا هذه بالكلام لأن معرفتنا بها أكثر.

(٢) ينظر علي عبدالواحد وافي: فقه اللغة، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١١٧ وما بعدها.

(٣) للأسـف ليس كتابه متوفراً لدي الآن لأرجع إليه. ولاحظ أن جامعته ظلت تنفق عليه عشر سنوات متصلة، كمــا أن السلطــات اليمنيــة في الشمال والجنوب سهلـت له التنقل واللقــاء بالنــاس، واستضافته. ولو كان الباحــث يمنيــاً بل عربياً أيــاً كان لما استطاع إنجاز واحد بالمئة مما فعله الألمــاني، بل أخشى أنه سيتعرض لسين وجيم وربما ألقي به في (بيت خاله).

(٤) ينظــر عبدالله يحيى زيد الحوثي: لهجــة صعدة، دراسة تأصيليــة، رسالة دكتوراه (غــير منشورة)، كلية اللغات والترجمة، جامعة صنعاء، ٢٠٠٧م، ص ٧٣-٧٧.

وكانت زيارتان أخريان في عامي (٢٠١٨و ٢٠١٩) فكانت الظواهر اللغوية هيٍ هي، حتى إن في عامة الناس من ينطق العين همزة كما هي الحال في أكثر محافظة الحديدة وبعض حجة. ولهجات إمارة عسير تشبه اللهجات اليمنية الممتدة من شمال صنعاء فالمحويت فحجة، من وجوه شتى.

وليس هذا البحث ساعيًا إلى استقصاء هذه التشابهات ولا يستطيعها في هذه الظروف. وإنما الغرض ذكر أمثلة يحسبٍ أنها كافية ودالة ومحفزة للباحثين على الدرس والتعمق والاستقصاء. وسنذكر ألفاظاً متعلقة بالزراعة ونحوها، ثم بعض الأوزان الصرفية، ثم الأدوات النحوية، وسنحاول تعميقها بالحفر عنها تاريخيا في كتب التراث غير المعاجم.

ولأن الألفاظ لا تقع تحت حصر، ارتأينا الاكتفاء بألفاظ من حقل الزراعة والري، مع ملاحظة أن المشتغلين من المواطنين السعوديين بالزراعة نادرون، ولعلك تجدهم ممن جاوز السبعين عاماً في مناطق محددة، في حين أن اليمنيين ما زالوا يعملون بأيديهم في الزراعة وما يتعلق بها. ولسنا بغافلين عن وجود اختلافات بين اللهجات اليمنية نفسها، ولا بالاختلاف بين اللهجات السعودية الجنوبية بعضها مع بعض. لذلك سنشير إلى مصادر عامة درءاً للتكرار والتطويل، والمهم وجود التشابه في الألفاظ ودلالاتها.

ثانيا: من وجوه التشابه بين اليمن وجنوب المملكة العربية السعودية:

أ - بعض المصادر والمراجع:

١. **الزراعة في المخلاف السليماني تراث وحضارة**، لحسن بن يحيى ضائحي[١].
٢. **ألفاظ الزراعة والري في محافظة فيفاء، دراسة في ضوء نظرية الحقول الدلالية**، رسالة ماجستير للطالب عيسى بن محمد الفيفي، جامعة الملك خالد، ١٤٣٨هـ[٢].
٣. **ألفاظ الزراعة في مناطق من محافظة تعز**، لمنير عبده علي أحمد[٣].
٤. **المعجم اليمني في اللغة والتراث**، لمطهر بن علي الإرياني[٤].

ب- نماذج من ألفاظ الزراعة والري:

١. **الصراب والصرام والصريب:** حصد الزرع المستوي خاصة الحبوب.
٢. **الشريم:** المنجل، أداة حديدية مسننة تقطع بها سيقان الزرع والحشائش.

---

(١) طبعه المؤلف على نفقته بمطابع الحميضي، الرياض، ٢٠١٤م.
(٢) غير منشورة حتى الآن.
(٣) رسالة دكتوراه في كلية الآداب جامعة تعز (غير منشورة)، ٢٠١٤م.
(٤) طبع في دمشق ١٩٩٦م، وطبع ثانية في مطابع الميثاق بصنعاء، ٢٠٠٣م، ولم أتمكن من الوصول إلى الطبعة الثانية.

٣. **الخبيط والخبط:** ضرب الزرع المحصود لفصل الحب عن عذوقه.
٤. **الضمْـد:** ثوران تجمع عنقاهما بالمضمد الذي ينتهي بالمحراث لحرث الأرض، وجَمعه ضُمُد وضمايد.
٥. **الفدامة:** أداة من خيش ونحوه توضع على فم الدابة حتى لا تأكل الزرع.
٦. **أوثَان:** مفردها وَثَن، أحجار توضع على حدود المزارع لتمييز الملكيات. وهذا أصل معنى الوثن في اللغة لو تأملت. ولها مرادفات. رِفاد، حَد، مَأبن، حامية، قارِن.
٧. **البَقـل:** الفُجّل. ويقال له في اليمن أيضاً: قُشمي. ولم أسمع ما يخالف ذلك إلا في مدينة رَدَاع[١] وما حولها، إذ يسمونه فِجَّل.
٨. **البِطّيخ:** فاكهة الشمّام، ويقال له أيضاً بِرطيخ وبِرديخ وبِدّيخ.
٩. **حبحب:** هــو فاكهة البِطيّــخ في العربيــة المشتركة، في اليمــن والسعودية. وله تسميات محلية في البلدان العربية الأخرى.
١٠. **تلم:** خط المحراث في الأرض، والفعل تَلَم يَتلِم، ويقال فلان: تَلَم ذرةً، أو بُرّاً أو نَحوهما، إذا شق المحراث مع وضع البذر معاً.
١١. **الجُلجُل والجلجلان:** السمسم.
١٢. **المجران والجرين:** مكان جمع العذوق المصروبة وخبطها وتذريتها.
١٣. **حَلَص:** نبات متسلق أوراقه ثخينة، نصف مطبقة، يؤكل أيام المجاعة، وفي أيام الشبع تجفّف فإذا جفت سموها حَلَقه. وتوضع مع المرق لتعطيه طعماً مُزّاً.
١٤. **حَمـاط:** هَبــاء يتطاير من حب الذرة والدخن عند خبطهــا، وهو قشرة كانت تغطي الحبّة.
١٥. **خَسَع وخساع:** التربة المبتلة بالمطر، وكذا المطر والماء الراسخ في الأرض.
١٦. **الدجـر:** بفتــح الــدال وبكسرهــا وبضمها: وهــي المسماة (لوبيــا) في البلدان العربية الأخرى.
١٧. **العُطب:** القُطن. وفي السعودية يقال (فراش معطّب) أي منجّد ومحشو قطنا. وفي اليمن يُقال أن الفاكهة (أعطبت) و (مُعطبة): فسدت وظهر فيها ما يشبه العطــب. أو الخضــرة. جاء في الخزرجي: "..لا يلبســ إلاّ ما يغزله حريمه من العطب الذي يُجلب من تهامة"[٢].

---

(١) شرق مدينة ذَمار بنحو ٦٥ كيلاً.

(٢) الخزرجــي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ٧٨/١، تصحيح محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال بالقاهرة، ١٩١١م.

١٨. **ذُرَة:** بضم الذال وبكسرها: في البلدين هي الذرة صغيرة الحبوب التي تسمى في الكتب المدرسية: الذرة الرفيعة، ويقال لها العُويجة في مناطق من مصر. أما ذات الحبوب الكبيرة التي تنبت في كوزها، فتختلف تسمياتها من منطقة لأخرى: فهي هند، وشام، ورومي، وللذرة الرفيعة أصناف مختلفة أنواعاً وألواناً، تختلط أسماؤها وتختلف في البلد الواحد.

١٩. **الزَّبير:** على وزن بعير، حاجز من التراب والطين يضعه المزارع على حدود حقله، ويجمع على زِبْوَر.

٢٠. **البَصيرة:** الوثيقة المكتوبة تبين الملكية الزراعية والعقارية ونحوها جمعها بصائر وبصاير.

٢١. **وجيم:** قصب الذرة خاصة، مفرده وجيمة.

٢٢. **غَبَش:** الوقت قبل صلاة الفجر، وقبل طلوع الشمس.

٢٣. **الحِبيل:** قطعة زراعية قد تضم عدداً من المزارع وتكون في أسفل الجبل.

٢٤. **الحيفة:** جمعها حياف، المزرعة الكبيرة لكن كبرها بالعرض لا بالطول.

٢٥. **السَحْب:** قطعة من أقوى أنواع الحديد تُحرث بها الأرض.

٢٦. **المِفرس:** أداة حفر يدوية صغيرة، وتسمى أيضاً الحِجنة، لحرث ما يصعب على الثيران الوصول إليه.

٢٧. **العطيف:** ويقال (العطيفة) الفأس طرفها حاد تقطع بها الشجر، وتجمع على عِطوَف.

٢٨. **المَذْح:** تعريض الحبوب للهواء للتذرية لإزالة الشوائب.

٢٩. **شَنشنة:** المطر المستمر يتوقف ثم يرجع ثانية، وقد يكون انصباب المطر عامة.

٣٠. **الرواح والمَرْوح:** المطر آخر النهار يروي الأرض.

٣١. **الراعد:** صوت الرعد يسبق المطر مما يُستبشر به.

٣٢. **القنف:** السحاب الأسود المتكون في السماء قادماً من بعيد، وتجمع على قنوف. وتبَدو مائلة إلى الأمام كأنها حيود.

٣٣. **العَنَفة:** التربة بين التلمين من الزراعة، وهي مرتفعة عن الأتلام، ويرجعونها على الزرع بعد ظهوره.

٣٤. **العدَف:** التربة المتفتتة من أثر حراثة الأرض، وتشكل قطعاً من تربة الحقل.

٣٥. **شَرَب وشُرُب:** التربة التي غطتها مياه الأمطار حتى لا يرى خطوط الحرث.

٣٦. **بَتْلَة:** حراثة الأرض وهي جافة قبل موسم البذر، وعند البعض بمعنى حراثة الأرض مطلقاً.

٣٧. **حَـرور ومَحَـر:** استصلاح الأرض وتسويتها، أو جرف التربـة والأحجار التي يجلبها السيل إليها. كذلك المحر آلة حديدية لتسوية الأرض.

٣٨. **دَمـال:** رش السمـاد البلدي / الدَمال على سطح التربـة الزراعية بعد حرثها، وهو من مخلفات البهائم، أو الدجاج المربّى في المزارع.

٣٩. **وبّـال:** تنقيـة التربة من الحشائش التي نبت لها جـذور غائرة في التربة تضّر بالزرع، وتسمى وَبَل، والفعـل: وَبَّل يُوبِّل وبّال، واسم الفاعل مُوَبِل. والوَبل تأكله الحمير.

٤٠. **زرّاب:** وضـع سياج من أغصان السدر المشوكة علـى أطراف الأرض الزراعية لحمايتهـا مـن الحيوانات والأطفـال، ويسمى الـزَرِّب وزَرّبة. ويسمـى السياج مزراب ومَزرَب، واسم الفاعل مُزَرِب. وفي المثل: (زَرِّب ولا تكلّب) أي: ضع زربا علـى الأرض أفضل لك من الكلـب المستخدم للحراسة. وفي الكناية عن المؤذي للآخرين بأنه زربة.

٤١. **خُماسي:** الثور الذي ارتفاعه خمسة أشبار.

٤٢. **سُباعي:** الثور الذي ارتفاعه سبعة أشبار.

والمزارعـون يسمّـون حيواناتهم خصوصاً الثيران والبقـر، فمن أسمائها: جابر، ونجيم، وستران، وزَهِر، وبتّال، ونظمية.

٤٣. **الشـارح:** الـذي يحرس ثمـار المزروعـات أو البذر في فترة النهـار من الطيور والحيوانـات، أو مـن الأشخاص الذيـن يسطون على الثمـار، ويستعمل المقلاع لقذف الطيور بالحجارة.

٤٤. **الميظاف / الوظـف:** هـو المقلاع الـذي تقذف بها الحجارة علـى الطيور عادة. قطعتان من قماش ثخين بينهما قطعة جلدية توضع فيها الحجر.

٤٥. **الموَهـر والمُوهـر:** عصا طويلـة ملساء يأخذهـا البتول= الحـرّاث ليسوق بها الضمد عند الحراثة.

ج - وزن فعّال وتفعّال:

معلـوم أن الفعل الآتي علـى وزن (فَعَّل) مصدره القياسي (تَفعيـل) مثل: عَلَّمَ تعليما. ومعلوم أيضاً أن (تفعَّل) مصدره (تَفعُّل) مثل: تَحمَّلَ تَحَمُّلاً. وذكر علماء العربية إلى جوار

هذه القاعدة الأصلية قاعدةً فرعيةً بأن مصدر الفعل (فَعَّلَ) قد يأتي على وزن (تفعّال) [١]. وهـذا ما حدث في لهجات الخطاب في اليمـن والسعودية في أيامنا هذه. لكن هذه الظاهرة ليست بالجديدة، رغم أن ما وصلنا من شعر جاهلي قد خلا من هذين الوزنين[٢].

أول وثيقة مكتوبة نجد فيها وزن (فعّال) هو القرآن الكريم في سورة النبأ، في الآية ٢٨ "وكذّبـوا بآياتنا كِذّابا"، والآية ٣٥ " لا يسمعون فيها لغواً ولا كِذّابا" أما الوزن الآخر (تِفِعّال) فغير موجودٍ فيه[٣].

تذكـر كتب القراءات قـراءةً بالتخفيف في المصدر نسبها لسيدنـا عليّ بن أبي طالب والكسائي، كما تذكر أن القراءة بالتثقيل هي قراءة عاصم وأهل المدينة والحسن البصري، وتزيد فتذكر أن مصدر (كذَّب) يأتي على تكذيب وكِذاب- بالتخفيف- وكِذّاب بالتثقيل[٤].

وجاء في القراءات الشاذة، في سورة النبأ آية ٢٦ "جزاءً وفاقا" بتشديد الفاء، أنها قراءة أبي حَيْوة، وأن في مصحف عبدالله بن مسعود الآية ٣٦ من النبأ "جزاء من ربك عطاء حسّابا" بتشديد السين[٥].

ويبدو من نُدرة هذين المصدرين إلى حد الاختفاء في نصوص الفصحى، أنهما كانا مـن مميزات بعض اللغات المحلية في الجزيرة العربية. فنحن نجد الفراء (ت ٢٠٧هـ) يذكر أن مثل كِذّابا " لغة يمنية فصيحة، يقولون: كذّبت كذّابا، وخَرَّقت القميص خرّاقا. وكل فعّلت فمصدره فعّال في لغتهم مشدّد. قال لي أعرابي منهم على المروة: آلحَلقُ أحبُّ إليك أم القِصّار؟ يستفتيني. وأنشدني بعض بني كلاب:

---

(١) انظـر كتـاب سيبويه، تحقيـق عبدالسلام هـارون، مكتبة الخانجـي بالقاهـرة، ١٩٨٨م. ٧٩/٤، والمبرّد: المقتضب، تحقيق محمـد عبدالخالق عضيمـة، المجلس الأعلى للشئـون الإسلامية بالقاهـرة، ١٩٧٩م، ١٠١/٢، ورضـي الديـن الاسترابـاذي: شرح شافيـة ابن الحاجب، تحقيـق محمد نور الحسـن وآخرين، القاهرة: المكتبة التجارية ١٣٥٨هـ/ ٦٣/١.

(٢) اعتمدنـا على ما نحفـظ ونعرف من شعر جاهلي، وعلى دراسة وسمية عبدالمحسن المنصور، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي، ص ٢٣٤، ولم نجد ما يخالف هذا الرأي.

(٣) انظر محمد عبدالخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث بالقاهرة، ١٩٧٥م. ق٢ ج٢، ص٦٧٥.

(٤) انظـر: أبوزكريا يحيـى بن زياد الفراء: معاني القـرآن، تحقيق محمد علي النجـار وآخرين، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٢٩/٣. وعنه أخذت هذه المعلومات في كل من:
أ-الأزهري: تهذيب اللغة (ع. ز . ز) ٨٢/١.
ب-ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين، القاهرة، دار المعارف (ك.ذ.ب). ص٣٨٤١.
ج- الزبيدي: تاج العروس (ك. ذ. ب) ٤٤٨/١، المطبعة الخيرية بالقاهرة، ١٣٠٥ه.
د- ابن الجزري: شمس الدين محمد بن محمد: النشر في القراءات العشر، المكتبة التجارية بالقاهرة، ٣٩٧/٢.

(٥) ابن خالويه: مختصر في شواذ القرآن، تحقيق برجشتراسر ليبزج، ١٩٣٤، ص ١٦٧-١٩٨.

لقد طالما ثَبَّطتني عن صَحابتي　　وعن حِوَجٍ قِضّاؤها من شفائيا[١]

وهذا النص يعطينا إشارتين مهمتين:

الأولى: نعتها باللغة اليمينة الفصيحة. ويبدو أن القرآن الكريم لو لم يورد مصدراً على هذا الوزن لما التفت علماء العربية إليها، ولما وصفوها هذا الوصف.

الثانيـة: أن هـذه اللغة الفصيحة كانت حيّةً علـى الألسنة في لغة الحياة اليومية في القرن الهجري الثاني، وقد سمعها الفراء بنفسه وسجّلها، بل إن شاعرًا لم يُسَمِّه أنشده بيتاً جاء فيه مصدر الفعل (قضّى) على قِضّاء.

ويقوّى رأينا أن هذه ظاهرة لغوية كانت خاصة باليمن ثم انتقلت إلى اللغة المشتركة ما نقلناه عن كتب القراءات من أن أهل المدينة قرأوا بالتثقيل (كذّابا). وأهل المدينة من أصل يمني، أضف إلى ما ذكره الصغّاني "وكبَّر كِبّارًا مثل كبّر تكبيرا، وهي لغة بلحارث بن كعب وكثير من اليمن"[٢].

ومـن العجيب أن نجـد ابن الأنبـاري (ت ٣٢٨هـ) يعمّم هذه الظاهـرة على جميع العرب حين أتى بشاهد شعري عليها: " قال الشاعر:

زعمتَ بأنّ جمعَك إذ رأونا　　يَـد لك في الولاء وأنت عانِ
فقد غـرَّت حبالك من أناسٍ　　ولاؤهـمُ كَكِـذّاب اللسانِ

قـال أبـو بكر: **كَكِذّاب اللسان، معناه ككذب اللسان.** العرب تقول: هو **الكذب والكذاب والكِذّاب.** قال الله عز وجل: "لا يسمعون فيها لغواً ولا كِذابا". معناه: ولا كَذِباً"[٣].

وقبلهـم جميعاً ربـط سيبويه بين فعّال وتفعّال، ذكر أنهمـا صادران عن لغة واحدة قـال: "وقد قال أناس: كلّمته كِلاّمًـا وحَمّلته حِمّالا... وأما مصدر تفعّلت فإنه التَفَعُّل...

---

(١) الفراء: معاني القرآن ٣/٢٢٩، وعنه في المصادر الآتية:
- رضـي الدين محمد بـن الحسن الصغّـاني: التكملة، تحقيـق عبدالعليم الطحاوي وآخريـن، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٣/١٨٦، وعن اللحياني أيضاً.
- أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، مطبعة السعادة بالقاهرة، ١٣٢٨هـ، ٨/٤١٤ (عن حاجة).
- الزبيدي: تاج العروس (ق. ض. ي) ١٠/٢٩٦ عن أبي زيد. وأول البيت لبَّثتني.

(٢) الصغّاني: التكملة ٣/١٨٣.

(٣) أبـو بكـر محمد بـن القاسم الأنبـاري: الزاهر في معاني كلمـات الناس، تحقيق حـاتم الضامن، ط٢، دار الشئـون الثقافيـة، بغداد، ١٩٧٩م، ٢/١٤٣، وأشار المحقق إلى وجود البيتـين في المقصور والممدود للقالي، ص ٣١٧، بغير نسبة.

من ذلك قولك تكلمت تكلُّما وتقولت تقُّولا... أما الذين قالوا: كِذّابا فإنهم قالوا: تحّملت تِحِمّالا"[١].

والمعاجم القديمة تورد وزن (تِفِعّال) على أنه قد يأتي صفة.

ففي القاموس (ماد: ل. ع. ب) "وتِلِعّاب وتِلِعّابة: كثير اللعب".

وفي مـادة (ل. م. ظ) "والتِلِمّاظ – كَسِنّمـار– من لا يثبت على مودة أحد، وبهاء: الثرثارة المِهذارة".

والنـووي يـورد الصفة والمصدر معاً: "تكلـم الرجل تكلُّما وتكلاّمـا وكالمه: ناطقه. ورجل تِكِلاّم وتِكِلامة وتِكِلاّمة وكلماني: جيد الكلام فصيح"[٢].

لكنا إذا تركنا الصفة وجئنا إلى المصدر سنجد اللغوي ثعلباً (ت ٢٩١هـ) ينقل هذا البيت عن ابن الأعرابي دون أن ينسبه لأحد:

" ثـلاثـةُ أحـبـابٍ فـحـبٌّ عـلاقـةٌ وحُـبٌّ تِمِـلاّقٌ وحـبٌّ هـو القتلُ"[٣]

ويزعم ابن خالويه أنه " ليس في كلام العرب ما جاء على تِفِعّال وفِعِلاّل إلا قولهم: تملّقه تملاّقا، قال:

ثـلاثـةُ أحـبـابٍ فَـحُـبُّ خِـلابـةٍ وحُـبُّ تِمِـلاّق وحـبٌّ هـو الـقـتـلُ

قلـت للأعرابـي: زدني، فقال: البيت يتيم، أي فرد (...) ومثـل التِمِلاّق: التِّقِطّاع، والتِبِتّال، وتِكِلاّم، وتِلِقّام، وتِنِقّام"[٤].

ولا شـك أن هذا المصـدر يعد كصابه من النوادر في الفصحى المشتركة، وقد جعله أحد لغويينا القدامى من الشوارد فقال: " من المصادر التي جاءت على تِفِعّال: التِقِطّاع، والتِنِبّال، والتِنِقّام"[٥].

---

(١) كتاب سيبويه، ٧٩/٤.

(٢) شرف الدين النووي: تهذيب الأسماء واللغات، القاهرة، دار الطباعة المنيرية، ق٢، ج٢، ص ١١٩.

(٣) أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب: مجالس ثعلب، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة: دار المعارف ١٩٨١م، ٢٣/١، وانظـر السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق مجموعة، مكتبة عيسى الحلبي بالقاهرة، ١٩٥٨م، ٢٢٧/١.

(٤) الحسين بن عبدالله بن خالويه: ليس في كلام العرب، تحقيق أحمد عبدالغفور عطّار، مكة المكرمة ١٩٧٩م، ص١٣٩–١٤٠، ونقل عنه التاج ٢١٠/٧، بتصرف في ألفاظ، وكذا في (م. ل. ق) (ع ل ق). ٧٢/٧.

(٥) الصغـاني: الشـوارد، تحقيق عدنان الدوري، بغداد: المجمع العلمي العراقـي ١٩٨٣م، ص ٣٥٨ وانظر: تاج العروس ٤٧/٦–٤٨.

بعــد ذلــك لا نجد لهذين المصدرين أثراً لا عند الشعــراء، ولا عند الكتب المهتمة بجمع الخطــب والحكــم والوصايــا، وصادفنا كتاباً يجمــع أشعاراً مــن شمالي أفريقيــة في العهد الفاطمي. فإذا فيه شاعر من القرن الرابع يدعى سهل بن إبراهيم الورّاق، لديه هذا الشاهد:

"قالٍ حديث الصدق رافضُ أهلــه راضٍ عــن الــكـذّاب والقَينات"[١]

ثم وليّنا وجهنا نحو الكتب اليمينة فإذا الصيغتانِ موجودتان، إحداهما عند المؤرخ مفرّح الربعي (ت بعد ٤٥٩هـ): " فعرّفناه أننا اشترينا حبلاً لتمد عليه ثيابنا عند الغِسّال"[٢].

وفي القرن السادس الهجري نجد وزن (فعّال) فاشيا في لغة الحياة اليومية في الجزيرةِ العربيــة بشهــادة اللغوي المفسر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، وقد جــاور في مكة زمناً طويلاً، ولفت نظره بعض الظواهر اللغوية، فكان يشير إليها في بعض مؤلفاته[٣]. وفي تفسيره لآيتي ســورة النبأ نجده يقــول: " كذّابا: تكذيبا. وباب فَعَّل كله فاشٍ في كلام فصحاء العرب لا يقوون غيره، وسمعني بعضهمَ أفسّر آيةً فقال: لقد فَسَّرتها فِسَّاراً ما سُمع بمثله"[٤].

ونجد فجوةٍ بين القرنين السادسِ والعاشر، لا نجد فيها خبراً عن المصدرين. أما بعد ذلك فهما يكثران جداً في الشعر اليمني الحميني. فمن ديوان محمد بن عبد الله شرف الدين[٥].

-ص١٦٩: الباب بالباب والوشاة غيّاب.
فما سبب ذا الهجر والتحِجّاب؟

-ص٣٠١: ما تتركين التَعِتاب آحي منك آح.

ويمكن النظر في زمنٍ معاصرٍ له شعر عمر بامخرمة السيباني. (بالسين المهملة)[٦].

وفي القــرى الثــاني عشر نجد الوزنــين شائعين جــداً عند شعــراء الحميني بكافة توجهاتهــم وهو أمر جلي لدى مطالعتنا ديوان الخفجي (ت ١١٨٠هـ) ففيه شعره وشعر

(١) محمد اليعلاوي (محقق): الأدب بأفريقية في العهد الفاطمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٦٥.
(٢) مفــرح الربعي: سيرة الأميرين الجليلين الشريفــين الفاضلين، تحقيق رضوان السيــد وعبدالغني محمود عبدالعاطي، بيروت: المنتخب العربي ١٩٩٣م، ص ١٠٨.
(٣) انظــر مثــلاً: المحاجــاة بالمسائل النحوية، تحقــق مصطفى الحــدري، حماة، ١٩٨٣م، ص١١٦. وللطالب عبدالعزيــز أحمــد ناجــي، ماجستيــر، كليــة الآداب جامعــة تعــز (غيــر منشــورة)، ٢٠١٤م. ملاحظات الزمخشري على لغة عصره، دراسة في ضوء اللسانيات.
(٤) الزمخشري: تفسير الكشاف، مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة، ٢٠٣/٢.
(٥) ديوان مبيّتات وموشّحات: بعناية علي بن إسماعيل المؤيد، القاهرة، ١٩٤٧.
(٦) انظــر: عبدالرحمــن جعفر بن عقيل: عمر بامخرمــة السيباني، حياته وتصوفه وشعــره، دمشق، ٢٠٠٢م، صفحات ١٣٣، ١٤٦، ١٥١، ١٥٢، ٢٠٣، ٢٤٣، ٢٥٠ إلخ.

أصدقائه الذي يساجلونه أو يراسلونه بالشعر مثل: البالوزة، وعبدالله بن يحيى الشامي، وحسن بن محمد الفُسيّل. ومن ذلك[١]:

–ص ٦: على مه لَحا اللاحي؟ ومَا شان بُوّاحي.

–ص٤٥: والصوم دِقّال والمسوكة والتِنفّال

– ص٢٠٤: وتُصلح له الزينطة والتحّماس.

ففي الحاظية سعد مبخوت[٢].

وانظر صفحات ٤٧، ٥٣، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ١٨٨، ١٨٩، ٢١٣، ٢٩٤.

وفي قانون صنعاء المكتوب عام ١١٦١هـ بنوع من العامية تحاول أن تحاكي الفصحى نجد "وما ذَهبَ داخل الحمّام مثل طاسات الحمّام، ومن حلية النساء التي يدخلن بها، فليس على الحمّاميّة إلا فِتّاش النسوان التي في الحمّام"[٣].

وفي النصف الأول من القرن الثالث عشر نجد الوزنين شائعين في ديوان عبد الرحمن الآنسي[٤] (ت ١٢٥٠هـ) ومنه:

–ص ٥٦: يشهد الله جامنّكم لا منّنا × بدِّع هذا الجفا والتمِحّان.
–ص ٣٥٧: وما لقيت الذي ضاعَ × بكثر دُوّار وتفتيش.

وانظر صفحات ١٥٥، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٨٣، ٣٩١، ٣٩٤، ٤٢١.

وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر. نجد الوزنين شائعين في ديوان القارة (ت ١٢٩٣هـ). ومنه.

–ص١٤: وقد سِهل لك في الهوى التنفّاس.
ها أنت تهوى اَلَأغصن الموائس[٥].

---

(١) علي بن الحسن الخفجي: ديوان سلافة العَدَس ولب لعلس في المضحكات والدلس، مخطوط في حوزتي، مصور عن مخطوط بعناية المرحوم علي بن إسماعيل المؤيد بالقاهرة.

(٢) البُوّاح: خوار البقر، دقّال: تَفَل، الزينطة: التفاخر الكاذب، التحّماس: الحماسة، الحاظية: وقت الشدة.

(٣) قانون صنعاء في القرن الثاني عشر الهجري، بعناية القاضي حسين بن أحمد السياغي، نشر عبدالله إسماعيل غَمضان، صنعاء، ١٤٠٢هـ، ص ٤٢.

(٤) ديوان عبدالرحمن بن يحيى الآنسي: ترجيع الأطيار بمرقّص الأشعار: تحقيق عبدالرحمن بن يحيى الإرياني وعبدالله بن عبدالإله الأغبري، القاهرة، ١٩٥٣م.

(٥) ديوان أحمد بن شرف الدين القارة الكوكباني، مخطوط في حوزتي، مصور عن نسخة في منزل المرحوم السيد علي بن إسماعيل المؤيد بالقاهرة.

وانظر مثلاً لا حصراً صفحات ١٥، ٧٠، ٨٨، ١١٩، ١٣٩، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٦٢ وما زال هــذان الوزنان شائعين في الأشعار الحمينيــة والشعبية حتى الآن، ولا أدري بالمقابل هل يوجدان في الأشعار الملحونة في جنوب المملكة أم لا ؟

وإذا ألقينــا نظرة على استعمال هذين المصدريــن في المستويات اللغوية المختلفة أيامنا هذه، وجدنا ما يلي:

أولاً: غــير مستخدمــين بالمرة في فصحانــا المعاصــرة بجميع أساليبهــا، سواء في اليمــن أو في بقية الأقطــار العربية الأخرى، بل نظن أن أحداً ممــن يعرف تاريخهما لو استخدمهما في كتابته الفصيحة لوجد كثيرين يخطئونه.

ثانيــاً: همــا في مستويــي عاميــة الأميــين وعاميــة المتنوريــن أكــثر مــن مقابليهما الفصيحين.

ثالثاً: بعض مصادر هاتين الصيغتين لا نجد لها أثراً أو معنى في مظانها من المعاجم كاللسان والقاموس والتاج، مثل بُوّاح بمعنى الخُوار، ونُوّاق بمعنى النهيق، وقعّاي بمعنى فتح الفم من ذهول[١]، وتقعّام بمعنى تثاؤب، ودوّار بمعنى البحث والتفتيش، وغير ذلك كثير.

وقبل عشرين سنة تحيّرت عن مصدر الوزنين، وقلبت كل الاحتمالات إلى أن رجّحت أنهما من العربية الجنوبية، ولكن نقوش المسند لا تدون الحركات القصار والطوال عادة لكن هذا لا يعني أنها لا تُقرأ.

والباحثون في النقوش اليمنية – بصفة عامة– أغفلوا هذا فلم يقرأوا خطوط المسند في ضوء لغة الحياة اليومية الحاضرة، لذلك لم نعثر على هذين الوزنين في قراءاتهم[٢].

وتناقشت في شتاء (١٩٩٣م) في كلية الآداب بتعز، مع د. إبراهيم الصلوي، في أمر قــراءة نقوش المسند في ضــوء اللهجات المعاصرة، وهل ستؤدي هــذه القراءة إلى نتائج جديــدة؟ فأجــاب إن هذا ما ينبغي أن يتم، ثم وعد بتقديم أمثلة من هذين الوزنين وردا في النقوش استنــاداً إلى هذه القــراءة وقياساً على الفصحى، وأرســل بها بخطه. وقد سبق أن نشرتها قبل، وشكرته عليها مرتين، فهذه هي الثالثة[٣]، وإليكها:

---

(١) انظــر خليل يحيى نامــي: من اللهجات اليمنية الحديثة. مجلة كليــة الآداب، جامعة فؤاد الأول، ج١، مج٨، مايو ١٩٤٦، ص ٧٨ و ٨٣.

(٢) انظــر مثلاً: المعجم السبئي لمجموعة مــن الباحثين، نشر جامعة صنعــاء ١٩٨٢م. ومطهر الإرياني: نقوش وتعليقات مسندية.

(٣) انظــر عباس السوسوة: دراسات في المحكيــة، ط١، وزارة الثقافة، صنعــاء، ٢٠٠٥م، وط٢، مركز عبادي،

١. في النقش الموسوم بـ C573 صيغة " ا خ ر ن" من الفعل أَخَّرَ، والنون علامة المصدر، وتُقرأ: إخّارن – إخّاراً، بمعنى صَدّاً، دَحراً، فيقال: أخّر إخّارن بمعنى صدّ هجوماً صدا، أو دحر الأعداد دَحراً.

٢. في النقش الموسوم بـ C461 صيغة " ت أ ت و م "وهي من الفعل تَأَتّوَ، والميم علامة التنكير، وتقرأ: تِئِتّاوم، بمعنى: تَقَرُّبا، فيقال: تَأَتَّوَ تِئِتّاوم – تِئِتّاوا، بمعنى تقرب للإله تقرّباً.

٣. في النقش الموسم بـ C79 صيغة " ت ق د م"، هي من الفعل تقدّم، وتقرأ: تَقَدَّم تِقِدّام، بمعنى: تقدَّم في المعركة تقدماً.

٤. في النقش الموسوم بـ J589 صيغة " ت ن ش أ ن)"، وهي من الفعل " ت ن ش أ "، والنون علامة المصدر. وتقرأ: تَنَشّأ تِنِشّاءَن، بمعنى شنَّ هجوماً أو حرباً شَناً.

٥. في النقش الموسوم بـ GL1574 صيغة "ت ص ل أ" من الفعل " ت ص ل أ" بمعنى أعلن. وتقرأ: تَصَلأ تِصِلاّءً بمعنى: اعلن اعلاناً، أو أشعرَ إشعاراً.

د - صيغة جمع التكسير فِعيل في اللهجات اليمنية والسعودية:

ليست فِعيل – بكسر الفاء – في الفصيحة قديماً وحديثاً من جموع التكسير، بل هي صيغة متفرعة من فَعيل – بفتح الفاء، التي هي اسم مفرد وصفة، فقد ذكر سيبويه أن عين الكلمة إذا كانت حرف حلق، فإن قبيلة تميم تحولها إلى فِعيل بكسر الفاء مثل: لئيم وشهيد وسعيد[١].

وبعده ذكروا أن كسر فاء فِعِيل – وإن لم تكن حرفاً حلقياً لغة شنعاء، مثل: كِبير وجِليل وكِريم[٢].

يهمنا فقط أن تكون جمعاً، وهي موجودة في لهجات اليمن وجنوب المملكة، فيما أعلم. وقد تأتي لفظة ما في السعودية، ولا توجد في اليمن، والعكس صحيح، بل إن بعض الألفاظ يأتي بصيغ جمع مختلفة. من ذلك في العيدابي في إمارة جازان وجدت زريب جمع زرب (الشوك والسياج الشوكي المعروف) في حين لا توجد في اليمن.

٢٠٠٧م، ص ٩٧-٩٨. ولمن أراد التأكد فهذه الرموز مصطلح عليها ويمكن الرجوع إلى مصادر المعجم السبئي نفسه.

(١) انظر كتاب سيبويه ٤/١٠٧-١٠٨. وانظر لسان العرب (ش. ع. ر) ص ٢٢٧٧.

(٢) لسان العرب (ش. ه. د) ص ٢٣٤٩، وقارن بمحمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، (ش. هـ. د) ٢/٣٩١.

يلاحظ على هذه الصيغة ما يلي:

أولاً: من صيغ جمع التكسير قليلة الانتشار، مقارنة بغيرها من الصيغ التي تشترك مع الفصحى في استعمالها.

ثانياً: لا تأتي جمعاً لمنسوب ولا لاسم مفعول ولا لصفة من الصفات، بل تأتي جمعاً للأسماء الجامدة فقط.

ثالثا: مفردها مؤنث ينتهي بالهـاء، ولا يوجد له لفظ مذكر وشذ عن ذلك (وَجه) يجمع على وِجيه، وهو مذكر[(١)].

رابعاً: تأتي جمع تكسير لما يأتي:

١. **الأسماء على وزن فَعَلَة مثل:** تنكة وجَمَنة ودَرَجة وصَبَرة وعجلة وقصبة ولكمة.

٢. **الأسماء على وزن فَعْلَة مثل:** زَنَّة وشَنطه وشَمله وصفحة وطرحة وفردة ونصلة. وشذ عن ذلـك لفظان: الأول: (بريك) مفردها بَرك وبَركَـة – على اختلاف اللهجات الجغرافية- والثاني(وِجِيم مفردها (وِجيمة). ويمكن عد وجه ثالث الألفاظ.

خامساً: تستعمل جنباً إلى جنب مع بعض جمـوع التكسير الأخرى، خاصة مع فِعال وفعَـل، حتـى في إطار اللهجـة الجغرافية الواحـدة. فنجد في صنعـاء القديمة جمعهم لدَرَجة على دِريج ودِرجان ودَرَج، في لغة الفرد الواحد.

وسنذكر أشيع الألفاظ ونبين معانيها مقدمين الأشيع على الأقل شيوعاً في ذلك:

١. **تنيـك:** جمـع تنكة وتَنَك، وتجمع على أتنـاك وتَنَك أيضاً. وهـي علبة كبيرة من الصفيح تسع نحو عشرين لتراً، كما تُطلق على الصفيح نفسه، وهي دخيلة من التركية[(٢)].

٢. **جِمين:** جمـع جَمَنة: إنـاء فخاري يشبه قلـة الماء، تصنع فيه قهـوة قشر البُن. جاءت في شعر الخفنجي:

أظـــن قــد لــه ســنــة وأزْيَـــدْ ... في مــوقــدِه لــلـجِـمـين حــايــز[(٣)]

---

(١) لاحظت في المسلسلات الكويتية أن (ويه) بإبدال الجيم ياء، تجمع على وجيه.

(٢) انظـر: رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمـد سليم النعَيمي، أكمله جمال الدين الخياط، دار الشئون الثقافية، بغداد، ١٩٨٢-٢٠٠١، ج٦٩/٢، طوبيا العنيسي، تفسير الألفاظ الدخلية في العربية، دار العرب للبستاني بالقاهرة، ص ١٩.

(٣) ديوان الخفنجي، ص١٠ وانظر ٢١١، ٢١٣، ٢٣٠، وانظر ديوان القارة، ص١٢٩-١٣٠.

وجاءت في قانون صنعاء المكتوب عام ١١٦١هـ. وفيه "وعلى صاحب العهدة المعاهدة على آنية الماء والجمين"(١).

٣. **خريز**: الخرز المعروف جمع خرزة، أما هذه فجمع خرزة التي تعني الحجر المدوّر، وهو من مصطلحات العمارة التقليدية اليمنية.

٤. **دبيب**: جمع دَبّة، وتجمع أيضاً على دباب ودبَب. والدبَّة وعاء لحمل السوائل مستطيل الشكل، وهي أيضاً أنبوبة البوتاغاز، وهي من الألفاظ الموجودة في التراث الفصيح(٢).

٥. **دريج**: جمع دَرَجة، وتجمع أيضاً على دراج ودرجان. وقد وردت في مذكرات المؤيد بالله: "أعان المولى –حفظه الله– بخمسمئة حَرف في عمل الخرائب، ثم إنه اقتضى الحال من زيادة دريج أو زيادة مطهار أو تحويل أو تبديل ثم تحرجت بعد ذلك في الزيادة"(٣).

٦. **رقيب**: جمع رَقَبة، وتجمع على رِقاب أيضاً.

٧. **شنيط**: جمع شَنطَة، وتجمع على شِناط وشِنَط، وهي الحقيبة مطلقا، دخيلة من التركية: جانطة(٤).

٨. **عجيل**: جمع عَجَلة: وتجمع علي عجلات أيضاً. أي: عجلات المركبات بكل أنواعها، وهو لفظ حديث نسبياً. وردت الصيغة في قصيدة لعبدالله عامر، على لسان شاحنة كبيرة (الموتر) في سوق المناداة على السيارات بالبيع، ويعود تاريخ القصيدة إلى عام ١٣٦٥هـ: "

"وأول عيب عجيلي من مداور ... وبُصتوني قراطيس قد تقطّع
مشي حتى وصل بين المقابر ... وقوّس بالعجيل مَنزل ومَطلع"(٥)

---

(١) قانون صنعا في القرن الثاني عشر الهجري، ص ٣٣ وانظر ٣٨، ٣٩، ٤٠.

(٢) انظر لسان العرب (د. ب. ب) ص ١٣١٦.

(٣) المؤيد بالله محمد إسماعيل: أول مذكرات شخصية لأحد الساسة في التراث الإسلامي (من ١٠٨٣–١٠٨٨هـ) حققها واستخرجها من مسوّدة المؤلف عبدالله محمد الحبشي، بيروت: المؤسسة الجامعية ١٩٩١م، ص ١٥٨. الحرف عملة سائدة أيامه، انظر المذكرات ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ١٠٥، ١٨١، ٢٢٣، المطهار: الحمّام.

(٤) طوبيا العنيسي: تفسير الألفاظ الدخلية: ص ٤٢.

(٥) عبدالله بن أحمد عامر: من الشعر الحميني الصنعاني، ص ١٦–١٧، طبع دار الحياة بيروت ١٩٧٣م، مداور جمع مدور، القرط الكبير والسوار، يصنع من خزف أو مادة قابلة للانثناء السريع والكسر. البصتون تعريب piston بمعنى كبّاس محرك السيارة. قوّس: حنى ظهره كالقوس طلوعاً ونزولاً".

عريص: جمع عَرَصة، وتجمع على عَرَصات أيضاً. وهي القطعة من الأرض تخصص للبناء.

فِريد: جمع فَردة، وهي فراش خشن من شعر الماعز. وجاءت في ديوان الذَّهباني، منسوبة لمجهول يتهكم بمجلس الشورى عام ١٩٧٢م.

"شورى وديمقراطية في منزله متواطية
خُطة وما هي خاطيه فوق الفِريد"[1]

ومثل ذلك: زِنين جمع زَنّة: أثواب، شبيك جمع شبكة، شميل جمع شملة، صبير جمع صَبرَة، صفيح جمع صفحة، طبيق جمع طبقة، عذيب جمع عذبة، فريض جمع فرضة، فنيج جمع فنجة: الألية، قصيب جمع قصبة، قصيع جمع قصعة، قطيع جمع قطعة، كسيح جمع كسحة، لكيم جمع لكمة: أكمة، نسيم جمع نسمة، وجيم جمع وجيمة: قصب الذرة، وجيه جمع وجه. ولمن شاء تأصيل هذه الألفاظ وشواهد قديمة وحديثة عليها. أحيله إلى كتابنا (دراسات في المحكية اليمنية، ص ١٠٣-١١٣).

هـ- أدوات نحوية: قد الجنوبية ومعانيها، ونون الفاعل المؤنث، وعاد ومعانيها:

١-قد الجنوبية:

نقصد بها هذه الأداة النحوية المستعملة في اليمن وفي المناطق الجنوبية من السعودية، وقد سمعتها في غير المناطق الجنوبية، لكن دون تدقيق لتوزيعها. وقبل ذلك يحسن بنا أن ننظر في (قد) الفصحى. وقد جمع بعض العلماء من كتب النحو العامة ومن كتب الحروف وظائفها، ونحن ننقلها عنهم بتصرف[2]، مع مقابلتها مع قد الجنوبية، وسكتنا عما لا يوجد فيها، تجنباً للتكرار. فمن وظائفها:

أ-التوقّع: قد يهطلُ المطر.

وفي الجنوبية: قد ينزل المطر/ المطر قد ينزل.

ب-تقريب الماضي: كقوله تعالى: (وما لكم ألاّ تأكلوا مما ذُكر اسم الله عليه وقد فصّل لكم ما حرّم عليكم" (سورة الأنعام ١١٩).

ج-التقليل، مع المضارع: إنّ البخيلَ قد يجود.

وفي الجنوبية: قد تلاقى عاقلة في مية حُرمة.

(١) محمد بن محمد الذهباني: ثورة الجوع، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٩٧. خاطية اسم فاعل من الخَطْو.

(٢) إميل بديع يعقوب: موسوعة الحروف، بيروت: دار الجيل ١٩٩٥، ص ٣٢٧-٣٣٠، وذكر (قد بمعنى ربما) ولم نثبته لأنه احتمال، وهو تكرار. وانظر: عبدالكافي المرعب: قد اسماً وحرفاً. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٨٦ج ١ص ١١٣-١٣٨.

د-التكثير: قد أشهدُ الغارة الشعواء، و: قد أترك القِرنَ مُصفَرّاً أناملُه.

هـ-التحقيق: (قد أفلح المؤمنون)، و(قد يعلم ما أنتم عليه).

وفي الجنوبية لا يكون تحقيق الحدث إلاّ مع الفعل الماضي مثل: قد خرج، قد سافر ...إلخ. ونقل عن (الأزهية في علم الحروف) للهَرَوي، ص ٢١٢، أنها تأتي بمعنى إنَّ، كما في : "**قد هذا الفعل من عادتي وصفتي**"بمعنى: "إن هذا من عادتي وصفتي" . وهذه المصاحبة (قد + إشارة) غير موجودة في القرآن الكريم ولا في كتب الحديث الشريف، ولا في الشعر العربي المعرب في كل عصوره. وربما كانت لهجة من لهجات الخطاب في زمن المؤلف (ت ٤٢٥هـ)، لكن هذه المصاحبة مألوفة جداً في اللهجات اليمنية والسعودية، إلى جوار مصاحبات أخرى.

١-قد + ضمير شخص. مثل: قد أنا جالس، قد هو خارج، قد أنت عارف. قدهم مرتاحين، قد هي خسارة علينا، قدك شيبة، قَدِش عاقلة.

٢- قد + شبه جملة : قد لي من الفجر مراعي لك.

- قد في جيبه ما يغطى عيبه.
- قد عنده خمسين ألف ريال.

٣- ق + اسم (مفرد أو مضاف):

- قد خديجة في القاهرة.
- قد وجهه أحمر مثل جحر الرّبح.
- قد الشمس حامية.

٤ – قد + ضمير إشارة:

- قد هذه لعنة عليكم.
- قد هاذولا الفَرغ متبندقين.

٥- قد + ضمير موصول:

- قد الذي في الميدان هربوا.
- قد الذي تشجَّع ولابَج محبوس.

والمتأمل في هذه الأنماط يستطيع ردّها إلى التحقق أو التوكيد أو الصيرورة، بحسب السياق الصغير (سياق الجملة) أو السياق الكبير (سياق النص).

ومن العجيب أن ظاهرة قد الجنوبية في الكتابات اليمنية تعود حسبما تسعفنا الوثائق، إلى القرن الرابع الهجري. ففي تاريخ الإمام العياني للقاضي ابن يعقوب (ت ٣٩٣هـ) [١]:

-ص ١٣٨: لو كان الرجال يُخطبون للنساء لكان مثلك يُخطب، لكنها امرأة **قد هي أولى مني بنفسها**، إذ هي ثيّب وأنا رسولك إليها.

-ص٢٨٢: والمنازل التي ننزلها عليكم، فمنها منزل في آل دعام بن إبراهيم، ذلك لولد عليان. **ومنزل قد هو في بني سلمان**.

وبعد نحو قرن نجدها عند مُفَرِّح الربعي (ت ٤٥٩هـ).

"يا مولانا الأمير؛ أما ما ذكرت من تخويفهم لك بي، **فقد أنا في يدك**، فافعل ما يؤمّنك عنّي"[٢]. (للصيرورة).

ونجدها عند الجَنَدي (ت ٧٣٢هـ) [٣]:

-ص٤٢١: فقال: يا سيدي سمعت معك مراجعة حديث، **وقد لي ساعة**. فقال له: أو قد سمعت ذلك؟ فقال: نعم. قال: عندي جماعة من إخوانك الطلبة من الجِنّة يسألوني عن مسائل!!.

-ص٤٤٤: حتى جاء الساحل وركب البحر، **وقد له سفن هنالك مُعَدَّة** فركب وسافر إلى أرض الحبشة.

ثم نجدها عند الخزرجي (ت ٨١٢هـ) [٤]:

- قد لهذا الحاكم مدة في هذه البلاد ولا يملك إلا بدلة واحدة.

وهي كثيرة عند بامخرمة السيباني (بالسين المهملة) المتوفى ٩٥٢هـ[٥]:-

---

(١) القاضي الحسين أحمد بن يعقوب: تاريخ الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، صنعاء: دار الحكمة اليمانية ١٩٩٦م، وشواهد أخرى في ١٤٩و ٢٤٤.

(٢) مفرح بن أحمد الربعي: سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين: القاسم ومحمد ابني جعفر بن الإمام القاسم بن علي العياني، تحقيق رضوان السيد وعبدالغني محمود عبدالعاطي، بيروت: دار المنتخب العربي، ١٩٩٣، ص ١١٠.

(٣) الجندي: السلوك في طبقات العلماء والملوك، صنعاء: وزارة الإعلام ٨٣-١٩٨٤م.

(٤) الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح محمد بسيوني عسل، القاهرة، مطبعة الهلال ١٩١١م، جـ١ ص ٢٥٢، في حوادث سنة ٦٨٧هـ. وقد أضاف المصحح (مضى)، وليست في الأصل حسب قوله!. وانظر للمؤلف: العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، صنعاء: وزارة الإعلام. ص ٨١.

(٥) عمر بامخرمة السيباني: حياته وتصوفه وشعره. وانظر صفحات ٢٦و ١٣٢و ٢٨٦. وفي القرن نفسه. انظر: عرب فقيه: فتوح الحبشة، بعناية فهيم شلتوت، الهيئة المصرية العامة للتأليف ١٩٧٤م، ص ٢٠٢و ٢٦٦.

-ص١٢٧: الشِحْر **قدها** لك، ووادي الغيد والحرجا ظفار.

ص١٢٨: كل سلطان **قده** اليوم بالسيف عبدِه.

-ص٢٠٨: بابقي، اعرف إنّ الشيطنة **قد لها ناس. قد لها ناس قاموا** في بناها على ساس.

ولها حضور لافت عند عيسى بن لطف الله (ت ١٠٤٨هـ) [(١)]. ومنه:

-ج٢/ ٧٠ "وكان موته **وقد الأمير عمر في مادن**" للاقتران الزمني.

-ج٢/ ٥٩ "وأشعروهم بأن **قد السيد عامر في أيديهم**". للصيرورة.

-ج٢/ ٥٠ " فوصل إلى محله، **وقد الدنيا بأجمعها منضربة الأكناف**" للصيرورة.

-ط٢/ ٥٤-٥٥ "أخذ الإمام حصن مدع، **وقد السيد الحسن حاصره**، ولم يؤخذ بصورة الصلح" لتحقيق الماضي.

وفي القرن نفسه نجدها عند ابن حنش[(٢)] للصيرورة.

-ص٧٩ "**وقد هذه وهنه** عليكم".،

-ص١٠٣ "فقال للوالي: اخرج **قد الأمر لغيركم**".

-ص١٠٦ "وكان **قد هو داخلي بالنساء**، فلما عرفوه شدّوا عليه شدّة رجل واحد". وهنا دلت على المقاربة الزمانية أو الاقتران بين حدثين.

وجاء في يوميات صنعاء في القرن الحادي عشر "وسكن في كَمَران محلّه، وولده باللُحَيَّة ليقضي الأعمال **وقد معه في النفس بعض الكسار**"[(٣)].

ونجد الظاهرة في شعر أبي الرحال (ت ١١٣٥هـ):

قد الوَسَخ به معجون   هذه نصيحة بُقراط[(٤)]

---

(١) عيسى بن لطف بن المطهر: روح الروح فيما جرى بعد المئة الثامنة من الفتن والفتوح، طبعة وزارة الإعلام صنعاء، (تصوير للمخطوط).

(٢) صفي الدين أحمد بن حنش: النور المُشرق في فتح بلاد المشرق وما به أُلحق، تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي، صنعاء: دار الحكمة اليمانية، ١٩٩٣م.

(٣) يحيى بن الحسين بن القاسم: يوميات صنعاء في القرن الحادي عشر الهجري (١٠٤٦-١٠٩٩)، تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي، أبو ظبي: المجمع الثقافي، ص ٢٠٠، وانظر ٣٩٢.

(٤) محمد بن أحمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، بعناية إسماعيل بن علي الأكوع، صنعاء، وزارة الإعلام، ١٩٨٤م، ص ٣٥٨.

ونجدها عند القاضي علي العنسي (ت ١١٣٩هـ) [١] للمقاربة مع المستقبل:

وإن قال قد شايموت بالضنا فلان، قلت بينه بين

وللمقاربة مع الماضي:

-نعم، وطرف العتاب يا أحمد × قد كنت شارخي له العنان

وللصيرورة كما في:

ولا أحتاج اذكر اني فَدَّيتك في خيالَك
قد الناس عالمين وأنت واعمامَك وخالك.

وهي كثيرة في ديوان الخفَنجي (ت ١١٨٠هـ)، ولعلها جمعت كل وظائفها المتفرقة عند غيره. فمما جاء بمعنى المَضي:

وقد له ميه وأكثر عَرَف نوح وازمانِه[٢]

ومما جاء لتحقيق الحاضر:

-واسمع وشيش الشعر والفِت إليَّ قد بَينَ افنقِل[٣]

-قالوا: قد الغيد بتقرا يا عماد.

ما قد سمعنا بحرمة قارية

-قد بين اشمَّ اليوم نَودَ الفرَج.

قد زال زمان الكبد والبور.

ومما جاء للصيرورة:

ولا تخطّى عجوزة في جُبا × إلا وقد ظهرها مثل الجَنَو[٤]

---

(١) ديوان وادي الدور، تحقيق يحيى بن منصور بن نصر، القاهرة، ١٩٥٣، ص ٤٦،و ٦٤، و٥٢ على التوالي وانظر: ٦٧و ٦٩.

(٢) الخفنجي: أبو الحسن علي بن الحسين، ديوانه "سلافة العَدَس ولب العَلَس في المضحكات والدلس" مخطوط. ص٧ وانظر ١٤٦، ١٣٣، ١٦٤، ١٨٢.

(٣) ديوان الخفنجي: ص ٢١ و ٢٢١ الوشيش: صوت المقلاة وفيها طعام يطبخ بزيت. افنقل: أحلل الأمور وأفلسفها. النَود: الريح.

(٤) الخفنجي: ١٩و ٩٢و ١٠٣و ١٨٢، الجُبا سطح البيت، الجَنَو: اطار المنخل. سعوان كانت قرية قرب صنعاء وصارت داخلها أيامنا هذه. الكبا: الاقراص المصنوعة من مخلفات البقر تستعمل للوقود. والمقارم: جمع مقرمة قطعة من قماش تديره المرأة على رأسها.

ومما جاء للاقتران الزماني:

ما يدخل الصبح من سعوان كِبا

إلا وقد لقّ له واحد زَنَو

ومما جاء للاحتمال: واليوم قد شا اعشق الحافيات ما به حجاب إلاّ المقارم.

أما عند القارة (ت ١٢٩٣هـ) فلم تخرج على الصيرورة أو تحقق الاقتران الزماني[١]:

وهذا غاية المطلوب وقد هي محسنَه
أنا رزقي جرى لابطن أمّي وما قد به معي لاعين ولا سِن

وهي عند المحضار (ت ١٣٠٤هـ) للصيرورة، وللمضي[٢]:

لا وأنتِ قدِك عجوز
وهذا شيء ما يجوز
ذاك الذي عليه المحضار معول وقد له زمان يركض وراها ويهرول

وهي كثيرة جداً عند حبشوش (ت ١٣١١هـ) على قلة صفحات كتيبه[٣]:

-وقد هذا رزق من الله.
-فلما وصلت وقد الناس نايمين ضربت الباب.
-وكيف أسيّب لهم الجزية وقدهم أغنى من قبايلنا.
-(...) وقرايب، وقد هم من الفقراء.

ونجدها عند القُمندان[٤] (ت ١٩٤٣م):

أنا أحبَّك جَم وانتَه قدك تعلم

ونجد الظاهرة في لغة الوزراء والمشايخ ورؤوس الدولة في أواسط الستينات من خلال المحاضر المكتوبة والعرائض. ومنه:

---

(١) ديوان أحمد شرف الدين القارة، مخطوط، ص ٥٢و ٧١، وانظر: ٧٢و ٧٣و ٧٤و ٩٩.

(٢) أحمد بن محمد المحضار: مقامة ذمّ الدنيا (ضمن مجموع المقامات اليمينة) لعبدالله الحبشي، صنعاء: مكتبة الارشاد، ص ٣٩٢و ٣٩٩.

(٣) سالم بن يحيى الفتيحي (حبشوش)، ضمن "رؤية اليمن بين هاليفي وحبشوش". مركز الدراسات اليمني، صنعاء، ط٢، ١٩٩٢م، صفحات ٢٩، ٣٤، ٤٠، ٤١، ٤٩.

(٤) القمندان: المصدر المفيد في غناء لحج الجديد، ص ١٢٤، وانظر: ٥٢، ٥٣، ٦٠.

- "وإذا قد انتو راضيين لمثل هذا فنريد أن نتعرف رأيكم"[١].

وفي قصيدة أنشأها عبدالله عامر عام ١٣٨٥هـ على لسان الشاحنة:

ولا يـركـن علـيّـا الـيـوم مـسـافـر قـد الـعـدّه نعيث، لـلـمَ الـتـخـدواع[٢]

وفي الأمثال نجد "عجيت بعجل المرَه، ما عجل البقرة قدنا أذبحه"[٣].

لعل القارئ الكريم قد لاحظ معنا في الشواهد الأخيرة اختزال الهاء في ضمائر الغياب إذا صاحبت (قد) فتصبح: قدو، قدي، قُدُه، قدِن بعد أن كانت: قد هو، قد هي، وقد هن، وقد تشمل الضمائر الأخرى.

وتجدر الإشارة إلى ظاهرة اختزال دال (قد) فتصبح (قا) أو (قَ)، فيقال: قاخَرج، وقَخَرج. ومثل ذلك ورد في أمثال يافع. ومنه "قال: أفّيه واإبطي، قال: قنته من جسمي".

وربما كان علي جحاف (ت ١٤٣٧هـ) من القلة الذين ورد في شعرهم اختزال الدال. ومنه:

"لاقا معي فلّه ولا عمارة ولا وزارة خارج الوزارة
ولا اقبل اخلسَ لي قفا المخاليس واقول قاهم كلهم مناجيس"[٤]

وأختم هذا المبحث عن اختزال آخر في مناطق الحجرية بتعز (عدة مراكز)، ركّب منه إخوانهم في المحافظة نفسها حكاية، مفادها أن أحدهم ذهب ليوقظ أخاه فدار بينهما الحوار التالي:

-قُم يَب (- قم يا ابن).
- موقو؟ (= ما قد هو) سؤال عن الوقت.
- قوظو. (= قد هو ضوء).
- كَم قي/ قَم قي (= كم قد هي).
- قِرّبَع (= قد هي أربع = الرابعة).

---

(١) عبدالملك الطيب: الثورة والنفق المظلم، صنعاء، مطابع المفضل ١٩٩٦م، ص ٣٥٤، وانظر: ٣٥٥.

(٢) عبدالله عامر: من الشعر الحميني الصنعاني، بيروت: المكتب التجاري ١٣٩٣هـ، ص ١٦. نعيث: مبعثرة في غير نظام. وشواهد أخرى ص ٩، ١٥، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٥، ٤٤ وذلك كثير في ديوان صغير الحجم لا تصل صفحاته إلى الثمانين.

(٣) علي صالح الخُلاقي: الشائع من أمثال يافع، ص ١٥٥ وانظر ١٧٥ وشواهد شعرية في ٦٢ و٣١٧ عجيبت: احترت في (مركز عبادى صنعاء).

(٤) علي عبدالرحمن جحاف: فُل نيسان، صنعاء، ١٩٩٦م، ص ٥٠-٥١ والمخاليس جمع مخلوس: الفقير المعدم العاري (المخلوس) من الثياب.

٢-نون الفاعل المؤنث:

مما اشتركت فيه لهجات التهايم في اليمن، ولهجات متفرقة من قرى تعز، وأماكن من حجة والمحويت مع لهجات تهامة في السعودية، استعمال النون ضميراً للمؤنث الغائب المفرد في الغالب، وقليلاً لجمع المؤنث الغائب. ففي الأفعال أكل وخرج ودخل وهرب يقولون: أَكَلَنْ وشربن ودَخَلَن وخرجن وهَرَبن. وهو قياس لا يتخلف.

ومن مفاجآت التراث النحوي العربي في اليمن، أن تجد النحوي علي بن سليمان الحيدرة (توفي بعد عام ٦٠٢هـ) يذكر هذه الظاهرة في زمنه ويقصرها على عوام تهامة. في كتابه (كشف المشكل في النحو والتصريف وما في الشعر عليه المعوَّل) [1] يتحدث عن (نون الترنّم في الشعر) فيقول: "..... وربما أدخلته عوامّ تهامة في غير الشعر مع الفعل الماضي وأقاموه مقام تاء التأنيث، فقالوا للمرأة: قامَن وقَعَدَن وأكَلَن وشَرِبن. وهي لغة ضعيفة" [2].

وسمعتها في صبيا والدرب وهَروب من جازان ومحايل عسير وبعض رجال ألمع ومن جارنا المحويتي في أبها محمد النمر يقول عن زوجته: "قُلت أخرّجها تتنفس أيَن وما رظيَن [3]" يريد : أردت أن أخرجها من البيت لتتنزه فأبت وما رضيت.

ومن فلتات لسان زميل بدرجة أستاذ، سألني: أمّ الخليل ما صبّحنّكش؟ يقصد ألم تؤّكلك في الصبح.

٣- عاد ومعانيها:

حسب علمي القاصر أن كل اللهجات اليمنية تستعمل الفعل (عاد) لمعانٍ متعددة حسب السياقين اللغوي والموقفي، ولم أجد ذلك في اللهجات العربية المعاصرة، باستثناء لهجات جنوب المملكة العربية السعودية .

(عاد) مقطع واحد مغلق = صامت وحركة طويلة فصامت. وتتحرك الدال بحركة مناسبة للضمائر التي اتصلت بها مثل: عاد أنا = عادَنا.

عادَ أنت تصبح: عادنت وعادك، ومثل ذلك للمؤنثة: عادك وعادش، عادُ + همُ، عادهن، عادَ أنتم، عادحنا، عادهو= وكثيراً ما تختزل الهاء من هذه الضمائر، فيقَولَون: عادو، وعادي، وعَادُم، وعادِن.

---

(١) علي بن سليمان الحيدرة: كتاب كشف المشكل في النحو والتصريف، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م، غير منشورة، دراسة وتحقيق كامل محمد يعقوب أبو إسنينه. وللكتاب طبعة أخرى عراقية، نشرت مرتين، رغبنا عنها لكثرة أخطائها وقلة ضبطها.

(٢) كشف المشكل ص ٦٤١.

(٣) في الجمعة ٢٢ يناير ٢٠٢١م.

وتلحق هاء السكت بالمفرد فيقال: عادوه، عاديه.

لم يذكـر نُحاتنا عاد (سواء بسكـون الدال أو بفتحها) ضمن حروف المعاني. إلاّ ما كان مـن النحـوي علي بن سليمان الحيدرة (ت بعـد ٦٠٢هـ). ففي حديثه عن الحروف الناسخة قال: "والذي شبّه بأن حرف واحد وهو (عاد) تقول: عاد زيداً قائم، وهي كلمة يمانية، كقول حسّان: (وعاد أيام الصِبا مستقبله)[١].

وكنـت أرى أن (عاد) في هذا الشطر تشبه (عاد) اليمنية، فهي بمعنى ما زال/ ما زالت الدالة على الاستمرار، فلفت نظري تلميذي النابه د. حميد عبده سلاّم النهاري[٢] إلى أن الزَبيـدي صاحـب (تاج العروس) في مستدركه نهاية مـادة (ع. و. د) أفرد لها كلامـاً طويلاً نقله عـن شيخه ابن الطيب الفاسـي الشرقي، وأرانيـه. فلما تمعنت فيه أيقنـت أنه يصف لهجة مـن لهجات الخطاب في زمنه القرن الثـاني عشر الهجري. لم يحددهـا قـط غير أنه ذكـر أن بعض الحجازيـين يحذف نون الوقايـة. إذا كان (عاد) بمعنـى (أنّ)[٣]. المهـم منها أنها تأتي فعـلاً ناسخاً مفتقراً للخـبر، وتأتي حرفاً عاملاً نصباً بمنزلة (إنّ). ونراه قد أسرف في ذكر الشروط، في حين أن معناها في البيت- أيّا كان قائله- معنى ما زال/ما زالت:

عُـلّـقـتـهـا وعـــاد قـلـبـي لـهـا   وعـــاد أيـــام الـصـبـا مـسـتـقـبـلـه

وذكر بيتاً آخر:

أن تـعـلـون زيـــداً فـعـاد عَـمْـرا   وعـــاد أمـــراً بـعـده وأمـــرا

وفسـره: أي فإن عمًرا موجود وتفسـيره مقبول، ويشبه (عاد) في اليمن والمملكة في قولهم"إذا مات الشيخ فعاد إبنه"".

وذكـر أنها تكون حرف استفهام بمنزلة (هـل) (...) مفتقر للجواب كقولك: عادِ أبوك مقيم؟ مثل هل أبوك مقيم.

ومـن معانيها أن تكـون جواباً بمعنى الجملة المتضمنة لمعنـى النفي بلم أو بما يقول المستفهم هل صليت؟ فيقول: عادني. أي أنني لم أصلّ، أو أنني ما صليت.

---

(١) علي بن سليمان الحيدرة: كتاب كشف المشكل في النحو، ص ٢١٠.

(٢) رقي إلى أستاذ مشارك في النحو والصرف، في كلية الآداب جامعة تعز في يناير ٢٠٢١.

(٣) ينظـر: الزبيـدي: محمد مرتضى بـن مرتضى الحسيني: تـاج العروس شرح جواهـر القاموس، القاهرة: المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ، ج٢/٤٤١.

ونلاحظ أن بعض ما ذكره ابن الطيب الشرقي شائع على الألسنة في اللهجات اليمنية ولهجات جنوب المملكة السعودية. ونبلور معانيها في الآتي:

أ-معنى ما زال: كأن تسأل عن فلان فيخبرونك عنه بقولهم: عادُه راقد أو جالس أو مريض...إلخ، وقد تسأل عن (الشيء) فيقال: الحبحب عادُه/ عادو قارع[١]. ومثل ذلك:

الشارع عادو زحمة / عاد الشارع زحمة.
البنت عادي عَزَبة/ عاد البنت عزبة.

ومن الأغاني التراثية التي سمعتها في الطفولة، من على أحمد الخضر رحمه الله:

أدّيتكم قلبي، دَلا، دَلا بِه   عادو صغير بالله ارحموا شبابِه[٢]

ب-تحقق الحدث في الماضي القريب، مثل:

الشيخ عادُه خرج/ عاد الشيخ خرج.
وهذا مشروط بمصاحبتها فعلا ماضياً.

ج-توقع الحدث في المستقبل، مثل:

محسن عادو بايخرج/ عاد مقبلٍ بايخرج
أي: خروجه منتظر منه مستقبلاً.

د-نفي وقوع الحدث مع توقع حصوله في المستقبل، كأن يُسأل شخص: قد أكلت؟ فيجيب: عادني ما أكلتش/ ما أكلت، أو: عادني.

أو يسأل المراجعون: قد جا المدير؟ فيجاب: عادو ما جاش، أو: عاده[٣].

فالمجيء لم يحدث لكن حدوثه متوقع على سبيل الظن الغالب.

هـ-بمعنى البقيّة: أين معاشَك؟ فيجيب: (عاد معي ثلاثة ألف)، أي: بقي منه ثلاثة آلاف. ومثل قولهم: ما عاد معانا إلاّ اللّه وأنت.

و-الربط بين حدث مستمر في زمنين: يُسأل فلان: كَمَّلت تتلّيف؟ فيجيب: عادني/ عادنا؛ فهو يتليف ومستمر في التليّف قبل السؤال وبعده.

---

(١) منهم من يكسر الدالِ في عاده، فلزم التنبيه.

(٢) وهبتكم قلبي، رِفقا به، رفقَا، أسألكم بالله أن ترحموه لشبابه. وتقطيع البيت: أد – دَي – تً – كُم – قَل – بي – دَ – لا َ– دَ – لا – به – عا – دو – صَ – غير – بِل – لرَ – حَ – مو – شَ – با – بِه.

(٣) بعضهم يقول: باقي، للمعنى نفسه.

ز-بمعنـى الزيـادة أو فـوق ذلـك: يُسأل شخـص: معاك ثياب العيـد؟ فيجيب: (وعاد عندي كبش/ طلي)

و- (متأخر في الحضور وعادك ترفع صوتك).

وكان الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) على عادته في الإلماع إلى بعض مظاهر تغيّر اللغة في عصره قد أشار إلى أن العرب "لا تكاد تسمعهم يستعملون صار، ولكن (عاد): ما عدتُ أراه؛ عاد لا يكلمني، ما عاد لفلان مال"[١].

قلـت في أكـثر من مناسبة أن المنقّب في غير كتب اللغـة التقليدية (أقصد كتب التاريخ أولاً، ثـم كتب الرحلات والجغرافيا) سيجد أصـولاً وجذوراً لكثير من الظواهر السائدة في لهجـات الخطاب. ولنقتصر هنا على (عـاد) ومعانيها السبعة. فمن شواهدها العائدة إلى القرن الرابع الهجري ما جاء عند القاضي الحسن بن أحمد يعقوب (ت ٣٩٣هـ). ومنها[٢]:

-فليس عادنا نلوم أنفسنا على شيء بعد الصبر الطويل والاحتمال وشماته الأعداء".

-"إن لـه منـذ قُبض وقُتـل ما يداني العشريـن السنة(...) ثم سألـه: أعاد عمتك فلانه، وأمّك فلانة، وأختك- وسأله عن أهله- أما زلن على قيد الحيا؟".

-"حتـى أتاه من أعلمه أن أهل صعدة حملة السـلاح، والمليح والحسن، قد أحاطوا بالـدار، وليسـ عـاد المخرج إلا باب بنـي الملاح. وعـاد أصحابك السعديـون والشرفاء وخدمهم يستأذونك تخرج إليهم".

القسم الأول بمعنى: لم يبق مخرج إلاّ من باب بني الملاح، والقسم الثاني: ما زال أصحابك...

-"فـإن الـرأي انصرافنا من ساعتنا هذه، بهذه الذريّة وعـاد فينا الروح". أي ما زال فينا بقية من قوة.

وفي القـرن الخامسـ نجدها عند مفرّح الربعي: "رأيـت السلطان أحمد بن مظفّر يضحـك عن دُردُر أحمر، وليسـ عاد فيه واضحة"[٣] أي: يضحـك فيبدو فكّه أحمر لم يبق سنّ واحدة.

---

(١) جـار الله محمود بن عمر الزمخشـري: تفسير الكشاف ٢/٥٤٤. ولتلميذنا عبدالعزيز أحمد ناجي، رسالة ماجستـير أجيـزت في كليـة الآداب جامعة تعز، عـام ٢٠١٤م، بعنوان: "ملاحظـات الزمخشري على لغة عصره، دراسة في ضوء اللسانيات" وليست متاحة بين يدي للأسف.

(٢) الحسن بن أحمد بن يعقوب: تاريخ الإمام المنصور بالله، صفحات ٦٦-٦٧، ١٤٤، ١٨٥، ٢١٢، وفي صفحتي ٢٤٧، ٢٦١، شاهدان هجينان.

(٣) مفرح بن أحمد الربعي: سيرة الأميرين الجليلين، تحقيق محمود عبدالعاطي، ص١٧٤، وانظر: ١٣٢.

وفي القرن الثامن نجدها عند الجندي (ت٧٣٢هـ): "وكان عاده فارقه، فتبعه وقال: يا شيخ؛ الفقيه يسّلم عليك"[١].

وفي القرن التاسع وجدناها عند ابن الديبع (ت ٩٤٤هـ): "فقال: ما عاد إلاّ أنت ومن معك"[٢]. = لم يبق إلا أنت..

وهي كثيرة عند بامخرمة السيباني (بالسين المهملة) المتوفى ٩٥٢هـ. ومنه "ما غير ذه مَرَّة وعاد الله يعوّدنا مرار".

"ما وعزتك غيرك عاد لي فيه معلاق   عاد رب السما يعطف علينا بغاره"[٣]

ونجدها في يوميات المؤيّد بالله (ت ١٠٩٧هـ): "وإن يكن قد زاد ذلك، فعاد عندي عباءة عنبراني"[٤].

ثم في شِعر يحيى بن إبراهيم جَحّاف (ت ١١١٧هـ):

ليت مَن عاد قدَر يجلس قليل عند خَيّاط   بعد أن طاف بالأسواق جميع سبع أشواط[٥]

ولها حضور في ديوان القاضي علي العنسي (ت ١١٣٩هـ)، تأتي بالمعاني التالية: ما زال، البقيّة، إضافة إلى ذلك. ومنه[٦]:

إيش لو يحيدو الكرْم في أصله   عاده بطلّه يا أخا التكريم
وأقول: عادك من الأحيا   يا وَصل، أو متْ في سُرعه
وعادك لا تخون ميثاق   ولا تحتال بالمواعيد

---

(١) الجندي: السلوك. ٣٨٣/١، وانظر الشرجي الزبيدي: طبقات الخواص، أهل الصدق والإخلاص، تحقيق عبدالله الحبشي، ص ١٤٣.

(٢) ابن الديبع الشيباني (عبدالرحمن بن علي) الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد، تحقيق محمد عيسى صالحية، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون ١٩٨٢م، ص ٢١٩.

(٣) عمر بامخرمة السيباني، حياته وتصوفه وشعره، ص ١٢٦، ١٤٦، وانظر: ١٢٤، ١٢٧، ٢٠٥، ٢٤٧، ٢٨١، ٢٨٨، ٢٩١، الخ. وانظر عرب فقيه: فتوح الحبشة ص ٢١٢، ٢٣٨، ٣٣١.

(٤) مذكرات المؤيد بالله محمد بن إسماعيل (أول مذكرات في التاريخ الإسلامي) استخرجها من مسودة المؤلف، وحققها عبدالله بن محمد الحبشي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات ١٩٩٣م، ص ٣، وانظر ٣٢.

(٥) عبدالله محمد الحبشي: الأدب اليمني، عصر خروج الأتراك الأول، صنعاء: وزارة الأوقاف، ١٩٨٧م، ص٥٣١ وانظر: ٤٣٥.

(٦) القاضي علي العنسي: ديوان وادي الدور، تحقيق يحيى بن منصور بن نصر، القاهرة ١٩٥٣م، صفحات ٣٨، ٤١، ٤٩، ٦٦، ٦٨، ٧٧، على التوالي، وانظر: ص ٢٥، يحيدوا: يشاهدون. عاده بطله: ما زال بطله طريا، صنوه: أخوه، قبيلي حضور: من منطقة حضور، جُعِلتُ فداءً لمن ريقها كالنُشُوَف، وهو طعام من جريش القمح مع قطع صغيرة من الدّباء. السبار: المصروف، كمسه هروف: خمسة حروف، بحسب رطانتهم —وهو جمع حرف، عُملة كانت سائدة أيامهم. وقد مرّ منها أمثلة عند المؤيد بالله ومن قبله.

ومـن علـي صُـنوه وكـل الاخـوان وآح، مـا عـاد شـي ذمـام
ولَي عَـذول عـادهَ مـن الـنوايب كـفـى كـفـى لي بـهَ كـفـا
بـالِله بـالله يـا ذاك الـوحـيـد عـادَك لمن لـه أدب عـادِك تشـوف؟
وإلاّ قبيـلـي حَضـور ينْشـد نشيد فـديـت مَـن ريقـهـا مثـل النشـوف)
هيهات ما عـاد سـوى رَطـن العَبيد هَـات السَّبار يافقيه كمسه حُروف

وتكثر في آخر القرن الثاني عشر في ديوان علي بن الحسن الخَفَنجي (ت ١١٨٠هـ)، له ولمعاصرين من الشعراء: البالوزه، وشغدَر، والفسيل، والشامي، ومنه:

ومـن قـرا قـالـوا وعـاده شبـاب في سـن صـالـح أو قـريـب مـن سعيد
لأن عـاده صـغير مـا قَـد سـرح ولا عـرف في الأنـام إلا القليل
وقـد كنتَ اسـير والشبيسة معي وعـاده صـغير مثـل جُعب العسـل
يشتي يميل عيون الناس ويسكع وعـاد هـو في الحـوي[1]

وفي ترجمة أحمد بن إسماعيل الحسني، من رجال القرن الثاني عشر: "فسأله صاحب الترجمة: هل قد أذن العشا؟ فقال: عاد الوقت بحين[2]". أي: ما زال الوقت مبكراً على العشاء.

ونجدها عن المحضار (ت ١٢٠٤هـ): "وعادنا أرهن عندها العقل"[3].

"فقالت كيف **عادك في الخامسة تطمع**؟ وقد قال العرب: من باع الحصان، ما بالى بالسرج والعنان"[4].

ونجدها عند حبشوش (ت ١٣١١هـ) يصف أحد المعمَّرين "عمره ماة وأربعين سنة (...) وفي هذه السن **عاد لحيته أكثرها سودا وأضراسه باقيات**"[5].

---

(١) ديوان علي بن الحسن الخفنجي. المسمى سُلافة العدس ولُبّ العلس، في المضحكات والدلس. مخطوط في مكتبة المرحوم السيد علي بن إسماعيل المؤيد بالقاهرة (يعمل د. إبراهيم أبو طالب منذ سنين على تحقيقه) صفحات ٢٢، ٤١، ٩٣، ١٠٠، ٢٧٤، ١٦٦. وانظر أيضاً صفحات ٢٨، ٣٠، ٣٥، ٤٢، ٤٦، ٨٠، ٨٧، ٩٢، ٩٩، ١٠٣، ١٠١، ١١٣، ١٢٤، ١٤٤، ١٤٩، ١٥٦، ٢٦٤، وفي مخطوطة أخرى للديوان في مكتبة المرحوم أحمد بن محمد شرف الدين، في تعز. صفحات ٢٣ ـ ١٤١، ١٧٣، ١٩٦. الشبيسة: مجموعة حبوب من ذرة وعدس وفاصولية وغيرها، تُطحن وتبلل، ويؤكل الطفل الصغير منها، جعب العسل: ظرف العسل الصغير جداً، الحوي: ساحة المنزل.

(٢) الحسن بن الحسين بن حيدرة (١١٧٠-١٢٢١هـ): مطلع الأقمار ومجمع الأنهار في ذكر المشاهير من علماء ذمار، تحقيق عبدالله الحوثي، صنعاء، مكتبة الحكمة اليمانية ٢٠٠٣م، ص ١٦١.

(٣) مقامة ذم الدنيا (ضمن مجموع المقامات اليمنية) جمع وتحقيق عبدالله الحبشي، صنعاء: مكتبة الإرشاد ١٩٩٣م، ص٤٠٤.

(٤) نفسه، ص ٤٠٩، وانظر: ٤٠٥، ٤٠٧.

(٥) حبشوش (ضمن رواية اليمن بين هاليفي وحبشوش) مركز الدراسات اليمني، صنعاء، ص ٤١.

ومـا بين المحضـار وحبشوش يمكن أن نحيل القارئ الكريم على ديوان أحمد شرف الدين القارة (ت ١٢٩٣هـ) من ص ٦٩-٧٢.

ومن الأغاني الشائعة بين الناس في اليمن، لأحمد علي النصري (ت ١٩٩٣م)،

طـرح شـارح وعـاده زاد عفّى ومـن أقـدم على ذا الغُصن ويله[١].

وله أغنية مشهورة تنتهي أغصانها بشطر فيه هذه الظاهرة:

هـذا طـبـيـبـي وذا طِبـي وذا حـبـيـبـي وذا حُـبـي
وذا فـؤادي وذا لـبـي هـذا الـذي أنـتـو تـشـوفـونـه

عاده صغير يربونه[٢].

و - بعض نتائج الدراسة:

ليست هذه كل التشابهات بين اللهجات اليمنية وجنوب البلاد السعودية في الألفاظ الزراعية، ولا كل التشابهات في بعض الظواهر الصرفية والنحوية. ونخرج منها بما يلي:

١. أن الباحث في تغير اللغة العربية عبر العصور لن تسعفه كتب النحو واللغة والمعاجم فيما يريده.

٢. أن كتب التاريخ والرحلات والجغرافيا والفقه يمكن أن تفيد الباحث في التغير، إذا كان الباحث مدققاً.

٣. كتّاب جنوب الجزيرة من القرن الخامس الهجري فما بعده، حملت كتبهم وأشعارهم ورسائلهم كثيراً من الظواهر التي نجدها في اللهجات المعاصرة.

٤. هذه اللهجات المعاصرة ليست نبتاً شيطانياً، بل لها أصولها في استعمالات لغوية حية تشمل كل جوانب الحياة.

٥. في اللهجات ظواهر في كل المستويات اللغوية: أصواتاً، وصرفاً، ونحواً، ودلالةً، وبلاغةً، موروثة، بل إن بعضها يتجاوز العصر الجاهلي.

---

(١) أحمد علي النصري: دق القاع: مطابع جامعة عدن، ١٩٨٨م، ص ٣١، الشارح: حارس الزرع. وعفّى: غطى على الأثر.

(٢) نفس المصدر ص ٤٩، وشواهد أخرى في ٤٨.

٦. التراث العربـي يفاجئنا كما فاجأنا علي بن سليمان الحيدرة (ت بعد ٦٠٢هـ) بتسجيلـه ظواهر كثيرة من لغة الحياة اليوميـة في اليمن، مع أن كتابه "كشف المشكل" في النحو التقليدي التعليمي.

٧. هناك مشابهات أيضاً بين هذه اللهجات ولهجات المغرب العربي وإن كانت أقل طبعاً.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.،، (عباس علي السوسوة)

ثالثاً: خلاصة القول[1]:

أن الأخ الكـريم أ.د. عباسـ السوسـوة ذكـر أمثلة عديـدة من التشابهـات اللغوية في بـلاد اليمن وأجزاء من جنـوب المملكة العربية السعودية (تهامـة وسراة). آمل من أساتـذة وطـلاب الدراسـات العليا في جامعاتنـا المحليـة أن يعكفوا علـى دراسة لغات ولهجـات بلادهم، فما زال هناك ميادين كثـيرة ومتنوعة تستحق أن تدرس في عشرات الكتـب والبحوث العلميـة. وكوني معاصراً للحراك العلمي والفكـري والبحثي في جنوب شبـه الجزيرة العربية منذ أربعـين عاماً (١٤٠٠-١٤٤٣هـ/ ١٩٨٠-٢٠٢١م)، أقول أن أوضاعنـا العلميـة والبحثيـة بخير، وتتقـدم وتتطور، لكننـا نتطلع إلى المزيـد في النوع والكيـف، وسوف يتحقق ذلك (بإذن الله تعالى)، وفي شتـى المجالات، على أيدي بناتنا وأبنائنا الباحثين الحياديين الجادين الذين يعملون لخدمة دينهم وبلادهم وأهليهم.

(١) هذه الخلاصة من إعداد صاحب موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (ابن جريس).

رابعاً: مقالات بعض الباحثين والمؤرخين عن موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) لغيثان بن جريس.

م	الموضوع	الصفحة
أولاً	توطئة	٦٥
ثانياً	وقفات مع كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢٤مجلداً) بقلم الأستاذ/منصور بن أحمد العسيري.	٦٧
ثالثاً	غيثان بن جريس وموسوعته التاريخية. بقلم. أ. د. عبد الحميد سيف أحمد الحسامي.	٧٣
رابعاً	نظرات في كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب). بقلم أ. د. قاسم بن أحمد بن عبدالله آل قاسم.	٧٥
خامساً	رسائل مختصرة عن موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) بقلم أ. د. عباس بن علي السوسوة.	٨٠
سادساً	رحلتي مع موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) من الجزء الأول إلى الجزء الرابع والعشرين. بقلم. الأستاذ عبد الهادي بن عبد الرحمن بن مجني.	٨٣
سابعاً	سابعاً: موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) النتاج العلمي (الغيثاني) المتفرد. بقلم أ. د. صالح بن علي أبو عراد.	٩١
ثامناً	الحلم الذي أصبح حقيقة. بقلم. الأستاذ/ محمد بن جرمان العواجي الأكلبي.	٩٥

أولاً: توطئة:

ليس هناك لذة أفضل من العيش في مواقع القراءة والبحث والعلم والمعرفة بشكل عام. وهذا المحور اجتمعت مادته من أساتذة وطلاب علم فضلاء، رغبوا أن يتعاونوا مع مؤرخ وباحث قضى زهرة حياته في القراءة والتوثيق العلمي التاريخي والحضاري. وجميعهم اتفقوا على الإشارة أو التنويه إلى جوانب سلبية أو إيجابية عديدة رافقت أو تزامنت مع كتاب موسوعي كانت بدايته قبل حوالي عشرين عاماً، انه كتاب: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**، الذي بلغت أجزاؤه حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) أربعة وعشرين مجلداً، وتجاوز صفحاته أربعة عشر ألف صفحة[1].

(١) إنني العبد الفقير إلى الله (عز وجل) لا أدعي التميز، أو الجودة، أو الكمال في كل ما رصدته في هذا الكتاب الموسوعي، لكنني آمل أني قدمت عملاً فيه فائدة ونفع لديني وبلادي وأهلي، كما أرجو من المولى (عز وجل) أن لا يحرمني أجر هذا العمل، وأن يكون خالصاً لوجه الكريم، وأن يتوب عليّ ويغفر لي في ما

هــؤلاء الأخــوة الكرام ذكروا بعض المــدح والثناء لصاحب الكتــاب، وهو لا يستحق ذلــك، لكنهم أناســ اتصفوا بالنبل وحســن الأخلاق، فذكروا أخاهــم بصفات حميدة عديــدة، والذي يعلم بالحال، هو الله، عز وجــل، ونسأل الله أن يجعلني خيرًا ممّا ظنّوا فيّ واعتقدوا. ومما لا شك فيه أن الكتاب لا يخلو من الثغرات، والأخطاء، والعيوب.

واسأل الله أن يسخر له في المستقبل من يقرأه، ويصحح كل النقص والأخطاء التي تعتريــه. وما فعل أخــواني الواردة أسماؤهم في هذا العنصر مــن إشارات وتنبيهات قد تساعد من قد يتخذه ميدانا لدراسات أطول وأعمق[(١)].

إن الأساتذة الكرام الذين وردت مشاركاتهم في هذه الورقات، قد تنوعت مشاربهم واهتماماتهــم. فمنهم أساتــذة الجامعة الذين يعملون في تخصصــات متنوعة. ومنهم الباحثــون والمؤرخون الذين يهوون القــراءة والكتابة وبخاصة في علوم التاريخ الحضارة وغيرها.

ولا أقــول لهــم إلا غفر الله لي ولهم، وجعل أعمالنا جميعــاً خالصة لوجهه الكريم، كما أنني أرجو منهم أو من غيرهم أن لا يحرموا أخاهم من عيوب ونواقص يشاهدونها في هــذا السفــر الكبير أو غيره من مؤلفاتــي وبحوثي المطبوعة والمنشــورة فيحذرونني، وينبهوننــي ويساعدونني بما يبنــي ويقوم كل خطأ وعيب وقعت فيه. وإنني على استعداد أن أراجع وأصحح كل عملي، ثم أطبعه وأنشره، وأقدم الشكر والدعاء الصادق، مكتوباً لكل من يقومني ويساعدني في هذا الكتاب[(٢)].

وقعت فيه من عيوب وأخطاء. كما أرجو أن يأتي في قادم الأيام من يصوب ويستكمل العيوب والنقص الذي يتخلل هذا السفر الكبير (والله من وراء القصد).

(١) هذا الكتاب الموسوعي يشتمل على كم هائل من المعارف التاريخية والحضارية، في مجالات عديدة، بل يعد منجمــاً معرفياً يستحق القراءة والتصويب واستكمال النقصــ، أو توضيح الغامض، أو تصحيح الأخطاء، وغير ذلك من الطرق والمناهج المعروفة والمتبعة عند المؤرخين والباحثين ومراكز البحوث العلمية.

(٢) يجب على كل باحث أن لا يعتد بعلمه أو عمله مهما بلغ، ويعلم أن الإنسان يعتريه النقص، والعيب، والخطأ. والسلــوك السليــم والصحيح أن يرجع الانسان أو الباحث عن الخطــأ إذا عرفه وتأكد له، بل يجب عليه أن يجتهد في التصويب والتصحيح لكل ما يكتشفه أو يصله من آخرين (والله من وراء القصد).

ثانياً: وقفات مع كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢٤مجلداً) بقلم. الأستاذ/منصور بن أحمد العسيري[١].

تلقيت من أستاذنا أ. د. غيثان بن علي بن جريس مجموعة مجلدات "**القول المكتوب في تاريخ الجنوب**" التي تم طباعتها من قبل جامعة الملك خالد، وهي عبارة عن ثلاثة وعشرين مجلداً فاخراً، والحقيقة أن مكتبتي لم تكن تخلو من هذه المجلدات، منذ تاريخ بداية صدروها، ولا أظن أحداً من المهتمين بتاريخ المنطقة تخلو مكتبته منها[٢].

وقد تميزت الطبعة الجديدة للمجموعة بتنسيقها الموحد، وتقديم معالي مدير جامعة الملك خالد لها، وقد مهرت الأعداد من (١إلى ١٧) كطبعة ثانية ومن (١٨ إلى ٢٣) كطبعة أولى، وبتاريخ الطباعة (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، فخرجت ككتاب واحد موسوعي من ثلاثة وعشرين مجلداً، يبلغ متوسط عدد صفحات كل مجلد ما بين (٥٩٠-٦٠٠) صفحة، وقد صدر بعد ذلك المجلد رقم (٢٤)، فتكون الموسوعة مكونة من (٢٤) مجلداً، علماً بأن "**موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب**" لا زالت تصدر وتتسع بشكل مستمر ومتتالي، مما يجعل تاريخ الجنوب حاضراً ومتجدداً من خلال هذه الموسوعة الحية[٣].

وهذه الإصدارات المتتالية تمثل في الواقع واحداً من أهم المصادر التاريخية في الجزيرة العربية في العصر الحديث، فهي تشمل إلى جانب الكتابة التاريخية البحثية المتجددة والمتعددة الأغراض والرؤى: الرصد المعاصر لواقع ومراحل تطور الإدارة في المنطقة، وواقع ومراحل نمو التعليم العام والجامعي، وواقع ومراحل نمو السياحة والأعمال البلدية، وغيرها من القطاعات، بصفته توثيقاً لمراحل التطور الحضاري الذي تعيشه المنطقة في ظل حكومتنا الرشيدة، وهو ما نفتقر إلى وجوده في بعض الحقب السابقة مما أحدث لبساً في فهم الأحوال الإدارية والاقتصادية في بعض الفترات التاريخية القريبة، رغم وجود الإدارات والسجلات التي تَلِفَتْ دون أن يوثق ما بها بالشكل الملائم[٤].

---

(١) الأستاذ منصور العسيري من مواليد مدينة تبوك عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م). تدرج في تعليمه حتى حصل على درجة الماجستير في علوم الزراعة. له اهتمامات عديدة، ومنها القراءة والبحث في تاريخ وتراث وحضارة شبه الجزيرة العربية، صدر له عدد من الكتب والبحوث العلمية القيمة. وما زال حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) يعكف على عدد من الدراسات. وهذا الرجل على قدر عالٍ من الأدب، واللطف، وحسن الخلق. للمزيد أنظر ترجمته في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطبعة الأولى) (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)، (الجزء السادس عشر) ص٢٠٨-٢٩٣. (الطبعة الثانية) (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) ص ص ٢٠٩-٢٩٤. (ابن جريس).

(٢) شكراً لك يا أستاذ منصور وأسال الله عز وجل، أن تكون من العلم النافع الذي أنال أجره في الدار الآخرة. (ابن جريس).

(٣) حتى هذه اللحظة نهاية شهر ربيع الثاني (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، أعكف على إنجاز المجلد رقم (٢٥) من الموسوعة، واسأل الله التوفيق والعون حتى يصدر قريباً (بإذن الله تعالى) (ابن جريس).

(٤) يا أخي منصور أنت تشير إلى موضوع مهم جداً، وللأسف ان الجامعات والمؤسسات التعليمية ومراكز البحوث غافلة عن هذا الأمر. وهو الرصد والتوثيق لتاريخنا الحديث والمعاصر منذ منتصف القرن

ومما اتسمت به هذه الموسوعة التنوع في المحتوى فأنت تتجول بين استقراءات التاريخ، والدراسات النقدية، وقراءة المخطوطات، وفكٍ رموز النقوش، والتهجي في أبجديات اللغة واللهجات، والغوص في بحور الشعر، والتفكّه مع نوادر الأمثال الشعبية، والإطراق في شجون الذكريات، والتفاعل مع الرسائل، والتجول بالبصر بين ألوان الصور، والسير على طرق التجارة والحج، وغير ذلك مما يتعلق بالتراث[١].

وقد حرص القائم عليها على الاستكتاب إلى جانب الكتابة منذ المجلد الأول، فكان يستكتب المزيد من الأقلام لمزيد من الرؤى والمعلومات، ويقوم بالتقديم والتعليق بأسلوبه العلمي الرصين، فظل الأستاذ عيثان بن جريس حاضراً في كلِ الأعداد، وكل المقالات والبحوث، ويقدم التوصيات، على كل مقال وبحث، فوجدنا إطاراً يحمل أكثر من رؤيا في كل دراسة، مما زاد متعة القارئ وفائدته بما فيه[٢].

ومما زاد من أهميتها إيمان أ. د. غيثان بن جريس بأهمية تنوع الروايات ووجهات النظر في الإثراء من خلال تكرار المصادر الموجهة لموضوع بعينه، بما يمثل ذلك من عصف ذهني، وهو ما يثري البحث، ويتيح المزيد من تلاقح الأفكار، ومن ثم الخروج بمفاهيم أوسع وأشمل، فلم يكن الأستاذ غيثان يكتفي بعرض رواية واحدة حول حدث ما، بل كان يستكتب كل من يتوقع منه إضافة وجهة نظر جديدةٍ إلى هذا الموضوع، متقبلاً وجهات النظر المختلفة، وبذلك أصبحت الموسوعة مرجعاً هاماً للوصول إلى المصادر والروايات المختلفة تحت عنوان واحد، فأنت مثلاً تجد في الموسوعة رسالة الأستاذ محمد أحمد أنور عن أوضاع عسير في عهد الدولة السعودية الحديثة، وتجد في نفس العدد رصد عبدالله بن عبد الرحمن بن إلياس لبعض أحداث هذه المرحلة، وهو ما يعطي الباحث فرصة للمزيد من المقارنة والترجيح، بالإضافة لخلق الأنموذج

(١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) وقد يأتي يوم نجد صعوبة في الحصول على الحقائق والمعلومات الدقيقة الصحيحة. نعم هناك دور وثائق وأرشيف في كل مؤسسة إدارية في كل مكان، لكنها غير معتنى بها فنجدها مهملة في المستودعات وأماكن لا تليق بها، وبخاصة بعد توظيف التقنية صار هناك عدم اكتراث بالمواد الورقية من سجلات، وتقارير، ووثائق وغيرها. وإذا ذهبت إلى أي مؤسسة حكومية وأهلية يقولون (كل شيء مؤرشف)، وإن بحثت في الإرشيف الرقمي تجده ناقصاً وغير مرتب، وقد يضيع في لحظات سريعة، أمل أن يكون في كل وزارة أو هيئة عليا إدارة فاعلة تحرص على جمع وتوثيق الوثائق والمستندات والسجلات بطرق علمية وعملية (ابن جريس).

(١) أرجو يا أستاذ منصور أن تكون كذلك، وما زلت أعمل واجتهد على حفظ وتوثيق بعض الشيء من تراثنا وموروثنا الحضاري الجميل عبر العصور. وهذا عمل فردي، ولابد أن يكون فيه قصور ونقص، والمسؤولية كبيرة على جامعاتنا المحلية فتؤسس مراكز بحوث علمية جيدة وفاعلة، وتدعم مسيرة البحث العلمي في شتى المجالات وبخاصة كل ما يتعلق ببلاد السروات وتهامة، التي نالها الكثير من النسيان في عالم الدراسات والتوثيق عبر أطوار التاريخ (ابن جريس).

(٢) صدقني يا أستاذ منصور أنني استفدت وتعلمت من عشرات الأعلام الذين شاركوا معي في هذه الموسوعة، فهم جميعاً أصحاب فضل، بعد فضل الله عز وجل، أن أثروا مادة هذه الموسوعة وقدموا الكثير الكثير من الفوائد العلمية والمعرفة لخدمة أرض وسكان السروات وتهامة منذ عصور ما قبل الإسلام حتى الآن (ابن جريس).

الذي يستفيد منه الباحث من خلال عرض التمايز ما بين أنماط السرد المختلفة بحسب الخلفيات والمرتكزات، وهذا ما يجعل كتاب (القول المكتوب) مرجعاً هاماً لا بد من الرجوع إليه لفهم تاريخ المناطق الجنوبية، و طرق رواية تاريخها[١].

ومما ميّز هذا العمل الموسوعي أيضاً الاهتمام بتتبع ورصد الوثائق التاريخية والمخطوطات ونشرها، فكان تدفق المخطوطات مثريا للباحث وممتعا للقارئ بالفعل، فبين هذه المخطوطات التي تخرج من الخزائن المخبوءة والمكتبات المنعزلة، ودور الوثائق القصية، يجد القارئ الجديد والمفيد، فظلت هذه الدورية أحد المصادر الهامة للوثائق والمخطوطات[٢].

كما أن استضافة الأعلام من المسؤولين في القطاعات المختلفة، خاصة أولئك المخضرمين من الجيل الأول الذي عاصر المراحل الأولى من تكون الوطن وبداية النهضة، بالإضافة لمن تسنموا المسؤولية في إدارات المنطقة المختلفة، أثرى الموسوعة برسائلهم التي قل أن يخلو منها عدد، فنجد مثلاً في رسائل رجال التعليم الأوائل كالأستاذ محمد أنور والأستاذ إبراهيم فائع والأستاذ محمود شاكر سعيد، أو المسؤولين كالدكتور صالح بن علي أبو عراد الشهري، والأستاذ محمد بن سعيد القحطاني، والأستاذ محفوظ بن محمد آل مداوي، والدكتور محمد بن مفرح بن شبلي القحطاني، والدكتور فائز بن محمد آل سليمان عسيري، واللواء خالد بن شائع بن أحمد عسيري، وغيرهم الكثير ممن لا يتسع المجال لذكرهم جميعا، تعريفا بإدارتهم ورصداً لمراحل تطورها والتغيرات التي جرت عليها في فترات عاصروها وعاشوها وطرح لآرائهم ومقترحاتهم[٣].

---

(١) إن مناطق جنوب المملكة العربية السعودية (تهامة وسراة) أراض ذات تاريخ وحضارة قديمة ومتنوعة، ومصادرها كثيرة وبخاصة آثارها ونقوشها ورسوماتها الصخرية، وكذلك رجالها وأعلامها عبر عصور التاريخ. لكن معظم هذا التاريخ لم يوثق فضاع. وما زال هناك رجالٌ وأعلامٌ عاصروا التحولات الحضارية التي شهدتها البلاد السروية والتهامية من بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) والواجب علينا معاشر الباحثين والمؤرخين أن نسارع في الالتقاء بهم قبل أن يغادروا هذه الدنيا، فمن المؤكد أن عندهم علوماً ومعارف لا نجدها في أي مصدر ورقي أو مادي. وهذا ما حصل معي عندما التقيت بالأستاذين عبدالله (ابن إلياس)، ومحمد أحمد أنور (غفر الله لهما)، فقد زوداني بمادة علمية جديدة في محتواها، ولم أجدها في أي مصدر مكتوب. وأمثالهما كثيرون، لكننا لم نستفد منهم قبل وفاتهم، وما زال بعضهم على قيد الحياة، حيث يستفاد ممن يستطيع أن يقدم شيئاً لخدمة البحث والتوثيق التاريخي (ابن جريس).

(٢) ما زلت أنادي وأوكد على الاهتمام بأرشفة الوثائق، ثم خدمة الباحثين وطلاب الدراسات العليا وتزويدهم بالمصادر الوثائقية التي تساعدهم على إخراج دراسات علمية قوية ورصينة (ابن جريس).

(٣) يا أخي العزيز منصور بلادنا العزيزة (سراة وتهامة) ذات مخزون تراثي وحضاري كبير منذ آلاف السنين، وما زالت موطن حضارة وأعلام خدموا الدين والبلاد، لكننا مقصرون في عدم البحث عن هذا الموروث ودراسته وتوثيقه ثم طباعته ونشره. أقول هذا الكلام من خلال رحلة طويلة قضيتها في ميدان الطلب العلمي والمعرفي ثم البحثي والتوثيقي. أرجو أن نرى كلياتنا وأقسامنا العلمية، وأساتذة الجامعات وطلابنا العاملين في ميدان التعليم والبحث الجامعي أن يلتفتوا إلى أهمية هذه الأوطان وتنوع حضارتها وثقافتها وتراثها، ثم يساهموا في دراسة وتحليل وتوثيق ما يستطيعون ، وهذا في نظري من صلب أعمالهم المهنية؛ والوظيفية والأكاديمية (ابن جريس).

كمـا لم يغفل الناشر والقائم علـى الموسوعة خلال ذلك الكتابة. واستضافة الأقلام المتخصصــة للكتابة. خارج إطار التاريخ، كأولئـك الذين يرصدون الواقع ليطرحوا رؤى جديدة في التطوير والتغيير، بصفة ذلك في حد ذاته تأريخا لواقع الحال وللرؤى المطروحة حوله، فنجد مثلا بحثا عن أهمية الاعلام السياحي ورؤى حول واقعه وتطويره، ونجد في آخر انطباعات ومشاهدات في منطقة عسير وما جاورها عامي (١٤٤٠-١٤٤١هـ/٢٠١٩-٢٠٢٠م)، وتوثيق لمرحلة (كوفيد١٩) وأثرها على المجتمع، وغيرها[1].

ومـمـا ميز هذه الموسوعــة أيضاً التنوع في دراسة المناطـق الأربع سراتها وتهامتها، بمستويـات مختلفة تتنوع أحيانا حسب الجغرافيا، وأحيانــا حسب التقسيم الإداري، أو التاريـخ القبلي، فتجد به العديد من البحوث عن تهامة وأخرى عن السراة، وأخرى عن منطقة الباحة، وأخرى عن نجران، وأخرى عن المخلاف السليماني، وأخرى عن جُرش، وأخـرى عن قبيلة بني شهـر وبني عمرو، وأخرى عن عنز بن وائـل، بل وتجاوز المناطق الإداريــة الجنوبية إلى المناطق المجاورة كالقنفذة، وقد طـور الأستاذ غيثان بن جريس عـددا من هـذه البحوث والمقـالات التي كتبها إلى كتـب عن هذه المناطـق، فكانت كتبا غنيـة بمادتها تبعا لغنى الموسوعــة بالمواضيع عنها، فصدر كتاب عن نجران، وآخر عن الباحة، وآخر عن تهامة وبخاصة منطقة جازان وغيرها، وهكذا.

وفي المحصلــة، فإن إصـدارات موسوعة (القول المكتوب في تاريــخ الجنوب) قد شكلت منعطفـا هاما في كتابة تاريخ المناطق الجنوبية، وقد أحدثت تغييرا في طريقة كتابته وإعادة دراسته ونقده، ولا شك أنه يعد من أهم مصادر تاريخ مناطق جنوب المملكة العربية السعودية في العصر الحديث، إن لم يكن أهمها فعلاً من ناحية الشمولية وغنى المحتوى وتنوعه[2].

(*) التوصيات:

١. من الملاحـظ أن الملاحق متنوعة وحجمها كبير، وبينهـا وثائق ومخطوطات قديمة وأخـرى هــي مراسلات مع باحثـين ومسؤولين وأعلام، وأخـرى مذكرات شخصية وانطباعـات حول بعض النـدوات أو الزيارات للناشر أو سـواه، وأخرى مقاطع من

(١) يجـب علـى المـؤرخ ان لا يعزل نفســه في موضوع أو حقبة محـددة وضيقة، وهذا ما يفعلـه بعض الباحثين وأساتـذة الجامعات، فيقول الواحد: أنا تخصصي كـذا وكذا، يقصد رسالته في الدكتوراه والماجستير، ثم يقضي حياته كلها مع هذا التخصص الصغير والمحدود في زمانه ومكانه، وعلماء المسلمين الأوائل قدوة لنا، فـكان الواحد منهم يكتب في اللغة والأدب، وعلوم الشريعة والتاريخ وعلم الأنساب، والرحلات والجغرافيا وغيرها من العلوم، ومن ثم خلفوا لنا موروثا عظيما قل أن نجده عند أمة أخرى (ابن جريس).

(٢) ما قدمته من بحوث وكتب مطبوعة ومنشورة عن هذه البلاد العزيزة والغالية (السروات وتهامة) لا يمثل إلاّ نزرا بسيطا جدا. فهي أوطان لها عمق وتراث قديم ووسيط وحديث ومعاصر، يوثق في مئات الكتب والموسوعات. آمل أن يكون هذا العمل الذي شاركت به (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) وغيره من البحوث والدراسات الأخرى لبنات مفيدة يستفيد منها المؤرخون والباحثون في قادم الأيام، ثم ينجزون أعمالا أفضل وأشمل وأعمق (ابن جريس).

مقـالات صحفيـة أو نشـرات، وهكذا، وقد تصـل حجم الملاحـق إلى أكثر من مئة صفحـة، وهـي موجودة في جميـع الأعـداد، وكانت بفهرسـة خاصة بهـا في بداية الملاحـق، إلا أن فهرستهـا الخاصـة انقطعـت بعـد الجـزء (١٨)، فهـي فيما بعد ذلـك غير مفهرسـة، ويتم الإشارة لها في الفهرس الرئيسـي بشكل عام تحت خانة "الملاحق"، مع أنها كثيرة ومختلفة بذاتها عن المواضيع الأساسية في المتن، ومختلفة فيمـا بينها في الغرض والنوع حسب ما ذكرنـا أو خلافه، ومن ثم فإن هذه الملاحق بحاجة إلى المزيد من التنظيم وإعادة ترتيب وجودها وفهرستها بشكل مفصل[(١)].

٢. التقـديم والتعليـق واستنباط الخلاصة في مقـالات الباحثين كان مثرياً جـداً لهذه البحوث خاصـة وأن التعليق من قامـة علمية بحجم أ. د. غيثان بن جريسـ، فحضوره يثري البحث ويزيد معلومات القارئ بما يملك من علم وأسلوب رصين، ومن نافلة القول أن باحثي التاريخ في الجنـوب السعودي وربما في غـيره يستمعون لتوجيهات الدكتور غيثـان بن جريس بآذان صاغيـة بل ويبحثـون عنها في محاضراته وندواته ومقالاته وكتبـه الكثيرة وفي خصوصياته ليـثروا معرفتهم، وليستفيدوا من علمٍ وخبرته الكبـيرة في طرق البحث وحسن الصياغة، ولكـن هناك مـن الآراء ما يظـل دائما محل جدل وأخـذ وردٍ، وأرى أن التعقيـب ذا الطابع التصويبي للباحثين في دراسة نقدية مستقلة يكون أكثر ملاءمة للباحث وللقارئ ولإصدارات هـذه الموسوعة الحية، وهـذا لا شأن له بالتقديم والتعليق وإعطـاء الخلاصة للبحوث، فهي إضافة أصبحت ضرورية في الموسوعة، ولها أثر قوي في رفع قيمة البحوث في الموسوعة[(٢)].

٣. أرى أن الموسوعـة قـد أعطت الكثـير لتاريخ الجنوب، وسدت الكثـير من الثغرات في هـذا الجانب، ولا شك أن هنالك المزيد مما سيظهر خـلال السنوات القادمة، ولكنٍ هـذا الإصدار الدوريٍ الموسوعي نتوق لأن نراه وقـد امتد لتاريخ كامل المملكة، عنواناً ومتنـاً، ليكـون نبراساً للتخلي عن تكريس الهوياتٍ الجزئيـة في وطن واحد، فلا شك أن هنالـك خصوصٍية تمتد علـى حيز جغرافي أياً كان في المملكـة العربية السعودية، ولكنها تظل دائماً خصوصية نسبية، تتأثر بعامل المسافة الجغرافية وبتعاقب مراحل

---

(١) هـذا الاقـتراح الذي أشرت إليه يـا أستاذ منصور صحيح ووجيـه، لكني أعلم معانـاة الباحثين وبخاصة طلاب الدراسـات العليا في الحصـول على الوثائق والسجلات التي قد تساعدهم في إنجـاز رسائلهم وبحوثهم العلمية، لهـذا حرصـت أن أنشر أكبر قدرٍ ممكنٍ من هذه الوثائق الجديـدة، التي لم يسبق نشرها، وأنا متأكد أن معظمها سوف يكون في قادم الايام مجالا رحبا لإصدار دراسات وبحوثا علمية جيدة وأصيلة. ولا أختلف معك فهي بحاجة إلى ترتيب وتنسيق، لكن لا أستطيع ذلك في الوقت الحاضر لانشغالي بأعمال علمية جديدة أخرى. (ابن جريس).

(٢) غفر الله لك يا أبا أحمد، فقولك عين الحقيقة والصواب، وما زالت المادة المدونة والموثقة في الموسوعة مع تنوعها، وتعدد مشاربها تحتاج إلى مراجعات وتحقيقات علمية رصينة. وقد أستطيع إنجاز شيء من ذلك، لكن تقدم السن، وتراجع الصحة، والانشغال وغيرها معوقات كبيرة تعيقني من تحقيق هذا الاقتراح المهم والصحيـح. آمل أن يظهر مـن بناتنا وأبنائنا طلاب الدراسات العليا الفضـلاء، في جامعاتنا المحلية، من ينجز ويحقق شيئًا من هذه التوصية الجيدة وغيرها في قادم الأيام. (ابن جريس).

التاريخ. وخصوصية هذا الحيز الجغرافي (أو الإقليم الإداري) أو ذاك يمكن رصدها من خلال عمل أو أعمال متخصصة كما حدث في هذه الموسوعة، وهو حق لكل جزء من الوطن مهما صغر حجمه، ولكن صفة الاستمرارية في إصدار دورية متخصصة بحجم كبير تعني الثبات على الاستثناء وخصوصية الانتماء، خاصة ونحن نكتب التاريخ، ذلك العلم الذي يرتبط تأطيره بتأطير الهوية بشكل رئيسي، وهو ما قد ينمي العزلة والتقوقع على الذات لدى الجميع، لذا أرى أن هذا الإصدار سيكون أكثر تأثيرا لو تحول إلى عمل وطني يشمل كامل أجزاء الوطن، على غرار مجلة "العرب" للشيخ حمد الجاسر، و(المنهل) للشيخ الأديب عبد القدوس الأنصاري، رحمهما الله، والتي كانت ولا زالت تقوم بتغطية شاملة لكافة مناطق المملكة العربية السعودية، وكان لمناطق الجنوب فيها حضور مكافئٍ، فالوطن يتسع للعديد من الإصدارات المتخصصة في كل فن من الفنون، وكم سيكون جميلا أن نجد عنوانا يحمل هم تراث كامل الوطن ينبثق من منطقة عسير من جنوب المملكة العربية السعودية، فيشارك فيه الجميع للتعريف بتراث قراهم ومدنهم ومناطقهم وبقية مناطق ومدن الوطن بشكل مستمر، فيشعر الجميع بقواسم التاريخ والمستقبل المشترك، وبحضورنا في إطار واحد هنا، كما نحن هنالك، ولعله يكون امتدادا للقول المكتوب أو موازيًا له[1].

(*) **أخيراً:** فإن هذا الجهد الكبير يستحق منا جميعاً الشكر والتقدير لهذا الرجل النابه المخلص لوطنه وأمّته أ. د. غيثان بن جريس (مؤرخ تهامة والسراة) الذي اقتطع جزءاً كبيراً من وقته وجهده وماله لحفظ تراث جزء من الوطن، ولخدمة العلم وتوفير المعلومة ليجدها القارئ بكل يسر وسهولة.

وأسأل الله له ولنا القبول ودوام التوفيق والسداد. منصور بن أحمد العسيري. جدة بتاريخ (١٢/٤/١٤٤٣هـ)[2].

---

(١) يا أخي العزيز، غفر الله لي ولك، فكم أنت صادقٌ ومبدعٌ في كل ما يخدم الصالح العام. وهذا الاقتراح الذي أشرت إليه ممتاز. والسبب أن بلادنا (المملكة العربية السعودية) كانت قبل توحيدها في عهد الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود (يرحمه الله) يسودها الاضطراب والحروب والصراعات المتنوعة، بل كان الأمن فيها شبه مفقود، ثم تحولت بفضل الله عز وجل إلى بلاد تنعم بالأمن والأمان، وخدمة الاسلام، وهي وايم الله، تستحق أن يدون تاريخها وحضارتها بشكل عام في عشرات بل مئات الكتب والبحوث العلمية وفكرت وأعمل منذ عدة سنوات أن أصدر موسوعة تاريخية حضارية معاصرة، قامت ومازالت تقوم على الرحلة والتجوال في ربوع المملكة، آمل أن يمد الله في العمر حتى تصدر في بضعة مجلدات (ابن جريس).

(٢) أنني يا أخي منصور بن أحمد العسيري في أمس الحاجة إلى توضيحات وتصويبات الصادقين المنصفين أمثالك وأقول إنني إنسان ضعيف بجهده الشخصي والمعرفي، ويحتاج إلى عون أخوانه المؤرخين والباحثين الجادين الذين يرشدونه ويزودونه بعيوبه، والأخطاء، أو الغموض او النواقص في أعماله العلمية. وهذا نداءٍ طرحته في كثير من أبحاثي المطبوعة والمنشورة، وما زلت أطلبه وأحث عليه، ولا أجد أي غضاضة أو حرج أبدا، لمن يبين لي عيوبي، ويدلني إلى المنهج الصحيح والطريق الصواب، كما أنني أشكر من يقوم بذلك، وأحفظ حقه قولا وعملا. وأسأل الله عز وجل أن يسخرنا لكل خير، وأن يعيننا على أنفسنا، وأن يجعلنا من عباده الصالحين الذين يتبعون أحسن وأفضل الأعمال والأقوال التي تقربهم إلى مرضاة الخالق الرحمن الرحيم. (ابن جريس).

ثالثاً : غيثان بن جريس وموسوعته التاريخية. بقلم أ. د. عبد الحميد سيف الحسامي[(١)].

لا يفتأ الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس يقلب صفحات الحياة في جنوب المملكة العربية السعودية في ثنايا كتاب حتى يعززه بكتاب آخر، وقد توالت إصداراته عن التاريخ والحضارة وعن الجنوب السعودي (تهامة وسراة)، وتاريخ الحياة، وتفاصيلها حتى بلغت تلك المؤلفات ستين كتاباً[(٢)].

سعدت كثيراً بإهدائي موسوعته التاريخية والحضارية لتاريخ المنطقة الجنوبية السعودية (تهامة والسراة)، والموسومة ب :**القول المكتوب في تاريخ الجنوب**، والتي تأخذ أهميتها من كونها توثيقاً لتفاصيل الحياة والأحياء، وموسوعة تقدم للباحثين مادة لا يستغنون عنها في كتاباتهم البحثية[(٣)].

ينطلق غيثان بن جريس في رؤيته التوثيقية للمنطقة من أهمية الدراسات التاريخية والحضارية حيث يقول: "إن دراسة التاريخ، وفهمه، والغوص في معانيه وأحداثه من العلوم المهمة التي يجب التأمل فيها، والإلمام بما تحويه من دروس وعظات، وما يمكن الخروج به والاستفادة منه في حاضرنا ومستقبلنا. والذي يدرس التاريخ بعين ثاقبة تحليلية يستطيع أن يخرج منه بالعديد من الخبرات والفوائد التي لا يجدها في أي علم آخر[(٤)].

---

(١) الدكتور الحسامي من مواليد تعز باليمن (١٩٧١م). درس بداية حياته في اليمن، ثم انتقل إلى كل من السودان، ثم العراق لدراسته درجتي الماجستير والدكتوراه في الأدب والنقد الحديث. يعمل حالياً في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الملك خالد، جاء للعمل في هذه الجامعة من قبل أربعة عشر عاماً، وما زال يعمل بجد ومثابرة واجتهاد. أصدر عشرات الكتب والبحوث في مجال تخصصه، وهو رجل يسعى إلى خدمة الآخرين، وصاحب أخلاق فاضلة. وحسب علمي مؤخراً أنه يقدم محاضرات عديدة في قسمه، ويشرف على رسائل عديدة بالإضافة إلى عمله مستشاراً لدى وكيل الجامعة، والأخ الدكتور عبد الحميد جدير بذلك أهل لذلك، لأنني أعرفه وأتعامل معه عن قرب منذ زمن . للمزيد عن سيرته الذاتية انظر: غيثان بن جريس: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، (الطبعة الأولى) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٢هـ/٢٠١٢م)، الجزء الثالث، ص ٨٦. (الطبعة الثانية) (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ص٧٥. (ابن جريس).

(٢) شكراً لك يا حسامي، وجعل عملي وعملك خالص لوجه الله الكريم، وأقول أنني أعمل في ميدان علوم التاريخ والحضارة منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي، وأصدرت حتى الآن أكثر من ستين كتاباً، وأكثر من ثلاثمئة بحث مطبوعة ومنشورة، والكثير منها عن تاريخ وحضارة شبه الجزيرة العربية وبخاصة جنوبها السروي والتهامي. وهي متوفرة ورقياً، وعلى موقعي الالكتروني (prof-ghithan.com) (ابن جريس).

(٣) موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) مساهمة بسيطة وقليلة لخدمة أهلي وبلادي في جنوب المملكة العربية السعودية (سراة وتهامة)، وأسأل الله أن تكون من العمل النافع الذي يكون حجة لي لا حجة علي يوم العرض الأكبر أمام رب السموات والأرض. (ابن جريس).

(٤) إن علم التاريخ سيد العلوم، لكن لمن يدرك ذلك، ويغوص في بحوره المختلفة، والتاريخ ميدان كبير، فلا

لقــد شرّق غيثان بــن جريس وغــرّب، وأنْجَدّ وأتْهَــمَ، وجمع التاريــخ والجغرافيا، والعــادات والتقاليد، والحاضر والماضي، وصال وجــال، وشأنه- شأنِ الباحثين- الذين يجتهدون فيصيبون، ويقدمون ويحجمون، لكن غيثان بن جريس كثيراً ما يقدم، فيجمع المــادة التاريخية، ويتعب نفسه ومن حوله في ركض ممتــد، وقد جاوز الستين ونيفاً، ولم يزل شعلة من النشاط والحركة، والمثابرة، فما شاء الله تبارك الله، وكلما ساح المرء في التاريخ فإنه يكتسب أعماراً جديدة، وحيوات متجددة[1]: ألم يقل الشاعر:

مَــن لم يــع الــتــاريــخَ في صــدره   لم يَــدْر حُـلـو الـعَـيْـش مـن مُــرّه
ومَــن وَعَــىَ الـتـاريـخ في صَــدْرِه   أضــــافَ أعــمـــاراً إلىَ عُــمْــرِه

صديقــي الصــدوق غيثان بن جريســ، أدعو لك بالتوفيقِ والســداد، وأسأل الله أن يحقــق رجاءك في الدنيــا والآخرة، فطالمــا عرفناك ناصحــاً أميناً، وصديقــاً صدوقاً، وشجاعاً لا يهاب.

أسجــل هنا كل امتناني لإهدائك إياي موسوعتــك التاريخية الثمينة :**القول المكتوب في تاريــخ الجنــوب**، وأدعــو لك بتوفيق ممتــد، وأقول لك –هنا- كما أقــول لك دوماً: إني بانتظــار الكتاب الــذي ينبغي أن يدونه غيثــان بن جريس تتويجاً لهــذا الجهد الجامع، وختاماً لهذه الرحلة المباركة[2]. والله من وراء القصد.

يُستغنى عنه في شتى المجالات، وكل شيء في الحياة له ماض وتاريخ. ثم إن العامل في مجال التاريخ قراءةٍ، وكتابــةٍ، وتوثيقــاً، وتحليلاً يجب عليه أن يستشعر مهمة وصعوبة هذه المهنة ، ومن ثم لا بد أن يكون صادقاً، حاذقاً، أميناً. (ابن جريس).

(١) نســأل الله حسن الختام، وصلاح الأعمال. كمــا أسأله أن يعينني على جهاد نفسي حتى أطرها على الحق والصــواب. ومــا أشرت إليه يا دكتور حسامي، وتجــاوز سني الستين ونيفاً، هــذا والله نذير لرحيل العمر، ونســأل ربنا عز وجــل أن يختم بالصالحات أعمالنا، وان يجعلنا مستعديــن لساعة الرحيل بأقوال وأعمال صالحة تثقل موازيننا يوم القيامة (ابن جريس).

(٢) أتمنــى أن يطيــل الله في العمر حتى أنجز أعمالاً عديدة مهمة منها: ١-خلاصة ما خرجت به من تجارب، وخــبرات، ومشاهدات داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، وبخاصة في ميدان العلم والطلب المعرفي. وهــي فترة تزيد عــن (٤٧) عاماً في رحاب الجامعــات ومؤسسات تعليمية عالية عديــدة عربية وإسلامية وأجنبيــة. ٢-هناك مشــروع عنونته ب (تاريخ النــاس) وقد رسمت جزءاً مــن خطته من قبل عدة سنوات، وما زالت آمل أنجازه واصداره. ٣-رحلاتي الداخلية والخارجية، وقد جمعت الكثير منها، وما زال بعضها في ارشيف مكتبتي، أرجو أن يعينني الله عز وجل حتى أستكملها ، ثم أطبعها وأنشرها. (ابن جريس).

رابعاً: نظرات في كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) بقلم أ. د. قاسم بن أحمد بن عبد الله آل قاسم[1].

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاماً على الحبيب المصطفى، والنبي المجتبى، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى، واستن بسنته واهتدى. أما بعد؛ فقد وصلني خطابكم سعادة الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس المؤرخ ب (١٤٤٣/١/٣٠هـ) الذي ذكرتم فيه بعد السلام إهداء نسخة من كتابكم الموسوم ب **(القول المكتوب في تاريخ الجنوب)** ذلكم الخطاب الكريم الذي تطلبون فيه إبلاغ سعادتكم بوصول هذه الهدية خطياً؛ فإنني أفيدكم سعادة (البروف) بعد إهدائكم السلام والتحيةٍ والتقدير أن هديتكم القيمة التي هي موسوعة علمية مكونة من ثلاثة وعشرين مجلداً من مؤلفكم القيم: **(القول المكتوب في تاريخ الجنوب)**، قد وصلتني وهي تُعد بحق كالروض المعطار بعد إنهمار الغيث المدرار، تلك الموسوعة التي تُسعد الأسماع والأبصار بما تحويه من أخبار الأقطار الجنوبية من مملكتنا العزيزة/ المملكة العربية السعودية، وإن كانت تلك الموسوعة قد امتدت بالبحث إلى ما قبل الإسلام في بعض أسفارها وهي عندي كالروض الأنف؛ الذي يحوي من كل روض زهرة، ومن كل بحر ونهر قطرة؛ إنها بحق قطر الندى وبلّ الصدى، وهي كالرحيق المختوم، إنها نزهة الناظر، وشحذ الخاطر، وبهجة المجالس، وأنس المَجالس، طوّف بها مؤرخ موهوب في محافظات الجنوب بما تحويه من إرث كبير، وتراث عمراني عظيم، وموروث اجتماعي ذاخر فريد؛ عبر حقب تاريخية موغلة في القدم، يمتد بعضها -كما قلت آنفاً- إلى عصور ما قبل الإسلام، وهكذا امتدت عبر العصور إلى الزمن الراهن الحاضر، وكانت تلك البحوث متنوعة بتشكلاتها المختلفة لا من حيث المؤلفين فحسب[2] بل -أيضاً- من حيث الحيوات المختلفة السياسية والاقتصادية

---

(١) الدكتور قاسم آل قاسم الألمعي من مواليد رجال ألمع عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م). بدأ تعليمه العام والجامعي في حاضرة أبها. ونال درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، عمل في العديد من المناشط العلمية، والإدارية بجامعة الملك خالد، له العديد من البحوث والكتب المطبوعة والمنشورة. وهو حالياً متقاعد، ومتعاون مع قسمه في كلية العلوم الانسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، يقوم بأعمال التدريس والإشراف على طالبات وطلاب الدراسات العليا. والدكتور قاسم على قدر عال من الأمانة، وحسن الخلق، ولطف المعشر. للمزيد عن سيرته انظر: غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطبعة الأولى) (الرياض: مطابع الحميضي)، ١٤٣٢-١٤٣٣هـ/٢٠١٠-٢٠١١م، (الجزء الثالث)، ص٥٦ (الطبعة الثانية/١٤٤٢هـ/٢٠٢م)، ص٥٠. (ابن جريس).

(٢) يا دكتور قاسم عرفتك صادقاً نبيلاً، منذ قابلتك قبل ربع قرن، بل شاركت معي في الموسوعة المذكورة أعلاه بعدد من الدارسات والمراجعات وما زلت أذكر دراستك الجيدة الموسومة ب (لمحة من تاريخ محافظة رجال ألمع وأدبها) المنشورة في الجزء الثالث من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) قبل عشر سنوات. وأذكر أنني تحدثت معك عن هذا الموضوع ورجوتك أن تطوره كتابا عن أوطانكم اللألمعة (محافظة رجال ألمع)، وحتى الآن يا أبا أحمد ما زلت أتشوق وانتظر هذا الكتاب الذي سوف يسد ثغرة مهمة عن هذه البلاد العربية الماجدة. كما انني أرجو منك ومن أساتذة الجامعة الألمعيين، وهم كثيرون أن تخدموا بلادكم

والاجتماعيــة والعلمية والمعرفية والتراثية والثقافية؛ حيــث ألقت تلك الموسوعة الأضواء علــى ما كتبــه المؤرخون العرب القدامــى والمحدثون مما له صلة بتلـك الأنحاء التي تقع تحــت المحدد المـكاني أو المحــدد الزمــاني أو المحدد التصويــري لتلـك الموسوعة، ومن البحوث ما ألقى الأشعة والأنوار على ما كتبه بعض الرحالة من المستشرفين الذين أمّموا بوجوههــم قبل المشرق العربي؛ وبالــذات الجزيرة العربية ، مهد الحضــارات الإنسانية المتعاقبــة؛ حيث شاركــت الجزيرة العربية بسهم وافر في التقــدم الإنساني، حيث دفعت الحضارة البشرية أشواطاً بعيدة، إذ كانت حلقة الوصل بين المشرق والمغرب؛ فهي ملتقى الحضارات المتعددة الهندية والصينية والفارسية واليونانية والرومانية؛ إذ كانت السوق العالميــة الكبرى، التــي تلتقي فيه منتجات الشرق والغرب، ذلــك السوق الذي كان يزخر بكل ما يتطلبه الإنسان من مشارق الأرض إلى مغاربها، وليست سوق (تيماء) قديماً من الباحثــين ببعيد، وهذه السوق تقع شمال الجزيرة العربية بالإضافة إلى خطوط التجارة العالمية التي كانت تجوب الجزيرة جنوباً وشمالاً وشرقاً وغرباً[١].

ثم أنني أود أن أشير إلى أن العرب قبل الإسلام لم يكونوا جاهليين كما يروج له بعض الباحثــين إلا فيمــا يتعلق بالبعد الديني؛ وبخاصة بعد أن عبــد بعضهم الأصنام والأوثان بعد أن كانوا موحدين الله –جل جلاله– فقد ساهمت الجزيرة العربية قديماً وحديثاً في التقدم الإنساني، والتطور البشري عبر حقبها المتعددة في كل المجالات، والناظر في الكتب اليونانيــة القديمة والوثائق الرومانية القديمة حســب الدكتور نجيب محمد البهبيتي في كتابــه القيم : (تاريــخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالــث الهجري) [٢] سيدهش من خلال المعلومات المنبنية على الوثائق القديمة التي تشي بإرث عربي قديم لا يقل قيمة عن إرث اليونــان أو الرومــان أو قدماء المصريين أو الهنود والصينيــين[٣]، إذ كانت الجزيرة

تاريخيــاً، وثقافياً، وأدبياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وسياحيــاً، وتعليمياً، وإدارياً، وتنموياً فكل هذه الميادين جديــدة ومهمة أن يصدر عنهــا بحوث علمية عميقة ورصينة. وأعلم أن هنــاك أعلاماً وباحثين جيدين في وطنكم يستطيعون تحقيق هذا المطلب ، والله يحفظكم جميعاً ويرعاكم . (ابن جريس).

(١) شكراً لك يا دكتور قاسم ، فلقد أشرت إلى شذرات مهمة عن أهمية شبه الجزيرة العربية على مر العصور. لكنها للأسف لم تخدم بشكل جيد في ميدان البحوث العلمية القوية والعميقة، وبخاصة بعض أجزائها النائية أو المنزوية، وبلاد السراة وتهامة من أقل الأوطان التي خدمت معرفياً وتوثيقياً وبحثياً، مع أنها ذات حضارة وتاريخ عريق يعود إلى الآف السنــين قبــل الإســلام. وهذه الموسوعة (القــول المكتوب في تاريخ الجنوب) محاولــة بسيطة للفت أنظار الباحثــين والجامعات المحليــة في جنوب المملكة العربية السعوديــة فتؤسس أقساماً ومراكــزاً قوية ومدعومة مادياً وبشرياً بكل ما يدعم البحث والتنقيب عن تاريخ وموروث هذه البلاد العربية الماجدة. (ابن جريس).

(٢) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الرابعة (الرياض، ١٩٧٠م) ص٣-٢٤. (آل قاسم).

(٣) مــا مــن شك أن شبه الجزيرة العربية مذكورة في العديد من مصادر الحضارات القديمة، وما زلنا نحتاج إلى من يغوص في كتب ومراجع تلك الحضارات، ثم يستخرج لنا ما ورد عن جزيرة العرب في تراث تلك الأمم والحضارات، ومن يفعل ذلك، فسوف يسدى لنا معاشر الباحثين معروفاً وفضلاً كبيراً. (ابن جريس).

العربية هي الرابطة بين قارات العالم القديم (آسيا وإفريقيا وأوروبا)؛ ولهذا لا نستغرب إذا تم الكشف عن تلك الآثار عبر أقسام الآثار في الجامعات السعودية، وفرق الكشف عن آثار الجزيرة العربية التي تبدت لها بعض الكشوفات واللقى والآثار التي تمتد إلى آلاف السنين بل بعضها يمتد إلى مئات الآلاف من السنين سواء أكان ذلك في جنوب الجزيرة العربية أم شمالها أم شرقها أم غربها أو وسطها، وقد نشرت عبر الوسائل الإعلامية في المملكة العربية السعودية المرئية والمقروءة، ولا غرابة في ذلك إذا ما علمنا أن آدم عليه السلام التقى زوجه حواء بعد أن أهبطا من الجنة على أرض الجزيرة في عرفات، فيالله كيف يظلم بعض الباحثين هذه البلاد المباركة، ولا أريد أن أتحدث عن قدم مكة/ بكة وعمقها التاريخي، وبالذات البيت الحرام، وما قبل رفع قواعد البيت العتيق من قبل إبراهيم-عليه السلام- وابنه إسماعيل، ومرور الأنبياء -عليهم السلام-به[١].

وقل مثل ذلك إذا ما وجه البحث والحديث ل (نجران)؛ فإن العين لا تخطئ عمق حضارتها الموغلة في الزمن، والضاربة في القدم؛ وبالذات عين الباحث، كيف لا وقد خلد الباري-جل الله- ذكرها في آيات تتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ وبالذات الحديث عن (الأخدود) وماذا يقول الباحثون عن (مدائن صالح والفاو) وغيرها؛ إن الجزيرة العربية ذخيرة معرفية لا تنفد، ومستودع ثقافي كبير، وخزان حضاري بدأ مع الإنسان البدائي الأول؛ وامتداد ذلك إلى عهد سليمان-عليه السلام- وبلقيس[٢]، وإن موسوعة النقوش والآثار التي طبعتها جامعة الملك خالد بالتعاون مع إمارة منطقة عسير، والتي كان لي شرف الإسهام فيها مع الزملاء الذين نهدوا بهذا العمل لتشي بالكثير، وقد كشفت عن آثار ونقوش كثيرة امتدت على ثمانية مجلدات، هذا ما تبقى على ظهر الأرض عبر الجبال والوهاد ومواطن التعدين في جنوب الجزيرة العربية؛ فضلا عن المغمور داخل رمالها، بالإضافة إلى الكهوف التي سكنها الانسان البدائي في التاريخ الحجري القديم[٣].

---

(١) ذكرتني يا أبا أحمد بعراقة شبه الجزيرة العربية، فعندما كنت أدرس مرحلتي الماجستير والدكتوراه في أمريكا ثم بريطانيا، ذهبت إلى بعض الجامعات التي تحتوي على مخطوطات وتراث قديم إسلامي، وشاهدت بعضها مليئاً بالتفصيلات الخاصة بأحوال بلاد شبه الجزيرة العربية وسكانها منذ عصور ما قبل الإسلام، وخلال العصور الإسلامية المبكرة، واتضح لي أن الدول الغربية الاستعمارية جمعت الكثير من هذا التراث من البلدان العربية الإسلامية عندما كانت مسيطرة عليها سياسياً وعسكرياً. لكن للأمانة لم يتلفوا هذا التراث وإنما رمموه وحفظوه، وهي في متناول أيدي الدارسين والباحثين. والشاهد أن بلادنا العربية والإسلامية وبخاصة شبه الجزيرة العربية عريقة وأصيلة في تاريخها وحضارتها . (ابن جريس).

(٢) لا أخالفك يا أخي العزيز في كل ما أشرت إليه في المتن لكن من يقول أن أبها كانت من بلاد بلقيس، أو ما شابه هذا الحديث، فهذه معلومات لم تثبت صحتها حتى الآن، وما زالت معلومات دعائية إعلامية، ولا تصمد أمام البحث العلمي العميق والنزيه. وهناك روايات وأقوال في أمكنة عديدة أخرى على شاكلة ما ذكر عن أبها وبلقيس. وجامعاتنا المحلية ومراكز بحوثها العلمية تتحمل جزءاً كبير من المسؤولية لخدمة البحث العلمي وتوجيهه على طريق الجد والحقيقة والمصداقية. (ابن جريس).

(٣) يادكتور قاسم ذهبت في مناكب السروات وتهامة وبعض مدن وقرى الحجاز خلال الأربعين عاماً الماضية

وإن ما قام به الاستاذ الدكتور/غيثان بن علي بن جريس من عمل مبارك يصب في هذا المصب، وينسرب في هذا المسرب، وقد استقى بعض المعلومات من كبار السن، ومن الباحثين من أبناء المحافظات الجنوبية، وما ينبئك مثل خبير.

وإن ما لم يظهر من المخطوطات إلى الآن، وما لم يقرأ من النقوش الكثيرة سيخبران عن تجذر إنسان هذه البلاد المباركة الكريمة، وإن مواطن التعدين، وبعض اللقى من الأحجار والفخار والمقابر التي تتجه قبورها إلى مشرق الشمس؛ لتدل على إيغال هذه الأماكن في التاريخ الغابر، بالإضافة إلى المزارع وقنوات المياه، والطرق في الجبال كل ذلك يشير إلى حضارة إنسان الجنوب كغيره من إخوانه في الجزيرة العربية حرسها الله[١].

كما أن التنوع التراثي في المساكن بتشكلاتها المختلفة فمنها: الحجري في طوابقها كلها، ومنها ما هو حجري والطوابق العلوية من الطين، وبعضها من الطين بكامله حسب ما تجود به البيئة في كل منطقة تدل على ثراء كبير.

أما عن التراث الشعبي الحركي المتمثل في الألوان الشعبية، وتنوع ذلك من تنوع الزي واللباس كل ذلك يكشف عن ثراء منقطع النظير لإنسان هذا الجزء الغالي من وطننا الحبيب؛ وكل ذلك مواطن بحوث ستكون في غاية الأهمية مستقبلاً من قبل الباحثين في التخصصات المختلفة[٢].

وقد حاولت تلك الموسوعة (الغيثانية) رصد ذلك ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، فضلاً عن العادات والتقاليد والأسواق، واللهجات واللغات، والظواهر الصوتية للإنسان الجنوبي التي تمتد إلى حقب قديمة بالإضافة إلى القصص، والحكم والأمثال ، وعادات الزواج، والأفراح والأتراح، والخطب بتنوعها الثري التي كانت تلقى في تلك المناسبات كل ذلك يمكن

(١٤٠٠-١٤٤٣هـ/١٩٨٠-٢٠٢١م)، وشاهدت الكثير من الآثار السطحية والمدفونة التي تنم عن تاريخ وحضارة قديمة وعريقة لهذه البلاد ، وإذا كان دُرس وخرج بعض الشيء من تراث وموروث هذه الأوطان فما زال الكثير مغموراً ومنسياً وغير مخدوم. واليوم في بلادنا الكثير من الجامعات التي تحتوي على عشرات الكليات ومئات الأقسام، ويجب أن لا تحصر أعمالها وجهودها داخل أسوارها، وإنما يجب أن تمتد خدماتها وآثارها الايجابية إلى رعاية الأرض والإنسان عملياً وبحثياً، وفي شتى المجالات. (ابن جريس).

(١) وهذا والله ما شاهدت ووقفت على بعضها في مواطن عديدة من بلاد السروات وتهامة، بل أن بعض هذا الموروث الحضاري أصابه التلف والخراب، والواجب أن تهب كل الجهات المسؤولية في البلاد إلى الحفاظ على ما تبقى، ثم تؤسس الجامعات والوزارات المعنية هيئات ومراكز بحوث تخدم هذا التراث بالحفظ، ثم الدراسة والتحليل، وأخيراً الطباعة والنشر. (ابن جريس).

(٢) أشرت إلى أنواع العمارة، وأيضاً إلى الفنون الشعبية، وبلاد السراة وتهامة مليئة جداً بهذا التراث الحضاري، الذي يعود بعضه إلى الوراء مئات السنين، لكنني لا أجد من يقوم عليه ويرعاه بالصيانة، ثم الحفظ والتوثيق، وهو جزء مهم جداً من تراث وحضارة بلادنا عبر العصور الماضية . (ابن جريس).

أن يفسر لنا أصالة إنسان الجزيرة العربية ، وارتباطه بوطنه منذ عصر الخليقة الأول متدرجاً عبر حقب التاريخ بتشكلاتها المختلفة منذ العصر الحجري إلى يوم الناس هذا[١].

ثم ألم يرد في الحديث الشريف أن الجزيرة العربية كانت مروجاً وأنهاراً وانها ستعود في آخر الزمان مروجاً وأنهاراً، وإن الصور التي التقطت من الفضاء الخارجي عن طريق علماء (ناسا) أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك عن ذلك، وكذا الكشوفات الحديثة باتت تثبت تلك الحقائق، وقد كشفت بعض الآثار أن استئناس الخيول قد تم على هذه الأرض التي تعاقبت عليها الحضارات الكثيرة؛ إذ كشفت بعض الآثار عن تشكيل أحجار كبيرة قد تصل إلى المتر أو أكثر على هيئة رأس الحصان وأنها تمتد إلى أكثر من عشرة آلاف سنة، وقد نقضت هذه الحقيقة ما ذكر في كتاب (غنتس) من أن الخيول استؤنست في أواسط آسيا قبل خمسة آلاف سنة، وكذلك وجد في ذلك الموقع أيضاً- الذي كان بالقرب من (تثليث) أحجار على شكل أسماك، وقد وصل علماء الآثار هناك إلى وجود نهر قديم كان يصب في الربع الخالي، وما تخبئ رمال الجزيرة العربية أكبر بكثير مما اكتشف، وفي كل يوم-تقريبا-تتكشف الآثار، وتكتشف بعض المدن الحجرية التي غطتها رمال الصحاري في المملكة العربية السعودية؛ فما أبدعته يد الإنسان سيظل في صراع كبير مع عوامل المحو الذي تحاول الرمال والرياح والأمطار طمس آثاره؛ ولكن تأبى تلك الآثار بأمر ربها وقدرته إلا البقاء شواهد على تميز إنسان الجزيرة العربية وآثار يديه المبدعة[٢].

بالإضافة إلى جناية بعض أيدي العابثين بتلك الآثار والنقوش التي لا تقدر بثمن ، وهي بحق مدخرات وطنية يجب تكاتف الجهود للحفاظ عليها، وصيانتها ورعايتها حق الرعاية[٣]، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) إن بلادنا والحمد لله تسير نحو البناء والتشييد المعرفي، ومن يقارن أوضاعنا الحالية مع عقود قريبة سبقت يجد الحياة العلمية والبحثية تطورت، لكننا نطمع ونتطلع إلى المزيد، كما أرجو أن نرى أعمالاً مؤسسية مدعومة لخدمة البحث العلمي في وطننا ، وإذا تم ذلك، فالأمور سوف تكون أحسن وأعمق بكثير (بإذن الله تعالى). (ابن جريس).

(٢) ما زلت أنادي منذ أربعين عاماً إلى وجوب الاهتمام بالآثار المدفونة، وبلاد شبه الجزيرة العربية وبخاصة السروات وتهامة ما زالت بكراً في هذا الميدان. وان خدم هذا الموضوع معنوياً ومادياً فسوف يكتشف قرى ومدناً حضارية يعود تاريخها إلى الوراء آلاف السنين. أرجو من هيئة السياحة، ووزارة التعليم، ووزارة الثقافة، أن تقدم أعمالاً عملية وإيجابية في هذا المجال وإن فعلت فسوف نجد ما يسر البلاد حضارياً وعلمياً وتنموياً. (ابن جريس).

(٣) إهمال الآثار والاعتداء عليها، حدث ولا حرج، وهذا ما عرفته وشاهدته في مواقع عديدة في طول البلاد وعرضها، منذ مطلع هذا القرن الهجري، وأنا أشاهد واسير في مناكب السروات وتهامة الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز الرئيسية. (ابن جريس).

خامسـاً: رسائل مختصرة عن موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب).

بقلم. أ. د. عباس بن علي السوسوة[(١)].

عندما جئت للعمل في قسم اللغة العربية وآدابها، بكلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك خالـد، في عـام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)[(٢)]. كنـت أرى صاحب: **القول المكتـوب في تاريخ الجنوب**، أعنـي أ. د. غيثـان بن علي بن جريس، يجوس خلال المكاتب في قسم التاريخ وفي قسم اللغة العربيـة، فرأيـت أنه يعرف أكثر شاغلي المكاتب، وبينه وبـين بعضهم صلات أكثر من صلة الجـوار في المبنـى، ورأيت مجلدين من هـذا السفر متواصل الصـدور في كل عام في مكتب د. حسـين الزراعي[(٣)]، وتناولـت أحدهما بفضول وقلبت فيه، فاستفـدت منه أموراً لم أكن أعرفها عن مناطق الجنوب السعودي، وتاريخها سواء أكان قديماً أو وسيطاً أم معاصراً[(٤)].

ومفهـوم التاريخ عند صاحب السفر أوسع من مجرد تاريخ الحكام وصراعاتهم بل هــو حياة النـاس جميعاً وطـرق معيشتهم في الزراعة والرعي والحرف والمهن والوظائف والمساكـن، والحياة الاجتماعية من حيـث علاقات القرابة، وطرق الــزواج والمناسبات والألعاب والحياة الاقتصادية والأسواق، والأسعار أسعار كل شي ما أمكن[(٥)].

وبالطبـع فأكثر هـذه الموضوعات كلما أوغلنـا في العودة إلى الماضـي لا نجد ذكراً لهـا، سوى شذرات متفرقـات في المصادر القديمة، التي قد تكون أرخت لمنطقة من هذه المناطق الكثيرة، وإنما جاءت عرضاً لا قصداً. وقد عاب عليه ذلك جماعة من الفضلاء

---

(١) الدكتـور السوسـوة من مواليـد محافظة تعز باليمن عـام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، درس مراحل تعليمـه الجامعي والعالي بجامعـة القاهـرة، ثم عاد إلى اليمن وتقلد مناصب عديدة في (جامعة تعز)، ذهب للعمل في جامعة الملك خالد بالمملكة العربيـة السعودية عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ومـا زال حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يعمل في قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعـة. والدكتـور السوسوة على قدر جيد من الاطلاع، وله كتب وبحـوث عديدة مطبوعة ومنشورة، وبعضها نشر في موسوعـة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) تربطني علاقة طيبة مـع الأستاذ السوسوة، الذي يمتاز بالتواضع، وحسن الخلق، ولطف المعشر. للمزيد انظر سيرته في كتاب: سيرة كتاب: احتفاء بصدور عشرة أجزاء من كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م) ص ص٢٤٥-٢٤٩، ٣٠٣-٣٠٤. (ابن جريس).

(٢) أي منـذ قدوم الدكتور السوسوة من اليمن للعمل في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الملك خالد، وأذكر أنني قابلته وتحدثت معه في الأيام الأولى من قدومه إلى أبها. (ابن جريس).

(٣) الدكتـور حسـين الزراعي أستاذ يمني عمل في قسم اللغة العربيـة بأبها، بضع سنوات، وذكر لي أنه يعمل حالياً في جامعـة قطر، وهو على قدر كبير من اللطف وحسن الخلق، للمزيد انظر: رسالة الملك خالد (آفاق) العدد (١٠٠) (٢٦/صفر/١٤٣٥هـ)، وانظر كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطبعة الأولى) (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، ج٧، ص٥٢٣-٥٢٥، انظر الكتاب نفسه، الجزء الرابع والعشرون (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)، ص٥٧٦-٥٧٧. (ابن جريس).

(٤) أرجو أن يكون في هذا السفر الذي بلغ حتى الآن (٢٤مجلداً) فائدة ونفعاً للباحثين وطلاب العلم والمعرفة، كما أسأل الله، عز وجل الأجر والثواب. (ابن جريس).

(٥) للأسـف إن معظـم مصادر التاريخ تركز علـى علية القوم من الحكام والسلاطـين والوزراء ومن حولهم، والشريحـة الكـبرى في المجتمع، أي عامة الناس، لا يكتب تاريخهم. وقـد حاولت في هذه الموسوعة وغيرها من المؤلفات والبحوث أن أوثق شيئاً من تاريخ الناس بشكل عام. (ابن جريس).

مـن كليـات وأقسام مختلفة. وهذا ليس مما يعاب، إذ سيأتي زمن تظهر فيه فائدة هذه المعلومات المبتذلة -في نظرهم- الآن[١].

المهم لفت نظري حينذاك كثرة الأخطاء اللغوية نحواً وصرفاً وأسلوباً في كثير مما كتب في ذاك المجلـد، ثـم في غـيره. ونجا من ذلك بعضهـا كأبحاث ومقـالات الأستاذ محمد بن أحمد معبر، الاّ ما كان من أخطاء الطباعة التي لا يُستطاع النجاة منها نهائيا، ثم في حدود المجلـد العاشر أخذت اللغـة تتحسن، أو الأصح أن الأخطـاء أخـذت تقل بنسب ملحوظة. ثم أعـادت جامعة الملك خالد إصدار (القول المكتـوب في تاريخ الجنوب) من المجلد الأول حتى السابع عشر، وأعيد النظر في عدة أمور، فروجعت ثانية، فكادت الأخطاء تختفي تماماً[٢].

كذلـك قلّت في الطبعة الثانية التعليقات الغيثانية الكثيرة، التي لم تكن تترك فكرة من الأفكار في الأبحـاث والمقالات إلاّ وذكّرت بأهميتها واستحقاقها لأن يكتب فيه رسائل ماجستير ودكتوراه[٣]. أو أن تدعـو جامعات الجنوب السعـودي لإعطاء أهمية لهذه الفكرة و.......إلـخ التعليقات، يا هَلي يـا هَلي يكفي ملامـي والعتاب ، وكنت قد أخذتُ على محرر (القـول المكتوب " كثرة هذه التعليقات بصورة مزعجة. ولا بأس بها إذا أصلحت خطأ في معلومة أو رقم ونحوها، أما أن يكون بين التعليقين تعليـق ثالـث فاسمـح لي[٤]، في الموسوعة (القول المكتـوب في تاريخ الجنوب) عمومـا أبحاث قيمة مـن كل لون، بـل فيها أبحاث في التاريخ القديم فيها معلومات مستقـاة من مصادر يونانية ولاتينية وغيرها، جديرة أن تغير نظرة الباحثين في كثير من المسلمات التي تؤخذ على علاتها ولم تفحص[٥].

في القول المكتوب أيضاً أبحـاث لغوية غير قليلة متفاوتة في قيمتها العلمية، وأفضلها-

---

(١) إن النقـد السلبي الذي يصـدر أحياناً من الحاسدين، أو من الذين لا يرغبون العمل الجاد، والإنسان إذا عمل فسوف يخطئ، لكن المهم أن يتعلم ويستفيد من أخطائه، أما التاريخ القديم لبلاد السراة وتهامة فما زال شبه مفقود، وآمل أن نعثر على شيء منه من خلال التنقيب عن الآثار المدفونة ثم دراستها وتحليلها. (ابن جريس).

(٢) ليـس عنـدي اعتراض ابداً على ما رصـده الدكتور السوسـوة، لكنني أعمل وأجتهـد في الدراسة والبحث والتوثيـق والمراجعـات من بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وآمل أن يكـون هناك فوائد علمية في ما قدمت مـن أعمـال وبحوث خلال العقود الأربعة الماضية. كما آمل أن يأتي بعدي من يدرس ما كتبت ثم يصوب ما أخطـأت فيه، أو يستكمل مـا عجزت عن عمله، أو يشرح الغموض، أو يأتـي بجديد في ميادين الدراسة، أو التحقيق أو النقد أو غير ذلك. (ابن جريس).

(٣) يـا دكتـور عباس هذه وجهة نظـرك وأحترمها، لكنني أدون هـذه الاشارات والتعليقـات، توضيحاً وتنبيهاً للباحثين وبخاصة طلاب الدراسات العليا في أقسام علمية عديدة في الجامعات. وعرفت وعلمت أن هناك طالبات وطلاباً استفادوا من بعض هذه التوصيات والتعليقات، ومنهم من سجل رسائل علمية من خلالها، ونسأل الله القبول لكل ما نقوم به، وأن يكون خالصاً لوجه الكريم . (ابن جريس).

(٤) لا انكـر أنهـا كثيرة في بعض الأقسام أو الصفحات، لكن لأهميتهـا وضرورتها ثم تنبيه الباحثين أو طلاب الدراسات العليا بكل جديد يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو بحث أو رسالة علمية. (ابن جريس).

(٥) للأسـف منطقتنـا (السراة وتهامـة) وأجزاء عديدة في شبـه الجزيرة العربيـة، ورد ذكرها في كثير من المصـادر الكلاسيكيـة القديمة اللاتينية، واليونانيـة وغيرها، ونحن نجهلها، نأمـل أن نرى من جامعاتنا ومراكـز بحوثها اهتمامـا بهذا النوع من المصادر، فتقوم بالبحث عنها، ثـم توظف من الباحثين الجيدين المتمكنين من يقوم على ترجمتها وتحقيقها وشرحها. (ابن جريس).

مــن وجهــة نظــري- ما كتبــه محمد بن أحمــد معبر ، لا لغــزارة علــم الباحث فحسب، بــل ولاتخاذه الخطــوات العلميــة الحقة، ـ في النظر ورصــد الظواهر والألفاظ والمعاني، وحســن تعامله مع مصادره المكتوبــة والمشاهدة، وحسن التعليل[١]، والقول المكتوب يحتوي على مئات الوثائق مطبوعة ومخطوطة، ولعــل الباحثين يستفيدون منها في أبحاث مستقبلية، بــل إن أبحاثا قيمة اعتمدت على وثائق المحاكم، وأوراق الصــادر والــوارد إلى دولة ما. ومن أهمها في تاريخ اللغة العربيــة، وثائق البردي العربية التي جمعها العالم النمساوي أدولف جروهمان [اقرأ: جرومان] في ثماني مجلدات، واعتمد عليها العلامة أحمــد مختار عمر (ت٢٠٠٣م) في (تاريخ اللغة العربية في مصــر) عندما قسّم مراحل العربية منذ عــام (٢٠هـ) إلى أول القرن الخامس عندما أصبحت العربية اللغة العامة في مصر[٢]، ولم يعجبني- بشــكل عــام- في هذا الإصدار القيم ما كتب عن الرحلات والرحالين الذين مرّوا بأماكن في الجنوب، كل حســب تخصصــه ووجهة نظره. ذلك أنه صار مثل المعطف الذي قلبَ مرارا، فأمر مفهوم أن يكون ترجمــة وافية لكل منهم، لكن أن تكرر الترجمات مع تغير المناطق موضع الكلام، خصوصا أن بعضها لم يمروا به ، أو نجد أن (فلان) لم يمر به، أو مرّ به ، ولم يذكر أي أخبار ومعلومات عنه ، هكذا ست مرات أو سبع[٣] ، وأختم بذكر أمر، لا أدري إن كان الصديق أبا المثنى سيتقبله قبولا حسنا أم سيقول، كمــا قــال أصدقاء سابقون (نكتفي بهذا القدر من الصداقــة). وسبق أن علقت على الترجمة المطولة لمحرر (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) أن فيها كثيرا من تزكية النفس المكروهة شرعا، من حيث أن الشهادة الفلانية ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، والشهادة العلانية كيت.. وهكذا إلخ[٤].

أسأل الله أن يكون تجمعنا تجمعاً معصوماً، وتفرقنا تفرقاً مرحوماً، والله حسبنا وهو نعم الوكيل.

عباس السوسوة، حرر في (١٧/٤/١٤٤٣هـ الموافق ٢٢/١١/٢٠٢١م)[٥].

(١) ميــدان اللغة العربيــة وفروعها في عموم الســروات وتهامة موضوع جديد وكبــير، يستحق تضافر الجهود لدراستــه. وما زالت أقسام اللغــة العربية في الجامعات المحلية تحاول إخراج بعض البحوث في هذا الباب، لكنها ما زالت محدودة وقليلة، وبعضها دون المستوى العلمي الرصين الجيد. (ابن جريس).

(٢) ميدان الوثائق مجال آخر كبير، وفي بلادنا وعنها الكثير من الوثائق والمخطوطات والسجلات وبخاصة خلال القرون الثلاثة الماضية (من ١١-١٤هـ/ق١٧-٢٠م). وهي من المصادر المهمة والجديدة التي تخدم البحث العلمي التاريخي، واللغوي، والاجتماعي والاقتصادي ومجالات أخرى عديدة. ثم إن الحصول على الكثير منها أصبح أسهل من السابق، والواجب الاجتهاد في الحصول عليها ثم توظيفها لخدمة البحث والدراسات العلمية المختلفة. (ابن جريس).

(٣) الرحلات والرحالة من المصادر الرئيسية التي تخدم المؤرخ وغيره. وفي كتب الرحلات مادة علمية جيدة يصعب أن نجدها في أي مصدر آخر. اما قول الدكتور السوسوة عن كثرة إعادة تراجم الرحالة، فكلامه صحيح في عدد من المواضع، آمل أن اتجنب هذه العيوب في بحوث ودراسات قادمة. (والله من وراء القصد) (ابن جريس).

(٤) والله يــا دكتــور عباس إن تزكية النفس غير جيدة، والإنسان ضعيف، ويقــع في الزلل والأخطاء، ونسأل أن يرحم ضعفنا ويغفر ذنوبنا ويتجاوز عنا، إنه على كل شيء قدير. (ابن جريس).

(٥) لا أقول في نهاية هذه الرسائل، إلاّ شكر الله لك يا عباس السوسوة، فقد جلست معك كثيراً، وتعاملت معك في أمــور عديدة، فوجدتك صادقا ناصحا أميناً، وأســأل الله لي ولك التوفيق والسداد، كما أسأله أن يغفر ذنوبنــا مــا تقدم منها وما تأخر، والله الهادي إلى سوى السبيــل، وصلى الله وسلم على المصطفى الرسول الهاشمي القرشي الأمين (ابن جريس).

سادساً: رحلتي مع موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) من الجزء الأول إلى الجزء الرابع والعشرين. بقلم الأستاذ/عبد الهادي بن عبدالرحمن بن مجني[(١)].

حينما سمعت قبل عقدين مضت بموسوعة: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، حسبته من كتب الأقدمين، لأن العنوان مسجوع، ولم أكن قرأته بعد، فلما طالعته ازددت إعجاباً به وبصاحبه، وألفيته حقلاً ثقافياً من حقول الإبداع، ولقد أدهشت هذه الموسوعة الأذهان فيما جاءت به من تنوعها وجمع صاحبها لها، ربما كونها متفردة في هذا المجال، ولم أسمع بعمل موسوعيٍ متكامل عن جنوب البلاد السعودية (كالقول المكتوب...) حيث أحدث حراكاً ثقافياً في زمنه، لقد بذل صاحبه غيثان بن جريس طيلة هذه السنوات ومن معه ممن أعانوه المُهَجَ في تجشم الصعاب والعقبات لكي يستمر حتى قارب (٢٥) خمسة وعشرين جزءاً، ولا أحسبه إلا بَزّ أقرانه من مجايليه بهذه الأعمال التاريخية الخالدة، كانت غاية الرجل نبيلة، فليت لنا نظرة ابن جريس التفاؤلية، لم يكن لديه الوقت ليضيعه، ودأب طوال هذه السنين في جمع المادة العلمية ونشر الوثائق الملحقة لأنها كانت هي المادة الأولية التي استقى منها كتابه حتى شارف على الانتهاء، ولا يفعل ما فعله إلا الرجال العظماء، فجزاه الله عن بلاده وأهلها خيراً، وله منّا الشكر وعبارات الامتنان، دعك من التقدير والاعتراف له بالريادة فيما قدمه لخدمة التاريخ، فهو منذ بدأ وعمل على تأليف موسوعته نهض بمقوماتها حتى اكتملت إلى ما هي عليه اليوم. ومما يجب أن أذكره هنا أن ذلك الرجل البَرّ المفضال حرّض فيّ مُذ عرفته العزم حتى شاركت معه بدراستين أكرمنا بنشرهما، وجميل منه مد الجسور مع الآخرين، داعياً بالعون والتوفيق له ولكل مجتهد مثله، فقد استقطب أقلاماً شرفت أن أكون مع تلك النخبة[(٢)].

---

(١) الأستاذ عبد الهادي من مواليد محافظة العرضيات في تهامة بلقرن عام (١٣٩٥هـ/١٩٩٧٥م). تلقى بداية تعليمه في بلاده ومسقط رأسه. ثم التحق بالعمل في القطاع العسكري، وما زال يعمل في كلية الملك فهد الأمنية حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) له العديد من النشاطات الصحفية، ونشر بعض البحوث العلمية في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، وهو على قدر كبير من اللطف، وطيب المعشر. للمزيد عن سيرته الذاتية، انظر، محمد بن أحمد مُعَبِّر. سيرة كتاب: احتفاء بصدور عشرة أجزاء من كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م) ص٣٣٤. (ابن جريس).

(٢) أشكرك يا أستاذ عبدالهادي بن محني على هذا الإطراء الذي فعلاً لا أستحقه، لكن طيب خُلقك، ولطف معشرك جعلك تقول ما دونته أعلاه. وأعلم بارك الله فيك أن بلادنا وأهلنا في حاجتنا فكل واحد منا يقدم ما يقدر عليه ويستطيع. وكوني أعمل في ميدان البحث والتدريس بالجامعة منذ منتصف تسعينات القرن (١٤هـ/٢٠م) فقد أكرمني المولى عز وجل، أن أعمل في التدوين والتأليف، ورأيت أن الأوطان الجنوبية

حين استهل جزأه الأول بدأه بالحديث عن أعلام ورواد يشار لهم، هم عبد المالك الطرابلسي، ومحمد أحمد أنور، وعبد الله ابن إلياس[١]، وهذه لمحة عن رجال ذلك العصر وأحواله تحسب للدكتور غيثان بن جريس، وكما قال العقاد: إن الكتابة عن الأعلام الذين رحلوا هو وفاء للشموس الغاربة، وذكرى للأيام الذاهبة، ولو لم يكن فيه إلا أنه جزاء كريم لمن كف الموت أيديهم عن الجزاء لكان جديراً من الأحياء بالجزاء الحسن والثناء الجميل، فقد تركوا لنا جوابهم المحفوظ في سجل الخالدين، هم الثلاثة الذين نقل المؤلف عنهم وسجل سيرهم ورسائلهم ومدوناتهم هم والله كذلك، والذي لولاه لم نكن لنهتدي إلى ما كتبوه ودونوه عن جنوب البلاد السعودية في مرحلة التأسيس[٢]، فقد أفرد المؤلف لهم صفحات في كتابه وعرف بهم وبرسائلهم وبمذكراتهم، وبعض القرارات الرسمية أيضاً قام بنشرها في الكتاب الأول من هذه الموسوعة[٣]، وتالله لم أقرأ بأجمل من الرسائل العشر لأنور (رحمه الله ومن قال آمين) التي أرسلها للمؤلف عن عصره[٤]، أما القول الثاني المكتوب فكان بثمان رسائل وأربعة مدونات لإبراهيم بن محمد بن فائع الألمعي حول أجزاء من تاريخ عسير الحديث والمعاصر، هي التي أسعفني الوقت لقراءتها من هذا الجزء[٥]، أما القسم الرابع فلفت انتباهي فيه بعض الرحلات

السعودية (تهامة والسراة) من أقل البلدان في شبه الجزيرة العربية خدمة في ميدان البحث وتوثيق تاريخها وحضارتها. عندئذ بدأت أعمل منذ مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) وأجمع وأوثق بعضاً من تراثها وموروثها الفكري التاريخي والأدبي والحضاري، ووجدتها بلاداً ذات عراقة وحضارة كبيرة، ويعجز الفرد أو الأفراد أن يدرسوا ويوثقوا مخزونها التراثي والعلمي العظيم، والواجب على الجامعات ومراكز البحوث العلمية أن تلتفت لضخامة وكثرة موروثها الثقافي والحضاري ثم تعمل على حفظه ودراسته. (ابن جريس).

(١) هؤلاء الأعلام الثلاثة (الطرابلسي، ومحمد أنور، وابن إلياس) من أعلام منطقة عسير وروادها في القرن (١٤هـ/٢٠م) وكل واحد منهم يستحق أن يصدر عنه رسالة أو كتاب مستقل، آمل أن نرى مؤرخين وباحثين جادين يقومون بذلك. (ابن جريس).

(٢) ما زال في عموم السروات وتهامة أعلاماً قدموا الكثير لدينهم وبلادهم وأهلهم، ويستحقون أن يكتب تاريخهم وتوثق سيرهم. وقد اطلعت على آلاف الوثائق التي تذكر الكثير منهم خلال القرون الثلاثة الماضية (١١-١٤هـ/١٧-٢٠م)، كما لا تخلو كتب التراث الإسلامي المبكرة والوسيطة من شذرات محدودة عن بعض أعلام هذه البلاد العربية الماجدة خلال العصور الإسلامية المبكرة. (ابن جريس).

(٣) يقصد صاحب هذه الورقة أي قرارات المجلس البلدي في منطقة عسير من الستينيات إلى مطلع الثمانينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) فقد حققت ثم نشرت في الجزء الأول من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) في طبعتيها الأولى والثانية. (ابن جريس).

(٤) رسائل الأستاذ محمد بن احمد أنور مليئة بالمادة العلمية الجيدة التي تؤرخ لموضوعات عديدة في منطقة عسير خلال القرن الماضي، وجزء من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، آمل أن تدرس وتحقق، وتستحق أن تكون موضوعاً لرسالة ماجستير أو دكتوراه. (ابن جريس).

(٥) أيضاً رسائل الأستاذ إبراهيم بن محمد بن فائع الألمعي لا تقل في جودتها العلمية عن رسائل الأستاذ محمد أنور، ولا يستغرب من ابن فائع فهو الطالب النجيب المقرب من استاذه محمد أنور، بل اقتدى به في الكثير من صفاته وسلوكياته وأخلاقياته. ورسائله أيضاً تستحق أن تكون موضوعاً لكتاب أو رسالة علمية جامعية. (ابن جريس).

التي قام بها المؤلف في أوقات سابقة، فأقول لنفسي حبذا لو جمعها هي وغيرها في مجلد واحد بدلاً عن كونها متناثرة[١].

وبعد عام تقريباً من صدور القول المكتوب الجزء الثاني، صدر الجزء الثالث من هذه السلسلة وكان عنوانه عن عسير ونجران، وقسمه المؤلف إلى تسعة أجزاء الأول ورقات من التاريخ العسيري في الوثائق والمدونات، والقسم الثاني تصويب ونقد تاريخي عن القول المكتوب في جزئية (الأول والثاني) . هذا، وأقول ان غيثان بن جريس أصل للنقد التاريخي في كتابه وهو من فرسانه المعاصرين، والنقد عنده في هذا المؤلف أكثر من التقريظ، وكما قال غازي الفقيه "أن صاحب القول المكتوب نال به قصب السبق في تسليط الضوء على بقعة غالية من وطننا الكبير"[٢]. أما القسم الثالث عن نجران ومؤسساتها وخلاصة تاريخية عنها، وجاء القسم الرابع عن أقوال من سكنوا نجران وأقوال أهلها، ووجهة نظر الرحالة وكتب السير اليمنية عن عسير ونجران أتت في القسم الخامس، أما القسم السادس فهو بما احتوته مكتبة المؤلف من فهرس لبحوث ووثائق غير منشورة عن عسير ونجران، وأخيراً ما جاء عن هذين الموقعين في الوثائق الإدارية والاقتصادية في منتصف القرن الماضي[٣].

استمر غيثان بن جريس في إكمال أجزاء كتابه، ففي عام (١٤٣٣هـ/٢٠٢١م) أصدر الجزء الرابع، لكن هذ المرة عن جازان والقنفذة مع عسير، وقسمه كما فعل في الاجزاء الثلاثة السابقة، وبدأ أول ما بدأ بالتركيز على جازان في عيون الرحالة ومدوناتهم عنها من القرن الثالث الهجري حتى القرن الخامس عشر، ثم حل تلك الرحلات وتأملها وقام بالمقارنة وما أحوجنا إلى من يقتفي أثر غيثان بن جريس وينتهج

(١) شكراً لك يا أستاذ عبد الهادي على هذا الاقتراح، وما أشرت إليه هو حالياً من مشاريعي العلمية المستقبلية، أرجو أن ترى هذه الرحلات النور وتصدر في كتاب مستقل من عدة مجلدات. (ابن جريس).

(٢) كم نحن في حاجة النقد الإيجابي الذي هدفه البناء وإصلاح العيوب والأخطاء. والانسان لا يعتد بأي عمل قدمه، وإنما كل عمل يقدمه البشر يشوبه النقص والعيب. وفي القرآن الكريم والسنة النبوية الكثير من البراهين التي تحث الإنسان على مراجعة نفسه وأعماله بين الفينة والأخرى، والواجب على كل إنسان أن يحاسب نفسه بنفسه من أجل الوصول إلى العمل الأفضل والأحسن الذي يفيده في الدنيا والآخرة. ونسأل الله عز وجل أن يعيننا على محاربة نفوسنا وهدايتنا إلى الطريق السليم المستقيم في كل أمورنا العامة والخاصة (ابن جريس).

(٣) أقوم بجمع الوثائق من داخل المملكة العربية السعودية ومن خارجها منذ أكثر من أربعين عاماً. وما زال هناك عشرات الآلاف من الوثائق المتناثرة عن بلادنا في أمكنة عديدة مثل مكتبات الأسر والبيوتات العلمية، وعند شيوخ القبائل وأعيانها، وعند معظم الأفراد والأسر في جميع أنحاء الوطن. وهناك الكثير من الوثائق في دور الأراشيف والمكتبات العامة والخاصة داخل المملكة وخارجها، وهذا ما عرفته واطلعت على بعضها خلال رحلاتي العلمية الداخلية والخارجية. (ابن جريس).

منهجـه[١]، ثـم ألمح إلى فهرس لوثائق عن جـازان في مكتبته، وعنـون القسم الذي جاء بعـد ذلك وفي نفس الموضوع بأقـوال بعض من عرف جازان وعسير ومن عاش فيهما، ثم تحـدث عن العمـارة التقليدية الجازانية، وابن معبر كان قولـه عن الصناعات والحرف في خميسـ مشيط خلال عشر سنوات قرابـة عقد من الزمن أو أكثر من (١٣٨٧هـ) إلى سنـة (١٣٩٧هـ)، أما العادات والتقاليد في بلاد بلقـرن سبت العلاية وضواحيها فكتبها الأستـاذ عبدالرحمـن بن حامد القـرني، ولا يشابه العادات في بلقـرن، الا تاريخ الناس جنـوب منها في النماصـ في تسعينيات القرن الهجري الماضي، فقد كتبها ابن جريس في قرابـة عشريـن صفحة[٢]، ثم أورد سـيرة علمين من عسير يحملان مـن العلم والثقافة شعلـة لم تنطفـء في زمانهما هما عبدالله بن حميد وابنه محمد، وكتب مادة هذا المحور بعض ممن عاصرهما[٣]، وأشار غازي الفقيه في انتقاداته على كتاب بلاد القنفذة خلال خمسـة قـرون، والقول المكتوب في جـزءه الثاني، استعجال غيثان بـن جريس في إصدار مؤلفاتـه تباعـاً، ولم يترك مدة كافية لقرائه كي يستوعبوا ما كتب ويحكمون عليها بروية وتأن. ونحن أيضاً مع ممن يغبطون غيثان بن جريس على نشاطه العلمي المحمود[٤].

وفي غرة ربيع الثاني من سنة أربع وثلاثين وأربع مئة وألف فاجأ ابن جريس قُرّاءَة ومتابعي نتاجه العلمي بخروج القول الخامس، وهذه المرة كان عنوانه عن منطقة الباحة (غامد وزهران) مضافة إلى منطقة عسير، وبدأه كما فعل في سابقة عن جازان وبنفس الطريقـة، وليسـ ذاك بغريب فهذه سلسلة يجب أن تكون متشابهـة، وأنا هنا لا أنتقده. ثم وثق دراسة بعنوان: "الباحة في عيون بعض الرحالين" وذكر منهم عشرين رحالة[٥].

---

(١) رحلات الرحالة في جنوب شبه الجزيرة العربية من المصادر المهمة، واحتوت على مواد علمية وتفصيلات تاريخية وحضارية يصعب أن نجدها في أي مصدر آخر. (ابن جريس)

(٢) التاريـخ الاجتماعـي في بلادنـا السروية والتهامية موضـوع حضاري مهم وكبير، يستحـق أن يجد العناية والرعاية من المؤرخين الجادين، ومن مراكز البحوث العلمية الجامعية. (ابن جريس).

(٣) عبـدالله بـن حميد وابنه محمد من أعلام جنـوب المملكة العربية السعوديـة وأمثالهم كثيرون، وجميعهم يستحقون أن تكتب سيرهم، وما قدموا من خدمات متنوعة لدينهم وبلادهم. (ابن جريس).

(٤) الحديـث يـا عبد الهـادي عن استعجالي وتتابـع إصداراتي موضـوع أسمعه منذ ثلاثين عامـاً ولا أنكر أن الاستعجال في إصدار الأعمال العلمية قد يوقع صاحبها في الأخطاء الكثيرة، أو النقص أو الغموض. ويجب علـى كل إنسـان أن يجتهد في إتقان عمله، وأن يحمل صدقاً ونية صالحـة في ما يقدم ويقوم به، والعمل في الفكـر والثقافة، والبحث العلمي من أرفع المراتب التـي يتعامل معها الانسان. وأنا أعمل وأجتهد راجياً من الله عز وجل أن يعينني ويهديني إلى الحق والصواب، وإن وقع مني عيب أو نقص أو غموض فأسال الله أن يغفر لي، وأن يجعل ما أقوم به حجة لي لا حجة عليّ يوم ألقى الله (عز وجل). (ابن جريس).

(٥) بـلاد الباحـة (غامد وزهران) وما يقع جنوبها وشمالها لم تنل اهتمامـاً كبيراً من الرحالة عبر العصور، ربمـا الصعوبـة تضاريسهـا، وانعزالها في قـرون مضت. مع أنها مـن شمال أبها إلى جنـوب الطائف كنز تاريخـي حضـاري كبير يستحق منا معاشر الباحثين والمؤرخين والآثاريـين، ومن جامعاتنا المحلية أن تبذل

وأشكر ابن جريس فقد بذل جهداً كبيراً في هذا المبحث، ومن يقرأه سيجد ما قلته حقاً، ثـم ألمـح إلى الباحة خلال العصور الاسلامية المبكـرة والوسيطة والحديثة، ووقف عدة وقفات مع آثارها وأورد صفحات تاريخية لبعض مؤسساتها[١]، وشدني للقراءة ما كتبه هنا أحد أبناء غامد وزهران، إنه الأستاذ علي بن سدران الزهراني، فهو يكتب بطريقة عميقـة مختلفة أثـارت إعجابي، ودراسته النقديـة؛ عن تاريخ تهامـة والسراة تحديداً منطقة الباحة التي كتبها غيثان بن جريس في وقت سابق، ثم قام ابن سدران بتصويبها وقد قرأتها مرات عديدة فوجدت صاحبها لا يجامل في الحق، وله خلفية ثقافية عجيبة ولديه علم كثير[٢]، كما لفت انتباهي في هذا الجزء الخامس ما كتبه الأستاذ محمد بن مُعَـبِّر عن صناعة المصادر التاريخية في القول المكتـوب، عنوان جديد وإبداع في الطرح لدى الأستاذ ابن معبر[٣].

وفي عـام (١٤٣٥هـ) صدر الجزء السادس من هذه السلسلة: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**، وكأن غيثان بن جريس في سباق مع الوقت، وهذه المرة كتب عن نجران وعسير وجازان، وفي نفس العام (١٤٣٥هـ) صدر الكتاب الذي يليه من سلسلته (الجزء السابع) وعنوانه الباحة وعسير ونجران.

ومنتقـدو المؤلف لهـم فلسفة خاصة في انتقاده، فهم لا يرون صواب خروج أكثر من مُؤَلَّف في العام الواحد، وأترك الرد لابن جريس[٤].

جهـوداً كبـيرة من أجل البحث عن مـوروث هذه البلاد في شتى الجوانب ثم حفظـه ودراسته ونشره لأهلنا وطالبات وطلاب العلم في كل مكان. (ابن جريس).

(١) إن التاريـخ التنمـوي والاداري والحضاري لعموم بـلاد السراة وتهامة في العصـر الحديث والمعاصر، من المجالات الجديدة، وجديرة أن يصدر عنها عشرات الكتب والبحوث العلمية. (ابن جريس).

(٢) هـذه الحقيقـة يا ابن مجني فالأستاذ علي بن سدران مدرسة في تأليفه وجهوده البحثية. آمل أن نرى أحد أبنـاء غامد وزهران، أو أحد المؤرخين المعاصرين فيكتب سـيرة وتاريخ هذ الرجل في خدمة العلم والبحث العلمي وبخاصة في ما يتعلق ببلاده (منطقة الباحة) وهو يستحق ذلك.

(٣) أن الأستـاذ محمـد بن أحمد بن معبر مدرسة أخرى في ميدان البحـث والتأليف ويستحق أن تكتب جهوده في خدمة التاريخ والحضارة الإسلامية، وكذلك التراث العربي والاسلامي فالرجل له من الجهود العلمية، والإنجـازات البحثيـة ما يستحـق أن يدرس ويوثق في كتب ودراسات عديدة. آمـل أن نرى من الباحثين، أو طالبـات وطلاب الدراسات العليا من يتخذ هـذا الرجل (ابن معبر)، موضوعاً لبحثه في رسالة ماجستير أو دكتوراه. (ابن جريس).

(٤) يـا أخـي الكريم إن الناقدين كثيرون، وربما قالوا ذلـك، رغبة في خروج أعمال علمية أكثر عمقاً ورصانة. وأي عمـل يستغرق وقتـاً أطول من المراجعة والتدقيـق والتمحيص بدون شك سوف يكـون أفضل في مبناه ومحتواه. ويعلم الله أنني أجتهد بكل ما أستطيع في خروج دراساتي وأبحاثي بصورة طيبة وجيدة، ولا أزكي نفسي، لكنني أعمل وأطلب الأجر من الله عز وجل، كما أطلب من كل الباحثات والباحثين إذا وجدوا عيوباً أو أخطـاء في أعمالي العلمية المطبوعـة والمنشورة أن يرشدوني إلى هذه الأخطاء وسوف أكون شاكراً لهم،

وفي مطلـع هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) صدر رقمياً الجزء قبـل الأخير على ما يبـدو، لأن أستاذنـا غيثـان بن جريـس ينوي إكمـال موسوعته حسب ما ذكـر ليختمها فيكـون القول الخامسـ والعشرون هو مسك الختام لهذا الكتـاب الكبير والضخم، وقد استهـل الرابـع والعشرين منـه بالفهرست وقدم لكتابـه وقسمَه إلى عدد مـن الأقسام بدأهـا ببحثين عن جنوب شبه الجزيرة العربية في العصرين القديم والإسلامي المبكر. أولاهمـا النصرانيـة في جنوب شبـه الجزيرة العربيـة في ضوء رؤية المـؤرخ البيزنطي فيلوستورجيوس حوالي(٣٦٨-٤٠٠م)، من إعداد أ. د. عبدالعزيز محمد رمضان.

أمـا البحـث الآخر فـكان عن نقوشـ إسلامية مؤرخـة في القرنين الثـاني والثالث الهجريـين بمركـز الثنية في بيشة بقلم الأستاذ محمد بن جرمـان العواجي الأكلبي، ثم دراسة قدمتها الاستاذة سمية سعيد محمد آل عبيد عن الحياة الاقتصادية في الطائف منذ الهجرة النبوية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين عام (١-٤٠هـ)[١].

توالـت بعد ذلك عدد من الدراسات في تاريخ عسير الحديث والمعاصر خلال ثلاثة قـرون مـن الثالث عشر الهجـري إلى الخامس عشر، فعرج المؤلـف على بلاد عسير في عيـون الرحالة الأوروبين، ثم بعدها مدونة كتبها الأستاذ يحيى بن حسن بن مستور عن الجوانب الحضارية في عسير خلال القرن الرابع عشر الهجري، وقام غيثان بن جريس بتنسيقهـا وتحريرها، ثم أورد تعليقاً للدكتـور عبد المنعم علي ابراهيم عن كتاب: **تاريخ التعليـم العـام والعالي في منطقة عسير خلال عهـد الملك فهد بن عبد العزيز، (رحمه الله)**، بعد ذلـك توالـت الأقسـام والدراسات في هذا الجـزء، فكتب أ. د عباس بـن علي السوسوة دراسة علمية بحتة بعنوان: اللغة الهجين: دراسة لسانية اجتماعية جنوب المملكة العربية السعودية أنموذجاً[٢]. ومما يلفت النظر في هذا الجزء (٢٤) دراسة مترجمة من لغتها الأم إلى العربية قام بترجمتها الأستاذ يحيى بن عبد المطلب السيد عن رحلة من عسير إلى اليمـن كتبهـا روزيتا فوربس، تلى ذلـك دراسة تاريخية قام بهـا الدكتور زهير بن

وأقوم بإصلاح كل عيب أو خطاء. (والله من وراء القصد) (ابن جريس).

(١) كـم نحـن في أمس الحاجة لمعرفة تاريـخ وحضارة بلادنا (السـراة وتهامة) في عصور مـا قبل الإسلام، والقـرون الإسلامية المبكـرة والوسيطة، فكل ما كتب عن هذه البلاد في تلـك العصور ما زال قليلاً جداً أو نادراً. (ابن جريس).

(٢) لا ندعـي الكمـال في كل ما تم دراسته وتوثيقه ونشره، وإذا فحصنـا التاريخ الحديث لهذه البلاد السروية والتهاميـة، ففيهـا الكثير من الموضوعات الحضارية التي تستحق أن تدرس في أعمال علمية كبيرة ورصينة (ابن جريس).

عبد الله الشهري وهي دراسة مقارنة في كتابي الرحالة جون فيلبي وفيليب ليبنز[١]، ثم رحلة غيثان بن جريس إلى محافظة القنفذة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) التي دون من خلالها مشاهداته لمدينة القنفذة ومراكزها الإدارية الرئيسية: القوز، فالمظيلف، فدوقة، وحلي، وخميس حرب، وسبت الجارة، وأحد بني زيد، وأخيراً ثلاثاء الخرم، وقد أشار إلى مقتطفات من تاريخ المحافظة المعاصر، وتكلم عن جغرافيتها وحياة الناس، وذكر صوراً من تاريخ التعليم والثقافة والصحة[٢].

وفي نهاية الكتاب استعاد غيثان بن جريس عدداً من الذكريات والمشاهدات العلمية، وسيرته العلمية الخاصة، فنشرها في القسم السادس والأخير.

وقد تركزت تلك الذكريات على الأمكنة التي عاش بها الدكتور غيثان بن جريس، كبلاد النماص مسقط رأسه، ومدينة أبها التي استقر عيشه فيها وعمل بها، وأمريكا التي مكث فيها شبابه للدراسة سبعة أعوام من (١٤٠١هـ) حتى سنة (١٤٠٧هـ)، ثم المملكة المتحدة (بريطانيا) التي مكث فيها عامين (١٤٠٧-١٤٠٩هـ) لدراسة درجة الدكتوراه. كما ساح في عدد من البلدات والمدن داخل المملكة العربية السعودية منذ عام (١٤١٠هـ) حتى الآن (١٤٤٣هـ)، وسجل ذكرياته ومشاهداته عنها[٣].

إني هنا أستميح أستاذنا غيثان بن جريس عذراً عن قولي هذا، وما لاحظه بعض النقاد ممن عرفتهم من التكرار الذي يذهب إليه في كتاب (القول المكتوب) وكان ينبغي ألا يقوم بنشر مادة سبق نشرها سواء في مؤلفاته الأخرى أو في موسوعته هذه، وهو أولى مني بالرد والتبرير لذلك، لكني أقول أن هذا لا يضيره فهم إن كانوا رأوه من المخطئين لم يكن خطؤه إلا في اجتهاده[٤]. ويتساءل أحدهم ماذا لو قام

---

(١) الرحالة الأجانب حفظوا الكثير من تراثنا وتاريخنا وحضارتنا وبعض بحوثهم ترجمت إلى اللغة العربية، وما زال الكثير منها مكتوباً بلغاتها الأصلية الأجنبية. والواجب على مراكز بحوثنا المحلية أن تجتهد في نقل تلك العلوم من لغاتها إلى اللغة العربية، مع إضافة شروحات وتصويبات وتعليقات على ما جاء فيها من أخطاء أو نقص. (ابن جريس).

(٢) الرحلات العلمية الميدانية تساعد في دعم وإثراء أي دراسة. لكن على كل رحالة أن يكون صادقاً أميناً حيادياً في كل ما يوثق من خلال المشاهدة أو السماع ولا ينجرف خلف أي سبب من الأسباب. ومن لا يستطيع أن يتغلب على هواه ورغباته أثناء توثيق تاريخ مكان ما أو مجتمع، أو أمة فالأفضل أن لا يعمل في حقل الكتابة والتدوين والتوثيق التاريخي والحضاري (ابن جريس).

(٣) وثقت بعض الذكريات والمشاهدات خلال ستة عقود، مع تدوين خلاصة سيرتي العلمية. آمل أن يمد الله في العمر حتى أدون مذكراتي التفصيلية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. (ابن جريس).

(٤) أحياناً أجتهد في إعادة بعض الدراسات لأهميتها، ثم أضيف عليها بعض الشروحات والتفصيلات التي لم ترد في الدراسة نفسها عند نشرها لأول مرة. (ابن جريس).

الدكتــور غيثان بــن جريس بالاهتمــام بدراسة كتــب العقيدةٍ والحديث وعلــوم القرآن وأبلــى فيهــا بلاءه في التاريخ، ولــو فعل بهذه الهمة العاليةٍ بدلاً مــن التركيز على جنوب البــلاد السعودية (تهامة والسراة) لقدم للمسلمين يــداً جليلة، وأترك للأستاذ الكريم الــرد وفيما اطلعــت عليه من كتب المؤلف أنها حوت علوماً ومعــارف شتى، وفي مقدمتها العلــم الشرعي[1]، أضف إلى ذلك أن العلــوم الإنسانية جديرة أيضاً بالبحث والتقصي كالعلــم الشرعــي وممن رصدنا وجهــات النظر لديهم من أرباب القلــم، من يقول لماذا هذا الإفراط في التأليف، فليكن عملاً مركزاً ومنظماً في العام الواحد، بدلاً من كل تلك الكتــب التي تصدر بشكل سنوي، وطلب البعض أن تصل هذه الاقتراحات إلى غيثان بن جريس من باب إسداء النصيحة[2].

وأخــيراً لاحظــت بعد قراءة سريعة موجــزة للموسوعة أنهــا اشتملت على كثير من العلــوم والمعــارف، ولم تكن حكــراً على التاريخ ففيهــا دراسات عــن الأدب والجغرافيا والجيولوجيــا[3]، ومما خطر لي عندما اطلعت على الأجزاء الأخيرة من هذا المجلدات، وخصوصــا الجــزء الثامن عشر حتى الجــزء الرابع والعشرين أن بــلاد السراة وتهامة في كتــب الأخباريين والمصادر الكلاسيكية والأجنبية من قبــل الإسلام، وحبذا أن يقوم بعض الباحثين بترجمة ودراسة هذه المصــادر، وإن فعلوا فقد نطلع على معارف وحقائق جديــدة لم نعرفهــا مــن قبــل[4]. وفي النهايــة أقترح أن يكــون هنــاك فهارســ للأعلام والأماكن ليستفاد منها أسرع عند البحث تقنياً[5].

حرر في مدينة الرياض (١٧/٤/١٤٤٣هـ الموافق ٢٢/١١/٢٠٢١م)

---

(١) لقد كفيتني الإجابة يا ابن مجني فالعديد من كتبي ودراساتي لا تخلو من بعض المعلومات الشرعية. وأسأل الله ان يسخرنا لكل عمل صالح ومفيد ينفعنا في الآخرة قبل الدنيا. (ابن جريس).

(٢) أشكرك يا أستاذ عبد الهادي على هــذه النصائح، وأشكر من قال ذلك أيضاً، وهذه أقوال أسمعها منذ ثلاثين عامــاً، وقــد تكون سلبية كما تقول ويقــول غيرك. لكنني قلت في سطور سابقة من هــذا المحور، وفي كتب وبحوث صدرت خلال السنوات الماضية، أنني رجل مجتهد أخطئ وأصيب، ولا أدعي الإبداع أو التميز في كل ما أقوم به، وفي الوقت نفسه أطلب الله عز وجل أن يخلص جميع أعمالي وكتاباتي وأقوالي وأن يجعلها خالصة لوجه الكريم، كما اطلب الله أن لا يشوبها رياءٌ أو كذبٌ أو تزلفٌ أو تدليسٌ أو عملٌ لا ينفعني عند رب العالمين (ابن جريس).

(٣) بلادنا (السراة وتهامة) ثرية جداً بكل ما فيها من ثقافات، وحضارات وعلوم ومعارف، ولهذا فهي ميدان رحب وكبير جداً لإصدار انواع الدراسات والبحوث العلمية. (ابن جريس).

(٤) سبق الإشارة إلى أهمية المصادر الأجنبية، وأنادي وأكرر النداء في الجامعات المحلية ومراكز بحوثها على أن تخدم البحث العلمي في بلادنا بتشجيع ترجمة المصادر والبحوث الأجنبية التي تصب في خدمة تاريخنا وتراثنا وحضارة بلادنا. (ابن جريس).

(٥) اقتراحك جيد جداً يا عبد الهادي، وأفكر فيه منذ عدة سنوات، أرجو من الله عز وجل أن يوفقني ويعينني حتى أنجزه وتصدر فهارس تفصيلية وشاملة لهذه الموسوعة الكبيرة . (ابن جريس).

سابعاً: موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) النتاج العلمي (الغيثاني) المتفرد. بقلم أ. د. صالح بن علي أبو عراد[(١)].

الحمد لله الذي جاد وأنعم وتفضل وتكرم، والصلاة والسلام الأتمان الدائمان على خير معلم للبشرية، نبينا وحبيبنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعه ووالاه من عباد الله الصالحين، أما بعد:

فمنذ سنوات عديدة والأخ الزميل الأستاذ الدكتور/غيثان بن علي بن جريس الشهري يتفضل عليّ بإهداءات بعض من مؤلفاته التي يُشرف على إصدارها وإعداد مادتها العلمية والمعرفية[(٢)] وبخاصة التي تحمل عنوان موسوعته: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**.

وهي سلسلة من الأبحاث والدراسات والكتابات العلمية، النقدية التاريخية، والاجتماعية، والثقافية وترجع بداية صدور هذه الموسوعة إلى عام (١٤٢٦هـ) الموافق لعام (٢٠٠٥م)، واستمرت بفضل الله سبحانه وتعالى حتى بلغت إلى الآن (أربعة وعشرين) مجلداً تتناول في مجموعها جوانب مختلفة من تاريخ جنوب المملكة العربية السعودية (عسير، ونجران، وجازان، والباحة) إضافةً إلى ما اشتملت عليه بعض المجلدات من دراسات تخُص (القنفذة، وثلاث محافظاتٍ أخرى تتبع إداريا منطقة مكة المكرمة، وهي: (رًنية، والخُرمة، وتُربة) [(٣)].

---

(١) الدكتور صالح أبو عراد الشهري من مواليد مدينة تنومة عام (١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م) درس تعليمة الجامعي والعالي (البكالوريوس والماجستير) في أبها (السعودية) ثم الولايات المتحدة الأمريكية، وحصل على الدكتوراه من جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م). عملٍ في أعمال أكاديمية وإدارية عديدة، وهو حاليا استاذ متقاعد من جامعة الملك خالد، ويعمل استاذ متعاونا في قسمه (التربية) في كلية التربية، له عشرات المقالات، والبحوث والكتب في مجالات عديدة وأكثرها في التربية والتاريخ. وله أنشطة مجتمعية عديدة وبخاصة في وطنه ومسقط رأسه محافظة تنومة. والدكتور صالح على قدر كبير من حسن الخلق، وطيب المعشر، ولطف التعامل مع الآخرين. للمزيد عن سيرته الذاتية. انظر محمد بن أحمد مُعَبِّر. سيرة كتاب: إحتفاء بصدور عشرة أجزاء من كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)، ص ٣٠٠-٣٠٢.

(٢) الدكتور صالح أبو عرادٍ زميل دراسة في كلية التربية، فرع جامعة الملك سعود بأبها. نعم كنت قبله في الكلية بعامين أو ثلاثة تقريباً لكن كان عددنا بالكلية آنذاك قليلاً، فكنا نعيش سوياً في سكن الجامعة، وفي بعض المحاضرات الدراسية. والأخ صالح رجل محب للخير، متعاون مع زملائه، وكل من يعرفه. (ابن جريس).

(٣) الأخ صالح لخص هذه الموسوعة التي تقع في (٢٤مجلداً)، وفي أكثر من أربع عشرة ألف صفحة، وهي فعلاً كما أشار تحتوي على معارف عديدة عن بلاد السراة وتهامة الممتدة من مكة والطائف إلى جازان ونجران، وأسأل الله أن تكون من العمل النافع الذي أنال أجره من رب السماوات والأرض. (ابن جريس).

ولعـل من أبـرز ما تتسم به هـذه الموسوعة الكبـيرة عنايتها بدراسـة كل ما له علاقة بالـتراث التاريخي والفكري والحضاري والمجتمعي لهذه المناطـق (السروية والتهامية) في أزمنـة تاريخيـة مختلفـة، إضافة إلى تلك الملاحـق المنشورة التي تشمل علـى كم كبير من الوثائقَ المفهرسةً وعناوينها وما في حكمها من الخرائط والتقارير والخطابات ونحوَ ذلكً[١].

علـى الرغم من أن هذا العمل الموسوعي (الغيثاني) الجبار الذي تعجز عنه الكثير من المؤسساتِ العلمية والمراكز البحثية، قد نال الكثير من القبول والاستحسان؛ إلا أننا نتفـق جميعـاً أنه عملٌ وجُهدٌ بشريٌ لا يمكن أن يخلو مِـن بعض المآخذ والملحوظات التي يُمكـن أن تؤخذ عليـه أو تُلاحظ على محتواه انطلاقاً من إيماننـا بأن الكمال لله تعالى وحده، وأن أي جهدٍ بشري يكون بطبيعة الحال عرضةً للنقص والخطأ والقصور[٢].

ولعلـي أُشيرُ في الأسطر التالية إلى عددٍ من النقاط التي يمكن أن نؤكد عليها فيما يخص شخصية المؤلف، وفيمـا تتسم بها محّتويات هذه الموسوعة التاريخية الحضارية الغيثانية على وجه العموم، ومنها:

أولاً: الهمة العالية والصبر والجَلَدَ والمتابعة الدقيقة التي عرفتها عن أخي الدكتور غيثان بن جريس، وعايشتها عن قُرب لفترة ليست بالقصيرة من الزمن، فهو يعمل على جمع وإعداد وطباعة وإخراج ونشر وتوزيع هذه السلسلة بشكل دؤوب ومُستمر دونما كلل أو ملـل، ويبذل في ذلك الشـأن الكثير من وقته وجهده وماله حرصـاً منه على متابعتها والعنايـة بها في مختلـف المراحل الكتابيـة والطباعية والإخراجية حتـى تكون بين يدي القـارئ في أفضـل صورة مُمكنـة، ولعلي لا أكـون مبالغاً إذا ما قلـت إن أخي غيثان بن جريس يُعد أنموذجاً فريدًاً في هذا الشأن[٣].

---

(١) مـا قمت بنشره من الوثائق والخطابات والتقارير نماذج قليلة ومحدودة، والبلاد الجنوبية السعودية فيها الآلاف مـن الوثائق، والتقارير والسجلات غير المنشورة، والمتناثـرة في أمكنة عديدة داخل المملكة العربية السعوديـة وخارجها. والواجب على مراكز بحوث الجامعـات المحلية أن تبذل قصارى جهودها للبحث عن أمكنـة هذه المصادر المهمة ثم جمعها وحفظها، ومساعدة الباحثـين والمؤرخين على تحقيقها ودراستها ثم طباعتها ونشرها . (ابن جريس).

(٢) أسـأل الله تعـالى أن لا يؤاخـذني بما أخطـأت أو قصرت فيـه في الموسوعة وغيرها. والانسـان كما أشار الدكتـور صالح معرض للزلل والخطأ. لكن الذي يطلع على النيات هـو الله، عز وجل. والله العالم أنني لا أعمل إلا ما أرى أنه ذو نفع وفائدة لديني وبلدي وأهلي. وأسأل المولى سبحانه أن يهدينا جميعاً إلى كل عمل صالح يقربنا من خالقنا (عز وجل). (ابن جريس).

(٣) أنني يا أخي الغالي صالح أبو عراد أجتهد، والخطأ وارد لا محالة. وبلادنا وحكومتنا قدمت لنا الكثير من الدعـم والرعاية والتشجيع، والواجب أن نرد الجميـل لخدمة أوطاننا بما نستطيع، ونسأل الله أن يسخرنا لكل عمل صالح ومفيد لديننا وبلادنا. (ابن جريس).

ثانياً: الإفادة الإيجابية من أكبر عدد ممكن من الكتاب والباحثين والدارسين في مختلف المجالات العلمية والمعرفية ذاتٍ العلاقة بموضوع هذه الموسوعة التاريخية الحضارية، ولعل أكبر دليل على ذلك أن كثيراً من الأبحاث والدراسات والكتابات والمشاركات عن تلك المناطق تكون-في الغالب- منشورةً في هذه السلسلة بأقلام أبنائها أو المهتمين بالكتابة عنها وعن تاريخها؛ أو المعنيين بدراسة تُراثها وأوجه الحياة الفكرية فيها، وبهذا يكون غيثان بن جريس قد خدم أولئك الباحثين والمهتمين بإتاحته الفرصة لهم مرات ومرات حتى يُشاركوا من خلال هذه السلسلة الرائدة في نشر أبحاثهم، وطرح أفكارهم، وإبداء وجهات نظرهم وتعليقاتهم، وتدوين ملحوظاتهم وتصويباتهم العلمية التي قد تكون مُتفقةً مع ما كتبه أو مختلفةً ومتعارضةً معه، وهو مع ذلك لا يتوانى عن قبولها ونشرها لهم[1].

ثالثاً: الثراء العلمي والتنوع المعرفي الملحوظ الذي اشتملت عليه هذه السلسلة الموسوعية من المحتوى العلمي والثقافي الضخم الذي يعتني في مجمله بالرصد التاريخي الوثائقي للماضي، والحديث العلمي الموثق لمختلف الجوانب الحياتية في الوقت الحاضر، إضافةً إلى ما يتسم به ذلك المحتوى من التنوع الجميل في مصادره ومراجعه العلمية المعتبرة، وما يمتاز به ذلك المحتوى من التنوع الملحوظ في طرح موضوعات تلك الدراسات والكتابات المنشورة، وما تشتمل عليه من الآراء، والأفكار، والتعليقات، والتصويبات، والاقتراحات، والنقاشات، والطُروحات الثقافية المتنوعة[2].

رابعاً: أنها بمثابة قناة نشر علمية موثوقة للكُتاب والباحثين والدارسين وطلبة العلم منذ صدورها عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) وحتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) بل إنهم يجدون فيها متنفساً للطرح العلمي والنقاش المعرفي المُثمر في ميادين علمية ومعرفية وثقافية شاملةٍ ومتعددةٍ، وإن كانت في الأصل مهتمةً بالمجال التاريخي بمعناه الواسع[3].

---

(١) هذا الذي نعمل ونسعى إلى تحقيقه، فبلادنا ثرية بحضارتها وتاريخها، وبناتها وأبناؤها هم من يجب أن يخدموا بلادهم وموروثهم الحضاري. وقد وجدت الكثير من الباحثين الذين شاركوا معي في هذه الموسوعة على قدر كبير من المسؤولية والاهتمام الذي يدفعهم إلى توثيق صفحات من تراثهم وحضارة أوطانهم. (ابن جريس).

(٢) أرجو أن تكون هذه الموسوعة عملاً مفيداً لحفظ شيء من تراثنا وحضارتنا كما أرجو أن تجد فيها الأجيال الحاضرة والمستقبلية معارف وعلوماً تساعدهم على إنجاز أعمال ودراسات أشمل وأفضل وأعمق، وبلادنا السروية والتهامية مخازن كبيرة لشتى العلوم والمعارف، وهي تستحق أن تخدم في كل المجالات. (ابن جريس).

(٣) هي فعلاً مهتمة بالميدان التاريخي والحضاري عبر العصور، لكنها أيضاً وعاء لأي بحث علمي مفيد لخدمة أرض وانسان جنوب المملكة العربية السعودية (تهامة والسراة)، مهما كان نوع هذا البحث ومجاله الدقيق. (ابن جريس).

خامساً: النمـط التأليفـي المتميـز وغير المسبـوق (على حد علمـي) لمجلدات هذه السلسلـة الموسوعية التي تمتاز بأنها تعتمد في تأليفها على منهجيةٍ متفردةٍ لترتيب نشر الأبحاث والموضوعات وما في حُكمها[١].

وهنـا اغتنم الفرصـة للإشـارة إلى أن من أهم مـا ينقص النمـط التأليفي لهذه السلسلـة (وآمـل أن يتمكن أخي غيثان بـن جريسٍ من استدراكـه في المستقبل) إغفال عُنصـر الصـورة الفوتوغرافية التي نعلم جميعـاً أنها تُعدُ مـن أداوت العصر وتقنياته الحديثـة التي لا يُمكن إنكار حضورها، وأهميتها، وجاذبيتها، ودورها الفاعلِ والإيجابي في التأثير المباشر أو غير المباشر ودعم الحقائق المكتوبة، ولا سيما أن كثيراً من الصور قد تُغني في دلالتها ومعناها ورسالتها عن ألف كلمة كما يُقال، وليس هذا فحسب؛ فكلنا نعلـم أن الحكمة العربية تقول: (ليس من رأى كمن سمع)، وفي هذا دلالةٌ واضحةٌ على أهمية عنصر الصورة وقوتها، ودورها التأثيري عند القارئ[٢].

وختامـاً، فإن من الواجب علينـا أن نقول للمحسن أحسنت، وهـو ما يفرضه علينا الواقـع تجاه هذا النتاج العلمي الموسوعي الضخم للأخ الزميل الأستاذ الدكتور / غيثان بـن علي بن جريـس، وإصداره المتميز (القول المكتوب في تاريـخ الجنوب)، سائلين اللّهِ تعالى لنا وله القبول والتوفيق والسداد، ومؤملين أن يُصلح اللّه سبحانه وتعالى لنا جميعاً القـول والعمل والنية، وأن يجعل ما نقول ونكتب في موازين الحسنات، وأن تكون أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين[٣].

---

(١) هـذا اجتهـاد العبد الضعيف، الذي يرجو توفيق وعون مولاه (عز وجل)، وأسأل اللّه أن أكون قد أصبت في ما فعلت، أو نلت نصيباً لا بأس به من الصواب وسلوك طريقِ الحق والرشاد. (ابن جريس).

(٢) كلامـك واللّه يـا دكتـور صالح حقيقـة، فلم تـدون إلا صدقاً، وقد بـدأت في دعم بعض أعمـالي بالصور الفوتوغرافيـة. فهـذا كتاب (جامعة الملك خالد) صدر في جزئين وفيـه عشرات الصور. وأعمل حالياً على إصـدار المجلد رقم (٢٥) من الموسوعة، وسوف يحتوي على عشرات الصور لمعالم كثيرة في مناطق عديدة مـن جنوب المملكة العربيـة السعودية. وأشكرك يا دكتور صالح على هذه النصيحة والحرص، ولا يستغرب منك ذلك، فقد عرفتك ناصحاً أميناً. (ابن جريس).

(٣) أسأل اللّه يا دكتور صالح أن يقبل دعواتك، وأن يخلص لنا الأعمال والأقوال، وأن يرحمنا برحمته إنه على كل شيء قدير، وصلى اللّه وسلم على رسول اللّه. (ابن جريس).

ثامناً: الحلم الذي أصبح حقيقة: بقلم أ. محمد بن جرمان العواجي الأكلبي(١).

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، نبينا محمدًا ﷺ وعلى آله وصحابته الغر الميامين .. وبعد..

أهدى لي الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس الجزء الرابع والعشرين من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) وقال لي: أن الجزء الخامس والعشرين، ربما يكون الجزء الأخير من هذه الموسوعة(٢)، وإذا عندك أي ملحوظات أو اقتراحات تؤدي إلى تطوير الموسوعة مستقبلاً، فأرجو أن تبعث بها إلينا(٣)، وما عَلمَ أخي الكريم أن البحر لا يطلب مددًا من الجدول الصغير، وأن الأعمال الموسوعية الكبيرة، لا يقوم بها في الغالب إلا القلة من العلماء، ممن تحلوا بالصبر والحرص والجلد، ولم تشغلهم زخارف الحياة ومُتعها الفانية، عن طلب العلم وخدمة أهله، أمثال الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس، فهو فريدٍ دهره، ومؤرخ عصره(٤)، ولولا علمي أنه لا يحب المديح، ويكره الثناء والإطراء، لذكرت شيئاً من صفاته ومحاسنه العلمية، والخلقية، التي عرفتها، من خلال تعاملي معه عن قرب(٥).

أما الكلام عن: **موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب**، فإن اسمها يغني عن شرح مضمونها، ومحتوياتها، فمن الصعوبة بمكان أن نستعرض في هذه العُجالة، سلبيات وإيجابيات هذه الموسوعة التاريخية الضخمة، التي تتكون من خمسة وعشرين جزءًا

---

(١) الأستاذ محمد بن جرمان الأكلبي من أعلام محافظة بيشة، بل الابن البار لهذه البلاد العربية، ذات التاريخ والعراقة، فقد خدم أرضها وسكانها بالعديد من البحوث العلمية الرصينة؛ عرفته من مؤلفاته قبل ربع قرن، وقابلته شخصياً في محافظة النماص قبل عامين (١٤٤١هـ/٢٠١٩م) وبعد ذلك صار لي معه اتصالات ولقاءات، ثم طلبته أن يشارك معي في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) فلم يتأخر، وصدرت مشاركته الأولى في الجزء الثامن عشر من الموسوعة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، واستمر في تزويدي بالعديد من الدراسات القيمة في الأجزاء التالية من (١٩-٢٥). وأسأل الله أن لا يحرمه أجر ذلك. كما أرجو من الأخ محمد بن جرمان أن يضاعف جهوده المباركة ويصدر دراسات أكثر وأعمق عن محافظة بيشة، فما زالت بكراً في علوم عديدة، وبخاصة الدراسات الأثرية والتاريخية الحضارية (الإدارية، ولاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية، والتعليمية، والفكرية، والثقافية). (ابن جريس).

(٢) نعم ربما جزء (٢٥) يكون آخر أجزاء هذه الموسوعة، وحتى كتابة هذه السطور، لم أجزم. وأسأل الله أن يدلني إلى كل خير وصواب ويعود عليّ بالأجر والثواب من رب العباد. (ابن جريس).

(٣) انني، والشاهد الله على ما أقول وأكتب، لا أبحث إلا عن النقد الذي يبني ويفيد حتى يخرج العمل في أحسن صوره، والإنسان يخطي ويصيب، لكن الأهم أن يتعلم من العيوب والزلات التي يقع فيها بقصد أو دون قصد. وعندما طلبت من الأستاذ الأكلبي هذا الطلب فذلك لعلمي أنه رجل صادق وباحث جيد، ويدرك معنى الكلمة، ولن يقول لي (بإذن الله) إلا ما يراه صالحاً وصائباً في خدمة العمل العلمي الحيادي والشفاف. واسأل الله أن يخلص لنا جميعاً الأقوال والأعمال إنه على كل شيء قدير (ابن جريس).

(٤) غفر الله لك يا أخي محمد، فوالله إنني لا أستحق هذا الثناء والإطراء، وإنما أنا عبد فقير، أرجو رحمة ومغفرة المولى (عز وجل) واسأل الله أن يسخرني لكل خير، إنه نعم المولى ونعم النصير (ابن جريس).

(٥) أسأل الله لي ولك التوبة والرحمة والمغفرة، كما أسأله أن يستعملنا ربنا في عبادته ومرضاته. (ابن جريس).

كل جــزء لا تقل صفحاته عــن (٦٠٠) صفحة تقريباً، أي في حــدود (١٥٠٠٠) صفحة، وكذلك كل جزء تتراوح أقسامه من خمسة إلى تسعة أقسام، فهذا عمل موسوعي كبير، لا يقدر على إنجازه إلا الهيئات العلمية، والمراكز المتخصصة[١]، ولكن الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس أصر على تحقيق هذا الحلم الكبير، فكان له ما أراد، وهذا بفضل الله تعالى وتوفيقه، ثم جهود هذا الرجل المخلص، لدينه ومجتمعه ووطنه، وتاريخ أرضه[٢].

مــع أنني على يقــين تــام أن الأستاذ الدكتــور غيثان بن علــي بن جريس حــين أصدر الجزء الأول من هذه الموسوعة عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، لم يكن يتوقع أن يصل هذا العمل الموسوعي في عام (١٤٤٣هـ /٢٠٢١م) إلى الجزء الخامس والعشرين. لكنها همم العظماء، وأحــلام العباقرة، والإصرار على تحقيق الأهداف الساميــة، وإخلاص النية، فمن أخلص نيته لله بارك الله في جهده وعمله، وهذا ما نظنه ونحسبه ولا نزكي على الله أحداً[٣].

(*) وإن كان لي من اقتراحات في هذه العُجالة فإنني أقترح:

أن تجمــع التوصيات (الغيثانية) التي لا تخلــو منها صفحة من صفحات الموسوعة، ثم تفهرس حسب الموضوعات وتوضع في كتاب مستقل، ليسهل الاطلاع عليها من طلاب وطالبــات الدراسات العليا للاستفــادة منها، فتركها مبعثرة في صفحات الموسوعة يقلل الاستفادة منها، وفيه نوع من الصعوبة على الباحثين[٤].

---

(١) لقد عملت وحاولت العمل بجد وإخلاص، لكنني لا أبرئ نفسي وهذه الموسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) مــن الأخطاء والزلل والعيــوب. وأسأل الله أن يعينني على إصلاح ما يمكن إصلاحه، كما أرجو المولى عز وجل أن يسخر لها باحثين ودارسين جادين حياديين منصفين يصلحون ما فيها من أخطاء وعيوب. (ابن جريس).

(٢) يا أستاذ محمد بلدنا قدم لنا خدمات كثيرة جداً، مادية ومعنوية. كما أن أرضنا وأهلنا في عموم (السراة وتهامة) لهــم علينا واجبات فنرد لهم الجميل، ويعمــل كل في مجاله أو تخصصه الذي قضى فيه عقوداً عديدة. وكنت قد تخصصت في علم التاريخ والحضارة قبل حوالي خمسين عاماً، وتعلمت في مدارس وجامعات عديدة داخل بلدي (المملكــة العربية السعودية)، وخارجه. ومن ثم رأيــت أن وطني الكبير، ووطني الصغير (السراة وتهامة) تحتاج مني تقديم بعض العلم والمعرفة التي تصب في دراسة تاريخ وتراث وحضارة هذه البلاد، لهذا اجتهدت، وأعلم أن اجتهــادي محــدود، لكن بذلت ما في وسعي وما زلت، وأرجــو أن يكون في ما قدمت نفعاً لديني وبلادي وأهلي. كما أرجو أن يجد فيه طلاب العلم ما يخدمهم في أعمالهم العلمية الموثقة والرصينة. (ابن جريس).

(٣) أســأل الله يــا أخي محمد بن جرمان الأكلبي صــلاح النية والعمل الخالص لوجهه الكــريم، كما أرجو أن يبعدنــا ويجنبنــا أي عمــل يشوبه تزلفٌ، أو رياءٌ، أو كــذبٌ، أو تدليسٌ، ويجعلنا جميعــاً من الذين يستمعون القول الحسن فيتبعون أحسنه. (ابن جريس).

(٤) أشكرك يا ابن جرمان على هذه التوصية، وكم يحتاج المسلم إلى نصح إخوانه المؤمنين الصادقين، وأسأل الله أن تكــون منهم. وما أشرت إليه عين الحقيقة والصواب، وقد يطيل الله في العمر فيكون عملاً مطبوعاً ومنشــوراً، في قادم الأيــام، وإن لم أستطع فأسأل الله أن يسخر لهذا العمل من يراجعه، ويصوبه، ويضيف عليــه، ويشــرح الغامض أو الناقص فيه. كمــا أن هذا العمل الموسوعــي يحتاج أيضــاً إلى فهارس متنوعة ودقيقــة، حتــى يسهل الرجوع إليه والاستفادة منه. وهذا أمر أفكر فيه منذ سبع سنوات، وعندي الرغبة في

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن يجعل عملي وعملك خالصًا لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. محمد بن جرمان العواجي الأكلبي.

حرر في (١٤٤٣/٤/١٥هـ الموافق ٢٠٢١/١١/٢٠م).

خامساً: آراء وتعليقات:

هذا القسم اشتمل على موضوعات متنوعة تناقش بعض الرسومات الصخرية والنقوش في جزء من بلاد بيشة، وتشابهات واختلافات في اللغة ببلاد اليمن، وأوطان السروات وتهامة الممتدة من حواضر اليمن إلى حواضر الحجاز. ثم توصيفات وتعليقات وتقريضات ونقدات لموسوعة تاريخية حضارية تحتوي على عشرات الدراسات عن جنوب البلاد السعودية عبر عصور التاريخ القديم والإسلامي المبكر، والوسيط، والحديث، والمعاصر. ومن هذه البحوث خرجت بالعديد من النتائج والتوصيات التي أسردها في النقاط الآتية:

١. أن أراضي اليمن وتهامة والسراة قديمة في تراثها وحضارتها ولغتها وآدبها ومعارفها، وإذا كنت نشرت في هذا القسم نماذج من البحوث عن هذه البلاد، فذلك لا يمثل إلا جزءاً صغيراً جداً من الموروث الحضاري المحلي، وما زال الكثير منه متناثراً على سطح هذه الأراضي وفي باطنها.

٢. عالم الرسومات الصخرية والنقوش، والآثار المادية السطحية والمدفونة في بلاد تهامة والسراة لم تخدم بطرق علمية وجادة. وهذا الميدان يحتاج إلى دعم سياسي وإداري كبيرين، ثم إلى دعم مادي ومعرفي حقيقي. وكل هذه العوامل غير متوفرة حالياً، لكن بلادنا تحتاج إلى خلق هذه المقومات ثم دفعها إلى الأمام حتى تصبح أعمالاً تنفذ على أرض الواقع بهدف استخراج مكنونات البلاد التراثية والحضارية. وإذا كان هناك أفرادٌ قلائل قدموا بعض البحوث المحدودة في هذا المحيط الواسع لكن المشوار ما زال طويلاً، ويحتاج إلى هيئات وفرق عمل كبيرة تقوم على ذلك.

٣. أنَّ علم اللهجات والتراث اللغوي بحر واسع، وله صلات ويتأثر ويؤثر، بل يعد جزءاً أصيلاً من نسيج المجتمعات البشرية. وشبه الجزيرة العربية عرفت شعوباً عديدة لها أفكار، وثقافات، ولغات، ولهجات متعددة ومتغيرة عبر عصور التاريخ. وإذا كان البحث الثاني في هذا القسم يناقش شذرات من التشابهات والاختلافات بين اللغة في بعض بلدان اليمن وبلاد السروات وتهامة، فذلك فقط أنموذج صغير من مجال

إنجازه، وأسأل الله العون والتوفيق حتى أستطيع تحقيق هذه الرغبات التي أعرفها، والتي وصلني بعضها من إخوة فضلاء نبلاء (ابن جريس).

العلــم اللغوي في هذه البلاد. بل هناك لغــات ولهجات قديمة جرى عليها الفناء، أو التحــور، أو التغــير في جسمها الرئيسي أو الفرعي. وكــم نحن في أمس الحاجة إلى علمــاء بارعــين يدرسون تاريخ لغات هــذه البلاد منذ العصر الحجــري حتى وقتنا الحاضــر، وما جرى لهــا من مقومات داعمة، أو معوقــات أضعفتها، وأحياناً قضت عليهــا، أو حولتها إلى وجهات ثقافية ولغوية مغايرة. إن الذاهب في أرجاء العالم ثم زيــارة أقسام اللغات والبحوث اللغوية القويــة والرصينة يدرك أن اللغات واللهجات من العلوم الكبيرة التي يجب دراستها والاهتمام بها. وفي بلادنا حالياً أقسام لغات عديــدة، لكــن الكثير منها ما زالــت كلاسيكية في مناهجهــا وخططها ومخرجاتها وتحتــاج إلى تطوير ومراجعات ، ثم الاستفادة مما عند المؤسسات والمراكز العلمية والبحثية الإقليمية والعالمية.

٤. عــرف العالم قديماً وحديثــاً، عربياً وإسلامياً وأجنبياً عــالم الموسوعات المتنوعة في خططها، وتمويلاتها ، ومادتها المعرفية، وأهدافها الحضارية. وقد اجتهدت من قبل عشريــن عامــاً فبدأت موسوعة **(القول المكتــوب في تاريخ الجنــوب)**، ولم أقتبس أو أقلد موسوعــة أو عملاً موسوعياً آخر. وإنما الذي دفعني إلى نهج هذه الطريقة الظاهرة علــى هذا الكتاب ، هــو الاحساس بالفقر العلمي. والمعرفي الــذي عاشته وعانت منه بــلادي (الســروات وتهامة) منذ عصــور ما قبل الإسلام إلى وقتنــا الحاضر، لهذا سعيــت إلى تقــديم بعضــ الأعمــال العلميــة البحثية عن هــذه الأوطــان، ولم أتفرد بإعــداد هذه الموسوعة بمفردي، وإنمــا جاهدت وبذلت كل ما في وسعي لكسب أقلام علمــاء متعددين في علوم شتى، وقد حققت بعض النجاح، لكن البلاد المعنية في هذه الموسوعة: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**، ما زالت بكراً، إن صح التعبير، في معارفها، وتراثهــا، وموروثهــا وحضارتها. وآمل أن يكون هذا العمــل الموسوعي الذي أخذ مني حــوالي عقدين من الزمان لبنة صغــيرة تؤسس لأعمال أعظم وأوسع وأكبر. وبلادنا السروية التهامية ولاّدة، فهي موطن رجال عظماء في ميادين عديدة عرفهم التاريخ منــذ العصــر الجاهلي حتى الآن. وقد يأتــي من بناتها وأبنائها مــن يؤسس لمدارس علمية بحثية كبيرة تخدم أرض وإنسان هذه النواحي العربية الأصيلة[1].

---

(١) أنني أعيش هم الفقر المعرفي الذي عرفته أوطاننا في عصور ما قبل الإسلام، وعبر أطوار التاريخ الإسلامي حتــى القــرن (١١هـ/١٧م). وما زلت أرجو وأتمنى أن أرى مؤسسات علمية بحثية رصينة وقوية تعكف على التنقيب عن حضارة وموروث هذه البلاد. وأن يكون همها الوحيد خدمة أرض وإنسان هذه البلاد في ميدان البحــث العلمي الواقعي الجاد، والحيادي الشفاف والرصين. وهــذه أماني قد تصبح حقيقة بتقدير مسيّر الأفلاك، خالق الأرض والسموات . (والله من وراء القصد).



رحلة ثلاثة أيام بين أبها والقنفذة وغيرهما

(٤-٦ /٥ /١٤٤٣هـ الموافق ٨-١٠ /١٢ /٢٠٢١م)

(مشاهدات ،وانطباعات ، وتوثيقات)

القسم الثاني

رحلة ثلاثة أيام بين أبها والقنفذة وغيرهما (٤-٦/ ٥/ ١٤٤٣هـ - ٨-١٠/ ١٢/ ٢٠٢١م) (مشاهدات، وانطباعات، وتوثيقات)

أولاً: مقدمــة:

هــذه الرحلة لمدة ثلاثــة أيام (من الأربعاء إلى الجمعــة (٤-٦/٥/١٤٤٣هـ الموافق ٨-١٠/١٢/٢٠٢١م) لم يكن مرتباً لها أبداً. مع أنني أعلم منذ أكثر من عام أن الجمعية التاريخيــة السعودية سوف تعقد ملتقى في القنفذة عــن تاريخ وحضارة هذه البلاد وما حولها عبر عصور التاريخ. كما أن رئيس فرع الجمعية في المنطقة الغربية (مكة المكرمة) أ.د. فهــد المالكــي اتصل بي منذ عدة شهور وطلب أن أقدم ورقة علمية في هذا اللقاء العلمي المزمــع عقده في القنفــذة، لكنني وقتها اعتــذرت لظروف صحية وعائليــة. وتقرر عقد هذا

اللقاء في الفترة من (٣-١٤٤٠/٥/٤هـ - ٧/٨/١٢/٢٠٢١م)، وقد أُرسلت لي دعوى للحضور والمشاركة، لكن ظروفي ما زالت تأخذ جزءاً كبيراً من وقتي فاعتذرت أيضاً. وقبل انعقاد اللقاء بيومين اتصل بي ابن الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه (د. علي بن حسن)، وطلب مني حضور حفل تكريم على نية والده (غفر الله له) فذكرت له بعض ظروفي، لكنه قال: إن علاقتك مع والدي كانت جيدة، وهذا الذي دونته في كتبك، فقلت له وهذه الحقيقة، فقال: أكرمنا بالمشاركة والحضور، في الليل يوم الأربعاء (١٤٤٣/٥/٤هـ)، فوافقت.

بدأ الملتقى يوم الثلاثاء (١٤٤٣/٥/٣هـ)، وقررت أن أذهب من أبها صباح الأربعاء، على أن أسلك الطريق من أبها إلى الدرب فالبرك ثم مدينة القوز التي سوف يعقد فيها حفل آل الفقيه لوالدهم الشيخ حسن. وفي الوقت نفسه قررت أيضاً أن أوثق بعض مشاهداتي في البلدان الممتدة من أبها إلى القنفذة، فأسلك في الذهاب طريقاً، وأعود من طريق آخر، فذهبت عبر حواضر الدرب، والقحمة، والبرك، وحلي حتى القوز ثم القنفذة. وخططت لهذه الرحلة ثلاثة أيام. اليوم الأول من أبها إلى القوز، واليوم الثاني في مدينتي القوز والقنفذة، ثم أعود في آخر هذا اليوم إلى مدينة المجاردة. واليوم الثالث في أجزاء من محافظات بارق والمجاردة وتهامة بللحمر وبللسمر، ثم أصعد في عقبة التوحيد حتى النماص، وأعود من السروات حتى أبها.

هكذا خططت، وارتحلت على نفس التخطيط والحمد لله. كما رسمت الإطار العام لهذه الرحلة، فرأيت أن أبدأ حديثي عن حاضرتي أبها والقنفذة، وأوثق شيئاً من جغرافيتهما وتاريخهما ، وأشير أيضاً إلى البلدان التي مررت عليها في الذهاب والإياب. وفي محور آخر قصرت الحديث عن الملتقى العلمي لتاريخ القنفذة وحضارتها عبر العصور وما تخلل فقراته من أنشطة علمية وحضارية، وأختم هذا العنصر ببعض العبر والدروس التي خرجت بها في هذه الرحلة وبخاصة عن بلاد القنفذة وسكانها. وفي عنصر ثالث أوثق صوراً من الانطباعات العامة التي خرجت بها في هذه الرحلة التي بدأت من أبها وانتهت فيها، واستغرقت ثلاثة أيام، بل زادت ببضع ساعات[1]. وفي نهاية هذه المدونة أرصد بعض النتائج والتوصيات العامة.

---

(١) في الفقرات السابقة العديد من الأسماء والمعلومات التي تحتاج إلى تفسيرات وشروح كثيرة، لكنني لم أسلك هذه الطريق، حتى لا أثقل معلومات الرحلة بالهوامش والتفصيلات. كما أن هذه البلاد التي تجولت في أرجائها من أبها إلى القنفذة ثم المجاردة وتهامة باللحمر وبللسمر، وأخيراً عقبة التوحيد ثم الذهاب من النماص إلى أبها سبق أن درست صفحات من تاريخها القديم والحديث والمعاصر، كما أنني قمت فيها برحلات عديدة، وهي موثقة في عدد من مؤلفاتي وبحوثي. وفي هذا العمل سوف أحاول الابتعاد بقدر الإمكان عن التكرار. ولعلي أوفق في تدوين أحداثاً وتفصيلات جديدة في محتواها، وتكون إضافة لما سبق أن نشرته. للمزيد من هذه الدراسات انظر عدد من مؤلفاتي، وبخاصة موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢٤) مجلداً، حوالي (١٥٠٠٠) صفحة.

ثانياً: أبها والقنفذة وما بينهما (جغرافياً وتاريخياً):

١- حاضرة أبها:

إن لي رحلة طويلة مع مدينة أبها، فقد جئت إليها طالباً في الجامعة عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ثم امتد بي التاريخ فيها حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). نعم ذهبت إلى أمريكا وبريطانيا بضع سنوات لدراسة درجتي الماجستير والدكتوراه ثم عدت إلى حاضرة أبها (عاصمة منطقة عسير)، وأحياناً سافرت إلى أمكنة عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، لكنني لا أمكث طويلاً، وإنما أعود إلى مقر إقامتي في أبها وإلى مسقط رأسي في محافظة النماص[١].

ودرست تاريخ أبها وحضارتها وجغرافيتها في عدد من الدراسات، وجميعها مطبوعة ومنشورة، وأكبر هذه البحوث وأطولها، كتاب: **أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية)**، صدر هذا العمل العلمي في طبعتين (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) و (١٤٣٠هـ/٢٠٠٦م)، في (٥٨٤) صفحة. وفي موسوعة: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**، بحوث ومدونات عن مدينة أبها وما حولها من بداية القرن (١٣هـ/١٩م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)[٢].

يغلب الطابع الجبلي على تضاريس أبها، ويتخللها العديد من الشعاب والأودية. وأهمها وادي أبها الذي تأتي مسايله من مرتفعات المدينة الغربية، ثم تسير شرقاً حتى تصب في وادي بيشة. والمدينة وأريافها مكسوة بالغطاء النباتي الجميل، فالذاهب من وسط المدينة نحو الغرب أو الشمال الغربي، يرى الكثير من الغابات والمتنزهات الجميلة والرائدة في المملكة العربية السعودية. وكانت إلى عهد قريب مليئة بالطيور والثروة الحيوانية المتنوعة، وما زال بعضها حتى الآن، لكنها قلت عن السابق بسبب التمدن الحديث الذي انتشر في كل مكان[٣].

مناخ أبها معتدل صيفاً، بارد شتاء، وتسقط الأمطار في بعض شهور السنة وبخاصة في فصلي الخريف والصيف. ويحل الضباب (العماة) على المدينة ومرتفعاتها الغربية،

---

(١) للمزيد من التفصيلات عن صاحب الرحلة (غيثان بن جريس)، انظر، محمد بن أحمد معبر. مؤرخ تهامة والسراة (غيثان بن جريس) (طبعتان ١٤٣٣هـ، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٢م، ٢٠١٦م). (٦٢٠ صفحة) و (٥٨٤ صفحة)، غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) (الجزء الرابع والعشرون)، ص ٤٦٩-٥٨٧.

(٢) هناك العديد من البحوث والرسائل العلمية والمقالات والقصائد الشعرية والروايات المدونة عن حاضرة أبها. وما زالت حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تستحق أن يصدر عنها بحوث أكثر وأقوى وأطول.

(٣) أثرت حياة المدنية والتنمية الحديثة على الحياة الطبيعية، فتراجع الغطاء النباتي، وانقرضت الكثير من الطيور والحيوانات البرية، والبعض منها أصبح قليلاً جداً أو شبه نادر.

والجنوبية الغربية، والشمالية الغربية في فصل الشتاء، وأحياناً في بعض أوقات السنة الأخرى كفصل الصيف. وتهب على الحاضرة رياح شرقية جافة أحياناً، وفي فصل الصيف يزداد الغبار في تهامة، وأحياناً تحمله الريح إلى مرتفعات عسير وغيرها من السروات[١].

والمتأمل في جغرافية حاضرة أبها يجد لها مرتفعات عالية في الناحية الغربية، يأتي بعدها منطقة الأصدار المكسوة بالأشجار الكثيرة، ويتخللها أودية ومنحدرات شديدة نحو الغرب حتى تتصل بالسهول ثم ساحل البحر الأحمر. ولها أيضاً منحدرات شرقية تهبط تدريجياً حتى تتصل بأجزاء من بلاد شهران العريضة الممتدة من خميس مشيط جنوباً إلى بيشة وبوادي رجال الحجر شرقاً[٢].

سكان مدينة أبها الأساسيون وما حولها هم قبائل عسير الأربع: مغيد، وعلكم، وبني مالك، وربيعة ورفيدة. وكل قبيلة تستوطن ناحية من الحاضرة. وقبيلة مغيد في وسط المدينة وما حولها. وكتب التاريخ والأنساب الحديثة ذكرت صفحات من تركيبة أبها البشرية. وتمتد أراضي القبائل الأبهاوية في كل اتجاه فتجاورها بعض عشائر شهران وقحطان من الشرق والجنوب، وبعض قبائل رجال الحجر من الشمال، وامتداد بعض قبائل حاضرة أبها تتصل مع قبائل رجال ألمع وبعض قبائل تهامة في الغرب. ولم تسلم حاضرة أبها من عناصر بشرية وفدت إليها من داخل المملكة العربية السعودية ومن خارجها، بل جاء إليها بعض الأجناس البشرية منذ قرون مضت. وفي العصر الحديث المتأخر والمعاصر تطورت مدينة أبها وما حولها في شتى المجالات، وأصبحت حاضرة مترامية الأطراف، ومن ثم وفد إليها الكثير من سكان الأرياف، وأعداد غير قليلة من السواح الداخليين والخارجيين، ناهيك عن العمالة الوافدة التي تعيش فيها حالياً، فهم كثيرون، جاءوا إليها من بلدان عديدة في العالم العربي والإسلامي وغير الإسلامي[٣].

ورد ذكر أبها منذ فجر الإسلام، وربما كانت معروفة بهذا الاسم منذ العصر القديم. لكن ذكرها بهذا المصطلح في مصادر مبكرة غير واضح من حيث المساحة الجغرافية، والكثافة السكانية. وكانت حاضرة جُرش، أو بلاد جرش هي المعروفة قبل

---

(١) هذا الذي شاهدته وعاصرته خلال السنوات الماضية، وما زالت هذه الظاهرة تتكرر دائماً في فصل الصيف.

(٢) ارتحلت في هذه البلاد مرات عديدة، وكتبت عن جزئيات من تاريخها وحضارتها عبر عصور التاريخ. وما زالت تحتوي على الكثير من النقوش والآثار السطحية والمدفونة الجديرة بالبحث والدراسة والتحليل.

(٣) هذا الذي قرأته عن الحياة السكانية في حاضرة أبها وما حولها، كما أنني عاصرت وشاهدت النمو والتنوع السكاني في هذه الناحية منذ حوالي خمسين عاماً، كيف كانت بلدة متواضعة في عمرانها وإمكاناتها الحضارية، ثم قفزت قفزات تنموية كبيرة وسريعة، وفي كل المجالات، والتركيبة السكانية من المجالات التي نمت وازدادت بشكل كبير جداً.

الإســلام وبعده حتى القرن (٧هـ/١٣هـ)، وأبها كانــت ربما ناحية صغيرة من مخلاف جُرش (جزء كبير من سروات منطقة عسير حالياً)[١].

بــدأت أبها تعرف كقريــة صغيرة على واديهــا المعروف باسمهــا (وادي أبها) منذ نهايــة القــرون الإسلامية الوسيطة، وفي بدايــة العصر الحديــث ازداد سكانها، وكثرة خيراتهــا الاقتصادية، وبرز بعض رجالاتها في مد نفوذهم السياسي والإداري، وصارت تذكــر في بعض المصــادر التاريخية المعتــبرة منذ القرن (١١هــ/١٧م)، ولم يأت نهاية القــرن (١٢هـ/١٨م) ثم بداية القرن (١٣هـ/١٩م) إلا وأصبحت ناحية معروفة، لكنها لم تتخــذ عاصمة للبلاد إلا في بداية الأربعينيات من القرن (١٣هـ/١٩م)، وكانت قرية المفتاحة أول الأمكنة الإداريــة والسياسية الحديثة في هذه الحاضرة، واستمرت المدينة (أبهــا) تتسع وتشتهر في عهــد الأميرين عائض بن مرعي وولــده محمد بن عائض من نهايــة الأربعينيــات إلى نهاية الثمانينيات في القرن (١٣هــ/١٩م)، وعند دخولها تحت نفــوذ الدولة العثمانية عــام (١٢٨٨هـ/١٨٧١م) صــارت العاصمــة المركزية لنفوذهم في عمــوم الســروات وتهامة، واستمرت هكذا حتى عــام (١٣٣٧هـ/١٩١٩م)، ثم دخلت تحت نفوذ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، وتدريجياً صارت حاضرة منطقة عسير وما زالت حتى اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)[٢].

وتاريــخ مدينة أبهــا الحضاري وصلاتها مع غيرها موضــوع كبير ومتشعب يستحق أن يبســط في دراســات علمية عديدة. ومن أهم مؤهلاتهــا موقعها على وادٍ غني بتربته ومياهه، ثم استيطانه بالعديد من العشائر، وأيضاً اتصاله جغرافياً وبشرياً بالكثير من البلــدان المأهولــة بالقبائل المتفاوتة في سعة أراضيها وعــدد سكانها وعشائرها، والأهم مــن ذلــك أن صارت من القــرن (١٣هـ/١٩م) المقــر السياســي والإداري لمعظم بلدان السراة وتهامة، وحالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) هي العاصمة الإدارية لمنطقة عسير الممتدة

(١) صــدرت العديــد من البحوث عن مخــلاف جُرش في القــرون الإسلامية المبكرة الوسيطــة، وهي مطبوعة ومنشــورة في بعض أجزاء موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، وفي كتاب: دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١-ق١٠هـ/ق٧-ق١٦م) (الجزء الأول). انظر هذه الكتب ورقياً وإلكترونياً على الرابط الآتي (Prof-ghithan.com).

(٢) اختصــرت جداً في الإشــارة إلى تاريخ أبها السياسي، مــع أن هناك بعض الدراســات والرسائل والبحوث الحديثــة التي فصلــت الحديث عن تاريخ عسير الحديــث بشكل عام، وعن بعضــ حواضرها ومدنها مثل مدينــة أبهــا. لكن مــا زال الكثير من الجوانــب التي لم تدرس تاريخهــا القديم والمبكــر والوسيط. كما أن هنــاك الكثــير من الوثائق الحديثة غير المنشورة وفيها مادة علمية جيــدة وجديدة عن مدينة أبها. آمل أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ وحضارة هذه الحاضرة من شتى الجوانب من نهاية القرون الإسلامية الوسيطة حتى وقتنا الحاضر.

في الجبـال مـن جنوب محافظة بلجرشي في منطقة الباحـة شمالاً إلى ظهران الجنوب جنوباً، ومن محافظة بيشة شرقاً إلى محافظة البرك على ساحل البحر الأحمر[1].

٢-محافظة القنفذة:

مصطلـح (محافظة) لم يظهر إلاّ منذ ثلاثين عاماً، أما اسم القنفذة فهو معروف منـذ خمسة قـرون. والقنفذة اليوم، مدينـة ومحافظة، تقع على ساحـل البحر الأحمر الشرقـي، وفي منتصف الطريـق بين مكة المكرمة شمالاً، ومنطقة جـازان جنوباً. وهذه الرحلـة القصـيرة التي خرجـت فيها من أبهـا إلى القنفذة ثم العـودة إلى أبها، ليست كافيـة لأن أكتب عن هذه البلـدان التهامية والسروية المتباعـدة، والمختلفة في تركيبتها البشريـة والجغرافية. ثم إن بـلاد القنفذة ليست أرضاً جديدة أو غريبة عليّ في ميدان البحـث العلمي، وإنما زرتها باحثاً في بداية العشرينـات من هذا القرن (١٥هـ/٢١م)، وقرأت عنها في الكثير من المصادر، والمخطوطات، والوثائق، وتجولت في مناكبها متأملاً ومدوناً شيئـاً من تاريخها وحضارتها الحديثة والمعاصـرة، وأخيراً أصدرت عنها كتاب بعنـوان: **بـلاد القنفذة خـلال خمسة قـرون (ق١٠-ق١٥هـ/ق١٦-ق٢١م) (دراسـة تاريخية حضاريـة)**، عـام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) (٥٢٧ صفحة). ثم أعـدت طباعته في طبعة ثانية عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م) (٥٦٨ صفحة)[2].

كانـت القنفذة مثلها مثل أبها، فلم تكن معروفـة بشكل واسع في القرون الإسلامية الوسيطـة، وربما كانت أبها أفضل حالاً لأنها مذكورة، أي أن مصطلح (أبها) ورد اسماً لمكان ضمن مخـلاف جرش (جزء من منطقة عسير حالياً)، لكـن ذكره كان غامضًا، فـلا تعرف حـدوده ومساحته، ومع مـرور الزمن ارتفع شـأن حاضرة أبهـا حتى نراها حاليـاً العاصمـة الإدارية الرئيسية لعمـوم منطقة عسير. والـذي كان معروفاً ومذكوراً في محافظـة القنفذة قبل الإسـلام وبعده حتى نهاية العصـر الإسلامي الوسيط بعض الأوديـة المشهورة في هـذه الناحية، كوادي حلـي في الجنوب، يليه شمـالاً وادي يبة، ثم وادي قنونا. هذه الأودية الثلاث كبيرة جداً فمنابع مياهها تأتي من أعالي السروات، ثم

---

(١) قرأت عشرات الكتب، ومئات الوثائق والمدونات والمخطوطات التي تشتمل على تفصيلات عن منطقة عسير وحاضرتهـا مدينة أبها، وعن بلاد السـروات وتهامة الممتدة من الطائف وجنوب مكة المكرمة إلى منطقتي جـازان ونجران فوجدت هـذه البلاد متنوعة المـوارد الطبيعية، متعـددة القبائل والعشائـر العربية، ولها تاريـخ وحضارة قديمة ووسيطة وحديثة ومعاصـرة، وهي تستحق أن يصدر عنها عشرات الكتب والرسائل والبحوث العلمية، وقد خرج عنها حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) العديد من البحوث، لكنها ما زالت بحاجة إلى مؤسسات ومراكز بحوث علمية، مدعومة مالياً وبشرياً ومعنوياً، فتقوم بهذه الأعمال البحثية الكبيرة.

(٢) للمزيد انظر الطبعتين منشورة ورقياً، وانظرها أيضاً تقنياً على الرابط الإلكتروني (Prof-ghithan.com).

ترفدهـا الكثير من الأودية الصغيرة والكبيرة في منطقة الأصدار حتى سفوح السروات الغربيـة، ثم السهول والخبوت حتـى تصب هذه الأودية الكبيرة في البحر. وجميعها تقع حتى اليوم ضمن محافظة القنفذة الإدارية[١].

نجـد العديـد من المصـادر توثق بعض التفصيلات عـن وادي حلي، وعـن إمارة إسلاميـة قامت فيه خلال القرون الإسلاميـة الوسيطة، ولا يستبعد أن في هذه الأوطان قبـل الإسلام قوى سياسيـة وحضارية. ومما جعلني أقول ذلك أنني وقفت على أمكنة عديـدة في وادي حلي فرأيت فيهـا الكثير من النقوش والآثـار السطحية والمدفونة التي يعـود تاريـخ بعضهـا إلى عصور ما قبـل الإسلام[٢]. أمـا إمارة بلاد حلـي الإسلامية، فعرفت بإمارة بني حرام، وكان لهذه الإمارة أحداث سياسية وحربية وحضارية في بلاد تهامـة، مع الكثـير من القوى السياسيـة التي ظهرت في الحجاز واليمـن خلال القرون الإسلامي الوسيطة، بل كان لها صلات مع بعض القوى السياسية الإسلامية الكبرى في العراق والشام ومصر وغيرها[٣].

ومنـذ القرن العاشر الهجـري (السادس عشر الميلادي) نجـد المصادر تشير إلى اسـم القنفـذة عند مصـب وادي قنونا في البحر، وبـدأت هذه الناحية تتطـور سياسياً وحضاريـاً. وفي الوقـت نفسه اختفى ذكر إمـارة بني حرام في حلي منـذ القرن الثامن الهجـري تقريبـاً، والبلاد بقيت كما هــي حتى العصر الحديث، لكـن لم نعد نسمع عن حـراك تاريخي وسياسي ملموس في هذه الناحية، وصارت القنفذة هي القبلة الرئيسية في عمـوم محافظـة القنفذة. بل أصبحت القنفـذة لاعباً سياسياً مهمـاً عندما اشتدت الحـروب بـين الدولـة العثمانية والدولـة السعوديـة الأولى، وكانت إمـارة الأشراف في

---

(١) إن الباحـث في بعض المصادر الأجنبية القديمـة، والمصادر العربية الإسلامية المبكـرة والوسيطة يجدها دونـت بعض المعلومات عن هـذه الأودية الثلاثة (حلي، ويبـة، وقنونا). وأقـول أن كل واد من هذه الأودية يستحق أن يصدر عنه الكثير من الكتب والبحوث العلمية التاريخية، والأثرية، والحضارية. آمل من أقسام التاريخ والآثار في جامعاتنا السعودية أن تهتم بدراسة هذه الأمكنة الجديرة بالبحث والتأصيل.

(٢) ارتحلـت في محافظـة القنفـذة مرتـين، واستغرقـت كل رحلـة مـن (٧-١٠) أيـام. الرحلـة الأولى عـام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، والرحلـة الثانية عـام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م). ووجدت أن محافظـة القنفذة متنوعة في جغرافيتهـا وأيضاً في أعراقهـا البشرية. وهي بلاد جديرة بالبحث التاريخـي والأثري الكبير والعميق. وهاتـان الرحلتـان منشـورة في كتاب: بـلاد القنفذة خلال خمسة قـرون (ق١٠-ق١٥هـ/ق١٦-ق٢١م). (الطبعتان الأولى والثانية).

(٣) صـدر بعض الدراسـات المحدودة عن إمارة بني حـرام في وادي حلي، لكنها ما زالـت تحتاج إلى عدد من البحـوث الحضارية، والتاريخيـة، والأثرية. أما صلاتها مع غيرها داخل شبـه الجزيرة العربية وخارجها فهـذا موضـوع آخر مهم يستحق أن يدرس في أكثر من كتاب أو رسالـة علمية. حبذا أن نرى بعض طالبات وطلاب الدراسات العليا في جامعة الجنوب السعودي فيقومون بخدمة هذه البلاد علمياً وبحثياً وتوثيقياً.

الحجاز تساهم بشكل كبير في تلك الأحداث، وكذلك إمارة المتاحمة في بلاد عسير، وحمود أبو مسمار وبعض الأشراف في منطقة جازان. وظهرت إمارتا سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل ثم إمارة آل عائض في عسير، وأصبحت أبها في عصرهم هي العاصمة السياسية والإدارية لبلاد عسير[١].

عاد العثمانيون إلى بلدان السراة وتهامة في ثمانينيات القرن (١٣هـ/١٩م) وسيطروا عليها حوالي خمسين عاماً، وصارت مدينة أبها المركز الرئيسي لمد نفوذهم على البلاد، وأصبحت مدينة القنفذة واحدة من الإدارات والموانى الرئيسية التابعة للمتصرفية العثمانية في أبها. وجرت حروب وأحداث وتقلبات سياسية متعددة في هذه البلاد. وظهرت مؤخراً إمارة الإدريسي في جازان في عشرينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، كما تدخلت بعض القوى الغربية كإيطاليا وبريطانيا وغيرهما في تلك الأحداث والصراعات[٢].

وعند وصول الحكم السعودي الحديث إلى بلاد تهامة والسراة، كانت بيشة ثم أبها أول الحواضر الرئيسية التي مد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود نفوذه عليها. ومن حاضرة أبها امتد الحكم السعودي على معظم أوطان السروات وتهامة. وإن تأملنا في المصادر والوثائق التاريخية المعاصرة لحكم الملك عبدالعزيز آل سعود على الأجزاء الجنوبية من المملكة العربية السعودية، وجدنا كل ناحية لها ظروف وأحداث متنوعة منذ بداية الدولة السعودية الحديثة حتى وفاة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل (يرحمه الله) [٣].

---

(١) صدر حتى الآن العديد من الدراسات العلمية التي تناقش وتشرح الأحداث السياسية، والحربية التي عاشتها عموم السروات وتهامة من نهاية القرن (١٢هـ/١٨م) إلى ثمانينات القرن (١٣هـ/١٩م). وكيف كان لبلاد القنفذة ثم حاضرة أبها أدوار سياسية متعددة. مع أن كل البحوث التي خرجت حتى الآن فصلت الحديث عن الجانب السياسي والحربي، وما زالت الميادين الحضارية (الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية والفكرية والتعليمية). لم تنل حقها من البحث والتوثيق، أرجو أن تكون هذه الموضوعات من اهتمامات المؤرخات والمؤرخين في وقتنا الحاضر.

(٢) أوجزت جداً في تدوين تلك الأحداث التي عاشتها المنطقة من ثمانينات القرن (١٣هـ/١٩م) إلى ثلاثينيات القرن (١٤هـ/٢٠م). وهناك الكثير من الكتب والرسائل، والبحوث العلمية التي درست هذه الفترة وبخاصة الجوانب السياسية والعسكرية، وبعضها إشارات بشكل بسيط إلى التاريخ الحضاري. والتواريخ الحضارية في هذه الفترة وفي عموم السروات وتهامة ما زالت بحاجة كبيرة إلى إصدار العديد من الكتب والدراسات العلمية الدقيقة والموثقة.

(٣) هناك الكثير من البحوث والكتب التي أرخت لهذه الفترة وبعض الأحداث التي وقعت في عموم بلدان السراة وتهامة الممتدة من جازان ونجران إلى مكة المكرمة والطائف. وما زال هناك جوانب تاريخية حضارية، وكذلك أعلام كان لهم دور في توحيد البلاد ونشر الأمن والاستقرار فيها. ومثل هذه الموضوعات

وبــلاد القنفذة وما حولها كانت تتبــع إدارياً ومالياً لحاضرة أبها حتى نهاية النفوذ العثماني في شبه الجزيرة العربية. واستمرت هذه التبعية في السنوات الأولى من سيطرة الملك عبدالعزيز على بلاد عسير، كما بقيت أبها وما زالت هي العاصمة الإدارية لمنطقة عسير تهامة وسراة[1].

وبعد إجــراء بعض التنظيمات الإدارية والمالية في الدولة السعودية الحديثة تحولت التبعيــة الإدارية لإمارة ثم محافظة القنفذة إلى إمارة المنطقة الغربية في مكة المكرمة. وما زالت على هذا الوضع حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)[2].

والناظــر في أحــوال مدينتي أبها والقنفــذة اليوم يجدهما مــن الحواضر الحديثة في المملكــة العربية السعوديــة. وحاضرة أبها أفضل تنموياً وحضاريــاً كونها ذات تاريخ سياســي وحضــاري قديم، فهــي عاصمة معظــم بلدان الســراة وتهامة خــلال القرون الماضيــة المتأخرة، واليوم هي المقــر الإداري الرئيسي لمنطقة عســير. أما القنفذة فهي المركز الرئيسي لأجزاء عديدة في تهامة، وفي الوقت نفسه هي إمارة ثم محافظة رئيسية ضمن الهيكل الإداري لمنطقــة مكة المكرمة. وتحتوي على الكثير من الإدارات الحكومية والأهلية ومشاريع أخرى عديدة، وما زالت تنتظر مشاريع تنموية وتطويرية أخرى[3].

٣-البلدان التي بين القنفذة وأبها:

مــررت على بلــدان عديدة أثناء الذهــاب والإياب بــين أبها والقنفــذة، ابتداءً من عقبــة ضلع جنوب مدينة أبهــا مروراً بمربة، فمحافظة الــدرب، والحريضة، والقحمة، ومحافظة البرك، فسعيدة الصوالحة، ثم حلي، فالقوز ثم القنفذة. وعند عودتي رجعت

تستحــق أن تدرس في هيئــة رسائل جامعية، أو بحوث علمية محكمة. وهذا الــذي نرجو تحقيقه على أيدي باحثين ومؤرخين حياديين ومنصفين.

(١) حبــذا أن نرى باحثين جادين يكتبــون عن التاريخ الإداري والمالي لحاضرتي أبهــا والقنفذة من ثلاثينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). وحسب علمي المحدود أن هذين الموضعين لم يدرسا في عمل علمي مطول وموثق.

(٢) مــن خلال تجــوالي في عموم السروات وتهامة منذ خمســين عاماً، ثم إصداري عدداً مــن البحوث العلمية عــن هذه الأوطان، فأقول أن البلاد التهامية الممتدة من جنوب مدينة مكة المكرمة إلى القنفذة والقوز على البحر، وإلى قلوة والمخواة والعرضيات في تهامة الباحة وما جاورها ما زالت بكراً في ميدان البحث العلمي، وفي كل المجــالات، وأحــث جامعات الباحة، والطائف، وأم القرى علــى تشجيع أساتذتها وطلابها في برامج الدراسات العليا على دراسة هذه الأوطان في شتى الجوانب، وهي فعلاً تستحق ذلك.

(٣) دونت هذه المختصرات التوثيقية عن حاضر أبها، ومدينة القنفذة، وهذا غير كاف، وهناك بعض البحوث والكتــب التي صدرت عنها خــلال الأربعين عاماً الماضية وأكثر. وقد وثقت كثيراً من هذه المصادر والمراجع في كتاب: أبها حاضرة عسير (دراسة تاريخية)، وكتاب: بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-ق١٥هـ/ق١٦-ق٢١م). وما زالت هاتان الناحيتين تستحقان مزيداً من البحوث العلمية النوعية.

إلى القوز ثم خرجت في الطريق الشرقي الذي أخذني إلى مقربة من خميس حرب ثم سرت في الطريق الذي يصل إلى محافظة المجاردة، ثم إلى محافظة بارق، وبعض مراكز محافظة محايل الشرقية كخميس مطير (تهامة بللحمر وبللسمر)، ثم عدت إلى مدينتي المجاردة وخاط، وصعدت عقبة التوحيد إلى النماص ثم ذهبت إلى تنومه، فاثنين بللسمر، ثم مدينة صبح بسروات بللحمر ثم أبها[1]. وخرجت من هذه الرحلة المحدودة زمنياً ببعض الخلاصات الجغرافية والتاريخية، أذكر أهمها في النقاط الآتية:

١. جميع هذه البلدان أعرفها منذ زمن بعيد فقد عشت في بعضها أيام الصبا، وزرت أخرى وتجولت في أرجائها منذ مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). وفي نهاية الأمر وثقت بعض رحلاتي فيها في عدد من الكتب والدراسات، وكان أول تلك الرحلات المدونة قبل ثلاثين عاماً، وعنوانها: **رحلة أبها المجاردة يوم الجمعة (١٢/٦/١٤١٣هـ)**[2]، ثم تلا ذلك رحلات عديدة كان آخرها هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، فقمت برحلة لعدة أيام في محافظات تنومة، والنماص، والمجاردة[3]، وبعدها رحلة من الدرب إلى البرك[4]، وهناك رحلات أخرى عديدة في هذه البلاد وغيرها من أوطان السروات وتهامة[5].

٢. شاهدت جغرافية هذه الأوطان خلال خمسة عقود فكانت من تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م) كثيرة الأمطار، مليئة بالثروات الحيوانية والزراعية، ومكتظة أراضيها بالأشجار والغابات المتنوعة، وكثير من

---

(١) هذه الرحلة استغرقت ثلاثة أيام من (٤-٦/٥/١٤٤٣هـ الموافق ٨-١٠/١٢/٢٠٢١م). وجميع هذه المدن والبلدات المذكورة في المتن تستحق أن تُدرس في بحوث علمية توثيقية مطولة، آمل أن نرى طالباتنا وطلابنا في أقسام التاريخ المحلية يتولونها فيدرسونها في رسائل علمية موثقة.

(٢) للمزيد انظر موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الجزء الثاني). طبعتان (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) و(١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) (القسم السابع). ونشرت من قبل في كتاب: بلاد بني شهر وبني عمرو (الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

(٣) في الفترة من (٦-١١/٢/١٤٤٣هـ الموافق ١٣-١٨/٩/٢٠٢١م)، ومنشورة في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الجزء الخامس والعشرون).

(٤) في الفترة من (١٢-١٨/٣/١٤٤٣هـ الموافق ١٨-٢٤/١٠/٢٠٢١م) في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الجزء الخامس والعشرون).

(٥) بعض هذه الرحلات منشورة في بعض أجزاء (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢٥ مجلداً)، وفي كتاب: بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) (الطبعات الثانية، والثالثة، والرابعة). كما نشر بعضها الأستاذ محمد بن أحمد مُعبِّر في كتاب: الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي (ق٢-ق١٥هـ/ق٨-ق٢١م) (١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) (الجزء الثاني) ص ص ٥٦٧-١١٠٢. وآمل أن أتمكن من جمع جميع رحلاتي في بلاد تهامة والسراة في عدة مجلدات (بإذن الله تعالى).

النباتـات والحشائش الأخرى. وبعد ذلك بدأت تتراجع في ثرواتها الطبيعية الحيوانية والنباتيـة، نتيجة التنمية والتطور العمراني الحديث الـذي انتشر في المدن والأرياف، والبوادي، والكثير من الناس تركوا مهن الرعي والزراعة وانخرطوا في أعمال وظيفية واقتصاديـة أخرى يكسبون منها أموالاً وأرزاقاً أكثر من مهن الزراعة والرعي[١]. كما رأيـت أن مياه الآبـار الجوفية قلت كثيراً عـن السابق، وبالتالي أقامـت الدولة الكثير مـن السدود المائية التي تساعد الناس في ممارسة بعض أعمالهم الحضارية. وصار بعض الناس يحفرون آباراً ارتوازية، وكان الحصول على الماء في البداية قريباً وسهلاً، واليوم صار بعيداً في جوف الأرض، ولا يصل الإنسان إليه إلا بعد مئات الأمتار[٢].

٣. عرفـت، ووقفـت، وشاهـدت المستوطنـات البشرية في هـذه البـلاد، فكانت حياة البـدو والبادية سائدة في معظم البلـدان التي مررت عليها. وحياة العمارة والتمدن الحديـث بـدأت ثم توسعـت من المـدن الرئيسية. مثـل أبهـا، أو الـدرب، أو القوز والقنفـذة، أو المجاردة، والنماص، وأبها، فقد كانت أفضل حـالاً تنمية وتطوراً في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) والعقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، مقارنة مـع أمكنة أخرى كالحريضـة، والقحمة، والبرك، وبـارق، وخميس مطير، وتنومة، واثنـين بللسمر، وصبح في سـروات بللحمر. فجميع هذه النواحي ما زالت آنذاك في بدايـات التطور والتمدن الحديث من حيث الأبنية السكنية، والحكومية، والتجارية، وحتى الصناعية، والسياحية. والحواضر الكبيرة هي التي بدأ فيها التطوير أولاً، ثم سار تدريجيـاً إلى البلدان التي بعدها. أما الأراضي والأرياف والقرى البعيدة نوعاً ما عـن أماكن الاستيطان الكبيرة والمتوسطة الآنـف ذكرها فقد كانت حياة الناس فيها أقرب إلى البداوة والبادية من غيرها[٣].

---

(١) لم يكـن التراجع مقصور على الحيوانات والطيور الأليفة فقط، لكن هذا التدهور وأحياناً الانقراض امتد إلى السبـاع والحيوانات البرية، والطيور، والزواحف. فقد شاهدت الكثير مـن هذه الكائنات الحية في تسعينيات القـرن الهجـري الماضـي، والعقد الأول مـن هذا القرن موجـودة بأعداد كثـيرة، وفي كل مـكان (المرتفعات، ومنحـدرات السـروات الغربيـة، والسهول والسواحل)، واليـوم صار أكثرها شبه نـادر، وإن وجد بعضها فهي قليلـة، وفي الأماكن الوعرة من منطقة الإصدار (سفوح السروات الغربية)، وبعض الغابات البرية في السهول والسواحل: المصدر: مشاهدات الباحث ومعاصرته لهذه التحولات الجغرافية من نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٢) إن للتنميـة الحضاريـة الحديثة آثـاراً إيجابية كثيرة، كما أن لهـا سلبيات على الطبيعة مـن نباتات ومياه وغيرهـا. حبـذا أن تدرس إيجابيتها وسلبياتهـا منذ تسعينات القـرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). وهذا الموضوع جدير أن تصدر عنه دراسات علمية عديدة وفي شتى الجوانب، ويجب على مراكز البحوث في الجامعات والمؤسسات العلمية أن تخدم هذا الميدان معرفياً وبحثياً وتوثيقياً.

(٣) هـذا الـذي عرفته وشاهدتـه من ثمانينيـات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى بدايـات العقد الثـاني من القرن (١٥هـ/٢٠م). وتاريخ التنمية الحديثة في عموم المملكة العربية السعودية جدير أن يدرس ويوثق في أعمال

ومـن مظاهـر التحول الجغرافي الرئيسـي في هذه البلاد، ظهـور الدروب الحديثة التـي تسلكهـا بعض السيارات، وقيـام العمارة الحديثة سوى كانـت بالطوب والإسمنت والحجـارة، أو بالحديـد والخرسانـة المسلحـة. وبدا زحف هـذه النماذج مـن التنمية الحديثـة في المدن الكبيرة ثم التي تليها حتى وصلـت إلى الأرياف والبوادي، عندئذ بدأ النـاس يتركون مساكنهـم القديمة المبنية بالحجـارة والطين أو الجص، وأيضاً بيوت القش، واستبدلوها أولاً بمساكن جمعت بين العمارة القديمة والحديثة، ومنذ عشرينيات القرن (١٥هـ/٢٠م) زادت الأحياء والمدن والبلدات والقرى المبنية بالحديد والخرسانة المسلحة، وبقيت بعض البيوت في القرى مستخدمة من قبل أهلها، أو من يسكنها.

ومنـذ (١٥-٢٠) سنـة تقريباً تم هجر معظم القرى والبيـوت القديمة وبخاصة في المـدن والحواضـر الكبيرة والتي تليهـا في المستوى التنموي. وبقيت الأريـاف البعيدة أو البوادي مليئة بالبيوت القديمة من الحجر أو الطوب، أما منازل القش فقد انتهت بنسبة (٩٥-٩٨٪)، وإن بقي منها شيء فهي قليلة جداً وفي الأرياف والبوادي القصية.

والذاهـب في ربوع هـذه البلاد المذكورة في هذه الرحلة أو غيرها من بلاد السروات وتهامـة يشاهد مئات القـرى القديمة المهجورة، ومعظمها صـارت مهدمة ومندثرة، بل صـارت تعكس تشوهـا بصرياً وعمرانياً سلبيـاً لمن يزورها أو يشاهدهـا. كما أن أغلب القـرى لا تخلو من نماذج عمرانية أخرى قديمة كالقصور، والحصون، والقلاع، وبعض الأسـوار، ومعـالم جغرافية متعددة، وهي أيضاً خربة، بـل بعضها أصبحت أمكنة بائدة وموحشة لمن يزورها أو يتجول في بعض أجزائها[١].

وإذا تأملنا الطرقات والدروب القديمة، وجدناها جزءاً من التاريخ، فلا تخلو قرية، أو ناحيـة، أو مزرعـة، أو بادية، أو ريف من طرق تربـط بعضها ببعض. وكانت من عمل وجهـود الأوائل، فلا يضعفون أو يتقاعسون عن بناء طرقهم في كل مكان. بل إن بعضهم فتحـوا طرقاً بدائية بجهود فردية تربط بين مرتفعات السـروات، والأجزاء التهامية أو البدوية الشرقية. وما زلنا نرى بعضاً من تلك الطرق (العقبات) القديمة التي تسير من أبها، أو من السروات الممتدة من حاضرة أبها إلى محافظة النماص[٢].

علميـة كبيرة. وعلى جامعاتنا مسؤولية كبيرة فالواجب عليهـا الدعم والتشجيع في توثيق تاريخنا الحديث والمعاصر وبخاصة في مجال التنمية والبناء.

(١) أن هـذه الأنماط العمرانية القديمة جزء من تاريخ بلادنا خلال العصر القديم، وعصور الإسلام المختلفة حتـى بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وتستحق أن يدرس تاريخها أولاً، كما أنها جديرة أن ترمم وتطور حتى تعود لها الحياة البشرية والحضارية كما كانت في عصور سابقة.

(٢) تجولـت في بلدان عديدة من الطائف إلى ظهران الجنـوب، ونزلت بلاد تهامة ورأيت بلدان عديدة من جازان وصبيـا وبيش إلى رجـال ألمع ومحايـل والمجاردة والمخـواة حتى تهامة الطائـف، ووقفت علـى دروب في هذه

سبقت طرق السيارات إلى بعض البلدان المعنية في هذه الرحلة وغيرها، قبل مجيء العمارة الحديثة المسلحة. وتشير الوثائق التاريخية وبعض المصادر إلى وصول السيارة إلى نواحي عديدة في مناطق عسير، وجازان، ونجران والباحة منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، لكنها كانت محدودة وقليلة جداً حتى التسعينيات من القرن نفسه، ثم بدأت الطرق والسيارات تتزايد في العقدين الثامن والتاسع من القرن الهجري الماضي، ولم يبدأ هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، إلا وجميع حواضر ومدن السروات وتهامة صارت مرتادة بالعديد من السيارات المتنوعة في أحجامها، وأنواعها، وموديلاتها[١].

ومن يطالع شبكة الطرق البرية اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) في جميع مدن وقرى وحواضر وبوادي السروات وتهامة فإنه سيجد ميداناً تنموياً واسعاً يستحق أن يدون في عشرات الكتب والرسائل العلمية. وإن توقفنا مع الطرق الطويلة والكبيرة التي تربط بين مدن وحواضر وقرى الجنوب السعودي، أو بين أعالي السروات والسهول التهامية فإننا نجد لها تاريخاً طويلاً مر بالعديد من المراحل والصعوبات بل نرى آثار هذه الدروب الإيجابية على ميدان التنمية العمرانية، وكل المجالات الحضارية الأخرى. وفي الوقت نفسه نجد الآثار السلبية التي لحقت بالجغرافيا والطبيعة وبخاصة في ثرواتها النباتية والحيوانية، وربما معالمها الصخرية في كثير من النواحي السروية والتهامية[٢].

أما التاريخ الإنساني لهذه البلدان الواقعة بين أبها والقنفذة، فهو مجال كبير، فليس هناك ناحية في هذه الأصقاع إلاّ ولها تاريخ سياسي وحضاري. فكل مدينة أو بلدة مأهولة بالسكان منذ عصور قديمة، والطابع القبلي هو السائد. والمعروف أن كل قبيلة أو عشيرة أو قرية لها شيوخ، أو نواب، أو عرائف[٣]. وقد جمعت مئات الوثائق التي تؤكد

الأوطان، وبعضها عقبات (طرق) قديمة تربط بين سهول تهامة ومرتفعات السروات. وهذه الطرق القديمة تستحق أن تحصر ويدرس تاريخها خلال القرون الماضية المتأخرة. ومن يقوم بهذا العمل سوف يجد الكثير من المصادر المادية، وبعض الروايات الشفاهية، ولا تخلو بعضها من بعض الأوراق والوثائق المكتوبة.

(١) إن طرق السيارات في عموم السراة وتهامة تستحق أن تدرس في عشرات البحوث من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر. وهذا الموضوع حسب علمي لم يدرس في بحوث تاريخية حضارية رصينة، آمل أن يدرس من خلال طالبات وطلاب الدراسات العليا في جامعات جنوب المملكة العربية السعودية، وهو جدير أن يوثق.

(٢) هذا الذي أدركته وعاصرته عندما كنا نمضي على الأقدام من السروات إلى تهامة، أو في نواحي عديدة سروية أو تهامية، كيف كانت الطبيعة مليئة بكل الكائنات الحيوانية والنباتية، إضافة إلى جمال جميع مكونات الأرض الجغرافية والطبيعية. واليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، لم نعد نرى ونشاهد ذلك الجمال الطبيعي الرباني.

(٣) من يدرس التركيبة القبلية في شبه الجزيرة العربية منذ عصور ما قبل الإسلام وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة يجد أن القبيلة صاحبة الحل والعقد في بلادها. وكانت أوضاع البلاد قبل العصر الحديث المعاصر يشوبها الكثير من الصراعات القبلية، لعدم وجود إدارة مركزية تسوس البلاد،

قولي، وكل شيخ أو عريفة مسؤول في قبيلته أو ناحيته، ومن حوله بعض الأعيان والوجهاء الذين يساعدونه على تدبير أوضاع بلاده[١].

وعند قيام الدولة السعودية الحديثة، وتوحيد البلاد تحت راية واحدة، هي راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، سعى مؤسس البلاد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفصيل (يرحمه الله) إلى جمع شمل القبائل، والاعتراف بشيوخها، وعرائفها، ثم إشراكهم بشكل فعلي في خدمة أرضهم وأهلهم والجد والاجتهاد في نشر الأمن والاستقرار في كل مكان. وقد قرأت واطلعت على مئات الوثائق والرسائل المتبادلة بين الملك عبدالعزيز ورجال دولته ومع الكثير من شيوخ ونواب وعرائف بلاد تهامة والسراة، ومنها هذه الأوطان التي ارتحلت فيها، وذكر لمحات من تاريخها وحضارتها في هذه المصادر[٢].

كان على الملك عبدالعزيز ورجال دولته أن لا يكتفوا بالقبائل وشيوخها في حكم بلادهم، وإنما أنشئت مؤسسات إدارية حديثة تتولى توطيد مفهوم الوحدة، وتحويل المجتمعات من عشائر وقبائل إلى دولة حديثة عصرية[٣]. وكانت بداية المؤسسات الإدارية السعودية الحديثة في عموم السروات وتهامة من مدينة أبها، حيث أنشئت الإمارة في نهاية الثلاثينات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم تبعها الكثير من الإدارات القضائية، والأمنية، والدفاعية، والتعليمية، والخدماتية الأخرى[٤]. ومن حاضرة أبها انتشر التطوير الإداري

فكل شيخ قبيلة أو عشيرة يعتبر الآمر الناهي في قبيلته وأراضيها، وأحياناً تتحالف عدد من القبائل في الدفاع عن أرضها في سلمها وحربها. ودراسة تاريخ القبائل في شبه الجزيرة العربية قديماً، وفي عموم السروات وتهامة موضوع مهم وكبير، يستحق أن يدرس في عشرات البحوث والكتب العلمية.

(١) لا تخلو أي ناحية مررت عليها في هذه الرحلة من بيوت مشيخة أو نواب أو عرائف معروفين منذ القدم في بلادهم وبين قبائلهم، وما زالت سيادتهم في قبائلهم حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م).

(٢) لقد نشرت الكثير من هذه الوثائق في عدد من بحوثي ومؤلفاتي خلال الثلاثين عاماً الماضية. ووجدت وضوح الرؤى والقرار والتوجه عند الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود الذي كان يهدف إلى نشر الأمن في كل مكان، وحفظ حقوق الناس وأرواحهم، والقضاء على الفوضى والصراعات القبلية التي كانت منتشرة في كل ناحية. وقد تحقق له ما أراد. وقد ساهمت القبائل وشيوخها في هذه البناء الحضاري الحديث، ولو لم يكن الملك عبدالعزيز صارماً وواضحاً في رسالته ومنهجه الذي قام على تحكيم كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) لما نجحت الأمور وتوحدت البلاد وانتشر الأمن والعدل في أرجائها (فغفر الله للملك عبدالعزيز وأسكنه جنات النعيم).

(٣) من يدرس تاريخ البلاد قبل ظهور الملك عبدالعزيز يجد أن هناك بعض المؤسسات الإدارية التي تمارس شيئاً من أعمالها، لكن في حدود ضيقة، لأن القبائل وشيوخها هم المهيمنون على أوطانهم، وليس بينهم اتحاد أو رابطة تخدم الأرض والناس بشكل عام في كل مكان، وإنما كل شيخ قبيلة هو من يتولى تصريف الأمور في أرضه وسكانها، وليس له علاقة بالقبائل والعشائر المجاورة. بل إن بعض القبائل ترى فيها القوة والعزة والمنعة فتسعى إلى مد نفوذها على غيرها، ويتولد عن ذلك صراعات مريرة. ولهذا كانت الحروب مستمرة، والفوضى منتشرة، وفقدان الأمن حاضر بقوة في جميع أنحاء البلاد وأوطان السروات وتهامة من أكثر البلدان التي عانت من هذا الاضطراب وعدم الاستقرار.

(٤) فصلت الحديث عن الكثير من المؤسسات الإدارية السعودية الحديثة التي أنشئت في حاضرة أبها من نهاية

الحديث حتى وصل القنفذة على ساحل البحر الأحمر، وشمل الكثير من المدن أو البلدات التهامية والسروية وحتى الأجزاء الشرقية من بلاد السراة[١].

لو تحدثنا ووثقنا التاريخ السياسي الحربي قبل قيام الدولة السعودية الحديثة، ثم أثناء توحيد البلاد في عصر الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل فإننا سوف نطلع على تفصيلات وصراعات كثيرة ومتعددة الأهداف والأحداث والنتائج. وكل القبائل في عموم السروات وتهامة ساهمت في تلك الحروب والتاريخ السياسي[٢]. وفي عصر الملك عبدالعزيـز كانـت مدينة أبها أيضاً محورية ورئيسية في بعـث الجيوش في كل مكان من أجـل توحيد البلاد. والبلاد الممتدة من أبها إلى الدرب فالبرك والقنفذة عرفت الكثير مـن الصدامات العسكرية المتنوعة، وكانت الغلبة في الأخير للملك عبدالعزيز وجيوشه. والأوطـان الممتدة من أبها نحو الشمـال إلى النماص وما جاورها من أراضي السرواتٍ، وكذلـك البـلادٍ التهامية الداخلية كمحايـل عسير والمجاردة وما حولهـا كانت أيضاً قد شهـدت حروباً وصراعات قبلية عديدة. لكـن إمارة منطقة عسير في أبها استطاعت أن تخمد كل الصراعات وتنشر الاستقرار في جميع هذه الأوطان[٣].

والقـارئ للتاريخ الإداري والمالي للبلدان الواقعة بين أبها والقنفذة والنماص خلال المئـة عام الماضية (١٣٤٠هـ-١٤٤٣هـ/١٩٢٢-٢٠٢١م) يجد أن مؤسسة الإمارة قامت

الثلاثينيـات وبداية الأربعينيات في القـرن (١٤هـ/٢٠م). وللمزيد انظر غيثان بـن جريس. أبها حاضرة عسـير (دراسة وثائقية). (الرياض: مطابـع الفرزدق، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) (٥٨٤ صفحة). وهناك الكثير مـن البحـوث والدراسات الأخرى التي نشرتها في (مجلة العـرب)، وفي مجلات علمية وثقافية أخرى، وفي بعض أجزاء موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢٤ مجلداً).

(١) إن المتتبـع لنشـأة المؤسسات الإداريـة السعودية الحديثة في القنفذة، والبرك، والمجـاردة، وبارق، ومحايل عسـير، والنماص، وتنومة، وبيشة، وسـراة عبيدة، وظهران الجنوب، وخميس مشيط، وغيرها من المدن والحواضـر في أجزاء عديدة من السراة وتهامة يجدها تفرعت من الإدارات الرئيسية التي قامت في أبها، وكانت جميعها تسعى إلى خدمة جميع السكان أمنياً وقضائياً وتنموياً وحضارياً.

(٢) تاريـخ بلاد تهامة والسراة السياسي والحربي قبل قيام الدولة السعودية الحديثة موضوع جديد في ميدانه ويستحـق أن يبسط ويوثـق في كتب وبحوث علمية عديدة. والجامعات المحلية وكلياتها وأقسامها الأكاديمية عليها مسؤولية تجاه هذا المشروع العلمي.

(٣) لا أدون هـذه الأخبـار من باب صـرف الكلام، وإنما هي حقائـق امتلأت بها الوثائق والمصـادر التاريخية الحقيقيـة. كمـا أن الكثير من المعاصرين والرواة أخبرونا بأخبـار وأحداث كثيرة وقعت في هذه البلاد من عام (١٣٤٠-١٣٧٣هـ/ ١٩٢٢-١٩٥٣م). وهناك الكثير من البشر الذين بذلوا ما في وسعهم لتوحيد البلاد ونشـر الأمن والاستقـرار، وكان للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل (يرحمه الله) ورجال حكومته في أبها وغيرها أدوار إيجابية متعددة. كما أن أهل البلاد أنفسهم أدركوا أهمية الوحدة ونشر العدل والأمن فلـم يتأخروا عن المشاركة الجيـدة في خدمة أهلهم وبلادهم. وأقول أن دراسة التاريخ السياسي المحلي في عمـوم السـراة وتهامة في عصر الملك عبدالعزيز موضوع يستحق أن يكتب في كتب وبحوث عديدة، مع ذكر مساهمـات السرويـين والتهاميين في بنـاء أوطانهم وأنفسهم منذ دخلت أبها تحت حكـم الدولة السعودية الحديثة حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م).

في عـدد مـن هذه النواحي، وكانت القنفـذة من أولها، ثم تبعتها بلـدات ونواحي أخرى مثـل النماص وغيرها، ولم يأت عام (١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)، إلاّ ومعظم الأوطان الكبيرة مـن أبها إلى الدرب فالقنفذة، ثم المجاردة وبـارق ومحايل عسير، ثم النماص وغيرها صارت محكومة بإمارات عصرية، ومعظمها تراجع إمارة أبها الرئيسية[١].

وفي الثلاثـين عاماً الماضيـة (١٤١٠-١٤٤٣هـ/١٩٩٠-٢٠٢١م) ذهبـت إلى عدد من مدن ومحافظـات وحواضر السروات وتهامة، وجمعت صفحات من تاريخها الإداري خلال المئة عام الماضية، واتضح لي عدد من الأمور التي أوثقها في النقاط الآتية:

١. أن جميع البلاد (تهامة وسراة) لم تعرف إمارات حديثة إلا مع ظهور الملك عبدالعزيز بـن عبدالرحمـن الفيصل الذي استفاد ممـا عند الآخرين، ثم جلـب أعداداً غير قليلـة من المتعلمين والمخططين والمثقفين الذين ساعدوه في تأسيس حكومة عصرية بجميـع وزاراتهـا، وإداراتها، وهيئاتهـا، مع حرصة الشديـد في الحفاظ على ثوابت البلاد وقيمها المبنية على منهج الشريعة الإسلامية السمحة[٢].

٢. جمعـت مـادة علمية عن بعض الإمـارات والأمراء، ثم المحافظـات والمحافظين في كثير مـن نواحـي السراة وتهامة. فوجـدت أن هناك عشـرات بل مئات الأمـراء الذين تولوا إمـارات كبـيرة وصغـيرة من أبهـا إلى القنفـذة أو النماصـ، أو بيشـة، أو بعض المدن الأخـرى في مناطـق جـازان ونجـران والباحة وحتى الطائـف، وفي الفـترة الممتدة من عـام (١٣٤٠-١٤٠٠هـ/١٩٢٢-١٩٨٠م)، فكانـوا على قدر كبير مـن النضج والحكمة والحصافـة في التعامل مـع الأرض والنـاس، ومعالجة الأمور والقضايـا التي تواجههم حسب الإمكانات والملابسات والظروف التي تحيط بكل مشكلة أو قضية، وكان من أعظم اهتماماتهم الحفاظ على أمن الناس واستقرارهم مع تحكيم شرع الله في كل شيء[٣].

---

(١) تاريـخ نشـأة ثم تطـور الإمارات في هذه البلدان وغيرهـا من مدن وحواضر ونواحي السـروات وتهامة من نجـران وجازان إلى الطائف ومكة المكرمـة في عهد الملك عبدالعزيـز (١٣٣٨-١٣٧٣هـ/١٩٢٠-١٩٥٣م) موضوعـات جديـدة لم تدرس وتوثق في هيئة رسائل أو كتب علميـة. حبذا أن نرى باحثين ومؤرخين جادين يتولون هذا المجال بدراسات علمية رصينة.

(٢) إن الدارس للتاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث في شبه الجزيرة العربية، وبخاصة المملكة العربية السعوديـة بحدودها الحديثـة يجد أن سكان هذه الأوطان عرفوا الإسلام منـذ ظهوره، وحصل الكثير من الأحـداث السياسيـة السلبية والإيجابية، لكـن منهج كتاب الله وسنة رسوله (صلـى الله عليه وسلم) كان السائد حتى وإن حدث صراعات وحروب متعددة على مر التاريخ وكتب التراث الإسلامي المبكرة والوسيطة حفظـت لنا الشـيء الكثير من النماذج الايجابية التي ساهمت في بناء الحضـارة الانسانية في هذه البلاد العربيـة الماجدة. وكان الملـك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود من هـذه النماذج الحديثة التي جمعت شتـات معظم بلدان شبه الجزيرة العربية تحت راية التوحيـد، ولم يكتف بذلك وإنما بنى حكومة وإدارات عصرية تخدم الأرض والإنسان ضمن إطار العقيدة الإسلامية الوسطية.

(٣) هـذا الـذي اتضح لي من قـراءة الكثير مـن الوثائق والسجـلات الرسميـة في أراشيف بعض المؤسسات

٣. واصلت البحث عن تاريخ الإمارات ثم المحافظين والمحافظات في معظم بلدان جنوب المملكة العربية السعودية من عام (١٤٠١-١٤٤٣هـ/١٩٨١-٢٠٢١م)، فوجدت الأمور تسير على نفس وتيرة الأوائل من حيث المتابعة، وتحقيق الأهداف السامية التي تقود إلى جمع الكلمة، وحفظ حقوق الناس، والحكم بالعدل، والحرص على رعاية التطور والتنمية الحديثة التي تمر بها البلاد منذ عقود، وما زالت تسير في اتجاه البناء الإيجابي. نعم إن الوضع الإداري والمهمات كثرت وتوسعت رأسياً وأفقياً، وهذا أمر طبيعي لأن أعداد الناس زادت، ثم إن عصرنا الحالي اختلف عن السابق باحداثه وتقنياته، واتصال العالم بعضه مع بعض. كما أن الكثير من ثقافات الناس وتجاربهم، واتصالهم ببعضهم داخل البلاد وخارجها جلبت الكثير من التعقيدات والمشاكل المتنوعة على مستوى الأفراد، أو الأسر، أو المدن والحواضر، أو على المستوى الداخلي والخارجي. وكل هذا زاد الأعباء والأعمال على المؤسسات الإدارية الحديثة وفي مقدمتها الإمارات والمحافظات[١].

تعد الإدارة المالية من الإدارات المهمة والحيوية. فالحياة المالية في عصور ما قبل الدولة السعودية الحالية كانت موجودة لكنها بسيطة ومتواضعة، وغالباً في المقرات السياسية الرئيسية. ومدينة أبها في مقدمة تلك المواطن. ثم إن الزكاة والرسوم على الأسواق والتجارات كانت هي الموارد المالية الأساسية، ولم يكن هناك تنمية حضارية عامة تعود على الناس بفائدة تذكر[٢].

بعد دخول منطقة عسير تحت حكم الملك عبدالعزيز آل سعود، بدأ الاهتمام بالحياة المالية، والإمام عبدالعزيز يعرف توفر الخيرات الحيوانية والزراعية في جميع الأوطان التهامية والسروية. وفي الوقت نفسه كانت الدولة بحاجة ماسة إلى مصادر اقتصادية

الإدارية، وعند بعض بيوت المشيخة أو البيوتات العلمية في نواحي عديدة من تهامة والسراة. كما تبين لي السياسة العامة التي تسير عليها الدولة وجميع وزاراتها ومؤسساتها الرسمية التي تحرص على تحكيم الشرع الحنيف في كل الأمور، مع نشر الأمن والعدل في أنحاء البلاد. ودراسة تاريخ الأمراء والإمارات في جميع بلدان المملكة العربية السعودية من الموضوعات الجديدة والمهمة التي تستحق البحث والتوثيق.

(١) وأقول أن كتابة تاريخ الإمارات والمحافظات من عام (١٤٠١-١٤٤٣هـ/١٩٨١-٢٠٢١م) في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية من الموضوعات المهمة التي تستحق أن يؤرخ لها، وتوثق مسيرتها التاريخية بانصاف وحيادية.

(٢) كانت معظم البلاد التهامية والسروية لا يسوسها مؤسسات مالية منظمة، مع أن المتصرفية العثمانية في عسير حاولت إنشاء بعض الإدارات التي تنظم جباية الزكوات وبعض الموارد المالية الأخرى. بل وجدت بعضاً من هذه الأنشطة في عهد الإمارات السياسية التي قامت في عسير وجازان وغيرها خلال العقود الأولى والوسيطة من القرن (١٣هـ/١٩م). والبحث في هذا الموضوع جيد، فهناك الكثير من الوثائق العثمانية التي أشارت إلى شيء من التاريخ المالي في الفترة من (١٢٨٨-١٣٣٧هـ/١٨٧١-١٩١٩م). وعند الناس بعض الوثائق والمصادر المدونة التي تعكس شيئاً من تاريخ الزكوات وغيرها من الموارد المالية خلال القرن (١٣هـ/١٩م) حتى ثلاثينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).

تساعدها في جمع شتات البلاد وتوحيدها، عندئذ عين الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة رئيساً لمالية عسير، ثم ماليات الجنوب. وكان لي بعض الجهود التاريخية التوثيقية عن أبو ملحة ودوره في إدارة أموال الجنوب وحفظها وتدبير شؤونها لمصلحة البلاد والعباد[١]. وقد اطلعت على آلاف الوثائق التي تصب في خدمة التاريخ المالي، ووجدت خطة واضحة من الملك عبدالعزيز لأبي ملحة، وقد أحسن الشيخ أبو ملحة الإدارة والتدبير في جمع الزكوات، والرسوم وغيرها التي كان بعضها يرسل إلى وزارة المالية، وأخرى تصرف في مصارف محلية عديدة من أجل التطوير والبناء[٢].

بقيت إدارات المالية في بلاد السراة وتهامة بعد موت الملك عبدالعزيز (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) تؤدي خدماتها المتنوعة، لكن لم تكن بنفس الشمولية والوضع الذي كانت عليه في عصر الملك عبدالعزيز والشيخ عبدالوهاب أبو ملحة لأن أحوال الناس تطورت وتحسنت في كلٍ الجوانب، وصار هناك رواتب نقدية مجزية من الدولة تصرف من وزارة المالية، وأيضاً المشاريع والخدمات الأخرى أصبح لها ميزانيات محددة للسير في ركاب التنمية الحديثة. وما زالت هذه الإدارات (المالية) موجودة في المدن الرئيسية مثل أبها، ولها أعمال وواجبات محددة تقوم بها حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) [٣].

والقضاء، والحسبة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الإدارات الحديثة التي تأسست في أبها منذ بداية الحكم السعودي الحديث[٤]. ومن يتجول في مدن الدرب، والحريضة، والبرك، والقوز، والقنفذة، وبلدان المجاردة، وبارق، ومحايل، وفي النماص، وتنومة، وبللسمر، وبللحمر، وأبها، وغيرها من حواضر ومدن السروات وتهامة يجد هذه الإدارات ما زالت تؤدي خدماتها بشكل جيد. وإذا درسنا بداية كل إدارة نجدها بدأت ثم

---

(١) نشرت بعض البحوث والدراسات في هذا الباب، ووضحت صوراً من تاريخ المال في الجنوب السعودي وكيف كان الشيخ أبو ملحة ومعه رجال مخلصون في الحفاظ على أموال البلاد وصرفها في منافع عامة وكثيرة. انظر غيثان بن جريس. عبدالوهاب أبو ملحة في جنوب البلاد السعودية (دراسة تاريخية وثائقية). (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) (الطبعة الثانية) (٥٩٦ صفحة).

(٢) إن مالية الجنوب التي مقرها مدينة أبها من عام (١٣٤٠-١٣٧٤هـ/ ١٩٢٢-١٩٥٣م) لها آثار إيجابيةٍ كثيرة على خدمة الأرض والناس في مناطق جازانٍ، ونجران، وعسير (تهامة وسراة) وما جاورها شمالاً، وفي شتى المجالات الحضارية. حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ هذه الآثار، وهناك مئات المصادر والوثائق المنشورة وغير المنشورة المفيدة لخدمة هذا الموضوع البحثي.

(٣) موضوع تاريخ الإدارة المالية في المملكة العربية السعودية بعد عصر الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يستحق أن يدرس في عدد من البحوث العلمية الموثقة.

(٤) كان في بعض بلدان السراة وتهامة بعضاً من هذه المؤسسات الإدارية منذ فجر الإسلام، وبقيت خلال عصور الإسلام حتى قيام الدولة السعودية الحديثة، لكنها كانت بسيطة في إمكاناتها، وأجور القائمين عليها ، ثم إن المصادر الإسلامية المبكرة والوسيطة لم تفصل الحديث في هذا الجانب المهم الذي يستحق دراسته في دراسات علمية عديدة.

تطورت من أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وقد اطلعت على بعض المدونات والوثائق التي رصدت شيئاً من تاريخها الحديث في بعض مناطق الباحة، والقنفذة، وعسير، ونجران. كما وثقت ونشرت صفحات من هذا التاريخ الحضاري في العصر السعودي الحالي[١].

وأثناء سيري من أبها إلى القنفذة، ثم عودتي إلى أجزاء من تهامة عسير وسرواتها رأيت الكثير من الإدارات الحكومية والأهلية في معظم المدن والحواضر الكبيرة والصغيرة. وبعضها أمنية، وأخرى تنموية وخدماتية في مجالات عديدة. كما أن العديد منها تأسست في عصر الملك عبدالعزيز (يرحمه الله)، وأخرى أنشئت بعد وفاته حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهناك أيضاً إدارات حديثة تأسست خلال العقود الأربعة الماضية (١٤٠٠-١٤٤٣هـ/١٩٨٠-٢٠٢١م)[٢].

كان عليّ أن أذكر بشكل مختصر إدارتين مهمتين كان وما زال لهما دور كبير في رسم خطط بناء الأرض والإنسان (التعليم العام والعالي، والبلديات)، فمؤسسات التعليم العام والعالي موضوع كبير جداً يكتب تاريخه في عشرات الكتب والبحوث، لكنني عاصرت جزء من هذا التطور، كما ألفت عدداً من الكتب والبحوث عنه. فلم تكن البلاد التي شاهدتها في هذه الرحلة وغيرها من أوطان السروات وتهامة خالية من التعليم والتعلم منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، وإنما كان هناك معلمون وطلاب علم، لكن نسبتهم قليلة جداً، بل بعض طلاب العلم خرجوا من ديارهم وذهبوا إلى الحجاز أو اليمن أو إلى بعض الأمصار الإسلامية، من أجل التعلم، ومنهم من رجع إلى ديارهم الرئيسية وآخرون أقاموا في البلاد التي ذهبوا إليها[٣].

أما بدايات التعليم الحديث فقد بدأ في منتصف العقد الخامس من القرن (١٤هـ/٢٠م) في كلٍ من أبها، والقنفذة، وبيشة، وجازان، والظفير في الباحة. وكانت بدايته بسيطة جداً من حيث عدد الطلاب، والمعلمين، والإمكانات، والمقرات. ثم انتشر التعليم العام من هذه الحواضر الخمس حتى عم بلدان السروات وتهامة. والحديث

---

(١) إدارات القضاء، والحسبة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل منطقة من مناطق الجنوب السعودي تستحق أن تدرس وتوثق في عدد من البحوث العلمية خلال الفترة من (١٣٤٠-١٤٤٣هـ/١٩٩٢-٢٠٢١م). آمل أن نرى بعض الباحثين والمؤرخين الجادين الذين يقومون بإنجاز مثل هذه الأعمال البحثية المهمة.

(٢) ليست مهمتي في هذه الرحلة وهذه الورقات تتبع كل إدارة رسمية أو أهلية رأيتها، أو شاهدت مقرها في البلدان التي ارتحلت فيها أثناء هذه الأيام الثلاثة (٤-٦/٥/١٤٤٣هـ الموافق ٨-١٠/١٢/٢٠١٢م)، وإنما أشرت إليها مؤكداً على أهميتها وما قدمته من خدمات إيجابية ويصعب توثيقها في صفحات معدودة، وإنما كل إدارة في كل حاضرة أو مدينة تستحق أن توثق في دراسة مستقلة.

(٣) ذكرت فقط مختصرات قليلة عن وضع التعليم والتعلم في بلاد السراة وتهامة منذ فجر الإسلام إلى خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهذا الموضوع مهم جداً، ومن يبحث فيه يجد تاريخ طويل وكبير، حبذا أن نرى باحثين نشيطين يؤرخون للحياة العلمية والتعليمية، خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة.

عن كل مدينة تعليمياً من المدن الآنف ذكرها، منذ نشأة التعليم فيها حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يحتاج إلى مئات وربما آلاف الصفحات. كما أن التعليم النسائي بدأ في هذه البلدان من ثمانينات القرن نفسه، ولم يأت عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، إلا والتعليم العام (للذكور والإناث) في معظم المدن والحواضر الكبيرة في مناطق الجنوب السعودي (الباحة، وعسير، ونجران، وجازان، والبلاد التهامية الممتدة من البرك والمجاردة حتى تهامة الطائف وجنوب مكة المكرمة). وقد تجولت في معظم هذه الأوطان خلال العشر سنوات الماضية (١٤٣٠-١٤٤٣هـ/٢٠١٠-٢٠٢١م) فوجدتها تحتضن مئات الآلاف من الطالبات والطلاب، وعشرات الآلاف من المعلمين والمعلمات، وآلاف المقرات الحكومية ناهيك عن الأبنية المستأجرة فما زال هناك بعض الأمكنة التي يوجد فيها مدارس مستأجرة لبعض مراحل التعليم العام. كما لا تخلو هذه الأوطان من مدارس أجنبية وخاصة يدرس فيها آلاف الطلاب والطالبات[(١)].

ومن خلال البحث عن التعليم العام في السروات وتهامة، وجدت أنه بدأ بسيطاً ومحدودا، واستمر أعضاء هيئة التدريس من خارج جنوب المملكة العربية السعودية فكان بعضهم من مكة المكرمة وبعض مدن الحجاز الأخرى، ومنذ السبعينيات تم استقدام المعلمين ثم المعلمات من دول عربية عديدة، وكان أكثرهم في بادي الأمر من بلاد الشام، ثم جاء المصريون والسودانيون والعراقيون فساهموا في مسيرة التعليم في عموم المملكة، وبدأ العنصر السعودي يدخل للعمل في هذا القطاع منذ الثمانينيات واستمر السعوديون والمتعاقدون يؤدون أعمالهم حتى عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م)، مع تزايد أعداد السعوديين وتناقص المتعاقدين، ولم يأت العقد الثالث من القرن نفسه إلا وجميع المدرسين والمدرسات من الجنسية السعودية، وربما وجد بعض المتعاقدين (رجالا ونساء) يعدون على الأصابع يعملون في بعض المناطق النائية. أما اليوم عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) فمن الصعب جدا أن نرى مدرسا أو مدرسة متعاقدة في التعليم النظامي الحكومي، وما زالت المدارس الأهلية الخاصة حتى الآن تجمع بين الكوادر البشرية السعودية وغير السعودية[(٢)].

---

(١) درست ثم طبعت ونشرت العديد من الدراسات عن التعليم العام في بعض مناطق جنوب المملكة العربية السعودية منذ بداية العقد الثاني في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر. كما جمعت الكثير من الوثائق والسجلات الخاصة بالتعليم العام النظامي في مناطق عسير، وجازان، والباحة، والطائف، وأيضاً بعض الصور الفوتوغرافية. وما زال هناك الكثير الكثير من الموضوعات الجديدة التي تستحق أن تدرس وتوثق في عموم البلاد الممتدة من مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران. آمل من أساتذة أقسام التربية والتاريخ في جامعات الجنوب السعودي أن يخدموا هذا المجال المهم من خلال بحوث ودراسات علمية موثقة.

(٢) قمت بزيارات متعدد لعدد من إدارات التعليم في السروات وتهامة، كما التقيت بالعديد من المعلمين الأوائل وبعض المدرسين في وقتنا الحاضر. أيضاً اطلعت على الكثير من السجلات والتقارير الخاصة بالتعليم العام في المملكة وبخاصة جنوبها، ووقفت على بعض الأراشيف القديمة في بعض المدارس فوجدت أن هناك تراثاً وتاريخاً كبيراً ما زال متناثراً وغير مدون. آمل من المؤرخين الجادين المعاصرين أن يوثقوا شيئاً من

أما التعليم العالي فهو الآخر ميدان رحب، بدأ للبنين في أبها عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ومع مطلع القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأ تعليم البنات الجامعي. والدارس لهذا الميدان في العقد الأول من هذا القرن يجد أن مدينة أبها كانت تحتضن عدداً من الكليات العلمية والإنسانية، وفيها أقسام عديدة يدرس فيها مئات الطلاب والطالبات. ثم امتد التعليم الجامعي إلى العديد من المدن والمحافظات في مناطق نجران وجازان والباحة. كما أنشئت أيضاً كليات صحية وتقنية عديدة في أبها وغيرها من حواضر جنوب المملكة العربية السعودية[1].

وفي عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) كان لحاضرة أبها موعد آخر مهم مع مسيرة التعليم الجامعي، فأنشئت جامعة الملك خالد التي أدرج تحت مظلتها الكليات القائمة في أبها، وكلية المجتمع في جازان، ثم تطورت هذه الجامعة وأنشأت العديد من الكليات الجديدة والنوعية في مدن أبها، وخميس مشيط، والنماص، والمجاردة، ومحايل عسير وغيرها. بل امتدت آثارها الإيجابية إلى تأسيس كليات أخرى في جازان ونجران، ولم تأت نهاية العشرينيات من هذا القرن إلا وخرج من تحت مظلة جامعة الملك خالد جامعتا جازان ونجران، وضمت كليات البنات، والكليات الصحية والتقنية في منطقة عسير تحت إدارة جامعة الملك خالد. وفي منتصف الثلاثينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) استقلت أيضاً جامعة بيشة التي كانت فرعاً من جامعة الملك خالد. وما زال فرع جامعة الملك خالد بتهامة في طريق التوسع والتطوير حتى يصبح جامعة مستقلة، وقد يكون ذلك قريباً[2].

وأثناء سيري في هذه الرحلة القصيرة من أبها إلى القنفذة ثم المجاردة فالنماص رجوعاً إلى أبها. فقد شاهدت آثار جامعة الملك خالد ثم جامعة جازان وأيضاً جامعة أم القرى في مكة المكرمة التي أنشأت كليات عديدة في تنومة والنماص، ثم المجاردة، ومحافظتي بارق ومحايل، والقنفذة، والدرب أيضاً. ومما لاحظته في البلاد التهامية الممتدة من الدرب إلى القنفذة ثم المجاردة فمحايل عسير ورجال ألمع الكثافة السكانية الكبيرة جداً، وفي هذه البلاد عشرات الآلاف من الطلاب، وهم جميعاً يستحقون أكثر

هذا التاريخ الحضاري المهم. كما أرجو من بعض المعلمين الأوائل وبخاصة من عندهم القدرة على التدوين أن يكتبوا مذكراتهم عن التعليم العام، كيف عاصروه، وما هي الدروس التي يمكن الخروج بها من خلال تجاربهم مع التعليم.

(١) أدون هذه المعلومات لأنني عاصرت التعليم العالي في أبها وعموم مناطق جنوب المملكة العربية السعودية منذ البداية حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). وأقول أن العشرين سنة الأولى من التعليم الجامعي في هذه الأوطان (١٣٩٦-١٤١٦هـ / ١٩٧٦-١٩٩٥م) تستحق أن تدرس دراسة علمية توثيقية في عدد من الرسائل والكتب العلمية، أرجو أن يتحقق ذلك على أيدي أساتذة الجامعات المحلية.

(٢) أوجزت الحديث عن التعليم الجامعي والعالي في جنوب المملكة العربية السعودية وبخاصة مناطق عسير، وجازان، ونجران. وهذا المجال كبير جداً، ويستحق أن يوثق في عشرات الكتب والبحوث العلمية، آمل أن يتحقق ذلك على أيدي باحثين جادين منصفين.

مـن جامعة في هذه البلاد الواسعة، والملاحظ أنه لا يوجد فيها حالياً إلا كليات محدودة في إمكاناتها وأعدادها، آمل أن نرى فيها قريباً جامعة أو جامعتين تشمل جميع الكليات والأقسام العلمية والإنسانية[1].

أما الحديث عن الجهود التي بُذلت في تأسيس مؤسسات التعليم العالي في الجنوب السعـودي، وعن المقـرات والإمكانات الماديـة، وكذلك أعضاء هيئـة التدريس والكوادر البشريـة فقد بدأت صعبة حيث واجـه المؤسسون الكثير من العقبات والمشاكل المتعددة. واليـوم أصبحنا نـرى مقرات جامعية حكوميـة كبيرة ومميزة في مواقعهـا وإمكاناتها. فهنـاك مدن جامعية في جازان، ونجران، وبيشة، والباحة وجميعها شيدت في العشرين عاماً الماضية (١٤٢٢هـ - ١٤٤٣هـ/ ٢٠٠١-٢٠٢١م).

أما مقرات جامعة الملك خالد فقد بدأت بأبنية مستأجرة من عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ثـم استقلت الجامعة بأبنيـة حكومية عامي (١٤٢٩هـ - ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٨-٢٠٠٩م) أما المدينة الجامعية الرئيسية في الفرعاء (القرعاء) فقد بدأت فكرتها في مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) لكنها لم تبدأ فعلياً في البناء والتشييد إلا في نهاية العشرينيات من القرن نفسه. واستمرت حتى مطلع عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ثم بدأت بعض الإدارات والعمادات المسانـدة والكليـات بالانتقال إلى مقراتهـا الجديدة في الفرعاء (القرعـاء)، وما زالت معظـم الكليات حتى كتابة هذه السطور في شهر جمـادى الأولى (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) في مقراتها الأولى في حي القريقر بأبها، وأعتقد أنه مع نهاية العام الهجري قد تنتقل جميع الكليات إلى هذه المدينة الجامعية الجديدة في الفرعاء (القرعاء)[2].

كانت الكوادر البشرية وبخاصة أعضاء هيئة التدريس السعوديين في التعليم العالي شبه معدومة عند قيام بعض الكليات الجامعية في أبها في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) والسنـوات الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وجميـع أعضاء هيئة التدريس في تلك الكليات من دول عربية عديدة كمصر، والأردن، وفلسطين، والسودان، وبعض دول شمال

---

(١) أدون هذه التوصية لأنني ابن التعليم العالي في الجنوب السعودي منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي، ثم إننـي ما زلت أتجول في ربوع هذه الأوطان العربيـة الماجدة، والدولة بذلت قصارى جهودها (والحمد لله) في توفـير التعليـم الجامعي لكل الناس، لكن ما زال هنـاك مناطق في تهامة تستحق أن يكون فيها جامعات مستقلة، وليست فروعاً من جامعات.

(٢) أنجـزت العديد من الدراسات العلمية الخاصة بالتعليـم العالي في منطقة عسير وما جاورها خلال الأربع سنـوات الماضيـة. ونشرت أغلبها في أجزاء عديـدة من موسوعة (القول المكتـوب في تاريخ الجنوب) (٢٤ مجلـداً). كما أصدرت كتابـاً في جزئين بعنوان: جامعـة الملك خالد (١٤١٩-١٤٤٢هـ/١٩٩٨-٢٠٢١م). (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م). (١١١٤ صفحـة). وما زالت جامعـة الملك خالد وغيرها مـن الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في جنوب المملكة العربية السعودية تستحق أن تُدرس وتوثق في كتب وبحوث عديدة.

أفريقيا، وبعض الإنجليز والأمريكان الذين كانوا يدرسون اللغة الإنجليزية. بل إن كثيراً مـن الأسـاتـذة العرب الذين عملوا في كليتي التربية والطـب بفرع جامعة الملك سعود في أبهـا كانوا يحملون جنسيات أوروبية أو أمريكيـة، ومنهم الذين حصلوا على شهاداتهم العليا (الماجستير والدكتوراه) من الاتحاد السوفيتي سابقًا[١].

وإذا درسنا أحوال كليات البنات في أبها، فكان القائمون عليها عضوات هيئة تدريس غـير سعوديات. وبقي التعليم العالي في عمـوم جنوب البلاد السعودية مخدوماً من قبل المتعاقـدات والمتعاقدين غـير السعوديين وبشكل كبير جداً من عـام (١٣٩٦-١٤٢٠هـ/ ١٩٧٦-١٩٩٩م)[٢]. وفي هـذا الوقـت انتشـر التعليـم الجامعـي، إلى حـد مـا، في كل الحواضـر الجنوبية السعودية الكبيرة مثل خميـس مشيط، وبيشة، والباحة، والقنفذة، والنماصـ، ونجران، وجازان. وارتفعت أيضاً نسبة السعوديات والسعوديين الأكاديميين في هذه البلدان التهامية والسروية[٣].

منـذ تأسيـس جامعة الملك خالـد في أبها (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) بـدأ التطوير الأفقي والرأسـي الفعلي لمسـيرة التعليم الجامعي في جنوب البـلاد السعودية. فتضاعفت أعداد الطالبات والطلاب حتى أصبح عددهم يقدر بعشرات الآلاف، بل دخلوا مئات الألوف بعد تأسيـس جامعات حكومية عديدة مـن الطائف إلى نجران، ومن مكة المكرمة إلى جازان. وكذلـك أعضـاء هيئة التدريـس (الذكور والإنـاث) أصبحوا اليـوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يقـدرون بالآلاف، وربمـا نسبة السعوديـات والسعوديين تزيد عن النصـف وقد تصل في بعض الكليات إلى (٦٠٪) أو (٧٠٪). ناهيك عن الموظفات والموظفين فجميعهم سعوديات وسعوديون، وإن وجد فيهم بعض المتعاقدين والمتعاقدات فنسبتهم قليلة جداً[٤].

---

(١) المصـدر: معاصرة الباحـث لنشأة وتطور الكليات الجامعيـة في حاضرة أبها خـلال العقدين الأولين من تاريخها، كما وثقت بعض الدراسات عن تلك الفترة، وهي مطبوعة ومنشورة ورقياً وإلكترونيا.

(٢) عاصـرت ورأيـت الكثير من أعضاء هيئة التدريس غـير السعوديين الذين كانوا يعملـون في كليات وأقسام أكاديمية في حواضر جنوب البلاد السعودية، وكان البعض منهم علماء في تخصصاتهم وأعمالهم العلمية المتنوعـة. حبـذا أن يؤرخ لبعض تلك النماذج المبدعة التي لها آثار ملموسـة من خلال مؤلفاتهم وأبحاثهم ومحاضراتهـم العامـة ومشاركاتهم العلمية والثقافيـة المختلفة. وكيف كان لهـم أدوار إيجابية في مسيرة التنمية الحضارية المحلية.

(٣) دراسـة تطور التعليم الجامعـي في جنوب المملكة العربية السعودية، ودور الكـوادر السعودية في هذا البناء والتطويـر خلال (العقود الخمسة الماضية (١٣٩٦-١٤٤٣هـ/١٩٧٦-٢٠٢١م) موضوع مهم وكبير يستحق أن يدرس ويوثق في بحوث ودراسات علمية عديدة.

(٤) أوثـق هـذه الأقوال من خلال التجربة والمعاصرة للتعليم العـالي في جنوب المملكة العربية السعودية من عام (١٣٩٦-١٤٤٣هـ/١٩٧٦-٢٠٢١م)، وممـا قرأتـه واطلعت عليه في عشـرات التقارير الجامعيـة السنوية، وكذلك الخطابات والوثائق الرسمية التي تؤرخ لجزئيات من تاريخ التعليم الجامعي في تهامة والسراة.

وإذا توقفنا مع آثار الكليات الجامعية للبنين والبنات في أبها من عام (١٣٩٦-١٤١٩هـ/١٩٧٦-١٩٩٨م)، فإننا نجد الكثير من الآثار التنموية الايجابية على حاضرة أبها أولاً، ثم على جميع بلدان جنوب البلاد السعودية من القنفذة والباحة شمالاً إلى جازان ونجران جنوباً. وكوني أحد طلاب ثم أساتذة الجامعة في تلك الفترة، فقد عاصرت، وشاهدت، وعرفت، وقرأت عن التطورات المادية والمعنوية الكبيرة التي عادت على الأفراد، والأسر، والمجتمعات في عموم السروات وتهامة من خلال تلك المؤسسات (الكليات) الجامعية التي بدأت من مدينة أبها وانتشرت في مدن وحواضر عديدة في الجنوب السعودي[١].

تأسست جامعة الملك خالد عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، وواصلت مسيرة البناء ليس في أبها أو عسير فقط، وإنما امتدت آثارها الإيجابية إلى منطقتي جازان ونجران[٢]. والوضع هنا تغير كثيراً عن نشأة التعليم العالي في أبها ثم باقي مناطق جنوب المملكة من عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، فالذين قام التأسيس والبناء الأول على أكتافهم كانوا من الأساتذة وأعضاء هيئة التدريس غير السعوديين[٣]. أما في بداية العشرينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) فكان معظم المخططين والمسؤولين والعاملين في البناء والتطوير من السعوديين، ومعظمهم من بلدان السروات وتهامة ومن مخرجات تلك الكليات الفرعية في أبها خلال العقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ولم تكن جهودهم فقط مقصورة على تأسيس وبناء وتطوير جامعة الملك خالد وكلياتها في منطقة عسير، بل الكثير منهم بذلوا الجهود الكبيرة والمتنوعة في تأسيس بعض الكليات الجامعية في جازان ونجران. وعند استقلال جامعتي نجران وجازان كان معظم المسؤولين فيها من طلاب كليات مدينة أبها قبل جامعة الملك خالد، ثم من بعض المسؤولين والأساتذة في جامعة الملك خالد[٤].

وأقول أن الجامعات الأربع (الملك خالد، وجازان، ونجران، والباحة) بالإضافة إلى جامعة الطائف تستحق أن يوثق تاريخها وآثارها الإيجابية على الأرض والناس في عموم بلدان جنوب المملكة العربية السعودية.

(١) من الصعب التفصيل في هذه الورقات المحدودة عن تلك الآثار المثمرة والإيجابية على الأرض والسكان لمدة ربع قرن (١٣٩٦-١٤١٩هـ/ ١٩٧٦-١٩٩٨م)، لكنني فقط ألمحت إلى هذا الموضوع الذي يستحق أن يُدرس في رسائل وكتب وبحوث علمية عديدة، وأرجو أن نرى من بناتنا وأبنائنا المؤرخين من يتولاه بالتدوين والدراسة العلمية التوثيقية التحليلية.

(٢) أرجو أن نرى باحثاً ومؤرخاً جاداً ونزيهاً يُؤرخ لدور جامعة الملك خالد في تأسيس وتطوير التعليم الجامعي في منطقتي جازان ونجران قبل جامعة الملك خالد وبعد تأسيسها.

(٣) أرصد هذه الأقوال من خلال المشاهدة والمعاصرة. فقد كان عمداء الكليات الأولى في أبها، وأحياناً الوكلاء من السعوديين، أما الذين اجتهدوا وعملوا وبنوا وأسسوا تلك الكليات وتابعوا الإشراف عليها وعلى الطلاب الدارسين فيها فكانوا المتعاقدات والمتعاقدين من بلدان عربية وإسلامية عديدة.

(٤) إن الكليات الجامعية في مدينة أبها، قبل قيام جامعة الملك خالد (كليات الشريعة وأصول الدين، واللغة

وعند ذهابي في رحلتي الأخيرة من أبها إلى القنفذة ثم المجاردة والنماص شاهدت والتقيت بالكثير من المعلمين والمشرفين ومدراء التعليم ووكلائهم فكان الكثير منهم ممن تخرج في كليات أبها خلال العقدين الأوليين من تاريخها (١٤٠٠-١٤١٩هـ/ ١٩٨٠-١٩٩٨م)، ومنهم أيضاً ممن تخرج في كليات جامعة الملك خالد في أبها أو محايل عسير. كما قابلت في بعض مجالس القنفذة العامة موظفين متقاعدين وآخرين ما زالوا على رأس العمل وأخبروني أنهم من خريجي كليات التعليم الجامعي في منطقة عسير وبخاصة في مدينة أبها. كما رأيت مدراء ووكلاء بعض المؤسسات الإدارية الأخرى في الدرب، والحريضة، والبرك، والقحمة، والقنفذة، ومحايل عسير، وبارق، والنماص، وبللسمر، وبللحمر فكانوا جميعهم جامعيين تخرجوا في أقسام وكليات جامعية في مدينة أبها، وبعضهم من خريجي جامعتي جازان ونجران[1].

زرت بعض الكليات الجامعية في الدرب، والقنفذة، ومحايل عسير، وبارق، والمجاردة، والنماص، وتنومة فوجدت معظم المسؤولات والمسؤولين في هذه الكليات من خريجي مؤسسات التعليم العالي في منطقة عسير، وبعضهم قد تقاعدوا وكانوا من طالبات وطلاب الكليات الجامعية في أبها قبل عام (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م). أما عضوات وأعضاء هيئة التدريس في هذه الكليات حالياً فأكثرهم من أساتذة جامعة الملك خالد، وبعضهم ممن عملوا معيدات ومعيدين في كليات هذه الجامعة ثم ذهبوا للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه داخل البلاد وخارجها، وعادوا إلى جامعتهم الأم (الملك خالد)، ثم نقلوا خدماتهم إلى كليات عديدة في هذه البلدان والمدن التي مررت عليها في هذه الرحلة، وآخرون انتقلوا إلى كليات وجامعات في حواضر أخرى بالمملكة العربية السعودية[2].

أما مؤسسة البلديات فلا تقل أهميتها عن مؤسسات التعليم العام والعالي، فإذا كان التعليم يبني الإنسان معرفياً وتنويرياً، فالبلديات تبني وتشرف على بناء الأرض

العربية، والتربية، والطب، وكلية المعلمين، وكلية التربية للبنات) كان لها آثار كبيرة في تطور التعليم العام والعالي في جنوب البلاد السعودية، فقد تخرج منها آلاف الطالبات والطلاب الذين خدموا التعليم العام، ومنهم من واصلوا دراساتهم العليا داخل البلاد وخارجها ثم عادوا للعمل في كلياتهم في حاضرة أبها. وعند تأسيس جامعة الملك خالد انخرطوا في البناء والتطوير للجامعة في عموم منطقة عسير ومنطقتي جازان ونجران. وبعد استقلال جامعتي نجران وجازان كان معظم المسؤولين وأعضاء هيئة التدريس في هاتين الجامعتين من خريجي كليات أبها، ومن أساتذة جامعة الملك خالد.

(١) إن الآثار الإيجابية للتعليم الجامعي على عموم بلدان جنوب المملكة العربية السعودية كثيرة، ولا يمكن اختصارها في سطور أو صفحات محدودة. وهي من الموضوعات البحثية الجيدة والجديدة حبذا أن نرى باحثين جادين يقومون بإنجاز هذه الدراسات العلمية التوثيقية.

(٢) إنني أدون وأوثق شذرات من آثار مؤسسات التعليم العالي في عسير وعلى وجه التحديد مدينة أبها، وكيف كان لتلك المؤسسات جهود جيدة وإيجابية في نشر التعليم الجامعي في المملكة العربية السعودية وبخاصة بلاد تهامة والسراة.

عمرانياً وتنموياً. والبلديات من المؤسسات القديمة في مدينة أبها. وقد اطلعت على مئات الوثائق، ونشرت الكثير من التفصيلات عن تاريخ بلدية أبها وما يتبعها من مؤسسات إدارية في منطقة عسير (سراة وتهامة) منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) [١].

إنني أعرف كل البلدان التي عبرتها خلال الأيام الثلاثة في هذه الرحلة (٤-٦/٥/١٤٤٣هـ) منذ أربعين عاماً، وشاهدت مسيرة العمارة والبناء فيها لكل المجالات التنموية الحديثة. والبلديات المسؤولة عن الإشراف والمتابعة لهذا التطور الذي كان محدوداً وبسيطاً من نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى عشرينيات القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم زاد المال والخير عند الناس فتوسعوا في بناء منازلهم وقراهم وأحيائهم ومدنهم، كما زادت مشاريع الدولة العمرانية من مدارس ومقرات حكومية ومراكز حضارية، وأسواق أسبوعية ويومية، وشوارع صغيرة وكبيرة، وحدائق، ومتنزهات برية وبحرية، ومقابر، وملاعب رياضية، وصالات ترفيهية واجتماعية وغيرها [٢].

خرجت من أبها وعدت إليها في غضون (٧٢) ساعة، فرأيت مبنى أمانة منطقة عسير وسط مدينة أبها، ويتبعها العديد من البلديات في الحريضة، والبرك، والمجاردة، ومحايل عسير، والنماص، وتنومة، واثنين بللسمر، وصبح في سروات بللحمر. كما زرت بلديات أخرى في الدرب والشقيق وتتبع أمانة منطقة جازان، وبلديات في القوز والقنفذة وتتبع أمانة منطقة مكة المكرمة. ومما عرفته ولاحظته على هذه الإدارات الخدماتية ما يلي:

١. كثرة هذه البلديات وتعدد إداراتها وفروعها ومكاتبها، وكثرة موظفيها مع أن عددهم يتفاوت من بلدية لأخرى، وأيضاً الفخامة الظاهرة على مقراتها المعمارية من حيث جودة الموقع، وتعدد أدوارها وجمالها، واتساع ما يحيط به من أفنية ومرافق [٣].

٢. ليس هناك وجه مقارنة بين مقرات البلديات وغيرها من المؤسسات الإدارية الأخرى. بل بعض الإدارات ما زالت في أبنية مستأجرة داخل المدن الكبيرة وأيضاً

---

(١) درست ونشرت الكثير من الدراسات والوثائق التي تؤرخ لبلدية أبها ومجلسها البلدي منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكيف كانت تتولى الإشراف على الأسواق ورسومها بالتعاون مع مالية عسير، أيضاً كانت تمتد مسؤولياتها إلى بعض الموانئ على البحر الأحمر مثل مينائي القحمة والبرك وغيرهما. وتاريخ البلدية والمالية في عسير من عام (١٣٤٠-١٣٨٠هـ/١٩٢٢-١٩٤١م) موضوعان جديدان يستحقان أن يدرسا في بحثين علميين، وحبذا أن يكونا موضوعين لرسالتين علميتين. (ماجستير أو دكتوراه).

(٢) إن الذاهب في أرجاء السروات وتهامة يجد هذه المشاريع التنموية منتشرة في كل مكان، والناس (سعوديين وغير سعوديين) يستفيدون من الخدمات المقدمة في هذه المجالات التنموية. وجميعها موضوعات تاريخية حديثة تستحق الدراسة والتوثيق في بحوث عديدة، أرجو من المؤرخين المحليين أن يوثقوا شيئاً من بداياتها ثم تطورها حتى الآن (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م).

(٣) تجولت في معظم مناطق المملكة العربية السعودية فوجد أفضل مقرات المؤسسات الحكومية تتمثل في أبنية البلديات. وهذه جهود بذلت من وزارة البلديات في سنوات مضت، فكانت نتيجة هذا الاجتهاد هو تشييد مقرات كبيرة وفارهة لمعظم البلديات في أنحاء البلاد.

في بعض البلـدات والمراكز. وتمنيـت أن أرى الإدارات الحكوميـة والأهلية الأخرى في مقـرات رسميـة وليست مستأجرة وقديمـة في عمارتها ومرافقهـا. مع أن بعض المؤسسات الحكومية يعود تاريخها إلى خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).

٣. اتضح لي أن إدارة البلديات في كل ناحية هي المسؤولة الرئيسية عن مسيرة التخطيط والبناء العمراني في المدن، والحواضر، والمراكز، وحتى بعض الأرياف. أما البوادي وبخاصة في تهامة فما زالت خارج إشراف البلديات.

٤. زرت بعض البلديات، وكان أولها أمانة منطقة عسـير، وبعض الإدارات في الدرب، والحريضـة، والـبرك، والمجـاردة، والنماص، وبللسمـر وحصلـت علـى عدد من التقاريـر والخرائط لبعض منجزاتهـا خلال السنوات العشـر الماضية. واتضح لي مقدار النشاط والجهود الجيدة التي تبذلها هذه المؤسسات الإدارية الخدماتية.

٥. حصلـت أيضاً على بعض المدونات، والكتيبات والتقارير مـن أمانة منطقة عسير، واتضـح شمولية الإشراف من الأمانة علـى فروعها (البلديات) في تهامة والسراة. كمـا وجدت عدداً مـن المشاريـع المستقبلية التي تعتـزم الأمانة وبلديتـا الحريضة والبرك على تنفيذها على ساحل البحر الأحمر، حتى تكون أمكنة سياحية مخدومة بشـكل جيد، تستقبـل زواراً وسواحاً من داخل المملكة العربيـة السعودية وخارجها. كمـا اطلعت أيضـاً على مشاريع أخرى ضمن خطط الأمانـة وبلديات أبها، ومحايل عسير، والمجاردة، والنماص، ومدن وحواضر أخرى في منطقة عسير.

٦. حاولـت الحصول علـى بعض المصـادر والتقارير من بلديـات القنفـذة، والقوز، والشقيـق، والدرب حتى أطلع على بعض الأنشطة التنموية في هذه النواحي، لكنني لم أستطع الحصول على مبتغاي، مع أنني شاهدت على الواقع في هذه المدن الكثير من المشاريع الحضارية التنموية الحديثة والمعاصرة.

٧. وجـدت معظم الموظفـين والعاملـين الرسميـين في هـذه الإدارات (البلديات) من السعوديـين ومنهـم نسبة محـدودة من النسـاء. ورأيت بعض المهندسـين والفنيين والتقنيين من جنسيات غير سعودية، لكن نسبتهم أيضاً قليلة[1].

(١) عاصـرت بعض إدارات البلديـات في منطقة عسـير في تسعينيات القـرن (١٤هـ/٢٠م) والعقدين الأولين مـن هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) فكان أعـداد غير السعوديين كثـيرة، ومعظمهم من دول عربيـة مثل مصر، والسـودان، وبلاد الشـام. وأقول أن تاريخ كل بلدية في كل مدينة ومحافظة مـن محافظات السروات وتهامة تستحق أن يفرد لها دراسات تاريخية عديدة، وحبذا لو تدعم هذه البحوث ببعض الصور والخرائط الملونة.

ثالثاً: الملتقى العلمي لتاريخ وحضارة القنفذة عبر العصور في الفترة من (٣-٤/٥/١٤٤٣هـ الموافق ٧-٨/١٢/٢٠٢١م):

١-أهداف الملتقى ونبذة عن أوراقه العلمية:

إن الحديث عن الهدف من ملتقى القنفذة يقودنا للحديث عن الجمعية التاريخية السعودية التي انعقد الملتقى تحت مظلتها. بدأت فكرة الجمعية في جامعة الرياض (الملك سعود حالياً) عام (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، فأنشئت الجمعية التاريخية الآثارية، ثم تحولت هذه الجمعية إلى قسم أكاديمي في كلية الآداب باسم (قسم الآثار والمتاحف)[١]. بدأ قسم التاريخ في جامعة الملك سعود بإنشاء جمعية جديدة ابتداء من عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، وتقدم أعضاء قسم التاريخ في كلية الآداب بلائحة مقترحة إلى الجامعة، ووافق عليها المجلس العلمي عام (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م). بدأت الجمعية التاريخية السعودية نشاطها وعقد ندواتها السنوية. وأقامت أكثر من عشرين لقاء وندوة. وصار للجمعية الرئيسية التي مقرها جامعة الملك سعود فرعين آخرين. الأول في منطقة عسير، والآخر في منطقة مكة المكرمة. والجمعية وفرعاها يعملون على تقديم لقاءات سنوية وأحياناً نصف سنوية يحضرها الأساتذة والمهتمون بالدراسات التاريخية والحضارية من أقسام التاريخ والآثار في الجامعات والهيئات العلمية والتعليمية السعودية. أصدرت الجمعية العديد من الكتب والبحوث العلمية، ولديها مجلة علمية محكمة تنشر بحوث أعضاء الجمعية[٢].

أما ملتقى القنفذة العلمي، فالذي اقترحه وتابع مراحل تنفيذه فرع الجمعية في مكة المكرمة، والدكتور فهد بن عتيق الملكي، رئيس الفرع، والدكتورة هالة المطيري، نائبة الرئيس هما من بذلا قصارى جهودهما حتى انعقاد الملتقى في مدينة القنفذة في يومي الثلاثاء والأربعاء (٣-٤/٥/١٤٤٣هـ)، وكان موضوعه: **تاريخ وحضارة القنفذة عبر العصور.**

سبق أن اتصل بي الدكتور فهد المالكي في نهاية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) على أن أشارك بورقة في هذا اللقاء العلمي، لكن ظروفي لم تكن ميسرة فاعتذرت، وقبل انعقاد الملتقى بحوالي عشرة أيام أرسلت لفرع الجمعية هدية (٤٢٠) نسخة من تسعة مؤلفات لي كانت قد صدرت خلال الخمس سنوات الماضية (١٤٣٨-١٤٤٣هـ/٢٠١٧-٢٠٢١م) على أن توزع على الحضور، واعتذرت أيضاً من الذهاب للظروف نفسها[٣].

(١) للمزيد انظر عوض بن عبدالله بن ناحي. المؤرخ غيثان بن جريس في الصحف والمجلات والندوات (١٤٠٧هـ- ١٤٤٠هـ/ ١٩٨٧-٢٠١٨م). (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) ص ٤٧٣-٤٧٤.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) كان اتصالي مع الدكتور فهد المالكي بخصوص هذه الكتب الهدية، وعند استلامها زودني مشكوراً بخطاب شكر بختم فرع الجمعية في مكة المكرمة بتاريخ (٢٢/٤/١٤٤٣هـ). انظر صورة هذا الخطاب، في كتاب:

قبل انعقاد الملتقى بأربعة أيام اتصل بي الدكتور علي بن حسن بن إبراهيم الفقيه، وقال: "نعلم أنك صديق والدي، وقد كتبت عنه في عدد من مؤلفاتك. ورأيت أنا وإخواني وأخواتي أن نكرمك على هامش ملتقى القنفذة، فأخبرته ببعض ظروفي وطلبته أن يعفيني، لكنه امتنع» وقال "إذا كان لنا نحن أسرة حسن الفقيه احترام، ولوالدنا حب وتقدير عندك فأرجو الموافقة والحضور» عندئذ وافقت ونزلت عند رغبته، وقلت له سوف أحضر في نفس اليوم الذي تعقدون فيه احتفالكم وتكريمكم لي ولغيري. وخرجت من أبها في اليوم الثاني من انعقاد اللقاء (الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤هـ)، ورأيت في الوقت نفسه أن أدون بعض مشاهداتي وانطباعاتي أثناء ذهابي وإيابي فخرجت من أبها إلى الدرب والبرك حتى وصلت القوز والقنفذة ثم رجعت إلى النماص وعدت مع طريق السروات إلى أبها. واستغرقت هذه الرحلة حوالي ثلاثة أيام، وثقت فيها شيئاً مما شاهدته أو عرفته، وحضرت احتفالية أسرة آل الفقيه، وألقيت كلمة على الحاضرين شكرت فيها أبناء وبنات الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه ودعونا له بالرحمة والمغفرة[1].

لم أتمكن من حضور الأوراق العلمية التي قدمها حوالي عشرين باحثاً وباحثة، وكنت أتمنى ذلك، لكن الظروف حالت دون ذلك، واضطررت حضور حفل آل الفقيه، ومقابلة كل الزملاء في ذلك الحفل، ثم طلبت من الدكتور فهد المالكي تزويدي بأسماء الحاضرين وعناوين بحوثهم فلم يترددوا وأرسلها لي بالإضافة إلى ملخص كل بحث، لهذا رأيت إدراجها في الصفحات التالية، لعل فائدتها تعم، ويستفيد منها بعض الباحثين وبخاصة طالبات وطلاب الدراسات العليا، وهي على النحو الآتي:

وثائق غيثان بن جريس الخاصة، لمحمد بن أحمد معبّر (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م). (المجلد الحادي عشر)، آخر صفحة في القسم الثامن (الجمعية التاريخية السعودية)، ص ٢٣٦.

(١) إن الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه يعتبر مؤرخ القنفذة في عصرنا الحديث، بل هو رائد في خدمة أهله في بلاد تهامة. وبخاصة محافظة القنفذة وما جاورها. عرفته قبل أكثر من عشرين عاماً، وذكرته بخير، بدون مجاملة أو تزلف، فقد كان علماً بارعاً في عدد من الأبحاث التاريخية والأثرية، وكان على قدر كبير من الأدب واللطف وحسن الخلق، وهذا ما قلته وتلوته على الحضور في ذلك الاحتفال والتكريم الذي أقامه أبناؤه في مزرعتهم بمركز القوز من صلاة المغرب إلى الساعة الثانية عشرة يوم الأربعاء (١٤٤٣/٥/٤هـ).

أسماء الباحثين وعناوين أوراقهم وتاريخ تقديمها في الملتقى العلمي لتاريخ وحضارة القنفذة عبر العصور (٣-٤/٥/١٤٤٣هـ)

م	الباحث	عنوان البحث	الجهة التي يتبع لها الباحث	تاريخ التقديم
١	أ.د. أحمد بن عمر الزيلعي	ميناء السرين	جامعة الملك سعود	الثلاثاء ١٤٤٣/٥/٣هـ
٢	د.مريم خلف العتيبي	القنفذة من خلال جريدة أم القرى	جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز	الثلاثاء ١٤٤٣/٥/٣هـ
٣	أ.د. عبدالله بن سعيد الغامدي	برك الغماد التاريخ والميناء	جامعة أم القرى	الثلاثاء ١٤٤٣/٥/٣هـ
٤	أ.د. منيرة بنت مدعث القحطاني	الدور الاقتصادي لوادي يبة في القنفذة عبر العصور الإسلامية (دراسة تاريخية أثرية)	جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن	الثلاثاء ١٤٤٣/٥/٣هـ
٥	د.محمد بن علي الشهري	القنفذة في عهد الدولة السعودية الأولى (١٢١٨-١٢٢٩هـ/ ١٨٠٣- ١٨١٤م) (دراسة تاريخية)	عضو الجمعية التاريخية السعودية	الثلاثاء ١٤٤٣/٥/٣هـ
٦	أ.د.محمد بن منصور حاوي	الرحلة العلمية من بلاد القنفذة إلى اليمن خلال القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، العلامة،/عبدالقادر بن حمزة التهامي اليبهي "أنموذجا"	جامعة الملك خالد	الثلاثاء ١٤٤٣/٥/٣هـ
٧	أ.د. إلهام بنت أحمد البابطين	محافظة القنفذة في كتابات روتر وفلبي وثيسجر	جامعة الملك سعود	الثلاثاء ١٤٤٣/٥/٣هـ
٨	أ.د علي بن حسين الصميلي	الحملة اليمنية على مكة وهزيمتها في الليث ودوقة (١٠٣٩هـ/ ١٦٣٠م)	جامعة جازان	الثلاثاء ١٤٤٣/٥/٣هـ

م	الباحث	عنوان البحث	الجهة التي يتبع لها الباحث	تاريخ التقديم
٩	د. رحمة بنت عواد السناني	القنفذة ودورها التجاري حتى ظهور الإسلام	جامعة طيبة	الثلاثاء ١٤٤٣/٥/٣هـ
١٠	د. سعود بن حامد الخديدي	القنفذة في كتابات الرحالة الأوربيين	عضو الجمعية التاريخية السعودية	الثلاثاء ١٤٤٣/٥/٣هـ
١١	أ.د. عبداللطيف بن محمد الحميد	الشيخ الأديب حسن الفقيه	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤هـ
١٢	أ.د. عبدالرحمن بن علي السنيدي	سكان القنفذة والدولة الإسلامية بالمدينة من المواجهة إلى الوفادة والولاء	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤هـ
١٣	د. عفراء بنت عازم الشراري	قرى القنفذة في كتابات الجغرافيين	جامعة الجوف	الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤هـ
١٤	د. علي بن حسن النجعي	الأمير قيس بن محمد الحرامي ودوره في الصراع السياسي بين أشراف مكة والأشراف السليمانيين في المخلاف السليماني في القرن العاشر الهجري	المعهد العلمي بالرياض	الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤هـ
١٥	أ. إبراهيم بن علي بن بلقاسم الفقيه	قراءة في رسائل الملك عبدالعزيز إلى أهالي الليث والقنفذة من عام (١٣٤٣هـ) إلى عام (١٣٥١هـ) من عام (١٩٢٤م) إلى عام (١٩٥٢م)	عضو الجمعية التاريخية السعودية	الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤هـ

م	الباحث	عنوان البحث	الجهة التي يتبع لها الباحث	تاريخ التقديم
١٦	د.محمد أحمد خريص المرحبي	النواحي العلمية في وادي قنونا بني زيد بالقنفذة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري دراسة وثائقية (١٢٥٠-١٣٠٠هـ / ١٨٣٤-١٨٨٣م)	عضو الجمعية التاريخية السعودية	الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤هـ
١٧	د.يوسف حسن العارف	القنفذة دراسة وثائقية	عضو الجمعية التاريخية السعودية	الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤هـ
١٨	د.سمير حمدي الحسني	أمراء القنفذة في عهد الملك عبدالعزيز	عضو الجمعية التاريخية السعودية	الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤هـ
١٩	أ.غازي بن أحمد الفقيه	المدلول التاريخي لاسم ونشأة القنفدة	عضو الجمعية التاريخية السعودية	الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤هـ
٢٠	أ. وضحى عواض الرشيدي	القنفذة ميناء البحر الأحمر (٩٠٢-١٣٤٥هـ / ١٥١٧-١٩٢٥م)	جامعة بيشة	الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤هـ

نوثق في الصفحات التالية ملخصات البحوث التي قدمت في ملتقى (تاريخ وحضارة القنفذة عبر العصور) في الفترة الممتدة من (٣-٤/٥/١٤٤٣هـ الموافق ٧-٨/١٢/٢٠٢١م):

١-ميناء السرين الإسلامي تاريخه وآثاره. أ.د. أحمد بن عمر آل عقيل الزيلعي:

كان مينــاء السِّريــن من الموانــئ الإسلامية الشهيرة في جنــوب الحجاز بمحافظة الليث، منطقة مكة المكرمة، ويقع على بعد (٤٠) كيلومتراً إلى الجنوب من مدينة الليث، المركز الإداري للمحافظة، وعلى بعد (٢٤٠) كيلومتراً إلى الجنوب من مكة المكرمة. وقد ازدهر هذا الميناء في القرون الستة الأولى للهجرة النبوية الشريفة، ثم تلاشى ذكره بعد ذلك في المصادر التاريخيــة المتاحة، واندثر موقعه، وأصبح اليوم من المواقع الإسلامية الأثريــة المشهورة على ساحل البحر الأحمــر، وبه بعثة سعودية صينية للتنقيب عن آثاره منــذ العام (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) يشرفني أنني أعمل مستشاراً لها. وسيجري الحديث في هــذا البحث عن موقع السرين، عن أهميته بوصفه مينــاءً ثانياً لإمارة مكة المكرمة بعد جــدة في زمانــه، حيث كان يخدم مخاليفها الجنوبية، بما في ذلك بلاد السراة المواجهة له من الشرق. وكذا أهميته التاريخية بوصفه أهم عمل، أو مركز إداري تابع لمكة لا يولى عليــه إلا أحد أبناء الأسرة الحاكمة بمكة، فضلاً عــن كونه من أهم المحطات الرئيسية الواقعة على طريق الحج والتجارة الساحلي بين مكة واليمن. وكان لأمير السرين دور في الصراع بين الأبوبيين والرسوليين للسيطرة على مكة، وخصوصاً في زمن الملك المنصور عمــر بــن علي بن رسول، وابنه الملــك المظفر يوسف. أما الأهميــة الأثرية لموقع السرين فتكمــن في العثــور على عدد غير قليل من شواهد القبور المنقوش عليها أسماء أصحابها بخط كوفي جميل ومتقن، وبتلك النقوش من المضامين التاريخية ما ساعد على التعرف مــن خلالها إلى مجمــع السرين في زمان ازدهارها، بما في ذلك أسماء أمرائها، وبعض أصــول ساكنيها، ومــا اشتغلوا به وامتهنــوه من حرف وصناعات سيجــري استعراضها ومناقشاتها والتعليق عليها فيما سيرفق بالبحث من لوحات توضيحية أغلبها من شواهد القبور المنقوشة بخطوط غاية في الروعة والجمال.

٢-مدينــة القنفــذة في عهــد الملــك عبدالعزيــز مــن خــلال صحيفــة أم القــرى. د. مريم بنت خلف شديد العتيبي.

صــدرت صحيفة أم القرى في بدايــات تأسيس المملكة العربية السعودية، وكانت ولا زالــت هي الصحيفة الرسمية للبلاد، وهي من الصحــف المهمة جداً في المملكة العربية السعودية بحكم ما انفردت به من نشر الأخبار المتعلقة بالدولة والملك المؤسس – رحمه الله – ورجالاته وأنشطة الدولة وما يجري فيها من أحداث على جميع المناحي السياسية والاقتصاديــة والاجتماعية محلياً أو عالمياً. عاصرت صحيفة أم القرى الملك عبدالعزيز لمدة ثلاثة عقود وهذا مما ميزها عن غيرها من الصحف السعودية، وانفردت بالحديث

عن مناطق المملكة ومدنها، وما يجري فيها من أحداث ووقائع، بل تبع ذلك ذكر الأحوال المناخية ومتغيرات الطقس من أمطار وسيول وقحط وجفاف، والأحوال الصحية والأزمات والأوبئة. ومن المدن السعودية التي كان لها حضور جيد في صحيفة أم القرى، مدينة القنفذة، وهي تقع على ساحل البحر الأحمر، وقد حظيت كغيرها من المدن السعودية بالذكر والإشادة، وسوف يناقش هذا البحث ما سجلته هيئة تحرير صحيفة أم القرى عن مدينة القنفذة في حقبة الملك المؤسس منذ صدورها، وتتبع جميع ما كتب عنها سواء من الناحية السياسية والاقتصادية، أو الاجتماعية. تكمن أهمية هذه الورقة البحثية في أصالتها وجديتها، وأسبقيتها فلا توجد دراسة بحثية – حسب علمي – حتى الآن تتناول هذا الموضوع، وتتطرق إليه. وعليه آمل أن تسد حيزاً في المكتبة السعودية، وأن تكون مرجعية مهمة للباحثين والباحثات الراغبين في الكتابة عن تاريخ القنفذة لاحقاً.

٣-برك الغماد التاريخ والميناء. أ.د. عبدالله بن سعيد الغامدي:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فستتناول ورقتي الموسومة بـ "برك الغماد، التاريخ والميناء» نقاطاً عدة منها الحديث عن برك الغماد الاسم والمسمى، حيث سأوضح المقصود بكلمتي "برك الغماد»، أصلهما اللغوي ومدلولهما اللفظي. كما ستتناول أيضاً اختيار الصحابي الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه لهذا المكان عندما انبرى ليتحدث مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن عزم الأنصار الخروج معه لملاقاة المشركين في بدر، حيث قال رضي الله عنه عبارته المشهورة مخاطباً النبي (صلى الله عليه وسلم): "لو اعترضت بنا البحر لخضناه، أو قصدت بنا برك الغماد لقصدناه»، حيث ستعرض الدراسة لسبب اختياره لهذا المكان النائي ليكون دليلاً على مصداقية الأنصار للخروج معه في هذه المعركة، كما ستعرض الدراسة أيضاً للقول الذي يردده بعض المؤرخين أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه خرج من مكة قاصداً الهجرة إلى المدينة بعد أن اشتد أذى قريش على النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه، وعندما وصل إلى هذا المكان (برك الغماد) لقيه رجلٌ يعرف بابن الدغنة فقال له: " مثلك لا يترك صاحبه ويخرج مهاجراً»، فعاد رضي الله عنه من هذا المكان إلى مكة. كما ستتناول الدراسة البرك كميناء هام منذ وقت مبكر حتى وقتنا الحاضر، وأنه اليوم يقع ضمن النطاق الإداري لإمارة منطقة عسير ويحظى باهتمام كبير من طرف ولاة أمرنا (حفظهم الله).

٤-الـدور الاقتصـادي لـوادي يبة في القنفذة عـبر العصـور الإسلامية. دراسة تاريخية أثرية. أ.د. منيرة بنت مدعث القحطاني:

تهـدف هـذه الدراسة إلى التعـرف إلى وادي يبة، وهو واد عظيـم من أكبر الأودية بالجنـوب الغربـي من المملكـة العربيــة السعودية، بالرجـوع إلى ما أتيح مـن المصادر التاريخيــة، وكذلك من كتب الجغرافيــين. وتستهدف إظهار أهمية هذا الوادي في المواد الخـام، والتعـرف إلى هذا الـوادي كمحطة من محطـات طريق الحـج، وإظهار الدور الزراعي لهذا الوادي، والتعرّف إلى وادي يبة في التاريخ الإسلامي، وذكر الآثار الموجودة في منطقتي القوز والحبيل من الوادي. قسمتُ خطة الدراسة إلى تمهيد وثلاثة مباحث، تنـاول التمهيد ذكـر اسم يبة في المصادر واختـلاف شكل كتابتهـا، وترجيح الأصح في تسميتـه. أمـا المبحث الأول فتنـاول الأهمية الاقتصادية لوادي يبــة. والمبحث الثاني في تاريـخ وادي يبــة عبر التاريخ الإسلامــي. وأخيراً تناول آثار القــوز والحبيل بوادي يبة. يعتـبر الـوادي مجمعاً للأودية المنحدرة مـن سراة بلقرن وشمـران ومحافظة المجاردة وتهامــة بني شهــر، والأودية المنحـدرة من بادية ربيعــة المقاطرة، كما يُعـد الوادي من المواطن الرئيسية في منطقة القنفذة، لأنه واد كبير يأتي من أعالي السروات، وقد يُطلق عليهــا سروات جنــوب الطائف. ويضم الــوادي في باطنه كثيراً مــن الجواهر النفيسة، وغيرها من المعادن، كما أنه صالح للزراعة، إذ زرعت فيه مختلف أنواع المحاصيل. وله أهمية كبرى؛ إذ إنه مصدر مائي، لأن المياه تتجمع فيه في فترة السيول، وتتجاوز كميات الميــاه الفائضــة فيه (١٠٠) مليون متر مكعب. وتمر بـوادي يبة طرق الحج اليمني، فهو محطة على طريق الحج، خاصة الطريق من خولان ذي سُحيم إلى مكة، ويعقد فيه أيضاً ســوق حباشــة إلى شماله، وهو سوق مشهــور وقديم. ومن القبائل التــي تسكن في وادي يبــة: ثربان، وحلي، كما سكنته قديماً قبيلة جرهم قبل الإسلام. وقد أسلم أهل السراة ومن بينهم أهل وادي يبة، وحسن إسلامهم، واشتركوا في الفتوحات الإسلامية. وتتناول الدراســة كذلك تاريخ وادي يبة في الإسلام في عهود الخلفاء الأمويين والعباسيين ببلاد تهامــة والســراة، ثم في عهد الأشراف، وشيوخ القبائـل الذين كان كل واحد منهم يمثل دولــة مستقلــة، ثم في عهد الدولة الصليحية. وتطرقت الدراســة إلى الآثار الموجودة في القــوز، وهي أهم المدن التي تقع فيه، وكذلك في الحبيل، فمنها الآبار، والقطع الحجرية المنقوش عليها، ومسجدها القديم، وبئر قطيطة، وثمة بقايا مسجد في وادي يبة.

٥-القنفذة في عهد الدولة السعودية الأولى (١٢١٨-١٢٢٩هـ/١٨٠٣-١٨١٤م) (دراسة تاريخية): د. محمد علي محمد آل الجحيني الشهري

شهدت القنفذة خلال هذه الفترة تقلبات سياسية وصراع عسكري بين قوى متعددة في المنطقة منها من كان من داخل شبه الجزيرة العربية كالشريف غالب وآل سعود وقادتهم في عسير وزعماء القبائل في تهامة، ومنها من قدم من خارج شبه الجزيرة العربية كالقوات العثمانية بقيادة محمد علي باشا وقادته، عندما قدم لمحاربة الدولة السعودية الأولى. وفي هذه الورقة نسلط الضوء على ذلك الصراع، وعلى أبرز الشخصيات التي ظهرت على مسرح الأحداث بداية بقدوم الدعوة الاصلاحية إليها، ثم الصراع المسلح بين قادة الدعوة وقوات الشريف غالب بقيادة وزيره على القنفذة أبو بكر بن عثمان، وكم مكثت تحت سيطرتها، إضافة إلى تناول كثير من الجوانب الحضارية خلال هذه المدة، وموقف أهلها وقادة الدولة فيها من قوات محمد علي باشا. كما فصلت الورقة الحديث عن القنفذة تحت حكم الدولة السعودية الأولى، وعلاقة الدولة السعودية الأولى بالحجاز وعسير، وأثرها في موقف القنفذة منها. مع رصد الوقائع التي حدثت بين الفريقين، ومن أبرز قادتها. ثم الحديث عن ضم القنفذة إلى الدولة السعودية الأولى، وما صاحب ذلك من وقائع عسكرية، وآراء حول من قام بذلك، وما نتائجه خلال مدة حكمها لها، والتي شهدت فيه استقراراً سياسياً واقتصاديا. ثم أشارت إلى الشخصيات التي حكمتها خلال حكم الدولة السعودية الأولى. وفي الختام تحدث الباحث عن الصراع بين الدولة السعودية الأولى، ومحمد علي باشا على القنفذة، وأبرز المواجهات بينهما، إضافة إلى الوحشية التي تعامل بها محمد علي وجنوده مع أهل القنفذة. ثم الإشارة إلى قائدين من قادة الدولة السعودية الأولى: طامي بن شعيب، وبخروش بن علاس، اللذين شهدت القنفذة أسر أحدهما، وقتل الآخر. ثم نهاية حكم الدولة السعودية الأولى لها.

٦-الرحلة العلمية من بلاد القنفذة إلى اليمن خلال القرن العاشر الهجري، العلامة عبدالقادر بن حمزة التهامي اليبهي» أنموذجا» أ.د. محمد بن منصور حاوي

كانت المدن الرئيسية في اليمن بشطريه الأعلى والأسفل خلال العصور الإسلامية الوسيطة مقصداً لطلبة العلم، وذلك لوجود العلماء الأفذاذ من أهل السنة، ومن الزيدية، ولقيام الحكام برعاية الطلبة، وبخاصة الوافدين عليها من غير أهلها، والتكفل بهم، ومساعدتهم للتفرغ لطلب العلم. وذلك من الأمور التي شجعت طلاب العلم وبخاصة من البلاد المجاورة كالمخلاف السليماني، والحجاز، وما بينهما من تهامة الشامية، وساعد على تشجيع هؤلاء الحريصين على العلم من تهامة الشامية كون مدنها وأوديتها

تقـع على طريق الحاج اليمنـي، والذي يسلكه الحجاج والمعتمرون من أهل اليمن ومنهم طبقـات العلماء، الأمر الذي يُتيـح للمتطلعين إلى تحصيل العلوم مـن أبنائها أن يلتقوا بهـؤلاء العلماء، ولا يبعد من أن يجدوا التشجيع منهم على الرحلة إلى اليمن للاستزادة من العلوم والمعارف. وكان من هؤلاء الطلبة من يقصد مدن اليمن الأعلى حيث هجر علوم الزيديـة كصنعاء وصعدة وغيرها، ومنهم من يتجه إلى اليمـن الأسفل كـ "زبيد» و«تعز» و "بيت الفقيه»، والتي هي هجر ومعاقل العلم لأهل السنة. وكان من هؤلاءٍ الطلبة من تهامة الشامية من أهل حلي بن يعقوب وبلاد القنفذة، ومن وادي يبة تخصيصاً طالب علم كانت وجهته إلى صنعاء، وهناك ترقى في مراتب العلم حتى أصبح عالماً معروفاً ممن يُشار إليه بالبنـان، وهو الفقيه العلامة القاضي عبدالقـادر بن حمزة التهاميٍ اليبهي (ت ١٠١٤هـ) والـذي عاصر الإمـام شرف الدين يحيـى (ت ٩٦٥هـ) وعمّر طويلاً حتـى قارب التسعين عاماً. وستتناول هذه الوريقات التعريف بهذا العالم ورحلته من وادي يبة إلى صنعاء، وتتبع زوايا حياته وأثره في النشاط العلمي في صنعاء، وغيرها.

٧-القنفـذة في كتابـات روتـر وفلبي وثيسجـر (دراسة مقارنـة) أ.د. إلهام بنت أحمد بن عبدالعزيز البابطين:

لم يكـن نصيب محافظة القنفذة كبـيراً من حيث زيارات الرحالـة الغربيين إليها مقارنة بغيرها من الأقاليم الأخرى لجزيرة العرب. وأغلب الذين زاروها ما عدا ثسجر كانـت زيارتهم إليها مجرد عبور إلى مدن الحجاز الرئيسية. وسأختار في هذه الدراسة مـن الذيـن زاروا محافظة القنفذة ثلاثة مـن مشاهيرهم، وهم الإنجليـز إلدون روتر Eldon Rutter» الـذي مرّ بمدينـة القنفذة وبعض القرى التابعة لها في عام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م)، والإنجليـزي فلبـي Harry St. John Bridger Phillby الـذي مر بالمحافظة أيضاً عـام (١٣٥٥هـ/١٩٣٧م) وهو في طريقه إلى مكة لمقابلة الملك عبدالعزيز (رحمه الله) بعـد عودتـه من رحلته الشهيرة التي نتج عنها كتابـه العظيم "مرتفعاتٍ الجزيرة العربيـة (Arabian Higlands)» أمـا الشخـص الثالث فهو الإنجليـزي أيضاً ولفريد ثيسجـر Welfred Thesiger)) الذي عمل في القنفذة في بعثة مكافحة الجراد في عام (١٣٦٧هـ/ ١٩٤٦م) فضلا عن أنه يُعد من الرحالين الأوربيين المشهورين إن لم يكن من أشهرهـم. وقـد تضمنت تقارير هؤلاء الرحالة الثلاثة معلومـات قيمة عن الأمكنة التي قادتهم رحلتهم إليها مما لا نجده في أي مرجع آخر في حدود علمي. وستتضمن الدراسة التعريـف بهؤلاء الرحالة على سبيل الاختصار مع ذكـر خطوط سيرهم، والأمكنة التي زاروهـا والوصف الـذي قدموه عنها بما فيه الأسواق، وأشـكال النـاس وصورهم، وسبل

معاشهم، والعمارة التقليدية التي كانت سائدة في المحافظة وألعابهم الشعبية بما في ذلك بعض الفنون الأدائية التي تفرّد بها ثيسجر، والتي يُعد إبرازه لها إضافة علمية قد لا نجدها في أي مؤلف آخر على حد علمي.

٨-الحملة اليمنية على مكة وهزيمتها في الليث والقنفذة (١٠٣٩/١٦٣٠) أ.د. علي بن حسين الصميلي

تناولت هذه الدراسة الحملة اليمنية التي أرسلها إمام اليمن محمد بن القاسم إلى مكة لنصرة أميرها الشريف محسن بن الحسين على الشريف أحمد بن عبد المطلب والأشراف المناصرين له والقوات العثمانية التي استعانوا بها. وقد تناول الباحث التطورات السياسية في مكة واليمن التي أدت إلى استعانة أمير مكة الشريف محسن بن الحسين بالإمام محمد بن القاسم والتصدي للخارجين عليه من الأشراف وتثبيت إمارته في مكة. ثم تناول الباحث خط سير الحملة اليمنية من بلاد اليمن حتى وصولها إلى القنفذة والإمدادات العسكرية التي أرسلها الإمام محمد لتقوية الحملة واتخاذ قائد الحملة من القنفذة مركزاً لجمع الأنصار للتقدم منها إلى مكة. كما تناول الباحث تقدم قوات الشريف أحمد بن عبد المطلب من مكة والتصدي لهذه الحملة والتقاء الجيشين في الليث وهزيمة الحملة اليمنية وانسحابها إلى دوقة ثم القنفذة ثم القوز ثم حلي بن يعقوب، وانضمام الشريف محسن بن الحسين إلى الحملة بما معه من القوات وتقدم الحملة مرة أخرى إلى القنفذة لقتال القوات المكية. وكيف تعرضت الحملة اليمنية لهزيمة أخرى في القنفذة الأمر الذي أجبر قائد الحملة على الانسحاب إلى حلي بن يعقوب ثم العودة إلى بلاد اليمن. كما لخص الباحث الأسباب التي أدت إلى فشل الحملة في تحقيق المهمة التي خرجت من أجلها.

٩-القنفذة ودورها التجاري حتى ظهور الإسلام. د. رحمة بنت عواد السناني:

تبوأت المنطقة التي نشأت فيها القنفذة بموقع استراتيجي هام، حيث كانت ملتقى طرق التجارة البرية القادمة من جنوب الجزيرة العربية القديمة والمتجهة إلى شمالها، كما قامت على سواحلها على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر أهم المرافئ التي استقبلت التجار وشتى أنواع السلع والبضائع التي تفرغها السفن على سواحلها، وتاجرت مدن المنطقة بأنواع من محاصيلها الزراعية مع المناطق المجاورة، بالإضافة إلى اشتغال سكانها بصناعة المعادن لا سيما الذهب، وترتب على ازدهار اقتصاد المنطقة انتعاش تجارتها، وبالتالي تطور حضارتها بكافة القرى والمدن التي نشأت وازدهرت فيها.

١٠-القنفذة في كتابات الرحالة الغربيين. د. سعود بن حامد الخديدي:

تعتبر مدينة القنفذة من مدن ساحل تهامة الهامة، ولم تعرف بهذا الاسم إلا منذ نهاية القرن العاشر الهجري الخامس والسادس عشر الميلادي، وهناك من يذكر أنها عرفت بهذا الاسم قبل هذا التاريخ، وهي تقع عند مصب نهر وادي قنونا في البحر الأحمر، ويعتقد أن مسماها القديم كان قرية قنونا، وهي محافظة من محافظات منطقة مكة المكرمة. وفي هذه الدراسة أركز على بلاد القنفذة في عيون بعض الرحالة الغربيين الذين زاروا أو كتبوا عن القنفذة في العصر الحديث مثل: كيناهان كورنواليس، وروبن بدول، وهاري سانت جون فيلبي، وتوتيشل، وغيرهم. ولن أستطيع تقديم دراسة تفصيلية عن هذه الناحية عند الرحالة المتقدمين، لكنني أذكر بعض الصور التاريخية الحضارية التي دونوها في مؤلفاتهم ورحلاتهم، وآمل أن تدرس كتبهم في بحوث أطول وأعمق.

١١-الشيخ الأديب حسن بن إبراهيم الفقيه، أعماله التاريخية والآثارية، (١٣٥٨-١٤٣٦هـ) أ.د. عبداللطيف بن محمد الحميد.

يتناول البحث الأعمال التاريخية والآثارية للشيخ الأديب حسن بن إبراهيم الفقيه. من خلال اهتمامه بتاريخ وآثار الجزء التهامي من ساحل البحر الأحمر بين مدينتي (الليث، والبرك) في مسافة تمتد حوالي (٣٠٠كم) على ساحل البحر الأحمر الشرقي، ومنها (مخلاف عشم)، و (مدينة السرين)، و (مدينة ضنكان)، و(حلي يعقوب)، و(الخلف والخليف)، و(القنفذة). وسوف يناقشٍ البحث سيرة الشيخ حسن الفقيه وجهوده العلمية والتربوية والأدبية باعتباره رمزاً من رموز مدينة القنفذة في شتى المجالات. ومن أبرز مصادر تلك الأعمال التي نشرها الفقيه في حياته كتاب: (مخلاف عشم)، وكتاب (مدينة السرين)، أو التي نشرها أبناؤه بعد رحيله رحمه الله مثل كتاب (مدينة ضنكان الأثرية) وما نشره بعض الكتاب والباحثين من دراسات تتناول أعماله. بالإضافة إلى معرفة ميدانية للباحث في لقاء الشيخ مباشرة في القنفذة عامٍ (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، والتعرف على أبنائه بعد رحيله (رحمه الله)، والإفادة منهم كثيراً.

١٢-علاقات الدولة الإسلامية بكنانة الجنوبية.أ.د. عبدالرحمن السنيدي:

البحث يتناول علاقات الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة في العصر النبوي ببعض قبائل ساحل جنوبي الحجاز (بعض فروع كنانة) والمنتشرة في تهامة، وهي ذات أثر في الصراع بين المسلمين في المدينة وقريش كما يرصد البحث المواجهات بين المسلمين وبعض تلك القبائل كبني جذيمة بني عامر بن عبدمناة الكنانية ثم وفادة فصائل من

تلك القبائل للمدينة وإسلامها واندماجها في نهاية الأمر في مكون الأمة الإسلامية.

وأبرز محاور البحث: (١) كنانة وعلاقتها بمكة (٢) كنانة والدولة الإسلامية بالمدينة (٣) سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة الكنانية بتهامة وإشكالاتها. (٤) الخاتمة.

١٣-قرى القنفذة في كتابات الجغرافيين. د. عفراء عازم الشراري:

محافظة القنفذة من أهم محافظات منطقة مكة المكرمة، وتتكون في وقتنا الحاضر من عدد من المراكز الإدارية، وتتناول الدراسة قرى القنفذة كما وردت في كتابات الجغرافيين عبر العصور الإسلامية، وقسم البحث إلى مبحثين رئيسيين المبحث يتناول قرى القنفذة في الكتب الجغرافية الأصلية وقرى القنفذة في المصادر الجغرافية الحديثة. كما نشأت مدينة القنفذة في بداية القرن الثامن الهجري وتحديداً في عام ٧٠٩هـ/١١٣١م وفقاً للمصادر التاريخية، ومنذ أقدم العصور كان الشريط الساحلي الشرقي الموازي للبحر الأحمر من الطرق البرية المشهورة التي ترتاده قوافل التجارة البرية بين اليمن والشام.

١٤-الأمير قيس بن محمد الحرامي ودوره في الصراع السياسي بين أشراف مكة والأشراف السليمانيين في المخلاف السليماني في القرن العاشر الهجري . د. علي بن حسن النجعي.

بعد القضاء على الدولة الطاهرية في اليمن سنة (٨٥٨هـ)، واستقرار الأمر للأمير المهدي بدأ التوتر في العلاقات بين الأشراف السليمانيين (الإمارة القطبية)، وأشراف مكة بسبب التقارب القطبي المملوكي بعد وصول القوات المصرية إلى اليمن والمخلاف. هذه الدراسة ستركز على هذا التوتر وتداعياته، ودور الأمير قيس الحرامي أمير حلي في الصراع بين أشراف مكة والأشراف السليمانيين في المخلاف في القرن العاشر الهجري. وستلقي الدراسة الضوء على أوضاع الإمارة القطبية في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، وعلى إمارة حلي في عهد الأمير قيس الحرامي، كما ستلقي الضوء على الصراع بين الإمارتين ودور إمارة حلي في ذلك.

١٥-قراءة في رسائل الملك عبدالعزيز إلى أهالي الليث والقنفذة من عام (١٣٤٣هـ) إلى عام (١٣٥١هـ) الموافق (١٩٢٤هـ/١٩٥٢م) أ. إبراهيم بن علي بن بلقاسم الفقيه.

تعود أهمية هذه الرسائل إلى أنها لم تنشر لاحتفاظ أصحابها بها كإرث وتركة للأبناء. وقد استطاع الباحث الحصول على صور من هذه الوثائق مع احتفاظ أصحابها بالأصول ويبلغ عدد هذه الرسائل أكثر من أربعين رسالة .

(❋) **مـن مدلـولات هذه الرسائـل نستخلص بعض الجوانب مثـل:** (١) أن أغلب هذه الرسائل كتبت في الفترة من عام (١٣٤٣هـ) إلى عام (١٣٤٥هـ)، وهي الفترة التي تم فيهـا ضم الحجاز إلى سلطنة نجد وأصبحـت تعرف بمملكة الحجاز وسلطنة نجد. (٢) هذه الرسائل تشخص الواقـع الاقتصادي للدولة الناشئة واعتمادها على الرسوم والضرائـب. (٣) تبرز هذه الرسائل أهمية مرفأي القنفـذة والليث كمصدرين هامين لدخل الدولة من الرسوم والضرائب على البضائع التي ترد إلى هذين الميناءين أو تصدر منهما (٤) تشير بعض الرسائل إلى استخدام المرفأين لاستقبال الحجاج والمسافرين فـترة حصـار مدينة جـدة في عام (١٣٤٣هــ/ ١٩٢٤م)، (٥) تدل هــذه الرسائل على العلاقـة المباشرة بين الحاكم ورعاياه، من خلال الرسائل التي تتصف بالبساطة وعدم التكلف في الأسلوب ووضوح المضمون. (٦) تمثل هذه الرسائل مرحلة جديدة من العلاقة بـين الحاكم والمحكوم ففي العهود التي سبقت عهـد الملك عبدالعزيز كان من الصعوبة الوصـول أو التخاطب مع الولاة أو أعوانهم. أما الملك عبدالعزيز فقد أحدث نقلة نوعية في التعامـل بين الحاكـم والمحكوم مما ساعد في استجابة جميـع المناطق لهذه القيادة. (٧) توضـح الرسائل كثيراً من الأحـداث التاريخية التي حصلت في الحجاز (٨) تشير هــذه الرسائـل إلى الأدوار التي لعبها رجـال الملك عبدالعزيز في القنفـذة والليث ودور القبائل في مناصرته. وسيتم دراسة كل رسالة على حدة وتحليل مضمونها.

١٦-النواحـي العلميـة في وادي قنونـا / بنـي زيـد في النصف الثاني مـن القرن الثالـث عشـر الهجـري (١٢٥٠-١٣٠٠هـ) (١٨٢٤-١٨٨٣م)، دراسـة وثائقية. د. محمد أحمد خريص المرحبي.

يتضمـن البحـث دراسة تاريخيـة للنواحي العلميـة في وادي قنونـا وبالتحديد بما يسمـى مركز بني زيد، شرق محافظة القنفذة (البلـد) وغرب مركز سبت الجارة، في النصف الثاني من القرن الثالث عشـر الهجري (١٢٥٠–١٣٠٠هـ) (١٨٣٤–١٨٨٣م). وتهـدف الدراسـة إلى إلقاء الضوء علـى النواحي العلميـة والثقافيـة، وتعريف الناس بالثقافـة التي كانت في تلـك الحقبة الزمنية، وكذلك تأثير العلـم والعلماء على مناحي الحيـاة اليومية، بداية من تأثـير الدين والثقافة على الناس، من خلال الوثائق المحلية، وتحليـل واستعراض الوثائق بأنواعهـا المختلفة التي ترسمٍ ملامح الفكر والثقافة. ومما دفـع الباحث لاختيار هذا الموضوع، وجود نقص كبير جداً في الدراسات التاريخية لهذه المنطقـة، فضلا عن محافظـة القنفذة ككل، إذ لم يكن من اهتمام الدارسين والباحثين التركيـز على المناطق الداخليـة فضلاً عن غيرها، إضافة إلى وجـود إشارات في بعض

الدراسات أو الرحلات التي أخذت طابع التحامل وعدم المصداقية في نقل الصورة بالشكل الحقيقي والواقعي، كما تم اختيار الفترة بناء على أهميتها خصوصاً أنها ارهاصات سقوط الدولة العثمانية وفقدان السيطرة على المناطق الكبيرة والقريبة من مراكز نفوذها الرئيسية، كما استندت الدراسة على مصادر عديدة ومهمة، سواء كتب التاريخ أو كتب الرحالة العرب والأجانب، وأعتقد أن الإضافة في هذه الدراسة هي الاعتماد على الوثائق الأهلية والمحلية التي ظلت رهن الصناديق العتيقة، التي تحمل في طياتها الأصالة والصدق والحقيقة دون تزوير أو تزييف. وقد اعتمدت المنهج الوصفي والتحليلي، في ضوء ما استطاع الباحث جمعه من وثائق محلية، مع تحري الدقة والموضوعية في تدوين ما يختص بالنواحي العلمية في المنطقة. وكشفت الدراسة أيضاً نواح كثيرة كانت مجهولة ومنسية في الحياة الثقافية والعلمية للمنطقة، وكان لها دور كبير في الإفصاح عن الأسر العلمية التي كانت تعنى بالخطابة والإمامة والإصلاح بين الناس ومن يكتب لهم عقودهم التجارية والزواجية وغيرها.

١٧-القنفذة في الذاكرة الوثائقية. د. يوسف حسن العارف.

تحاول هذه الورقة أن تقدم حواراً تاريخياً وحضارياً مع مجموعة من المصادر التاريخية الأولية وهي "الذاكرة الوثائقية» المتعلقة بـ (القنفذة) وما حولها، في فترات تاريخية حديثة متعددة وأوضاع وأحداث سياسية متغيرة. وفي هذه الحوارية التاريخية/ الوثائقية ستنهج الورقة المنهج التفتيقي في تحليل الوثائق حيث تحويلها من مادة خام ورقية إلى مادة معرفية قابلة للتفكيك والتداخل، وبيان التعالقات بينها وبين الأحداث التاريخية المتعلقة بالمكان والزمان. ومن خلال هذا العمل ستتجلى (القنفذة) مسرحاً للأحداث وميداناً للصراعات المحلية والدولية، ومحوراً أساسياً ورئيسياً لكل هذه الوثائق، فوجدنا الزمن يمتد في الأعوام (١٢٥٥-١٣٣٧هـ = ١٨٣٩-١٩١٨م)، حيث كانت الدولة العثمانية هي المسيطرة والحاكمة على هذه المنطقة وما جاورها بحكم الإدارة العثمانية، وقد تداخل معها في هذه الفترة كل من حكومة الأدارسة في صبيا والمخلاف السليماني الذين امتد حكمهم شمالاً ليصل إلى القنفذة وعسير، وحكومة الأشراف في الحجاز، الممتد طموحهم السياسي إلى القنفذة وما جاورها، ودخول الدول الأوروبية إيطاليا ثم بريطانيا في هذه الصراعات!! . ثم ينتقل بنا الزمن التاريخي إلى الأعوام (١٣٣٩-١٣٧٧هـ = ١٩٢١-١٩٥٨م) لنجد الحكم السعودي وقد ضرب أطنابه في هذه المنطقة وبدأ التفاعل الحضاري والوثائقي والتاريخي والسياسي. وبذلك تكون (الذاكرة الوثائقية) مجالاً خصباً يرفد الدرس التاريخي بمعلومات معاصرة وصادقة وموثوقة عن (المكان) و (الأحداث) و(الحكومات) و(القيادات) الفاعلة والمحركة للمشهد التاريخي. والبحث في أربع محاور رئيسة، في الثلاثة الأول منها تتفرع إلى جملة من

الجزيئـات والتفريعات، لينتظم ذلك في عقد من البيان الوثائقي والتفصيلات والتوصيات التـي ستسهـم – إن شـاء الله – في تطوير الدرسـ الوثائقي، وجعل (الذاكـرة الوثائقية) مستنـداً أولياً، ومرجعـاً أصلياً يعتمد عليـه الباحثون والدارسون وخاصـة في حقل التاريخ الحديث والمعاصر. ولعلنا بذلك نسهم في التعريف بشيء من تلك (الذاكرة الوثائقية) التي تتحدث عـن (القنفذة) مكاناً وتاريخـاً وأحداثاً وحكومات محلية ودوليـة وإقليمية، ونفتح البـاب على مصراعيه لغيرنا مـن الباحثين والدارسين، ونضع النقطـة الأولى على السطر لمسـار طويـل من البحث والدرس الوثائقـي!! فالقنفذة تستحق الشـيء الكثير لأنها منطقة ذات تاريخ وحضارة وبُعد رمزي للمنطقة التهامية والساحلية في غرب الجزيرة العربية.

١٨-أمـراء القنفـدة في عهـد الملـك عبدالعزيـز (١٣٤٣-١٣٧٣هـ / ١٩٢٤-١٩٥٣م) د. سمير بن حمدي الحسني.

تنـاول هذا البحث دراسة مفصلة لأمراء القنفذة الذين تعاقبوا على إدارة المنطقة منـذ أن ضم الملك عبدالعزيز بـن عبدالرحمن الفيصل الحجـاز إلى الكيان السعودي سنـة (١٣٤٢هـ/١٩٢٤م)، حيث ضُمـت القنفذة سلمـا إلى الكيان المبـارك بعد ذلك بأشهـر، وصـارت تتبع أبهـا ومركزها منطقة عسـير. وقد فصل البحـث الحديث عن جوانـب منـيرة من حياة أحد عشر أمـيراً من الأمراء الذين أدوا أمانـة المسؤولية طيلة أكثر من ثلاثين عاماً على خير وجه وأكمله، لا سيما وأن أعمالهم كانت في ظل صعوبات كبيرة واجهوها بسبب حداثة الدولة حينها وشُح مواردها المالية. وكان أول هؤلاء الأمير محمد بن عجاج (١٣٤٣هـ/١٩٢٥م)، وآخرهم الأمير إبراهيم بن عبدالعزيز البراهيم (١٣٧١-١٣٨٠هـ/١٩٥١-١٩٦٠م).

١٩-المدلول التاريخي لاسم ونشأة القنفذة. أ.غازي بن أحمد الفقيه:

في ظل شح المصادر والمراجع التاريخية والدراسات الآثارية لمكان ما، يقع المجتهدون مـن المؤرخين وهواة كتابة تاريخ ذلك المـكان من غير المتخصصين دراسة وممارسة في أخطاء متعمدة بالتأول والتخمين لأهداف منها الفوز بأسبقية الكتابة أو السير على نهج مـن سبقهم ويعتقدون بصحة ما وصل إليه السابقـون دون تمحيص وتدقيق...!!، ومن تلـك الأماكن (القنفذة) التـي شاب اسمها ونشأتها الكثير مـن الاجتهادات والمبالغات والتأويلات غير الموفقة ممن تصدى للكتابة في تاريخها!

(*) **فمن اسمها:** (١) بعض مـن كتب عن ذلـك أعاد الاسـم لأصله اللغـوي وتفسير المعاجـم لاسـم (القنفـده) وجذرهـا اللغـوي..! وذلـك أمـر ثانـوي!. (٢) وبعضهم ترك

اسمها المتداول على ألسنة أهلها ومن هم حولها (القنفده) بالدال المهملة ودعاها بـ (القنفذة) بالذال المعجمة على الرغم من سماعه ومعرفته لصحة نطق اسمها بالدال المهملة وذهب مفسراً لاجتهاده بجواز الإبدال بين الحروف في اللغة العربية مخالفاً القول (لا اجتهاد مع نص)..! والنص هو ما يردده أهلها ودونته المصادر المتوفرة!. (٣) وبعضهم جنح للخرافات والحكاوي في توضيح سر تسميتها بالقنفده فادعى أن أهالي القنفده قديماً يتداولون أن تسميتها يعود لامرأة كانت هي أول من سكن المكان اسمها (القنفده) ولكي يكمل المدعي خاتمة الخرافة المسيئة لتاريخها ادعى أن هذه المرأة تزوجها رجل يدعى (البندر) وكانت النتيجة أن أصبح اسمها (بندر القنفدة) من وجهة نظر حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة الخيالية..!!. (٤) وبعضهم ادعى بأن القنفده ليست إلا قرية صغيرة كانت عند مصب وادي قنونى على شط البحر الأحمر الشرقي تسمى (قنونى) وطوع له خياله تحوير هذا الاسم إلى القنفده.. وتناسى أن قنونى واد شهير وليس قرية منذ أقدم العصور وبقي باسمه حتى يوم الناس هذا وروافده تنبع من جبال السراة شرقاً ويصب في البحر الأحمر غرباً في سهل تهامة عند موقع القنفده شمالها وجنوبها عند ظهورها..!. (٥) ومنهم من أخذ بمقولة محقق كتاب الهمداني (محمد بن علي الأكوع) المقتبسة في كتاب (صفة جزيرة العرب) من أن القنفده هي بديلة لقرية كانت في مصب وادي قنونى تدعى (القناة)..! مع أن الهمداني كانت وفاته قبل ظهور القنفده بحوالي ستة قرون..!!

(*) **وحيال ما استعرضناه آنفاً نقول:** (أ) القنفذة اسم منقول من جنوب اليمن (حضرموت) ومن الشحر قريباً من عدن وبحرها على وجه الخصوص جلبه الحضارم من قرية بنفس الاسم إلى موقعها الحالي لأنهم غالبية من سكانها في جنوب منطقة مكة المكرمة بمسافة تقدر بـ (٣٥٠) كيلاً. (ب) وبخصوص اسم القنفده وهل هي بالدال المهملة أو بالذال المعجمة..؟ وهي الصيغة الحالية المستخدمة..! (*) فأول المصادر التي ذكرتها بالدال المهملة هي: (١) البرق اليماني في الفتح العثماني. لقطب الدين النهروالي (٢) سمط النجوم العوالي. لعبد الملك العصامي.

(*) **ومن المراجع التي أكدت اسمها:** رحلة الموسوي إلى القنفذة. الرحلة اليمانية للبركاتي. تاريخ مكة لأحمد السباعي. مجموعة وثائق عسيرية وعثمانية رسمية ووثائق رسمية وصحفية على العهد السعودي والاخباريون.!. معالم حضارية ثابتة مثل شوارع في مكة المكرمة وجدة تحمل اسم القنفده بالدال المهملة..!!. والبندر اسم فارسي لكل مرسى ترسو به السفن جاء به العهد العثماني للقنفده وغيرها كجازان.! فيقال بندر القنفده وبندر جازان.

(*) **وأما نشأة القنفده:** فقد نالها كذلك بعض التهويمات والاجتهادات المبنية على التخمـين في تحديد ميلادها علـى غير الميلاد الحقيقي الذي ظهـرت به على صفحات المصـادر كأول مـرة. (١) بعض المجتهديـن ادعـى أن مرسـى القنفذة قـد هبط فيه الفينيقيون والعبرانيون والإغريـق والرومان. بغرض البحث عن معدن الذهب..!. (٢) وبعضهم حدد ميلادها بالقرن الثامن الهجري...!. والقول الفصل الذي تؤكده المصادر الصحيحـة المجـردة مـن العواطف أن المرسـى المسمى القنفده وظهـوره على صفحات المصـادر الموثوقـة كان عـام (٩٠٧) هجرية أي في مطلع القـرن العاشر الهجري وذلك عنـد إغراق قاضي مكة أبـي السعود بن الظهيرة في بحرها بأمر من أمير مكة الشريف بركات، وقد تكون نشأتها قبل ذلك ولكن لم تذكر ذلك المصادر التي بين أيدينا. وزادت أهمية القنفذة بعد الاحتلالٍ العثماني الثاني لها عام (١٢٨٩) هجرية واتخاذها منطلقاً لاحتلال إقليم عسير..! ورداً على من قال من المؤرخين أن القنفذة نشأت بعد موت مدينة (حلي بن يعقوب)...!!، فهذا قول ينفيه بقاء سلطة أمراء بني حرام في حليٍ إلى القرن الحـادي عشر الهجري!. وقد أثبتت الدراسـة خلاصة ما وصلت إليه مدعوما بالمصادر والمراجع الموثوق بها المثبتة في حواشي وتعليقات الدراسة ومصادرها ومراجعها.

٢٠-الأهميـة الاستراتيجيـة لمينـاء القنفـذة (٩٢٣هـ - ١٣٤٥هـ/ ١٥١٧م-١٩٢٥م). أ. وضحى بنت عواض الرشيدي.

يتناول هذا البحث موضوع "الأهمية الاستراتيجية لميناء القنفذة»؛ فقد كان هذا الميناء مـن الموانئ الهامة علـى الساحل الشرقي للبحر الأحمر؛ حيث ساهـم في استقبال السفن الكبـيرة المحملة بحاصلات اليمن والشام. وعن طريقـه تم تصدير حاصلات هذه البلاد الوفـيرة إلى خارج المنطقة ومدنهـا المجاورة مثلٍ جدهٍ ومكة المكرمة، وقد نشط هذا الميناء بحكم موقعه الاستراتيجي، مما جعله يلعب دورا كبيرا في إثراء الحياة التجارية والتموينية لبعض مدن تهامـة، وخاصة مكة المكرمة. وأثنـاء المعارك الدائرة، إبـان الفتح السعودي لمدينة جدة؛ كان الميناء يستقبل حجاج جنوب الجزيرة العربية وحجاج جنوب شرقي آسيا وخاصـة حجاج الهند، كمـا ساهم بدرجة كبـيرة في إمداد مكة بالاحتياجـات الضرورية مـن المـواد التموينية وغيرهـا، أثناء حصار الأمـير علي لمدينة جدة. وتسلـط هذه الورقة الضـوء على ميناء القنفذة خلال الفترة التاريخيـة الواقعة ما بين عامي ٩٢٣هـ/١٥١٧م، ١٣٤٥هـ/١٩٢٥م، معتمدة على مصادر وكتابات المؤرخـين والرحالة، ويهدف البحث إلى توضيـح الأهميـة الاستراتيجيـة لمينـاء القنفذة، وإبـراز دوره في العديد مـن الصراعات والأحـداث الهامة التي مر بها، ومدى تأثير الظـروف السياسيةٍ على ميناء القنفذة خلال فترة الدراسة؛ أثناء فترة الحكم العثماني في الحجاز، وأخيراً فترة دخول هذا الميناء تحت حكم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل عام (١٣٤٥هـ/ ١٩٢٥م).

٢-آثار الملتقى الإيجابية وبعض التوصيات:

لا يعرف الفضل والخير الذي تعيش بلادنا في وقتنا الحاضر، إلاّ من عرف وعاصر أزمانـا وأجيالاً سابقةً. فالأحوال الحضارية في القرون الماضية وفي شتى الجوانب كانت متواضعة وبسيطة جداً. والعلم والمعرفة والثقافة كانت من الأمور القليلة جداً كما وكيفاً، ثم بدأت عجلة البناء والتنوير حتى أصبحنا نرى مؤسسات تعليمية عامة، وعالية في كل مـكان، ونشاهد آلاف المبدعات والمبدعـين، والعاملات والعاملين من أساتذة الجامعات وغيرهـم من نساء ورجالات المجتمع السعودي الذي يعملـون ويساهمون بكل إمكاناتهم العلمية والعملية في بناء وطنهم وخدمة دينهم وأهلهم[1].

إن هـذا الملتقـى التاريخي الحضاري الذي عقدته الجمعيـة التاريخية في محافظة القنفـذة ليس إلاّ بذرة بسيطة مما تمر بـه البلاد من نمو وتطور وازدهار. لكن الجميل في هـذا الملتقى أنه شـارك فيه عشرين أستاذاً وأساتـذة متخصصون في علمي التاريخ والحضارة العربية الإسلامية، ومن ينظر في أسمائهم ويقرأ سيرهم الذاتية ودرجاتهم العلمية، ومقرات عملهم يجدهم يحملون درجات عالية متنوعة من درجة الماجستير إلى درجة أستـاذ دكتور، وجميعهم يعملون في قطاع التعليم العـام والعالي، وبعضهم قضوا حياتهـم في ميداني البحـث والتدريس في الجامعة، وأكثرهم عنـده نتاج بحثي ومعرفي مطبـوع ومنشـور، وفيهم أيضاً بعض المؤرخين والباحثـين المعروفين على مستوى المملكة العربية السعودية أو على مستوى العالم العربي[2].

في هذا المحور أشير إلى أمرين مهمين، الأمر الأول يتعلق بملتقى القنفذة، وما يدور في فلكـه من آثار إيجابيـة وتوصيات على محافظة القنفذة وما جاورها من بلدان تهامة الساحليـة والسهلية. والأمر الثاني موجـه إلى كل المؤسسات العلمية البحثية في بلادنا، وإلى كل المؤرخـات والمؤرخين والآثاريين، وإلى كل مـن يستطيع أن يخدم البحث العلمي الذي يعود بالفائدة والنفع على وطننا الكبير وسكانه وجميع مقدراته.

---

(١) لا أرصـد هـذه الأقـوال اعتباطاً أو جزافاً، لكنها نتيجـة أكثر من ستين عاماً عشتهـا في هذه البلد المبارك (المملكـة العربية السعودية)، متأمـلا، ودراسة، وبحثاً في تاريخها وتراثها وموروثها، عندئذ عرفت وقرأت وتأكد لي كيف كان وضع الآباء والأجداد اقتصاديا، وأمنيا، وحضاريا، وكيف كانت معاناتهم كثيرة وكبيرة في كل شـيء. وخـلال (٦٠-٧٠) عاما تحولت أركان البلاد والعباد من فقر، وجهل، وجوع، ومرض، وخوف إلى غنـى، وعلـم، وشبع، وصحة، وأمن، وتطور في أمور كثيرة يصعـب حصرها في هذه الرحلة أو الورقات المحدودة. (فالحمد لله والشكر على فضله ونعمه الكثيرة).

(٢) معظمهم دونوا سيرهم في أعمال علمية ورقية ورقمية متعددة. كما أن فرع الجمعية التاريخية السعودية في مكـة المكرمـة أصدر كتابا يقع في (١٥٦) صفحة مقاس (A4) يحتوي على جدول اللقاء العلمي الذي عقد في القنفذة، وأسماء المشاركين، وسيرهم الذاتية، وملخصات البحوث التي قدمت في الملتقى.

وبلاد القنفذة من البلدان النائية في تهامة، وبقيت غير مخدومة بحثياً وتوثيقاً قروناً وعقوداً عديدة، مع أنها لعبت دوراً حضارياً وتاريخياً كبيراً خلال القرون الثلاثة الماضية. وورد ذكرها مختصراً في عدد من المؤلفات الحجازية واليمنية منذ القرن العاشر الهجري، وفي نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم العقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م).

درست وذكرت بدرجة لا بأس بها في بعض كتب ودراسات مؤرخين محليين فيها مثل الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه، والأستاذ الدكتور أحمد بن عمر الزيلعي. وهناك أفراد آخرون أشاروا إليها وإلى أجزاء من تهامة في بعض مقالاتهم، وبحوثهم وكتبهم[(١)].

ومحافظة القنفذة وغيرها من المدن والمحافظات في بلاد تهامة الداخلية والساحلية، والممتدة من جنوب مكة المكرمة إلى مدن الطوال، وسامطة، وأحد المسارحة في جازان تستحق أن تدرس دراسات علمية مطولة وموثقة. وكل هذه الأوطان غنية بتراثها وتاريخها وحضارتها عبر عصور التاريخ[(٢)].

والجمعية التاريخية والقائمين عليها في الرياض أو مكة المكرمة كانوا محظوظين وموفقين إن كانت محافظة القنفذة قبلتهم، فعقدوا فيها هذا الملتقى العلمي التاريخي التوثيقي. وتقديم عشرين ورقة علمية، وأيضاً تفاعل أهل القنفذة مع عقد هذا اللقاء يعد نجاحاً معرفياً ومعنوياً بامتياز. ومما زاد الملتقى ثماراً طيبة وإيجابية أن كل البحوث المقدمة لم تكن مقصورة على مدينة القنفذة أو حتى المحافظة الحالية، نعم الكثير من الدراسات ناقشت أموراً تاريخية وحضارية عديدة عرفتها حاضرة القنفذة، لكن كان هناك عدد لا بأس به من الأوراق المقدمة ناقشت بعض الجوانب التاريخية في بلدان وأودية تهامية عديدة من الليث شمالاً إلى جازان جنوباً. وهذا مما يلفت نظر بعض الباحثين والمؤرخين إلى أن بلاد تهامة من الطوال وسامطة جنوباً إلى جنوب مكة

---

(١) من يعمل على حصر بعض البحوث والدراسات الحديثة التي صدرت عن القنفذة أو تهامة من مكة المكرمة إلى جازان، فإنه سوف يجد العديد من المقالات في بعض المجلات المحلية، كالفيصل، والمنهل، والعرب وغيرها. وهناك بحوث علمية قليلة نشرت في بعض المجلات العلمية المحكمة، بالإضافة إلى بعض الرسائل الجامعية، والكتب الثقافية، وبعض البحوث غير المنشورة. هذا الذي عرفته واطلعت على الكثير من هذه المصادر والمراجع. خلال الثلاثين عاماً الماضية.

(٢) أدون هذه المعلومات عن بلاد القنفذة وما حولها لأنني سرت وتجولت في ربوعها منذ ثلاثين عاماً، وما زلت أشاهد وأتجول في أرجائها حتى الآن (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)، وقد صدر عن بعضها، كمدينة جازان وما حولها، بعض الدراسات العلمية الجيدة. لكن جميع هذه الديار بمدنها، وحواضرها، وقراها، وأوديتها، وجبال، وسكانها، وآثارها المادية والمعنوية، السطحية والمدفونة ما زالت فعلاً تستحق تضافر الجهود بين أهلها والباحثين والمؤسسات العلمية الأكاديمية على جمع ودراسة وتوثيق ونشر ما تشتمل عليه من تاريخ وحضارة من العصور الحجرية حتى وقتنا الحاضر. والباحثون سوف يجدون صعوبة كبيرة عند البحث عن تاريخها قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، لكن ما زالت تحتضن الكثير من النقوش والآثار القديمة التي قد تساعد في العثور على شيء من تاريخها وحضارتها وتراثها القديم.

المكرمة شمالاً ما زالت ميادين مهمة لأجري بحوث تاريخية وحضارية وأثرية عديدة. ونأمل أن يتبع هذا الملتقى القنفذي ملتقيات علمية أخرى تعقد في حواضر ومدن تهامية ساحلية أو سهيلة داخلية، وكل ناحية من نواحي هذه البلاد تستحق ندوات ولقاءات وملتقيات عديدة. أرجو أن نرى شيئاً من ذلك في قادم الأيام[١].

إن جامعتي الملك سعود وأم القرى مشكورتين رعتا الجمعية التاريخية السعودية ونشاطاتها. فجامعة الملك سعود بالرياض وفرت مقرا رئيسيا للجمعية الأم تدعمها إداريا وقانونيا. كذلك جامعة أم القرى احتضنت فرع الجمعية التاريخية السعودية بمكة المكرمة، وقدمت لها بعض المساعدات الإدارية والمعنوية والمادية. ومن ثمار رعايتها لهذا الفرع أن انطلق المسؤول عن الفرع، وتحت مظلة الجامعة من الحصول على الموافقات الرسمية لعقد هذا الملتقى، ثم واصلوا الترتيبات العلمية، والإدارية، والمالية وغيرها حتى انعقاد اللقاء وتحقيق أهدافه[٢].

للأسف لم أتمكن من حضور تقديم أوراق الباحثات والباحثين في لقاء القنفذة، لكنني جئت متأخرا بعد انتهاء الجلسات العلمية، ثم سألت وقرأت عن آثار هذا الملتقى الإيجابية، فكان الجميع فرحين وسعداء بما تحقق من هذا الجمع العلمي المبارك، ثم سألت القائمين عليه بتزويدي بأهم التوصيات التي خرجوا بها، فأرسلوها لي مشكورين، وخلاصتها على النحو الآتي:

أ - أوصت اللجنة العلمية للملتقى برفع برقيات شكر لكل من ساهم في عقد هذه الملتقى العلمي، وفي مقدمتهم مقام خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، وسمو ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز، وإلى مستشار خادم الحرمين الشريفين أمير منطقة مكة المكرمة صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، وإلى نائبه وإلى معالي وزير التعليم وغيرهم من المسؤولين في محافظة القنفذة، أو من كان له اسهام في عقد هذا اللقاء ونجاحه[٣].

---

(١) في هذه البلاد التهامية الكثير من المؤرخين والباحثين الذين يرغبون في عمل بعض البحوث العلمية عن أوطانهم. لكنهم يحتاجون إلى مؤسسات علمية تعليمية تشجعهم وتدعمهم بكل ما يحتاجونه من تخطيط وتوجيه ومساعدات معنوية ومادية. آمل أن يتحقق ذلك من خلال الجامعات والكليات وإدارات التعليم في عموم جنوب المملكة العربية السعودية (سراة وتهامة).

(٢) ما قامت به جامعتا الملك سعود، وأم القرى تعد من أعمالها ونشاطاتها تجاه خدمة المجتمع. وكل الجامعات وإدارات التعليم وغيرها من المؤسسات الإدارية التنموية والخدماتية عليها واجبات كثيرة تجاه خدمة المجتمعات المحلية، بكل ما يصب في تنميتها وتطويرها ماديا، ومعنويا، ومعرفيا، وثقافيا وغير ذلك. آمل من جامعات الجنوب السعودي أن لا تغفل عن هذا الجانب، وبخاصة في مجال الخدمات العلمية والبحثية، لأن عموم السروات وتهامة أرضية بكر وبحاجة إلى دراسة تاريخها وحضارتها وآثارها وموروثها عبر عصور التاريخ.

(٣) ذكروا في التوصيات أسماء كثيرة ساهموا في الترتيب والمتابعة لعقد هذا الملتقى من البداية إلى النهاية. وحسب ما سمعت من أهالي القنفذة وممن حضر واستمع للأوراق العلمية الثناء على الجهود المبذولة، ويتمنون عقد لقاءات وملتقيات مشابهة في حواضر ومحافظات ومدن تهامية أخرى من جازان إلى مكة المكرمة.

ب - أوصــى الملتقــى بإنجاز السجل العلمي للملتقى في أقــرب وقت، مع حث الباحثين والباحثــات بسرعــة تسليــم أبحاثهــم، وعقد ورش عمــل للمحافظــة على تراث محافظة القنفذة وتطويرها سياحياً، وتكريم الرموز من أهالي محافظة القنفذة بعقــد ندوات عنهم وتسمية الشوارع والقاعات بأسمائهم، بالإضافة إلى التوصية بإنشــاء قســم للتاريخ والآثــار في الكلية الجامعيــة بالقنفذة، مــع تأسيس مركز تاريخي بالقنفذة للعناية بالوثائق والدراسات التاريخية[١].

ج - التوصيــة بإنشــاء متحف تاريخي وآثاري، والاهتمــام بالتاريخ الشفوي من خلال مقابلة كبار السن والمعمرين لتوثيق ما لديهم من روايات شفهية، وتشجيع طلاب الدراســات العليــا والباحثــين على تقــديم رســائــل علمية عن محافظــة القنفذة وتاريخهــا، بالإضافــة إلى العمــل على عقــد ملتقى آخــر بالمحافظــة لاستكمال الجوانب التاريخية والأثرية فيها[٢].

٣-صور من القيم، والوفاء، والإهداءات:

عرفــت محافظــة القنفــذة زائــراً وباحثاً مــن بدايــة العشرينيات في هــذا القرن (١٥هــ/٢٠م)، وعندما تجولت في أرجائها رحالاً وموثقاً لصور من تاريخها وحضارتها اتضــح لي حسن تعامل أهلها، وطيــب معشرهم، وسهولة التعامــل معهم. وعند حضور آخر يوم من ملتقى القنفذة (الأربعاء ١٤٤٣/٥/٤هـ) سمعت ورأيت الكثير من الصفات الإنسانية الجميلة التي تعكس شيئاً من نبل وحسن خلق أهل هذه البلاد، فكانوا جميعهم مرحبــين مستبشريــن متعاونين في عقد هذا الملتقــى، واستضافة الكثــير من المؤرخات والمؤرخــين الذين جاءوا مــن مدن ومناطق عديدة في المملكة العربيــة السعودية، وكانت الزيارة الأولى إلى القنفذة لمعظم أولئك الباحثات والباحثين[٣].

كان أهالي القنفذة يدركون أهمية بلادهم التاريخية والحضارية عبر عصور التاريخ، ويعرفــون أصحاب الفضل من أبنائهم الذين خدموا تاريخهم وتراثهم وموروثهم المادي والمعنــوي المحلي، عندئذ بادروا بتكريمهم وذكر أفضالهــم. وتم عقد احتفاء بأستاذين

(١) وأقــول أن الخــروج فقط يمثل هذه التوصيــات تعد نجاحاً وخدمة لبــلاد القنفذة وما جاورهــا. وأؤكد أن بلدان تهامة والسراة من مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران تستحق أن يعقد فيها عشرات الندوات واللقــاءات والملتقيــات العلمية، وذلك لما لهــذه الأوطان من تاريخ وتراث وحضــارة، وموروث قديم ووسيط وحديث ومعاصر ويحتاج إلى من يجمعه ويوثقه ثم يُدرس ويُحلل ويُطبع ويُنشر.

(٢) أخــذت محافظــة القنفذة نصيباً علمياً ومعرفياً لا بأس به من خــلال عقد هذا الملتقى، وهنــاك محافظات كثيرة في تهامة ما زالت بحاجة إلى عقد بعض اللقاءات والملتقيات التي تصب في خدمة تاريخها وموروثها الحضاري عبر العصور.

(٣) هذا الذي سمعته من بعض الأساتذة الذين جاءوا لحضور هذا الملتقى وكان من ضمنهم مدراء جامعات سابقين في بعض مناطق المملكة، وكذلك بعض أعضاء مجلس الشورى وغيرهم من المؤرخين والباحثين المميزين.

كريمين كان لهم الأثر العلمي البحثي الإيجابي الكبير على بلاد القنفذة وما جاورها من مدن وحواضر تهامية أخرى. إنهما الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه، والأستاذ الدكتور أحمد بن عمر الزيلعي. فاحتفوا بالاثنين ضمن الجدول الرئيسي للملتقى، فذكر بعض الباحثين جهودهما العلمية والبحثية، ودعوا بالرحمة والمغفرة للأستاذ حسن الفقيه، وشكروا الدكتور أحمد الزيلعي الذي كان حاضراً معهم. ثم قام أهالي بلدة الحبيل التي ينتمي لها الدكتور الزيلعي بإقامة تكريم كبير له، وحضر هذا الاحتفاء جميع المشاركين في الملتقى والكثير من سكان محافظة القنفذة وبخاصة من مدينتي القنفذة، والقوز، وقدموا الكثير من الهدايا المادية والمعنوية للمحتفى به[١].

أما الاحتفاء الآخر، الذي جئت من مدينة أبها لحضوره، فكان من أبناء وبنات الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه، الذين أصروا على استضافة جميع ضيوف الملتقى، كما اتصلوا ببعض أصدقاء والدهم، وكنت واحداً منهم، من أجل المشاركة. وأقاموا حفلاً كبيراً في إحدى مزارعهم بمركز القوز. وقدموا (أسرة حسن بن إبراهيم الفقيه) أروع الأمثلة والدروس الإنسانية التي نتعلم منها البر بالوالدين، والكرم، والنبل، والوفاء لوالدهم ولكل من كتب عنه أو ذكره بخير وحضر ذلك اللقاء جمع غفير من الضيوف الذين جاءوا من خارج المحافظة، ومن مدن وقرى محافظة القنفذة. والجميع كانوا سعداء ويدعون ويشكرون لبنات وأبناء الشيخ حسن بن إبراهيم الفقيه على هذه اللفتة الإنسانية الرائعة[٢].

٤-ملخص كلمة صاحب الرحلة (غيثان بن جريس) عن القنفذة وأهلها

حضرت احتفالية أسرة الشيخ حسن بن إبراهيم الفقيه، التي قدم فيها العديد من الفقرات، وكان أحدها كلمة مختصرة مني احتوت هذه الكلمة على ثلاث رسائل، وثلاثة دروس[٣].

الرسالة الأولى ديباجة الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله، ثم ألقيت تحية الإسلام والسلام على الحضور. والرسالة الثانية شكر للجمعية التاريخية بإدارتها الرئيسية في الرياض وفرعها في مكة المكرمة على ما بذلوا من جهود وترتيبات لعقد

---

(١) لم أتمكن من حضور هذا الاحتفاء لأنه عقد في ليلة اليوم الأول من انعقاد اللقاء (الثلاثاء ٣/٥/١٤٤٣هـ)، ولم أحضر إلى محافظة القنفذة إلا الأربعاء (٤/٥/١٤٤٣هـ). وسمعت أخباراً جيدة تعكس بعض القيم والوفاء التي صدرت من أهل بلدة الحبيل تجاه ابنهم الدكتور أحمد الزيلعي.

(٢) لم أفصل ما جرى في تلك الليلة من عبر ودروس وقيم وتكريمات، فقد استغرق الحفل أكثر من ساعتين، وأرجو من أسرة الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه أن تكون وثقت برامج الاحتفال واحتفائهم بوالدهم، لأنها جزء من التاريخ وبخاصة أنها تتعلق بإنسان نذر حياته في خدمة بلاد القنفذة وما جاورها معرفياً وبحثياً وتوثيقياً.

(٣) أنا لا أحب (والشاهد الله) تصدر المنابر، لكن الأستاذ الفقيه عرفته منذ زمن طويل وقدم لي العديد من الخدمات أثناء جمع مادة كتابي: بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١-ق١٥هـ/ق١٦-ق٢١م). ولا أقول إلا غفر الله له وأسكنه جنات النعيم، وغفر لنا إذا صرنا إلى ما صار إليه.

هــذا الملتقى العلمي. كما شكرت أهل القنفــذة والمسؤولين وكل من كان له يد في التعاون مــع الجمعية التاريخيــة السعودية على قيام هــذه الاحتفالية العلمية ومــا صاحبها من معارض ونشاطات أخرى. أمــا الرسالة الثالثة فكانت عن الأستــاذ حسن بن إبراهيم الفقيــه الذي سمعــت عنه وصار بيني وبينــه محادثات ومراسلات خــلال العقد الثاني مــن هذا القــرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم زرته وقابلته في بدايــة العشرينيات من القرن نفسه عندمــا بدأت بجمع مــادة كتاب (**بلاد القنفــذة...**)، وذكرت بعض أفضاله عليّ عندما كنت أتردد عليه في منزله وسط مدينة القنفذة، وقد كان (غفر الله له) متعاوناً وأميناً في النصــح والإرشــاد والتوجيه، كما زودني بعشرات الصفحــات المدونة بخط يده، وقد نشرتها في عدد من بحوثي ومؤلفاتي تحت اسمه. وقلت أن الشيخ حسن الفقيه يعد رائداً في بلاد تهامة الممتدة من شمال مدينة الدرب إلى محافظة الليث، فقد أنجز العديد من البحــوث العلمية الرصينة التي لم يسبقه فيها أحــد، بل أن الأستاذ الفقيه كان مجتهداً مخلصــاً متفانياً في خدمة بلاده وأهلهــا (محافظة القنفذة وما حولها)[١] وذكرت أني بقيــت على اتصال اجتماعي وفكري وعلمي مع هــذا العلم القنفذي التهامي حتى وفاته في ثلاثينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م).

أمــا الدرس الأول فكان موجهاً إلى أبناء وبنات وأســرة الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيــه، الذيــن ضربوا أروع الأمثلة في الوفاء والبر بأبيهــم، ولا يُستغرب ذلك فأغلبهم يحملــون شهادات عالية (الماجستــير والدكتوراه) في علوم متعددة. كمــا أنهم تربوا في مدرســة والدهم الأستاذ المربي القدير (حسن بن إبراهيم الفقيه)، وقد رأيت بعضهم وهــم شبــاب صغــار عندما كنــت أزور والدهــم في مكتبته وســط مدينــة القنفذة عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، وقد كانوا وقتها على قدر جيد من الأدب والتربية الحسنة. وطلبت مــن نفسي ومن الحضور في ذلك المحفل الكبير أن نأخذ أولاد وبنات حسن الفقيه قدوة فنكــون بارين بآبائنا وأمهاتنا، وأن نحسن لمن أحســن إلينا، فلم يكن إحسان آل الفقيه مقصــوراً على ذكر محاسن والدهم، لكنهم حرصوا على دعــوى أصدقاء والدهم ومن عرفه وتعامل معه عن قرب، وكنت واحداً منهم[٢].

---

(١) للمزيــد انظــر جــزء مــن الكلمــة التــي ألقيتهــا في احتفالية أبنــاء وبنــات حســن الفقيــه في القنفذة في (١٤٤٣/٥/٤هـ) على الرابط. (Prof-ghithan.com).

(٢) مــا أجمل البر والإحسان، فتلك مبادئ رئيسية حث عليهــا القرآن الكريم والسنة النبوية. كما أن الدنيا ما زالــت بخير، فاليوم أصبح الغــث منتشرا في كل مكان، وانصرف الناس في دروب الحياة المتنوعة برزاياها وفتنهــا، وصرنــا نرى سلوكيات العقــوق والنكران أحيانــا منتشرة. لكن الأمة الإسلاميــة، والحمد لله، ما زالــت مليئة بالخيرين الصالحين الذين مخافة الله نصب أعينهم، ويحرصون على السير في دروب الخير والفضيلة، ونسأل الله أن نكون منهم.

أما الدرس الثاني فقد استخلصته من أهلِ القنفذة أرضاً وإنساناً، عندما جئت إلى بلادهم عام (١٤٢٢-١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) باحثاً وجامعاً لصفحات من تاريخهم وتراثهم وحضارتهم، ثم تجولت في ربوع بلادهم آنذاك، وبعد عشرين سنة (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) عدت إلى وطنهم ثم ارتحلت مرة ثانية في مدينة القنفذة وجميع مراكزها وقراها، ودونت الرحلتين في كتاب: **بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١-ق١٥هـ/ ق١٦-ق٢١م)**، الطبعتين الأولى والثانية. واتضح لي أمور كثيرة عن هذه البلاد العربية التهامية الماجدة، حيث وجدتها ذات تاريخٍ وعراقة قديمة تعود إلى عصور ما قبل الإسلام، كما أن لها موروثاً حضارياً متنوعاً خلال القرون الإسلامية المختلفة (ق١-ق١٥هـ/ ق٧-ق٢١م). أيضاً كان سكانها وما زالوا أهل أعراق وعادات وتقاليد ولهجات وفنون وأهازيج وتراث حضاري متنوع. كما عرفت وشاهدت عندهم الكثير من المبادئ والقيم الإنسانية الجميلة ليس في حاضرة القنفذة وحسب، وإنما في مدن المحافظة وقراها وبواديها الأخرى من ساحل البحر إلى الأجزاء التهامية الداخلية، ومن حاضرة البرك جنوباً إلى بلاد دوقة شمالاً[1].

الدرس الثالث والأخير موجه لي ولجميع الحضور، وذكرت أن الجميع يعرفون ويدركون ما مرت به بلادنا (شبه الجزيرة العربية) من فتن ومصائب على مر التاريخ، وكيف كان الأجداد والآباء يعيشون في صراعات قبلية مستمرة، بالإضافة إلى حياة المرض والجوع والفقر والخوف، ثم تحولت هذه البلدان (تهامة وسراة) وعموم بلاد المملكة العربية السعودية إلى تطور وتنمية وأمن وأمان. والواجب على الجميع أن يستشعروا هذه التحولات التاريخية، فنشكر الله عز وجل على هذا التحول الايجابي، كما يعمل كل منا ما في وسعه لخدمة دينه وبلاده، والمعلوم أن الحياة لن تدوم لأحد. وكوني أتحدث إلى مجموعة من الناس، فيهم عدد لا بأس به من الأساتذة الباحثين المؤرخين والآثاريين المتخصصين، فالواجب عليهم أن يشمروا عن ساعد الجد ويسخروا معارفهم وعلومهم في دراسة وتوثيق تاريخ وحضارة بلادهم في شتى المجالات. كما يجب عليهم أن يتعلموا من الرواد الأوائل في ميدان البحث العلمي، ويتخذونهم قدوة ويسيرون على خطاهم، كما أن علينا معاشر المؤرخين واجبات تجاه أولئك الرواد فندرس سيرهم ونوثق جهودهم في خدمة دينهم وأوطانهم، بل وخدمة البحث العلمي.

(١) قلت وما زلت أكرر أن عموم بلاد تهامة ذات تاريخ وحضارة قديمة ومتنوعة. وللأسف أن هناك من يقول ليس لها تاريخ، وهذا كلام غير صحيح، فهي أرض حضارة وتراث، لكن للأسف الكثير من موروثها التاريخي القديم والإسلامي المبكر والوسيط ضاع واندثر، فلم يجد من يوثقه ويحفظه، وهذا الفرق بين أن لها تاريخاً مفقوداً وضائعاً، أو من يقول أن ليس لها تاريخ، والكلام الأخير غير حقيقة ولا صحيح.

رابعاً: انطباعات ومشاهدات مختصرة وعامة:

١- انطباعات ومشاهدات إدارية وأمنية:

استغرقت رحلتي ثلاثة أيام خرجت فيها من أبها إلى القنفذة ثم ذهبت إلى النماص وعدت إلى أبها. كان السفر قديماً في هذه الأوطان التي مررت عليها (أبها، الدرب، الحريضة، القحمة، البرك، القوز، القنفذة، المجاردة، تهائم محافظتي محايل عسير وبارق، عقبة التوحيد، النماص، تنومة، بللسمر، بللحمر، وأخيراً أبها) تأخذ من المسافر عدة شهور مشياً على الأقدام والدواب، ثم انحصرت إلى أسابيع عند فتح طرق السيارات حتى بداية التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وفي وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يجتازها الذاهب في أرجائها في بضع ساعات، وفي أي مركبة حديثة، والسيارات تتنوع في جودتها، وسرعتها، ومتانتها، وسهولة استخدامها[١].

رأيت كل هذه البلاد محكومة بمؤسسات إدارية وأمنية رسمية وحديثة، وواجباتها أن تحافظ على حياة الأوطان والناس في أمن وسلام، وكل هذه الإدارات تقوم على ممارسة أعمالها المنوطة بها وحسب القواعد والأهداف التي أسست من أجلها. وهذه الإدارات في المحافظات والمدن والمراكز مرتبطة بإدارات ووزارات رسمية وكبيرة سواء في بلاد السراة وتهامة، أو في عاصمة الدولة (المملكة العربية السعودية) الرياض، أو في مدن أخرى رئيسية في الوطن مثل جدة ومكة المكرمة وغيرها[٢].

٢- انطباعات ومشاهدات اجتماعية واقتصادية:

الغالب على جميع البلاد التي سافرت فيها أنها أوطان قبائل وعشائر عربية قديمة في مواطنها، ولها من التاريخ السياسي والحضاري ما سمعنا أو قرأنا عن بعضه، وما زال أغلبه غير موثق ولا مدروس.

ومجتمعات هذه البلاد تتكون من القرى، وهي التركيبة العمرانية والاجتماعية الموجودة في هذه الأوطان من عصور ما قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية المختلفة، ثم البوادي وهي تشكل نسبة كبيرة أيضاً من البلاد نفسها. أما المدن والحواضر فكانت قديماً قليلة جدا، بل كانت الحياة القروية أو الريفية أو البدائية هي السائدة في كل

---

(١) من أراد المرور حالياً على كل هذه النواحي المذكورة أعلاه، دون التوقف كثيراً، أو إقامة لفترة طويلة، فيوم واحد من الساعة السادسة صباحاً إلى المغرب يكون كافياً جداً للسفر في أرجاء هذه الأوطان.

(٢) كل الإدارات الأساسية التنفيذية الإدارية والأمنية وغيرها مثل الامارات، والمحافظات، وإدارة المراكز، وإدارات الشرطة، والمرور، والجوازات، وسلاح الحدود، والنيابة العامة، والدفاع المدني وغيرها في عموم السروات وتهامة تستحق أن يوثق تاريخها في العصر الحديث من أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) وإن جرى هناك دراسات مقارنة عن هذه الإدارات قبل العهد السعودي الحديث، وخلال عهد المملكة العربية السعودية فذلك يكون أفضل وأعمق وأجود.

مكان حتى على البلدان أو القرى المتحضرة[١].

يتكون السكان في القرى أو الأرياف أو البوادي من أسر متعددة تشكل القرية أو البادية أو الحاضرة، ولكل أسرة رئيس يأتمر أفرادها بأمره في كل أمورهم الخاصة والعامة. وعلى كل قرية أو مجموعة قرى نائب أو عريفة، وكل النواب والعرائف في القبيلة أو العشيرة الواحدة يراجعون الشيخ (شيخ القبيلة)، وكان يعرف أيضاً باسم (الأمير). هكذا كانت حياة الناس قديما، حتى وإن كان هناك سلطة أو إمارة محلية أو خارجية فسكان القرى والقبائل هم المسؤولين عن جميع أمورهم الحياتية، فيسعون في كسب أرزاقهم، وتراهم متقاربين متعاونين في أفراحهم وأتراحهم، وكل قبيلة مستقلة عن غيرها. وأحياناً يكون هناك تحالفات بين بعض القبائل أو العشائر المتجاورة من أجل حماية أرضها وسكانها مما قد يحدث لهم مع قبائل أخرى ومن يعتدي عليهم من خارج حدود أراضيهم[٢].

وإذا ناقشنا التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للبلاد التي سافرت في أرجائها أو أي ناحية من بلدان السراة وتهامة منذ العصر الجاهلي إلى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، فذلك يحتاج إلى وقت وجهود كبيرة للحصول على مادة علمية حقيقية تؤرخ لهذه الميادين الحضارية المهمة، وهناك صعوبات وعقبات كثيرة لندرة المادة، لكن من يلج هذا الباب، ويكون جادا ومجتهدا فقد يعثر على بعض الشذرات والمعلومات التاريخية التي تفيد في خدمة هذا الموضوع الكبير[٣].

وبعد قيام الدولة السعودية الحديثة تبدلت أوضاع البلاد اجتماعياً واقتصاديا. وصار هناك حكومة عصرية تحكم البلاد بمؤسسات حديثة، وجميعها تعمل على جمع الكلمة لجميع الناس تحت شعار التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله). وجميع السكان والبلاد كانوا قبل ذلك مسلمين موحدين لله، لكنهم يفتقدون إلى سلطة مركزية تجمع شتات البلاد، وتدير أحوال الناس بإدارات حديثة تؤسس على أسس واضحة ومعروفة عند الحاكم والمحكوم[٤].

---

(١) إن دراسة طبيعة الأرض والسكان في عموم السروات وتهامة منذ العصر الحجري إلى القرن (١٤هـ/٢٠م) جديرة أن تدرس في عشرات الكتب والبحوث. وليست دراستها سهلة لقلة المصادر حتى القرن (١٢هـ/١٨م)، لكن عن طريق الآثار والنقوش قد نعثر على شيء من تاريخها القديم.

(٢) هكذا كانت حالة وحياة معظم سكان شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده حتى القرن (١٤هـ/٢٠م). وإن درسنا حياة أراضي وسكان تهامة والسراة خلال العصور القديمة والإسلامية المبكرة والوسيطة وبضعة قرون من التاريخ الحديث فالقبيلة هي الآمرة الناهية، وصاحبة القرار الأول والأخير في أراضيها وعلى سكانها. حبذا أن تدرس تواريخ وحضارة قبائل السراة وتهامة من العصر الجاهلي إلى القرن (١٢هـ/١٨م).

(٣) أقول هذا الكلام بعد دراسات وبحوث ورحلات ومقابلات في عموم السروات وتهامة، استغرقت مني أكثر من ثلاثين عاما. واتضح لي أن هذه البلاد نالها الكثير من التجاهل والنسيان عند مدوني التراث القديم أو الإسلامي، لكن من يسير في ربوع هذه الأرض يجدها مليئة بالخيرات الاقتصادية، وكان هناك مجتمعات بشرية تعيش على هذه الموارد الطبيعية. ناهيك عن مدنها، وقراها، وحصونها، وأسواقها، ومقابرها، وآبارها، وأحميتها، وآثارها السطحية والمدفونة فهي تؤكد لنا حياة تاريخية متنوعة في أحوالها الاقتصادية والاجتماعية والبشرية وغيرها.

(٤) من يدرس تاريخ بلاد السراة وتهامة منذ فجر الإسلام يجد أهلها دخلوا الإسلام من عصر الرسول

جاء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل فحارب وناضل من أجل توحيد أرجاء معظـم شبه الجزيـرة العربية، وبعد إعلان حكومته باسـم (المملكة العربية السعودية) سـارت سياسة البلاد نحو البنـاء في كل مجال. والأحوال الاجتماعيـة والاقتصادية في السـراة وتهامة وجدت الرعاية والبنـاء والتطوير من أربعينيـات القرن (١٤هـ/٢٠م) وسارت من حسن إلى أحسن حتى أصبحنا نرى كل مدينة أو ناحية أو حتى بلدة أو قرية تنعم اليوم بحياة حضارية اقتصادية واجتماعية متقدمة ومتطورة في شتى المجالات[١].

٣-انطباعات ومشاهدات معرفية (تعليمية وثقافية):

لم تخـل البــلاد التـي مـررت عليهـا من ثقافـات ومعـارف قديمة حتـى منتصـف القرن (١٤هـ/٢٠م) لكنهـا كانـت بسيطة ومحدودة وبخاصـة في كل ما يتعلق بالقـراءة والكتابة. أما معارفهم في زراعاتهم، ورعيهم، وتجاراتهم، وحروبهم، وسلمهم وعاداتهم، ولهجاتهم، وفنونهم الطربية، ورياضاتهم وأشعارهـم، وأمثالهم، وحكمهم، وأحاجيهم، وغير ذلك فكان لهم الكثير من المعارف والتجارب والخبرات التي يمارسونها جميعا (ذكورا وإناثا، صغارا وكبارا)[٢].

تحولت حياة الناس معرفياً وتعليمياً وثقافياً من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، وأنشئت المؤسسـات التربوية والتعليمية النظامية، ثم تزايدت أعدادها وأنواعها. وفي خلال تقريباً (٩٠) عامـاً صارت كل الأوطـان مخدومة بالمدارس الحديثة (للبنين والبنات)، بل تنوعت المدارس في تخصصاتها وأهدافها المعرفية والتعليمية، فهناك المدارس العامة، والخاصة، والفنيـة التقنية، والصحية وغيرها. كما أنشئت مؤسسات التعليم العالي، وافتتحت كليات جامعيـة من أبها إلى القنفذة فالنماص. بل أصبـح في عموم السروات وتهامة حوالي ست جامعات حكومية في البلاد الممتدة من الطائف إلى نجران، ومن جازان إلى مكة المكرمة. أمـا اللجان والنوادي والجمعيات الرياضية والثقافية والمعرفية فهي الأخرى تؤدي أدواراً إيجابية جيدة لخدمة الكثير من شرائح المجتمع، (نساء ورجالا)[٣].

الكـريم (صلـى الله عليه وسلم)، ثم بقـوا على إسلامهم عبر أطـوار التاريخ الإسلامـي. لكن أوضاعهم السياسيـة، هـي حياة القبيلة، فكانـت صاحبة الحل والعقـد في بلادها، وكل قبيلة تسوس أهلها وأرضها بنفسها، دون أن يكون لها رابط إداري عام وواضح يجمعها مع غيرها من العشائر والقبائل الأخرى.

(١) إن الحديـث عـن التطور والتنمية التي تمر فيها البلاد التي ارتحلت فيها خلال هذه الأيام الثلاثة المذكورة في هذا المحور تحتاج أن توثق وتدرس في بحوث ودراسات عديدة. ناهيك عن باقي المدن والنواحي في عموم السراة وتهامة فهي جديرة بالدراسة والتوثيق في كتب ورسائل علمية.

(٢) إن المتأمـل في حياة وحضـارات وثقافات السروات وتهامـة عبر أطوار التاريخ يجـد أن عندهم الكثير من الموروث المعرفي والثقافي الذي تعود جذور بعضه إلى عصور قديمة قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية المختلفـة. وهذا الجانب من الحضـارة والتاريخ غير مخدوم بحثياً. أرجو أن يكون هنـاك مؤرخون وباحثون جادون يعكفون على خدمة هذا الموضوع من خلال دراسات عميقة ونوعية.

(٣) التاريـخ التعليمي والثقافي والتربوي الحديـث والمعاصر في جميع مناطق ومدن المملكـة العربية السعودية، جدير أن يدرس في بحوث ومؤلفات كثيرة، وبخاصة منذ قيام الدولة السعودية الحالية. وهنـاك الكثير من

خامساً: بعض النتائج والتوصيات:

هذه البلاد التي تنقلت في أرجائها تتفاوت في تضاريسها، وتركيبة سكانها. وذكرها في المصادر الإسلامية المبكرة والوسيطة قليل جداً. أما في العصر الحديث (ق١٠-ق١٤هـ/ق١٦-٢٠م) فأكثرها ذكراً بعض موانئ البحر الأحمر، وأولها القنفذة، وفي السروات أبها، ثم تأتي المناطق الأخرى بعد هاتين الناحيتين. وقد صدر عنها حتى الآن بعض الدراسات والبحوث والرسائل، لكن ما زالت تستحق جميع هذه البلدان دراسات أكثر وأطول وأعمق. وهناك بعض الموضوعات التي أسرد بعضها في النقاط الآتية:

١. تاريخ بعض الموانئ كالقنفذة، والبرك، والقحمة، والحريضة، والشقيق، والدرب تستحق كل ناحية دراسة مستقلة ترصد أهميتها التاريخية والحضارية من القرن العاشر إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري. وأيضاً تاريخها التنموي الحديث والمعاصر من ثمانينات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) جدير أن يدرس ويوثق خلال هذه العقود المتأخرة الماضية.

٢. البلدان التهامية الداخلية من المجاردة إلى بارق ومحايل عسير ورجال ألمع من أقل الأوطان المخدومة بحثياً. أرجو أن تخدم علمياً من قبل المؤرخين المحليين، ومن مؤسسات جامعة الملك خالد العلمية والبحثية.

٣. العقبات (الطرق) التي تربط تهامة عسير مع سرواتها تستحق أن يوثق تاريخها، فبعضها قديمة ولها سجل تاريخي طويل. وكذلك العقبات (الطرق) الجديدة كعقبة التوحيد مثلاً يجب أن يكتب تاريخها من مصادر أولية ورئيسية.

٤. بلاد السروات من النماص إلى أبها لم تنل حقها من البحث والتوثيق، وبخاصة سروات وبوادي وتهائم بلاد بللسمر وبللحمر، فحسب علمي لم يُعتنى بها في ميادين التوثيق والبحث العلمي، وعلى رجالها وأبنائها من المؤرخين والباحثين أن يخدموا أهلهم وبلادهم بحفظ موروثهم وتاريخهم.

٥. كل البلاد التي ارتحلت فيها مليئة بالآثار والنقوش المتناثرة في جبالها ووهادها وأوديتها. ويجب على جامعة الملك خالد أن تنشئ كلية للآثار والنقوش ثم تدعمها مادياً ومعنوياً، وتشجع طلابها وأساتذتها على دراسة الآثار في هذه الأوطان السروية والتهامية.

المصادر والمراجع والوثائق الموجودة في كل مكان وجديرة أن يستفاد منها لدراسة هذه الميادين المهمة. كما أن المسؤولين والمعلمين والمعلمات والمعاصرين لمسيرة الحياة العلمية والتعليم قد يكون فيهم من يدون ويوثق شيئاً من هذا التاريخ الحضاري المهم.

٦. هنــاك الكثير من الرموز والأعــلام في عموم السراة وتهامــة، وأغلبهم فارقوا هذه الدنيــا وتركوا بصمات وآثــاراً جيدة تفيد الأرض والناس. ومن حقهم علينا معاشر الباحثين والمؤرخين أن نوثق شيئاً من تراثهم وأعمالهم. كما يجب على ذرياتهم من الأبنــاء والبنات أن يخلدوا ذكر آبائهم بالأعمــال الصالحة والذكر الحسن. ورأينا أســرة الأستــاذ حسن بن إبراهيم الفقيه في القنفذة فقــد قدموا درساً عملياً جيداً من البر والوفاء لوالدهم (مؤرخ محافظة القنفذة في العصر الحديث).



رحلتا فيلبي وابن جريس في الدرب والبرك وما بينهما عامي (١٣٥٥هـ،١٤٤٣هـ الموافق ١٩٣٦م، ٢٠٢١م)

القسم الثالث

رحلتا فيلبي وابن جريس في الدرب والبرك وما بينهما عام (١٣٥٥هـ، ١٤٤٣هـ الموافق ١٩٣٦م، ٢٠٢١م)

أولاً: مقدمة :

الرحلات من العلوم المهمة التي تثري الفرد والمجتمع علمياً وثقافياً وفكرياً وحضارياً. ومازال هذا العلم في عالمنا العربي والإسلامي متواضعاً في العصر الحديث والمعاصر مقارنة بالقرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ٠ فهناك الكثير من العلماء والرحالة الأوائل الذين جابوا أقطار العالم الإسلامي ودونوا لنا تراثاً عظيماً في شتى العلوم والمعارف . وليس علم الرحلات مقصوراً على جغرافية الأرض وتركيبتها السكانية، لكننا نجد في علوم الشريعة ، واللغة العربية ، والتاريخ والحضارة ، والأدب ، وعلوم الاجتماع ، والجغرافيا ، والفلك ، والطب وغيرها من اعتمد على الرحلة في طلب العلم ثم دونوا مؤلفات وتراثاً كثيراً في هذه الميادين . والرحلة اليوم أصبحت أسهل بكثير مما عاشه الأولون ، لكن الناس انصرفوا عن التوثيق الجاد العميق الرصين ، واكتفوا بالمشاهدات الترفيهية والسطحية في كل ما يرغبون رؤيته أو سماعه ، وربما كان لوسائل النقل والتواصل وانفتاح العالم على بعضه حضارياً وتقنياً ساهم في هذا التراجع وعدم الاكتراث . والتدوين العلمي الدقيق من خلال الترحال والتجول ليس عملاً سهلاً ، بل

هو مضن ويحتاج إلى صبر ومثابرة ودقة ملاحظة [١] .

هـذا القسـم مساهمة محدودة جمعـت فيها رحلة رحالة انجليـزي (هاري سانت جـون فيلبي) الذي زار البلاد التهامية الممتدة من الدرب إلى البرك على ساحل البحر الأحمـر في بدايـة النصف الثـاني من القـرن (١٤هـ/٢٠م) ، ووثق جوانـب تاريخية وحضاريـة متنوعـة ، وهـذه المادة التـي حفظها لنا جيدة جـداً عن أرض وسكان تلك الأوطان. لكنه وقع أحياناً في بعض الغموض أو النقص أو الأخطاء ، فكان عليَّ أن أنشر مـا دونـه ، ثم أصلح أو أضيف ما يفيد هذا العمل العلمي . كما قمت برحلة ميدانية لمدة سـتة أيام عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تجولت خلالها في البلاد التي زارها فيلبي ، ووثقت شيئـاً من تاريخها المعاصر، بهدف أن يطّلع القراء الكرام والباحثون وطلاب العلم على التحولات الحضارية التي عاشتها هذه البلدان قديماً وحديثاً .

(١) هـذا ما عرفته وقرأتـه من خلال رحلات علماء المسلمين في القرون الإسلاميـة الوسيطة ، ورحلات بعض المستشرقـين الذيـن سافـروا إلى بلدان عديدة في العـالم الإسلامي وغيره في العصـر الحديث ، ثم دونوا أسفاراً كبيرة وجيدة في محتواها .

ثانيا : رحلة فيلبي من الدرب إلى البرك عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م). ترجمة الدكتور حسن مصطفى حسن ، تصويبات وتعليقات الدكتور غيثان بن علي بن جريس ٠

م	الموضوع	الصفحة
أولاً :	وقفة مع فيلبي (رحلته في جنوب المملكة العربية السعودية، وكتابه : مرتفعات الجزيرة العربية)	١٦٠
ثانياً :	رحلة فيلبي في الدرب ،والشقيق ،والقحمة ٠	١٦٣
ثالثاً :	مشاهدات فيلبي ورحلته في البرك وما حولها ٠	١٨٩

أولاً : وقفة مع فيلبي (رحلته في جنوب المملكة العربية السعودية ، وكتابه : مرتفعات الجزيرة العربية) :

ولد هاري سانت جون فيلبي عام (١٣٠٢هـ/١٨٨٥م) في جزيرة سيلان (سيرلانكا حاليا) ، في أسرة إنجليزية أصولها من جنوب شرق بريطانيا[١] ، عاد إلى بريطانيا وتدرج في مراحل التعليم العام والجامعي حتى تخرج من جامعة كمبردج عام (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م) ، ثم التحق وظيفياً بالحكومة البريطانية في الهند عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) [٢] ، وتعلم العديد من اللغات مثل: الفارسية ، والهندية ، والعربية، والبنجالية ، والأردية . وتدرج في عدد من الوظائف الإدارية والإعلامية[٣] ٠

وعند وقوع الحرب العالمية الأولى عام (١٣٣٢هـ/١٩١٤م) ، وتسارع الأحداث في الشرق الأوسط ، رأت الحكومة البريطانية الاستفادة من قدرات فيلبي وخبراته وإتقانه لعدد من اللغات ، فكلفته بالذهاب إلى العراق للمساعدة في إدارة الشؤون البريطانية فيها بعد انسحاب الجيوش العثمانية منها[٤] وكانت العراق آنذاك تحت إدارة السير بيرسي كوكس ، أحد الساسة البريطانيين الرئيسيين في إدارة شؤون بريطانيا في العراق والخليج العربي[٥] ٠

---

(١) انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب . (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، ج٢٤، ص ٣٨٤- ٣٨٥ ٠

(٢) خيري حماد . عبدالله فلبي قطعة من تاريخ العرب الحديث (بيروت ، ١٩٦١م) ، ص ٢٩- ٣٠ ٠

(٣) عمر بن صالح العمري . "عبدالله فلبي : حياته وآثاره . مجلة دارة الملك عبدالعزيز ، ع٣ ، سنة ٢٥، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ، ص٦ ٠

(٤) المرجع نفسه ، ص ٧ ٠ انظر خيري حماد ، المرجع السابق ، ص ٣٠- ٣١ ٠

(٥) غيثان بن جريس ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٢٤، ص ٣٨٤- ٣٨٥ . للمؤلف نفسه . "جنوب السعودية في كتاب: مرتفعات الجزيرة العربية لهاري سانت جون فيلبي (دراسة تاريخية تحليلية) " . بحث منشور ضمن أعمال ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ، ص ٢٤١ وما بعدها .

من بلاد العراق بدأت صلات فيلبي بالجزيرة العربية وبالملك عبد العزيز تحديداً، شارك في اللقاء الأول الذي عقد بين بيرسي كوكس والملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل في العقير في أواخر عام (١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م)، وعندما عزمت بريطانيا إجراء محادثات أخرى مع بعض الزعماء العرب مثل الملك عبد العزيز وغيره وقع الاختيار على فيلبي[١] . ومن هنا كانت البداية الحقيقية لرحلات فيلبي ومؤلفاته عن الجزيرة العربية [٢] .

تولى فيلبي العديد من الأعمال السياسية والاستخباراتية في الحكومة البريطانية، وكان معاصراً لأحداث الحربين العالميتين. قدم إلى جزيرة العرب عام (١٣٣٥هـ/١٩١٧م)، ذاهباً إلى الأحساء، ثم إلى الرياض والتقى بالملك عبد العزيز وصار من مستشاريه المقربين. والتحق بخدمته، وأعلن إسلامه عام (١٣٤٩هـ/١٩٣٠م)، وعرف باسم (الحاج عبد الله فيلبي ١٩٣٠م) [٣] . مكث فيلبي في الجزيرة العربية أكثر من أربعين عاماً، وخدم تاريخها وتراثها وحضارتها بالكثير من الكتب والبحوث العلمية[٤] .

الرحلة المنشورة في هذا القسم جزء صغير من كتاب فيلبي: **مرتفعات الجزيرة العربية (Arabian Highlands)**. هذا الكتاب رحلة طويلة قام بها فيلبي في المناطق الجنوبية للمملكة العربية السعودية بدأها من الطائف حتى تربة ورنية ثم أجزاء من مناطق عسير، ونجران، وجازان حتى عاد إلى جدة ومكة المكرمة[٥]. طبع الكتاب الأول مرة باللغة الإنجليزية في ولاية نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية عام (١٩٧٦م)، وصدر في (٧٧١) صفحة من القطع المتوسط. ثم قامت مكتبة العبيكان مشكورة، خلال العقد

---

(١) انظر سانت جون فيلبي. بعثة إلى نجد (١٣٣٦ــ ١٣٣٧هـ/١٩١٧ــ ١٩١٨م). ترجمة عبد الله صالح العثيمين (الرياض، ١٤١٨هـ) ص٧٣ وما بعدها .

(٢) من يتأمل في سيرة فيلبي بعد قدومه إلى الجزيرة العربية ثم بقائه فيه حوالي أربعة عقود، وتدوينه آلاف الصفحات عن تاريخها وآثارها وحضارتها يجد أنه أفضل وأكثر من كتب عن عموم الجزيرة العربية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) وقد صدر العديد من الكتب والبحوث التي تؤرخ لجهود هذا الرجل في خدمة تراث وتاريخ جزيرة العرب .

(٣) انظر محمد المانع. توحيد المملكة العربية السعودية، ص ٢٧٦ .

(٤) هناك العديد من الدراسات المطبوعة والمنشورة باللغات العربية والإنجليزية وغيرها عن فيلبي. ومازال هناك جزئيات عن حياة هذا الرجل لم تدرس، حبذا أن نرى باحثاً جاداً يجمع ويدرس هذه الجوانب التي مازالت تستحق مزيداً من البحث والدراسة .

(٥) زار فيلبي الكثير من البلدان في هذه المناطق (عسير، ونجران، وجازان) بالإضافة إلى بعض النواحي في ساحل تهامة من البرك إلى جدة ومكة. لكنه للأسف لم يمر على أعالي السروات، وسفوحها الغربية، حتى الأجزاء التهامية الداخلية الممتدة من رجال ألمع إلى تهامة الطائف بما فيها مناطق الأصدار لم يكتب عنها أي شيء، لأنه لم يشاهدها أو يجتازها أثناء رحلته المدونة في كتابه (مرتفعات الجزيرة العربية)، ولو جاء عليها لكان زودنا بمادة علمية قيمة ونادرة في بابها في منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) .

الثـاني من هـذا القرن (١٥هــ/٢٠م) بتكليف الدكتور حســن مصطفى حسن بترجمة الكتـاب إلى اللغة العربية[١]. وبعد عدة سنـوات من ترجمته اتفق معي آل العبيكان على مراجعـة الكتاب والتأكد مـن أسماء الأعلام الجغرافية والبشريـة، ووافقت على ذلك، وقضيت بضعة شهور أراجعه، وذهبت إلى عدد من المناطق التي زارها فيلبي في مناطق عسـير، ونجران، وجازان، وراجعت وأصلحت ما استطعـت، وطبعته مكتبة العبيكان في مجلدين كبيرين بلغت صفحاتهما (١٤٤٩) صفحة من القطع المتوسط، وصدر الكتاب باللغة العربية عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) [٢].

الكتاب (النسخة العربية) يقع في ستة أبواب تحتوي على (٣٣) فصلاً ، خصص لكل باب منطقة جغرافية، ولكل فصل مدينة أو قرية أو جزء صغير في تهامة والسراة[٣]. كمـا احتـوى على عدد من الصـور الفوتوغرافية ، وخرائط ، وجـداول وفهارس عديدة بالإضافـة إلى كلمـة النـاشر العربـي (مكتبة العبيكان) وسبـع صفحات تقديم للكتاب بقلم . أ. د. غيثان بن علي بن جريس[٤].

الجزئيـة المنشـورة في هذا القسـم وردت في البـاب السادس من الجزء الثـاني ، الذي عنوانه : منخفضات تهامة ، ويقع هذا الباب في (٣٠٩) صفحة ، رصد فيها تفصيلات كثيرة من رحلته ومشاهداته في منطقة جازان، والأجزاء الممتدة من بيش والدرب حتى جدة ثم مكة المكرمة . استغرق في رحلته المدونة في هذا الباب الأخير من كتابه حوالي (٤٨) يوماً [٥].

والرحلـة المقتبسة من كتاب : مرتفعات الجزيرة العربية في هذا القسم تأتي ضمن الفصلـين رقم(٣٢) بعنوان (الطريق الساحلي : منطقة جازان) [٦] ، و(٣٣) وعنوانه (الطريـق الساحلي : القنفـذة) [٧]. وعدد الصفحات التـي اشتملت تفصيلاتها على

---

(١) لا أعـرف الدكتـور حسن مصطفى لكن قيل لي أنه عضو هيئة تدريـس في جامعة الملك سعود أثناء ترجمة الكتاب ، ولا أعلم من أي البلاد هو ، لكنه عربي ربما من السودان أو مصر .

(٢) انظر الكتاب في نسخته العربية ورقياً وإلكترونياً . كما صدر عنه عدد من البحوث ، وقد أشرت إلى بعضها في حواش سابقة من هذه الدراسة .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) تمـت كتابة التقديم لهذين الجزئـين في أبها في (١٤٢٥/١٢/٢٧هـ الموافـق ٢٠٠٥/٢/٧م) . انظر الكتاب في نسختـه العربية طبعة عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ، ج١، ص ١ـ١٥ . وانظر صفحات الجزئين التي عددها كاملة (١٤٤٩) صفحة .

(٥) بدأهـا مـن جـازان في ١٨/شوال/١٣٥٥هـ الموافـق ١/ينايـر/١٩٣٧م) ، وانتهى في مكـة المكرمة في (٦/ذوالحجة/١٣٥٥هــ الموافـق ١٨/فبراير/١٩٣٧م) . انظر كتابـه : مرتفعات الجزيـرة العربية (النسخة العربية) ، الجزء الثاني ، ص ١٠١٣ـ ١٣٢٢ .

(٦) انظر فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية (النسخة العربية) ، ج٢، ص ١٢٣١ـ ١٢٧٨ .

(٧) كنـت قـد راجعت هذا الكتـاب وكتبت تقديماً لـه في عام (١٤٢٥هــ/٢٠٠٥م) ، لكنني عندمـا قرأت هذه

بـلاد الدرب والبرك وما بينهما حـوالي (٤٧) صفحة من صفحات الجزء الثاني، وهي التـي سوف يعـاد نشرها مع تصويب ما ورد فيها ، من أخطـاء ، وإضافة بعض الشروح والتعليقـات التي تصب في خدمة هذه الرحلة علميـاً ومعرفياً٠ وهذه الصفحات شملت الحديث عن حاضرة الدرب ، والشقيق، ثم القحمة ، والبرك[1] ٠

ثانياً : رحلة فيلبي في الدرب ، والشقيق ، والقحمة :

وصلنا إلى طريق السيارات بعد نصف ساعة من بداية الرحلة إلا أنه كان يتجه غرباً ، وقررنا أن نمضي ناحية الشمال الغربي تجاه السلاسل البركانية لأهل السودة[2] ٠ كان هذا يعني السفر بلا رؤيا وذلك لأن الغابة كانت كثيفة جداً، وقد تمت بأكثر جاذبية في القفـار ، وبـدا لنا أننـا نمتلكها لمصلحتنا فقـط ، فيما يخص البشـر. كنا نفزع من حـين لآخـر الغزلان من مراعيهـا المنعزلة ، كمـا كان طائر الشقـراق الحبشي متوافراً وقـد لاحظنـا الحبارى العربية تتلصص إلى الاختباء[3] ٠ أصبح سطـح الأرض صعباً ونحـن نقـترب لخط وادي سر[4] ، وأصبحت البلاد مكسـرة برغم أنها جيدة الغابات ، رفعـت أشجار الدوم من حين لآخر رؤوسها فوق أشجار الغابة . كما بدأنا نلاحظ وجود الضأن وبعض الجمال وهي ترعى ، بينما احتمى مالكوها بجوار البرك المائية للمجاري العديـدة التي تعترض هذه الأرض[5] ٠ عبرنـا واحداً من هذه الأحواض ، كان عرضه حـوالي (٢٠) يـاردة وخرجنا منه إلى حزام حصوي كأنما هو سـد نهري قديم ، ونزلنا فيمـا يليه إلى وادي سر نفســه ـ وهو المجرى الرئيسي . كانت أشجـار الدوم هناك أكثر

الصفحـات وغيرهـا مرة ثانية وجدتها لا تخلو من أخطاء عديدة ، عندئذ رأيت أن أقتطع جزئيات صغيرة وأعيـد نشرهـا وتصحيـح ما ورد فيها مـن أخطاء أو غموض مع حفـظ حقوقها العلميـة لصاحب الرحلة الرئيسية . (فيلبي) .

(١) الناظـر في رحلـة فيلبـي: مرتفعات الجزيرة العربيـة ، يجد أنها سفـر جيد ومهم لدراسـة أحوال الأرض والنـاس في بلـدان عديـدة من السراة وتهامـة في بداية النصـف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) . وهذه الصفحات المنشورة في هذا القسم ليست إلا نموذجاً صغيراً من هذه الرحلة الطويلة، بين الحجاز واليمن، التـي استغرقـت أكثر من عشرة شهور . وما ذكره عن بلاد الـدرب، والشقيق، والقحمة، والبرك يعد مادة علمية جديدة رصدها من خلال سيره في مناكب هذه البلاد، وشاهد صوراً من حضارة أهلها وتاريخهم في منتصف القرن الهجري الماضي٠

(٢) السودة : هي السواد وتعرف أيضاً بالسوادة ، مرتفعات (هضاب) محدودة الارتفاع ، وحولها شعيب أو واد صغير في الطرف الشمالي من محافظة بيش ، وهي أقرب إلى محافظة الدرب . (ابن جريس) ٠

(٣) كانت الغابات والطيور بأنواعها توجد في جميع أجزاء منطقة جازان أثناء مرور فيلبي منها عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)، ومازال اليوم بعض الطيور والغابات المحدودة في كثافتها وأعداد نباتاتها . (ابن جريس)٠

(٤) وادي السر من الأودية المتوسطة شمال وادي بيش ، ويقع ضمن محافظة الدرب حالياً . (ابن جريس) ٠

(٥) إن الـثروة الحيوانيـة في عموم تهامة والسراة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) كثـيرة جداً، بل حياة الرعي من المهن الرئيسية لأهل هذه البلاد، واليوم أصبحت قليلة ومحدودة . (ابن جريس) ٠

انتشــاراً ومعها الأراك وعدد من أشجار الطلح والقطف وغيرها[١]. وجدنا رجلاً طاعناً في السن داخل عشة منعزلة سقفها من القصب يقوم بعناية رجل مريض بمساعدة كلب مزمجر لئيم[٢]. كانت أغنامهم وماعزهم تستمع هنا وهناك بالمراعي المزدهرة . يجري بطن السيل في هذا الوادي العريض في أكثر من شريط ، تسلقنا فيما يليه السفح المرقط بالشجيرات القصيرة على جانبه الأيمن لتلقي نظرة من القمة على البحر البعيد .

لم يعـد هنالك شك حـول الأصل الـبركاني لسلسلتي صفصــاف وآل السودة [٣] ، وليستــا بعيدتــين ، بينما على بعـد ناحية الشمال الغربي ، وهو الاتجــاه العام لمسيرتنا ، نستطيــع رؤية القمم البارزة غير أنها منخفضة لسلسلــة تسمى ـ كما تأكد لنا فيما بعد حرامــين [٤] . امتد سهل واسع من طـرف أرض مرتفعة إلى البعيد وعلى يميننا إلى حد ما قريباً من البحر ، تكسوه شجيرات قصيرة وحشائش مع قليل من الأشجار والجنبات الكبــيرة من حين لآخــر. مررنا في هذا السهل بملاجئ للرعاة ، وقد وجدنا رجلاً وثلاثاً من النسوة ومعهم قطيع من الماعز . ارتفع السهل تدريجياً إلى سلسلة منخفضة ، هبطنا منهــا قليلاً لنعبر ثلاثة مجــار منفصلة لوادي السودة ، وقد نمــت على حافاتها أشجار الدوم بغزارة ويستمر على امتداد حافة الأرض البركانية التي انتشرت أمامنا على شكل ربوات خشنة ذات غطاء نباتي شحيح . أدى دخولنا هذا الموقع إلى نفور غزالتين وأرنب بــري كما كانــت هنالك جمال ترعــى في الأودية. كان لكل واحد من هــذه الأودية اسمه الخاصــ بــه ، غير أنني جمعتها كلها معاً بكونها أجزاء مــن وادي السودة وذلك لأننا لم نجد من الناس من يمكنه إعطاؤنا معلومات دقيقة. عبرنا خمسة من هذه المجاري قبل أن ندخل إلى وادي الرضه ذي الشواطئ المنحدرة ، العميق والضيق ، وقد تحصلنا على اسمــه مــن أحد الرعاة كنا قد ألقينا عليه التحية وسألنــاه عن الطريق . كما أخبرنا أن مشرب الرضة يقع على مسافة (٥٠٠) ياردة مع اتجاه الوادي عند العبور[٥].

---

(١) وقفت على أجزاء من وادي السر عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، فلم يعد فيه ماء ، ولا أشجار ولا نباتات كثيرة. (ابن جريس) .

(٢) أشــار فيلبــي إلى بيــت مــن العشش والمريضــ الذي كان فيهــا ، وأقــول إن معظم منازل النــاس في القرن (١٤هـ/٢٠م) من القش، كما أن الحمى والأمراض كانت تفتك بالناس بشكل كبير جداً . (ابن جريس) .

(٣) الصفصــاف وآل السودة من التضاريس الجغرافية الواقعــة في شمال محافظة بيش وهي إلى بلاد الدرب أقرب . (ابن جريس) .

(٤) حرامين : الصحيح هَرْمان ، بفتح الهاء وإسكان الراء بعدها ميم فألف ثم نون ، واد صغير جنوب محافظة الدرب. يعرف اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) هرمان الصغير ، وهرمان الكبير ، وهما شعبان صغيران . (ابن جريس) .

(٥) وادي الروضــة في الناحية الجنوبية من محافظة الــدرب وإلى الشمال من محافظة بيش ، وهو من الأدوية الصغيرة في منطقة جازان. ابن جريس .

كنا نسير الآن فوق أرض عندها وقفات قصيرة خلال أربع ساعات، لم يكن رفيقي ماشياً على رجليه فحسب ، وإنما كان يحمل عني ممتلكاتي لأكون حرّ الحركة لأقوم بمسوحاتي ـ وقد بدأ عليه الإرهاق ، ولعل هذا سببه الجوع والعطش أكثر منه الجهد المضني[١] ، ثم شعر رفيقي بالتحسن بعد دقائق حينما وصلنا إلى الطريق السريع الذي كنا نبحث عنه ، وهو يمتد فوق جبهةٍ عريضة في الخطوط المألوفة عبر الحرة المتكسرة والسهل البازلتي. كان هذا واحداً من الطريقين الرئيسين المتجهين من الجنوب إلى الشمال في تهامة ، وهو الأكثر قرباً إلى البلاد الداخلية ، ذلك لأن الطريق الآخر يحتضن الساحل كثيراً في القطاع [٢] . عبر الطريق ثلاثة مجار لست متأكداً من أسمائها ـ تم تعريفها فيما بعد على أنها درب المعقر[٣] ـ ، مررت في واحد منها برجلين واثنتي عشرة امرأة وبعض الجمال ، متجهين جنوباً ربما للعمل في الحصاد في وادي بيش . كان أحد الرجال يرتدي ملابس مصبوغة بالأخضر . كان سير حماري الآن أفضل على طريق مطروق ، وحاول الرجل القادم من صبيا أن يماشي سير الحمار. كان متخلفاً وراءنا إلى البعيد حينما وصلت إلى وادي سمرة ، وهو مجرى جذاب جداً ينفرج عبر شريط عريض من بازلت ماثل ، تنتشر فيه العديد من البرك المائية في تجاويف صخور[٤] . كان أحد الرعاة يقوم بسقي قطعانه هنا إلا أنه نفسه لم يشرب من البرك خوفاً من الحمى. قام بدلاً من ذلك بحفر الرمل ، وشرب الماء وهو ينبع من تحت التربة إلى سطحها . عملت مثل ما فعل ووجدت الماء بارداً ومنعشاً. وصل رفيقي أخيراً وهو مرهق واستلقى على يديه وركبتيه وأخذ يلعق الماء كما يفعل الحيوان[٥] .

يتجه الطريق فيما يلي هذا المجرى ناحية الشمال الغربي على السهل نفسه ذي الحصى الذي تعترضه خطوط صرف من حين لآخر . كانت أشجار الرنف مزهرة كما

---

(١) يشير فيلبي إلى قسوة الحياة ، وفقر الناس ، والجوع الذي كان سائداً في البلاد . كما ذكر صعوبة الأرض أثناء السير في مناكبها في منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) . وبقيت على هذا المنوال حتى تسعينيات القرن نفسه ، وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم تطورت الأرض والناس في شتى المجالات . (ابن جريس) .

(٢) يتضح من كلام هذا الرحالة أن هناك طريقين رئيسيين تسيران من الجنوب إلى الشمال ، والرحالة والجغرافيون الأوائل أشاروا إلى تلك الطرق الداخلية والساحلية . وهاتان الطريقان تستحقان أن تدرسا في هيئة كتابين أو رسالتين خلال القرون الإسلامية المبكرة ، والوسيطة ، والحديثة حتى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) . (ابن جريس) .

(٣) درب المعقر: يقع في جنوب محافظة الدرب ، وكلمة درب يكثر استخدامها في منطقة جازان ، وتطلق على أمكنة عديدة هناك .(ابن جريس) .

(٤) وادي سمرة : من أودية بلاد الدرب . (ابن جريس).

(٥) أشار فيلبي إلى طريقة الحصول على المياه أحياناً ، وكانت غير بعيدة عن سطح الأرض . (ابن جريس) .

تكاثـرت أعداد أشجـار الدوم[١] . بدأ السطـح على بعد ينبسط ويصـير أملس وقد كساه حصـى خفيـف ورمل وطمي ، وانحـدر بلطـف إلى وادي بيض المهم[٢] مـع مجرى معتبر وبحيرة في موقع عبورنا . كشفت علامة مستوى الماء العالي على الشاطئين عن الإفادة بأنه قد كان هنالك سيل قوي وقع حديثا ، ويعزى وجود مسطح مائي واسع لهذا السبب أيضاً . يكوّن سداً من البازلت عبر الوادي في هذا الموقع خزانا طبيعيا لتنظيم مياه السيول ، كما كانـت هنالـك طبقة سميكة من خليط بركاني تكون جـزءا من الجانب الأيمن . كما يوجد إلى جانـب أشجـار الدوم انتشار كبير لأشجار البالميتو (النخيـل) على جانبي الوادي[٣] . استمـر السهـل الحصوي المتدحرج فيمـا يلي هذه ومعه غطاؤه النبـاتـي الشحيح وخطوط الصرف المتكررة . كان واحد منها فقط ـ ولا أعرف اسمه ـ يتمتع بأهمية خاصة وأخبروني في الدرب أنه وادي الدبر[٤] ، ينحدر مرة أخرى المجرى عند عبورنا له فوق حاجز بازلتي، علـى أرضٍ ذات تكوين خليط كحلـوى البودنق وقد تخلله بعضـ الجلاميد ، متجهين نحو الجنوب بحثاً عن العمل ، لعلَّ الأخبار عن السيل العظيم هي التي دفعت الناس إلى التوجه إلى وادي بيشـ[٥] . كانـت طيـور الشـادي الأورفيني وطيور على الطريـق منتظرة فرصة شربهـا للماء . كانت الغزلان متكررة الظهور أيضا كما كان هديل الحمام يسمع في كل واد ـ تحولت البلاد تدريجياً وبلا شعور منا إلى أرض غابات وتطورت إلى غابة كثيفة نسبيا في أرض الدلتا لوادي رملان[٦] ، على مسافة قليلة من سلسلتي حرامين والعكادين[٧] .

أدركنـا أثناء سيرنا اثنين من الهنود في هذه المنطقة كان أحدهما من دلهي والآخر من كلكتا ، سائرين على الأقدام إلى مكة لأداء الحج . نزلا في ميدي وسارا على الأقدام

---

(١) شجـر الـدوم : من الأشجار الكبيرة والمعمرة ، يوجد بكثرة في المناطق الساحلية الممتدة من جازان إلى البرك والقنفذة وما حولها . المصدر: مشاهدات الباحث في رحلات متعددة في هذه البلاد . (ابن جريس) .

(٢) وادي بيضـ : مـن أودية محافظة الدرب الجنوبية ، وهو من الأودية الكبـار ، وتأتي منابعه من شرق جبال بيض وما جاورها في مرتفعات جازان الشمالية . (ابن جريس) .

(٣) كانـت أشجـار النخيل منتشرة في عمـوم تهامة ، ومازالت حتـى اليوم ، لكن أصـاب الكثير منها الجفاف فاندثرت وتلاشت . (ابن جريس) .

(٤) وادي الدبر: من الأودية الصغيرة في جنوب محافظة الدرب .

(٥) وادي بيشـ : مـن الأودية الفحول في منطقة جـازان وتأتي منابعه من جبال السـروات ، ويسقي وادي بيش مـن الأراضـي الزراعية مـا مساحته تقدر بين (٦٠) كيـلاً طولاً في خمسة أكيال عرضـاً. وبيش اليوم من محافظات منطقة جازان الرئيسية . (ابن جريس) .

(٦) وادي رمـلان : مـن أودية محافظة الدرب ، وتأتي منابعه من مرتفعات شرق المحافظة ، وجنوب وادي عتود ، ويعبر قرية رملان متجهاً نحو البحر (ابن جريس) .

(٧) الصحيـح هرمان وليس حرامين . أمـا العكادين فهما جبلان إلى الجنوب وسط المحافظة بحوالي (٤ـ ٥) كيلـو وأحدهما أكبر من الآخـر. والكبير تقع عليه مضخة تحلية مياه رئيسيـة ، وعلى رأس العكاد الصغير استراحة بلدية الدرب ، وهناك طريق مسفلت بعرض حوالي عشرة أمتار يصل إلى هذين الجبلين . (ابن جريس) .

مـن هناك ، تماشياً للرسوم التي يجب دفعهـا بواسطة الحجاج الذين يهبطون في جدة وغيرها من الموانئ العربية . ويتسللون عبر الحدود أثناء الليل لتحاشي ملاحظة الموظفين المحليين . لم يبق أمامهم إلا وقت قليل جداً للوصول إلى مكة في الوقت المحددة، ولا أدري إن كانا قد نجحا في ذلك أم لا . سنقابلهم مرة أخرى في الطريق(١) .

كان منظـر المجرى الرئيسـي لوادي رملان عظيمـاً ، حيث نشاهـد أفضل أشجار الـدوم التـي رأيناها متباعدة بتفرعـات سيقانها في الوادي أعلـى وأسفل الطريق. كان بطن المجـرى مكسواً بالحصى كأنه ساحل البحر وكانـت الجوانب المنخفضة من مادة مختلطـة خشنـة . كان علينـا أن نعبر خطـاً آخر لهذا الـوادي قبل أن نصـل إلى أرض الغابات على الجانب الآخر الذي يجري عبره طريق الحاج قريباً من سلسلتي حرامين(٢) ، والعكاديـن وموازيا لهما مكونة جزءاً من جزيرة بركانية تفصل وادي رملان عن الدلتا العريضـة لوادي عتـود(٣) . كانت الشمس معلقة عند الأفق كأنهـا برتقالة ضخمة وهي تضـيء الصخور لهذه السلاسل بوهج قرمزي أثناء ما كنا نسرع في سيرنا . كان يحفنا إحساس بعدم الحقيقة حول هذا المشهد العام . وكان الصمت محسوساً لم يكن هنالك صـوت عدا ضربات حوافر حماري وارتطام أقدام الهنديـين ، علماً بأننا كنا على عتبة منطقة زراعية واسعة ذات كثافة سكانية .

لم نـر قرية رملان وهي قرية كبيرة عند ذيل الـوادي وخلف السلسلة البركانية(٤) ، كمـا لم نشاهـد الدرب وما يجاورها وهي تقع إلى الأمام من موقعنا هذا . كان وقع اسم العكاديـن كوقـع الموسيقـى في أذني . كانت أرضـاً لحادثة مشهـورة في تاريخ الأحداث الحوليـة في تاريـخ العصور الوسطى لليمـن ، ولم يكن موقعها الصحيـح معروفاً. أكون بذلك قـد اكتشفت وبمحض الصدفة حقيقة ذات مغـزى تاريخي كبير. غربت الشمس وأنـا علـى ظهر الحمـار أسترجع المعركـة التي وقعت في هـذه الغابة بالـذات في أزمان

---

(١) يتضـح من قول هـذا الرحالة معاناة الحجاج الذيـن كانوا يأتون من خارج شبه الجزيـرة ، ومنهم الهنود الذيـن شاهـد بعضهم ، كما أشار إلى الرسوم التي تؤخـذ على الحجاج في المنافذ مثل جدة وغيرها . ومن هـذه الإشارات نلمس بعض الموضوعات الجديـدة في بابها التي تستحق أن تكون عناوين لبحوث علمية عن تاريخ وحضارة بلاد تهامة والسراة في عصور سابقة .

(٢) الصحيح (هرمان) وليس حرامين . (ابن جريس) .

(٣) وادي عتـود : مـن الأوديـة الكبار التـي تأتي مسائله من سـروات عسير ، ويعبر المحافظة مـن الشمال إلى الجنوب . ويعرف هذا الاسم (عتود) في سراة عسير، ثم تسيل مياهه الغربية نحو منطقة جازان ، ومياهه الشرقية نحو وادي بيشة. وله ذكر عند المتقدمين من الجغرافيين واللغويين والمؤرخين والأدباء. ولا ماء فيه، بل يخيم الجفاف عليه أثناء زيارتي له في عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .(ابن جريس) .

(٤) قرية رملان تنسب إلى الوادي ، وفيها اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) بعض العمران المحدود . (ابن جريس) .

قديمــة لإثراء الدخل الحكومي لمنطقة الدرب[١] ،التــي كانت هدي في المباشر. وصلنا إلى أول المجــاري بعد أن عبرنا طرف سلسلة عكاديــن وخرجنا إلى دلتا واسعة ممتدة ذات مــزارع منتشــرة ، وذلك خلال خمس عشرة دقيقة قبل هبوط الظلام . وصلنا إلى قرية الدرب نفسها بعد ساعة كاملة ، بسبب الظلام الدامس والمتاهة المعقدة للطرق والحقول والمتاريس ، وكان ذلك قبل الساعة الثامنة مساءً بقليل ، بعد مسيرة شارفت على الاثنتي عشرة ساعة ، ولم يكن معنا طعام نأكله خلالها عدا البيضتين في مسلية ٠

تمكنــا من التحرك عبر المتاهة بمساعدة بعضــ الناس، خلال شوارع تصطف على جوانبهــا العشش إلى حيث منزل الشيخ المحلــي ، حيث قوبلنا بكرم شديد . أحضرت لنا السرائــر الخفيفة مع أغطية أكثر إلى داخــل المعسكر والذي على أحد جوانبه كان منزل الشيــخ يشــرف على العشش الشبيهة بخلايا النحل في الجــوار التي يسكنها وكلاؤه. كما تم إحضــار مصباح إعصــاري وأشعل ليضيء الموقع .وأحسســت بهمس فهمت أنه يدور حــول الرغبة في ذبــح عجل سمين . وهذا يعني انتظارا طويلاً ، وقد كنت مرهقاً وجائعاً، وتجرأت بالتدخل ، برغم كل الحديث الذي يدور . شرحت موقفي ووجدت حالتي تعاطفاً، وقــد تخيلت أن تدخلي في تفضيل شاة على العجــل لم يعجب مضيفنا. اقترحت أن قليلاً مــن الخبز وربما دجاجــة وبعض البيض سيكفي لإبعاد جوعي، والذي بعده أحتاج إلى أن أنــام . كان هنالك الكثير مــن الخبز ـ كما قالوا ـ واستغربوا أن أقــوم بأكل هذه الأشياء ـــ لا يأكل أهل الدرب هذه الأشياء ـــ إنها التقاليد القديمة ! تغلبت على ارتيابهم وانطلق الرســل لجمع الطيور ومنتجاتها . عادوا خلال دقائق ومعهم دجاجتان حيتان ودستة من البيضــ، واقترب المتفرجون ليراقبوا تقديمهــا لي كما هي على طبق كبير . أدركوا تماماً أنني لا أستطيع أن أقوم ببلع الطيور وهي حية أو أن آكل البيض وهو نيء ، أما ما سأفعله بــكل منهما ، فلا علم لهم به . استرجعت صورة السيدة في مسلية، وطلبت إحضار موقد وقــدر ماء للغلي[٢] ، وسرعان ما أعــدوا لي ذلك . شرحت لهم ما أحتاج إليه فيما يخص الدجــاج أثناء ما كان الماء يغلي، إن أعناق الدجــاج تقطع تماماً كما يفعلون بالضأن، ثم يزال كل الريش، ثم تنزع الأحشاء، ثم أقوم بتوضيح ما يمكنني أن أفعله بعد ذلك[٣] ٠

(١) يقصــد بمنطقــة الدرب، أي قرية الدرب، الحاضرة الرئيسية لهذه المنطقــة أثناء زيارة هذا الرحالة لهذه البلاد عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م). (ابن جريس) ٠

(٢) في السطور المدونة أعلاه نجد فيلبي يذكر حسن استقبال شيخ أهل الدرب وأهلها لهم ، وكانت رغبتهم أن يبالغــوا في ضيافتهم . كما ذكــر بعضاً من العادات والتقاليد الاجتماعية التــي شاهدها وكان يعيشها أهل البــلاد ، وهــذه معلومات قيمة نعرفها ونطلع عليها قبل حوالي (٩٠) عامــاً عن هذه البلاد التي كان يعاني أهلها من الجوع والفقر والأمية . (ابن جريس) ٠

(٣) هذه مبالغة ، فالطيور مثل: الحمام ، والقماري ، والدجاج موجود في معظم بلاد تهامة والسراة ، وهذا مما يدل على أنهم يعرفون هذه الأنواع من الطيور ، وبالتالي لابد أنهم يعرفون كيف يذبحونها ثم تطبخ أو تشوى بغرض الأكل . (ابن جريس) ٠

لقد أحدثت فيهم إثارة بلاشك ، وكان اهتمامهم قد تضاعف وقد أصبح الماء يغلي وأسقطت من دستة البيض الواحدة تلو الأخرى . انتظاراً لما يلي ، طلبت منهم إحضار الخبز وقليلاً من الملح وفعلوا ذلك على الفور، وكان الخبز لا يزال ساخناً من الفرن ، انتهت فترة الخمس دقائق التي خصصتها للبيض . لكي أكون على الجانب الآمن إن كان بعضها غير طازج . وبدأت ألتهم أجمل أنواع خبز الدخن مع البيض المسلوق . لم يكن لرفيقي القادم من صبيا أي تقدير ليشاركني في تناول كليهما ، وقد أزلنا الجوع عنا ، تناول بعد ذلك سريره وذهب بعيداً إلى زاوية هادئة ليطرد متاعبه بالنوم. أحضروا الدجاج في هذه الأثناء ، تماماً كما طلبت وأسقطتهما في الماء الذي يغلي والذي كان به البيض. ولما كنت قد تناولت كل ما أمكنني ، فقد تركت الدجاجتين تغليان في الماء حتى جاء وقت ذهابي للنوم ، حينها أخرجتهما من الوعاء ووضعتهما في مكان آمن لتبردا حتى وقت الفطور[١] ٠

جلست أحادث رفاقي وهم يتسللون تدريجياً مع تقدم الليل، وقد تمكنت من رد جميل كرمهم إليهم في اللحظة. كان القليل منهم من المدخنين، وقد استطعت أن أهديهم بعض التبغ من مستودعي المستورد ولم يعجبهم بالمرة. أعجبهم الشاي ولهذا قصة . لم يكن معي شايا حينما وصلت ، غير أنه اتضح أن قدومي لم يكن غير متوقع. كانت المجموعة الرئيسية لفرقتي ، بعد أن فقدوا كل أثر لي خلال الليلة السابقة، ولم يقابلوا رسلي، قد قرروا أن يعسكروا في الطريق وأن يسلكوا الطريق العادي الساحلي أثناء النهار حتى وصلوا إلى ذيل وادي بيض، في موقع ما أسفل مكان عبوري له . عسكروا هناك لقضاء الليلة إلا أنهم أرسلوا رسولاً إلى الدرب في حالة مروري بذلك الطريق ، لإخبارهم بأنهم سيتوجهون في اليوم التالي إلى الشقيق[٢] ، حيث يتلاقى الطريقان ، وينتظروني هناك إن لم أكن قد سبقتهم. أرسل سعد ذو التفكير الثاقب مع الرسالة بعضاً من الشاي . لا أذكر إطلاقاً أنني استمتعت بأمسية مثل تلك . لقد نمت نوم العادل بكل تأكيد تحت النجوم، وأفطرت ومعي رفيقي صباح اليوم التالي على الدجاجتين وعدد كبير من البيض والخبز والشاي٠

كان مضيفي الشيخ محمد بن هادي الشعبي [٣] ، واحداً من أسمن الرجال الذين

---

(١) نستخلص من هذا الوصف الذي أورده فيلبي حسن تعامل أهل البلاد في تلبية طلبه ، ومساعدته في إتمام طهي ما يريد . أما قوله إنهم مستغربون مما فعل فاعتقد أنه بالغ في هذا الكلام ، فهم أهل حلال ومواش وطيور ، ولابد أنهم يعرفون كيف يتعاملون معها ويستفيدون منها في أكلهم وشربهم . (ابن جريس) ٠

(٢) الشقيق : تقع قريباً من مدينة الدرب بحوالي (٢٥) كيلاً ، وهي أحد مراكز المحافظة الرئيسية . (ابن جريس)

(٣) وقع فيلبي في خطأ عندما ذكر اسم الشيخ/ محمد بن هادي الشعبي ، حيث أورده باسم (المنجحي) بدلاً من (الشعبي) . مع أن محمد الشعبي هو شيخ قبائل درب بني شعبة ، وهذا ما أثبتناه ، كما يوجد في بلاد بني شعبة عشيرة أخرى تسمى المنجحي ، وحياتهم تميل إلى حياة البادية ، ويقطن أكثرهم في النواحي الواقعة إلى الشمال من بلدة الدرب ، التي كان يطلق عليها مع بلدة الشقيق اسم . (محافظة القياس) . في عام (٢٥-١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ، ثم صارت تسمى بمحافظة الدرب حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . (ابن جريس) ٠

قابلتهــم ، يــزن ما لايقل عن (١٨) حجــراً وهو شخص متقــدم في السن، لطيف، كثير الــكلام ، طيــب. أخبرني أنه قــد ورث الاتجاه نحو البدانــة من والدتــه ، وسألني ماذا يفعــل بالنسبــة لذلك[١] ، اعتقدت أنني قد تعرفت عليه بما فيــه الكفاية في تلك اللحظة لأقترح عليه ان يتجنب لحم الضأن والدهون والسمن ، ويعمد إلى تناول الدجاج والبيض وشــرب الشــاي والقهوة بدون سكر! كان عليَّ أن أمنع الأكل الشره للخبز الحار الذي هو غذاؤهــم الرئيسي مع اللبن والذي يعدونــه في صنفين محلي وحامض[٢] . يخبز كلاهما بنفس الطريقة غير أنه في حالة الخبز الحامض فإنهم يعجنون العجينة ويتركونها مدة (٢٤) ساعــة قبــل إدخالها الفرن . لم تكن قبيلة المنجحة من أصل الأشراف[٣] ، بل من العــرب الدنيويــين ويزعمون صلة مع بنــي تغلب وهؤلاء فرع من قحطــان . سافر شقيق الشيــخ ، واسمه حمد[٤] ، قبل أيام من زيارتي مــع مجموعة محلية من ثلاثين حاجاً بما في ذلــك أربع من النسوة ،ولم تنسهم القريــة أثناء غيابهم . وقد ظلت النسوة لعدد من الساعــات أثنــاء الليل يتضرعن إلى الله تعالى في الدعاء لهــم[٥] . عبرنا حقول الدرب صبــاح اليوم التــالي ، ومررنا بامرأة متقدمة في السن ، تنشد في طرب لابنها الذي كان ضمــن المجموعة التي ذهبت إلى مكة . يتضح مــن هذا أن النظام الإدريسي قد طبع في كل هذه البلاد ، احتراماً حيوياً للأسس الإسلامية [٦] .

كان الشيــخ وأبنــاؤه الثلاثة في وداعي ، وكان عليَّ أن أعترض على سلوك الابن الأصغر بسبب تحديقه غير المهذب . كانت المناسبة ـ عدا ذلك ـ جيدة كما كانت الليلة

---

(١) أســرة محمــد بن هادي الشعبي، هي بيــت مشيخة رئيسية لدرب بني شعبة، ومازالــت المشيخة في هذا البيت حتى الآن(١٤٤٣هــ/٢٠٢١م) فالشيــخ الحالي يدعــى هادي بن علي بن محمد الشعبي ، حاولــت أن أقابله أثناء رحلتي الأخيرة ، لكنه اعتذر بسبب ظروفه الصحية وهو حفيد الشيخ محمد الشعبي الذي ذكره فيلبي . (ابن جريس) .

(٢) الاســم الصحيــح لهذه الأصناف من الخبز هــو (الخضير) و (الخمير) . فالخضيــر: هو ما ذكر فيلبي باسم (المحلي) والخمير: أي الحامض . (ابن جريس) .

(٣) إذا كان فيلبــي يقصــد بالقبيلــة التي يتــولى رئاستها الشيخ محمــد الشعبي ، فلا يطلق عليهــا اسم قبيلة المنجحة ، وإنما تسمى قبائل درب بني شعبة . (ابن جريس) .

(٤) لم يكــن للشيــخ محمد الشعبي شقيــق يدعى (حمد) ، وإنما شقيقه الوحيــد والفعلي يدعى (منجحي) ، وهــذا الذي اوقع هذا الرحالة عندما اطلق علــى الشيخ اسم (محمد بن هادي المنجحي) ، والصحيح ما أثبتناه في سطور سابقة باسم (الشعبي) . (ابن جريس) .

(٥) كان الدعاء للمسافرين قديماً من الأمور الضرورية والهامة ، وبخاصة من أسرهم وأهل قراهم ومواطنهم وذلك لمــا يقابلــون في أسفارهم من عقبات لا تعــد ولا تحصى ، ومن أعظمها السلب والنهــب، والقتل، والغدر من قطاع الطــرق والقبائــل والبلاد التي يمرون عليها ، والخوف من مجهول القدر في الأسفار ، ومما يقابل المسافرين جعل المسافر يخرج من منزله وفي اعتقاده أنه لايعود لما يواجهه من مخاطر عديدة . (ابن جريس) .

(٦) طقوس الإدريســي وتعاليمــه الدينية أثرت على حيــاة الناس اجتماعيــاً في عموم منطقة جــازان ، وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في هيئة رسالة علمية . (ابن جريس) .

السابقـة ، غير أن عيني قد أزعجهما كثرة البصاق الذي يقذفه ماضغو البردقان وكان من بينهم الشيخ نفسه [١] .

حضـرت مجلس الشيخ بعد الإفطار الذي يستقبل فيـه شكاوى والتماسات رعيته ، كمـا يحكم في العديد من الخصومات ، ولم يكن مكتبـه عاطلاً عن العمل . كان أسلوبه القضائـي لطيفـاً . ويبـدو أن الناس يدركون ما يـودون قوله ، وكان يدعهـم يدلون بما لديهم قبل أن يصدر الحكم ، مختصراً ومحكماً ، مع إحساس بأنه نهائي . كان يستطيع القـراءة والكتابة بامتيـاز على عكس الكثير من العرب الذين مـن جيله . كان مقر سكنه بسيطاً وجيد البناء، كما لاحظت من فوق سطحه أنه توجد منازل مشابهة له في القرية [٢]، كانوا قد أحضروا حجارة بنائها من صخر بني أحمر من أصل بركاني ـ من مستخرجات الحجـارة من ربوة صغيرة تسمى (الكد) علـى بعد نصف ميل في اتجاه عكادين ، والتي قـد تكون بروزاً خارجيـاً منعزلاً له . لابد أن يكون عدد سكان الدرب نفسها مماثلاً لذلك في أم الخشب ، وربما تضاعف لنقل (١٠،٠٠٠) نسمة باعتبار كل القرى في دلتا عتود .

ينسـاب الجانب الرئيسي من الوادي ماراً بالجانـب الشمالي من القرية فوق بطن عريض حصوي ، ويرتفع الجانب الأيمن الصخري إلى (٢٠) قدماً ، بينما تجد مساحة القريـة المقابلـة الحماية من متاريس[٣] مـن الطين تقيها أخطار السيـول. ينبع كل من وادي عتود ووادي ضلع[٤]، من موقع متجاور في جرف جبال السراة بالقرب من أبها، ثم يتحدان في نهاية الأمر في موقع يسمى المخاضة[٥]، حيث يوجد جدول من برك صخرية، إن كلاً مـن وادي رمـلان ، ووادي حرمـان[٦] . ومعهما مجاريهمـا المتعددة ، ما هما إلا

---

(١) إن استخـدام الدقدقـة ، أو النشقة التي يسميهـا فيلبي (البردقان) لا تزال معروفة في بعض أجزاء تهامة ، وفي أجزاء عديدة من اليمن، وغالباً ما ينتج عن مستخدميها كثرة البصاق أثناء مضغها . (ابن جريس) .

(٢) مـا ذكره فيلبي هنا كان مـن مهام الشيوخ والأمراء في معظم شبه الجزيـرة العربية ، وبخاصة قبل ظهور المؤسسـات الإداريـة الحديثة التي تفصل في قضايا الناس . وأقول: تاريخ العمارة قديماً في عموم السراة وتهامـة مـن الموضوعـات المهمة التـي يجب دراستهـا وتوثيق مـا يمكن مع دعـم الدراسة ببعض الصور الفوتوغرافيـة للقرى والبيوت والحصون القديمة التي مازال بعضها ماثلاً للعيان ، مع أنه أصابها الخراب والدمار. (ابن جريس) .

(٣) اعتقد أن المتاريس هنا يقصد بها (الزبُر) ومفردها زبير أو العقم وجمعها (عقوم) . (ابن جريس) .

(٤) وادي ضلـع تأتـي منابعه مـن حاضرة أبها ، ومازالت الطريق (العقبة) التـي تنحدر من أبها نحو الدرب وجازان يطلق عليها حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) (عقبة ضلع) . (ابن جريس) .

(٥) المخاضة : من روافد وادي ضلع بتهامة عسير، وتقع قريباً من الطريق الحالي المسفلت الذي يخرج من أبها إلى الـدرب ، وتأتـي قبل قرية مربة. وهنـاك أمكنة أخرى في سروات تهامة عسير يطلـق عليها أيضا اسم (المخاضة) . المصدر: رحلات الباحث ومشاهداته في بلاد عسير (ابن جريس) .

(٦) ليس حرمان ، والصحيح (هرمان) . (ابن جريس) .

فــروع جانبية من الجــدول الرئيسي بعد خروجه إلى السهل ليكــون الدلتا، غير أنني لم أجــد معلومــات تؤكد هذه النقطــة . نستطيع رؤية جرف جبل الريــث وصخوره الخطرة ناحيــة الشرق مــن موقعنا على بعــد[١] ، غير أننا لا نــرى العكوتــين الآن. نستطيع رؤية مجــرى عتود وهو ينحدر من بين قريتي قرار والنغبي على مسافة ميلين[٢] ، كما يلاحظ علــى البعد نفسه وجهة الغرب أبو السداد الذي سنمره بعد قليل[٣] . تقع قرية عتود نفسها إلى جهة الشمال الغربي[٤] ، غير أنها بعيدة وغير مرئية . كما لم يمكننا رؤية رملان ـ ربما معشــ رمــلان ـ خلف العكادين ناحية الجنوب الشرقي[٥] . لا توجد زراعة قمح أو شعير في هذه الدلتا، وهي مشهورة بإنتاج نوعي الدخن، التي تصدر منها كميات كبيرة في السنوات الجيدة ، ويزرعون إلى جانب هذه المحاصيل الغذائية ، أيضاً السمسم لزيته والأندقو الذي يسمــى حــواراً[٦] . ينتج حــوار محاصيل بلا انقطاع طالما وجد المــاء ، بينما تحصد زراعة الدخن عدة مرات ، تصل إلى ثلاث أو أربع كما في بقية أنحاء تهامة[٧] .

كان سيل الأسبوع الماضي عالياً في وادي عتود أيضاً ، ونفق العديد من الضأن إلا أن آثاره العامة كانت مفيدة إذ ظهر نشاط كبير في الحقول ذات المتاريس ونحن نعبر خلالها مواصلــين مسيرتنا في الصباح[٨] . كان عمــل المتاريس من بين كل العمليات الزراعية في دلتــا تهامة هــو الأكثر أهمية وهو الأصعــب ، وتقوم بعمله فرق مــن الثيران تحفر سطح التربــة بمجرفــة خشبية واسعــة وثقيلة وتجمع التربــة التي تم حفرها علــى منحدر . إن عمليــة الحرث هنا ما هي إلا تجريح فقط للسطح وتستخدم الثيران منفردة أو في أزواج

---

(١) الريث : من مرتفعات منطقة جازان الشمالية الشرقية . والريث بلاد واسعة يسكنها العديد من العشائر ولها تاريخ سياسي وحربي طويل خلال القرون الماضية . (ابن جريس) .

(٢) قــرار : علــى طريق أبها الدرب قبل الإشارة والمثلث حاليــاً ، ومازالت تحمل هذا الاسم إلى الآن . والنغبي : علــى طريق الدرب جازان ، وتبعد عن مثلــث الدرب نحو جازان بحوالي كيلين على يسار الطريق ، وصارت في وقتنا الحاضر مندثرة فلا سكان فيها. (ابن جريس) .

(٣) أبو السداد : مكان قديم في الدرب على يمين الخط للذاهب إلى الشقيق . وسمي أبو السداد ربما نسبة إلى شجر السداد . وهو اليوم أكبر أحياء محافظة الدرب ، فيه العديد من المؤسسات الإدارية الحديثة ، ومكتظ بالسكان والعمارات الحديثة . المصدر : جولة الباحــث في هذا الحي في شهر ربيع الأول عام (١٤٤٣هـ) . (ابن جريس) .

(٤) قرية عتود : قرية قديمة أخذت اسمها من وادي عتود وتقع على ضفافه . (ابن جريس) .

(٥) الصحيح : الجنوب الغربي وليس الشرقي . (ابن جريس) .

(٦) حوارا : الصحيح (القوار) ، وهو اسم مكان . (ابن جريس) .

(٧) تاريخ الزراعة في الدرب وعموم منطقة جازان موضوع مهم يستحق أن يدرس في عدد من البحوث العلمية. (ابن جريس) .

(٨) تاريــخ الأمطــار (السيول) في تهامة من جــازان إلى القنفذة خلال القرن(١٤هــ/٢٠م) موضوع جديد يستحق الدراسة مع ذكر آثارها الإيجابية والسلبية على الأرض والناس . (ابن جريس) .

لتجر المحراث الخشبي البدائي الخفيف الذي ركبت فيه قطعة محددة من الحديد . كان البـذر هو البساطة بعينها ، مجرد النثر باليد ويتم الحصاد بواسطة المنجل . تحفر آبار القريـة عـبر طبقات الطمي المتراكم إلى مستوى الماء ، وقد لاحظت بجوار بئر عبرنا بها بعد مغادرتنا للقرية صفاً من الرواقيد الأندقو ممتلئة بالسائل الصبغي [١] .

كانـت الزراعـة شاسعـة في أبو السداد غـير أن المحاصيل كانت فقـيرة[٢] . عبرنا فيما يليها مجرى وادي حطب[٣] ، وهو بلاشك شريط من الدلتا نفسها، لتصل إلى بئر الحشفـة[٤] وهـي آخر مشرب للماء يقابلنا حتى نصل إلى جـوار الشقيق. كانت البلاد فيما يليها عبارة عن سهل قمبورة الطيني ، العاري غير قليل من أراك مبعثر وشجيرات طلـح ومـن حين لآخر أشجار التنضب ـ يسمى محليا سدادا ـ . كانت آثار جمال الحج واضحـة وفي عمـق على الطريـق الصحراوي الـذي لم تصله سيول عتـود ، ويزرع على مساحـات خلال المواسم ذات الأمطـار الجيدة . على الرغم من أنـه ليس من الصعب إدخالـه تحـت نظام الري إذا أمكـن السيطرة على وادي عتود في مجـراه الأعلى . كان سفرنا على الدواب لطيفاً في هذا الجور البارد ، إلا أنه ثقيل ، لهذا اليوم الملبد بالسحب ـ لم يكـن هناك نـدى، بالمناسبة ، أثنـاء الليل في الدرب ـ وقد استغـرق وصولنا إلى منخفضٍ (المفش)[٥] الكثير الأشجار حوالي الساعـة الواحدة . ليس هذا ـ بدون شك ـ جـزءاً من نظام الدلتا ، إنه فقط خط تصريف يبدأ من السلاسل الجبلية البركانية ويجري مباشرة إلى البحر ، وهو عبارة عن شريط عريض لغابة مثالية تحفها الصحراء على الجانبين . ويعرف عند أجزائه العليا بوادي بركة وتحفه أشجار الدوم[٦].

أرسـل الشيخ محمد أحد عبيـده ليخدمني كمرشد ويرافقني حتى الشقيق[٧] ، كما أمدنا بالحمير ، بينما أنهيت خدمات رفيقي القادم من صبيا بعد تجاربه المرهقة لليوم السابـق مع مكافـأة مناسبة هي أن يعود راكباً الحمار الـذي أحضرني من هناك . كان

---

(١) أفادنـا فيلبـي بهـذه المعلومات المختصرة عـن تاريخ الزراعة في الـدرب خلال النصف الثـاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وإفراد دراسة لهذا الموضوع عن هذه البلاد خلال القرن الرابع عشر الهجري وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) موضوع جديد جدير بالبحث والتوثيق.(ابن جريس) .

(٢) تجولـت في أبوالسداد في عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) فوجـدت تربته جيدة للزراعة، لكن هذه المهنة تراجعت في وقتنا الحاضر، وصار معظم الحي مكتظاً بالعمران الحديث . (ابن جريس) .

(٣) حطب : الصحيح (الحطب) ، مكان في طرف مدينة الدرب من ناحية الشقيق . (ابن جريس) .

(٤) الحشفة : والصحيح (بئر الحشافة) . (ابن جريس) .

(٥) المفش : مكان يقع شرق الشقيق وغرب مدينة الدرب . (ابن جريس) .

(٦) وادي بركة : قريباً من المفش ،وأحياناً يقال مفش البركة ، والمكانان متقاربان . (ابن جريس) .

(٧) يقصد بالشيخ هنا ، شيخ درب بني شعبة الشيخ محمد بن هادي الشعبي . (ابن جريس) .

مثالاً ممتازاً للإنسان عديم العقل ، وبلا قدرة على الاحتمال ، إلا أنه كان مخلوقاً ودوداً وأحسسـت بالأسف كثيراً ناحيته . كان على حافة البكاء خلال المراحل الأخيرة من تلك المسـيرة الطويلة . كان لحمـير الدرب ميزة خاصة اكتشفتها سريعاً ، وهي أنني ورفيقي الجديد كنا نسير بسرعة المسيرات الجنائزية [١] .

واجهتنـا بلاد صعبة ذات شجـيرات قصيرة بها العديد من العلقـاء ونبات الثمام ناميـة في كتـل في الرمال بعد أن تركنا من ورائنا آخـر آثار الغطاء النباتي لمفش . كانت قطعان الأغنام والأبقار ترعى من منطقة الشقيق كما مررنا بآثار السيارات هنا وهناك آثـار سيرنا الصعـب[٢] . ظهر أمامنا علـى بعد الشريط الأخضر لـوادي ريم مع بعض أشجـار الدوم المتناثر[٣] ، وبدأت تظهر قراه الصغيرة القليلة ونحن نقترب أكثر ، منها قريتا القناع وحسام على جانبي الوادي ودملاج فيما يليها [٤] . ثم وصلنا إلى بئر ليست بالبعيـدة من البئر الثانية في هذا الثالوث ، حيـث وجدنا حاجاً هندياً آخر يرتاح خلال حـرارة النهـار ، جاء من حيـدر أباد (السند) ، وبدأ رحلة حجـه مع شقيقه الذي كان مرضه سبباً لموته في ميدي . كان يجهد نفسه في السير الجاد الاضطراري على قدميه، يسافر طول الليل ومعظم النهار يعتمد على الصدقة ليعيش أثناء الطريق[٥] .

أفسحـت الصحراء تدريجياً المجال لغابة خفيضة ، عبرنا داخلها بقرية صلب التي تم حصـاد محصـول الدخن فيها للمـرة الأولى[٦] ، وكان في اتجاهـه للحصاد الثاني .

---

(١) كانـت الحمـير من وسائل النقل الرئيسيـة في عموم السراة وتهامة ، وأثناء تجـوالي في هذه البلاد حالياً رأيت بعض الحمير السائبة التي تسير في بعض القرى والأحياء ، ولم يعد لها أهمية في وقتنا الحاضر . (ابن جريس)

(٢) الشقيـق بالتصغـير مرسى على ساحل البحر الأحمر شمال غرب منطقـة جازان ، يبعد عن مدينة جازان حوالي (١٥٠كم) ، ورد ذكرها قديماً في بعض المصادر اليمنية والحجازية . ومنذ ظهور الدولة السعودية الأولى ، فقـد صعـد نجم هذا المكان لظهور بعض الأعلام فيها ، ولوقوع بعض الأحـداث السياسية خلال القرنـين (١٢ـ١٣هـ/١٨ــ١٩م) . وهي اليـوم من مراكز محافظة الـدرب الرئيسية ، ويوجـد فيها أكبر محطة تحلية مياه في الشرق الأوسط . (ابن جريس) .

(٣) وادي ريم : مـن أوديـة محافظـة الدرب ، تأتي مياهه مـن مرتفعات رجال ألمع الغربية ، يمـر بالعديد من قرى المحافظة مثل الصنيدلي ، وعجيبي ، وخبت بن جبران حتى يصل الشقيق ويصب في البحر . (ابن جريس) .

(٤) حسام ، ودملاج . والصحيح الحصَّام ، والدملج من قرى وشعاب مركز الشقيق ، وتقع قريباً من وادي ريم الذي يصب في البحر عند الشقيق . (ابن جريس) .

(٥) تاريـخ الحجاج الهنود الذين كانوا ينزلون في ميدي ثـم يسلكون طريق تهامة حتى مكة المكرمة في القرون الثلاثـة الماضيـة (١٢ـ ١٤هـ/١٨ــ ٢٠م) موضوع جديد لم يدرس حبذا أن نرى باحثاً جـاداً يدرس هذا الموضوع في كتاب أو رسالة علمية . (ابن جريس) .

(٦) صلـب : كانـت من نواحـي شمال الشقيـق ، وسألت عنها في الوقـت الحاضر، فذكر لي أهـل البلاد عدم معرفتهـم لهـا ، وربمـا اندثرت وهناك مكان آخر يسمـى جبل أو بلاد صلب تتبع لرجـال ألمع وتبعد حوالي (٣٠كم) . (ابن جريس) .

كانـت قنابر الصحراء تغرد بعيداً بمرح ، بينما تجمعـت مجموعة من النسور فوق جثة حيوان على جانب الطريق ، وتحيط بهذه حلقة خارجية من طيور الغداف تنتظر دورها في الوليمـة . استمتعـت برؤية زوجٍ من الغداف ، في حالـة مناسبة ، أثناء هذه المسيرة ، وهي تهاجم وتطرد نسراً منفرداً اختلفا معه حول الموضوع . كان السطح في الجوار حول صلـب ومـن ورائها قوز مكسراً بالتلال الرملية ونحن نقترب من مجرى ريم . كان وادي ريم نفسه في هذا الموقع مقسماً إلى مجريين بربوة رملية طويلة منخفضة ، وكان هنالك نمو كثيف للطرفاء والأثل على جانبي بطن الوادي الضحل[١] .

تقـع الشقيق على مسافة تقل عن نصف ميل فيمـا يليه وقد وجدناها في زحمة سوق الأحد . كان يوم السوق في الدرب هو الخميس . لقد سرنا الآن بقرب الساحل مرة أخـرى ، وتقـف الشقيق إلى الخلف على بعد ميل واحد منه ، علـى الذيل المنتشر لوادي ريم ، وهـي واحـدة من المواقع التي تم اختيارها بواسطـة الحكومة لإنشاء مركز شرطة صغـير ، الذي جميع بين مهمات الشرطة العادية ووظائف حرس الحدود . ذهبنا ناحية مبنى الشرطة فوق أرض مرتفعة قليلاً ، تطل على القرية التي مررنا بها عند الوصول ، لنجـد الترحيب والضيافة والسكنٍ الذي قدمه لنا على الشاويش المسؤول ، لم يصل بعد قطـار عفشنـا غير أنه وصل سالماً مع الغروب ، وهكذا اجتمع شملنا مرة أخرى في مكان مناسب هو موقع التقاء طريقين مختلفين ، كلانا كان يتبع واحداً منهما . سيكون هنالك طريق واحد فقط من هنا إلى الشمال [٢] .

تقـع الشقيق في جزأيـن يفصلهما أحد مجاري دلتا ريم[٣] ، يقع مركز الشرطة في القسم الجنوبي ويقع السوق في القسم الشمالي [٤] . كانت الساعة تشير إلى الرابعة مسـاءً حينما وصلنا ، وذهبت فـوراً لتفقد السوق ، الذي كان لا يـزال يحفل بالمرتادين

---

(١) مازالـت بلاد الشقيق حتى الآن مليئة بالنباتـات والأشجار المتنوعة ، وهي تقع على جانبي الطريق الدولي الذي يسير من الدرب إلى البرك والقنفذة وجدة ومكة المكرمة . (ابن جريس) .

(٢) هناك عدد من الطرق تخرج من اليمن إلى الحجاز ، وبعضها يسير قريباً من الساحل أو الأجزاء الداخلية التهامية . وقد أشارت إليها الكثير من المصادر الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة. وحديث فيلبي عن الشقيـق أنها مركز إداري منذ بداية حكم الملك عبدالعزيز ، إلا أنها موضوع جيد وجديد لو درس في كتاب أو رسالة علمية خلال العصر الحديث (ق١٠ـ ق١٤هـ/ق١٦ـ ٢٠م) . (ابن جريس) .

(٣) وادي ريم : هو وادي الشقيق الذي يصب بالقرب منه واد يأتي من الجبال القريبة من السراة إلى الشمال من وادي عتود ، ويسمى راسه (كيسان) . وهو واد كثير القرى والزروع ، وجزء منه في محافظة رجال ألمع، وأسفله لقبائل الشقيق ، ووسطه لقبائل المخلوطة . (ابن جريس) .

(٤) أسـواق محافظة الدرب الشعبية تستحق أن تدرس في أكثر من بحث علمي منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتـى الآن (١٤٤٣هــ/ ٢٠٢١م) . ومازال سوق الدرب الشعبي يعقد إلى اليوم في قرية الدرب يوم الخميس ، وكذلك سوق الشقيق الأسبوعي يوم الأحد . (ابن جريس) .

حتى عند تلك الساعة المتأخرة . كان الشارع الرئيسي وأيضاً الوحيد في هذا القسم يتكون مـن خط مـزدوج من المتاجر المبنية من الوتـل والأعواد ، التي يدور فيهـا الكثير من البيع والشـراء. إلى جانـب أصحـاب المتاجر، كان هنالـك مدربو الصقور والباعـة المتجولون ، يحتلـون مواقع أمـام المتاجر أو وسط الشارع ، بينما كان سوق الحيوانات للأبقار والجمال وما شابه ذلك في أرض واسعة كأرض المعسكر تملأ الفراغ بين السوق والوادي. كان لسكان المكانِ المظهـر المدني ولباس أهل المـدن أكثر منه مظهر المزارعين وكانـوا - في معظمهم - تجـاراً بأسلـوب صغـير يستوردون سلعهم مـن بائعي الجملة في جـازان ، وقد تحادثت مع العديـد منهـم ، بما في ذلك العمدة الشيخ هـادي القربي الـذي أراني العناصر الرئيسية لمناشطهـم التجارية[١] . لربما كان أكثر هذه إثارة هـو جماعة من النسوة والفتيات يقمن بعجن كميات ضخمة من جبال الدخن لتقديمها إلى أفران تقف بالجوار لصنع الخبز[٢] .

إن الشقيـق هي مركز مستعمرة من قرى صغيرة مبعثرة حول دلتا وادي ريم ووادي عرمـرم ، علـى بعد ميل واحـد أو أكثر من ناحيـة الشمال[٣] . لقـد ورد ذكر بعض هذه القـرى من قبل . كانت قريـة الساحل من بين القرى الأخرى[٤] ، هي الأقرب إلى البحر داخـل غابـة أثل ونخيـل وتمور ، تمتد حتى حافـة مسطح يفصل بـين الأرض الحقيقية والبحـر ، وكان البحر يبعد حـوالي ميل ونصف الميل عن السوق . تقع قرية أم الشرافاء اتجـاه أعلـى الوادي على مسافة ميـل واحد[٥] ، بينما تقف قريـة حجمير على الشاطئ الأيمـن لعرمرم ، على بعـد ميلين ، وتقع قرية نحوس على الجانب الأيسر لعرمرم وعلى الطريـق الأمامـي[٦] . بينمـا تقع الشعوف اتجـاه أعلى الوادي ومعها قريـة بزاخ وقرية زبـارة . كانت قرية أم الدغابس ، ومزارعها الواسعة لأشجار النخيل ، أقرب إلى البحر وعلـى يسار نحوس بناء المعلومات المحلية[٧] ، فإن وادي ريم له مستجمع ماء مشترك مع

---

(١) الشيخ هادي القربي من أعيان بلاد الشقيق ، والشيخة فيهم حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . وذكر فيلبي صـوراً من النشـاط التجاري في الشقيق . وتاريخ التجارة في محافظـة الدرب خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع جديد يستحق أن يُدرس (ابن جريس) .

(٢) تاريخ الطعـام والشراب في منطقـة جازان خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع مهـم حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرسه في رسالة أو كتاب علمي. (ابن جريس) .

(٣) وادي عرمـرم مثل وادي ريم تأتي منابعه من جبال تهامة عسير ويسير نحو الشقيق حتى يصب في البحر. (ابن جريس) .

(٤) قريـة الساحـل مازالـت تحمل الاسم نفسـه ، وتبعد عن البحر حـوالي كيلو متر ، ونزح أهلهـا إلى مدينة الشقيق الحديثة وإلى نواحي أخرى في منطقة جازان . (ابن جريس) .

(٥) أم الشرفـاء: قريـة تعـرف في الشقيق باسم (أم الشـرائي) ، والشرائي جمع شـريـي ، وهي في لهجة أهل جازان (الأرنب) ، وهي من قرى شرق بلدة الشقيق . (ابن جريس) .

(٦) حجمير والنحوس من القرى الواقعة على وادي عرمرم في محيط بلدة الشقيق . (ابن جريس) .

(٧) أم الدغابيس : قرية غرب بلدة الشقيق ، والدغابيس واحدة دغبوس ، ثمر شجر معروف بهذا الاسم . (ابن جريس) .

وادي حليّ (أو وادي البرك)[١]. في سلسلة تقف عليها قرية الشعبين المهمة . بلاشك أن الواديـين يعودان إلى تاريخ اليمن في العصور الوسطى . يجري ريم من هنا عبر قسمين مـن رجال ألمع وهي قرية مهمة أخرى داخل حزام التلال[٢] ، ليعبر إلى الأرض المرتفعة البركانية الخارجية ، ومنها إلى السهل ثم البحر . يجب أن يعد عرمرم في هذه الحالة، مصرفاً ثانوياً للمنطقة البركانية، على الرغم من أننا عندما عبرناه بدأ لنا أكثر مهابة مـن ريم . لقد ذكرت الأرض البركانية في تعابير عامـة وذلك على الرغم من أنها ذات نقـاط بارزة ، إلا أنهـا في معظمها مساحة منخفضة غير مميزة ، تتقارب تدريجياً إلى طريقنـا إلى الشمـال وتصل إلى البحر داخل أرض رقبـة المهيبة، التي يمكن رؤيتها من عند الشقيق ، كما كانت هناك بعض التلال في جوار البرك، تسمى الأرض الرملية على امتداد ساحل البحر إلى الجنوب من وادي ريم أبو المرو[٣]. توجد بها بئر واحدة جيدة ، ولا يوجد سكان. لقد انحدر وادي ريم أثناء السيل الكبير الأخير من الجبال وقد هجرت كل العشش التي على مستوى الوادي ، غير أنه لم يحدث ضرر كبير .

أكرم العسكري على مجموعتنا بما فيه الكفاية من اللحم والأرز ، غير أن طبيخه لم يكن جيداً ولم تكن الوجبة مثيرة للشهية . شاركنا الحاج القادم من حيدر أباد في الوقت المناسـب لتنـاول الطعام ، وقد ناولته مبلغاً صغيراً يساعـده في الطريق ، ذلك أنه ينوي السـير أثنـاء الليل على قدميه . لم نر بعد ذلك الهنديـين الآخرين ولابد أنهما قد عبرا إلى ما يلي هذا الموقع . أخذنا زوجاً جديداً من الحمير من هذا المكان ومرشداً جديداً. إلا أن بدايـة الرحلـة قـد تأخرت قليـلاً بسبب أن حمـاري له قطعة رفيعة جـداً يقولون إنهـا لجام[٤]. رأيت أن هذا ليس بالأمر الآمـن ولا اللائق مع كرامتي ، ولم يجد ضابط الشرطـة الـذي يجلب الغم بداً من إرسال أحد إلى السوق لإحضار قطعة من الحبل تحل مكان اللجام ، وكان هذا هو أحسن ما أمكنه عمله . بدأنا السير وسرعان ما كنا نخوض

---

(١) لمزيـد من الإيضـاح عن بلاد البرك ، انظر: عبدالرحمن بن عبدالرحيم بن عبده ، من تاريخ برك الغماد (بين الماضي والحاضر) (د. ت /١٤٢٠هـ) ص١٤ وما بعدها . (ابن جريس) .

(٢) إذا أردنا ذكر (قرية رجال) ، فإنه يكون إيرادها بهذه الطريقة ، وليس كما ذكر فيلبي ، بـ (قرية رجال ألمـع) أمـا عموم رجال ألمـع فإننا نقول (بلاد رجال ألمـع) . وهي أرض واسعة تتكـون من عشرات القرى والعشائـر . أما قرية الشعبين فهي من قرى رجال ألمـع الرئيسية ، ويوجد فيها اليوم العديد من المؤسسات الإدارية الحديثة . (ابن جريس) .

(٣) أبو المرو : من الأمكنة المعروفة قديماً قريبة من بلدة الشقيق ، وهناك مواضع أخرى تحمل نفس الاسم في منطقة جازان ناحية العارضة وغيرها . (ابن جريس) .

(٤) اللجام : قطعة من الحديد مربوطة يوضع من خلف رأس الحمار ، في حين أن هذه القطعة الحديدية تكون في فم الحمار أثناء ركوبه ، كي يزجر ويحد من الانطلاق وإيذاء راكبه . (ابن جريس) .

بدلاً من أن نسير فوق غابة طرفاء مبللة بمياه السيول ، استمرت حتى طرف مزارع قرية أم الدغابس. كانت مزارع نخيل التمـور ومزرعة منها صغيرة في بئر مقدم جنوب وادي ريم هـي أولى المساحـات لهذه الشجرة النبيلة التي نراها في كل هذا الجزء الجنوبي من تهامة . كانت مساحتها أكراً واحداً فقط وكانت منتجة ، إلا أنها بالمعيار المحلي فإن أجود التمـر في كل هـذه المنطقة هو ما تنتجه ذهبان[١] ، إلى مسافـة ناحية الشمال . شاهدنا على طرف القرية وعلى جانب الطريق مشهداً غير عادي لاثنين من مدافع قديمة كبيرة مفككـة ، لا يُعـرف شيء عن تاريخها[٢] . ربما كانت بقايا مـن أزمان نابليون أنزلها هنا الأتـراك لحملة ضد الإدريسي أو ضد اليمن . كان نبـات الرين الأصفر الأزهار متوافراً في كل هـذه المنطقة الغدقة ، ويبدو أنـه عشب ضار تصعب إزالته ولا فائدة منه لأي أحد أو لأي شيء . كما كان هنالك الكثير من عشب نجيلي قصير يسمى نجمة ، وبالطبع كتل من الطرفاء في كل مكان ، وبعض العلقى ، بينما كان محصول الصيف للدخن الذي يزرع مع السيل الأخير ، قد برز إلى السطح في مجموعات خضراء جذابة .

تتابعـت مـزارع النحوسـ مـع تلـك لأم الدغابسـ ومررنا فـوق دلتا عرمـرم الذي ينشـق مجراه على مسافـة ناحية الشمال الشرقي ، تاركاً ميـاه سيوله تنتشر بلا ترشيد وتندمـج مـع دلتـا ريم . تغطي هذه المنطقة كتـل ضخمة من نبات السـواد الذي يسمونه محليـاً (حمضـ) وهو ضرب من جنس الفربيون يصنعون منـه نوعاً بدائياً من مسحوق الصابـون. أضافت شجرة الدوم واحدة ، وثلاث أو أربع شجرات نخيل التمور تنويعاً إلى المنظر ، كما كانت طيور القنابر المتوجة تغني بلا توقف أثناء مرورنا . أكلت الحمير نبات السـواد وهي تتعثر في جهد حتـى عبرنا خارج الدلتا إلى أرض كثبـان رملية فوق أرضية طينية ، سيطرت الرمال سريعاً على المنظر. تقع أمامنا أرض رقبة ومعها سلسلة محايل عسير[٣] . على يمينها والتي عليها يتعرج طريق الحاج فوق سهل البرك[٤] . تمتد الكثبان الرملية أحياناً في موجات منتظمة ذات ارتفاع ، وبصفة عامة فقد كان المنظر غير مثير

(١) ذهبـان مـن الأوديـة الرئيسيـة في محافظة البرك ، وهـو حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) مـن مراكز البرك الإدارية، ووادي البرك غني بأشجاره ومياهه قديماً وحديثاً . (ابن جريس) .

(٢) هـذه المدافـع مـن بقايا الأتـراك أثنـاء خروجهم من بـلاد عسير عـام (١٣٣٧هـ/١٩١٨م) .مقابلة مع عبدالرحمن بن عبدالرحيم بن عبده ببلدة البرك في (١٤٢٥/١/٢٠هـ) . (ابن جريس) .

(٣) محايـل عسير: هو الاسم الصحيح لهذه البلاد التـي تبعد عن مدينة أبها ناحية الشمال الغربي بحوالي (٨٠) كم ، وهي واحدة من محافظة منطقة عسير الرئيسية . وليس اسمها (حائل) كما ذكر فيلبي . ونلاحظ أن هذا الرحالة اجتاز أراضي الحريضة حالياً ، ولم يذكر عنها أي شيء، لأنها كانت أرضاً قفراً آنذاك . (ابن جريس) .

(٤) هذه المنطقة التي يذكرها فيلبي في هذه السطور القليلة أصبحت تتبع إداريا لمنطقة عسير، في حين أنها إلى عام (١٤٢٠هـ) كان الطرف الشمالي منها (بلاد البرك وما حولها) تتبع إدارياً لإمارة مكة ، أما طرفها الجنوبي (بلاد القحمة وغيرها) فكانت تتبع إدارياً لمنطقة جازان. (ابن جريس) .

ومضجـر حتى وصلنا إلى مجـرى وادي نهب[١] ، كان جانبـاه المسطحان ممتلئين بأشجار الباميتو والشجيرات الصحراوية الخفيضة مع بعض الدوم ، بينما لمحنا على مسافة نصف ميـل مـع اتجاه الوادي ، بحيرة تربط المجرى مع البحر ، ينطلق هذا المصرف من الأراضي البركانية المرتفعة في جوار سلسلة عبيبة على بعد بعض الأميال ناحية الشمال الشرقي من موقعنا . أشار دليلي عند نقطة قريبة من هذه الأرض المرتفعة والتي تسمى حصن العوادي إلى أطلال لقلعة قديمة ، ربما تعود إلى العصر الإدريسي . مرَّ بجوارنا اثنان من الهنود في طريقهما إلى مكة ، رجل طاعن في السن يسير على مسافة (٣٠٠) ياردة خلف شاب قوي، ربما كان ابناً له ، وكان يحاول جاهداً أن يلحق بخطاه حسب ضروريات الحالة .

عبرنـا الامتداد الرملي للوادي بعد وقفة قصيرة لاستيعاب المنظر ، أدركتنا خلالها قاطـرة عفشنا وتقدمـت علينا ، لنواصل سيرنا داخل بهو يضيـق دائماً بين أرض الحمم البركانيـة والبحر ، مع شريط عريض من أشجار الباميتو على الجانب الأرضي الداخلي للممـر ، وكثير من نبـات الثمام والحلفاء في كل مكان . كانت بـلاداً صعبة غير أنه كانت تشاهـد فيها آثار لحركة السيارات هنا وهناك حيث يمكن اختراق السطح . لقد كان هو الطريـق الوحيـد المتوفر لأي نوع من الحركة ، وحتى للسـير على الأقدام فقد كان طريق الحمم مستحيلاً [٢] . لقد طوقتنا الآن ناحية البحر في شريط شبه دائري يمتد من هضبة حصن العوادي، عبر سلاسل خبرية ومحايل إلى الرقبة الذي غسلت أقدامه الأمواج[٣] . ينحدر خلال هذه البلاد الصعبة مسيل مدع لينتهي في مسطح سبخة واسع[٤] ، يقال إنه لا يمكن السير فيها تحت ظروف البلل لأي ضرب من الحرة ، كان المار يختار طريقه على حافة الحمم البركانية ، أما السيارات فعليها أن تنتظر حتى يجف المسطح[٥] .

---

(١) وادي نهـب : تأتي منابعه من جبال محافظـة محايل ، وتحديداً من أراضي قبائل ولد أسلم ولتين في مركز قنا. (ابن جريس) .

(٢) هـذا الرحالـة يسير تجاه الشمال الغربي في البلاد الممتدة من الشقيق والحريضة نحو بلاد القحمة ، وهي إلى حـد مـا قديما وحديثا قليلة السكان ، وأحيانا عديمة الاستيطان ، ومعظم السكان الذين كانوا يعيشون قريبـا مـن هذه البلاد بدو رحل ، وبقوا على هذا الوضع إلى وقت قريب، ثم صاروا يستوطنون المستوطنات البشرية الحديثة في الحريضة وغيرها . (ابن جريس) .

(٣) الرقبـة : ناحيـة تقع ضمن مركز الحريضة ، وهـي تبعد عن وسط المركز شمالاً حوالي (٦ـ٨ كم) ، يذكر أنه كان فيها إلى عهد قريب نقطة عسكرية لسلاح الحدود ، ثم ألغيت ، ويقع على ساحل البحر مقابل هذه البلاد منتجع القوات المسلحة حاليا . (ابن جريس) .

(٤) مسيل مدع: يقع إلى الشمال الشرقي من الرقبة ، ومياهه تأتي من بعض مرتفعات محافظة محايل عسير. (ابن جريس) .

(٥) يتضح من كلام هذا الرحالة أن السيارات وصلت البلاد في بداية النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) (ابن جريس) .

يوجـد ثقبـان مائيـان في زاوية حقـل الحمــم البركانية ، حيـث يدخـل المسيل إلى المسطح، تسميـان المعيان في مجموعة صغيرة من أشجار الدوم والنخيل مع انتشار كبير لأشجـار الباليتـو . الماء صالح للشرب ، بالرغم من أنهـا تبدو منقرة داخل ثقوب ضيقة عمقهـا حوالي القدم الواحد ، متماسة مع حافة الحمم البركانية ، التي اختلطت هنا مع حجر مرجاني مملوء بالحفريات الإسفنجية . قمت بفحص المنطقة بعناية وتوصلت إلى الاستنتاج بأن الشعاب المرجانية لابد وأن تكون قد تكونت قبل انفجار البركان ، الذي دفع بالحمم البركانية عبر سطح الشعاب المرجانية التي قاومت جزئياً تغلغل اختراق الحمم لها وتم رفعها كاملة إلى أعلى . تغطي الشعاب المرجانية في بعض أجزاء الحمم البركانية عنـد ارتفـاع معتبر فوق سطح البحر . يتضح أن هذا المسطح المحلي كان جزءاً من أرض انحسر عنها البحر إلى مسافة ميل واحد على الأطراف الحالية لخليج صغير، ينتهي إلى انبعاج جميل تحفه غابة المانجروف . يطوف ممرنا الخارجي مع الحافة الداخلية لهذا ، مسافـة فوق طريق معبّد صناعي من كتل حمم صعبة . أصبحت الصورة العامة للأرض البركانيـة واضحـة الآن ، وكل النقاط البـارزة المختلفة كانت مخاريـط بركانية قديمة بعضهـا تكسر بعوامـل طبيعية . كان هنالـك الكثير من نبات خزامـى البحر في الخليج الذي يقع بين الحمم البركانية وحزام غابة المانجروف[١] . كانت غابة المانجروف نفسها والخليج فيما يليها مصدر وجبة سمك لمستعمرات من طيور البلشون ، التي طارت حينما مررنا بجوارها . رأيت أيضاً طائر بجع منفرد يخوض في الخليج بعيد عن مدى بندقيتي .

كانـت مسيرتنا صعبة جداً فـوق الصخور، ونحن نمر من البهـو إلى ساحل تكسوه الحمم البركانية وخليج يمتد إلى (٢٠٠) أو (٣٠٠) ياردة على جانبنا الأيسر ، وساحل مرجـاني قديم قريب منا على اليمين ، وقد ارتفع فـوق سطح البحر في مواجهة صخرة مــن الحمــم البركانية تقع خلفـه .عبرنا خليجاً كبـيراً من السبخة بعـد أن ابتعدنا عن الخليج المائي على حافة الحمم البركانية ، كانت تنمو عليه أعشاب خزامى البحر وغابة منظمة من المانجروف على جانب البحر ٠

اتسعـت المسافة بين البحر والحمم البركانية في هـذا الموقع إلى مدى الميل الوحد، بينمـا مررنـا في أحد المواقع بمساحـة معتبرة من مسطح الماء علـى يميننا ، وقد انعزل من الخليج المائي. كان عرض الساحل لا يقل عن الميل الواحد عندما اقتربنا من صعود الحقـل الحممي البركاني الحقيقـي ، وكان طريقنا يقع أولاً فوق الشعـاب المرجانية ثم فوق

(١) الذاهـب في أرجـاء هذه البلاد الواقعـة بين الحريضة والقحمـة يلحظ كثرة الأحجـار والمعالم الجغرافية البركانية ، كما يشاهد وجود الكثير من النباتات والأشجار الطبيعية . (ابن جريس) ٠

خليط من شعاب مرجانية وحمم بركانية ، ثم فوق انتشار خفيف لحمم بركانية مندلقة فوق الحقل الرئيسي . وقف مخروط رغبة من فوقنا وينحدر منه مسيل يجري إلى أسفل من الحافة الشرقية المكسرة لفوهة البركان . تجري قاعدة البركان تجاه الجنوب الغربي من الموقع الذي يبدأ فيه الطريق إلى الصعود ، وحتى حافة البحر على بعد ثلاثة أرباع الميل، والذي منه تصعد مرة أخرى إلى جدار من الحجارةٍ المختلفة من رماد البراكين وحمم بركانية على ارتفاع (٥٠٠) قدم . كان طريقنا ضيقاً جداً يخترق برية الجلاميد البركانية، متكومة في أكوام غريبة الشكل الطبقي فوق أرضٍ من الحجارة البركانية ، أو ربما شعاب مرجانية وقد حرقها الانفجار البركاني ، تمتد شرقاً في حزام عريض من سفوح رغبة ، الذي تجري قاعدته في هذا الموقع في اتجاه مواز لنا على مسافة ثلاثمائة ياردة . كانت قافلة عفشنا ترزح مجهدة أمامنا ، وكان خلفها أحدٌ الأعراب تصحبه امرأتان وجمل وبعض الأغنام، ـ أيضاً مثلهم في الجهد ـ . أمكننا رؤية حاج هندي عند نهاية الطريق يسير وحده ، بينما إلى مسافة من ورائنا ، وعلى مستوى الساحل، يمكن رؤية ثلاثة هنود آخرين وهم مسرعون .

استغرق وصولنا إلى قمة الطريق حوالي عشرين دقيقة ، ولم تكن بأكثر من مشتى قدم فوق سطح البحر ، إلا أن الوصول إلى هناك كان عملية مرهقة أثناء أدائها . يصعب التصديق بأن السيارات يمكنها أن تقطع هذه المسافة من لسان الحمم البركانية في أي موقع منها ، إلا أنه وبلا شك قد تم ذلك في المناطق المكشوفة إلى الداخل التي لا يعرف دليلي عنها شيئاً ، ولعلها تكون على شريط يربط بين مشرب المعيان ووادي بشيرٍ على الجانب الشمالي للحمم [١] . لاحظت هنا أن الصخر البركاني الأبيض كان مختلطاً مع الأصداف وسجلت الاستنتاج المبدئي بأنه إما أن يكون قد تم سحقه وتحول إلىٍ مرجان أو هو خليط من المرجان مع رماد بركاني . كان المنظر من قمة الطريق مؤثراً ، وكانت جزيرة كتمبل هي السمة الأساسية لها ـ وهي تركيب مخروطي هرمي من صخر أسود يسبح في البحر كأنه جبل جليدي ضخم إلى البعيد خارج الساحل[٢] .

كانت واحدة من بين العديد من المخاريط البركانية التي تنتشر في المنطقة كلها التي تقع داخل نطاق الرؤيا، إلا أنها كانت الوحيدة التي يمكن ملاحظتها داخل البحر بالفعل. كانت رغبة نفسها مؤثرة باتساعها إلا أنها مكسرة على القمة وأطرافها

---

(١) مشرب المعيان ووادي بشير من المعالم الجغرافية التي تقع بين الحريضة والقحمة ، ومازالت هذه المواضع ماثلة للعيان حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . (ابن جريس) .

(٢) جزيرة كتمبل: تقع جنوب غرب مركز القحمة ، وهي جبل بركاني ، جزء منه صخرةٍ وسط البحر ، يوجد فيها بعض الآثار والقبور القديمة، تبعد عن شاطئ البحر حوالي نصف ساعة تقريباً . وهي من الجزر التي يراد استصلاحها سياحياً حتى تكون إحدى المتنزهات البحرية الهامة في منطقة عسير . (ابن جريس) .

الداخلية كذلك، بينما تحتل وسم[١] ، وهي علامة أرضية مهمة بارزة في القحمة، المركز الثـاني من الناحية الجمالية بعد كتمبل . تقف وسم على حافة الماء على الجانب البعيد مـن ميناء القحمة التي تشـرف عليها تماماً. يرتفع رقعة ـ وهـو شبيه بالجبل الجليدي أيضـاً ـ علـى الجانب القريب من وسم ، بينما كان المنظـر الداخلي من القحمة وجنوباً منقطاً بعدد من المخاريط وكتل بركانية أقل حدة . كان من أبرز هذه كل من الخرمى[٢] والحمـة[٣] ومحايـل[٤] ، بينما علّم مجرى وادي الحمضة شريط من الروابي ، من أولى هـذه إلى البحر أمام القحمـة . نستطيع رؤية حصن العوض ناحيـة الشرق من موقعنا وعلى قمتها القلعة المدمرة[٥] . ألقينا نظرة ، مباشرة أسفل موقعنا وعند النهاية بطريق سهل يقود إلى أسفل لسهل النميش الذي يكثر فيه شجر الدوم على امتداد مجرى ضحل صـريـ[٦] ، يجري بدوره على امتداد الطريق البعيد لحقل الحمم البركانية تجاه البحر علـى الجانـب الشمالي لرغبة ، الـذي تغطي كتلته المرئية لنا حـوالي ثلاثين درجة على مسافة ثلاثمائة ياردة من موقعنا .

وصلنــا إلى السهل خلال عشر دقائق متجهين ناحية الشمال الغربي ، على الجانب الأيمن لخط الصرف، الذي نحفه وتوجد بداخله أشجار طلح بينما اكتسى السهل بينه وبين الساحل بأشجارٍ خفيضة جافة ، وحشائش مع بعض شجر التنضب من حين لآخر. كان السـير هنا جيداً فوق أرض ثابتـة طينية ووصلنا بعد مسيرة نصف ساعة إلى رأس خـط الصرف الذي يوجد فيه على مسافة نصف ميـل إلى اليمين مجموعة من الثقوب المائية (ملازم) تسمى نميشاً ، ينحدر خط الصرف هذا من مخروط وسلسلة محايل التـي منهـا ينحدر مجرى صـرف آخر يتجـه إلى الشمال مع طريقنـا ليتصل مع وادي

---

(١) الوسـم : جبـل الوسم غـرب القحمة ، يوجد علـى رأسه حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) قـوة عسكرية للدفاع الجوي، ويبعد عن الشاطئ حوالي (٣كم) . (ابن جريس) .

(٢) الخرمـي : وينطق أيضاً جبـل الخرماء شرق مركز القحمة ، يوجد فيه كهـف استخدم في القرون الماضية لإيـواء المواشـي وقت الأمطار . وهذا الكهف ربما كان من عمل الإنسـان ، وليس تكويناً جيولوجياً كما يظن بعض الناس . (ابن جريس) .

(٣) الحمة : موضع على شاطئ البحر ، وهو أقرب إلى مركز ذهبان التابع لمحافظة البرك . (ابن جريس) .

(٤) محايـل : مدينـة في تهامـة عسير ،وهي ناحية متحضـرة والمركز الرئيسي لمحافظة محايـل عسير . (ابن جريس) .

(٥) لم أجـد مكانـاً بهذا الاسم ، وهناك حصن آخـر شرق القحمة بحوالي (٨كم) يطلـق عليه اسم (حصن الجداوي) ، وربما كان الحصن المقصود . (ابن جريس) .

(٦) النميشـ : عقـوم أو زبر مفرد (زبير) الميـاه . وهناك موضع شمال الحريضة يدعـى أيضاً النميش ، وهو الذي يقع فيه منتجع القوات المسلحة حالياً . (ابن جريس) .

بشـير الضحـل أمامنا[١] . وجدنـا أحد روافده يتفكك داخل الطريـق ، إلى رواب رملية ينمو عليها الدوم ، وفيما يلي هذه لا يوجد ماء إلا في مواسم جيدة السيول . خرجنا إلى سهـل سبخـة واسع فيما يلي هـذه المجموعة من أشجار الدوم تكسـوه حشائش شحيحة وشجيرات حمض خفيضة ، وتحفه على أحد الجانبين سلسلة رملية خفيضة قريبة من الساحـل وعلى الآخر كثبان تمتد إلى الخلف إلى حافـة حقل الحمم البركانية من حول الخرمـى . توجـد فجوة واسعة بين هـذا القسم لحقل الحمم واندلاقـه براكين الحمَّة ، ينحـدر خلالها وادي بشير الـذي يأتي من سلسلة السودة إلى الخلف من بعيد[٢] . تقف سلسلة جب المنخفضة التي[٣] ـ كما قيل لي ـ يوجد فيها بقايا المقبرة الهلالية ، ويربطه الأهالي بالأساطير المحلية لقبيلة بني هلال[٤] .

ليس لوادي بشير نفسه أهمية كبيرة ، فهو منخفض واسع رملي وضحل ، وبه العديد مـن البرك المالحـة في مجراه . يمتـد الوادي على مسافـة نصف ميل مع اتجـاه أسفل الـوادي من موقع عبورنا على امتـداد قدم رقعة على جانبه الجنوبي ليصل إلى البحر ، علـى بعـد ميل ونصف الميل ، بالقرب من ثقوب ماء الحفائـر . تقع هذه داخل مجموعة من التلال الرملية عند حافة الماء ، ويقال إن مياهها ممتازة وحلوة .

سرنا فوق أرض رملية فيما يلي وادي بشير مغطاه بكثبان مكسوة بالحشائش تنتهي بجـوار البحـر في منطقة كثبان سنامية جميلة . قابلنا فيها الحاج الهندي وقد عمد إلى الراحة بعد سيره على الإقدام مسافة طويلة ، وكان ينتظر صلاة المغرب ، غير أن قافلة عفشنا لم تصل بعد ، التي كانت قد استفادت من توقفي في حقل الحمم البركانية لزيادة سرعتها ، لإصرارها على الوصول إلى قدور لحم القحمة لعشاء الليلة . إنه لمن المدهش أن نجـد أن الجمال المرهقة يمكن أن تفعل العجائـب إذا كان سائقوها بين خيارين إما أن يتناولوا عشاء مسافر في الصحراء . بدا لي أن طاقة الجمال في هذه الحالة بالذات قـد وضعـت في غير مكانها ، أخبرتهم بمنتهى الوضوح حينمـا قابلتهم في اليوم التالي، لأن ذلـك قد تسبـب في تورطي في مسيرة مدة ثلاث ساعـات في الظلام . فقدت بذلك ملاحظة تفاصيل مساحة صغيرة لهذه البلاد الساحلية ، بما أنها لم تكن تستحق ذلك . غطينا فيما تبقى لدينا من ضوء النهار وضوء الشفق منطقة الصحراء ، ذات الأشجار

(١) وادي بشير : أحد المواضع في مركز القحمة . (ابن جريس) .

(٢) السودة : من الجبال التي تقع شرق مركز القحمة حول بلاد بحر أبو سكينة وقنا وما حولها . (ابن جريس) .

(٣) جب أو الجب : وادي جنوب شرق القحمة ، يصب في موقع على البحر يسمى مغزل ، وفيه الآن مصنع الثلج وبعض الاستثمارات العقارية الحديثة . (ابن جريس) .

(٤) مازال حول الجب مقبرة لقبيلة المنجحة ، وليست هلالية أو لبني هلال كما يذكر فيلبي . (ابن جريس) .

الخفيضة فيما يلي وادي بشير ، وكذلك حزام سبخي عريض فيما يلي الوادي يمتد من حمم الحمَّة البركانية إلى مسافة ميلين على يميننا ، ثم إلى البحر.

دخلنا إلى دلتا وادي حمضة العريضة في وسط كلٍ ذلك[١] ، مع انطباق الظلام عند الساعة (٦،٣٠). كنت أتعثر في الظلام ولم أكن قادراً على تسجيل مذكراتي ، ولم أصل إلى القحمة حتى الساعة (٩،١٥). وأنا غضبان ومرهق. ضخّم الظلام ـ بالطبع ـ كثافة عرض حزام الغابة التي ملأت الدلتا ، غير أنها في بعض الأجزاء بدأت صعبة الاختراق. كان علينـــا أن نبحث عن المجرى الرئيسي في منتصف الطريق عبرها ، وكذلك الطريق الصعـب لسلسلــة حمضة فيما يليهــا ، والغابة الأكثر كثافة فيما بعدهــا . كنت أود رؤية هذه البلاد نهاراً ، ولابد أنها كانت جنة للطيور ، غير أننا لابد أن نواصل السير جادين لنــدرك رفاقنا ، الذيــن كان في حوزتهم كل طعامنا وعفشنا . قيل لي إنه في مكان ما في مجــرى حمضة توجد قرية بحر[٢] بينمــا تقع قرية الخسعة الصغــيرة لصيد الأسماك وبها مرسى صغير لقواربها على الساحل عند طرف الدلتا على الجانب الشمالي[٣].

خرجنا أخيراً من الغابة إلى سبخة واسعة مسطحة ، تعترض طريقنا من حقل الحمم البركانيــة إلى الساحل وتندمــج في نهاية الأمر مع منطقة رملية يصعب وصفها التي وصلنا فيهــا إلى أول مجموعة مــن أشجار النخيل التابعة لجوار القحمــة . لا تتأثر أشجار النخيل بالترب والمياه المالحة ، وتتلقى هذه الأشجار ذات التوزيع الخارجي كميات وافرة من كليهما. كانت الأولى منها هي المسبخية مزرعة نخيل وبها عدد قليل من عشش المستأجرين[٤].

يجري طريقنا فيما يلي هذه مدة نصف ساعة خلال مزارع مهملة واسعة ، منقطعة، ومتعرجــة ، تابعــة لقرية مغزل[٥] . تفصل مسافة بين هــذه وبين قرية بريطان[٦] ، ذات

---

(١) وادي حمضة : من الأودية الكبيرة في مركز القحمة تبدأ منابعه من جبال محافظة محايل الغربية ، يتصل بوادي يتمة ثم قرى المطعن ورقة الصفراء حتى يصب في البحر جنوب القحمة . وهو من المصادر الرئيسية لسقيا مزارع الذرة والدخن وغيرهما. (ابن جريس) ٠

(٢) قرية بحر : من المواضع الموجودة في وادي حمضة وليست بلدة بحر أبو سكينة التابعة لمحافظة محايل. (ابن جريس) ٠

(٣) الخسعــة : مــكان الميناءٍ قديمــا ، والآن مرسى للقوارب ، ويبعد عن وسط مركز القحمــة في الناحية الجنوبية الغربية (٨كــم) . كان مأهــولا بالســكان ، ثــم هجر، ومازالت آثار مقابــر وحصن أثري ماثلة للعيــان ، ويوجد على الناحية الشرقيــة فيــه حاليــا إســكان وزارة الداخليــة. ويذكر بعض الرواة أن هــذا المينــاء استخدم في تسعينيــات القرن (١٤هـ/٢٠م) لنقل بعض المعدات لإصلاح وشق طريق القحمة جازان . (ابن جريس) ٠

(٤) المسبخية : الاسم الصحيح (المصبخية) ، والمترجم هو الذي وقع في الخطأ ، وتقع جنوب القحمة بحوالي (٦كم)، وهي خالية حالياً من الاستيطان البشري ، ومزارعها وأشجارها تراجعت وقلت كثيرا . (ابن جريس) ٠

(٥) مغزل : قرية قديمة ، تبعد إلى الجنوب عن وسط القحمة (٤ـ ٥كم) ، وهي حالياً مأهولة بالسكان ، وفيه نشاط عمراني حديث ، وزروع ونباتات متنوعة . (ابن جريس) ٠

(٦) بريطان : ناحية قديمة وقريبة من قرية مغزل . (ابن جريس) ٠

الحمـم المتوسطـة ، تليها مشقور التي تقف فوق تربة أفضل[١] ، وتبدو مزدهرة بخطوط أشجـار نخيلها العالية الممتدة على جانب الطريق إلى عمق (١٠٠) ياردة على الجانب. لم يبـق علينا الكثير لتغطيته ، غير أن حماري قد سقط مرتين في هذه المرحلة الأخيرة، كانـت الثانيـة منهما حينما كنا نعبر الخليج (أو القنـال) الضيق . خضت طريقي إلى الساحل وغطيت بقية المسافة مشياً الأقدام .

أعترف أنني وصلت إلى القحمة وأنا في مزاج متعكر ، وسيان لو كنت مخطئاً أو مصيباً ، فإننـي أعتقـد أن الحاكم المحلي لم يكن لبقاً حينما أرسل رسولاً عنه لتحيتي بدلاً من أن يأتي هـو بنفسـه . أخبرني الرسول أن الأمير ينتظرني في منزلـه وذلك لوجود ضيوف معه . كانت إجابتي أنني لن أتحرك من هذا الموقع . ظهر الحاكم بعد ذلك أمام مدخل الجناح المخصص لي ولمجموعتـي ومعـه كل ضيوفه وكل حاشيتـه ، ودخلنا فوراً في تبـادل للاعتذارات وفي هذه الأثنـاء دارت فناجـين القهوة . أدركـت في حينها أن عبدالله بن عيسـى ، حاكم القحمة وهو مـن مواطنـي الرسّ في القصيم كان رجلاً ذا جاذبية كبـيرة . كان في منتصف العقد الثالث وكان يتأنـىَّ في حديثـه . لم ينقصه شيء من النبل المـدني الذي يميز أهل المدن في محافظته هـذه . كانـت الرس ، بالرغم مـن أنها أصغر من بريـدة وعنيزة فهي مميـزة مثلهما بوجود الأمراء التجار الذين أضافوا الكثير لقيادة القصيم وللحياة الاجتماعية في الجزيرة العربية. تحسنت علاقتنا سريعاً ، وذلك لأنني كنت أعرف أسرته والعديد من أهل الرس [٢] .

كان مـن بين رفاقـه ابن نشوان ، ضابـط جمارك محلي . أخـبرني الحاكم أنه أخذ المبادرة ليدعوني لتناول العشاء ، ثم نهض جمعنا كله وتمشينا في الظلام ، كلنا في مسيرة جليلة إلى المركز أو المبنى الحكومي . جلسنا عند الساعة الحادية عشرة مساءً حول عشاء ممتاز ، عدت بعده إلى عشتي لأنال راحة ضرورية بالمستوى نفسه ، ونمت عميقاً لأصحو وقـد انتعشت كثـيراً . لم تزعجني حتى قطرات المطر القليلة التـي تساقطت أثناء الليل ، غير أن السماء في الصباح كانت ملبدة بالسحب مع احتمالات لأمطار متوقعة .

كان علينا استبدال جمال العفش التي استأجرناها من صبيا بأخرى تأخذنا من هنا إلى القنفـذة[٣] . كانـت المسيرة من صبيا إلى القحمة علـى أربع مراحل ، وكان الإيجار

---

(١) مشقـور : مـكان يطلق على بئر تسمى بهـذا الاسم ، إلى الجنوب من القحمة بكيلـين ، مازالت تعرف بهذا الاسـم حتـى الآن ، وهي حالياً غير مأهولة بالسكان . ويذكر أن الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود خيم عندها أثناء حملته على اليمن في منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) . (ابن جريس) .

(٢) فيلبـي شخصيـة جاب معظم أجـزاء شبه الجزيـرة العربية ، ووثق عـن أكثرها كتباً وبحوثـاً عديدة تعد مصـادر رئيسية لتاريخ وحضارة هذه البلاد خلال القـرن (١٤هـ/٢٠م) ، لهذا فلا غرابة أنه يعرف بلاد القصيـم ، والكثير من رجالهـا ورموزها فقد سجل عن تاريخها وحضارتها عشرات الصفحات ، وكل هذه المادة العلمية مطبوعة ومنشورة باللغة الإنجليزية ، وبعضها ترجم إلى اللغة العربية (ابن جريس) .

(٣) لمزيد من التفصيلات عن بلاد القنفذة ، انظر : عاتق البلادي . بين مكة واليمن ، ص ١٠٧ وما بعدها . شرف

المتفـق عليـه هو نصـف ريال لكل مرحلة ، أي ريـالاً واحداً (سدس) لـكل جمل لرحلة تستغرق حوالي (٧٠) أو (٨٠) ميلاً . يبدو الأمر رخيصاً جداً ، وقد أضفت مكافأة من عنـدي للرجال الذين اصطحبوا الجمال والذين كانت خدماتهم متضمنة داخل الإيجار بـلا مقابل[1]. تركت رفاقي ، بعد أن قمت بذلـك ، لترتيب المواصلات الأخرى وذهبت للقيـام برحلة استكشافية ، يرافقني الحاكم وضابـط الجمارك وحشد من مرافقيهم. تقـع القحمة علـى خط عرض (١٨) شمـالا ، وتعلّم الحدود الشماليـة لمحافظة جازان الإداريـة ، بالرغم من أن وضعها الطبيعي قد جعلها جزءاً من محافظة القنفذة ممتدة إلى الشمال[2] . تفصل القنفذة عن جازان بواسطة حاجز الحمم البركانية الذي يمتد من حافة البحر في رغبة ، وتتميز عنه بوضوح بحقيقة أن نخيلها هو نخيل التمور وليس نخيـل الـدوم . لا أستطيع تفسير لماذا لا تنتج جازان نخيل التمـور ـ باستثناء مساحات صغـيرة في الشقيق ـ على الرغم من أنها من أخصـب أقسام تهامة العربية السعودية ، وتستطيـع أن تنتـج القطن والإندفو والسمسم والدخن وربمـا القمح والشعير، وبكميات كبـيرة إذا استخدمـت مياههـا بالطريقـة الصحيحـة . لم يكن الأمـر متعلقاً بخطوط العرض ، وذلك لأن تهامة اليمن إلى الجنوب منها ، وتهامة السعودية إلى الشمال منها ، تنتج التمور . لابد أن يكون الأمر متعلقاً بالتربة ، وهو أمر يستحق الدراسة .

مهمـا كان الأمـر ، فإن أشجـار نخيل التمور تـؤدي دوراً حيويـاً في تمييز التركيب الاجتماعـي لقسمين متجاورين من تهامة . يعيش الناس في معظم الأجزاء في عشش في القحمة مثلاً والدرب ، إلا أن العشش هنا مبنية من سعف النخيل وليس من الوتل والأعواد بينمـا تسـور الزرائب بحاجز من سعف النخيل بدلاً من بناء جدار من الأعواد [3] . توحي سعفـات النخيل هذه بعدم النظـام ، وبالتأكيد فهي لا تبدو نظيفة ، مثل غيرها ، إلا أنها مقاومـة لعوامل الطقس وتؤمن خصوصية كاملة بينما ينصرف مواطنو القحمة لحاجة

البركاتـي ، الرحلـة اليمانية، ص١٣٣ . انظر أيضاً غيثان بن جريس . بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠ـ ق١٥هـ/ق١٦ـ ق٢١م) طبعتان (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) و (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) (٥٦٨صفحة) . (ابن جريس) .

(١) أقـول إن تاريخ الحيـاة الاقتصادية والإدارية في تهامة وبخاصة الأسعار ، والأجـور والرواتب من الموضوعات المهمة والجديدة في ميدانها وتستحق أن توثق في عدد من الكتب العلمية من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى بداية هذا القرن(١٥هـ/٢٠م) ، آمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا العنوان في كتاب أو رسالة علمية . (ابن جريس) .

(٢) أصبحت البلاد الممتدة من شمال بلدة الشقيق إلى قرية سعيدة الصوالحة جنوب بلدة حلي تتبع إدارياً إلى منطقة عسير بعد أن كانت موزعة على إمارات مكة المكرمة وجازان وعسير . (ابن جريس) .

لمزيـد مـن التوضيحات عن بنـاء العشش في مناطق تهامة الممتدة من الـبرك والقحمة شمالاً إلى أقصى بلاد جازان جنوباً، انظر : غيثان بن جريس . عسير (١١٠٠ـ ١٤٠٠هـ) ، ص ٤٩ـ ٥٢ . (ابن جريس) .

(٣) لمزيد من التوضيحات عن بناء العشش في مناطق تهامة الممتدة من البرك والقحمة شمالاً إلى أقصى بلاد جازان جنوباً، انظر : غيثان بن جريس . عسير (١١٠٠ـ ١٤٠٠هـ) ، ص ٤٩ـ ٥٢ . (ابن جريس) .

الحمام الداخلي[١] . تلحق بالعشة التي أعدت لي ، مثلاً عشة صغيرة من المادة نفسها، مجهزة بمرحاض من البازلت المثبت بالجبس والإسمنت ، أو أحجار الحمم البركانية موضوعة حول الجزء الأعلى من الحفرة التي تصل إلى المياه المالحة تحت السطحية ، التي تقوم بإتلاف كل شيء يصلها وتقضي بذلك على كل ما تنفر منه الأنف . توجد في القحمة مبان حجرية مبنية بصفة عامة من أحجار الحمم البركانية ومطلية بطبقة من الجبس[٢] . غير أن الأمير ورفاقه الضباط يفضلون الحياة في العشش ، التي يعدونها أكثر برودة وصحية ، لعلهم مصيبون في هذا في مثل هذا الطقس الحار الرطب في الجزء الأوسط من ساحل البحر الأحمر. كان مقر الجمارك بناءً من الحجارة يتكون من طابقين كما كانت كذلك أماكن الأعمال الخاصة بالتجار ، وقد فضل بعض هؤلاء والنبلاء المحليون البناء الحجري سكناً لهم .

تمكنت من التقاط منظر ممتاز من سطح منزل الجمارك للمدينة وما جاورها ، وما يلفت نظر المرء لأول وهلة هو أن القرية ليست قائمة على مجرى واد ، ولكنها تنتشر فوق حافة مسطح سبخي يتجه ناحية البحر، يملأ الفراغ من وادي حمضة ، وقدً ورد ذكره[٣] . ووادي نجل إلى الشمال[٤] ، الذي هو الحدود الفعلية للمحافظة . يمتد لسان من البحر داخل هذا المسطح بين فجوة ضيقة من قرنين من السبخة ، لتكوين الميناء، الذي ينقسم إلى قسم شمالي وقسم جنوبي، كل منهما يؤمن مرسى محمياً للمراكب الشراعية التي تزور المكان . يرتفع مخروط وسم فيما يلي القسم الشمالي[٥] . وتقريبا ناحية الغرب من منزل الجمارك، على بعد الميل الواحد على لسان من الأرض يبرز إلى داخل البحر ويحمي ذلك الجانب من المرسى .

---

(١) كانت بلاد تهامة من جازان إلى القنفذة والليث منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، من القش وغصون الأشجار ، المعروفة بـ (العشش ومفردها عشة) ومرافقها . ولا تخلو هذه البلاد أيضاً من أبنية حجرية ، وإن دخلنا إلى الأجزاء التهامية من الدرب ورجال ألمع ومحايل إلى قلوة والمخواة وتهامة الطائف فهي أيضاً مليئة بالأبنية الحجرية والعشش أيضاً . وهذا التراث المعماري القديم اندثر فالعشش لم يصبح لها وجود، والعمارات الحجرية اندثرت وهُجر أكثرها ، وحلت العمارة الحديثة المسلحة المنتشرة في عموم منطقة تهامة من جازان إلى مكة المكرمة . وتاريخ العمران القديم ومقارنته مع العمران الحديث ميدان واسع ويستحق أن يدرس ويوثق في عشرات البحوث العلمية . (ابن جريس) .

(٢) المقصود بـ (الجبس) ، أي الجص . مادة تؤخذ من البحر ، ثم تحرق وتطحن وتستخدم ملاطاً للجدران من الداخل والخارج . ويطلق عليها أحياناً اسم (النورة) . ولها فوائد فهي تقاوم العوامل الجوية . وقد لاحظت أبنية قديمة في البرك والقنفذة ، وهي مليسة بالجص منذ مئات السنين ، ومازالت ماثلة للعيان حتى الآن . (ابن جريس) .

(٣) ورد له تعريف في صفحات سابقة . (ابن جريس) .

(٤) وادي نجل شمال مركز القحمة . بحوالي (٧كم) ، ومسائله تبدأ من مرتفعات محافظة محايل في الناحية الشرقية ، وسكانه فخوذ عديدة من قبائل القحمة ، ويمر على العديد من المواضع والقرى حتى يصب في البحر في بلاد القحمة ، ويكثر فيه شجر الدوم . (ابن جريس) .

(٥) جبل الوسم : سبق تعريفه في حاشية سابقة . (ابن جريس) .

تنحنــي الحافــة الداخلية لحزام النخيل مــن موقع يقع قريباً مــن القرن الجنوبي للمينــاء ، علــى وتــر لطيف يمر علــى مسافة ثلاثمائة يــاردة من منــزل الجمارك على الجانب الشرقي ، وينتهي على بعد نصف الميل إلى الشمال منه٠

يبلغ متوسط عمق هذا الحزام حوالي مئة ياردة ، بينما في صدر الساحل وبين النخيل والمينــاء تنتشــر مناطق السكن الأربع ، وهي حشوة الجربــا إلى الجنوب منها ، وإلى شرق منــزل الجمارك ، وعنقة إلى جنوب وغــرب حشوة الجربا وتكون المركز الإداري والتجاري بما في ذلك منزل الجمارك ودعامة الجسر ومقر سكن الأمير ، وأخيراً العرق وهي مجموعة صغيرة من العشش بها مسجد بارز على لسان الأرض الذي يفصل بين قسمي الميناء ، التي يقع مدخلها على مسافة ميل ونصف الميل إلى الجنوب الغربي من منزل الجمارك[١] .

تقــع قريــة المقشــور[٢] التي تنفصل مــزارع نخيلها عن تلــك التابعة للقحمة بفجــوة مقدارها ثلاثمائة ياردة ، ناحية الجنوب من موقعنا على جانب البحر لحزامها النخيلي على بعد ميل واحد .

تحتــل قريــة صيد صغــيرة تسمى حرفــاً[٣] لسانــاً مــن الشبكة يمتد داخــل القسم الشمــالي للميناء إلى مسافة ثلاثة أرباع الميــل ناحية الشمال الغربي من موقعنا ، بينما تقع قرية الحشافة[٤] ومزارع نخيلها ناحية الشمال على امتداد سلسلة قدم على الجانب الأيمن لوادي نجل . يمكن ملاحظة عدد من المخاريط البركانية التي لم تشاهد من قبل ـ ليس أي منها مهماً ـ بينما إلى وراء حقل الحمم البركانية تمكنت من رؤية ثلاث قمم للسلسلة الجبلية الرئيسية ـ لم أجد لها أسماء ٠

هكذا كان ذلك المنظر الذي رأيته من سطوح منزل الجمارك . ينتمي أهل القحمة إلى قبيلــة تسمى المنجحة[٥] ، غــير أنني لم أستطع الحصول علــى أي معلومات حول علاقاتهم

---

(١) يقصد بالحشوة ، أي الحي أ، أو الحجارة ، وسميت بهذا الاسم دلالة عن الترابط والتكاتف بين سكان كل ناحيــة . فهــم متقاربون متلازمون متعاونــون في جميع الأمور الحياتية . وحشوة العــرق ، والجربا ، وعنقة جميعهــا وسط القحمة القديمة . كانت فيهــا مؤسسات الحكومة الرئيسية مثل الإمارة ، والشرطة ، وأيضاً الســوق التجاري . وهي حاليــاً مهجورة ومندثرة ، ومازال يعيش قريباً منهــا بعض السكان في بيوت شعبية وأخرى مسلحة قليلة . وذكر لي أنها سوف تزال ويستفاد من أراضيها سياحياً . المصدر: تجولت في أرجاء هذه الأحياء في (١٦ـ ١٧/٣/١٤٤٣هـ) . (ابن جريس) ٠

(٢) المقشور : خطأ مطبعي ، وهي بئر المشقور السابق ذكرها . (ابن جريس) ٠

(٣) قريــة الصيــد (الحــرف) تقع شمال القحمــة بثلاثة أكيال ، وهــي غير مأهولة بالسـكان ، ويوجد حرس الحدود قريباً من هذه الناحية ، وهي قريبة من شاطئ البحر . (ابن جريس) ٠

(٤) قريــة الحشافــة : شمال مدينة القحمة بحــوالي (٥كم) . كانت في السابق مأهولــة بالسكان ، ثم هجرها أهلها بحثاً عن الماء ، وهي مندثرة حالياً. (ابن جريس) ٠

(٥) قبيلــة المنجحة منتشرة في مناطق عديدة من تهامــة عسير وجازان ، ومعظم فخوذها في محيط بلاد بحر

القبليـة ، التـي يبـدو أنه قد طواهـا النسيان منـذ زمن بعيد مـن أذهـان القرويين الذين انصرفـوا لزراعة نخيلهم وصيدهم وتجارتهم الساحلية الثانوية . لم ينسوا إلى زمن قريب أن مناشطهم التجارية كانت أكثر ازدهاراً مما هي عليه الآن . يقال: إن الطريق من القحمة إلى محايـل في التلال، وهو أفضل طريق إلى أبها، هو أيضاً الأقصر والأسهل مقارنة بذلك من القنفذة(١) ، ويتعامل الناس هنا بنسبة تجارية عالية مع أبها والمنطقة التابعة لها (٢) .

لقد تحسنت ظروفهم كثيراً حينما وسعت الحكومة السعودية مجالات فوائد التطور إلى محافظـة القنفذة مع كل الممتلكات للتعريفة المرتفعـة والانضباط القوي . أصبحت القنفـذة قبلة الأنظار للتجـارة مع أبها ، غير أن الحكومة قـررت ، وقبل ستة أشهر من زيارتـي ، أن تمد منافع الحضـارة إلى هذه المنطقة أيضاً . تم تطبيق نظام تعريفة جدة وأنشـئ مكتب للجمارك ليتحقق من تسديد كل الرسوم . ولا تستطيع القحمة أن تنافس القنفذة الثرية ، وماتت تجارتها لتنكيد الناس(٣) .

ثالثاً : مشاهدات فيلبي ورحلته في البرك وما حولها :

كان الوقت متأخراً في الصباح عندما قمنا بزيارة مقر سكن الأمير لتناول طعام الإفطار. غير أن ارتياحي لهذا قد تكافأ مع اكتشافي بأننا لن نكون مستعدين لمواصلة رحلتنا . دار جدل كبير حول مساعي كل من يهمهم الأمر للحصول على الحمير ، والجمال والمرشدين(٤) .

أبو سكينة ، والحريضة ، والقحمة ، والدرب وغيرها . (ابن جريس) .

(١) للمزيد عن الطرق التي تربط بلاد الساحل بالمرتفعات الجبلية وبخاصة في منطقة عسير خلال القرن الهجري الماضي. انظر: السير كيناهان كورنواليس . Carnwallis . Asir Before Warld war Ipp. 107-155. (ابن جريس) .

(٢) كانـت البـلاد الممتدة من القحمـة جنوباً حتى بـلاد القنفذة شمالاً هـي المنافذ البحريـة الرئيسية لبلاد السروات الممتدة من الباحة شمالاً حتى بلاد قحطان ونجران جنوباً. (ابن جريس) .

(٣) مـن يدرس تاريـخ وحضارة القنفذة خـلال القرنين الثالث عشـر والرابع عشر الهجريـين (التاسع عشر والعشرين الميلاديين) ، فإنه يجدها الميناء الرئيسي لبلاد السروات . بل هناك مئات الوثائق الموجودة في تركيـا ، وفي دارة الملـك عبدالعزيز ، وفي مكتبة الملك فهد الوطنيـة ، وفي وزارة المالية السعودية ، وجميعها تشـير إلى الصـلات الحضاريـة (الاقتصادية ، والاجتماعيـة ، والفكرية) التي كانـت سائدة بين موانئ البحر الأحمر مثل : القنفذة ، والبرك ، والقحمة وبين حواضر بلاد السراة مثل : أبها ، والنماص ، والباحة وغيرها . للمزيد انظر غيثان بن جريس . بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق ١٠ـ ق١٥هـ/ق١٦ـ ق٢١م) (الطبعة الثانية ، ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، (٥٦٨صفحة). (ابن جريس) .

(٤) هـذه الفقرة بـدأت في كتاب فيلبي : مرتفعات الجزيرة العربية ، تحت عنـوان رئيسي هو (الفصل الثالث والثلاثـون : الطريق الساحلي) (محافظة القنفذة) . ومـن شمال مركز القحمة بدأت محافظة القنفذة التـي أولهـا من ناحية الجنوب بلاد ذهبان والبرك . ونجد القحمة كانـت تتبع إدارياً منطقة جازان خلال الحكـم السعودي الحديث حتـى عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ثـم صارت البلاد الممتدة مـن الحريضة جنوباً إلى الصوالحـة (السعيـدة) شمـالاً تتبع منطقة عسير ، وكانت في بادئ الأمـر مركزاً ، ثم صارت مؤخراً محافظة فئة (ب) . (ابن جريس) .

لعل مضيفونا يرغبون أن نمكث عندهم حتى نتناول وجبة الغداء ، غير أنني قاومت كل محاولة تؤدي إلى تأخيرنا ، وعند الساعة الحادية عشرة والربع ، وبعد أن مثل أمامي المرشدان اللذان أوصى عليهما الأمير نفسه بأنهما كاملا العلم بالمواقع ، وبعض الحمير التي يفطر منظرها القلب إلى درجة بعيدة باعتبار طول الرحلة التي تنتظرها ، ركبت على أحد الحمير، وتحركنا وأنا أرفع يدي بالوداع والشكر الجزيل للأمير وحاشيته المجتمعة . سيتبعني الموكب حينما يجهز ، كما أن عملي في الطريق سيعطلني بما فيه الكفاية ليجعلهم يلحقون بي ويسبقونني .

اكتشفت سريعاً أن مرشدي الجديدين العالمين ببواطن الأمور يجهلان كل شيءٍ عن البلاد من حولنا . لقد عرفوا الطريق ، هذه حقيقة ، غير أن الحمير قد عرفت ذلك أيضاً ، ويمكنها أن تقودنا عليه بمجرد أن تلتقط مفهوم السير إلى الأمام بدلاً من توقف في مراعي بلادها . لقد نثرت أعواد الدخن فوق السبخة المبللة فيما يلي حدود المنطقة لكي يصبح الطريق أقل خطورة للحركة . عبرنا آخر عشة تابعة للقحمةٍ خلال خمس دقائق داخل بهو طوله (٥٠) ياردة من البحر وحزام النخيل ، ثم اتجهنا سريعاً ناحية الشمال الغربي من حول طرف الميناء، نسير في اتجاه قمة قرين فيما يلي وادي نجل[١] .عبرنا ذراعين ضحلين ممتدين من البحر إلى الأرض على سهل السبخة وكنا نمر على مسافة (٣٠٠) ياردة من قرية الحرف الصغيرة ، وقد امتدا من قاعدة وسم مسافة إلى الداخل في اتجاه مخروطي أسلة ومحرق. كانت وسم تبعد على مسافة ميل ونصف الميل إلى يسارنا مع حزام من المانجروف على الجانبين القريب على امتداد الطرف الغربي للميناء . تقع مزارع نخيل الحشافة على بعد ميل واحد إلى يميننا فوق وادي نجل الذي يتوزع مجراه فوق سهل السبخة ولم نعبره بالفعل[٢] .

سرنا على حافة حقل الحمم البركانية بعد أن عبرنا السبخة ، ويقع البحر وغابات المانجروف على مسافة ميل واحد إلى يسارنا عبر الساحل السبخي . يمتد وادي الشقيق[٣] على بعد مسافة قليلة عبر ممر في واد سبخي ضحل واسع حيث أصبحت غابات المانجروف غابات حقيقية تلاحقت مع الطريق ، بينما تباعدت الحمم البركانية. انتشرت في وادي الشقيق أشجار الدوم في كلا مجرييه وكنا نستطع رؤية وادي ذهبان قليلاً وراء المجرى الثاني وقراه الصغيرة المبعثرة وأراضيه الغنية بنخيل التمور[٤] .

---

(١) وادي نجل : سبق الإشارة إليه في حاشية سابقة . (ابن جريس) .

(٢) قريتا الحرف والحشافة ضمن مركز القحمة سبق الإشارة لهما . (ابن جريس) .

(٣) الشقيق : وادي يقع إلى الشمال من حاضرة القحمة ، يحده وادي ذهبان من الشمال ، ومنابعه تأتي من مرتفعات تهامة عسير . (ابن جريس) .

(٤) وادي ذهبان : من أودية محافظة البرك الرئيسية ، يبعد عن بلدة البرك نحو الجنوب (١٥كم) . أرضه خصبه ومزارعه كثيرة ، يوجد شجر الدوم والنخيل بكثرة ، وقد أصابها اليوم الكثير من التراجع والانقراض . ورد ذكره عند بعض الجغرافيين والرحالة الأوائل ، يقع وادي ضنكان الأثري في أعلاه . يوجد

كانت بعض مزارع النخيل ممتازة بدرجة باهرة كما لحظتها حينما وصلنا إلى الوادي وتوقفنا لإجراء مسح عام للمنظر بجوار قرية الحباك[١] الصغيرة عند النهاية مع اتجاه الوادي لمزارع النخيل والمحاصيل . تقع قرية طرق[٢] الأكبر على مسافة ميل واحد تجاه أعلى الوادي بين مزارع نخيل كثيفة ، بينما يمكن اعتبار مجموعة صغيرة من عشش مبنية من كتل الحمم البركانية عند طرف الحرة على الجانب الأيمن للوادي من ضمن مكونات الواحة . تسمى هذه القرية قرية الشيخ[٣] ، ولا يبدو أنها مأهولة ، ذلك لأنها تستخدم فقط كموقع لنوم المستأجرين أثناء عمليات الزراعة والحصاد الخاصة بالدخن ، الذي كانت مساحة زراعته واسعة في كل من المساحات المتناثرة حول الوادي، وخاصة فوق الأراضي المرتفعة على جانبيه حيث تكون الزراعة محمية بالحواجز العالية ضد كل من السيول ومدّ البحر[٤] .

لقد أشرت إلى امتياز تمور ذهبانٍ محلياً على امتداد هذا الشريط من الساحل . لابد أن يكون المحصول السنوي كبيراً نسبياً كما كانت المساحة المخصصة لزراعة الدخن مثيرةٍ للدهشة ، بل المدهش فوق كل هذا أن كل الوادي الذي يبدو وكأنه منخفض ضحل بدلاً عن وادٍ وذلك لأنني لم أجد كل ما يدل على وجود مجرى فعلي. كان الوادي تحت صورة من صوٍر الزراعة . كما كان يحتوي على آبار عديدة، غير أن أشجار النخيل تحتاج للري في حداثتها. حتى إذا ثبتت أشجار النخيل فإنٍ عروقها تضرب إلى الأعماق إلى النطاق المائي الذي يكون عند عمق (١٠) أو (١٢) قدماً تحت السطح في كل هذه المنطقة المزروعة . ربما كان هذا هو سر ازدهار زراعة ذهبان، ذلك لأن السيول نادرة هنا[٥] .

فيه مركز إداري حديث يراجع محافظة البرك، وفيه العديد من القرى والمستوطنات البشرية ، لا يخلو من بعض المؤسسات الإدارية الحديثة كالمدارس الحكومية ومركز الرعاية الأولية وغيرها . (ابن جريس) .

(١) قرية الحباك : قرية من قرى وادي ذهبان ، تقع غرب الوادي عند مصبه بالقرب من البحر . كان مركزاً لحرس الحدود حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) ، كانت مليئة بالسكان ، ثم هجرها أهلها ، ولا يوجد فيها حاليا إلا بعض الصيادين . بينها وبين البحر مقبرة ، وفي شرقها موقع يقال له الحصن. ثم بيع بعض أراضيها إلى بعض السرويين ، ومازالت مهجورة ، وقد يصلها التطور العمراني الحديث في قادم الأيام . (ابن جريس) .

(٢) قرية الطرق : من قرى وادي ذهبان الرئيسية في الناحية الجنوبية الشرقية ، وفيها المركز الإداري ومليئة بالسكان الذين يسكنون في منازل حديثة مسلحة ، وبعضهم في بيوت شعبية ، وعلى مقربة منها العديد من الأحياء والقرى التابعة للمركز الإداري في قرية الطرق . يذكر أنها تعرضت لسيل كبير عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، مما استدعى إلى بناء سد وادي ذهبان لحماية السكان . (ابن جريس) .

(٣) قرية الشيخ : ربما سميت بهذا الاسم لأن شيخ الوادي يسكنها ، ويطلق عليها أيضاً قرية الحرة ، وهي مستوطنة قديمة ومازالت حتى الآن من أحياء وادي ذهبان الحديثة ومقر شيخ قبائل وادي ذهبان . (ابن جريس) .

(٤) هذه البلاد غنية بزروعها ومياهها منذ القدم، وأهلها في السابق . جمعوا بين مهنتي الزراعة والرعي . ومازال وادي ذهبان حتى اليوم من الديار الغنية بوفرة مياهه وكثرة زروعه ونباتاته . (ابن جريس) .

(٥) وادي ذهبان : في محافظة البرك من الأوطان التي لها تاريخ حضاري متنوع ، ومذكور في العديد من المصادر المبكرة ، كما أنه لا يخلو من الآثار الكثيرة السطحية والمدفونة ، ويستحق أن يدرس في بحث علمي موثق ورصين . (ابن جريس) .

يمثـل آل ذهبـان تجمعات خارجيـة من آل بني هـلال التابعين للـبرك ، وقد رأينا بيوتهـم وقلعتهم ناحية الشمال الغربـي من موقعنا قبل أن تخرج من آخر حقول الدخن فيمـا يلي الـوادي. تمتع كل من الـبرك وذهبان ـ بالرغـم من أنهمـا متضمنتان داخل محافظـة القنفذة فيمـا يخص الأغراض الأميريـة الخاصة بخزانة الدولـة وغيرها ـ بدرجة من الاستقلالية المحلية كجيب قبلي تحت سيطرة رؤساء بني هلال في البرك[١] . توجـد غابـة طرفاء قصيرة النمو وغطـاء نباتي آخر في المسافات بـين مزارع النخيل ، بينمـا كانت الخلفية العامة للقرية من حقول حمم بركانية كبيئة تنحدر إلى الخلف إلى مخاريـط عديدة وفوهات براكين وتشاهد من ورائها مـن القحمة الجبال العالية . قيل لي إن أحد هذه الجبال يسمى زرقان[٢] . لم أشاهد حتى الآن الطيور النموذجية لجنوب تهامة وكنت أعجب لأننا لم نكن قد خرجنا تماماً من نطاق تواجدها . لقد كانت الإجابة عن هذا السؤال جزئية ، إذ ظهر طائر الشقراق الحبشي داخل حقول الدخن ، لابد أن يكون هنالك الكثير منه غير أنني لم أر غيره .

استمر سفرنا ، باستثناء التوقفات ، حوالي ثلاث ساعات ونصف الساعة ، عندما قررنا التوقـف لأداء صـلاة العصر ، والقيام بمسح عام عند الساعـة (٤،٢٠) لسهل ناعم من دبال وأصـداف إلى مسافـة خمسمائة ياردة مـن ساحل البحر . جزيرة الجبل فيمـا يلي هذا[٣] ، وتنفصـل عن الأرض الرئيسية بالمجـرى الرئيسي مسافـة ثلاثمائة يـاردة ، وهي مسطحة النهايتين ، وترتفع في الوسط إلى مخروط لطيف يبدو أنه بركاني وكانت بعض نباتات خزامى البحـر تتخلـل الساحل بينمـا كانت صفحة الطريـق على اليمين عبارة عـن حاجز صلبٍ من الحمم البركانية مع العديد من المخاريط التي ترتفع إلى مجال الرؤيا ونحن نسير شمالاً .

دخلنا إلى أرض مسطحة تكسوها جلاميد ضخمة من الكتل البركانية عدا ممر ضيق تم كشفه لحركة السير ، وذلك بعد أن طال انتظارنا لقافلة العفش التي لم تظهر في الأفق ،

---

(١) محافظـة الـبرك الحالية الممتـدة من القحمة جنوباً إلى بـلاد السعدية (الصوالحة) شمـالاً ، ومن البحر غرباً إلى حدود محافظات محايل وبارق والمجاردة شرقاً مأهولة بالسكان ذات الأعراق العربية الأصيلة . لها تاريـخ سياسـي وحضاري من عصور ما قبل الإسلام وخلال القرون الإسلاميـة المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصرة .وتستحق أن تدرس أرضها ، وآثارها ، وحضارتها عبر العصور . آمل أن نرى باحثاً جاداً يعكف على دراسـة تاريخها وموروثها الحضاري. للمزيد انظر عبدالرحمن بن عبدالرحيم بن علي بن عبده . من تاريخ برك الغماد (بين الماضي والحاضر) .(١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)) (٣٦٨صفحة) . (ابن جريس) ٠

(٢) جبـل زرقـان : يبدو أنه في المرتفعات الشرقيـة من بلاد البرك وذهبان والقحمة ، وقـد يكون ضمن تهامة عسير. (ابن جريس) ٠

(٣) جزيـرة الجبـل : مصب وادي الداهن . ويبعد هذا الوادي عن وادي ذهبان شمالاً حوالي (٥كم) . ومنابعه تأتـي من شـرق محافظة البرك. وعند مصبه وعلى ضفافه الكثير من النقوش والآثار التاريخية التي يعود بعضها إلى ما قبل الميلاد . (ابن جريس) ٠

ويسمح الطريق لحركة السيارات أيضا. عبرنا فيما يلي هذا إلى فم وادي موضية[١] . الذي يوجد على جانبه البعيد لسان بحري عبرناه ويقع فوق طريق مرتفع من صخور الحمم البركانية . واجهنا على الفور وادي الداهن وفمه الواسع الذي يندمج مع مجرى موضيّة ويغطيه أيضاً ذراع من البحر ودرنا حوله بجوار مجموعة صغيرة من أشجار النخيل[٢] . لابد وأن يكون عرض هذا الوادي المزدوج الفم حوالي ميل واحد وكان سراً عليّ أن أدرك أن السيارات قد عبرت هذا الموقع. سارت رحلتنا الآن فوق شريط من السبخة على امتداد حافة رف منخفض من حمم بركانية متشابكة وشعاب مرجانية على يمننا . كانت السبخة لزجة جداً في بعض أجزائها ، غير أننا وصلنا إلى فم وادي اللصيب دون حوادث[٣] .

سرنا مدة ساعة أخرى وكادت الشمس أن تغرب ، ولم نر أثراً لرفاقنا الذين نتوقع لحاقهم بنا ، لذا فقد قررت أن نتوقف لقضاء الليلة فوق كتل بجوار مجموعة من أشجار النخيل تسمى "نخل زايد" على الجانب الأيسر للوادي[٤] ، الذي امتلأ جانبه الأسفل بلسان من البحر . أزعجت حركتنا طائر بجع منعزلاً وهو يصطاد في موقع صيده المسائي، بينما طار من أشجار النخيل زوج من طيور الغداف كانت قد قررت مثلنا أن تقضي الليلة هنا قبل أن نقدم نحن ، وقد رافق طيرانها احتجاج بصوت أجش ، لتهبط فوق غابة مانجروف على جزيرة أخرى مسطحة وطويلة على بعد ميل ونصف الميل من الساحل[٥] . وصل قطار عفشنا أخيراً بعد نصف ساعة من استقرارنا في هذا الموقع ، وتناولنا جميعاً وجبة العشاء المكونة من اللحم المقلي مع شرائح أناناس كحلوى . كانت الليلة ذات سحب وكانت ممطرة وقد لاحظت للمرة الثانية الغياب التام للحشرات برغم سطوع ضوء مصباحي. لم يكن هنالك ندى خلال الليل غير أن الجو كان رطباً لقرب المكان من البحر . كان المد ممتداً إلى الوادي في المساء، غير أنني لاحظته ينحسر بسرعة، وعند حلول الصباح كان اللسان المائي مكشوفاً ، إلا أن الموقع كان مبتلاً يصعب اختراقه إلا بتجول خفيف مع الوادي لاختيار مجراه الحصبائي فيما يلي علامة أقصر موقع له[٦] .

---

(١) فم وادي موضيّة : هو مصب وادي الداهن . (ابن جريس) .

(٢) وادي الداهن : تم الإشارة إليه في حاشية سابقة . (ابن جريس) .

(٣) وادي اللصيب : واد صغير أو شعيب تأتي مياهه من مرتفعات محافظة البرك شرقاً ، ويصب في البحر أمام جزيرة حصر التي تقدر مساحتها بـ (١٢٠٠م × ٦٠٠م) ، وفيها الكثير من الأشجار وبخاصة شجر المانجروف . (ابن جريس) .

(٤) نجل زايد : ربما نسبة إلى رجل يدعى زايد ، ويقع هذا المكان عند مصب وادي اللصيب . وهو حالياً مهجور ومندثر . (ابن جريس) .

(٥) ذكر هذا الرحالة عدداً من الطيور التي شاهدها مثل البجع ، والغداف ، واسمه الصحيح أبو مقداف أو مجداف، وغيرها. وهذه الطيور موجودة بكثرة في أراضي تهامة الساحلية من الحديدة إلى جدة . (ابن جريس) .

(٦) من خلال اطلاعي على العديد من بحوث ومؤلفات فيلبي في شبه الجزيرة العربية وغيرها لاحظت دقة ملاحظته ، وسعة معارفه وثقافته فهو لا يرصد الحياة التاريخية الحضارية (السياسية ، والإدارية ،

أمضينـا فقط ساعتين في معسكـر البرك وكانت المسيرة إلى هنا فوق طريق يجري علـى ساحل ضيق وكان البحر يبعد عنا بنفس بعد الحمم البركانية منا . كانت الشعاب المرجانيـة مختلطة مع الحمـم البركانية أو كانت الحمم البركانيـة تعلوها ، وقد عبرنا على فترات أفواه عدد من المسايل الثانوية التي تنحدر من حقل الحمم البركانية .

سرت على قدمي إلى ناحية أول هذه المسايل ،ويسمى وادي المطلع وقليلاً إلى ما يليه[١]. كان المسيل التالي يسمى وادي مرة [٢] والذي اخترقت طريقنا فيه مزرعة نخيل صغيرة تابعـة لقرية مكمان[٣] الصغيرة الشبيهـة أعشاشها بخلايا النحل ، وتقف على الجانب الأيمن بجوار البحر ، الذي كان يبعد حوالي خمسمائة ياردة على يسارنا. توجد هنا حقول قليلة لدخن نام حديثاً ، والتي فيما يليها يخترق الطريق حافة حقل للحمم البركانية وقد شُـقَّ فـوق طريِّق سيارات يقـع بيننا وبين البحـر. أوصلنا هذا الطريـق إلى مسيل وادي منيخر [٤] الضيق الذي كان فمه يبعد عنا مسافة مئتي ياردة إلى يسارنا ، وقد سده حزام غابة مانجروف. وصلت الحمم البركانية فيما يلي هذا إلى حافة البحر وبالفعل أصبحت الشعـب المرجانية من فوق ومن تحت الجلاميد البركانية وفي فوضى شديدة ، بينما قبل أن نصـل إلى الـبرك كانت الحمم البركانيـة ممتدة عبر طريقنا في لسـان طويل ضيق يصـل إلى البحر. مررنا بالقـرب من هذا الموقع على المقبرة المحليـة فوق مساحة أرض رميلة على حافة الحمم البركانية [٥] ، ودخلنا بعد دقيقتين قرية البرك[٦] .

والاقتصاديـة ، والاجتماعيـة) فقـط . وإنمـا يذكـر الكثـير مـن المعلومات العلميـة الخاصـة بالنجوم ، والحشرات، والآثار ، وعلوم البحار ، والمناخ وغيرها . (ابن جريس) ٠

(١) وادي المطلـع : والصحيـح وادي المطـلاة ، والذي وقع في الخطأ هو المترجم وليس فيلبي . يقع هذا الوادي جنـوب حاضـرة البرك . سمي المطلاة لأنه مكان لطلي الإبل والمواشـي بالمياه المالحة التي تستخدم علاجاً لهـذه الحيوانـات . ويحمل نفس الاسم حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . يستوطنه العديد من السكان ، وإلى الشمال من هذا المكان ، شرق الطريق الدولي ، خيرية الأمير سلطان المكونة من (١٠٠) فلة يسكنها الكثير من الأسر السعودية. وفي هذه الخيرية العديد من المؤسسات الإدارية مثل: مكتب التربية والتعليم ، ومركز للبلدية ، ومركز التنمية الاجتماعية ، وسوق شعبي . (ابن جريس) ٠

(٢) وادي مـرة : يأتـي شمـالاً بعد وادي المطلاة . تأتي منابعه من حرار البرك الشرقيـة ، ويصب في البحر. كان مأهولاً بالسكان ، وحالياً مندثراً . وشمال وشرق الطريق العام العديد من المخططات السكنية الحديثة . (ابن جريس) ٠

(٣) قرية الكمان : تقع على ضفة وادي مرة الشمالية الغربية .وحالياً مهجورة . ويوجد فيها اليوم مركز مراقبة الدفاع الجوي . (ابن جريس) ٠

(٤) وادي منيخر: شعب من روافد وادي البرك الرئيسي ، ومنابعه من بعض مرتفعات البرك الشرقية . (ابن جريس) ٠

(٥) شاهـدت هذه المقـبرة على شاطي البحر مقابل بلـدة البرك ومساحتها حـوالي (٢٠٠×٥٠٠م) ، محاطة بسـور من قبل البلديـة ارتفاعه حوالي متر وسبعـين سنتيمتر تقريباً. وذكر لي بعض أعلام المحافظة أن بداية الدفن فيها كان في بداية الأربعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ويوجد في المقبرة حالياً وقريباً منها الكثير من الأشجار والنباتات المتنوعة . (ابن جريس) ٠

(٦) لمزيـد من التفاصيل عن بـلاد البرك (جغرافيتها وتاريخهـا) ، انظر: عبدالرحمن عبـده. من تاريخ برك الغماد، ص١٤ وما بعدها. (ابن جريس) ٠

يتكـون جزؤهـا الرئيسي من حوالي مئة من العشش التـي تشبه خلايا النحل ، إلى جانـب البناء المركزي للحكومة بلونه الأبيض ، ويقـع في وسطها عدد من المنازل المبنية البيضـاء من حولهـا . يقف هذا القسم من القرية فوق سلسلـة حمم بركانية منخفضة تطـل علـى البحر، وعلى حافتها حقول قليلة تم إعدادهـا للزراعة ولم تزرع حديثاً . يقع قسـم آخر، وهو قرية صغيرة تشتمل على بعض المباني المطلاة بالجبس (الجص) عند سفح ربوة على يميننا[١] .

كان هنالـك ــ إلى جانب هذين القسمين للقرية ـ القلعة التي كنا قد رأيناها من ذهبان ، تقف بارزة فوق قمة ربوة منخفضة . يقع خليج خور البرك على يسار القرية ، وهو مرسى طويل محمي أكثر منه ميناء ، وبه سبخة عريضة تنحني على الجانب ناحية المدخل العريض[٢] .

يدخـل مجـرى وادي حلي إلى هذا الميناء[٣] ، وقد وردت الإشـارة إليه بأنه يشترك في مستجمـع الماء مع وادي ريم ، التابع للشقيـق ، وقد اكتسب اسمه هذا بسبب احتوائه على كمية وافرة من المياه العذبة قريباً من السطح[٤] . تحف أشجار النخيل هذا المجرى مسافة ستمائة أو سبعمائة ياردة من الميناء، قليلاً إلى الداخل من السور القديم ، الذي يعـود تاريخـه إلى (٢٠٠) أو (٣٠٠) سنة[٥] ، وكان يحمي هـذا الموقع المحلي المهم ضد الأعـداء. يجري هذا مسافة ألف ياردة ناحية الشرق مـن الساحل على امتداد الجانب

---

(١) مازالـت بلدة البرك قائمة حتى الآن ، ويظهـر وسطها بعض البيوت الحجرية القديمة ، أما العشش فليس لها أثـر. والمدينـة حالياً مكتظة بالعمائر الحديثة المسلحة التي تـتراوح أدوارها من طابق واحد إلى ثلاثة طوابق. وامتـدت الحياة العمرانية في حاضرة المحافظة في كل اتجـاه، والشارع العام الدولي مليء بالمحلات التجارية الاقتصاديـة ، وهناك مخطط حكومي حديث شمال المدينة يوجد فيه العديد من الأبنية الحكومية والعمارات السكنية ، ناهيك عن المتنزهات والشواطئ السياحية الجميلة في نواح عديدة من المدينة. (ابن جريس) .

(٢) مازالـت بعض آثـار القلعة بارزة في الجهـة الجنوبيـة الشرقية، ويقع قريبـاً منها بعض الأبنية الحديثة التنمويـة. وعلـى شاطئ المدينة أيضاً بعض قوارب الصيد، ومازال هذا المرسـى يحتاج إلى تنمية وخدمة تطويرية أفضل . (ابن جريس) .

(٣) لم يكـن فيلبـي صائباً في قوله " يدخل مجرى وادي حلي إلى هذا الميناء " ويقصد بالميناء (بلدة البرك) ، ففي وقت رحلته (١٣٥٥هـ/١٩٣٧م) لم يكن البرك ميناءً بالمعنى الصحيح. ثم إن وادي حلي يبعد عن بلدة البرك شمالاً حوالي(٧٠) كيلاً.(ابن جريس) .

(٤) وقـول هذا الرحالـة إن وادي حلي يشترك مع وادي ريم التابع للشقيق فهـذا خلط كبير فوادي حلي ضمن محافظـة القنفذة حاليـاً ، وبعيد جداً في الجهة الشماليـة . ووادي ريم ووادي الشقيق من الأودية الرئيسية التابعة لمحافظة الدرب ومياهها تأتي من بعض مرتفعات منطقة عسير الغربية . وفي محافظة البرك اسم وادي الشقيق وآخر جبل الشقيق الأول جنوب المحافظة ، والآخر شمالها. ويبدو أن الرواة الذين التقى بهم فيلبـي وقد يكونون من المرشدين المرافقين له ، ضللوه به وذكروا له معلومات غير صحيحة ، وهذا ما جعله يقع في هذا اللبس والأخطاء العلمية . (ابن جريس) .

(٥) بعض الروايات تذكر أن بناء السور كان خلال عام (٦٢٩هـ/١٢٣١م) ، ثم رمم عام (٧٠٤هـ/١٣٠٤م) . (ابن جريس) .

الأيســر لوادي حلي ثم يتجه جنوباً[١] ، مع تتابع أبراج على مسافات على امتداد سلسلة منخفضــة تعبر من خلف القرية إلى حيث القلعــة القديمة ثم إلى أسفل إلى البحر عند الموقــع الــذي كنا قد عبرناه عند عنــق اللسان[٢] . وبذلك يؤمن حمايــة تامة للقرية من جانــب اليابســة [٣] . يمر الطريق إلى القنفذة خلال هذا الجــدار عن طريق ما لابد أن يكــون بوابــة عظيمة على حافة الــوادي، غير أن القليل قد تبقى منهــا عدا الركام الذي بنيت منه . كانت البرك تزار من حين لآخر بالبواخر الصغيرة التي تتحرك على امتداد الساحل ، غير أن مرساها لا يصلح لجعلها ميناءً منتظماً يتجه إليه ، كما كانت تجارتها غير مهمة مقارنة مع القحمة قبل تدميرها بالتعريفة الجمركية الجديدة[٤] .

لم يكــن مرعــي[٥] ـ شيخ قبيلة بني هلال ـ موجــوداً في مسكنه عندما مررنا بقرية البرك[٦] ، ذلك لأنه قد قام بإرساله زوجاته الثلاثِ اللاتي كنَّ يعشن معه في القرية إلى أداء الحج ضمن مجموعة محلية من (٣٢) شخصاً وعدد مماثل من الجمال .ذهب إلى الجبال ليعزي نفسه بغيابهن وذلك بقضاء الفترة مع زوجته الرابعة ، وهي شابة تفضّل الحياة في الصحراء مع قبيلتها على بهرجة جمال الحضارة . أشرف على الترحيب بنا وكيلــه[٧] ، وهــو مثال جيد للشــاب الغامض، الذي كان يفتقر لــكل مقدرة على الحديث ويبدو مندهشاً ناحية كل شخص يقوم بأداء عمل يتطلب جهداً جسدياً[٨] .

---

(١) مازال الخلط والخطأ مستمراً في رصد ومشاهدات هذا الرحالة . فوادي حلي كما أشرت سابقاً . يبعد جهة الشمال حوال (٧٠كم). (ابن جريس) ٠

(٢) هــذه الناحيــة التي يشير إليها فيلبي عــام (١٣٥٥هـ/١٩٣٧م) هي وسط مدينة الــبرك حالياً، وهي أكبر وأقدم تجمع سكاني في المحافظة منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . (ابن جريس) ٠

(٣) المسافــة بــين البحر والبلدة القديمة قصيرة جــداً ، حيث كانت من الأمكنــة الاستراتيجية والحصينة التي تحجز عبور الجيوش أثناء الحرب من الشمال إلى الجنوب أو العكس . (ابن جريس) ٠

(٤) انظر توضيحات أكثر عن بعض الموانئ الرئيسية على ساحل البحر الأحمر . محمد أحمد الرويثي. التطور المكاني والتاريخــي لموانئ شبه الجزيــرة العربية دراسة تاريخيــة جغرافية تحليليــة . (القاهرة : مطابع الطوبجــي التجاريــة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ،ص١٠١ وما بعدها . وتاريخ البرك تجاريــاً واقتصادياً موضوع جديد يستحق الدراسة والتحليل خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) . (ابن جريس) .

(٥) هــو مرعــي بــن عبده بــن إبراهيــم آل عبده الهــلالي ، كان أمــيراً للبرك من عــام (١٣٥٤ـــ ١٣٦٣هـ). (مقابلــة مــع عبــد الرحمــن عبدالرحيــم بــن علي بــن عبــده في بلدة الــبرك خــلال شهر المحــرم عام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). (ابن جريس) ٠

(٦) أســرة آل عبــده الهلالية شيوخ البرك منذ زمــن ، لهم تاريخ سياسي وحضاري قــديم ، ومازالوا في مركز المشيخة إلى الآن . ومحافظ المحافظة حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) من الأسرة نفسها . (ابن جريس) ٠

(٧) وكيل الأمير آنذاك هو : شامي بن محمد عبده الهلالي . (ابن جريس) ٠

(٨) القــارئ لمؤلفات ومدونــات فيلبي يتضح دقته في وصف المعالم الجغرافية ، كمــا أنه يوثق الصفات الخُلقية والخلقيــة أحيانــاً لبعض الرمــوز والأعلام الذين يقابلهم ويلتقــي بهم في البلدان التي زارهــا ، وغالباً ما يكونون من أعيان البلاد وشيوخها . (ابن جريس) ٠

كنا أحسن حالاً مع ضابط الجمارك المحلي ، الشيخ محمد من مواطني الوجه الذي ظل يعمل في الحكومة ويبدو أنه معجب به ، غير أنه بعد قضاء خمسة أشهر في البرك بدأ عليه الملل لعدم مقدرته أداء أي عمل في موقع بهذه الكآبة . يقاسمه في وظيفته العاطلة هذه أدميرال الميناء (أمير البحر) الذي يبدو أن لديه القليل من العمل ، ولكل منهما مجموعة من الموظفين من الكتبة والمساعدين ليعاونوهم على أداء أعمالهم(١) .كانت زيارتنا لهذه القرية الرسمية الصغيرة هدية لهم من السماء، وقد كان الترحيب بنا خلال الساعة التي مكثناها بتقديم البلح المحلي والأناناس المستورد والشاي والقهوة (٢) .

وحينما حان وقت سفرنا، وذلك بعد أن تم استبدال المرشدين القادمين من القحمة بثلاثة مرشدين من بني هلال تم إحضارهم من القرية ، فإن كل القرية رافقتني وأنا أسير ناحية البوابة القديمة ويبدو أنهم كانوا كارهين رحيلي. رافقنا بعد أن تحررنا من الحشد شاة وسلة بيض وبعض الخبز الذي صنع من الدخن ، كانت هذه هي هدية الوداع من ضابط البرك (٣) .

على الرغم من أن كلاً من البرك وذهبان قد ضمتا الآن إلى محافظة القنفذة في الحجاز، إلا أنهما كانتا جزءاً من المخلاف السليماني في الماضي، أيام حكم الإدريسي، الذي كان يضع ضابط الجمارك في البرك ليقوم بجمع الرسوم له. لابد أن تكون الحدود الجنوبية للحجاز في تلك الأيام ، جارية على امتداد وادي عمق ، وهو حدود بني هلال، إلى مسافة (٢٠) أو (٢٥) ميلاً إلى الشمال . لقد استغرق وصولنا إلى ذلك الموقع حوالي ست ساعات ، وقد نصبنا معسكرنا هناك بعد نصف ساعة من غروب الشمس لقضاء الليلة في الوادي(٤) . سار المرشدون الجدد كل الطريق على أقدامهم دون تعب

---

(١) إن الباحث عن تاريخ بلاد السراة وتهامة في العقود الأولى من امتداد حكم الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل يجد الكثير من المسؤولين والموظفين الذين جاءوا من المناطق الوسطى ، والغربية ، والشمالية ، فكانوا من البناة الأوائل لتوطيد الحكم السعودي الحديث في هذه الديار الجنوبية السعودية. وهذا الموضوع جديد في بابه ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية . (ابن جريس) .

(٢) كانت بلدة البرك من المرافئ المهمة ، فتصدر إليها الكثير من البضائع ، ومنها بعض المواد الغذائية المستوردة من بلدان عديدة داخل المملكة العربية السعودية . وهناك عشرات الوثائق التي تشير إلى النشاط الاقتصادية في موانئ البحر الأحمر الشرقية ، ومنها ميناء البرك.. (ابن جريس) .

(٣) نستخلص من هذه الفقرة الأخيرة أن بلدة البرك محاطة بسور ، ومازالت آثار هذا السور ماثلة للعيان حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). كما أن أهل هذه الناحية أصحاب كرم فهم قد رحبوا بهذا الرحالة عند قدومه ، ورافقوه عند خروجه إلى خارج المدينة . والكرم صفة رئيسية عند سكان السروات وتهامة منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر . (ابن جريس) .

(٤) من هذه الفقرة نجد أن إمارة الأدارسة في صبيا كانت تمتد شمالاً إلى جنوب حاضرة القنفذة ، وكانت

وهم يمضغون البردقان ويبصقون في الطريق . كانت مسيرة كئيبة وكذلك كان الطريق نفســه إذ أنه يقع علــى شريط ضيق للساحل بين الحمم البركانيــة المستديمة أبداً وبين البحر، نادراً ما يصل اتساع الشريط إلى الميل الواحد ، وكثيراً ما يكون أقل من ذلك[١] .

كان التغير الوحيد لكسر رتابة المنظر هو ذيول المسايل التي عبرت طريقنا والمخاريط غـير الواضحة المعالم التي تناثرت فوق ساحة الحمــم البركانية الواسعة ، وبعض القمم العاليــة أو السلاسـل على مسافــة إلى الوراء . كان وادي الحشافــة[٢] ، الذي ينحدر من سلسلــة العرك[٣] ، خلال بعض الشعاب المرجانية ، هو أول هذه المسايل، إلى جانب وادي الصحــين[٤] ـ وتنتشر فوقه صخور الحمم البركانيــة ـ، ووادي العرك ووادي مجعرة[٥] ويأتيان متتابعين بعد وادي الصحين ، وكلها تنحدر من سلسلة العرك التي يسيطر عليها مخروطــان علــى كل طرف منها مخروط واحــد. لاحظنا وعلى فــترات القليل من طيور الفلامنقو وهي تصطاد داخل مجرى ضيق يحفه المانجروف يتجه شمالاً لمسافة وموازياً لطريقنــا ، بينما وجدنا في أحد المواقع سرباً ضخماً من طيور النورس والخرشنة يطوف ويغطــس داخل المجرى. أخبرني مرشديّ الهلاليون أن الجمال البائسة في هذه المقاطعة لا تأنف من أكل أوراق المانجروف طعاماً لها إذا لم يتوافر لها ما تتغذى به على الأرض .

كان لــون المــاء في هذا المجــرى ، أو الخور كما يطلقون على هــذه الألسنة ، في زرقة السمــاء يتحرك ناحيــة الساحل بأمواج لطيفــة . يجري داخل نهايتهــا الشمالية مسيل وادي العــين[٦] الذي يعبر طريقنا من الناحية البعيدة لسلسلة العرك بينما يخرج وادي

بلاد البرك من البلدان التابعة للإدريسي قبل ظهور حكم ابن سعود. أما وادي عمق وقراه فيقع شمال بلدة البرك بحوالي (٣٠كم) ، وهو من المراكز الرئيسية لمحافظة البرك حاليا . وفيه حاليا العديد من المؤسسات الإدارية الحكومية والأهلية ، ومكتظ بالسكان ، والطريق الدولي يعبر من وسطة . (ابن جريس) ٠.

(١) الاتســاع بين ساحل البحــر ومرتفعات محافظة البرك تضيق عند وسط المدينــة ، لكنها تتسع شيئاً فشيئاً كلما اتجهنا شمالاً أوجنوباً . (ابن جريس) ٠.

(٢) تم الإشارة إلى قرية الحشافة في مركز القحمة ، وفي شمال محافظة البرك أيضاً وادي الحشافة ، ويعرف أيضاً باسم وادي (أبو السِّمر). (ابن جريس) ٠

(٣) العـرك : ويطلـق عليه أحيانا وادي ، وهو هضاب متوسطة الارتفاع شرق شاطئ النهود ، وتسمى في الخرائط الجديدة باسم (جبال النهود) لبروزها عن سطح الأرض .وتبعد شمال مدينة البرك حوالي (٥ـ ٦كم). (ابن جريس) ٠

(٤) وادي الصحــين : يبعــد عن مدينة البرك شمالاً حوالي (٣كـم) ، ويوجد فيه حالياً مركز صحي ، وملعب ، ومحطة للوقود .(ابن جريس) ٠

(٥) وادي مجعرة عرف بهذا الاسم ، لأنه كان في السابق مليء بالضباع (الجعارة ، ومفردها جعري) ، ويبعد عـن مدينــة البرك شمالاً حوالي (٨ـ٩) . لقد تجولت في أجزاء عديدة من محافظة البرك ، وارى أن هذه البــلاد تستحق أن تدرس تاريخياً واجتماعياً وجغرافياً وحضارياً. آمل أن نرى أحد الباحثين في كليات فرع جامعة الملك خالد في محايل فيقوم بهذا العمل العلمي التوثيقي. (ابن جريس) ٠

(٦) وادي العين : يبعد عن مدينة البرك شمالا حوالي (١٠كم) ، وتأتي مياهه من حرات محافظة البرك الشرقية حتى يصب في البحر . ويوجد على ضفته الشمالية حاليا قرية الفصلة . ويستوطنه حاليا العديد من السكان .(ابن جريس) ٠

دبسا[١] مباشرة فيما يليه إلى شريط سبخة واسع ليضيع داخل حزام المانجروف السميك . وعلى الرغم من أن الطريق يحتضن في هذا الموقع حافة الحمم البركانية مسافة إلى الخلف من البحر ، فإن السير كان صعباً فوق السبخة المبتلة اللزجة التي أدركنا فيها جمال العفش وهي تلتقط خطواتها في صبر وعناء عبر المستنقع . أسرعنا ناحية مخروط منخفض من الحمم البركانية هو جبل الصاقعة ـ بارز فوق الطريق ـ لكي نقوم بمسح البلاد المجاورة من قمته[٢] . تقع بئر الغضفاء [٣] عند قدمه وماؤها مالح غير أنه يمكن شربه ، وحول مجموعة من أشجار النخيل والتي فيما يليها توجد ست عشش مبنية من سعف النخل ، وهي قرية الحشافة الصغيرة لصيد الأسماك وتقوم فوق ربوة مزدانة بغابة المانجروف[٤] . توجد قرية كبيرة تقع على بعد ميل واحد أو أقل ناحية الشمال الشرقي ، تحتوي على حوالي خمسين عشة ومساحة لابأس بها من أشجار النخيل . هذه هي قرية قامة [٥] وهي مشهورة بأحلى مياه في المنطقة كلها . توجد مساحات منعزلة للنخيل مبعثرة في هذه المنطقة . كان المنظر من فوق قمة جبل الصاقعة واسعاً ولكنه لا يثير إحساساً ٠

يتكون الزوج التالي من المسايل من كل من واديي شربين[٦] ووادي برمة[٧] ، وهما متقاربان ويخرجان من خليجين عميقين من الحمم البركانية ، وقد رأيناهما بعد أن عبرنا طريق الشعاب المرجانية المطعم بالحمم البركانية . لحقنا في هذا الموقع بمجموعة من الحجاج التكرونيين الأفارقة وهم ثلاثة رجال وامرأة ، يضربون الطريق على الأقدام نحو مكة[٨] .

---

(١) وادي دبسا ، أو قرية دبسا : تبعد عن مدينة البرك شمالاً حوالي (١٠كم) . قرية قديمة عرفت أيضاً باسم (إمعيقة) أو العيقة ، وسكانها من بني هلال . وقد اتسعت هذه الناحية عمرانيا ، ويسكنها العديد من الناس ، وفيها بعض الخدمات الحكومية والأهلية . ومن أحيائها أو القرى القريبة السدد ، والمصانة .(ابن جريس) ٠

(٢) جبل الصاقعة : من المعالم الجغرافية الرئيسية في ناحية دبسا ، ويقع إلى الشرق من الطريق الدولي ويبعد عن البرك شمالاً حوالي (١٣كم) ، وسمي (جبل الصاقعة) لتعرضه لبرق وصاقعة في القديم .(ابن جريس) ٠

(٣) بئر الغضفاء : كانت منهل مياه لأهل دبسا .(ابن جريس) ٠

(٤) قرية الحشافة : تم الإشارة إليها في حواشٍ سابقة في القحمة والبرك . وهي مندثرة في وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م).(ابن جريس) ٠

(٥) قرية قامة ، أو القامة : تسمى حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) قرية المرصوفة ، معروفة قديماً باسم بئرها . مأهولة حالياً بالسكان ، والعمران الحديث ، وبعض الخدمات الحكومية والأهلية .(ابن جريس) ٠

(٦) وادي الشربين : وادي أو شعيب صغير يقع شمال البرك بحوالي (١٧ – ١٨كم) ، وتعرف هذه الناحية حالياً باسم نخلة الشربين ، ويشملها أيضا شاطئ زهران . (ابن جريس) ٠

(٧) أورد فيلبي اسم هذا الوادي باسم (ضربة) ، وأعتقد أن اسمه وادي (برمة) ، مع أنني سألت بعض أعلام محافظة البرك فلم يفيدوني بالاسم الصحيح .(ابن جريس) ٠

(٨) يتضح من رحلة فيلبي في تهامة في منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) أن العديد من الحجاج الهنود وبعض

تركنـا لهم بعض ما لدينـا من خبز وواصلنا سيرنا فوق ساحـل ضيق حتى وصلنا إلى لسان عريض من الحمم البركانية يصل إلى حافة الماء. طريق ضيق فوق هذا اللسان، غير أن النهايـة القريبة منا لهذا الممر كانـت مغلقة في أزمان سابقة بجدار لا تزال بقاياه يمكن ملاحظتها خلال مسافة على الجانبين . وفوق كوم من الحجارة يسمى المحاجي(١) وهو يؤرخ بلا شك لمعركة قبلية طواها النسيان حول ملكية هذا الطريق السريع الاستراتيجي(٢) . كانت هنالـك مجموعة من طيور البجع تستمع بالهواء الطلـق باسترخاء فوق بعض الصخور إلى البعيـد علـى يسارنا وقد بدت جادة ومحترمة . وصلنا إلى عمود مطلي بالجبس (الجص) على مسافة قليلة وراء الحمم البركانية والذي قال عنه مرشدي أنه نصب لتعليم موقع بئر أزعقـة(٣) ، وهـي بئر قديمة يوجد ماؤهـا عند عمق ثلاث قامات وتقع علـى بعد خمسمائة ياردة داخل حقل الحمم البركانية ، وقد تم حفرها لمنفعة عابري السبيل منذ سنتين .

وصلنـا بعد وقت وجيز إلى وادي جيَّة الذي ينحـدر من حقل الحمم البركانية عبر حزامٍ من حشائش(٤) ، ويندفع من الجانب الآخر لطريقنا داخل حافة مانجروف ويطوق لساناً بحرياً. توجد عشة واحدة وسط مجموعة من أشجار النخيل على الجانب البعيد ، ربما كانت محطة مؤقتة لبائع متجول يشتري ويبيع ضروريات الحياة للحجاج أو غيرهم مـن عابـري السبيل (٥) . كانت العشة فارغة ولا أثـر لأصحابها(٦) . غابت الشمس خلف

سكان شرق آسيا ، وأيضاً بلاد إفريقيا الواقعة على شاطئ البحر الأحمر الغربي كانوا يركبون البحر ، ثم ينزلـون علـى شاطئه الشرقي ويسيرون على الأقدام حتى يصلـوا إلى مكة المكرمة . وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية .(ابن جريس) .

(١) المحاجـي : الاسـم الصحيح لهذا الكوم ، مـع أن فيلبي أطلق عليه اسم (القحـم) ، وهو اسم غير سليم. والمحاجـي سلسلـة صخرية تصـل بين البحر والجبـل ، استخدمت أماكن حراسة ومراقبـة أثناء الحروب قديماً ، وهي تشبه القفل أو الحاجز لحصانتها ، وربطها بين الماء واليابس .(ابن جريس) .

(٢) هـذه الطريـق التي سلكها فيلبي في أوائل النصف الثاني من القـرن الهجري الماضي ، كانت إحدى الطرق الرئيسيـة التـي كان يسلكها التجار والحجاج ما بين اليمن والحجاز عبر العصور الإسلامية المختلفة . كما سلكتها العديد من الجيوش التي خاضت حروباً في بلاد تهامة منذ عصور ما قبل الإسلام ، وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة .(ابن جريس) .

(٣) بئر أزعقة : اسمها الحقيقي بئر حذفة نسبة إلى تلك الحرات التي تسمى الحذفات لوعورة أرضها ، وتبعد عن وسط البرك شمالاً حوالي (١٨ـ ٢٠كم) .(ابن جريس) .

(٤) وادي جيَّة : هو مصب وادي قيلة ، يبعد عن وسط مدينة البرك شمالاً (٢٥كم) ، سبخة كان بها شروم (مفردها شرم) ، مكان لاستخراج الملح وبيعه في الأسواق الأسبوعية القريبة ، وهي حالياً مندثرة ومهجورة . أما قرية قيلة فقد نهضت حديثاً تنموياً وعمرانياً ، وفيها الكثير من الخدمات الرسمية والأهلية .(ابن جريس) .

(٥) إن طرق الحج التهامية الممتدة من اليمن إلى الحجاز لها تاريخ عبر أطوار التاريخ الإسلامي ، آمل أن نرى باحثين جادين يدرسون هذا الموضوع في كتب وبحوث علمية .(ابن جريس) .

(٦) كانـت هـذه العشة لمن يقوم بجمع الملح في فصل الصيـف ، ومرور فيلبي من هذا المكان كان خلال الشتاء ، ولهذا فلم يكن بها أحد أثناء مروره بها .(ابن جريس) .

شريـط من السحـب إلا أننا رحبنا بأولى لمحـات نخيل وادي عمـق[١] . واصلنا بنشاط سيرنـا فوق أرض ذات كتل من أعشاب وحشائش فـوق رمال ، وهي بلاشك بداية لدلتا الوادي العريضة ، ثم عبرنا بطن مجرى جاف ، ربما مجرى مساعد للوادي. لنصل إلى المجـرى الرئيسي الذي تحفه مزارع النخيل علـى الجانبين . وجدنا مجموعة كبيرة من الحجـاج التكارنة وقد استقروا في معسكر لهم حول نار لطيفة عند وصولنا ، ربما كانت المجموعة القليلة العدد التي مررنا بها ، هي المتأخرة عن هذا الجمع الرئيسي .

تجولنا في الوادي نبحث عن موقع ملائم لنعسكر فيه لقضاء الليلة وتمكنا من العثور على مساحة رميلة عند الطرف البعيد من النخيل على الجانب الأيمن . يوجد إلى جانب النخيل الكثير من أشجار الدومٍ ومجموعات من الباميتو المنخفض الارتفاع (حش) كان النطاق المائي لهذا الوادي قريباً جداً من السطح الذي انتشر فيه عدد من البرك المائية إلا أن ماءها كان مالحاً . أفادني مرشدي بأن الماء العذب يوجد على مسافة بعد مزارع النخيل ، وقد أفادتنا معلوماتهم هذه، بينما اقتنع التكرونيون أسفل من موقعنا هذا بما لديهـم[٢] . أزعج وصولنا إلى هذا الموقع مجموعة من طيور الغداف . كانت تعشش فوق أشجـار النخيل بينما وجدت طيور القطا متقاربـة الشرائط ، التي وصلت إلى الماء بعد الشفق كماهي عادتها ، إن مأواها المفضل قد وقع في أيدي البشر المتطفلين .

كان استقرارنـا في هذا المكان سريعاً لتنـاول وجبة من البيض والخبز والشاي ، في انتظـار قافلة العفشـ[٣] ، التي وصلت بعـد نصف ساعة . أخـبرني مرشدي أن طائرة الاستطـلاع التابعة لشركة التعدين السعودية العربية قـد حلقت فوق السماء إلى حدود البرك قبل فترة سبقت زيارتي ، ولكنها لم تهبط[٤] .

---

(١) وادي عمـق ، سبـق الإشـارة إليه في حاشية سابقة . هو مـن الأودية الرئيسيـة في محافظة البرك . وعمق حاليـاً مركزاً إدارياً رئيسياً في المحافظة، وفيه الكثير من الخدمـات الأهلية والحكومية ، ومكتظ بالأحياء والسكان.(ابن جريس) .

(٢) صـلات الأفارقة بساحل البحـر الأحمر الشرقي قديمة جداً ، تعود إلى عصور ما قبل الإسلام ، واستمرت تلـك العلاقـات خلال العصور الإسلامية المختلفة . وهذا موضوع مهم وكبير يستحق أن يدرس في عشرات البحوث العلمية الموثقة .(ابن جريس) .

(٣) تاريـخ الطعام والشراب في بلاد تهامة مـن مكة إلى جازان خلال القرون الماضية المتأخرة من الموضوعات الجيـدة والجديـدة التـي تستحق أن تدرس وتوثق في عدد من الكتـب والرسائل العلميـة ، والمصادر لهذا البحث . لن تكون صعبة مقارنة بالقرون الإسلامية المبكرة والوسيطة .(ابن جريس) .

(٤) كان الملـك عبدالعزيـز حريصاً على التعدين والبحث عن المعادن في دولتـه (المملكة العربية السعودية) ، والباحـث الأمريكـي تويتشل في كتابه (المملكة العربيـة السعودية وتطورات مصادرهـا الطبيعية) ، أورد الكثـير من التفصيـلات في هذا الكتاب الذي صـدر باللغة الإنجليزية عـام (١٩٤٧م) ، وترجم إلى اللغة العربية ونشر عام (١٩٥٥م) .(ابن جريس) .

تحركت جمال العفش صباح اليوم التالي في وقت مبكر عند الساعة السابعة صباحاً وتخلفت ومعي المرشدون مدة ساعة أخرى لدراسة المنطقة . ينحدر وادي عمق عبر الحرَّة ـ حقل حمم بركانية ـ في اتجاه غربي بصفة عامة من كتلة بازلتية عالية أو كتلة شست تسمى حمران على مسافة خمسة عشر ميلاً إلى داخل اليابسة . كان منفذها من عند الحمم البركانية يبعد بحوالي ثلاثة أميال عن البحر ، غير أن الحمم البركانية تكون في هذا الموقع خليجاً تقف عند حافته الشمالية ربوتان هما جلا وجليلة[١] . وتقومان بتحويل المجرى الرئيسي للوادي المنتشر الآن في اتجاه جنوب شرق ماراً بمعسكرنا إلى البحر . تكون هاتان الربوتان مفصلاً تتحرك فوقه الحمم البركانية إلى البعيد ناحية الشمال الشرقي وتتباعد عن طريقنا تدريجياً وبلطف ناحية أرض منخفضة تسمى حنيناً[٢] على بعد عشرة أميال أو أكثر إلى الشرق من حلي ، وهي القرية التالية ذات الحجم المعتبر التي تقع على طريقنا وعلى مسافة (١٢) ميلاً إلى الشمال أو الشمال الغربي من موقعنا[٣] . لم يكن هنالك ندى أثناء الليل وكانت درجة الحرارة الدنيا (٦٤) درجة إلا أنه يوجد إحساس بالرطوبة في الهواء ، كانت السماء لا تزال ملبدة بالسحب وكانت الرياح ساكنة ومختلفة على الرغم من أن الجو بدا بارداً[٤] .

استغرق خروجنا من الدلتا مدة عشر دقائق مررنا بعدها بمجرى ثالث للوادي ، ومررنا فوق حقول ذات متاريس صعبة تابعة لبني هلال ، الذين قاموا بزراعة هذه الأراضي بطريقة لا هدف لها . كما لم تكن لهم قرى في الوادي ، تبادلت مساحات من عشب الحلفاء مع مساحات من هذه المزارع كما كانت هنالك مجموعات قليلة لأشجار الدوم.

---

(١) الربوتان : ناحية رملية تبعد عن وسط البرك شمالاً حوالي (٣٥كم) ، يطلق على هذا المكان حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) الجليلا ، لايوجد فيه عمران ولا تنمية حديثة ، وتقع إلى الغرب من الطريق الدولي بعد بلدة عمق .(ابن جريس) .

(٢) حنينا : لم أجد من يرشدني إلى هذا المكان ، لكنه حسب وصف فيلبي يقع بعد وادي عمق .(ابن جريس) .

(٣) هذا الرحالة خلط في حديثه هنا ، فذكر بلاد حلي ، وسبق أن أخطأ أيضاً أثناء حديثه عن بلدة البرك وما حولها ، فقد ذكر هذا المكان أيضاً ، وحلي تبعد من البرك نحو الشمال (٧٠كم) ، ومن عمق والربوتان (الجليلا) من (٣٠ـ ٣٥كم) .(ابن جريس) .

(٤) الفاحص لمعظم كتب وبحوث فيلبي عن شبه الجزيرة العربية يجد أنها تشتمل على تفصيلات في جوانب تاريخية وحضارية عديدة يصعب أن نجدها في أي مصدر آخر. وكل كتاب من كتبه وبحوثه التي تجاوزت الخمسين دراسة تستحق أن تفرد في دراسة مستقلة وتفصيلية.(ابن جريس).

دخلنـا فيما يلي حافة الدلتـا إلى إقليم قبيلة الصوالحة [١] ، الذي يمتد حتى وادي شفقـة علـى بعد (٥) أو (٦) أميال فقـط إلى الشمال[٢] ، والتي تقـع فيما يليه أراضي حلـي . كان شريط المانجروف ، بين الحمم البركانية المتراجعة وساحل البحر التي كان الطريق يتبعها عن قرب إلى حلي ، يتداخل على أرض عامة من أودية رملية تتبادل الموقع مـع شرائط مـن سبخات حيث يدخل عدد من خطوط الصـرف من الحمم البركانية . كان سيرنـا مـن حين لآخر فوق رمل ثقيل وسهل بما فيه الكفاية فوق أرض ميتة يكسوها عشـب جاف. عبرنـا منخفضات كلٍ من القزيعـات وشعب الضـبر ووادي الحلفة[٣] في تتابـع سريع . كان ساحل البحر مليئاً بالسرطانات ، مسرعة إلى جحورها أو إلى البحر حـين اقترابنا إلى أرضـ استعراضاتها . دخلنا فيما يلي وادي اللهمـان [٤] ــ المنخفض التـالي ــ إلى أرض رمليـة ذات كثبان شبيهة بالأمواج تسمى دقدقـة [٥] ، مررنا بعدها إلى داخـل دلتـا وادي شفقة الذي يجري من الشمال الشرقـي إلى الجنوب الغربي عبر طريقنا ، وقد غطته غابة طرفاء وأراك ، يتخللها نبات الحلفاء وعشب الثمام بمساحات كبـيرة ، خاصـة على الجانب البعيـد لمجرى السيل الرملي الضيـق . لم تكن الصوالحة مأهولة بالمرة كما لم ألاحظ أي علامات للزراعة في منطقتهم ، وكانت من أكثر المناطق التي عبرناها كآبة وبؤساً[٦] .

---

(١) الصوالحـة: تعـرف حالياً بالسعيـدة ، وهي مركزٍ إداري يتبـع محافظة محايل عسـير ، وأهلها من قبائل منطقـة عسير ، وتأتـي بعد محافظة البرك شمالاً ، وهي آخر حدود منطقـة عسير التهامية الساحلية من الشمـال، يأتي بعدها بلاد حلـي التابعة إدارياً لمحافظة القنفذة. والباحث في بـلاد تهامة إدارياً في عصرِ الدولـةِ السعوديـةِ الحاليةِ قد يقـع أحياناً في أخطاءٍ غير مقصـودة ، وذلك لشدة تداخـل البلاد جغرافياً وإداريـاً وتنمويـاً وحضارياً من مكـة المكرمة شمالاً إلى منطقة جـازان جنوباً . <u>وهذا الموضـوع يستحق أن يدرس في عدد من البحوث العلمية من بداية القرن (١٣هـ/١٩م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)</u> .(ابن جريس) .

(٢) وادي شفقـة : أحـد المعـالمِ الرئيسية في الصوالحـة ، ومياهه تأتي من بعض مرتفعـات تهامة عسير ، ولم يصبـح هـذا الاسـم سائداً في وقتنا الحاضـر ، وصار الاسم المتـداول والمعروف (سعيـدة الصوالحة) ، أو (السعيدة).(ابن جريس) .

(٣) وادي الحلفـة : والاسـم الصحيـح (وادي الحلفـاء) ربما نسبـة إلى شجر الحلفاء الـذي يوجد في بعض نواحيه. يقع شمال مركز عمق ، وجنوب مركز سعيدة الصوالحة .(ابن جريس) .

(٤) وادي اللهمـان : تأتـي منابعه من الحرار الشرقية ، ويصب في البحر جنوب مركز سعيدة الصوالحة ، وهو واد صغير ، ومازال يعرف بهذا الاسمِ حتى الآن .(ابن جريس) .

(٥) هذه الكثبان الرملية يطلق عليها أيضاً بلاد أو وادي (الجويف) .(ابن جريس) .

(٦) هـذه البـلاد رملية ، وهـي الآن إحدى مراكز محافظة محايـل عسير الإدارية ، ووصـل إليها زحف التطور الحضاري الذي تعيشه عموم المملكة العربية السعودية . وهناك طريق مسفلت مازال العمل فيه جارياً بين حاضـرة محايل وبين سعيدة الصوالحة ، وعنـد اكتماله وافتتاحه سوف تتطور هذه الناحية أكثر وفي شتى الميادين لوقوعها على ساحل البحر الأحمر ، وأيضاً على الطريق العام الدولي.(ابن جريس) .

ثالثاً: رحلتي من الدرب إلى البرك في الفترة من (١٢ـ١٨/٣/١٤٤٣هـ الموافق ١٨ـ ٢٤/١٠/٢٠٢١م).

أولاً: مدخل:

وثقت في هذا المحور بعض التفصيلات عن رحلة ميدانية قمت بها في البلدان الممتدة من محافظة الدرب إلى محافظة البرك، استغرقت حوالي سبعة أيام دونت خلالها الكثير من الجوانب الحضارية التاريخية الحديثة والمعاصرة. ولا أدعي أنني كتبت كل شيء رأيته، أو سمعت عنه، أو وقفت عليه، لكنني أعتقد أني حفظت تاريخ ومعلومات معاصرة ومهمة. وأهميتها سوف تزيد مع تقادم السنين والأزمان.

ثانياً : رحلتي في محافظة الدرب (١٢-١٣/ ٣/ ١٤٤٣هـ) .

خرجت من مدينة أبها يوم الإثنين (١٢/٣/١٤٤٣هـ) سالكاً عقبة ضلع حتى وصلت جسر رجال ألمع[١] ، ثم دخلت محافظة الدرب من الجهة الشمالية ، وقضيت فيها يومين (١٢-١٣/٣/١٤٤٣هـ) أتجول في ربوعها ، وألتقي ببعض أعلامها ، وأدون شيئاً من تاريخها وحضارتها المعاصرة[٢] .

١- وقفة مع جغرافية الدرب الطبيعية والبشرية :

تتبع محافظة الدرب منطقة جازان ، وتقع في الجزء الشمالي من المنطقة ، وتبعد مدينة الدرب عن مدينة جازان حوالي (١٢٥- ١٣٠كم) [٣] . يحد المحافظة من الجنوب محافظة بيش ، ومن الشرق أجزاء من تهامة عسير كمركز مربة وغيره ، ومن الشمال أجزاء من محافظة رجال ألمع التابعة لمنطقة عسير ، ومن الغرب سواحل عسير ممثلة في مركز الحريضة [٤] . ومساحتها تزيد عن (٤٠٠٠ كم٢) ، وتتباين تضاريسها من جبال وهضاب ، وأودية، وسهول وسواحل[٥] .

أثناء ذهابي من جسر رجال ألمع إلى ناحيتي الشمال الغربي ، والجنوب الشرقي وجدت الطريق المسفلت في الاتجاهين يعد بنسبة كبيرة حداً إداريا بين منطقتي عسير وجازان ، وهناك العديد من الجبال والهضاب على جانبي الطريق ، وهي في الناحية العسيرية أكبر وأكثر ارتفاعاً [٦] .وبعد دخولي في أرجاء محافظة الدرب رأيت العديد

(١) هذه البلاد الممتدة من قمة عقبة ضلع إلى كبري رجال ألمع تتبع إدارياً وسكانياً منطقة عسير . وتهامة عسير عموماً من محايل ورجال ألمع شمالاً إلى أقصى تهامة شهران وقحطان جنوباً تستحق أن يوثق تاريخها في عدد من الكتب والبحوث العلمية .(ابن جريس) .

(٢) التقيت في هذين اليومين بالعديد من الأساتذة والمشرفين في مكتب التعليم بمحافظة الدرب . كما قابلت أعلاماً آخرين ساعدوني في جمع بعض المادة المعاصرة مثل: الأستاذ علي بن إبراهيم آل حمود ، وحسن إبراهيم شبير ، وموسى مكي عسيري وغيرهم . فلهم مني جزيل الشكر ، وأسأل الله لي ولهم الإخلاص في القول والعمل .(ابن جريس) .

(٣) هذا الذي عرفته أثناء سفري من الدرب إلى جازان مرات عديدة .(ابن جريس) .

(٤) موقع محافظة الدرب استراتيجي تحيط بها محافظات ومراكز متنوعة في تضاريسها وتركيبتها البشرية ، وأجزاء كبيرة منها تقع على ساحل البحر الأحمر. وهذه المحافظة (الدرب) لم تخدم في ميدان البحوث والدراسات العلمية ، وتستحق أن يوثق تاريخها وتراثها ، ومسؤولية هذا الأمر على أبنائها من الباحثين والمؤرخين ، وكذلك على جامعة جازان بكلياتها وأقسامها العلمية .(ابن جريس) .

(٥) إن الناظر في خارطة منطقة جازان يلاحظ أن محافظة الدرب من أكبر محافظات المنطقة مساحة ، ومن أكثرها تنوعاً في التضاريس.(ابن جريس) .

(٦) ذهبت شرقاً إلى ناحية الفطيحة والحقو وشاهدت تعدد الجبال الواقعة على هذا الطريق . أما الطريق الذاهب من جسر رجال ألمع إلى بلاد الحبيل في محافظة رجال ألمع فالجبال تقع قريباً من هذا الطريق

من الجبال متوسطة الارتفاع ، ومنها جبل الأخدع ، وجبل العكادين جنوب طريق الدرب ــ بيش .وعلى قمة جبل العكاد الكبير مضخة التحليـة الرئيسية ، وعلى العكاد الصغير استراحة البلدية) [١]

(*) كما عرفت بلاد الدرب العديد من الأودية المتفاوتة في مساحاتها وأهميتها التاريخية والجغرافية ، ومن أهمها :

أ ـ وادي عتود :

مـن أشهـر الأودية التي تبدأ مسائله من مرتفعات حاضـرة أبها ، ويعبر من شمال محافظة الدرب حتى جنوبها ثم يصب في البحر . ويقع على ضفاف هذا الوادي العديد مـن القرى والأحيـاء التابعة لمحافظة الدرب[٢] . وهو مـن الأودية المهمة لخدمة الحياة الزراعية في الدرب[٣].

ب ـ أودية بيض ، وعرمرم ، ورملان ، وريم ، وسمرة ، والسر :

كل هذه الأودية تسير في أراضي محافظة الدرب ، وتتفاوت في مساحاتها ، وتبدأ منابعها مـن سروات منطقـة عسير ، وبعضها مـن مرتفعات الأصـدار أوتهامة الشماليـة والشمالية الشرقية ، ويقع على أغلبها العديد من القرى والمواطن البشرية القديمة والحديثة[٤] .

ذكـر لي بعض الـرواة أن في الدرب العديد مـن الخبوت القديمـة ومازالت تحمل نفسـ الأسماء حتـى اليوم . ومنها: خبت البقر بين جنـوب المحافظة على طريق الدرب جـازان وبـين محافظة بيش . وخبت بن جبران في الشقيـق، وخبت القياس بين مدينتي

المعبـد ، وبعضهـا تتبـع محافظة الـدرب ، وأخـرى لمحافظة رجال ألمـع . المصدر : مشاهـدات الباحث في (١٢/٣/١٤٤٣هـ) (ابن جريس) .

(١) لم يشمـل توثيقي جميـع جبال ومرتفعات محافظة الـدرب ، ومازال هناك هضاب وجبـال عديدة جديرة بالدراسـة ، حبـذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس جغرافية وتاريخ هـذه المحافظة في عمل علمي مطول . (ابن جريس) .

(٢) هنـاك الكثـير من القـرى القديمة والحديثة علـى وادي عتود ، مثـل: قرية عتود ، وقريـة القضب ، وقرية رملان، وقرية الدرب القديمة والحديثة، والقائم الأعلى ، والغريف ، والقومة ، والكدرة وغيرها . إن دراسة التركيبة البشرية لمحافظة الدرب وحصر قراها القديمة والحديثة موضوع جديد يستحق التوثيق .

(٣) لم تعـد الزراعـة نشطة اليـوم في محافظة الـدرب ، وكان وادي عتود قديماً من الأودية غزيـرة المياه التي تخدم النشاط الزراعي في الدرب وكل البلدان الزراعية التي يمر عليها . ووادي عتود مذكور في بعض كتب التراث، ويستحق أن يدرس جغرافيا وتاريخيا في بحث علمي توثيقي .

(٤) شاهـدت أجـزاء من هذه الأودية في محافظة الدرب ، وسمعت عن أخـرى . وجميعها تأتي في المساحة بعد وادي عتود الذي يعد من أكبرها وأكثرها غزارة أثناء هطول الأمطار.

الدرب والشقيق شمال محطة التحلية تحديداً [١] . وهناك خبوت أخرى عديدة في شمال المحافظة ، وشرقها ، وقريباً من الحاضرة الرئيسية .

تتألف محافظة الدرب من مدن وقرى وأحياء كثيرة . فالدرب (المدينة) وبلدة الشقيق أكبر المستوطنات الحضارية والبشرية ، وسمعت بعض من قابلتهم يذكرون قرى وأحياء عديدة موزعة في أنحاء المحافظة ، منها: (١) الدرب القديمة . (٢) أم السبخ. (٣) القصبة . (٤) المسامير. (٥) أبو يحيى . (٦) عجيبي . (٧) الجبلين الجنوبي والغربي . (٨) منشبة . (٩) أبوالسداد. (١٠) الصنيدلي . (١١) أم الحنشان . (١٢) نخب . (١٣) المسمور. (١٤) الطائف. (١٥) بحرة الشمالية والجنوبية . (١٦) الصعقان . (١٧) السميرات. (١٨) بني هيجان . (١٩) أبوثور. (٢٠) جبر أبو العشر. (٢١) الراجحية . (٢٢) رملان المفش.(٢٣) الحرجة. (٢٤) القائم الأعلى والأسفل. (٢٥) العرق . (٢٦) الحصام الجنوبي .(٢٧) الزبارة . (٢٨) السواني. (٢٩) خليج الشعوف .(٣٠) حجلة . (٣١) الغريف . (٣٢) الأشول. (٣٣) هيجة رملان . (٣٤) الحصام الشمالي. (٣٥) الحمراء. (٣٦) هرمان. (٣٧)القاع . (٣٨) الرشة . (٣٩) الكرشة. (٤٠) القضب . (٤١) خبت بن جبران .(٤٢) الحروف. (٤٣) المحرق. (٤٤) سمرة الجد. (٤٥) رملان. (٤٦) زبارة الهجنبة [٢] .

مناخ المحافظة حار صيفاً معتدل شتاءً ، تسقط الأمطار في فصل الشتاء ، وأحياناً في فصل الخريف . ولا تخلو الدرب من شجيرات وأشجار برية مثل السمر ، والطلح وغيرها . كانت البلاد في السابق غنية بمزروعاتها وبخاصة الذرة والدخن ، واليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تراجعت الزراعة كثيراً ، وهناك من يزرع بعض الفواكه والخضروات. والثروة الحيوانية في الماضي أفضل بكثير مما هي عليه في وقتنا الحاضر، ومازال هناك من يربي ويقتني بعض الحيوانات الأليفة كالأغنام ، والإبل ، والأبقار. وشاهدت بعض الحيوانات السائبة ، وهي قليلة ، مثل الحمير والكلاب . وذكر لي أن بعض الأسر القليلة تقوم على تربية الخيول ، والغزلان ، وبعض الطيور كالدجاج ، والبط، والحمام . أما الحيوانات البرية فهي قليلة جداً ، كالذئاب ، والضباع ، والثعالب،

---

(١) عند إجراء بعض التعديلات الإدارية على الإمارات والمحافظات في المملكة العربية السعودية في العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) ، أطلق على بلاد الدرب والشقيق محافظة القياس ، وبعد عدة سنوات صار اسمها محافظة الدرب ، ومازالت تحمل هذا الاسم حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٢) لم آت على كل قرية أو ناحية أو حي في محافظة الدرب ، لكن هذا الذي استطعت جمعه ممن قابلت من أهل الدرب ، وسوف أذكر بعضها في سطور قادمة ، وبخاصة الأمكنة التي وقفت عليها أو مررت من حولها .

وأحياناً القرود ، وغالباً توجد في بعض المرتفعات أو الأرياف البعيدة عن الحاضرة [١] .

غالبيــة سكان محافظــة الدرب قبائل تنقســم إلى العديد مــن العشائر والفخوذ ، ويرأسهــم بعضــ الشيوخ الذين تعود لهــم قبائلهم . كان وضع القبيلــة في الماضي مهماً وحساســا ، فهي الآمرة الناهية في بلادهــا ، ومع التطور السياسي والإداري الذي تعيشه المملكــة العربيــة السعوديــة مــن منتصف القــرن (١٤هــ/٢٠م) حتى وقتنــا الحاضر (١٤٤٣هــ/٢٠٢١م) ، صــار هناك مؤسســات إدارية رسمية تدير شــؤون البلاد إداريا وحضاريــاً ، ومــازال شيــوخ القبائل لهم منزلــة جيدة في بلادهم ، فهــم إحدى حلقات الوصــل الرئيسيــة بين رجــال قبائلهــم ومؤسسات الدولــة الرسميــة . والجميع يعملون ويتعاونون على حفظ الأمن والاستقرار في عموم البلاد [٢] .

ممــا شاهدت وأنا أسير في نواحي الــدرب وجود الكثير من السعوديين الذين يمتلكون الدور والعقارات وغيرها . ومنهم السكان الأصليون لمحافظة الدرب ، فهم يعيشون في قراهم وأحيائهــم وحواضرهم . ويخالطهــم سعوديون كثيرون جاءوا من بلــدان عديدة في تهامة والســراة ، وأحياناً مــن حواضر ومدن أخرى في المملكة العربيــة السعودية . وأثناء زيارتي لعدد مــن المؤسسات الحكوميــة والأهلية ،وبعضــ الأمكنة الاقتصاديــة والحضارية رأيت أعــداداً كثيرة من سكان منطقــة عسير ، والبعض من سكان منطقتي نجران والباحة فهم يعيشــون بشكل دائم ، وأحياناً يترددون علــى بلاد الدرب . ويمارسون العديد من الأنشطة الاقتصادية ، ومنهم من يعمل في الإدارات الحكومية والأهلية ، ويمتلكون أملاكاً وعقارات كثيرة . وهناك شريحة ليست قليلة يعيشون في مواطنهم الرئيسية في بلاد السراة ، لكنهم يمتلكــون استراحــات ، ومزارع وعقــارات تجارية في أنحاء المحافظــة وبخاصة في مدينتي الدرب والشقيق، وعلى الطرق الرئيسية التي تربط محافظة الدرب مع غيرها [٣] .

---

(١) حاولــت خــلال يومين أن أجمع أكبر قدر من المادة العلمية عن الحياة الرعوية ، والزراعية وبعض الكائنات الحيــة الأخرى ، فزرت بعضــ الأسر ، وذهبت إلى الأسواق الشعبية ، وتجولــت في بعض نواحي المحافظة، لكننــي لم أعــثر على مــادة كبيرة في هذا البــاب . وربما كانت جائحــة كورونا (كوفيــد ١٩) من الأسباب الرئيسية التي أبقت الناس في منازلهم ، وعدم ممارسة حياتهم بشكل طبيعي .

(٢) إن التحول السياسي والإداري الذي مرت به البلاد خلال المئة عام الماضية ، ثم الآثار الإيجابية التي استفاد منهــا النــاس في شتــى الجوانب من الموضوعات الجديدة في بابها ، وحسب علمــي إلى الآن ، فلم تدرس في أعمــال علميــة توثيقية رصينــة . آمل من الجامعــات المحلية ممثلة في كلياتهــا ، وأقسامهــا ، وأساتذتها ، وطلاب الدراسات العليا أن يلتفتوا إلى هذا الميدان فيخدم دراسة وبحثاً .

(٣) يبدو أن بلاد الدرب أخذت اسمها من وقوعها على مفترق طرق رئيسية قديمة. مثل : طريق الدرب بيش صبيا جازان . وطريق الدرب أبها عبر واديي عتود وضلع . وطريق الدرب الشقيق البرك إلى القنفذة ثم مكة وجدة . وطريق الدرب رجال ألمع محايل المجاردة العرضيات إلى المخواة . وهذه الطرق القديمة أصبحت اليوم طرق مسفلتــة واسعــة وسهلة . وعند مشاهدتي للبلاد الممتدة من جسر رجال ألمع إلى الشقيق، وسيري على الطرق

وفي محافظة الدرب الكثير من العناصر البشرية غير السعودية . فمنهم العرب الذين جاءوا للعمل في مهن وقطاعات عديدة مثل اليمنيين ، والمصريين ، والسودانيين ، وهم كثيرون . وهناك بعض الأعداد القليلة من الأردنيين ، والفلسطينيين ، والتونسيين وغيرهم . أما الأجناس غير العربية فهم أيضاً يتفاوتون في أعدادهم ، وأكثرهم من البنجاليين ، والأحباش ، والهنود ، والباكستانيين ، والصوماليين . وأجناس أخرى أقل عدداً من دول إفريقية وآسيوية [(١)] ٠

إن أغلب السكان غير السعوديين من الرجال ، ومعظمهم يعملون في الحياة الاقتصادية وبعض المهن الاجتماعية والتعليمية والسياحية . ومنهم من يصطحب أهله من الذكور والإناث . وهناك فئات نسوية يعملن في قطاعات الصحة الحكومية والأهلية، وفي كليات التعليم الجامعي ، أو في بعض الخدمات المنزلية وغيرها [(٢)] ٠

٢ـ لمحات من الحياة الإدارية :

لم ندرس التاريخ الإداري لبلاد الدرب خلال العصر الحديث ، وهذا موضوع جديد يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية [(٣)] ٠ وإنما حديثي عن محافظة الدرب في

الذاهبة إلى جازان ، أو الفطيحة والحقو ، أو رجال ألمع ، ومحايل عسير . ثم دخولي بعض التجمعات السكنية في أحياء أبو السداد ، والقرى والأحياء الممتدة من مثلث الدرب إلى جسر رجال ألمع ، وأيضاً بلدة الشقيق فقد وجدت أكثر سكانها وبخاصة الشرائح العاملة في التجارة والمهن الاقتصادية الأخرى من أهل الجبال وبخاصة من سروات منطقة عسير ، ومن بلاد نجران . وإلى قبل أربعين عاماً كانت هذه الشرائح قليلة جداً، ومع التطور الحضاري والاقتصادي زادت أعدادهم حتى صاروا يقدرون بالآلاف . المصدر: مشاهدات الباحث ومعاصرته لهذه التطورات الحضارية من عام (١٣٩٦ـ ١٤٤٣هـ/١٩٧٦ـ ٢٠٢١م) ٠

(١) زرت الكثير من الأسواق والورش والمحلات التجارية الواقعة على الطريق الممتد من جسر رجال المع إلى الشقيق ، ومن مثلث الدرب إلى واديي رملان وسمرة قريباً من محافظة بيش ، وشاهدت الكثير من هذه الأجناس . وبعض العناصر اليمنية والإفريقية تمثل نسبة كبيرة من سكان المحافظة . ودراسة التاريخ السكاني والبشري لمحافظة الدرب خلال الثلاثة قرون الماضية موضوع جديد يستحق أن يوثق في عدد من الكتب والبحوث العلمية ٠

(٢) هذا الذي شاهدته في مستشفى الدرب الحكومي في (١٢ـ١٣/٣/١٤٤٣هـ) ، وفي بعض المراكز الصحية الأهلية الأخرى . وذكر لي أن في الكلية الجامعية التابعة لجامعة جازان في محافظة الدرب عدد من عضوات هيئة التدريس ، ومعظمهن من الجاليات العربية ، كبلدان شمال إفريقيا ، ومصر ، والسودان ، ودول شرق وجنوب شرق آسيا ٠

(٣) معظم سكان الدرب من قبيلة بني شعبة ، يخالطهم قبائل وعشائر أخرى . لعبت هذه البلاد دوراً سياسياً وحضارياً منذ القرن (١٠هـ/١٦م) ، وهناك بعض المصادر اليمنية والحجازية ، وعربية وأجنبية أخرى أشارت إلى شذرات من الحياة السياسية والحربية في هذه الديار خلال القرون الخمسة الماضية . وسكانها وقبائلها يعيشون في أوطانهم منذ قرون عديدة .ومازال هناك الكثير من الوثائق غير المنشورة التي تحتوي على مادة علمية عن أرض وسكان هذه الأوطان منذ نهاية القرون الإسلامية الوسيطة حتى وقتنا الحاضر. آمل أن نرى مؤرخاً أو باحثاً جاداً يدرس تاريخها السياسي والحضاري منذ القرن (١٠هـ/١٦م) حتى الآن، ومن يفعل ذلك فسوف يطلعنا على مادة علمية جديدة ٠

الوقت الحاضر، فهي محافظة من فئة (أ)، فيها العديد من المؤسسات الإدارية والأهلية ، معظمها في المدينة الرئيسية الدرب ، ومن تلك الإدارات ما يلي:

أ ـ إدارة المحافظة :

تقع في مبنى مستأجر على الطريق العام (الدولي) الدرب الشقيق البرك جدة . تتكون العمارة من دورين مستأجرة مع ملاحقها من مكاتب ، وأحواش محدودة المساحة، ومرافق أخرى . ويعمل فيها حوالي (١٠ – ١٥) موظفاً[١] .

ب ـ المحاكم الشرعية وكتابة العدل :

تقع المحاكم في مبنى حكومي من دور واحد في حي أبو السداد . وكتابة العدل في عمارة مستأجرة من دورين في نفس الحي . ويعمل في الإدارتين أكثر من عشرين موظفاً[٢] .

ج ـ مكتب التعليم :

يتكون من عمارتين حكوميتين وهما مبنيان مستقلان في حي بحرة ، أحدهما للرجال ، وآخر للنساء ، وهما مبنيان متقاربان في المكان ، ويتكون كل منهما من دورين بمرافقهما[٣] .

د ـ المستشفى العام ومراكز الرعاية الأولية :

مستشفى الدرب العام يقع وسط حي أبو السداد ، مبنى حكومي من دورين ، طاقته (٥٠) سريراً . ومكانه مزدحم لما يحيط به من العمارات السكنية ، وكذلك الطرق المؤدية إليه مازالت ضيقة وتحتاج إلى توسعة. وهناك مستشفى جديد سعته (٢٠٠) سرير على الطريق الدولي من الدرب إلى البرك فالقنفذة ، مازال العمل فيه جارياً ، وقد ينتهي تشييده قريباً. هناك خمسة مراكز رعاية أولية . اثنان في مدينة الدرب ، أحدهما وسط المدينة حكومي مكون من دور ونصف ، والثاني في عمارة مستأجرة بحي أبو السداد مكون من دورين . وثلاثة مراكز أخرى حكومية تتكون من دور ودورين في مراكز عتود ، والشقيق، ومنشبة[٤] .

---

(١) زيارة الباحث ومشاهدته يومي (١٢ـ١٣/٣/١٤٤٣هـ) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) زرت مبنى الرجال في (١٢/٣/١٤٤٣هـ) ، والتقيت ببعض المشرفين والموظفين الذين ساعدوني في الحصول على بعض المعلومات والتفصيلات عن المحافظة وسكانها .

(٤) وقفت على بعض هذه الإدارات وبخاصة مستشفى الدرب العام في أبو السداد ، ومركز الرعاية أيضاً . وتاريخ الصحة والخدمات الطبية في عموم منطقة جازان موضوع لم يدرس ويوثق تاريخه من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، آمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا الموضوع في كتاب أو رسالة علمية .

هـ - المدارس الحكومية ، وإدارات الهلال الأحمر، ومكافحة المخدرات، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبريد ، والضمان الاجتماعي :

تجولت في عموم المحافظة ، وشاهدت جميع مدارس التعليم العام (بنين وبنات) في عمائر حكومية مسلحة، تتراوح أدوارها من دور واحد إلى ثلاثة أدوار . وإدارة الهلال الأحمر في حي الغريف جنوب المحافظة في عمارة مستأجرة مكونة من دورين . وإدارة مكافحة المخدرات في حي بحرة في مبنى مستأجر من دورين. وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مبنى حكومي في مخطط الإسكان جنوب المحافظة ، على طريق الدرب جازان[1] . يتكون من طابقين وملاحقهما . وإدارة البريد وسط مدينة الدرب في عمارة مستأجرة من دور واحد . والضمان الاجتماعي في مبنى حكومي من طابقين في حي أبوالسداد[2] .

و - إدارات الشرطة ، والمرور، والدفاع المدني ، ومركز مكافحة نواقل الأمراض، وإدارة المساجد ، والأحوال المدنية :

تقع إدارة الشرطة في مبنى حكومي من ثلاثة طوابق في حي الحمراء المعروف سابقاً بقرية (المسامير) . والمرور في عمارة مستأجرة من دورين شرق المحافظة في حي الغريف . وإدارة الدفاع المدني في عمارة حكومية من دورين بحي أبو السداد .ومركز مكافحة نواقل الأمراض في مبنى حكومي من دور واحد في مخطط الدوائر الحكومية. وإدارة المساجد في حي أبو السداد في عمارة مستأجرة مكونة من طابقين . وإدارة الأحوال المدنية في مبنى مستأجر وسط الدرب على الشارع العام[3] .

ز - إدارات البلدية ، وحدة كهرباء الدرب، وفرقة المجاهدين، وإدارة البيئة والمياه ، ومركز الدعوة والإرشاد، وكليات التعليم العالي :

مبنى بلدية الدرب حكومي ، من أجمل عمارات المحافظة ، على طريق الدرب

---

(١) يعرف هذا المخطط بالإسكان الجديد ، ويسمى مخطط الدوائر الحكومية ، فيه العديد من العمارات الحديثة والجديدة في تصاميمها وديكوراتها .

(٢) التاريخ الإداري لمحافظة الدرب خلال الستين عاماً الماضية (١٣٨٠_ ١٤٤٣هـ/ ١٩٦٠_ ٢٠٢١م) موضوع جديد يستحق الدراسة والتوثيق في عمل علمي تفصيلي .

(٣) لم أسهب في الحديث عن كل إدارة من حيث طاقمها البشري، وأنشطتها لخدمة الأرض والناس. وهذه المحاور التي أسردها في هذه الرحلة تعد فقط مفاتيح أولية لمن يرغب توثيق تاريخ هذه المؤسسات الإدارية المتفاوتة في تواريخها وجهودها الحضارية . كما أن توثيقي لم يشمل كل المؤسسات الإدارية والأهلية في عموم المحافظة .

جـازان ، في مخطـط المملكـة جنوب المحافظة ، يتكـون من ثلاثـة أدوار كبيرة ، يحيط بـه العديـد من المرافق الخدماتية، وعلى مقربة منه حديقـة متوسطة المساحة . ووحدة الكهربـاء في عمـارة بحـي أبو السداد مكونة مـن دورين . وفرقـة المجاهدين في عمارة مسلحة بقرية المسامير (حي الحمراء حالياً) مكونة من دورين . وإدارة المياه في مبنى حكومـي مسلـح مكون من دورين بحي أبـو السداد . ومركز الدعـوة والإرشاد في عمارة مكونـة مـن طابقين في حي أبـو السداد . والكليـة التقنية للبنين في مبنـى حكومي كبير جنـوب المحافظة على طريق الدرب جازان. وكلية البنـات الجامعية على الطريق الذي يسير من جسر رجال ألمع إلى الدرب ، في عدد من العمائر المستأجرة ، مكونة من طابق وطابقـين . وشاهدت عمارات من دورين على طريق الدرب جازان، مازالت غير مكتملة عمرانيا ، ذكر لي أنها مقر كليات البنات الجامعية ، ويقال إن عمارتها متوقفة منذ عدة سنوات ، ولا أعلم ما هو السبب ؟ [١] .

ح ـ جمعيات ، ولجان ، ومؤسسات أهلية :

مـن الجمعيـات في الدرب ، جمعيـة البر الخيرية ، تقـع في دور حكومي واحد بحي أبوالسداد. وجمعية تحفيظ القرآن الكريم في عمارة مستأجرة من دورين وسط المدينة. ولجنة التنمية الاجتماعية الأهلية في عمارة ملك للشؤون الاجتماعية مكونة من دورين في حي أبو السداد . وفي المدينة ثلاثة فروع لبنوك الراجحي ، والأهلي، والبلاد ، بالإضافة إلى خدمات تحويلات سريعة لبنكي الأهلي والراجحي . وجميعها تقع على الشارع العام (الدولي) من الدرب إلى القنفذة وجدة[٢] .

(*) يتبع محافظة الدرب أربعة مراكز حكومية ، وهي على النحو الآتي :

١ـ مركز الشقيق :

الشقيـق بـلاد قديمـة ، لها ذكر في بعض المصـادر والوثائق الحديثـة ، تبعد عن حاضـرة الـدرب على طريق الدرب الـبرك القنفذة حوالي (٢٥كـم) تحتل حاضرتها

---

(١) أشـرت في المحـور المدون أعلاه إلى عدد من المؤسسات الإداريـة . وكل مؤسسة تستحق أن يفرد لها دراسة مستقلة . ومن خلال ترددي على منطقة جازان منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) وجدت أنها بلاد ذات تاريـخ وإرث حضـاري كبير، تستحق أن تدرس ويوثق موروثها في عشرات البحوث . واليوم ـ والله الحمد ـ يوجـد في جامعـة جازان عشرات الأقسام والكليات ، وأعداد كثيرة من الأساتذة والباحثين، وعليهم جميعاً مسؤولية خدمة هذه البلاد العريقة في تاريخها وحضارتها ومواردها الطبيعية والبشرية .

(٢) مـا تم الإشـارة إليه من التاريخ الإداري بمحافظة الدرب ، هـو فقط شذرات مختصرة ، على أمل أن تكون هـذه الوقفـات عوامل مساعدة لمن يرغب دراسة تاريخ التنمية الحديثة في عموم منطقة جازان ، فهي بلاد تستحق أن تدرس وتخدم بعشرات الأعمال البحثية التوثيقية الرصينة.

الواجهة البحرية بين الدرب والحريضة ، تمتد أراضيها في الداخل حتى المرتفعات الساحلية الواقعة ضمن محافظتي محايل ورجال ألمع . ومساحة مدينة الشقيق الرئيسية حوالي (٥×١٥كم٢) [١] .وتضم الأجزاء الدنيا للوديان القادمة من المرتفعات التهامية الساحلية الواقعة بين واديي عتود وحلي، مثل: أودية ريم ، وعرمرم ، ونهب . وكون هذه المجاري صغيرة ، لكنها كونت مساحات متفرقة من رسوبيات الطمي حواليها ، وهذا مما ساعد على وجود حياة مستقرة تعتمد على الزراعة بالإضافة إلى مهنة الرعي[٢] .

وبلدة الشقيق حاضرة متمدنة ، تقع قريباً من مصب وادي ريم ، وتحديداً على جانبه الأيسر ، كان يمر منها الطريق الساحلي القديم ، ويجتازها حالياً الطريق العام الدولي الذي يربط منطقة جازان مع القنفذة وجدة ومكة المكرمة . ويتبع الشقيق قرى عديدة منها: ساحل العلاطة ، والصقعان ، وحلة ابن هيجان ، والحصام على الجانب الأيمن من الوادي ، وفي الناحية الشمالية الشرقية قرى القاع ، وخبت بن جبران ، والجعافرة ، والصنيدلي ، وعجيبي. وهناك بعض القرى الصغيرة في الناحية الشمالية الغربية مثل: المسمور ، والسواني[٣] .

من خلال اطلاعي على بعض الوثائق والمدونات ، ومقابلتي بعض الأفراد في منطقتي عسير وجازان علمت أن بلاد الشقيق كانت في السابق غنية جداً بالزراعة وما ينبت في أراضيها من ثمار ومحاصيل زراعية ، وكان الناس يفدون إليها من كل مكان وبخاصة من بلاد محايل ورجال ألمع وما حولها ، من أجل العمل مع أهلها في مزارعهم شهوراً عديدة ، والاستفادة مما تجود به أراضيهم من حبوب وخيرات زراعية [٤] . والذاهب في

---

(١) لبلاد الشقيق أودية وعمق داخلي يصل إلى جبال محايل ورجال ألمع ، ومعظم سكانها في تلك النواحي قبائل عربية يسكنون ديارهم منذ مئات السنين ، ومازالت الحياة الريفية تغلب على حياتهم في الأودية والجبال البعيدة عن بلدة الشقيق الرئيسية. وديار الشقيق تستحق أن تدرس في عمل علمي توثيقي خلال القرنين الماضيين (١٣-١٤هـ/ ١٩- ٢٠م) .

(٢) إن الذاهب من بلاد الدرب والشقيق نحو مرتفعات تهامة منطقة عسير في محايل ورجال ألمع يلحظ وجود الأراضي الزراعية الكثيرة ، وبعض الجبال والهضاب والمجاري المائية الصالحة لمزاولة الحياة الرعوية . وكانت هاتان الحرفتان (الرعي والزراعة نشيطتين في القرون الماضية، لكنها تراجعت في العقود الماضية المتأخرة . والبلاد الداخلية في الأجزاء التهامية الممتدة من تهامة الطائف إلى تهامة عسير جديرة بالبحث والدراسة في عدد من البحوث العلمية .

(٣) جمعت هذه المعلومات من بعض أعلام مركز الشقيق في (١٣/٣/١٤٤٣هـ) ولم أحصر كل قرى ونواحي بلاد الشقيق ، لكنني أشرت فقط إلى بعضها، ومدينة الشقيق إحدى مدن منطقة جازان الحديثة ، ورد ذكرها في عدد من كتب التراث الإسلامي الوسيط ، ثم جرى على أرضها أحداث سياسية وحربية في العصر الحديث فذكرت بشكل أوسع في الكثير من المصادر والمراجع والوثائق . ويذكر أنها كانت في أوقات سابقة ميناءً بحرياً حربياً وتجارياً . وهذه البلدة تستحق أن تدرس في بحث أو رسالة علمية .

(٤) دراسة بلاد الشقيق زراعيا في القرون الماضية موضوع جديد يستحق أن يدرس ويوثق في عمل علمي مطول وعميق .

أرجـاء الشقيق حالياً يتضح له غنى تربتها ، ووفرة مياهها وتنوع نباتاتها. لكنها لم تعد اليوم أراضي زراعية كبيرة كما كانت في السابق ، وإنما صارت وجهة سياحية بامتياز ، فيوجد فيها الوقت الحاضر عشرات المنتجعات السياحية ، بالإضافة إلى جمال شواطئها وصلاحيتها للاستثمارات السياحية المختلفة [١].

أثناء زيارتي الدرب والشقيق يومي الإثنين والثلاثاء (١٢ـ ١٣/٣/١٤٤٣هـ) ، رأيت الشـارع العـام الدولي الذي يخرج مـن مدينة الدرب تجاه بلدة الشقيـق عرضه تقريباً (٥٠م) . وفي بلـدة الشقيـق تقع معظـم المحلات والأنشطـة الاقتصادية علـى الشارع الرئيسي الدولي . يتوسط المدينة إشارة ضوئية تتقاطع مع شارع الأمير محمد بن ناصر آل سعود الذي يسير من وسط البلدة إلى شاطئ البحر ، ويوازيه شارع آخر باسم الملك فهـد بن عبدالعزيز آل سعـود ، ويتقاطع الشارعان قريباً مـن الشاطئ مع شارع يحمل اسم الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود . وهذه الشوارع الثلاثة أكبر الطرق المسفلتة في مركـز الشقيق وعرضها يـتراوح بين (٤٠ـ ٦٠م) . ويوجد علـى جوانبها الكثير من الخدمات الحضارية والتنموية [٢].

تأتي بلدة الشقيق في المرتبة الثانية بعد مدينة الدرب من حيث توفر بعض المؤسسات الحكوميـة والأهلية. فإدارة المركز في مبنى مسلح مستأجر يتكون من دور واحد وإدارات أخرى عدية على شارع الأمير محمد بن ناصر مثل: الشرطة والدفاع المدني ، وكل مؤسسة في دورين حكوميين . والبلدية على الشارع نفسه قريباً من شاطئ البحر في مبنى حكومي كبـيرا يتكون من ثلاثة أدوار وعدد من المرافـق . وإدارات هيئة الأمر بالمعروف والمنكر ، وحرس الحدود ، وفـرع البيئة والمياه ، وكل مؤسسة في عمارة مسلحة من دور أو دورين . ومركـز الرعاية الأولية في مبنى حكومي من دوريـن [٣]. وفي الشقيق محطة تحلية المياه

---

(١) أعـرف بـلاد الشقيـق بـلاداً سياحية ممتازة منـذ تسعينيـات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، فكانـت الشواطئ السياحيـة الرئيسية لسكان السروات وبخاصة أهالي بلاد عسير ونجران . وخلال الخمسين عاماً الماضية (١٣٩٠ـ ١٤٤٣هـ/١٩٧٠ـ ٢٠٢١م) جرى على أرضها الكثير مـن التطورات السياحية والتنموية . وبعد أن صـارت الحريضـة مركزاً من مراكز منطقة عسير منذ العقد الثاني في هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م) صارت هي الأخرى منافسة لبلاد الشقيق . والساحل من الدرب إلى القنفذة يستحق أن يخدم ويستثمر في ميدان السياحيـة ، وإذا حصـل ذلـك ، فالعائدات الاقتصادية من هـذا المجال سوف تكون كبـيرة ومربحة على المستويين العام والخاص الرسمي والأهلي .

(٢) إن الباحـث في مجـال التطور والتنمية الـذي تعيشه المملكـة العربية السعودية منذ خمسـين عاماً يجد أن تطويـر الأرض والإنسـان وصل إلى كل مكان . وهذا يعكس ما تبذله هذه الدولـة المباركة (المملكة العربية السعودية) من خدمات كبيرة وجليلة لعموم السكان والمجتمع السعودي (ذكوراً وإناثاً) .

(٣) لم يشمـل حديثـي كل الإدارات الحكوميـة والأهليـة في مركز الشقيق ، وإنمـا أشـرت إلى المؤسسات التي وقفـت عندهـا وشاهدتها ، وهناك العديد من الخدمات الخاصة مثل بعض المراكز الصحية ، وفرع شركة الكهرباء ، وبعض البنوك التجارية .

التــي تعد من أكبر المحطـات في المملكة العربية السعودية ، ومياهها تغذي مناطق كثيرة في جنوب المملكة العربية السعودية وبخاصة في منطقتي جازان وعسير[١] .

٢ـ مراكز عتود ، وريم ، وسمرة :

يقع مركز عتود جنوب غرب محافظة الدرب ، يبعدٍ عن وسط مدينة الدربِ حوالي (٢٢ـــ ٢٥كم) . يمتد هذا المركز بين مركز الشقيق شمالاً إلى وادي بيض جنوباً. يشتمل على عدد من القرى مثل: عتود ، والحروف، والقضيب ، والعرق ، والسميرات. ويستوطنه عــدد من البطــون القبلية . واسم عتود ينسب إلى وادي عتــود ، الذي ورد ذكره في عدد مــن المصادر الإسلامية المبكرة ، والوسيطة ، وذكره بعض الشعراء الأوائل والمتأخرين. ومساحــة المركــز تقدر بـ (٤ ×١٢كم) . يوجـد فيه بعض المؤسســات الإدارية ، كإدارة المركــز في مبنــى مستأجر مــن دورين ، ومركز الرعايــة الأولية في عمــارة حكومية من طابقــين ، ومركــز خدمات البلديــة في دور مسلح حكومي . وهنــاك العديد من مدارس التعليم العام في أبنية حكومية مسلحة[٢] .

يقــع مركــز ريم شمال محافظة الــدرب ، على طريــق رجال ألمع ، يبعــد عن وسط مدينــة الدرب حوالي (٣٠كم) ، يتبعه قرى عديدة ، مثــل: السبلة ، وجندلة ، والرهوة ، والحمّــة ، والمفــرق ، وأمسيول ، ومجاليل ، وجمحان وغيرهــا . ويسكنه حوالي (٢٥٠٠) نسمــة . تتميز القرى التابعة للمركز بطبيعة خلابــة متمثلة في بعض الأودية والمرتفعات والسهــول ، ومعظــم قرى هــذه الناحية تقع ضمــن مرتفعات تهامة عســير ذات الغطاء النباتــي الكثيــف . وفي المركز عدد مــن المؤسسات الحكومية ، مثــل إدارة المركز في دور مستأجر ، وفرقة للمجاهدين في عمارة مسلحة من دور ونصف[٣] .

---

(١) شاهــدت محطــة تحلية المياه بين الــدرب والشقيق ، وهــي ضمن أراضــي مركز الشقيق. والــذي سعى في وجودهــا ، وبــذل جهــوداً كبيرة في تأسيسهــا هو الأمير خالد الفيصــل آل سعود ، أمــير منطقة عسير منذ تسعينيــات القــرن (١٤هـ/٢٠م) إلى عشرينيات هــذا القرن (١٥هـ/٢٠م) فقــد أدرك صعوبة الحصول علــى ميــاه الشرب في منطقة عســير وبخاصة الأجزاء السرويــة ، لهذا عمل واجتهــد في بداية هذا القرن (١٥هــ/٢٠م) علــى إنشاء محطة تحلية على شاطــئ البحر الأحمر ، وقد نجح في تحقيــق هذا المشروع . ومحطة التحلية في الشقيق اليوم تدار من إدارتها الرئيسية في الشقيق وأبها ، وتتبع المؤسسة العامة لتحلية الميــاه وتخــدم بلداناً كثيرة في منطقتي عسير وجازان . تاريخ تحلية المياه في الشقيق موضوع جديد يستحق أن يدرس ويوثق في عدد من البحوث العلمية .

(٢) وناحية منشبة : إحدى نواحي محافظة الدب ، قريبة من مركز عتود ، وفيها بعض المؤسسات الحكومية في أبنية رسمية وأخرى مستأجرة .

(٣) مركــز ريم من المناطق البريــة السياحية الجميلة ، يرتاده الكثير من الســواح في الدرب وبعض محافظات عســير التهاميــة . وفيه مواقــع ذات إطلالات جميلــة على بعض سهــول تهامة ، وفيه الكثير مــن النباتات والأشجار المتنوعة في أحجامها ، وأشكالها ، وفوائدها .

مركــز سمــرة نسبــة إلى وادي سمــرة على الطريق الــذي يصل محافظــة الدرب بمحافظة بيش[١] ، هذا المركز حديث النشأة ، يبعد عن مدينة الدرب حوالي (٢٥كم) ، يوجـد فيـه بعض المدارس الحكوميــة ، وإدارة المركز في مبنى مستأجـر مكون من دور واحد. وإدارة حرس الحدود في عمارة حكومية من طابق واحد[٢] .

٣ـ التاريخ العمراني والتنموي :

كانت بلاد الدرب إلى عهد قريب تكثر فيها بيوت القش ، ولا تخلو من البيوت المبنية بالأحجـار أو اللبن[٣] ، ومن بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأ العمران الحديث يغزو أجـزاء عديـدة منها. وأثنــاء سيري في الطريق العــام الذي يسير من جســر رجال ألمع إلى وسـط المدينة شاهدت العديد من المخططات العشوائية والمستوطنات البشرية التي تحتضــن مئات العمائر الحديثة المسلحة . فبعد جسر رجال ألمع مباشرة يأتي على يمين الخـط حي المديري ، بعـده مخطط الكدرة علــى يسار الشارع ويمينــه ، ثم حي القرار علــى اليسار. وفي حاضرة الدرب، قرى وأحياء القائمين الأعلى والأسفل ، وبحرة ، وأبو السداد ، وأبويحيى وجميعها شمال الخط الرئيسي[٤] .

مــن جسر رجال ألمع يسير الطريق في الجهة الشماليــة الغربية إلى بلاد رجال ألمع، وفي الجنــوب الشرقــي إلى ديــار الفطيحة والحقــو، وإلى الجنوب أو الغــرب من الشارع تأتــي بلاد وسهــول تهامية تابعة لمحافظة الدرب وغيرها. وفي هــذه الديار مزارع وبعض المستوطنات السكانية .وعند مثلث الدرب يستمر الطريق بشكل مستقيم حتى الشقيق وما بعدهــا . وقبل مدينة الشقيق يخــرج الطريق الدولي الجديد القادم من حواضر الحجاز إلى جــازان واليمن . ومن المثلث أيضاً ينحرف الطريق إلى مدن بيش ، وصبيا ، وجازان. وعلى هذا الطريق وقريب منه قرى وأحياء عديدة بعضها قديمة ، وأخرى حديثة[٥] .

---

(١) وادي سمــرة، واد صغير شمــال منطقة جازان بين محافظتي بيش والدرب، يسكنه بعض القبائل التي تعود في نسبهــا وأحلافهــا إلى بلاد الدرب، يلتقي هذا الوادي مــع وادي بيض ، ثم يصبان في البحر . المصدر : مشاهدات الباحث يوم الثلاثاء (١٤٤٣/٣/١٣هـ) .

(٢) بلاد جازان بما فيها محافظة الدرب مازالت تستحق العديد من الدراسات الحضارية التي ترصد صفحات من تاريخها عبر أطوار التاريخ . والأمل في جامعة جازان وكلياتها وأقسامها العلمية فتدعم وتشجع إنجاز مثل هذه الأعمال العلمية التوثيقية .

(٣) للمزيـد مــن التفصيلات عن العمارة في عسير وجــازان انظر غيثان بن جريس . عســير : دراسة تاريخية في الحيــاة الاجتماعيــة والاقتصادية (١١٠٠ــ ١٤٠٠هـ/١٦٨٨ــ ١٩٨٠م)، ص ٣٧ــ ٥٧ . وفي موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢٤مجلداً) مادة علمية كثيرة متناثرة عن العمارة الحديثة والقديمة ومرافقها .

(٤) قمت بجولة في هذه الأحياء لبضع ساعات يومي الإثنين والثلاثاء (١٢ـ ١٤٤٣/٣/١٣هـ) .

(٥) ذهبت في هذين الطريقين إلى الشقيق ، وإلى حدود محافظة بيش وشاهدت عدداً من الأحياء والقرى مثل: حي الحمراء

ذهبت إلى قرية الدرب القديمة وسط المحافظة في (١٤٤٣/٣/١٣هـ) ، فوجدت مساحتها لا تزيد عن (١×١كم) ، ويحدها من الشمال وادي عتود ، ومن الجنوب قريتي أبو ثور والكد ، ومن الشرق والغرب أراضي زراعية متنوعة المساحات . وهي القرية التي أشار إليها بعض رحالة القرن (١٤هـ/٢٠م) مثل الحاج عبدالله فيلبي وغيره .كانت معظم بيوتها في السابق من العشش ، واليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) جميع بيوتها عمائر مسلحة من دور واحد إلى ثلاثة طوابق . وعدد منازلها تتراوح من (١٥٠- ٢٠٠) منزلاً، وتتخللها شوارع مسفلتة ضيقة . ويتصل بالقرية طريقين أحدهما يتفرع من الشارع العام بين الدرب والشقيق ، ويجتاز وادي عتود . والطريق الآخر يتفرع من طريق الدرب بيش ويسير من حي الحمراء (المسامير) حتى وسط القرية ، وذكر لي أن عدد سكانها يتجاوزون الأربعة آلاف نسمة[(١)] .

انتقلت إلى حي أبو السداد شمال مدينة الدرب شمال الطريق العام ، فوجدته من أكبر أحياء محافظة الدرب الحديثة ، ومن أقدمها . وذكر لي بعض الرواة أن معظم منازله في السابق كانت من القش والأشجار ، وبدأ العمران الحديث فيه خلال العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) . ويغلب على أبنية هذا الحي تعدد الأدوار ، واتساع الشوارع ، وكثرة المرافق والخدمات . ويوجد فيه حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) مؤسسات إدارية عديدة مثل مقر المحافظة ، والمستشفى الحكومي ، ومكتب التعليم وغيرها[(٢)] .

(*) إن الطرق المعبدة والمسفلتة من أفضل المشاريع التنموية والحديثة التي ساعدت في تطوير محافظة الدرب. ومن أهمها :

أ- طريق أبها الدرب الشقيق ، والدرب بيش صبيا جازان :

هذا الطريق قديم في تاريخه ، فقد استخدم خلال القرون الماضية عندما كان ضيقاً وصغيراً فلا يسلكه إلا المشاة والدواب . ومنذ العقود الأخيرة في القرن (١٤هـ/٢٠م) بدأ العمل فيه حتى يكون مسلوكاً بالآلات والسيارات. واستغرق إنجازه سنوات كثيرة ، لكنه

(المسامير قديماً) ، والغريف ، والجبلين ، ورملان ، ومنشبة ، والردحة وغيرها . ولم آت على كل أحياء وقرى حاضرة الدرب وما حولها ، لكنني وقفت عند بعضها ، وسألت بعض أعلام تلك البلاد عن أسمائها ، وشيئاً من تاريخها .

(١) زرت هذه القرية يوم الثلاثاء (١٤٤٣/٣/١٣هـ) وتجولت في أرجائها ، ورأيت عماراتها المسلحة ، ومازال فيها بعض البيوت الشعبية القديمة المسكونة ، وبعضها مهجور . والغالب على القرية التخطيط العشوائي القديم ، فهي ضيقة في طرقها ، ومنازلها متلاصقة بعضها ببعض ، وتحيط بها الأراضي الزراعية من عدة جهات .

(٢) أسمع بهذا الحي منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، فلا يذكر الدرب إلا ويرد اسم حي أبو السداد. وفيه الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) مئات العمارات والمرافق المتنوعة من مدارس ، ومؤسسات حكومية ، ومقابر، ومحلات ، وعمارات سكنية خاصة وتجارية . ويبدو أنه أطلق عليه اسم (أبو السداد) نسبة إلى شجر السداد الذي كان موجوداً فيه بكثرة . وسكانه من قبائل الدرب ، وبينهم أعداد كثيرة من أهل السراة الذين اشتروا الكثير من العقارات والأراضي وعمروها واستثمروها .

لم ينته القرن الهجري الماضي إلا وأصبح مطروقاً إلى أبها ، أو جازان . وبلاد الدرب من المحافظـات الرئيسية لهـذا الطريق . ثم تطور تشيده وتمهيده وتطويـره حتى صار اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) شارعاً كبـيراً مزدوجاً يتراوح عرضة من (٣٠ـ ٦٠م) [١] ٠ والشارع الذي يسير من جسر رجال ألمع إلى مثلث الدرب ثم يتجه غرباً إلى الشقيق يتفاوت عرضه مـن الثلاثين إلى الخمسين متراً ، وربما زاد في بعض الأمكنة . والوضع نفسه على الشارع الـذي يخرج من المثلث إلى بيش وصبيا لكنه أوسع ، وأفضل في طبيعته وسهولته[٢] ٠ ومن مـكان على الشارع بين مدينتي الدرب والشقيق يسير الطريق الدولي الجديد القادم من الحجاز متجهاً إلى حاضرة جازان سالكاً الساحل دون أن يمر على حاضرة الدرب[٣] ٠

ب ــ طريق جسر رجال ألمع إلى الحبيل ورجال ، أو الفطيحة والحقو :

كان هـذا الطريـق معروفاً قديماً ومسلـوكاً بالمسافرين والحجـاج وغيرهم ، وفي العقود الماضيـة المتأخرة تم شقه وسفلتته ، وهو مسار واحـد بعرض حوالي (١٥ـ ٢٠م). يوجد على جانبيه في الاتجاهين الكثير من المزارع ، والأبنية الخاصة ، وكثير منها استراحات ومنتجعات حديثة لأهل السراة وبعض التهاميين . وهو شريان مهم يربط تهامة عسير الشمالية والجنوبية مع بلدان عديدة من تهامة وفي مقدمتها محافظة الدرب . ومن هذا الطريق يستطيع المسافر أن يذهـب إلى بلـدة الشعبين في رجال ألمع ثم يواصل السـير إلى محايل ، أو يصعد من عقبة الصماء إلى حاضرة أبها. أو من بلاد الفطيحة والحقو والريث إلى بعض العقبات (الطرق) في تهامة شهران وقحطان حتى سروات عسير الجنوبية والشرقية[٤] ٠

---

(١) أشـار إلى هذا الطريق بعض الرحالـة والمؤرخين خلال القرون الثلاثة الماضية (١١ــ ١٤هـ/١٧ـ٢٠م) . وهو درب مهم لـه تاريـخ ، ووقع عليه حروب وأحداث عديدة . حبذا أن نرى باحثا جادا يدرسه ويوثق تاريخه من القرن(١٠هـ ـ١٦م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). ومن يقوم بذلك فسوف يطلعنا على معلومات قيمة عن هذا الطريق الحضاري المهم ٠

(٢) سـرت في هـذا الطريق من عـام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ، وشاهـدت كيف كان ضيقاً جـداً ، وصعباً في بعض أجزائـه ، ثـم رعته الدولة (وفقهـا الله) حتى صار اليوم من أسهل الطرق التـي تربط منطقة جازان مع غيرها من بلدان ومناطق عديدة في شبه الجزيرة العربية ٠

(٣) يجري العمل في هذا الطريق منذ زمن ، ويسير مع الساحل من الشقيق حتى جازان والطوال فاليمن . وعند ذهابي على طريق الدرب بيش في (١٣/٣/١٤٤٣هـ) بحوالي عشرة أكيال ووجدت درباً إلى اليمين ، يعرف باسـم طريـق (منشبة) فسرت عليه حـوالي (١٢ـ ١٥كم) ، ثم وجدت الطريـق الدولي الجديد اتجاهين بعرضـ يزيـد عن (٦٠م) ، وصار مسلوكاً بجميع السيارات حتى جازان ثم اليمن ، ومازال جزء صغيراً في حاضـرة الدرب غير مفتوح حتى يلتقي بالطريق الدولي العام الذي يخرج من مثلث الدرب إلى الشقيق ثم البرك إلى جدة ومكة المكرمة . والذاهب في هذا الطريق إلى جازان يجد قرية سمرة إلى اليمين . وأراضي محافظـة بيش علـى اليسار. وهذا الطريق الساحلـي مذكور من قبل الإسلام ، وأشـار إليه بعض الرحالة المسلمين الأوائل ، وهو اليوم معبد ومسفلت ويستحق أن يدرس في عدد من الكتب والرسائل العلمية ٠

(٤) هـذا ما سمعته من بعض سكان محافظة الدرب ومركـز مربة وبعض السرويين في منطقة عسير . ومعظم هـذه الطرق مسفلتة وسهلة العبور ما عدا العقبـات التي تنزل من سروات قحطان وشهران مازالت تحتاج إلى إصلاح وتوسعات أفضل .

ج ـ طريق من الشقيق إلى أجزاء من محافظة محايل :

هـذا الطريق اتجـاه واحد بعرض (١٥ـ ٢٠م) ، وهـي من الطـرق المهمة التي تصل بين أجزاء تهامة عسير الشمالية ومنطقة جازان ابتداءً بمحافظة الدرب . يقع على هذا الشريـان بعض الخدمات المحـدودة ، ولأهميته الاقتصاديـة والحضارية ، فإنه بحاجة إلى توسعات حتى يصبح مزدوجاً ، ويحتاج إلى بعض الخدمات الضرورية مثل محطات للبترول ، وخدمات السيارات ، وبقالات ، وغيرها[١] ٠

د ـ طرق محافظة الدرب الداخلية :

هناك شبكة طرق كثيرة ومتنوعة في أطوالها وجودتها داخل القرى والأحياء . ومن الطريـق العام من أبها إلى الشقيق أو بيش تتفرع عشرات الطرق التي تدخل إلى بلدات وأحيـاء المحافظـة . والملاحظ على جميـع أجزاء المحافظة التخطيـط العشوائي . ففي النواحـي الواقعة بين كبري رجـال ألمع ومثلث الدرب الانتشار الكثـير للعمران الحديث الذي قام عشوائياً فالطرق الداخلية غير مخطط لها ، وتتفاوت في أطوالها ، وعرضها ، واتجاهاتهـا ، وبعضهـا مسفلت وأخـرى مازالت ترابيـة [٢] ٠ وإذا تأملنا قـرى وأحياء حاضرة الدرب فهي الأخرى غير منظمة ، فلم يراع فيها تخطيط عمراني حديث ، ومن ثـم ظهرت العشوائيات في معظـم الأبنية العامة والخاصة[٣] ٠ وبلـدة الشقيق القديمة ليسـت بعيـدة في عشوائياتها عما سبق . لكن فيها بعضـ الطرق الحديثة والكبيرة التي لا تخلـو جنباتها من التخطيط . وقد شاهـدت بعض المخططات الحديثة في المحافظة ، ومـن افضلها مخطط الإسكان ، أو الدوائـر الحكومية بجوار البلدية على طريق الدرب بيشـ فهو مخطط حظـي بتخطيط حديث ، وقامت فيه الكثير مـن العمارات الحديثة ، والشوارع المرتبة والجيدة [٤] ٠

---

(١) هـذا الطريق مزدحم ومسلوك بنسبة كبـيرة ، ولمحدوديته يقع عليه الكثير من الحوادث الكبيرة والقاتلة . آمل أن يجد رعاية أفضل ، ويجري توسعته وخدمته بالخدمات اللازمة والضرورية .

(٢) أشاهـد هذه الناحية من بدايـة هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) فقد كانت أراضي غـير مسكونة ، ثم بدأ الناس يملكـون العقارات فيهـا بأسعار محدودة ، وبـدأوا في عمارتها فشيدوا فيها البيـوت الخاصة ، والمنتجعات السياحية دون مراعاة التخطيط العمراني السليم للبناء والتشييد ٠

(٣) ليسـ التخطيـط العمـراني العشوائي مقصـوراً على محافظة الـدرب ، لكنني شاهدت ذلـك في عموم قرى وبلـدات ومدن السروات وتهامة الممتدة من مكة والطائـف إلى جازان ونجران . وهذا نتج عنه الارتجالية في البناء قديماً ، لعدم وجود مؤسسات خدماتية ، كالبلديات وغيرها ، تشرف على الحياة العمرانية . وفي العقود الماضية المتأخرة تطورت البلاد حضارياً واقتصادياً ، وقامت مؤسسات تشرف على التنظيم العمراني ، ومن ثم اصطدمت بالتجمعات السكنية القديمة العشوائية ، ثم قامت العمارات الحديثة داخل أو قريباً من القرى القديمة وازداد العمل العشوائي وشمل أيضاً العمران الحديث الذي نشاهده منتشراً في كل مكان ـ

(٤) يقع في بلدة الشقيق مخططان أحدهما حكومي ، ولم يشيد فيه العمران حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، ومخطط

(*) أمـا العمارة بأنواعها في محافظة الـدرب ، فهي الأخرى تتفاوت وتتنوع من مكان لآخر ، ونذكر بعضها وأهمها في النقاط الآتية :

١ـ العمارة الحكومية والسكنية :

تم الإشــارة إلى عدد من المؤسســات الحكومية والأهلية ، ومنها نسبة جيدة تمارس أعمالهــا في أبنيــة حكوميــة تــتراوح ارتفاعاتهــا من طابــق إلى ثلاثة طوابــق . وأفضل العمــارات الحديثة في المحافظات مقرات البلديــة في الدرب والشقيق، فهي أبنية كبيرة تتكون من ثلاثة أدوار مع مرافقها ، ثم المدارس الحكومية فأبنيتها حديثة وكبيرة مزودة بجميــع الخدمات. ومقرات تحليــة الشقيق ، ومستشفى الــدرب الحكومي الجديد فهي مكونــة من عمارات عديدة وجديــدة متعددة الأدوار والمرافق الأخــرى . وهنــاك إدارات أهليــة ورسميــة تعمل في عمارات مستأجــرة داخل الحاضــرة، وفي المراكز وتختلف من مؤسسة لأخرى حسب حجمها ، وعدد موظفيها ، وأهميتها في خدمة الأرض والناس[1] .

والعمــارة السكنيــة الأكــثر انتشــاراً في عمــوم المحافظــة. فهنــاك عدد مــن القرى والأحيــاء القديمة مازالت تشتمل على أبنيــة شعبية مبنية بالحجارة أو الطوب . والعمارة الحديثةالمسلحة بدأت من تسعينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ، ثم تكاثرت حتى صارت معظم الأحيــاء ، والقــرى والمراكز مليئة بالأبنية الجديــدة المتفاوتة في مساحاتهــا ، ومرافقها، وطوابقها. لكنها تتراوح من دور واحد ، أو بعض الغرف المحدودة إلى ثلاثة طوابق وقليلاً ما ترى عمارات خاصة من أربعة وخمسة أدوار ، ما عدا الأبنية السكنية التجارية . ويمتلك بعض الأفراد منتجعات أو استراحات خاصة يستخدمونها لأمورهم الخاصة [2] .

٢ـ العمارة التجارية :

إن الذاهــب علــى الطريــق العام مــن جسر رجال ألمــع إلى الشقيــق ، أو إلى حدود محافظــة بيشــ الغربية يرى مئات العمائــر التجارية. وقد وقفت عنــد كثير منها مثل : الفنادق والشقق المفروشة، والدكاكين والمحلات التجارية، والمحطات البترولية ، والمطاعم،

خاص بدأ من بداية هــذا القرن ، وهو مأهول بالعمارات والسكان . وفي حاضــرة الدرب مخطط عتود قريباً من الخط الدائري الجديد ، وحتى الآن لم يقم فيه العمران. وأثناء سيري في حاضرة الدرب شاهدت بعض شوارعها الداخلية مزدوجة وكبيرة ، لكنها لا تخلو من بعض العشوائيات لقربها واختلاطها بالعمارة والقرى القديمة .

(١) تاريخ العمارة الحكومية في عموم منطقة جازان موضوع مهم وجديد في ميدانه حبذا أن يدرس في كتاب أو رسالة علمية من عام (١٣٥٠ـ ١٤٤٣هـ/١٩٣١ـ ٢٠٢١م) .

(٢) المنــازل أو الأبنيــة السكنيــة الخاصــة في محافظــة الدرب أو عمــوم منطقة جازان جــرى عليها الكثير مــن التحولات والتطورات من نهاية القرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، من حيث مواقعها ، ومواد البناء ، والأيدي العاملــة ، والأعمــال والفنون الهندسيــة ، والإيجابيات والسلبيات لــكل مرحلة أو نوع من البنــاء . وهذا موضوع جديد يستحق أن يدرس ويوثق بالصور الفوتوغرافية . آمل أن نرى باحثين جادين يتولون هذا المجال بالبحث والتوثيق .

والأسواق المتنوعة في معروضاتها ، والورش والمصانع متعددة الأغراض . وتتراوح أدوارها من غرفة ، أو غرف ، أو شقة ، أو دور إلى عدة أدوار ، وارتفاع بعض الأبنية على الشارع الرئيسي تزيد عن خمسة وستة أدوار وقليل جداً تصل إلى تسعة أو عشرة أدوار [١] .

تكثر الشاليهات والمنتجعات في محافظة الدرب ، وبخاصة في مركز الشقيق وما حوله، فقد حصرت أكثر من سبعين فيلا أو شاليه أو منتجع على الطريق الممتد من الدرب إلى الشقيق . وتتفاوت في أعدادها ، ومساحاتها، وخدماتها ، ومرافقها ، ومواقعها . وأغلب المحلات التجارية على الطريق العام الممتد من مثلث الدرب تجاه أبها وعلى الطريقين المؤديين إلى الشقيق ، أو بيش. ولا يخلو شاطئ الشقيق من بعض المنتجعات والشاليهات التجارية الخاصة . وشاهدت عدداً من الأسواق والمستودعات الحديثة ، مثل: الدرب مول ، والراية ، والعثيم ، وقاهر الأسعار، والعامر وجميعها على الشارع العام في حاضرة الدرب. وأسواق (البيالوفارد) وريحانة مول التي يجري تشييدها حاليا (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م) على الطريق العام . ومن مستودعات الأغذية الفلقي، والتوفير، والأصدقاء، والنور، ومصبّح ، والطيبات وغيرها ، وجميعها تبيع أنواعاً كثيرة من الأطعمة والمواد الغذائية[٢] .

عند إقامتي في الدرب شاهدت بعض الأسواق اليومية والأسبوعية. فمن الأسواق اليومية سوق شعبي ، يعرفه أهل الدرب باسم (سوق ابن نازح) عند المثلث ، كان في السابق تحت مظلة حديدية (هنقر) مساحته تقريبا (٢٥×٢٠م) ، يعرض فيه عشرات السلع المحلية من أدوات منزلية ، وزينة ، وألبسة ، وسلع خشبية ، وبلاستيكية ، وأقمشة وغيرها . وعندما نزلت جائحة كورونا على الناس عام (١٤٤١ـ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠ـ ٢٠٢١م) ، قامت البلدية بنقله إلى شوارع مفتوحة مجاورة لمكانه الأول ، حتى لا تنتشر عدوى كورونا بين الناس . وأثناء زيارتي الأخيرة مازال في مكانه الجديد ، ويعمل فيه عمالة سعودية وغير سعودية ، ويرتاده الكثير من الزوار والسواح ، لما يعرض فيه من البضائع التراثية وغيرها. وأسعارها رخيصة ومعقولة مقارنة بالأسواق اليومية الأخرى.

وفي وسط مدينة الدرب على الشارع العام هناك سوق يومي آخر، متخصص في بيع الأسماك ، والروبيان ، والفواكه ، والخضروات ، وبعض الأطعمة المحلية . وهذا السوق

---

(١) شاهدت بعض الأبنية في الشقيق والدرب ومعظم أدوارها من دورين إلى خمسة أو ستة أدوار . ورأيت عمارة أو عمارتين فقط وصل ارتفاعها إلى تسعة طوابق ونصف . لم تكن محافظة الدرب بهذه الصورة عمرانيا حتى سبع أو ثمان سنوات ماضية ، وحاليا زادت عماراتها العالية التي تزيد طوابقها عن الأربعة وخمسة طوابق .

(٢) تاريخ التجارة والعمارة التجارية في محافظة الدرب موضوع مهم يستحق أن يوثق في عمل علمي مطول . حبذا أن نرى باحثاً يدرس هذا العنوان خلال الثمانين عاماً الماضية .

كثـير الارتياد من سكان محافظة الدرب . والفئـات العاملة فيه من السعوديين ، وبعض الوافديـن من اليمن ، وبعضـ الدول العربية، ودول شرق وجنوب شـرق آسيا. أما سوق المواشـي والأعلاف فيقع بعد مبنى بلدية الدرب على طريق الدرب بيش بحوالي كيلين . ويعرض فيه الكثير من المواشي التي تجلب من مناطق عديدة في منطقة جازان ، وتهامة قحطان وشهران وغيرها [١] .

وسـوق الدرب الأسبوعي يعقـد كل خميس ، ويسمى (سوق الخميس) من الأسواق القديمـة التـي ورد ذكرها في بعضـ الكتب والوثائـق قبل أكثر من قرنـين . مازال هذا السوق يعقد إلى اليوم ، فالناس ، وبخاصة أهل البضائع يرتادونه من بعد ظهر الأربعاء، ويزدحم وتشتد حركته التجارية طوال يوم الخميس . وهو في فناء خارجي بقرية الدرب القديمـة ، يطل على وادي عتود ، ومساحته حوالي (٢٠٠×٢٠٠م) ، أقامت فيه البلدية بعض المظلات الحديدية . وذكر لي بعض سكان الدرب أنه من أنشط الأسواق في منطقة جـازان ، ويرتاده الكثير مـن الناس الذين يأتون إليه من أجزاء عديدة في تهامة جازان الشماليـة ، وبعضـ تهائم عسـير الجنوبية .ويرتـاده بعض المتسوقـين السرويين الذين يمتلكون بعض العقارات والأنشطة التجارية في محافظة الدرب وما حولها[٢] .

وفي مركـز الشقيـق سوق أسبوعي آخر يعقـد كل يوم أحد ، وهو مـن أسواق تهامة القديمـة ، ومـازال يقـام حتـى اليـوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . مقـره الدائـم في جنوب الشقيـق، يبعد عن الطريق العـام إلى الداخل حوالي (١٥٠ـ ٢٠٠م) . ومساحته تقريباً (١٥٠×١٥٠م) ، فيـه أبنيـة حديثـة تستخـدم لبعضـ النشاطات التجاريـة، وأجزاء منـه مظللة بمظـلات حديدية . ويذكر بعض الـرواة أنه كان إلى وقـت قريب يجمع كل السلـع المختلفة بالإضافة إلى سـوق المواشي والأعلاف ، ومنذ خمس سنوات انتقل سوق المواشـي إلى الناحيـة الجنوبيـة الغربية للبلـدة ، ويعمل بشكل يومـي ومساحته حوالي (٢٠٠×٣٠٠م) ، أمـا سوق الشقيق الأسبوعـي الرئيسي فمازال في مكانه الأول وتعرض فيه الكثير من السلع المحلية وبعض المستوردة كل يوم أحد[٣] .

---

(١) المصدر : مشاهدات الباحث يوم الثلاثاء (١٣/١٠/١٤٤٣هـ) .

(٢) تاريـخ سـوق الدرب الأسبوعي موضوع جديد يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية ، حبذاً أن نرى أحـد طلاب الدراسات العليا بأقسـام التاريخ في جامعتي الملك خالد أو جـازان فيدرسه موضوعاً لرسالة ماجستير أو دكتوراه .

(٣) السائح في أرجاء بلاد تهامة الساحلية والداخلية من جدة ومكة إلى جازان يلاحظ آثار الكثير من الأسواق الأسبوعيـة التي اندثرت وتوقف العمل فيها. وهنـاك أسواق أخرى عديدة وقديمة مازالت تعمل حتى وقتنا الحاضر ، وتتفاوت في أحجامها ونشاطاتها حسب الموقع والكثافة السكانية القريبة من كل سوق .

٣ـ الأبنية الدينية ، والصحية ، والرياضية ، والتعليمية :

اطلعت في اليومين التي قضيتها في محافظة الدرب على منشآت معمارية تنموية حديثة أخرى ، ومن أهمها:

أ ـ العمارات الدينية ممثلة في الجوامع والمساجد والمقابر :

شاهدت مساجد ومصليات صغيرة عديدة في عدد من أحياء وقرى المحافظة . ووقفت عند بعض الجوامع الكبيرة مثل: جامعين في قرية الدرب القديمة، ومساحتهما تتراوح بين (٢٠×٢٥م) و(٢٥×٢٥م) تقريباً. وعند المثلث في التقاطع بين طريقي الدرب جازان، والدرب الشقيق جامع المثلث، كان إلى قبل سبع سنوات محدود المساحة، وبناية قديمة نوعاً ما، ثم أعيد تشييده وتوسعته على طراز معماري حديث، ومساحته حوالي (٢٠×٢٠م) ورأيت جوامع أخرى عديدة كجامع الرحمة في حي أبو السداد، وجامع الجوهرة في حي بحرة، وجامع السوق على الشارع العام الذي يربط الدرب مع الشقيق ومساحاتها تتراوح من (١٥×٢٠م) إلى(٢٠×٣٠م)[١] .

شاهدت عدداً من المقابر في بعض أحياء المحافظة مثل: مقبرة الكد في قرية الدرب، ومقبرتي أبو يحيى والشبالية في حي أبوالسداد . ومقابر في أحياء القائمين الأعلى والأسفل ، وبحرة ، والحمراء (المسامير) . وتتفاوت مساحاتها بين (١٠٠×١٠٠م) إلى (١٠٠×٢٠٠م) ، وجميعها مسورة بأسوار من عمل البلدية يتراوح ارتفاعها من متر ونصف إلى مترين وتزيد بعضها عن ذلك . ورأيت مقبرة جديدة كبيرة قريبة من الشارع العام وسط المدينة تزيد مساحتها عن (٣٠٠×٣٠٠م) من منشآت البلدية ، وأثناء رحلتي الأخيرة للمحافظة لم بعد تفتح للدفن فيها[٢] .

ب ـ الأبنية الطبية :

تقع على الشارع العام الذي يسير من الدرب إلى الشقيق مجموعة عمارات ، منها الحكومية مثل المستشفى الحكومي الجديد الذي شيد على عشرات الآلاف من المترات على يسار الطريق العام ، وبعض المراكز الصحية الخاصة في مدينة الدرب

---

(١) لم يشمل حديثي كل الجوامع والمساجد في محافظة الدرب فهي كثيرة ، ويقدر عددها بالعشرات . وتاريخ عمارة المساجد في منطقة جازان جدير بالبحث والدراسة في عدد من البحوث التوثيقية .

(٢) مشاهدات الباحث في عموم المحافظة يومي الإثنين والثلاثاء (١٢ـ ١٣/٣/١٤٤٣هـ) . والعمارة الدينية في عموم منطقة جازان (الجوامع، والمساجد ، ومصليات الأعياد ، والمقابر وغيرها) تستحق أن تدرس وتوثق في بعض الأعمال التاريخية التوثيقية .

وبلـدة الشقيق[١] ٠ بالإضافـة إلى مستشفى الدرب القديم ، الذي مـازال العمل سارياً فيـه حتـى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، وعـدد من مراكز الرعاية الأوليـة في بعض أحياء الحاضـرة، وبعض المراكز الأخرى . وجميع عمارات الصحة الرسمية والأهلية في أبنية حديثة مسلحة بعضها حكومية وأخرى مستأجرة[٢] ٠

ج ـ العمارات الرياضية ، والترفيهية ، والسياحية والتعليمية :

لا يوجد في محافظة الدرب أندية رياضية رسمية ، وذكر لي بعض الرواة أن هناك أنديـة شعبيـة في الأحياء المحليـة ، أسسها بعض شباب المنطقـة، يمارسون من خلالها بعضـ الألعاب الرياضية وبخاصة كرة القدم . وقد أنشأت البلدية عدداً من الملاعب في أماكن متفرقة ليستفيد منها أبناء المحافظة أثناء ممارسة رياضاتهم . ويقال أن هناك من يقوم حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) على بناء صالة رياضية بالقرب من بلدية الدرب .

هنـاك استراحة البلديـة لخدمة المحافظة واحتضان بعضـ نشاطاتها الاجتماعية والمعرفية وغيرها ، وتقع على قمة جبل عكاد الصغير مكونة من دور واحد وبعض المرافق الضرورية . والمركز الحضاري جنوب المحافظة قريباً من البلدية لعقد بعض الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية والترفيهية .

وفي المحافظـة الكثير من الاستراحات الخاصة والشاليهات التجارية . وفي حاضرة الدرب عدد من القاعات والقصور لعقـد المناسبات والاحتفالات واللقاءات الاجتماعية المختلفة مثل: قاعة التاج في المثلث ومساحتها تقريباً (٧٠×١٠٠م) ، وقصر العرب على الشـارع العـام وسط المدينة ، وهـو كبير جداً فقد تزيد مساحتـه عن (٣٥٠×٣٥٠م) ، وقـد تم قسمه إلى قاعتين تعملان بشكل مستقل . وقصر المملكة قريباً من حزام الدرب بين حيي بحـرة وأبوالسداد ، ومساحته تزيد عن (١٥٠×١٠٠م) ، وقصر الفارس على حزام القائم الأعلى ومساحته تقريباً (٣٠×٥٠م) [٣] ٠

---

(١) رأيت عدداً من المستوصفات الأهلية على طريق الدرب الشقيق مثل : الأهلي ، والشفاء ، وأفنان للأسنان ، ومركز الدكتور علي الطبي وغيرها .

(٢) كانـت منطقة تهامة من مكة إلى جـازان ساحل وسهول موطناً للكثير من أمراضـ عديدة فتكت بالناس . واليـوم صارت بلاداً متطورة في شتى المجالات ، وأصبحت الرعاية الصحية الجيدة متوفرة لجميع شرائح المجتمـع . وتاريـخ الطـب والتطبيب في هذه البـلاد خلال المئة سنـة الماضيـة (١٣٤٠- ١٤٤٣هـ/١٩٢١- ٢٠٢١م) موضوع مهم يستحق أن يدرس في عدد من البحوث العلمية ٠

(٣) ذكـرت فقـط نماذج من الاستراحات والقصور في المحافظة ، مع أن هناك عدداً من الاستراحات المتفاوتة في مساحاتهـا ومواقعهـا في المدينة وبعض مراكزها . آمل أن نرى من أبناء هذه البلاد من يعمل على توثيق شيء من تاريخها وتراثها وحضارتها الحديثة والمعاصرة ٠

لا تخلـو المحافظة من بعض الأمكنة السياحية . فهناك حدائـق متفرقة في البلاد مـن منجزات البلدية كحديقـة المملكة جنوب المحافظة قريباً من مبنى البلدية ، ومنتزه الـدرب السياحي جنوب الكليـة الجامعية في الدرب. وحديقتي المعهـد المهني ، والعامة جنـوب المحافظـة ، وحديقـة أبو يحيى غرب الـدرب ، وحديقة عتـود ، وحديقة غيم في حـي بحـرة قريباً من مكتب التعليم . وللدرب منتزه بـري جميل في وادي ريم ، ليس فيه أبنيـة ، لكنه ذا مناظر طبيعية جميلـة . وشواطئ محافظة الدرب في الشقيق ، والعرق، والسمـيرات وغيرهـا . وأفضلها شاطئ الشقيق لوجود بعض الخدمات البسيطة فيه . أما الشواطئ الأخرى فما زالت بكراً وتحتاج إلى جهود كبيرة لخدمتها وتطويرها[١] .

والخدمات التعليمية والتنموية الثقافية لا بأس بها ، وبخاصة ما يتعلق بالتعليم العام فالمقـرات التعليمية في عموم المحافظة حكومية . والمعلمون والمعلمات ، والمشرفون والمشرفات وجميع الكوادر البشرية وطنية يحمل معظمهم الشهادة الجامعية ، وبعضهم حصلـوا علـى شهادات مـا فوق الجامعـة كالدبلوم العـالي والماجستير والدكتـوراه[٢] . أمـا التعليـم الجامعي فمازال متأخـراً في هذه الناحية ، نعم هنـاك كلية بنات جامعية فيهـا عدد من التخصصات النظرية والعلمية ، لكـن المحافظة تحتاج أقساماً وكليات . وخدمات أخرى عديدة[٣] .

ثالثاً : مركزا الحريضة والقحمة :

هـذان المركـزان (الحريضـة ، والقحمـة) يتبعـان إدارياً في الوقـت الحاضر(١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) إمـارة منطقـة عسـير . وهما جـزء مـن سواحل عسير البحرية الممتدة من الحريضة جنوباً إلى سعيدة الصوالحة شمالاً[٤] .

---

(١) مازالت محافظة الدرب بحاجة إلى خدمات تنموية عديدة ، وهي تستحق ذلك لموقعها الاستراتيجي ، فهي تربـط بين عدد من الجهات والمناطق والمحافظات ، وتمتاز بالتنوع الطبيعي من ساحل وسهول إلى هضاب ومرتفعات . آمل أن نرى هذه الناحية درة سياحية في شتى الجوانب التنموية .

(٢) تجولـت في ربـوع المحافظة ، وقابلت عـدداً من أعلامها ، وعلمـت وسمعت أن هناك أعـداداً ليست قليلة ممن يحملون شهادات عليا . بل هناك رجالاً ونساءً وصلوا إلى مناصب إدارية عليا في الدولة . وأعلم أن هناك بعض طلابنـا وزملائنـا يشغلون أعمالاً رفيعـة في عدد من وزارات ومؤسسـات الدولة . آمل أن نـرى أحد أبناء هذه المحافظة من يعكف على توثيق سير أعلامها خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٠-١٤٤٣هـ/١٩٢١-٢٠٢١م) .

(٣) ليسـت الكليـات الجامعيـة فقط التي تحتاجهـا محافظة الدرب ، وإنمـا تحتاج إلى إنشـاء مجمعات تجارية كبـيرة، ونواد رياضية وثقافية حكومية. كمـا أن مجال الاتصالات وشبكات أبراج الجوالات ووسائل التواصل ضعيفة في بعض أجزاء المحافظة . واقول إن على أبناء وأعلام هذه المحافظة مسؤولية كبيرة فيعملوا ويطالبوا ويدعموا كل ما يصب في تطوير محافظتهم . والدولة (وفقها الله) لن تتأخر في خدمة إنسان هذه البلاد ، لكن على الجميع التعاون والعمل الجماعي الذي يعود عليهم وعلى بلادهم بالنتائج التطويرية الإيجابية .

(٤) هـذه البـلاد ذات تاريـخ قـديم يعـود إلى مـا قبـل الإسـلام ، ولهـا ذكـر محـدود جـداً في بعض

١ـ من التاريخ المعاصر لمركز الحريضة :

لا أجد مصادر وكتب رحالة القرنين (١٣ـ ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) يذكرون اسم الحريضة. وعندما جاء فيلبي إلى الدرب والشقيق في منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) اجتاز أراضي الحريضة دون أن يذكر هذا الاسم . وسألت بعض أعلام مركز الحريضة عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) عن بداية هذا الاسم فلم أجد إجابة دقيقة ، وأشار بعضهم إلى أن مدينة الحريضة كانت غير مأهولة بالسكان إلى تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وكثير من سكانها الحاليين كانوا يعيشون في بوادي وقرى عديدة بين حاضرة الحريضة وبين قرى وبوادي محافظتي محايل ورجال ألمع . ثم بدأوا مع مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ينزلون من قراهم وبواديهم إلى حاضرة الحريضة الحالية [١] .

أ ـ الجغرافيا والسكان :

تقع بلاد الحريضة في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية ، ويحدها من الشمال مركز بحر أبو سكينة ، (خميس البحر) التابع لمحافظة محايل عسير، ومن الجنوب شاطئ البحر الأحمر ، ومن الشرق أجزاء من محافظة الدرب ، ومن الغرب مركز القحمة . ومساحتها تزيد عن ألف كيلومتر مربع ، وعدد سكانها أكثر (١٧،٠٠٠) نسمة. وتتكون تضاريسها من ساحل ، وسهول ، ومرتفعات في الناحية الشمالية ، والشمالية الشرقية من المركز . ومن أهم جبالها : جبل لبيبا الذي توجد فيه العين الحارة ، وجبال

كتب التراث الإسلامي المبكر والوسيط ، لكنها عرفت ولعبت دوراً لا بأس به في العصر الحديث منذ القرن (١٠هـ/١٦م) إلى (ق١٤هـ/٢٠م) . وفي عهد الدولة السعودية الحالية (المملكة العربية السعودية) صارت جزءاً منها ، وتوزعت تبعيتها الإدارية . فالحريضة كانت تتبع إمارة عسير ، وحالياً تراجع محافظة رجال ألمع . والقحمة كانت تابعة لإمارة منطقة جازان ، والبرك تابعة لإمارة مكة المكرمة . ثم جرى بعض التعديلات الإدارية في بداية العشرينيات من هذا القرن فأصبحت البلاد الممتدة من الحريضة إلى الصوالحة تتبع إمارة منطقة عسير ، مع التباين في تبعية كل ناحية . واليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تعد الحريضة مركزاً إدارياً يراجع محافظة رجال ألمع . والقحمة من مراكز منطقة عسير . وذكر لي أنها تراجع الإمارة في أبها . والبرك كانت مركزاً منذ تبعيتها لإمارة مكة ، ثم انتقالها إلى عسير، وهي اليوم محافظة من فئة (ب) ، وتراجع إمارة عسير. وتاريخ ساحل البحر الأحمر الشرقي من مكة المكرمة إلى جازان ، مازال فقيرا في الدراسات الأثرية والتاريخية والحضارية منذ العصور الحجرية إلى وقتنا الحاضر . وهي من البلدان المستوطنة بشرياً منذ القدم وعبر أطوار التاريخ ، وتستحق أن تدرس في عشرات البحوث . والبلاد المعنية في هذه الرحلة (الدرب ، والحريضة ، والقحمة ، والبرك) من الأوطان المهمة والواجب دراسة تاريخها وتوثيقه . آمل أن نرى بعض أساتذة جامعتي جازان ، والملك خالد فيدرسون موروث هذه البلاد وتراثها الحضاري .

(١) سكان مركز الحريضة الأصليون من قبائل وعشائر عديدة في تهامة منطقة عسير ، وبخاصة في محافظتي محايل ورجال ألمع . حبذا أن نرى باحثاً جاداً ومنصفاً فيدرس تركيبة البلاد التهامية السكانية (الأصدار، والسهول، والساحل) الممتدة من البرك والمجاردة إلى أبي عريش ، وجازان ، وصبيا ، وبيش .

الخرما ، وابلال ، وحصن برامعوادي، والحشاحيش ، والزور ، والمعترضة ، والرقبة . وهناك بعض الحرات البركانية الغربية مثل : المديد ، وحرة فائع، وحرة الجديد [١] .

من أودية مركز الحريضة ، وادي نهب ، وادٍ متوسط تبدأ منابعه من مرتفعات محايل عسير ، ومن مركز قنا تحديداً . ومثله أيضاً وادي عرمرم . ووواديا الملح ، ودغبج وبدايتهما من جبل لبيبا ، ووادي اللصب من جبل ابلال. وهناك مجموعة من المجاري والأودية الصغيرة ، تسمى بـ (اللصوب) ، وعادة تكون منابعها من بعض الهضاب والمناطق الصخرية في الشمال ، والشمال الشرقي من المركز [٢] .

ومناخ الحريضة حار صيفاً ، معتدلاً في فصل الشتاء ، وتهب الرياح الموسمية في فصل الصيف حاملة معها الغبار والأتربة . والأمطار قليلة ، وغالباً تسقط في فصل الخريف . وتتنوع النباتات والأشجار. ومن أكثرها انتشاراً شجر الدوم الذي يشبه شجر النخيل ، يوجد بمناطق متفرقة على الساحل وبخاصة على جانبي وادي نهب الذي يسير في أرض المركز حتى يصب في البحر . وهو من النباتات المعمرة ، وكذلك أشجار السمر (الطلح) والضبر، والرديف (الأراك) ، والمرخ ، والسدر (العروج). ومن الأعشاب والنباتات الأخرى : العرفج، والقطب ، والشبرق، والثمام ، والسكب ، والصيمران ، والوزاب ، والسعد ، والدنس ، والعشر، والرقم وغيرها . ومن النباتات المثمرة الموز ، والليمون ، والمانجو ، وأنواع أخرى من الخضروات والورقيات [٣] .

أثناء سيري في أجزاء من المركز يوم الأربعاء (١٤٤٣/٣/١٤هـ) ، شاهدت وسمعت بعض التفصيلات عن أرض وسكان الحريضة . فالشاطئ يغلب عليه وجود التربة الرملية، وبعض الأخوار الصخرية الطبيعية ، وعلى ساحل بلدة الحريضة الشركة السعودية للأسماك ، وتقع على مساحة تقدر بـ(١٩كم^2) . يوجد على الطريق العام أو قريباً منه بعض الأبنية الحكومية والسكنية والتجارية مثل فندق الحريضة

---

(١) لم يشمل حديثي كل الجبال والمرتفعات والهضاب والحرات في مركز الحريضة ، وهي متعددة ومتنوعة في أحجامها وطبيعتها وبخاصة في الجهة الشمالية القريبة من بلاد محافظتي محايل ورجال ألمع .

(٢) مركز الحريضة وما حوله من بلدان في محافظة محايل جديرة بالدراسة الجغرافية التاريخية ، آمل أن نرى بعض طلاب الدراسات العليا والأساتذة في قسمي التاريخ والجغرافيا بجامعة الملك خالد فيتولون دراسة الأجزاء التهامية لمنطقة عسير من المجاردة والبرك شمالاً إلى القحمة والحريضة جنوباً .

(٣) هذه المعلومات جمعت من بعض أعلام مركز الحريضة في منزل الأستاذ إبراهيم بن علي المخلوطي الذي ضيفنا في الليل يوم الإثنين (١٤٤٣/٣/١٢هـ) . ولم أذكر كل الأشجار والنباتات الموجودة في مركز الحريضة وما جاوره من بلدان تهامة ، فهي كثيرة ومتنوعة في أشكالها وفوائدها . وموضوع النباتات في عموم تهامة منطقة عسير جدير بالدراسة والتوثيق بالشرح والصورة الفوتوغرافية .

في خيريـة الملـك فيصـل ، وبلدية الحريضة ، وهنـاك العديد مـن المخططات الخاصة التـي قام في بعضها الكثير من العمـارات وبعض الأبنية الاقتصادية الأخرى . ومخطط الحريضـة الحكومـي على طريق الحريضة محايـل ، يذكر أن فيه أكثر مـن ألف أرض سكنية ، وبعضها قام عليها عمارات سكنية متعددة الأدوار والمرافق[١] .

يستوطـن مركز الحريضة بعضـ السكان الذين ينتمون إلى بعض قبائل رجال ألمع، وقبائل مركزي قنا وبحر أبوسكينة التابعين لمحافظة محايل . وهنـاك أفراد وأسر يسكنون حاضرة الحريضـة ، وهم من قبائل ومواطن عديدة في مناطق السروات وتهامة. وذكر لي أن هناك بعض السكان القلائل الذي يعيشون في بلدة الحريضة ، وينتمون إلى بلدان عديـدة في المملكة العربية السعوديـة . وربما جاءوا إلى هذه الناحية بحكم الوظيفة ، أو ممارسة بعض الأعمال السياحية والاقتصادية الأخرى . ويوجد في عموم نواحي المركز عناصر بشرية غير سعودية عربية وإسلامية وأجنبية تم استقدامهم من بلادهم للعمل المؤقـت في مهـن عديدة ، ثـم العودة إلى أوطانهـم ، ومنهم السودانيـون ، والمصريون، والهنود ، والباكستانيون ، وغيرهم[٢] .

ب ـ لمحة من الحياة الإدارية :

كانت أراضي الحريضة بجميع بواديها وقراها تراجع مؤسسات محافظة رجال ألمع الإداريـة . وربما حصلـوا على بعض الخدمات الصحية وغيرها مـن مستشفى ومراكز الـدرب الطبية ، أو من بعض المجمعات الصحية الأخرى في منطقتي جازان وعسير[٣] . وفي منتصـف العقـد الثـاني من هذا القـرن (١٥هـ/٢٠م) رأت إمـارة منطقة عسير فتـح مركز إداري في بلـدة الحريضة ، مع أن البلدة لا تخلـو آنذاك من تجمعات سكنية واستيطـان بشري معقول . ومنذ ذلك التاريخ تتابع فتـح العديد من المؤسسات الإدارية الأمنية ، والتعليمية ، والخدماتية وغيرها[٤] .

---

(١) هذا الذي شاهدته في (١٤/٣/١٤٤٣هـ) وسمعته أيضاً من بعض الرجال الذين قابلتهم في منزل إبراهيم المخلوطي في الليل يوم (١٢/٣/١٤٤٣هـ) .

(٢) جمعـت بعض المعلومات ممـن التقيت بهم في منزل إبراهيم المخلوطـي في (١٢/٣/١٤٤٣هـ) . كما قابلت بعض سكان الحريضة في بعض الشقق المفروشة الواقعة على الطريق العام في (١٤/٣/١٤٤٣هـ) .

(٣) وذلـك للقـرب الجغرافي مـن محافظة الدرب ومراكزهـا وبخاصـة الشقيق المجاور لمركـز الحريضة من الناحية الشرقية .

(٤) ربمـا أن إمارة عسير رأت تأسيس مركـز إداري في الحريضة سوف يكون له مردود إيجابي أمني، وإداري، وتنمـوي ، وسياحـي . وفعلاً أصبح كذلـك ، وسوف تكون بلاد الحريضة من الوجهـات السياحية العالمية . (بإذن الله تعالى) .

أعلمني بعض الرواة في الحريضة بأنها كانت تعرف باسم (الساحل) ، واليوم هي أحد مراكز منطقة عسير الإدارية ، ويتبع لها العديد من الأحياء والمخططات الجديدة والحديثة[١] . ومن قراها القديمة والمعروفة حتى اليوم : (١) البدوة ، (٢) الجر . (٣) عرمرم . (٤) الرقة . (٥) دغبج . (٦) المفرغ. (٧) الزبارة . (٨) المسلوم . (٩) الشلبية. (١٠) المجمعة . (١١) نهب . (١٢) آل النوتي . (١٣) العُشير. (١٤) الصفقة . (١٥) النشم . (١٦) الغراف . (١٧) سرة . (١٨) أمشرف . (١٩) أمصبغا . (٢٠) الحومة[٢] .

تجولت في أنحاء المركز يومي (١٤ـ ١٥/٣/١٤٤٣هـ) ، وشاهدت العديد من المؤسسات الإدارية والأهلية، مثل: (١) إدارة المركز وتقع في مبنى مسلح مستأجر مكون من ثلاثة طوابق ومرافقه . (٢) الشرطة في عمارة مستأجرة من دور ونصف . (٣) إدارتي مكافحة المخدرات ، والدفاع المدني في عمارتين مستأجرتين كل واحدة منهما مكونة من دورين . (٤) حرس الحدود في دور حكومي ويحيط به بعض المرافق المهمة . (٥) مركز الرعاية الأولية في مبنى حكومي من طابقين . (٦)إدارة الأوقاف في عمارة مستأجرة من دورين. (٧) بلدية الحريضة المعروفة باسم (بلدية الساحل) في عمارة حكومية مكونة من ثلاثة أدوار . (٨) مراكز الهلال الأحمر ، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والبيئة والمياه ، وكل منها في عمارة مستأجرة من دورين . (٩) مركز مكافحة نواقل الأمراض في دور مسلح مستأجر. (١٠) إدارة المجاهدين في عمارة مستأجرة من طابق واحد . (١١) ومنتزه القوات المسلحة في مجموعة فلل حكومية على شاطئ البحر[٣] .

والمركز يشتمل على العديد من المدارس الحكومية (بنات وبنين) ، ومعظمها في أبنية حكومية مكونة من دور ودورين ، وبعضها لها ملاحق ومرافق عديدة . وفي حاضرة الحريضة عدد من الجمعيات مثل: (أ) جمعية البر الخيرية في عمارة مستأجرة من دورين . (ب) لجنة التنمية الاجتماعية في مبنى مستأجر من دور واحد . (ج) جمعيتا الدعوة والإرشاد ، وتحفيظ القرآن الكريم في عمارتين مستأجرتين ، كل منها مكونة من طابق واحد[٤] .

---

(١) جميع المخططات العمرانية في الحريضة حديثة ، وكثيراً منها مخططات خاصة على الطريق العام أو قريب منه .

(٢) لم أذكر كل القرى أو المواطن السكنية في عموم المركز وبعضها قديمة وموجودة منذ عشرات السنين وبخاصة في النواحي الداخلية الواقعة بين حاضرة الحريضة الحالية وبعض قرى وحواضر محافظة محايل .

(٣) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس التاريخ الإداري في محافظة رجال ألمع ومراكزها ، وبلاد الحريضة واحدة من مراكز المحافظة .

(٤) إن تاريخ مركز الحريضة حديث ، لكن مؤسسات منطقة عسير الرئيسية ، والتي مقرها حاضرة أبها، بذلت جهودٍ كبيرةٍ في تنمية بلادِ الحريضة والاستفادة من طبيعتها الجغرافية ، لتنوع تضاريسها ، وامتلاكها شاطئاً بحرياً مهماً ومفيداً للاستثمار والنشاطات الحضارية والاقتصادية المختلفة .

ج ـ نبذة من التاريخ العمراني والسياحي :

كان العمران القديم في بلاد الحريضة من العشش ، ولم تخل بعض القرى الداخلية من أبنية حجرية . ثم بدأ العمران الحديث في بعض نواحي المركز من نهاية التسعينيات في القرن الهجري الماضي (١٤هـ / ٢٠م) ، ومن العقد الثاني في هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) سارت التنمية العمرانية في طريق البناء . وبدأت قرية الملك فيصل الخيرية ، وتعددت العمارات في أنواعها، وارتفاعاتها ، ومرافقها . وجاء التجار المستثمرون من السروات فاشتروا الأراضي الخام ، ثم خططوها ، وقامت عليها عشرات الفلل ، والغرف ، والأدوار . وظهر أيضاً في الحريضة الرئيسية العديد من الأنماط العمرانية المختلفة . وعند رحلتي في ربوع المركز شاهدت عشرات الأبنية الحديثة التي لا يزيد تاريخ عمرانها عن ربع قرن ، وربما وصل بعضها إلى ثلاثين عاماً . ومعظم العمارات السكنية تتراوح أدوارها من الدور الواحد إلى الثلاثة، ونادراً ما ترى عمارة من أربعة طوابق .ورأيت داخل بلدة الحريضة بعض البيوت الشعبية ، فجدرها من البلك ، وسقوفها من الأخشاب والتراب ، وبعضها بالخرسانة المسلحة[١] ٠

على الشارع الرئيسي في بلدة الحريضة بعض الأسواق التي تتراوح مساحاتها من (٥×٦م) ، وأحياناً (٧×٧م) ، وهي محدودة في عددها ومعروضاتها . ويوجد بعض البوفيهات والمطاعم التي تقدم بعض الأطعمة الحيوانية والنباتية والبحرية . وهناك عدد محدود من الشقق المفروشة ، وبعض الفنادق مثل: فندق الحريضة ، وفندق الخور. وفي أماكن متفرقة من حاضرة الحريضة العديد من الشاليهات والمنتجعات السياحية ، وذروة نشاطها الاقتصادي في فصل الشتاء ، وأغلب مرتاديه من أهل السراة[٢] ٠

في نواحي مركز الحريضة العديد من المساجد والجوامع المسلحة ، وتتراوح مساحاتها بين الصغيرة والكبيرة ، ومن الجوامع التي شاهدتها جامع الحسنية وسط الحريضة ومساحته تزيد عن (١٨×٢٠م) ، وجامع الفاروق في المثلث ، تقاطع الطريق العام مع طريق الحريضة محايل ، ومساحته تقارب (١٨×١٨م) ، وجامع الواجهة البحرية ، ويتسع لأكثر من (١٢٠٠) مصل، وله مئذنة عالية تزيد عن ثلاثين متراً. وجامع خيرية الملك فيصل ومساحته تقارب (٢٠×٢٠م) ، وجامع عرمرم ومساحته

---

(١) مشاهدات الباحث في (١٤ـ ١٥/٣/١٤٤٣هـ) ٠

(٢) رحلتي كانت في زمن جائحة كورونا ، فجميع القطاعات الاقتصادية والسياحية كانت خامدة ، بل متوقفة وشاهدت الكثير من أهل السراة وبخاصة من منطقة عسير يمتلكون منازل وفللاً خاصة ينزلون إليها مع أسرهم وقت اشتداد البرد في السراة ٠

تقريباً (٢٠×١٨م). ولا تخلو القرى الأخرى في بلاد الحريضة من مساجد عديدة تقام فيها الجمع والجماعات[١].

وفي مجال التربية والتعليم رأيت العديد من مدارس التعليم العام في بلدة الحريضة وقرى أخرى عديدة، وجميعها مقرات حكومية تتنوع في مساحاتها ومرافقها. وأخبرني بعض أعلام مركز الحريضة وبخاصة العاملين في قطاع التعليم أن في عموم المركز سبع ثانويات، أربعاً للبنين، وثلاثاً للبنات، و (١٦) ابتدائية، ثمان مدارس لكل جنس. وأربع متوسطات للبنين، وثلاث للبنات، وأربع روضات، ومعهد ثانوي صناعي[٢].

لا يوجد عمارات أو خدمات تقنية أو صناعية في مركز الحريضة، لكنها لا تخلو من بعض الأمكنة القليلة والمحدودة التي يوجد فيها بعض ورش ومقرات لخدمة السيارات. ومن رغب في خدمات تقنية وصناعية من أهل البلاد فإنه يذهب إلى بعض الأسواق والأمكنة الأخرى في محافظة الدرب، وأحياناً في مركز الشقيق المجاور للحريضة، وربما جلب السكان احتياجاتهم وحصلوا على مبتغاهم من مدن وحواضر أخرى في جنوب البلاد السعودية أو غيرها[٣].

تعد الطرق البرية من أهم الشرايين الحيوية التنموية، وحظيت حاضرة الحريضة بفائدة مرور الطريق الساحلي العام الذي يربط بين جازان والحجاز. وهذا الطريق الذي يزيد عرضه في وقتنا الحاصر عن الأربعين متراً يجتاز مدينة الحريضة حتى يدخل محافظة الدرب، ثم يسير نحو جازان، أو سراوات منطقة عسير. وهذا الطريق يجري تطويره حالياً، حتى يكون أعرض وأفضل مما هو عليه اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م).

---

(١) يشاهد الذاهب في أي ناحية من نواحي السروات وتهامة، بل في عموم المملكة العربية السعودية تعدد المساجد والجوامع المسلحة المتنوعة في مواقعا، ومساحاتها، ونوعية تشييدها وديكوراتها. والعمارة الدينية في أي محافظة، أو مدينة من مدن البلاد السعودية تستحق التوثيق التاريخي وبخاصة خلال الخمسين عاماً الماضية. أرجو من المؤرخين والباحثين السعوديين أن يعكفوا على بحوث موثقة في هذا المجال.

(٢) إن بلاد الحريضة تعد حديثة عهد في ميدان التنمية. لكن الدولة لم تأل جهداً في تنمية وتطوير الأرض والإنسان في جميع أنحاء البلاد السعودية. والذي عاصر أحوال الناس خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) فليس هناك وجه مقارنة. لتواضع الحياة التنموية قديماً، وتطورها بشكل كبير في وقتنا المعاصر، وفي شتى المجالات الحضارية المادية والمعنوية.

(٣) إن جميع وسائل التواصل والمواصلات صارت في وقتنا الحاضر سهلة جداً، فالإنسان يستطيع أن يحصل على ما يريد من أي مكان داخل المملكة العربية السعودية أو خارجها بكل سهولة. وهذه الطفرة الحضارية المتقدمة لا يزيد عمرها عن ربع قرن، والناس خلال القرون الماضية حتى بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) كانت إمكاناتهم المادية قليلة ومتواضعة. وعموم الحياة التنموية في شتى المجالات كانت بسيطة ومازالت في بداياتها. وتاريخ التنمية في عموم السروات وتهامة موضوع مهم وكبير، فالواجب دراسته في عشرات البحوث وبخاصة خلال الخمسين عاماً الماضية (١٣٩٠-١٤٤٣هـ/١٩٧٠-٢٠٢١م).

وكمــا أشرت سابقاً ، أنه جـرى عليه توسعة وتطوير ثم انحرف مساره ، من بين مدينتي الدرب والشقيق ، حتى صار محاذياً للساحل حتى حاضرة جازان[١] ٠

هنــاك طريق ذو مســار واحد يتفرع مــن الطريق العام في الشقيــق والحريضة ثم يسـير إلى محافظة محايل . وهذا الدرب مازال محدوداً في اتساعه وخدماته . ويحتاج إلى تطويـر وتوسعــة ، آمل أن نــراه مزدوجــا ، وأفضل مما هو عليــه في وقتنا الحاضر (١٤٤٣هــ/٢٠٢١م) . كمــا أن أحياء مركز الحريضة وقراهــا لا تخلو من طرق صغيرة تصـل بعضها ببعض ، ومنها المسفلت ، وأخــرى مازالت ترابية ، وبلدية الحريضة تعمل جاهدة على خدمتها وتطويرها[٢] ٠

بعــد أن صارت البلاد الساحلية الممتدة من الحريضة إلى سعيدة الصوالحة شمال محافظــة البرك تابعة إدارياً لإمارة منطقة عسير ، بدأت الإمارة والأمانة تعملان على تطويــر هــذه الناحية . وقد اطلعــت في أمانة عسير على عدد مــن التقارير التي صدرت عام (١٤٣٢هـ) ، وجميعها تحت عنوان : **مشروع المخطط التفصيلي الاستثماري وارتفاعات المباني على طول الساحل بمنطقة عسير** ، وخصصـ لكل مــن الحريضــة ، والقحمة ، والـبرك ، وعمق كتيب مستقــل ، دُرست فيه طبوغرافية الأرضـ ، ومميزاتها وعيوبها ، ثــم الخطوات لاستثمارهــا والتي يراد إنشاءهــا لأهداف تنموية وسياحيــة وحضارية . وتشتمــل هذه التقارير على رؤى ودراسات وتفصيلات جيدة جداً ، وعند سيري في هذه البــلاد ، ثــم مقارنة الطبيعة مــع هذه التقارير ، وجــدت البون كبيراً بين مــا دون في كل تقرير ، وبين الواقع الذي مازال إلى حد ما على وضعه القديم ، مع قيام مشاريع صغيرة ومحــدودة هنا وهنـاك . وقد سألت بعضـ المسؤولين والمهندسين عن نتائج تلك التقارير التــي تجاوز صدورها أكثر من عشر سنوات ، فقالوا إن الدراسات ضرورية ، وتسبق أي مشروع عمراني وتنموي يقوم ، كما أن تنفيذها على أرض الواقع يحتاج إلى وقت طويل ، بالإضافــة إلى بعض العقبات الماديــة والتطويرية وغيرها . وقال بعضهم أن هناك بعض

---

(١) كان هــذا الطريق في السابق متواضعاً في عرضه وخدماتــه ، واليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) أصبح طريقاً إقليمياً كبـيراً مزدوجــا يسير من جــدة ومكة المكرمــة إلى منطقة جازان ثم بــلاد اليمن . وطرق الساحـل والسهول التهامية من اليمن إلى الحجاز جديرة بالدراسة منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر . والأمل في جامعاتنا المحلية وأقسامها الأكاديمية فتقوم بدعم وإنجاز مثل هذه الأعمال العلمية والتاريخية التوثيقية ٠

(٢) إن بــلاد الحريضــة محظوظــة منذ العقد الثــاني في هذا القرن (١٥هــ/٢٠م) . فالأعمــال التنموية فيها تتزايــد . وهــي اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ضمــن اهتمامات إمارة وأمانة منطقة عســير اللتان تسعيان إلى خدمــة ساحــل عسير حضارياً وتنمويــاً حتى تكون هذه الناحيــة في مصاف المناطــق السياحية العالمية في المملكــة العربيــة السعودية . هذا ما سمعته ، وقرأت عنه في مصــادر ومراجع حديثة وعديدة ، آمل أن نرى ذلك حقيقة على أرض الواقع ٠

البحوث الجديدة ، والشاملة للكثير من الخطط والاستراتيجيات الحديثة . وحاولت الاطلاع على هذه الأعمال الحديثة ، لكن حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) لم أستطع الوصول إليها [١] ٠

(*) في مركز الحريضة العديد من المتنزهات البرية التي يرتادها الناس، وبخاصة في فصل الشتاء، وأواخر فصل الصيف، ومنها:

١- العين الحارة : تقع في جوف جبل لبيبا ، وهي مياه جوفية تنبع من باطن الأرض ، وتستخدم لعلاج بعض الأمراض ، ومازالت تستحق جهوداً تنموية وتطويرية أفضل حتى يزداد زوارها، ويستفاد منها ، وقريب منها تنتشر أشجار الدوم بشكل كبير[٢] ٠

٢- أمندارة، أومسعيين : هذه النواحي تقع ضمن أراضي وادي عرمرم ، وتجري فيها المياه ، وتنتشر بها الأشجار وبخاصة نخيل الدوم . وهي من الأمكنة الجميلة التي يرتادها الكثير من السواح والمتنزهين[٣] ٠

٣-الربغة : من أرياف مركز الحريضة ، بها العديد من الأودية ، والشعاب الصغيرة ، وفيها بعض العيون التي تجري مياهها طوال العام ، وتزيد كمياتها أثناء سقوط الأمطار[٤] ٠

٤-الفرشة : بلاد واسعة على طريق الحريضة ـ خميس البحر ، وفيها الكثير من النباتات والأشجار المتنوعة ، وبخاصة أشجار السمر وغيره . وأن أجري عليها بعض التطويرات السياحية ، وزودت ببعض الخدمات الضرورية فسوف تكون من أفضل المواقع السياحية البرية في مركز الحريضة . والذاهب في أرجاء البلاد التهامية الممتدة من الدرب إلى القنفذة يرى عشرات الموقع الصالحة للتطوير والاستثمارات . آمل أن نرى رجال الأعمال والقطاعات الخاصة تستثمر سياحياً في هذه الأوطان وغيرها من بلدان السروات وتهامة [٥] ٠

---

(١) أقول إن منطقة عسير محظوظة جداً فقد صار لها منفذٌ على البحر بطول يزيد عن (١٤٠) كيلاً. وهذه البلاد الساحلية التهامية قد ينالها الكثير من التنمية والتطوير تحت مظلة استراتيجية عسير التي تم الموافقة عليها وأعلنت رسمياً في مطلع هذ العام الهجري (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . وسمعت وأعلم حالياً أن أمير منطقة عسير تركي بن طلال آل سعود يعمل ليلاً ونهاراً على تطوير منطقة عسير حتى تكون واجهة سياحية عالمية ، ومن ضمن اهتماماته الكبيرة البلاد الساحلية العسيرية الممتدة من الحريضة إلى سعيدة الصوالحة . وهذه البلاد مازالت تحتاج إلى بحوثٍ علميةٍ نوعية في شتى المجالات ، أرجو أن تكون ضمن خطط جامعة الملك خالد فيعتنى بها علمياً وبحثياً ومعرفياً ٠

(٢) رحلة الباحث ومشاهداته في مركز الحريضة في (١٤ـ ١٤٤٣/٣/١٥هـ) ٠

(٣) المصدر نفسه . لم آت على نواحي كل المركز ، لكن أخبرني بعض الأعلام ، أن بلاد الحريضة تحتضن أماكن برية عديدة ، تستحق التنمية والتطوير ، حتى يكثر مرتادوها من السواح ٠

(٤) مشاهدات الباحث في (١٤ـ ١٤٤٣/٣/١٥هـ) .

(٥) تجولت في عموم السروات وتهامة منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وهذه البلاد حباها الله طبيعة خلابة، بالإضافة إلى موروثها التاريخي والحضاري . وهيئة السياحة ووزارة الثقافة ، وغيرها من المؤسسات

مــازال في مركــز الحريضــة جبــال ، وأودية ، وشعــاب ، وهضاب ، وسهــول برية ، وجميعهــا جميلــة في طبيعتها ، ولا تخلو من بعض الموارد الطبيعية التي تصب في خدمة التنمية والاستثمار. وفي العصر الحاضر صارت الدولة والمجتمع يدركون أهمية الطبيعة والاستفــادة منها في خدمة السياحة وجلب موارد اقتصاديــة لها آثار إيجابية على بناء الأرض والإنسان[١] .

وفي مركز الحريضة مواقع سياحية ساحلية جميلة ، ومن أهمها: كورنيش الحريضة وشاطئها الرئيسي ، الذي يقع في مكان يعرف بـ (المعجز) ، ويمتاز برماله البيضاء ، وفيه مشــروع الواجهة البحرية لمنطقة عســير[٢] . صمم هذا المشروع على مساحة تقدر بأكثر مــن مليوني متر مربع ، فطوله على الساحل (٥٦٠٠م) ، وعرضه في الداخل (٤٠٠م) . ويتكــون المشروع من كورنيش خرساني يتسع لأكثر مــن (٢٠٠) جلسة عائلية مطلة على البحــر ، وممشى يحاذي البحر على طــول الواجهة بعرض (٢٠م) ، ويحتوي أيضاً على مسطحــات خضراء ، وخدمــات ترفيهية عديــدة أخرى . قام المشــروع على مرحلتين ، المرحلــة الأولى مازالت متعثرة . أما المرحلة الثانيــة فأصبحت شبه جاهزة، وتمتد على طــول (٢٦٠٠م) تبدأ من مرسى المراكب شمالاً إلى حدود شاطئ مركز الشقيق جنوباً ، وتكلفتهــا تزيد عــن (٢٦٧،٠٠٠) مليون ريال[٣] . وهذه المرحلــة (الثانية) تشتمل على ثلاثة مبان إدارية للصيانة والأمن والإدارة ، وجلسات عائلية ، و(١٦) جداراً استنادياً . وثلاثة مبان أخرى خدمية تتضمن دورات مياه ، ومطعمين يطلان على البحر ، ومساحة كل واحــد منهمــا (٤٠٠م) ، ومصليات للرجــال والنساء ، ويتوسط الموقــع مسجد جامع

والوزارات المعنية بتطوير الأرض والإنسان عليها مسؤوليات كبيرة في الاستفادة من هذه البلاد الغنية بكل المؤهلات التنموية والحضارية .

(١) إن الراصــد للتاريخ والتطور الذي تمر به المملكة العربية السعودية من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن يدرك ويقرأ عن العديد من الخطوات والمراحل التطويرية التي جرت على البلاد . والنفط كان ومازال مــن الموارد الاقتصاديــة في تنمية البلاد وتطويرها . لكن عندنا أيضاً الكثــير من المصادر الأخرى التي لو وظفــت التوظيف المدروس والسليــم ، فقد تفوق ثمارها وإيجابياتها موارد النفــط . وتباين طبيعة المملكة، وتنــوع مواردهــا الطبيعيــة والاقتصادية مــن أهم العوامل المساعــدة في جلب موارد هائلــة ترفع من نسب التطوير والاستثمار الداخلي والخارجي .

(٢) بــدأ تأسيــس المرحلة الأولى للواجهة البحريــة عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) ، وهذا المشــروع من أوائل مشاريع تطويــر ساحل منطقة عســير. وأثناء زيارتــي الأخيرة (١٤٤٣هــ/٢٠٢١م) شاهدت هــذا المشروع مازال متعــثراً ، ومقفــلاً ، وعند سؤالي عن سبب التوقف ، قالوا هناك بعضـ الأسباب الإدارية والمالية وغيرها ، وربما يستأنف العمل فيه قريباً .

(٣) هــذا الــذي سمعته ووجدته في أمانة منطقة عسير في مطلع شهر ربيع الآخر (١٤٤٣هـ). كما زرت الواجهة ووقفت على بعض أجزائها في (١٤٤٣/٣/١٤هـ) .

تزيد مساحته عن (٢٥٠٠م٢) . وتنتشر في المكانٍ أعداد ليست قليلة من أعمدة الكهرباء، بالإضافة إلى بعض الديكورات الجمالية ، وقريباً من المكان مرفأ لصيد الأسماك[١] .

ومن الأمكنة السياحية الجميلة في الحريضة، خور الحريضة، ويطلق عليه أهل تلك البلاد (طعنة علي)[٢]، وهي الجزء المقابل لفندق الحريضة على الشارع العام ، وتحيط به من الناحية الغربية أشجار كثيرة ومتنوعة ، ومن الجهتين الشرقية والجنوبية الشركة السعودية للأسماك ، ومكان استزراع الروبيان[٣].

وعلى شاطئ الحريضة مكان سياحي جميل يعرف باسم (شاطئ الرقبة) ومن هذا المكان يستطيع الإنسان مشاهدة ظاهرة المد والجزر ، وعلى مقربة منه (جبل الرقبة) . وفي الجهة الغربية من جبل الرقبة يأتي منتزه القوات المسلحة ، الذي يشتمل على عدد من الفلل السياحية ، المتفاوتة في أحجامها ومساحاتها ، وهناك طريق رئيسي يخرج من الطريق العام إلى هذا المنتزه المحاط بسور ارتفاعه متران إلى مترين ونصف. وأكثر من يستفيد من هذا المنتزه رجال القوات المسلحة ، وبعض أقاربهم ، وله إدارة مسؤولة عنه في المدينة العسكرية بخميس مشيط ، وفي المنتزه نفسه[٤].

أثناء تجوالي في مركز الحريضة يومي (١٤ـ ١٥/٣/١٤٤٣هـ) ، التقيت ببعض كبار السن ، ومتوسطي الأعمار، وسمعت منهم مفردات ومصطلحات لم أفهم معناها، فطلبت منهم أن يذكروا لي بعض الكلمات والاصطلاحات اللغوية ، وقد زودوني مشكورين بشيء من ذلك ، فرأيت أن أدون بعض النماذج لعلها تكون لبنة أولى لمن قد يدرس لغات ولهجات بلاد تهامة الممتدة من الدرب إلى القنفذة[٥] ، وهذه الألفاظ ، أو الاصطلاحات، أو الأمثال الشعبية على النحو الآتي :

---

(١) هذا المشروع من المشاريع الجيدة ، لكن مازال يحتاج الكثير من الجهود والأموال حتى تستكمل جميع مرافقه العامة والخاصة . المصدر: رحلة الباحث ومشاهداته في (١٤/٣/١٤٤٣هـ) .

(٢) هذا المكان معروف بهذا الاسم منذ القدم ، وسألت بعض رجال بلدة الحريضة عن سبب هذه التسمية فلم أجد أحداً يعرف السبب ، وربما أطلق عليه هذا الاسم بسبب حدث تاريخي وقع فيه ، وقد يكون أحد أطراف ذلك الحدث رجل اسمه (علي) .

(٣) هذه الشركة قديمة في موقعها ، وهي من الأنشطة الاقتصادية النشطة ليس في مركز الحريضة ، لكن في مناطق عديدة من جنوب المملكة العربية السعودية ، لها حراك تجاري واقتصادي جيد في الأسواق المحلية . المصدر : معاصرة الباحث للحياة الاقتصادية والاجتماعية في جنوب المملكة العربية السعودية منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) .

(٤) زرت هذا المنتزه مع بعض الأقارب قبل عشرين عاماً ، ثم زرته في رحلتي الأخيرة (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، ويقع على شاطي جميل ونظيف، ورماله ناعمة وبيضاء .

(٥) ذهبت ووقفت وسمعت لهجات واصطلاحات لغوية متنوعة في عموم السروات وتهامة. وكثير من تلك اللهجات عربية صرفة ، وجرى على بعض مفرداتها أو جملها بعض التغيرات اليسيرة . واللغات واللهجات في هذه البلاد العربية السعودية الجنوبية تستحق أن تدرس في عشرات البحوث العلمية ، وهي مسؤولية أقسام اللغة العربية وأساتذتها في جامعات الطائف ، والباحة ، وبيشة ، والملك خالد ، ونجران، وجازان .

(١) **الحجة** : الصك أو الوثيقة الزراعية . (٢) **يقرع** : يشرب اللبن صباحاً ، ويتقرع : يـأكل طعام الفطور. (٣) **يتصوح** : يشرب اللبن في الظهر . (٤) **يغتبق** : يشرب اللبن في المســاء. (٥) **الوريث** : اللبن المغلي بالحجارة الساخنــة ، توضع على النار حتى تحمر ثم توضــع في اللــبن ، وينتج عن ذلك رائحــة طيبة ، وطعم لذيذ . (٦) **يدلش**: ينزل الشيء بهـدوء . (٧) **الخوان**: يقابلـه في الفصحى (اللبا) ، لبن الماعـز حديثة الولادة، يسخن فيتحــول إلى مــادة بيضــاء تشبه ما يعرف اليــوم بــ (الشكشوكة) . (٨) **يغب**: تصبح الماشيــة بدون ماء. (٩) **يكج**: خض الحليب في الدبيــة ، أو ما يعرف في أجزاء السراة بـ (الشكــوة) (١٠) **المساس** : المــاء الــذي يستخــدم لترطيــب الحبــوب أثنــاء طحنهــا . (١١) **الجوش** : الطبقــة التــي تطفو عند غسيــل الحب بغرض طحنــه . (١٢) **من مراحل الطحن**: الجشــ ، ثم الدبش ، ثم الــرك ، فالعودة . (١٣) **مراحل حصاد الذرة** : الحشوش ثــم الصــريم ، أي فصــل العذق عــن الجلب ، ثم الخبــط : أي ضرب العــذوق في مكان نظيــف ومبسوط حتى تخرج الحبــوب من العذق . (١٤) **التعريش** : رص أكياس الحبوب بعضهــا فوق بعض في المستودعات أو المخازن المخصصة لها. (١٥) **البضع**: نتاج الأغنام مــن المواليد الصغــار، وبضع الماشية يختلف : فالماعز له بضعــان على مواسم متعددة ، مثــل المخرف في فصــل الخريف ، والمشتي في الشتاء ، والمربــع في الربيع ، والمصيف في الصيــف ، ويسمى أيضــاً المشعب ، أي ما يوافق نتاجه موسم الغبــار المسمى أمشعبان . ويقول المنشد

وأخربت يا أمشعبان مذهب وليفي — لابــد مــن ردة عشــايا امخريفي

(١٦) **النصد**: أجزاء من اللحم بغرض تقسيمه وتوزيعه على الجيران . (١٧) **السيور أو الخزين** : عملية تجفيف اللحم بالملح . (١٨) **المصور**: اللحم المطبوخ الذي سبق تناول جزء منــه في الليــل ، ثم يؤكل منه في الصباح أو النهار ، فينصح بتسخينه ، وكانوا يتناصحون فيقولون (أحذر من اللحم المصور)[١] . (١٩) **الشدود**: الانتقال من موطن لآخر .

(٢٠) **المدربى**: البيــت التهامــي القــديم ، مكــون من الخوصــ المنســوج ، والأخشاب المستخرجــة من العــروج ، وتسمى هذه الأخشــاب الزافر ، وهو أهم جــزء يحمل السقف ، وفي مؤخرتــه الأعصــاء ، وبعــده الخــي الذي تحفظ فيــه أغراض المنــزل ، وفي المقدمة

---

(١) قضيــت ليلة جميلة مــع بعض أعلام مركز الحريضة في بلدة الحريضــة الرئيسية ، وتعلمت وسمعت منهم تراثــاً وفكــراً وثقافــةً محلية جميلــة وأصيلة، وعموم بــلاد السراة وتهامــة مستودعات كبــيرة من التراث العربــي المحلي الأصيل . أرجو من أقســام الجامعات العلمية (اللغة العربية، والعلوم الشرعية ، والتاريخ ، والاجتماع، والتراث والحضارة والآثار وغيرها) أن تساهم في جمع هذا الموروث وحفظه ودراسته ٠

الإقبال المساندة للزافر ، ثم الحنايا وتربط بالزافر ، ثم المزاريق ، والهدم ، وتسمى أيضاً المثلثات. وتوجد للبيت أشكال أخرى مثل المفرز ، أصغر من المدربي ، وأقل في الأهمية[١].

(٢١) عن الأوقات والأهلة والشهور: شهر المحرم ، يطلق عليه عاشورة ، وصفر ، ساديه. والربيعان الأول والثاني ، الأربعة . وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ، الأجمدة. وشعبان ، القصير. وشوال وذو القعدة ، الفطروين. وذو الحجة ، الضحى[٢]. **(٢٢) مفردات لها صلة بالزمن (الوقت):** جهم ، أو يهم : الذهاب في الصباح الباكر قبل ظهور الشمس ، ويقال أيضاً (غبش) وبرها أي ذهب في الصباح بعد شروق الشمس. وصابي: الذهاب في وسط النهار وقت الظهر. ونشر: الخروج وقت العصر. وطفّل : الذهاب في وقت المغرب .وهدج : قدوم الأنسان أو مجيئه في منتصف الليل .

(٢٣) مصطلحات للأكل والشراب وبعض الأواني المنزلية :

يتفاول : أي يفطر مبكراً . **يتخسف :** يأكل الخبز بدون حليب أو سائل آخر. **يتقضم:** يأكل الحبوب الجافة أو ما يشابهها . **يقت :** يشرب إلى حد الارتواء . التمة : الطعام غير المالح . **الحشرة :** الطعام الذي عليه ملح زائد . **الفحيقة :** حب الدخن يحمص ثم يطحن ويضاف عليه الحليب . **الخلاص:** حب يحمص ثم يوضع عليه السمن ويطبخ بعدها حتى يفصل الحب عن السمن. **المقتر:** عيش يوضع في التنور إلى الصباح ثم يضاف عليه الحليب ويؤكل. **الغضار :** إناء من الفخار يستخدم عادة لتقديم الطعام . **المكدش :** فنجان القهوة من الفخار . **الحدجة :** كيس من الطفي لحمل اللحم فيه . **المعداش :** عود يستخرج به اللحم من القدر.

(٢٤) الورثة : أجزاء رقيقة من لحاء الشجر بهدف إشعال النار . **(٢٥) الطروقة :** صاحب الغنم يأخذ فحلاً من غنم شخص آخر . **(٢٦) الدميم :** بناء صغير ترفع فوقه أغراض المنزل . **(٢٧) الحروص:** السحور. **(٢٨) الكرس :** بناء جبلي من الحجر لوضع الأغنام فيه . **(٢٩) العلا :** الختان . **(٣٠) المعابل:** ومفردها معبل ، أربطة من القماش لضماد جراح الختان . **(٣١) الجهوف:** الشعر الطويل. **(٣٢) الخرمد:** الحب المنخور الفاسد ، وأحياناً يكون لونه أسود . **(٣٣) الغثري:** الطحالب المائية . **(٣٤) الزهراية :**

---

(١) تاريخ العمارة وأشكالها وأهميتها في تهامة موضوع جديد يستحق أن يكتب عنه رسالة أو كتب مدعومة بالصور الفوتوغرافية الملونة . انظر غيثان بن جريس . عسير (١١٠٠ـ ١٤٠٠هـ) (١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، ص ٣٧ ـ ٥٧ .

(٢) هذه المصطلحات معروفة عند بلدان أخرى في عموم سروات شهران ، وبلاد الحجر ، وسروات غامد وزهران وغيرها .

مرتفـع من المرو الأبيض . (٣٥) **الزور:** السهـل المنبسط الممتد . (٣٦) **الفنح :** أصغر من الـوادي . (٣٧) **الشاقـة :** المنخفض الذي يسلكه مجرى المـاء . (٣٨) **الزبار:** كثبان رملية متراكمة يطلق عليها في أمكنة أخرى من السراة وتهامة الزبير للمفرد ، والزبر للجمع. (٣٩) **المغـدى :** حالـة مطريـة متوقعـة في وقت الصباح مـن جهة البحـر ، ويعرف باسم (الباكر) ، له أسماء أخرى مثل: (عشوي) أو (مسرية) (٤٠) **الدغابيس:** نبات يأكله الإنسان . (٤١) **المصع:** ثمار شجرة الضبر .

(٤٢) **الحبلـة والبلـة :** ثمـر موسمي تأكله الأغنام ، وهنـاك قواعد وقوانين بين بعض القبائـل ، فـلا يستخـدم المخباط (عصا طويلـة وغليظة) تضرب بـه أغصان الشجرة فيتساقط الحبلة ، ويسمح فقط بالنوشة ، أي هز الشجرة وأغصانها باليد فقط [1] . (٤٣) **الدفسـة :** العـراك بالأيدي. (٤٤) **المحبطة :** تجمع دموي من أثـر ضربة بعصا أو غيرها. (٥٤) **اللـوح :** الألم فيقـال فلان متلوحن . (٤٦) **العرقبة:** كي عرقوب القدم بروث البقر بعـد حرقه على النـار، وغالباً يعالج به المبطون لإيقاف القيء . (٤٧) **رياح الصدور:** مرض صـدري يصيـب الأطفال. (٤٨) **أمزلة:** مرض يعالج بالكـي . (٤٩) **الجنيب :** مرض يعالج بالتدليـك. (٥٠) **الكنينـة :** ألم الأذن . (٥١) **السفـاع :** مرض يصيب العيون. (٥٢) **الكسم، وأبـورمح :** أمراض تصيب الغنم بالزكام . (٥٣) **الرجبـاي :** النفضة بسبب ارتفاع درجة الحرارة. (٥٤) **الورد أو الدامخة :** مرض الحمى أو الزكام [2] .

(٥٥) **أسمـاء بعض الألبسـة :** المطـرف : الإزار الأبيـض . المثلـوث: الإزار الأسـود . الحطيم : الإزار المكون من اللون الأحمر والأصفر . الجرفي : إزار مكون من اللون الأحمر والأسود . العريشي: لباس يتكون من عدة ألوان. الرجالية : اللباس الذي يلبس فوقه الإزار (الرداء) ، ويكثر فيه التطريز . السديرية : لباس على الجزء الأعلى من الجسد ، وعادة تكـون بـدون تطريز . وفي حالة الـزواج قديماً يشترط على الزوج عـدد من الألبسة مثل :

---

(١) أجمـع الوثائق التاريخية الحضارية منذ مطلع هذا القـرن (١٥هـ/٢٠م) ، ومعظم الوثائق التي في حوزتي تتعلـق بالأرض والنـاس في جنوب شبه الجزيرة العربيـة ،وبخاصة البلاد التهاميـة والسروية الواقعة بين حواضـر اليمـن والحجاز . وضمن هذه الوثائق الكثـير من القواعد والاتفاقيـات القبلية التي كانت تحكم عـادات الناس وأعرافهم في عصور سابقة . ويوجد في هذه الوثائق بعض الأنظمة والقوانين الجيدة التي تتوافـق مع الشرع الحنيف ، وتساعـد المجتمعات في تعاونها وتعايشها وتكافلهـا . ولا تخلو بعضها من بنود وقوانين قاسية ومجحفة أحياناً .

(٢) الأوبئة والأمراض القديمة التي عرفها السرويون والتهاميون كثيرة جداً ، وكان لهم بعض الوسائل والتداوي البدائـي . والكي علـى رأس تلك العلاجات. وموضوع الطب والتطبيب في هـذه البلاد خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) يستحق أن يكون عنواناً لكتاب علمي مطول.

الحطيم، أو الجرفي ، والمدرعة : الثوب المفتوح من الجانبين ، والقطاعة (الشيلة) [١].

كما سمعت وجمعت بعض الأمثلة الشعبية أثناء تجوالي في مركز الحريضة[٢]. ومما استطعت تدوينه ما يلي: **(١) أول الحصن العريش :** الأمر الكبير يبدأ صغيراً . **(٢) من ما نفع أمه من نفع خالته .** أي عديم المنفعة من الناس ، الذي لا ينفع أقاربه فكيف يساعد أو ينفع الأباعد . **(٣) أمجق لا شيء وامرط ما قله :** أي من لا يجني شيئاً ، ويضيع حياته بدون فائدة . **(٤) من رأى ضرب أمحبيطي راح وامشمس حيه :** أي يجب على الإنسان أن يأخذ العبرة من غيره . **(٥) يا سعد عينين واجهن ديانها :** أي من يصمد ويتصف بالثبات عند المواجهة . **(٦) من غيب أهبن شاته عتود :** يطلق على الغائب الذي يبخس حقه . **(٧) زل بين أمحالب وأملاي :** أي من يتدخل فيما لا يعنيه. **(٨) لا يزين ظفارين على أمقمل:** أي من يحاول التجمل أو التحسين على أساس سيء. **(٩) لا متفالة بلا ريق :** أي لا ينفع جهد بدون عتاد . **(١٠) إيلا ما في حب من فين تكيل :** أي فاقد الشيء لا يعطيه[٣].

(١١) حلقي بين عودين: تقال لمشغول بأمر ما . **(١٢) يتنسم مع أمفرق:** دلالة على شدة الغضب. **(١٣) سوق بخلف :** يطلق على من يؤم مكان ويجد فيه ما لا يتوقع . **(١٤) قدنك ويلا أمنار فعين بمجحم أمكبار:** تعني إذا عزمت على أمر ما فكن عالي الهمة . **(١٥) فجة خبارة:** من يتحمس في بداية الأمر ثم يخبو ويتراجع. **(١٦) أمعين مع أمذيب :** تطلق على من يغفل عن شيء ما . **(١٧) لا يأكل بلحيه إلا أمذيب :** تأنيب لمن يتهاون في تغذية نفسه ، أو من لا يحسن الأكل . **(١٨) شبع البقر على ربي :** تدل على الشراهة والنهم في الأكل. **(١٩) أمراح ويلي :** أي مردك إلى عندي . **(٢٠) لا توصي يتيمن ببكاي :** أي لاتوصي عارفاً عالماً بالأمور، أو أي واحد متصدر لأمر ما فلا يحتاج له توصية لحذاقته وفطنته . **(٢١) صكك الله بمنقاي:** تعني تحمل التحدي في الخصومة . **(٢٢) أنا عهدك أنها زقن :** تدل على من

---

(١) الزينة واللباس في عموم السروات وتهامة من المجالات الحضارية الكبيرة والمتنوعة في النوع ، والشكل، والأسعار، وطريقة اللباس وغير ذلك . وكان الناس قديماً لا يملكون ألبسة كثيرة لقلة ذات اليد ، ثم فاض الخير في وقتنا الحاضر فتنوعت وتعددت الألبسة وأدوات الزينة. وإجراء دراسة مقارنة عن الزينة واللباس قديماً وحديثاً يستحق أن يوثق في عشرات الكتب والبحوث . انظر : غيثان بن جريس . عسير (١١٠٠ـ ١٤٠٠هـ) ، ص ٦٥ـ ٧٣ .

(٢) لا تمثل الحريضة إلا جزءاً صغيراً من بلاد السراة وتهامة ، وسكان هذه البلاد عامة عرفوا الكثير من التراث الشعبي كالأمثال الشعبية ، والحكم ، والأهازيج ، والأحاجي، والشعر النبطي ، والمفردات واللهجات ، وكل هذه المجالات تعكس صفحات حضارية جميلة لهذه الأوطان . ويجب جمع هذا الموروث وشرحه وتحليله ثم طباعته ونشره ، حتى تطلع عليه الأجيال القادمة ، وهو جزء من تاريخ الآباء والأجداد (رحمهم الله تعالى) .

(٣) من يتأمل في أمثال وحكم وأهازيج وفنون الأوائل يجد فيها الأصالة والسمو . كما أنها مليئة بالمعاني والصياغات الجميلة . وكل هذا الموروث يعد من صلب حياة الناس وتعايشهم مع بعضهم ، ثم إنها جزء من حضارتهم التي عاشوها بكل إيجابياتها وسلبياتها .

يفعل أمر ما ويتسرع فيه ، وبالتالي تعود عليه الأمور بنتائج سلبية[١] .

٢ـ صفحات من تاريخ وحضارة مركز القحمة الحديث والمعاصر:

أ ـ مصطلح القحمة ، وتركيبتها الجغرافية والبشرية :

أشــارت بعض معاجم اللغة العربية إلى أن اســم القَحمة ، بفتح القاف ، الجيدة أو الحسنــة مــن الغنم أو الإبل ، ويقال : أقحم الرجل نفســه في أمر ما ، أي اقتحمه ودخل فيه بالقوة . والقُحمة ، بضم القاف ، أي الأمور الكبيرة الشاقة ، ويقال فلان مقحم ، أي عاشـن في البوادي والأرياف ، أو الأماكــن الصعبة [٢]. وفسر مصطلح القحمة في بعض القواميس العربية بأنه المكان الذي يُتخذ موطناً مؤقتاً للراحة والاسترخاء [٣] .

ونجــد بعض المعاجــم والمصــادر الجغرافية المبكــرة تشــير إلى اسم مــكان يعرف بـ (الحمضــة) ، وهــو من أودية مركــز القحمة الجنوبية . وأشار الهمــداني في كتابه (صفة جزيــرة العــرب) ، وياقــوت في مؤلفه (معجم البلــدان) بأن هذه الناحيــة (القحمة) أو (الحمضة) في تهامة همدان وخولان . وهذه الإشارات عامة فلم تحدد المكان الدقيق لهذه البلاد [٤] ، لكن المراجع الحديثة حددت موقعها شمال تهامة جازان ، وهي أراضي ساحلية وسهلية تسكنها قبيلة المنجحة . واليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) هي جزء من تهامة عسير [٥].

---

(١) لم أدرج هذه النماذج من اللهجات والمفردات والأمثال ، إلا أرجو أن يطلع عليها طالبات وطلاب الدراسات العليــا وبخاصــة في أقسام اللغة العربية وآدابهــا ، والتاريخ ، وعلم الاجتماع ثــم يجتهدون لخدمة بلادهم ودراسة موروثها الحضاري المتنوع في مجالاته وعلومه .

(٢) واســم القحمة أو القحم عند سكان السراة وتهامــة يعرف أيضاً بالماشية الكبيرة في السن ، فيقال للشاة ، أو البقرة ، أو الناقة (شاه قحمة، أو بقرة قحمة ، أو ناقة قحمة) ، أي مسنة وكبيرة في العمر. وفي أجزاء من تهامة يطلق على المرأة أو الرجل الكبير المسن (قحم أو قحمة) . هذا ما عاصرته وعرفته وأنا أتجول في عموم السروات وتهامة منذ خمسين عاماً .

(٣) انظر معاجم اللغة العربية الرئيسية مثل : لسان العرب لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدي وغيرها .

(٤) هناك عدد من المصادر الجغرافية أشارت إلى بلاد الحمضة ، أو القحمة مثل: الاصطخري ، وابن حوقل ، والهمداني ، والبكري ، وياقوت الحموي وغيرهم . ومازال هناك معالم جغرافية كثيرة على ساحل البحر الأحمــر الشرقي من عدن إلى جدة تحتاج من يدرسها ويوثــق شيئاً من تاريخ أرضها وإنسانها منذ عصور مــا قبــل الإسلام إلى القرن (١٠هـ/١٦م) . بل تستحق بعض الموانئ أو المحطات أن تكون عناوين لكتب أو رسائل علمية ، وهذه مسؤولية الكليات والأقسام الأكاديمية في الجامعات السعودية المحلية .

(٥) القحمة جزء صغير من بلاد تهامة . ولا يمكن دراسة هذه الناحية دون الإلمام بتاريخ المنطقة التهامية الممتدة من جدة ومكة المكرمة شمالاً إلى جازان وتهامة اليمن جنوباً . والدارس لعدد من الوثائق غير المنشورة ، والرسائل العلمية ، أو الكتب والبحوث المطبوعة والمنشورة يجد أن هذا الساحل والأجزاء التهامية الداخلية لها تاريخ سياسي وحربي وحضاري متنوع خلال القرون الإسلامية المبكرة ، والوسيطة ، والحديثة ، والمعاصرة ، ومازالت تحتاج إلى بحوث نوعية في عناوينها وتحليلها وتوثيقها . آمل أن نرى مؤرخين وجغرافيين وآثاريين يقومون بهذه المهمة العلمية مع توخي المصداقية والشفافية والحيادية في كل ما يجمع ويدرس ويحلل .

في يومي الخميس والجمعة (١٥ــ ١٦/٣/١٤٤٣هـ) ، أثناء رحلتي من الدرب إلى البرك[(١)] ، التي قضيتهما في أوطان القحمة والحريضة تبين لي أن هذا المركز (القحمة) يحده من الشرق أجزاء من محافظة محايل كمركز بحر أبوسكينة وما يحيط به ، ومن الغرب البحر ، ومن الشمال أجزاء من محافظة البرك وبخاصة مركز ذهبان، ومن الجنوب مركز الحريضة وتتداخل أراضي اليابسة والبحر في هذه الناحية . ومساحة المركز تقريباً (٨٠٠كم٢) ، تقريباً عشرين كيلاً على البحر ، وأربعين في العمق الداخلي[(٢)] .

تتنوع تضاريس المركز ، ففي الداخل حرار ، وهضاب ، وأودية مثل: وادي ضنكان في الأراضي الشرقية وتصب مياه في البحر ، ووادي حمضة التي تأتي منابعه من أوطان بحر أبو سكينة في محافظة محايل ، ووادي نجل الذي ليس بعيداً في حجمه ووصفه عن وادي حمضة . وهناك العديد من الجداول والشعاب في الأجزاء الشرقية من المركز[(٣)] . كما لا تخلو بلاد القحمة من الجبال والهضاب المتفاوتة في أحجامها وارتفاعاتها ، ومنها جبل الخرماء شرق بلدة القحمة ، ويخترقه طريق مسفلت بعرض حوالي (١٠ــ ١٢م) ، وفي أعلاه مطل ومنتجع سياحي خاص بالبلدية ، وتظهر عليه الآثار البركانية التي جرت على طبيعته في عصور غابرة . ومن منتصف هذا الجبل أو القحمة تشاهد أجزاء كثيرة من أراضي المركز في كل الاتجاهات[(٤)] . وجبل المطف في رقة الصفراء شرق مدينة القحمة بحوال (١٥كم) . وعلى شاطئ البحر في الغرب إلى الشمال قليلاً جبل بركاني بارز يشرف على بلدة القحمة القديمة يعرف بجبل الوسم ، وقد أشارت بعض الدراسات القديمة والحديثة إلى طبيعته وجغرافيته[(٥)] .

يتبع مركز القحمة العديد من الجزر البحرية ، ومن أهمها : **(١) جزيرة كدمبل (كتمبل) :** في جنوب غرب بحر القحمة ، جزيرة بركانية ذات رمال ناعمة ، تحيط بها مياه البحر من كل الجهات ، تبلغ مساحتها حوال (٥كم^2) وتبعد من الساحل بالقارب العادي حوالي نصف ساعة[(٦)] . **(٢) جزيرة سمر :** غرب المدينة ،ومساحتها حوالي

---

(١) كانت هذه الرحلة في الفترة من (١٢ـ ١٨/٣/١٤٤٣هـ الموافق ١٨ـ ٢٤/١٠/٢٠٢١م)

(٢) مشاهدات الباحث ورحلته في (١٥، ١٦/٣/١٤٤٣هـ) .

(٣) مازالت التركيبة الجغرافية والبشرية لمركز القحمة تستحق أن تدرس وتوثق في العديد من الدراسات العلمية التوثيقية ، مع دعمها ببعض الصور الجوية الفوتوغرافية التي توضح أهم معالمها الجغرافية .

(٤) زيارة الباحث لهذا الجبل في (١٦/٣/١٤٤٣هـ) ، ويوجد فيه بعض المطلات والمتنزهات السياحية ، ومازال جديراً بالتطوير والاستثمار الاقتصادي .

(٥) جبل الوسم : يبعد عن الشاطئ في البحر حوالي (٣كم) ، وهو من معالم القحمة الرئيسية ، ويجري حوله حالياً بعض التطويرات السياحية، ويقع على قمته قاعدة للدفاع الجوي ، وعند أسفله مهبط الطائرات العمودية .

(٦) جزيرة كدمبل من أهم جزر مركز القحمة، وذكر لي أنها حالياً تستثمر سياحياً ، وهي من المشاريع

(٦٦كم٢) ، وتبعد من الساحل بالقارب حوالي ساعتين . **(٣) جزيرة السحل :** في الناحية الشمالية الغربية من المدينة ، ومساحتها تقدر بـ (٥،٥كم٢) ، وفيها العديد من المغارات والكهـوف المتنوعـة في أحجامها ومساحاتهـا . **(٤) جزيرتـا أم القشع ، وأم عقـام:** غرب ، وشمال غرب المدينة ، وتبعد عن الشاطئ بالقارب أكثر من ساعة ونصف، وفي أراضيها رمـال ناعمة وأشجار متنوعة وبخاصة شجر الحمض . **(٥) خور القضبة :** يبعد عن بلدة القحمـة جنوباً حوالي (٥كـم٢) ، وتأتي إليه الطيور المهاجـرة المتنوعة ، ومعظمها من قارة إفريقيا[١].

إن توقفنـا مـع تركيبـة أراضـي القحمة البشريـة والطبيعية ، فهي جـزء من بلاد الساحل والسهول التهامية الممتدة من بلاد الحجاز إلى قعر اليمن التهامي . فالأراضي الساحليـة متأثرة بالبحر في جغرافيتها ، وثرواتهـا الحيوانية والسمكية والنباتية ،وهي علـى ترابط وعلاقات حضارية متنوعة مع الأجزاء التهامية الداخلية ، ومع عالم البحر وكائناته الحية ، والشعوب القاطنة على الجانب الآخر من البحر الأحمر[٢].

اطلعت على عشرات المصادر الإسلامية ، وتجولت في ربوع تهامة الساحلية والسهلية الداخلية ، فوجدت المصادر الكلاسيكية فقيرة فيما حفظته لنا عن هذه البلاد . أما الآثار المادية السطحية والمدفونة فهي متناثرة في كل ناحية ، والكثير منها اندثرت ، أو انطمرت تحت الأرض ، وتستحق من يفتش عنها ويجمعها ثم يدرسها ويحلل محتوياتها[٣].

السياحية المدرجة ضمن استراتيجية عسير . آمل أن نرى هذه الجزيرة وغيرها على ساحل منطقة عسير مستثمـرة أحسـن استثمـار ، وهذا مما يعود بالنفع الكبـير على أراضي وسكان منطقـة عسير عموماً وما جاورها من بلدان السروات وتهامة .

(١) إن الصـلات الحضاريـة بين جانبي البحر الأحمر قديمة جداً، والذاهـب إلى الناحيتين الشرقية والغربية يـرى التشابهات الكثيـرة في التاريخ والموروثات الحضارية . وهناك بعض الدراسات التي صدرت في هذا الميـدان وبخاصـة في العصور الإسلامية المبكـرة والوسيطة وأحياناً الحديثة. لكن هـذا الموضوع جدير أن يدرس في عشرات البحوث التاريخية والأثرية عبر أطوار التاريخ .

(٢) هذا ما أكدته الدراسات الأثرية القديمة ،والعديد من المصادر الأجنبية والعربية . والوثائق ، والسجلات، والتقاريـر والمخطوطـات الحديثة احتوت على شيء من هذه الصلات وبخاصة العلاقات بين شعوب البحر الأحمـر الغربية والشرقية . أما المناطق التهامية الداخلية فهي أوطان مأهولة بالحياة البشرية والحيوانية والنباتيـة منذ عصـور التاريخ القديم ، ومازالت حتى اليوم . لكن تاريخها وحضارتها القديمة والإسلامية المبكرة والوسيطة لم تحفظ ، واندثرت مع تعاقب العصور المختلفة .

(٣) التنقيـب عـن آثار البلاد ، وجمعها ودراستها آمال نتطلع إليها منذ عقـود . وقد صدر ونشر دراسات قليلة ومحـدودة في هـذا البـاب ، لكن مازالت بلاد تهامة بـين الحجاز واليمن تحتوي على كنـوز كبيرة جداً من الـتراث والآثـار المادية ، وأكثرها مدفون في باطن الأرض ، وبعضها مـوزع في جبالها ، ووهادها وأوديتها . هـذا كلام أدونـه عن عموم السروات وتهامة منذ مطلع هذا القـرن (١٥هـ/٢٠م) ، لكن لا نجد حتى الآن مـن يدعم هذا المشروع الحضاري العظيم . ونرجو من جامعاتنا المحلية ومن الوزارات الرسمية المعنية أن تلتفت لهذا العمل المهم الذي هو جزء من تاريخ وحضارة وموروث بلادنا العربية العريقة .

وبعض المصادر التاريخية الحجازية واليمنية الإسلامية الوسيطة ، وعدد محدود من الرحالين والجغرافيين المسلمين الأوائل ذكروا بعض محطات طرق الحج والتجارة التي تقع في بلاد تهامة ، وفي مركز القحمة بعضاً من تلك المحطات التي كانت نشطة بتاريخها وحضارتها المادية والمعنوية [١].

إنني أوثق السطور السابقة بعد رحلة مضنية في صفحات وبطون المصادر التراثية الإسلامية .وعند سيري وتنقلي في أرجاء مركزا القحمة وغيرها من تهائم السعودية الممتدة من جازان جنوبا إلى القنفذة والليث شمالاً شاهدت تعدد القبائل والعشائر القحطانية والمضرية العدنانية في هذه الديار . وبعد قراءات وتمحيص وتأمل لهذه الشعوب خرجت بالعديد من الرؤى التي أذكر أهمها في النقاط الآتية :

١. إن معظم سكان هذه البلاد عرب أقحاح خلص ، فمنهم من جاء إليها من حواضر اليمن الرئيسية ، وآخرون من أجزاء عديدة في غرب وشمال ووسط شبه الجزيرة العربية . وهناك عشائر وقبائل عديدة استوطنوا قمم السروات، أو أجزاءها الغربية وسهولها التهامية ، ومنهم من نزح إلى المناطق الخبتية والساحلية[٢].

٢. لاتخلو هذه البلاد من عناصر بشرية جاءوا إليها من خارج شبه الجزيرة العربية، وأقرب الطرق إليها عن طريق البحر. فمنهم من كان يعمل في التجارة الدولية الشمالية والجنوبية، وكانوا يتخذون البحر الأحمر طريقاً لهم ، ومنهم من ينزل على شواطئه الشرقية والغربية ، ومن ثم أثروا وتأثروا ، وبعضهم استقروا في هذه البلاد الساحلية[٣]. كما أن ظروف الهجرات ، والحروب ، والصراعات السياسية،

---

(١) من هذه المصادر الكلاسيكية الإسلامية المبكرة والوسيطة. كتب الهمداني ، واليعقوبي ، وابن خرداذبة، والاصطخري ، وابن حوقل ، والإدريسي ، وياقوت الحموي ، والبكري ، وأبو الفداء ، وناصر خسرو ، وابن المجاور، وابن فضل الله العُمري . كما أن كتب الحجاز واليمن المحلية الإسلامية الوسيطة مثل مؤرخي دولة بني رسول ، ومؤرخي مكة المكرمة أشاروا إلى نتف من تاريخ البلاد الممتدة من مكة المكرمة إلى جازان ، لكنها مازالت مقتطفات محدودة وقصيرة ، ولا تعطينا صورة واضحة عن هذه الأوطان الساحلية والسهلية التهامية .

(٢) إن الدارس لتاريخ وهجرات قبائل السروات ، يجد فخوداً وعشائر كثيرة ، نزلوا من أعالي الجبال إلى السهول التهامية الواقعة بين الساحل ومناطق الأصدار (سفوح السروات الغربية) ، ثم عاشوا وتناسلوا واستقروا في هذه البلاد منذ عصور ما قبل الإسلام حتى الآن . وعندما نسعى إلى معرفة شيء من تاريخ وحضارة سكان هذه الديار نعجز عن الوصول إلى مبتغانا ، لندرة المصادر وعدم توفرها أساساً ، وهذا لا يعني أن ليس لهم تاريخ ، فآثارهم من الآبار ، والكهوف ، والمقابر، والأسواق ، والسدود ، ولهجاتهم وأعرافهم وتقاليدهم تؤكد أن لهم تاريخاً وحضارة قديمة جداً ،ومهمة في شتى الجوانب .

(٣) إن الباحثين في حضارات دول العالم الشرقية والغربية منذ آلاف السنين يجد أن الصلات التجارية والحضارية قديمة جداً واستمرت عبر أطوار التاريخ القديم والإسلامي . وهناك كتب وبحوث صدرت في

والأحــوال الاجتماعيــة والاقتصاديــة وغيرها جعلــت الأفراد والجماعــات ينتقلون مــن مــكان لآخر ، ومما لاشك فيه أن سواحل البحــر الأحمر الشرقية وما يليها من السهــول التهامية قد تأثرت بأقوام جاءوا إليهــا فاستوطنوها عبر عصور التاريخ . ومــن السكان الأصليين أيضاً من خرجــوا من أوطانهم وذهبوا إلى بلدان عديدة في قارتي إفريقيا وآسيا وغيرهما[١] .

٣. مــن يسير في مناكب بلاد القحمة وغيرها مــن بلدان تهامة العربية السعودية اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يرى مع السكان أجناســا سعودية عربية ، وعرباً غير سعوديين بالجنسيــة . كما أن هنــاك أفراداً وجماعات ، ذكوراً وإناثاً مسلمين وغير مسلمين ، شرقيين وغربيين شماليين وجنوبيين من الكرة الأرضية ، جميعهم يعملون ويعيشون في أمــن وأمان ، فيكسبون أرزاقهم ، ويتعايشون مع بعضهم في سهولة ويسر . وهذه ميــزة لم تعشهــا هذه الأوطان فيما مضى من العصــور والأزمان . بل لم تعرف هذه الأراضي وأهلها قديماً حياة هادئة ومستقرة كما تعيش اليوم[٢] .

هذا الميدان ، لكن موانئ البحر الأحمر السعودية مازالت بحاجة كبيرة إلى من يدرس تاريخها القديم منذ العصور الحجرية إلى القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) .

(١) إن الأمم الإغريقية (اليونانية) ، والرومانية ، والحبشية ، وشعوب الفرس ، والصين ، والهند وغيرها عرفوا سواحــل البحر الأحمر الشرقية، وجابوها ، وتعاملوا مع بعض سكانها الساحليين في عصور ما قبل الإسلام، وأثنــاء عصــور الإسلام المختلفة حتــى عصرنا الحاضــر. وهناك الكثير مــن الكتب والبحــوث والدراسات التــي ذكرت شيئًا مــن سياساتهم الحربية والاستعمارية وكذلك الحضاريــة الاقتصادية . وكان لهم صلات متنوعــة مع شعــوب الموانئ البحرية ، وأحياناً تمتد علاقاتهم السلبيــة إلى حواضر وبلدان عديدة في الداخل وأطــراف شبــه الجزيرة العربية . لكن المناطق الداخلية التهامية من جازان إلى مكة لم تتأثر كثيراً ، بل كان معظــم سكانها في عزلة عن بقية الأمم منذ عصر مــا قبل الإسلام إلى القرن (١١هـ/١٧م) ، وبداية القرن (١٢هـ/١٨م) . هذا الكلام خلاصته قراءات وبحوث تعاملت معها ، ودرستها خلال الأربعين عاماً الماضية .

(٢) كــوني أدرس تاريخ وحضــارة الأمم في العالم منذ تسعينيــات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وأراقــب وأوثق حياة الشعــوب داخــل شبه الجزيرة العربية وخارجها . فإن البلاد السرويــة والتهامية كانت في السابق محكومة بقبائلهــا المتصارعة المتناحــرة ، حتى وإن امتدت إليها بعض القوى السياسيــة الداخلية والخارجية ، لكن طبيعــة الأرض وانعزال أهلها وصعوبتهم أحياناً جعلتهم في حياة كر وفر وبعد أن وحدت معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية تحت حكومة المملكة العربية السعودية ، وزعامة المؤسس الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعــود (غفــر الله له) تحولت الأرض والإنسان من التقوقع والتشــرذم إلى بلاد متمدنة متحضرة ، ثم سادها التآلف والوحدة فالتقى السهل بالجبل والساحل ، وتداخلت الأسر ، والأفراد ، والقبائل حتى صارت جــزءاً من دولة عصرية مترامية الأطراف . وهذا التحول التاريخي والحضاري الحديث لم يدرس دراسة تحليلية عميقة ، مع مقارنة الحاضر مع القديم في شتى الأحوال. وأيم الله إنها نقلة حديثة عصرية تستحق مــن كل مــؤرخ صادق وحيــادي ونزيه أن يرصــد ويوثق كيف كانــت أراضي وشعوب هــذه النواحي ، وكيف تطورت وصارت اليوم في وقتنا الحاضر .

ب ـ لمحات من حضارة مركز القحمة الحديث والمعاصر:

لم تكن بلاد القحمة في معزل عن الأحداث والقوى السياسية التي ظهرت ، أو امتد نفوذها على منطقتي عسير وجازان خلال القرنين (١٣ـ ١٤هـ/١٩ـ ٢٠م) [١] ، ولأهمية هذه الناحية البحرية ، كونها ميناء تجارياً وحربياً ، فقد ورد ذكرها في بعض المصادر والمراجع والوثائق التاريخية[٢].

ونجد ميناء القحمة من الموانئ الرئيسية خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، فبعد دخول منطقة عسير تحت حكم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ، كان لابد أن يكون لتهامة وسروات هذه البلاد منفذاً نشطاً على البحر ، وكانت القحمة من أفضل الأمكنة لهذه المهمة[٣]. وتشير عشرات الوثائق التاريخية إلى الأدوار المهمة التي لعبها ميناء القنفذة من الأربعينيات إلى الثمانينيات وربما التسعينيات من القرن (١٤هـ /٢٠م)[٤].

وتشير الوثائق التاريخية إلى النشاط الاقتصادي والتجاري والحضاري الذي عرفه ميناء القحمة من الخمسينيات إلى الثمانينيات في القرن الهجري الماضي[٥]. ولم تخلُ بلدة القحمة من مؤسسات إدارية سعودية خلال تلك الفترة ، وعند إجراء الكثير من

---

(١) لن أفصل الحديث عن تاريخ عسير وجازان السياسي والحربي في العصر الحديث ، لأن ذلك موثق ومدروس في عدد من الكتب والبحوث والرسائل العلمية المطبوعة والمنشورة .ومازال التاريخ الحضاري في هذه البلاد يحتاج إلى عناية الباحثين والمؤرخين الجادين والمنصفين .

(٢) اطلعت على العديد من المصادر ، والكثير من الوثائق غير المنشورة التي احتوت على تفصيلات متنوعة عن موانئ البحر الأحمر الشرقية من ينبع ورابغ وجدة في الشمال إلى جازان والحديدة وعدن في الجنوب. وهناك إشارات جيدة لأهمية ميناء القحمة ، وبعض الأدوار التي قام بها خلال القرنين (١٣ـ ١٤هـ/١٩ـ ٢٠م) . وهذا الميناء يستحق أن يكون عنواناً لبحث أو رسالة علمية خلال القرون الماضية المتأخرة .

(٣) إن الدارس لتاريخ ضم عسير ثم جازان إلى حكومة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود يدرك المراحل التي جرت لهذا الضم ، وكيف كانت أوضاع البلاد مضطربة وغير مستقرة في بداية الأمر ، ثم سارت الأمور السياسية والحضارية نحو الإيجابية حتى صارت جميع مناطق السروات وتهامة جزء من حكومة الملك عبدالعزيز آل سعود (المملكة العربية السعودية)

(٤) اطلعت على العديد من هذه الوثائق ونشرت أيضاً بعضاً منها في عدد من كتبي ومؤلفاتي خلال الثلاثين عاماً الماضية ومازلت أقول إن موانى القنفذة ، والقحمة ، وجازان لم تخدم حتى الآن بحثياً وتوثيقياً ، ويستحق كل ميناء أن يكون عنواناً لبحث أو رسالة علمية .

(٥) جمعت واطلعت على أكثر من وثيقة غير منشورة تشتمل على تفصيلات إدارية ، وتجارية ، واقتصادية وحضارية عن بلاد القحمة من نهاية الأربعينيات إلى السبعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) . وأقترح أن تكون هذه الفترة عنواناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية . أرجو من أساتذة أقسام التاريخ في الجامعات المحلية ، أو طلاب الدراسات العليا في هذه الأقسام أن يتلفتوا إلى هذه النواحي الصغيرة في سهول وسواحل تهامة من اليمن إلى الحجاز فتكون ضمن اهتماماتهم في بحوثهم ورسائلهم العلمية ، لأنها مازالت أمكنة بكراً لمن يرغب أن يدرسها ويوثق تاريخها وحضارتها عبر أطوار التاريخ .

التنظيمات الإدارية والتطويرية في جنوب البلاد السعودية صارت معظم المدن والحواضر والبلدان في عموم السراة وتهامة مخدومة ومرعية إدارياً وتنموياً وحضارياً[١].

مكثت يوم الجمعة (١٤٤٣/٣/١٦هـ) أتجول في مركز القحمة، وبخاصة الحاضرة، فوجدتها مدينة متحضرة تشتمل على كل ضروريات الحياة الحضارية الحديثة . ففيها العديـد من المؤسسات الإدارية الرسمية مثل: إدارة المركـز، وإدارات أو مراكز أو فروع للشرطـة ، وقيـادة حرس الحـدود ، والشرطة العسكريـة ، والشؤون البحريـة ، وإدارة الـثروة السمكية ، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عـن المنكر ، والمستشفى العام ، ومركز الرعاية الصحية الأولية ، ومكتب خدمات البلدية ، ومكتب للبريد ، ومركز البيئة والمياه، وإدارة الدفـاع الجوي ، وعدد من الجمعيات واللجـان الأهلية والخيرية . بالإضافة إلى بعض فروع وخدمات البنوك التجارية كالراجحي والأهلي[٢]. ومن هذه النظر السريعة علـى بعض إدارات ومؤسسات القحمة الرسميـة والأهلية ، استطعت أن أستخلص عدد من النتائج والخلاصات التي أسجلها في النقاط الآتية :

١. إن عـدداً مـن الإدارات الحكوميـة في القحمـة قـديم فقـد تأسـس بعضهـا مـن أربعينيـات وخمسينيـات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، مثـل: إدارة المركز ، وتسمى قديما إمـارة[٣]. والمحكمة الشرعيـة، وإدارة الجوازات والأحوال المدنيـة ، وإدارة الميناء

---

(١) هـذه الأقـوال لم تكتب جزافاً أو اعتباطاً ، وإنمـا هي خلاصة دراسات وبحوث ورحـلات في عموم التهائم والسروات ، الواقعة بين اليمن والحجاز ، منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) . والذي تأكد لي أن هذه الأوطان تحتـوي على مخزون معـرفي وحضاري قديماً جداً ، ومتنوع عبر عصـور التاريخ منذ العصر الحجري إلى يومنـا الحاضر. لكـن البلاد منـذ أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحـالي عاصرت وعرفت تاريخـاً حضارياً وتنموياً هائلاً، لم يسبـق له مثيل . ولحسن الحظ أن تحسنت الأوضاع الاقتصادية ، ومن ثـم ازدهرت الجوانب الحضارية الأخـرى وبخاصة الناحية العلمية والمعرفية والثقافية . وبالتالي فإن على أجيال هذا العصر الحديث والمعاصر مسؤولية عظيمة لحفظ تاريخ وتراث وحضارة بلادهم عبر العصور، وبخاصـة الـذي مازال مجهولاً أو ضائعـاً أو منسياً فتبـذل الجهود لدعم وتشجيع من يقـوم بجمع وحفظ ودراسة وتوثيق هذا التراث المهم والأصيل .

(٢) إنهـا جولـة قصيرة ومشاهدات محدودة في مدينة القحمة وما حولها ، فلم أدون كل ما تحتويه من مؤسسات وخدمات حكومية وأهلية ، لكن صبغة الحضارة والتمدن الحديث يغلب على جميع مرافق المدينة وما حولها ٠

(٣) وجدت عشرات الوثائق التي تشير إلى إمارة القحمة في الخمسينيات والستينيات من القرن الهجري الماضي ، فذكرت أسماء من تولى إمارة هذه الناحية آنذاك ، وبعض العاملين معهم ورواتبهم .وكانت في بادئ الأمر تراجـع إمارة عسير، ثم صارت في عقود تالية تراجع إمـارة جازان حتى عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، وأخيراً أصبحـت ناحيـة تابعة لإمارة منطقة عسير ، وهي حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تراجع إمارة عسير مباشرة. وتاريـخ بلاد القحمة الإداري والمـالي والحضاري من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية .

والجمارك ، وفرع وزارة المالية وغيرها[١] . وهناك إدارات أنشئت مؤخراً منذ عام (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

٢. كل المؤسسات الإدارية التي شاهدتها ، والتقطت صوراً لبعضها، وأخرى سمعت أخبارها من بعض رواة وأعلام القحمة [٢]، تقع في عمارات مسلحة حديثة تتكون من دور واحد إلى ثلاثة أدوار ، ومعظمها أبنية مستأجرة، والعمارات الحكومية قليلة جداً، وأغلب الإدارات الرسمية على الطريق العام الذي يربط الدرب والحريضة مع البرك والقنفذة .وبعضها في مجمع إسكان الأمير سلطان الخيري جنوب مدينة القحمة[٣] .

٣. شاهدت أن جميع العاملين في الإدارات الحكومية، ومعظم المؤسسات الأهلية من السعوديين ، والنسبة الكبرى من الرجال ، ونسب متفاوتة وأحياناً قليلة من السعوديات. ومازال هناك بعض العناصر غير السعودية العاملة في بعض القطاعات الصحية كمستشفى القحمة وغيره ، وفي بعض القطاعات الأخرى الاقتصادية الربحية[٤] .

أما الحياة التنموية العمرانية في مركز القحمة ، فالسائد العمارة الحديثة المسلحة. والشارع العام الذي يجتاز مدينة القحمة تكتظ جانبيه بالعمارات التجارية وبعض السكنية ، وتتراوح طوابقها من غرف محدودة أو طابق واحد إلى ثلاثة طوابق، ونادراً ما ترى أربعة طوابق ، ويأتي خلف الشارع العام من الجانبين أحياء وحارات عديدة معظمها مبنية بالعمارات المسلحة الحديثة ، ومازال هناك بعض الأبنية الشعبية في بعض أجزاء الحاضرة[٥] . وفي جنوب مدينة القحمة يقع مجمع إسكان الأمير سلطان

(١) لا يوجد اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) في القحمة محكمة شرعية ، ولا إدارة الميناء والجمارك ، ولا فرع وزارة المالية . وإنما كانت مؤسسات إدارية في هذه الناحية إلى عهد قريب ، ثم ألغي بعضها، ونقل الآخر. وقد زرت مقرات هذه الإدارات في بلدة القحمة القديمة ، فوجدت أبنية شعبية صغيرة مبنية بالحجارة والطين ، وبعضها مطلية بالجص والنورة من الداخل والخارج .

(٢) التقيت بالعديد من أعلام مركز القحمة وفي مقدمتهم الأستاذ أحمد علي العبسي الذي تنقل معي مشكوراً في نواحي عديدة من أراضي المركز ، وزودني بمعلومات متنوعة عن جغرافية وإنسان هذه البلاد . والأستاذ أحمد من سكان القحمة ، علم سنوات عديدة في ميدان التربية والتعليم ، فجزاه الله عني كل خير .

(٣) زيارة الباحث للمدينة في (١٤٤٣/٣/١٦هـ) ، ومشاهدته العديد من معالمها التاريخية والحضارية الحديثة .

(٤) اطلعت على عدد من التقارير الصادرة من أمانة منطقة عسير تخص تطوير ساحل منطقة عسير من الحريضة إلى سعيدة الصوالحة ، وتحتوي على تفصيلات متنوعة عن الاستثمار في هذه الناحية وتطويرها اقتصادياً وسياحياً وتنموياً . وإذا تم ذلك في السنوات أو العقود القادمة ، فالتركيبة الاجتماعية والإدارية والاقتصادية سوف تكبر وتتنوع جغرافياً وبشرياً وتستثمر في هذه البلاد سياحياً واقتصادياً .

(٥) العمارات الشعبية مازالت منتشرة ، بكثرة في قرى وأرياف مركز القحمة ، وهي بيوت حجرية أو أسمنتية (بلك + أسمنت + سقوف خشب) ، ولا تخلو حاضرة القحمة من بعض هذه البيوت أيضاً ، إلا أن معظم عمارات المدينة من الإسمنت والخرسانة المسلحة .

الخـيري ، ويتكون مــن مئة فلة بمرافقها ، وفي هذا المجمـع العديد من الخدمات المهمة والضروريـة مثـل المدارسـ الحكومية ، ومستوصـف رعاية أولية ، ومقـر إدارة المركز ، ومركز التنمية الاجتماعية ، وجامع كبير يتسع لعشرات المصلين[١] .

وقفـت على بعض أحيـاء مدينة القحمة ومخططاتها مثـل: (١) حي صواحة شرق المدينة ، وفيه الكثير من الأبنية الحديثة وشوارع مسفلتة ذات مسار واحد . (٢) حي أو مخطـط (الجربـوع) شرق الطريق العام مليء بالعمـارات الحديثة من دور إلى ثلاثة أدوار وشـوارع فسيحـة مـزودة بالإسفلـت والإنـارة ، ويوجد في هذا المخطـط أكثر من (٥٠-٧٠) عمارة حديثة . (٣) إلى جانب مخطط الجربوع من الشمال مخطط البلدية، وشوارعـه واسعة ومخدومة بالإنارة والإسفلت ، وفيه عمـارات كثيرة من دور إلى ثلاثة أدوار ، ومـازال العمران فيه مستمراً . والأجزاء الواقعة على الطريق العام في مخططي الجربـوع والبلدية تجاريـة ، وعليها مشاريـع عمرانية حديثة يصل ارتفـاع بعضها إلى أربعة طوابق[٢] .

وفي الناحية الغربية من الطريق العام عدد من الأمكنة والأحياء الحديثة والقديمة . وقد زرت القحمة القديمة، ورأيت السوق القديم في مساحة محدودة ، ومازال يحيط به بعض الأبنية الصغيرة المتواضعة المبنية بالحجارة والطين ، ومازال حول هذا المكان بعض عشش القش .وإلى جانب السوق القـديم أبنية مشيدة بالطين والحجارة ومطلية بالجص والنورة ، وأخبرني بعض الرواة أن هذا المكان الثاني كان امتداداً للسوق القديم . وعلى مقربة من أرض السوق أبنية قديمة ، بعض أبوابها بالخشـب ، وأخرى بالحديـد ، وسقوفها مغطاة بالأخشابٍ والـتراب، وبعضها بالإسمنت ، وكان بعضها مقراً لبعض الإدارات الحكومية في السابق . وقريباً من هذا كله في عموم الحي المعروف بـ (الخرشعـة) أبنيـة حديثة مسلحة وأخرى شعبية ، وهي متداخلة مع بعضها البعض . ومن هذه الجولة في هذه الناحية القديمة أخرج ببعض النتائج والتوصيات ، وأذكر أهمها في البنود الآتية :

١. أربعون عاماً وأنا أسير في مناكب بلاد السراة وتهامة ، فشاهدت قراها ، وحصونها ، وآبارهـا ، ومساجدهـا ، ومقابرها ، وكهوفهـا ، ومدرجاتها الزراعيـة ، وأحميتها ، وجميع مجالس وعمـارات أهلها وأبنيتهم القديمة فوجدتها تعكس تاريخاً وحضارة تنم عـن عراقة وأصالة هذه الأوطان . ناهيك عـن إبداعاتهم وفنونهم ، وأغانيهم

---

(١) المصدر : مشاهدات الباحث في مركز القحمة يوم الجمعة (١٦/٣/١٤٤٣هـ) .

(٢) استأجرت بضع ساعات في إحدى الأبنية الفندقية الموجودة على الشارع العام في مخطط البلدية ، وفي هذا المخطـط العديد من المساجد والجوامـع الكبيرة ، وبعض الاستراحات أو قاعـات للاحتفالات الاجتماعية الكبيرة . المصدر: مشاهدات الباحث يوم الجمعة (١٦/٣/١٤٤٣هـ) .

وأهازيجهم، ولغاتهم ولهجاتهم وتراثهم المعنوي، فهو أيضاً مجال آخر كبير من التراث والحضارة الإنسانية المحلية[1].

٢. بلادنا (المملكة العربية السعودية) بدأت منذ عقود توحد وتبني وتشيد الأرض والإنسان في جميع أرجائها. ومن ثم مرت التنمية بمراحل عديدة حتى صارت البلاد، ولله الحمد، من الأوطان المتمدنة المتحضرة في شتى المجالات. لكن التنمية الحديثة تخللها وسار معها بعض السلبيات، وبخاصة ما يتعلق بالتراث المادي العمراني. فكم من ناحية، أو بلدة، أو قرية في عموم المملكة العربية السعودية يعود تاريخها إلى ما قبل الإسلام، أو إلى عصور الإسلام المبكرة والوسيطة، لكن عجلة التنمية والبناء جاءت عليها فأزالتها، أو دمرت أشياء كثيرة من تاريخها وحضارتها. والمجتمع السعودي (أفراداً وجماعات) ساهموا بنسبة كبيرة جداً في إتلاف هذا التراث الحضاري. فمنذ الثمانينيات في القرن الهجري الماضي، وأنا أشاهد وأسافر في ربوع المملكة وبخاصة جنوبها (سراة وتهامة)، وأقف وأرى مواطن تاريخية عريقة، لكن أيدي البشر لم ترحم هذا الموروث من الإتلاف والتدمير، ثم استبداله بعمران حديث لا أصل له ولا عراقة، وهكذا استمر الحال، حتى أصبحنا نشاهد جميع موروثنا وتراثنا العمراني القديم أشباحاً، وأحياناً كثيرة خراباً ومدمراً. نحن بحق سكان شبه الجزيرة العربية أصحاب حضارة وتاريخ قديم، وإسلامي مبكر ووسيط، وله الكثير من الإيجابيات عبر العصور وفي شتى المجالات. وأماكن الاستيطان والبناء والتشييد صفحات مشرقة للآباء والأجداد الأولين. والواجب علينا جميعاً على المستويين الأهلي والرسمي أن نتعاون في كل ما يبني ولا يهدم، وأن نربط تراثنا وتاريخنا وحضارتنا الحديثة بموروثنا القديم الجميل، وإن فعلنا ذلك كنا من الناجحين المفلحين (بإذن الله تعالى).

٣. إن ما رأيته ووقفت عليه في بلدة القحمة وغيرها من تراث وتاريخ قديم جعلني أسطر بعض المدونات الآنف توثيقها في سطور سابقة. والدولة السعودية في وقتنا الحاضر تعمل وتجتهد أن تكون بلادنا قبلة سياحية عالمية، وعندنا من التراث والرقي والحضارة العربية والإسلامية الأصيلة، ما يجعلنا فعلاً ننافس غيرنا في

(١) قضيت سنوات من عمري أسافر وأتنقل في مدن وبلدان وأحياء أمريكية، وغربية وشرقية. وفي عدد من دول العرب والمسلمين. فوجدت كل ناحية أو بلاد لها تراث وموروث وتاريخ وحضارة. والتاريخ المادي العمراني من أهم ميادين التراث المرئي والمشاهد والملموس، لهذا فالأمم تتفاوت في الحفاظ على هذا التراث وبخاصة القديم، لكن من اجتهد وحافظ عليه، احتفظ بصفحات جيدة من تاريخ وحضارة بلاده، ومن تقاعس وأتلف هذا الكنز الحضاري المهم ضيع جزءاً من تاريخ وطنه.

ميـدان الموروث الحضاري والسياحي، لكن يجـب العمل والحفاظ على هذا التاريخ والـتراث العربـي المحلـي، ثم خدمتـه وصيانته وتطويـره حتى يحافـظ على قدمه وأصالته وعراقته ، وفي الوقت نفسه الأخذ بكل جديد يرفع من قدره وقيمته[١] .

علمـت من أهـل القحمة أن هنـاك عشرات القـرى التابعة للمركـز بعضها ضمن مخطط المدينة ، وأخرى متفرقة في أنحاء المركز . ومن تلك القرى القريبة من البحر أو الخـط العام من شمال المركز إلى جنوبـه. خور الوسم الشمالي ، والجرمة ، وعُصيرة، وصواحـة ، والسـوق ، والخرشعـة ، والعـيرج ، والعاليـة ، ومغزل ، والـبراق ، والنفاح ، والعُشـير ، والمقطـوع ، والشـروم[٢] . ومن القـرى الداخلية الريفيـة أو البدوية وتقع في الأجـزاء الشمالية الشرقية : القرمـل ، والجواد ، وقرن الحمام ، والهيجة ، والمكملات، والعقدة ، وأثلة ، والمصيدرة، والعرجاء ، والمفجر، وضنكان، والحفق . ومن قرى الشرق أو الجنـوب الشرقـي: المضـارب، والجلـة ، والضاجـع ، والمطعـن ، ومليحـة ، والمروة ، والخشاف، والخشب ، والشعيب ، والجوز، والمبيهم ، وملحة ، ومجلي وغيرها [٣] .

كل العمـارات التجاريـة تقع ضمن إطـار حاضرة القحمة ، فالكثـير من التجارات المحدودة والمتوسطة على الشارع العام ، كالبوفيهات ، وبعض المطاعم والبقالات ، وصيانة بعض الأدوات أو المعدات . ورأيت بعض الفنادق والوحدات السكنية على الشارع العام ، وبعضها داخل الأحياء القريبة من الطريق العام . ولا تخلو المدينة من بعض الشاليهات الاستثمارية ، وبعض ملاكها من أهل القحمة ، وآخرون جاءوا من بلدان أخرى وبخاصة من محافظـات منطقة عسير السرويـة والتهامية[٤] . وللقحمة سـوق أسبوعي يعقد كل أربعاء ، ويقع في شمال المدينة ، ومساحة تقدر بـ(١٠٠×١٠٠م) وتصدر إليه الكثير من

(١) هذا الذي أرجوه وأتمناه ، وعلى وزارات البلديات، والثقافة ، والتعليم ، وهيئة السياحة وغيرها أن تتضافر جهودهـا وتعاونهـا في خدمة موروثنا الحضـاري وحمايته وصيانته ثم دراسته وتقديمـه بلغات عديدة إلى شعوب العالم ، حتى يعرفوا عمق حضارتنا وعراقتها .

(٢) لم أذكـر كلٍ القـرى القريبة من البحـر أو على جانبي الطريق العام أو قريباً منـه ، لكنني ذكرت بعضها ، وزرت عدداً من هذه الأماكن ، والكثير منها تشتمل على عمارات حديثة ، ولا تخلو من أبنية شعبية مازالت مسكونة حتى الآن .

(٣) لم أصـل إلى هـذه القرى ، لكن سمعت من سكان مدينـة القحمة أن كل طرقها مازالت ترابية ، كما أن البيوت الشعبيـة هي الأكثر انتشـاراً فيها ، ولا تخلو من بيوت مسلحة من دور واحـد ، والعمارات ذات الطابقين قليلة جداً . والقرى الشمالية الشرقية لا تبعد كثيراً عن وادي ذهبان ومركزه التابع لمحافظة البرك والقرى الشرقية والجنوبية الشرقية يحدها من الجنوب والشرق والجنوب الشرقي مركزي الحريضة وبحر أبو سكينة .

(٤) حاضـرة القحمـة من البلـدان الهادية والواعـدة باستثمارات اقتصاديـة جيدة ، فأرضها جيـدة للعمارة والبنـاء، وأيضـاً موقعهـا ، فهي تصل البحـر بالساحل والسهـول الداخليـة ، وتتنوع في تراثهـا وموروثها التاريخي والحضاري .

السلـع الحيوانية والنباتية ، وعلى مقربة منه محــلات تجارية يومية دائمة يعرض فيها الكثير من البضائع المستوردة من داخل المملكة العربية السعودية ومن خارجها[١] .

وشاهــدت بعض المعالم العمرانية الأخرى مثل: ســوق السمك على الشارع العام في المدينة في مبنى حكومي حديث شيدته بلدية الساحل في الحريضة التي تتولى الإشراف على القحمة والحريضة . ويتكون من ثمان محلات تجارية واسعة وجيدة التشييد .وزرت أيضاً بعض أسواق المــواد الغذائية المتوسطة في مساحاتها ومعروضاتها ، وتحتوي أيضاً علــى بضائع أخرى متنوعة يحتاجها معظم النــاس. وعلى الطريق العام بعض الوكالات التجاريــة مثل درعــة للعطور، وقطع غيــار السيارات وغيرها . وهنــاك عدد من قصور الأفــراح في محيط المدينة ، تتراوح مساحاتها بــين (٥٠×١٠٠م) و (٨٠×٨٠م) ، وقد يكون هناك قصور أو استراحات أصغير من هذه المساحات . كما حصرت على الطريق العــام من الجنــوب إلى الشمال حوالي ست محطــات وقود ، ومن مرافــق أغلبها ورش أو محــلات متفاوتة في مستواهــا ومساحاتها لخدمة السيــارات ، وأحياناً محلات مواد غذائيــة، وكافيهات لشرب الشاي والقهوة وغيرهــا . وعلى الساحل مرسى يشيد حالياً، وذكــر لي بعض أعــلام المدينة أن تكلفتــه بلغت (٢٥) مليــون ريالاً سعوديــاً ، وذكر أن المرحلة الأولى من البناء والتشييد انتهت ، وعند الانتهاء منه سوف يكون معلماً حضارياً وتجارياً جيداً يخدم عموم سكان المركز ، أو من يزورها للسياحة والاستجمام [٢] .

مــن عمارات القحمــة القديمة البيوت والأبنية الحجرية التــي مازالت متناثرة في المدينة والقــرى والأريــاف من أراضــي المركز . والغالب على هــذه المباني محدوديــة البناء فلا تزيد طوابقها عن طابقين ، والغالب من طابق أو غرفة أو غرف صغيرة ، ومساحة البناء لكل بيت أو غــرف محدودة فلا تزيد عن مــترات محدودة . وقد شاهدت في بعض أريافها ضيق ممراتها، والأزقة التي تسير بين المنازل . وأغلبها خالية من الخدمات الضرورية كدورات المياه وغيرها. وقريباً من بعض المستوطنات البشرية القديمة قامت العمارات الحديثة المختلفة في مساحاتها، وأدوارها، وخدماتها، وهيئة البناء ، والديكورات ، والتخطيط ، والتأثيث وغيرها [٣] .

---

(١) ســوق القحمــة الأسبوعي قديم ، ومازال قائماً حتى الآن ، لكــن عوامل التراجع ظهرت عليه ، فقلت حركته التجاريــة مقارنــة بعقود ماضية قريبة . وبــدأت التجارات الحديثة تتطور وتتزايــد ، وقد يستغنى عن هذا السوق الشعبي مثلما استغني عن أسواق شعبية كثيرة في عموم السروات وتهامة .

(٢) ساحــل منطقة عسير، بل سواحــل البحر الأحمر من شمال المملكة إلى جنوبهــا مناطق حضارية وسياحية من الطراز الأول . آمل أن نراها من البلدان المتطورة في شتى المجالات ، مع الاهتمام والحفاظ على تراثها وتاريخها وحضارتها التي تعود إلى ما قبل الإسلام بمئات السنين .

(٣) ليــس هــذا الأمر محصــوراً على مدينة القحمــة أو قرى وأرياف المركــز ،وإنما هذه الظاهــرة سائدة على جميع مدن وقرى وأحياء وحواضر وأرياف السروات وتهامة من الطائف ومكة المكرمة إلى جازان ونجران.

أمـا الطرق البرية ، فالطريق العام الذي يخرج من الدرب إلى البرك والقنفذة ثم جدة ، فهو الشريان الرئيسي الذي يجتاز مدينة القحمة ، بل هو القلب النابض للمدينة، فعليـه معظم الحراك والأنشطـة التجارية والاقتصادية بشكل عـام ، ومنه تتفرع طرق عديـدة إلى الشـرق والغـرب فتصل إلى بعض أجـزاء المركز القريبة مـن قلب المدينة، وأغلبهـا اتجـاه واحد بعرضـ (٨ ـ ١٥م) . وهنـاك طريقان مزدوجـان بعرض تقريباً (٢٠م) يتفرعـان من الطريق العام شرقاً ، أحدهمـا يسير إلى جبل الخرماء ، والثاني شمـال المدينـة يخرج مـن الشـارع الرئيسي إلى مخطـط البلدية الذي فيـه عدد كبير مـن الأبنية الحديثـة . وطريقان آخران مزدوجان بعرضـ (٢٠ ــ ٢٥م) ، يخرجان من الطريـق العام تجاه ساحل البحر في الغرب ، وأحدهما شمال المدينة ، والآخر جنوبها . وفي داخـل المدينـة الكثير مـن الشوارع الصغـيرة المسفلتـة التي يـتراوح عرضها من (٥ – ١٥م) ، وهـي شرايـين تربط الأحياء والتجمعـات السكانية مع بعضها . وأفضلها وأحسنهـا عمارة وتشييداً الموجودة في مخططي الجربـوع والبلدية في الناحية الشمالية مـن المدينة . أما الطرق التي تخرج من المدينـة إلى بقية قرى وأرياف المركز في الشرق والشمـال أو الجنوب الشرقي فمعظمها مازالت ترابية ، والبلدية تجتهد حالياً في تمهيد وسفلتـة بعضها ، وبإذن الله يتحقق ذلك قريبـاً . ولم أجد طريقاً تخرج من المركز نحو الشرق حتى تربط حاضرة القحمة ببعض المدن أو المراكز أو الحواضر في تهامة منطقة عسير وبخاصة محافظتي محايل ورجال ألمع[1] .

مـازال هناك عمارات كثيرة في أنحاء المركز مثـل: أبنية المدارس الحكومية ، وهي قليلـة ، فأغلب مقرات المدارس مستأجرة ، وبعضـ الجوامع الكبيرة في مدينة القحمة، أمـا المساجـد والمصليات الصغـيرة فهي كثيرة ومتنـاثـرة داخل الحاضـرة وفي القرى والأريـاف[2] . وشاهـدت العديـد من المقابر داخـل مدينة القنفـذة ، ومعظمها محاطة

والعمـارة القديمـة والحديثة في هذ البلاد تستحـق أن تدرس وتوثق منذ بداية القـرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، آمل أن يقوم العديد من المؤرخين والباحثين في هذه الديار بدراسة هذا الميدان دراسة علمية توثيقية مع دعمها بالصور الفوتوغرافية الملونة .

(١) تحيـط أجـزاء من محافظات البرك ، ومحايـل عسير ، ورجال ألمع بمركز القحمة مـن الجنوب ، والشرق والشمال ، وليس هناك طرق تربط هذه النواحي مع القحمة سوى الطريق العام الذي يسير من الحريضة إلى القنفـذة . وأجـزاء القحمـة الشرقية تستحق أن تربـط بطرق مباشرة من مدينـة القحمة إلى مدينة محايل عسير وما جاورها . آمل أن يتحقق ذلك في قادم الأيام ٠

(٢) مـن خلال الحديـث عن المساجد والمصليات ، كانـت ترفع أصوات الأذان والإقامـة والصلوات في مساجد المملكة العربية السعودية عن طريق مكبرات الصوت . وهذه طريقة تطبق في المساجد منذ عقود وفي مطلع عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٠م) صدر قرار من وزارة الأوقاف والمساجد برفع الأذان والإقامة فقط في كل المساجد من خلال مكبرات الصوت. أما أداء الصلاة ، فتكون المكبرات مقصورة على المصلين داخل المسجد. وعند

بأسوار من إنجازات البلدية ، ومازال هناك مقابر في عموم المركز لم تُحط بأسوار ، آمل أن يعتني بها وتحفظ بسياجات وجدران خرسانية [١] .

كون القحمة منطقة ساحلية ، ولها أخوار وشواطئ بحرية ، وقد نالها بعض الاهتمام بتعمير مينائها وبعض مرافقها . واليوم تحظى برعاية أكبر ، فإمارة منطقة عسير ، وأمانتها تعمل جاهدة لتطوير مرفأ هذه الناحية ، وكذلك استثمار وتطوير الجزر البحرية القريبة منها . وهناك مخططات ونوايا حسنة لتطوير عموم شاطئ مدينة القحمة حتى يكون وجهة سياحية عالية المستوى ، يؤمها الزوار والسواح من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها . كما أن لها معالم جغرافية برية في محيط المدينة وفي البوادي والأرياف جديرة أن تطور وتستثمر ، ولديها المقومات الحضارية القديمة والحديثة التي تساعد في استثمارها والاستفادة من مكوناتها الطبيعية والحضارية الأخرى [٢] .

وأقول إن لبلاد القحمة تاريخ حضاري متنوع فلم تكن خالية قديماً من التعليم والمتعلمين ، ووقوعها على طريق الحج الساحلي اليمني عبر عصور التاريخ الإسلامي، وكذلك صلات بعض سكانها مع شواطئ البحر الأحمر الغربية ربما ساعد في انتقال

صدور القرار التزم بعض الأئمة والمؤذنين بهذا القرار . ومن خلال رحلاتي وتنقلي في مدن وحواضر وقرى عديدة في السراة وتهامة وبعض حواضر المملكة الأخرى من مطلع هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) حتى تدوين هذه السطور مطلع شهر جمادى الأولى من العام نفسه ، رأيت الأكثرية ملتزمين بقرار وزارة الأوقاف ، وهناك نسب قليلة من الأئمة والمؤذنين يتركون مكبرات الصوت مفتوحة أثناء رفع الأذان ، ثم من بداية كل صلاة إلى نهايتها ، وعند سؤال بعض من يقوم بهذه التصرفات وعدم الالتزام بقرار الوزارة تجد بعضهم يتهرب من الإجابة ، وفريق آخر يقولون هذا الذي عرفناه وتعودنا عليه عشرات السنين، وفئة ثالثة يرون أن هذا القرار غير صائب . وهذا مما شاهدته ولاحظته وأنا أسير من مدينة أبها إلى الدرب ، والحريضة ، والبرك. وكذلك سمعته ورأيته في أمكنة عديدة من مناطق المملكة العربية السعودية منذ شهر المحرم حتى شهر جمادى الأولى عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)٠

(١) من محاسن هذا البلد المبارك (المملكة العربية السعودية) خدمة الإسلام والمسلمين في شتى الجوانب. ومن يستقرئ المصادر والوثائق والسجلات على جهود الحكومة في دعم ورعاية هذا المجال، فإنه سوف يطلع على مئات الكتب والبحوث العلمية العربية والأجنبية ، الداخلية والخارجية . حتى الأموات فقد نالهم نصيب من هذه الرعاية ، والمقابر في أنحاء البلاد السعودية حظيت بالاهتمام والخدمات المتنوعة من تخصيص أراضي لهذا الشأن ، ثم تسويرها بأسوار حديثة جيدة حتى تحفظ من عبث الأحياء سواءً كانوا من البشر أو الكائنات الحية الأخرى ٠

(٢) ليس هذا الكلام مقصوراً على حاضرة القحمة ، لكنه صالح لجميع بلدان السروات وتهامة . فقد زرت مناطق جازان ، ونجران ،وعسير، والباحة ، والأجزاء العلوية السروية من واديي رنية وتربة ، والطائف ، والليث ، والقنفذة ، ومنطقة الأصدار الممتدة من تهامة الطائف إلى أصدار ومرتفعات جازان فوجدت هذه البلاد تختزل تراث وتاريخ وحضارة يصعب أن نجدها في مواطن أخرى من شبه الجزيرة العربية . وهذه البلاد بحق ميدان حضاري كبير للدراسات العلمية المتنوعة ، وكذلك بيئة استثمارية لمن أراد الإستفادة من تنوعها الجغرافي، وعراقة تراثها وتاريخها الحضاري ٠

بعض العلوم والمعارف إليها . وقد سألت بعض أعلامها عن بعض أرباب القلم أو المتعلمين فيها خلال القرون الإسلامية الماضية ،فقالوا سمعنا كذا ، وروي لنا كذا ، ويذكرون بعض المسافرين المارة الذين جاءوا إليها من اليمن أو الحجاز وبقوا فيها بعض الوقت ، وكان لهم جهود وبصمات في تعليم أهلها بعض المعارف [١] . كما أنني اطلعت على بعض الوثائق التي يعود تاريخها إلى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) وفيها أسماء موظفين وأعلام يقضون حوائج الناس ، ويأمونهم في الصلوات ، ويعقدون أنكحتهم ، ويقسمون مواريثهم [٢] .

في القحمة اليوم العديد من مدارس التعليم العام الحكومي التي يدرس فيها أكثر من (٢٥٠٠) طالبة وطالباً ، ويقوم على تدريسهم والإشراف عليهم أكثر من (٢٠٠) معلماً ومعلمة . ناهيك عن بعض أبناء وبنات هذه الناحية الذين يدرسون في عدد من الجامعات السعودية ، وكليات التقنية ، حتى صار فيهم الكثير ممن يحمل شهادة جامعية ، وآخرون مازالوا يواصلون دراساتهم العليا في تخصصات عديدة . ولا تخلو أراضي المركز من بعض الصحفيين ، والشعراء النبطيين ، كما لا يخلو منزل من متعلم ومتعلمة [٣] .

كانت حياة أهل القحمة في الصيد والرعي والزراعة نشطة حتى عقود قريبة ماضية ، ومع تزايد مسيرة التعليم ، والحصول على الوظائف الحكومية والأهلية ، بدأ الناس يتراجعون في ممارسة هذه المهن ، لكنها لم تنقرض، ومازال هناك من يمارسها ،

---

(١) سبق أن أصدرت دراسات على أثر الحجاج اليمنيين وغيرهم على السكان القاطنين في محطات الطرق التجارية السروية والتهامية بين اليمن والحجاز ، ووجدت أن هناك آثاراً إيجابية تعليمية وحضارية خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة . كما أن سكان سواحل البحر الأحمر الشرقية والغربية على صلات حضارية متنوعة قبل الإسلام وبعده .

(٢) وجدت حركة التعليم والتعلم في عموم السروات وتهامة منذ عصور ما قبل الإسلام . وبعد ظهور الإسلام ارتفعت نسبة التعليم في هذه البلاد ، لكن للأسف لم توثق حياتهم العلمية والتعليمية والفكرية والثقافية والمعرفية خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، والعقود الأولى من العصر الحديث . ومن ثم وجدنا من يقول لم يكن هناك تعلم ولا تعليم ، وهذه مقولة خاطئة، لأن من يتوقف مع لغاتهم ولهجاتهم، وأيضاً اتزانهم وثباتهم على منهج الإسلام الوسطي، وكذلك مآثرهم وآثارهم المادية يثبت ويتأكد له عكس ذلك فقد كانوا أصحاب حضارة، وثقافة ، وفكر، وترث . ومن يتتبع آثار وتاريخ بعض رجالهم الذي هاجروا من أوطانهم إلى حواضر الإسلام الكبرى في العالم الإسلامي، يجد أن بعضهم اشتهروا وبرعوا في معارف متنوعة في مجال الحضارة العربية والإسلامية . أما التاريخ الحديث من القرن (١٢- ١٥هـ/١٨- ٢١م)، فهناك الكثير من المصادر المخطوطة، أو المطبوعة والمنشورة وفيها تفصيلات عن تراث هذه البلاد العلمي والتعليمي والفكري والحضاري. ومازالت هذه الأوطان تحتاج إلى جهود المؤرخين والباحثين المنصفين الذين يوثقون شيئاً من تراثهم المعرفي.

(٣) إن الدارس لأحوال الناس الحضارية في عموم المملكة العربية السعودية ، وبخاصة بلاد السراة وتهامة يجد حياتهم كانت ضعيفة بسيطة متواضعة في شتى الجوانب حتى تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ومع مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) قفزت وتيرة التنمية والتطور في شتى المجالات ، ومن ثم تحقق في هذه العقود الأربعة الكثير من تطوير الأرض والإنسان ما لم يتحقق في بلدان شرقية وغربية كثيرة ، وفي مدة زمنية قصيرة .

لكـن بنسبة أقـل بكثير مما كانت عليـه في السابق . وتضاريس مركـز القحمة المتنوعة مؤهلـة لممارسة هـذه النشاطات ، فهناك بواد وأرياف كثـيرة صالحة للرعي والصيد ، وقـرب المدينة من البحـر يدعم الصيد البحـري الذي مازال جيداً حتـى الآن . كذلك أراضي القحمة تقع على بعض الأودية والجداول المائية ، وتتوفر التربة الجيدة للزراعة في أجزاء من أراضيها الخبتية [١] .

مارسـ سكان مركز القحمة قديماً العديد من المهن المحلية ، كالصيد البحري وكل ما يتعلق بهذه الحرفة من استعدادات وتعاون في ركوب البحر ، وصناعة القوارب . ونتج عـن ذلك موروث حضـاري تمثل في مصطلحاتهـم اللغوية ، وأغانيهـم ، وأهازيجهم ، والصعوبات التـي يواجهونها في البحر ، وكيف يتغلبون عليها ، وكيفية مساعدة بعضهم البعضـ . وكانـوا في السابق هم من يقومون بهذه المهنة ، ثـم استقدمت مؤخراً العمالة الوافـدة من خارج البلاد السعودية ، وصاروا يقومون بحرفة الصيد ، وقد يذهب معهم مـلاك القوارب أحياناً ، وجـرى الكثير من التغيرات المعنويـة والمادية على هذه الحرفة المهمـة والرئيسيـة لسـكان الشواطئ . ثـم جاءت بعضـ الشركات التجاريـة الكبيرة ، وأصبحت تقوم بمهنة الصيد البحري ، وتراجعت هذه الحرفة من قبل الأفراد أو الأسر التي قضت زمناً طويلاً من تاريخها في هذا العمل الاقتصادي[٢] .

والصناعات والحرف الأخرى كثيرة : كالحدادة ، والصباغة ، والجزارة ، والحلاقة ، والبنـاء والتعمـير ، وحـرف أخرى عديـدة لها علاقـة بالزراعة ، والرعـي ، والتجارة ، وإعـداد الطعام والشـراب ، وممارسة تجارات متنوعة ، وحمـل الأمتعة والأغراض[٣] . هكـذا كانت هذه المهـن وغيرها موجودة عند الأولين ، لكن علـى نطاق محدود وضيق ، ثـم فاض الخير في البـلاد ، وتطور الناس في جميع شؤون حياتهـم ، وصاروا يحصلون

---

(١) ليسـت بـلاد القحمة المتفردة فقط بهـذه المميزات ، لكن البلاد التهامية الساحليـة الممتدة من جازان إلى الليث تتوفر فيها الكثير من المؤهلات الحضارية التي تساعد على قيام مهنة الصيد وحياة زراعية ورعوية جيـدة . أرجـو أن تجد هذه المهن في وقتنا الحاضر الرعايـة والدعم الجيدين حتى تعود إلى سالف عهدها في العقود والقرون الماضية .

(٢) هـذا الـذي عرفته وسمعته من أهل القحمة ، كما سمعت بالوضع نفسه في مدن بحرية عديدة من جدة إلى جـازان خلال السنوات الخمسـة الماضية (١٤٣٨ـ ١٤٤٣هـ/٢٠١٧ـ ٢٠٢١م) . وتاريخ الصيد البحري في البـلاد الساحليـة الممتدة من الشعبية والليث إلى جازان موضوع لم يدرس ويوثق في أعمال علمية أكاديمية رصينـة . أرجو من أساتذة الجامعات وطلاب الدراسات العليا أن يخدموا هذا الميدان معرفياً وتوثيقياً .

(٣) هـذه حرف ومهن مارسها سكان السراة وتهامة منذ عصور قديمـة ، واستمرت خلال العصور الإسلامية المختلفـة ، لكـن مع تطـور الأرض والإنسان في هذه البـلاد تراجع أكثرها ، فلم تعـد تمارس بنفس الطرق البدائيـة القديمـة ، وحلـت الآلة محـل الأيدي العاديـة ، وصارت تمارس بشـكل أوسع وأكـبر . وكثير من مصنوعات هذه الحرف أصبحت تستورد من مدن وحواضر كثيرة داخل البلاد السعودية وخارجها .

على ما يرغبون من الأسواق التجارية التي تجلب كل البضائع ويحتاجونها في جميع أمور حياتهم اليومية. كما أصبحت معظم الأيدي العاملة التي تعمل في هذه الحرف مستوردة من بلدان عربية وإسلامية وغير إسلامية ، وهذا ما عرفته وشاهدته في مدينة القحمة وغيرها من حواضر ومدن المملكة العربية السعودية [١].

رابعاً : مشاهدتي في محافظة البرك (١٧ـ ١٨ /٣/ ١٤٤٣هـ) :

واصلت رحلتي من القحمة إلى محافظة البرك في مغرب يوم الجمعة (١٦/٣/١٤٤٣هـ) ، وقضيت في هذه المحافظة العسيرية التهامية يومي السبت والأحد (١٧ـ١٨/٣/١٤٤٣هـ) ، ونزلت في ضيافة الصديق الأستاذ عبدالرحمن بن عبدالرحيم بن علي بن عبده الهلالي [٢]. وليست هذه المرة الأولى التي أزور فيها أراضي محافظة البرك، لكنني أسير من خلالها ذهاباً وإياباً منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، لكن في هيئة مسافر وليس باحثاً. وفي بداية العشرينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) زرت الأستاذ عبدالرحمن الهلالي وخرج معي في رحلة علمية قصيرة زرنا فيها محافظة القنفذة ، وبعض البلدان الواقعة بين مدينتي القنفذة شمالاً وبلدتي البرك والقحمة جنوباً . وفي تلك الرحلة كنت أقوم بجمع مادة كتابي : **بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق ١٠- ق١٥هـ/ ق١٦- ق٢١م)** [٣]. وذهب معي الأستاذ الهلالي وعرفني على مؤرخ القنفذة الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه [٤] ، الذي هو الآخر ساعدني كثيراً أثناء

---

(١) نتج عن تمدن المجتمع السعودي الحديث والمعاصر تحولات اجتماعية وحضارية كبيرة . والعمالة الوافدة من بلدان خارجية صارت موجودة بأعداد كبيرة جداً ، وفي كل المجالات الاقتصادية ، ومن ثم ظهر الكثير من العادات الاجتماعية الجديدة في مهن الصناعات ، وأعراف الطعام والشراب ، واللباس والزينة ، واللهجات واللغات والثقافات ، والتعاملات الحضارية المتنوعة وغيرها . وهذه التحولات الحضارية الحديثة تستحق أن يؤسس لها مراكز بحوث ، وأقسام علمية في الجامعات السعودية كي تدرس هذه الميادين الجديدة في أبوابها ، مع الخروج بنتائج وتوصيات علمية وعملية تصب في خدمة هذا الوطن (المملكة العربية السعودية) حضارياً وتعليمياً وتخطيطياً ، وتنموياً . (والله من وراء القصد) .

(٢) الأستاذ عبدالرحمن من أسرة شيوخ آل عبده الهلاليين ،وهم أمراء ثم شيوخ بلاد البرك منذ زمن بعيد، ومازالت المشيخة وإدارة المحافظة فيهم حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . وعبدالرحمن بن عبدالرحيم من أعيان ووجهاء ومثقفي محافظة البرك ، فلا يمر على هذه الناحية باحث أو طالب علم أو رب قلم دون أن يلتقي بهذا الرجل ، لأنه أخبر تلك البلاد بأهلها وتاريخهم وتراثهم وحضارتهم ، وله كتاب عن أرض البرك وسكانها صدر قبل عقدين من الزمان ، بعنوان : من تاريخ برك الغماد (بين الماضي والحاضر) (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) .

(٣) صدرت الطبعة الأولى عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ، والطبعة الثانية عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م).

(٤) الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه علم من أعلام التاريخ والآثار في المملكة العربية السعودية ، صدر له العديد من الكتب والبحوث ومعظمها عن بلاده (القنفذة) . كان الأستاذ (الشيخ) الفقيه على قدر كبير من اللطف وحسن المعشر ، كما كان عالماً وخبيراً بتاريخ وتراث وآثار منطقة القنفذة .

جمع مادة كتاب (القنفذة) ، واستمرت صلاتي الجيدة مع الأستاذين الكريمين حسن الفقيه حتى وفاته (رحمه الله) ، ومازالت اتصالاتي مستمرة مع عبدالرحمن الهلالي (أطال الله في عمره وأحسن عمله) حتى الآن[١].

كان لبلاد البرك ذكراً مختصراً في كتاب : **بلاد القنفذة خلال خمسة قرون** ....، [٢] وأشرت إلى شذرات من أحوالها الجغرافية والتاريخية والحضارية[٣] . وفي هذه الرحلة رأيت أن أدون بعض التفصيلات عن تاريخها وتراثها الحديث والمعاصر.

١ـ لمحة عن الجغرافيا والإنسان :

محافظة البرك اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) محاطة بالعديد من الأراضي والقبائل. فيحدها من الشمال بلاد السعيدة الصوالحة التابعة إداريا وقبليا لمحافظة محايل عسير. ومن الجنوب مركز القحمة الذي يسكنه الكثير من الأجناس البشرية ، وقبائل المنجحة القسم الأكبر والأكثر في هذه الناحية . ومن الغرب ساحل البحر الأحمر . ومن الشرق قبائل ونواحي عديدة في محافظة محايل [٤]. وتقدر مساحة هذه المحافظة قرابة خمسة آلاف كيلومتر مربع[٥]. والذاهب في بلاد البرك من القحمة إلى سعيدة الصوالحة ، يجد الأراضي اليابسة تبتعد عن ساحل البحر في أقصى الشمال حوالي (٣ - ٤كم) ، ثم تتقارب الناحيتان تدريجيا كلما اتجهنا جنوبا ، وعند مدينة البرك يلتقي البحر باليابسة ، ثم يتباعدان مرة ثانية جنوب المدينة حتى تصل المسافة بينهما إلى (٢،٥- ٣كم) عند حدود مركز القحمة الشمالية [٦].

---

(١) كان لابد من ذكر هذين العلمين (الفقيه والهلالي) لأنهما أصحاب فضل على أخيهم (ابن جريس) ، شكر الله لهما على ما قدما لخدمة دينهم وبلادهم وأهلهم .

(٢) عندما كنت أجمع مادة هذا الكتاب في السنوات الخمس الأخيرة من عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، كانت البرك مركزاً إداريا تابعا لمنطقة عسير ، وقبل عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) كانت تتبع إمارة منطقة مكة المكرمة ، ما عدا بلدة سعيدة الصوالحة ، الواقعة في الطرف الشمالي من مركز (محافظة البرك) ، فهي ناحية بشرية وجغرافية تتبع محافظة محايل التابعة لإمارة منطقة عسير . وقد وقعت في بعض الخلط سابقا ، فظننت أن سعيدة الصوالحة تتبع إداريا مركز البرك التابع لمحافظة القنفذة ، ثم محافظة محايل عسير مؤخرا ، لكن الصحيح أن هذه الناحية كانت ومازالت تتبع إداريا لمحافظة محايل عسير .

(٣) للمزيد انظر إلى تلك اللمحات في كتاب : بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠ـ ق١٥هـ/ق١٦ـ ق٢١م) (الطبعة الثانية) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) ، ص ٢٦٨ـ ٢٦٩ .

(٤) إن التركيبة السكانية في تهامة من الدرب والحريضة والقحمة ورجال ألمع جنوباً إلى تهامة الطائف والليث شمالا متداخلة ومتجاورة ، وكثافة السكان في هذه الأوطان عالية ، وتضاريسها متنوعة ، وتحتوي على موارد طبيعية عديدة . وتستحق الكثير من العناية في التطوير والتنمية، وفي البحث التوثيقي التاريخي ، والأثري ، والتراثي والحضاري .

(٥) سافرت في معظم أجزاء هذه المحافظة ، وتمتد تقريباً من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب أكثر من (٧٠كم ×٧٠كم) .

(٦) هذا الذي وقفت عليه ، وتأملته من سعيدة الصوالحة شمالاً إلى وادي ذهبان ثم أطراف القحمة الشمالية

يغلـب علـى محافظـة البرك طابـع التضاريـس الجبليـة البركانيـة ، وتتنـوع مواردها الطبيعية، فقريبا مـن الساحل وإلى الداخل قليلا تكثر الأشجار والنباتات البحرية والبرية ، وكلمـا اتجهنا شرقا تنوعت التضاريـس من هضاب ، وجبال ، وأودية ، وشعاب ، وينتشر فيها الكثير من الحشائش والنباتات الصغيرة والكبيرة الصالحة للممارسة مهنة الرعي[١] .

وفي محافظـة البرك العديد من الأودية الصغيرة والكبيرة . ومن أكبرها وأشهرها وادي ذهبـان في جنـوب المحافظـة ، وتأتـي مسائلـه من أعـالي حرة بني هـلال شرق المحافظة ، وتصب فيه عدد من الفروع مثل وادي ضنكان ، ووادي الباخن ، ووادي أثلة ، ووادي لنكه ، ووادي الذبيّاني ، ووادي الملصة . ويتصل بهذه الفروع ووادي ذهبان فروع أخـرى عديدة تأتي من شرق المحافظة ، ومـن جبال ومرتفعات محافظة محايل . وكون وادي ذهبـان أكبر أودية محافظة البرك فقـد أنشئ عليه سد عام (١٤١٧هـ/١٩٩٦م) للاستفادة من مياه السيول قبل أن تضيع وتصب في البحر[٢] .

وفي المحافظـة أوديـة أخـرى عديدة مثـل : وادي راكة في الجهـة الشمالية ويصب في ناحيـة شفقـة .ووادي عمق ويتصل به بعضـ الشعاب والجداول الصغـيرة ، كأودية ذرا ، والمرصد، والحريقة . وإلى جنوب عمق بحوالي (١٥كم) وادي دبسا وفيه الكثير من أشجار الـدوم، ثم وادي العـين في جنوب دبسا بحوالي كيلو ونصف ، ثـم واديي الصحين والبرك في محيـط مدينـة البرك الرئيسية . وجميع هذه الأوديـة السابق ذكرها تصب في البحر. كما أن هذه الأودية صغيرة في أطوالها ، ومساحاتها إذا قارنتها بالأودية التهامية الكبيرة،

عنـد أقصـى حدود محافظة البرك مـن الجنوب . والباحث عن ذكـر البرك جغرافياً وتاريخيـاً في كتب التراث الإسلامـي المبكر والوسيط يجد إشارات مختصرة عن هذه الناحية. وفي المراجع والوثائق الحديثة يزداد ذكرها وتوثيـق صفحات من تاريخها الجغـرافي ، والإداري ، والسياسي ، والحضاري (الاجتماعي والاقتصادي والعلمي والمعرفي). حبذا أن تدرس محافظة البرك الحضارية في رسالة علمية أو كتاب تاريخي حضاري توثيقي .

(١) كانت الأجزاء الشرقية في محافظة البرك بوادي وأريافاً ، ومهنة الرعي أكثر الأعمال التي يمارسها سكان هـذه الناحية . وفي العصـر الحديث والمعاصر مازال هناك من يمارس مهنـة رعي الإبل والماعز وغيرها ، لكنها ليست بالدرجة والنشاط الذي كانت عليه في الماضي ، بسبب حياة التمدن التي يعيشها الناس اليوم، وهجـرة أكثرهم من بواديهـم وأريافهم إلى المدن والحواضر الكبيرة . وهـذه الحالة ليست مقصورة على سـكان البرك ، بل جميع البوادي والأرياف في السروات وتهامة يعيشون الحالة نفسها خلال الثلاثين عاماً الأخيرة (١٤١٠ـ ١٤٤٣هـ/١٩٩٠ـ ٢٠٢١م) .

(٢) لم أزر هذا السد ، لكنني قرأت وسألت عنه فذكر أن طوله يزيد عن (٢٥٠م) وارتفاعه أكثر من (١٥م) ، وتبلغ سعة تخزينه أكثر من (٢،٣٠) مليون متر مكعب . وهو من المشاريع الحيوية المهمة التي خدمت مهنتي الرعـي والزراعة في المحافظة .ومن خلال تجوالي في عموم السروات وتهامة خلال العقود الأربعة الماضية (١٤٠٠ـــ ١٤٤٣هـ/ ١٩٨٠ـ ٢٠٢١م) شاهدت عشرات السـدود الحديثة المتفاوتة في مواقعها وأحجامها ، وتكاليفهـا المالية ، وتاريخ السدود في هذه البـلاد لم يدرس ويوثق، آمل أن نرى من يدرسها ويوثق تاريخها في عشرات البحوث والكتب .

كـوادي قنونـا ، ووادي يبة ، ووادي حلي ، ووادي عتود وغيرهـا . فهذه الأودية الأخيرة من فحول الأودية في شبه الجزيرة العربية ، ومذكورة في الكثير من مصادر التراث الإسلامي (التاريخية ، والجغرافية ، واللغوية ، والموسوعية ، والمعجمية ، وغيرها)[١].

والثابـت أن جميع أودية تهامة تتجه غرباً حتـى تصب في البحر ، لكنني سمعت في محافظـة البرك ، ومـن قبل ذلك في محافظة القنفذة بأن هنـاك أودية لا تتجه غرباً ، وإنمـا بعضها يسير في اتجاهات أخرى غير الغرب . وهذه المقولة صحيحة داخل سهول تهامـة مـن محايل عسير ورجال ألمع إلى تهائم الباحـة والطائف ، فقد تجولت في أغلب هـذه البلدان ورأيـت أودية عديدة في هذه النواحـي تأتي مسائلها مـن بعض مرتفعات وجبـال تهامـة ثم تسير شمالاً ، أو شرقاً ، أو جنوبـاً لبعض الوقت ، لكنها لا تستمر على هـذا الاتجـاه ، وإنما تلتقي في النهاية ببعض الأودية الكبيرة التي تتجمع مياهها وتصب في البحر . ومن خلال التأمل في بعض فروع أودية عتود ، وحلي ، ويبة ، وقنونا ، وغيرها وجدتهـا تتصل بعض الجداول أو الأدوية الصغيرة التـي تسير في اتجاهات غير الجهة الغربية ، ثم تتدرج مياهها في السير والاتجاهات حتى تلتقي بهذه الأودية الكبيرة[٢].

وفي المحافظـة الكثير مـن الجبال المتعددة في ارتفاعاتهـا ، وأشكالها ، وأحجامها، ولم أستطـع أن أشاهـد أو أذكـر جميـع جبال هـذه الناحيـة ، لكن من أهمهـا ، ومما عرفـت وسمعت . جبل الشقيـق قريباً من وادي عمق، وجبال التيس ، والعرك ، وذرين ، وجميعهـا تقـع في محيط حاضرة البرك من الناحية الغربيـة . وفي جنوب المدينة أيضاً جبـل القشلـة، يطل علـى المدينة ، وعلى قمته بعضـ المشاريع التنمويـة . وذكر لي عدد مـن المرتفعات في النـاحيـة الشرقية والجنوبية مثل : جبال مغلفة ، والحلا ، والنصباء ، وامعيدة ، وامسحر ، وريسه ، ومقرنة ، وخمران ، وعظمن وغيرها . وجميع هذه الجبال لم أشاهدها وإنما سمعت أسماءها من بعض أعلام البرك . مع أنني سافرت من البرك إلى مدينة محايل عسير عبر الطريق المسفلت الذي يربط بين المدينتين ، ورأيت عشرات الهضـاب ، والجبال الصغيرة والكبيرة والمتنوعة في أشكال صخورها وثرواتها النباتية،

---

(١) كل واد مـن هذه الأودية التهامية الكبيرة يستحق أن يكون عنواناً لكتاب كبير ، فتدرس طبيعته الجغرافية، وتاريخـه السياسـي والحضاري، وكذلك ما يحتوي عليه من آثار ماديـة سطحية ومدفونة . آمل أن نرى في جامعاتنا المحلية ومن خلال كلياتها وأقسامها التاريخية واللغوية والجغرافية والأثرية من يلتفت إلى دراسة هذه الأودية القديمة والعريقة بتراثها وحضارتها من عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر .

(٢) هـذه التفصيـلات تتصل أكثر بالبحوث والدراسات الجغرافية . وعندنـا في عموم السراة وتهامة عشرات الموضوعـات الجغرافيـة التي تستحق أن تكون عناوين لبحوث أو دراسـات علمية أكاديمية . والحمد لله أن هناك اقساماً جغرافية لخدمة هذه الأوطان الجنوبية السعودية بحثياً وتوثيقياً .

والكثـير منهـا يقع في أراضـي محافظة البرك ، والأخـرى تتبع إداريـا وحضارياً قبائل محافظة محايل عسير(١) .

يوجد في المحافظة الكثير من الأشجار، ولا يخلو ساحلها البحري من نباتات متنوعة، وبعض الغابات المكتظة بالأشجار الصغـيرة والكبيرة . لكن لو قارنـت غابات وخبوت محافظة البرك بمحافظـة القنفذة مثلاً فليس هناك وجه مقارنة ، لأن الأخيرة تشتمل على الكثير من الغابات والخبوت الكبيرة والواسعة . وإن توقفنا مثلاً مع وادي حلي فهو عـالم فسيح مـن الأشجار والنباتات الكثـيرة جداً ، ناهيك عن مناطـق الرعي والثروة الحيوانية الكبيرة في هذا الوادي الكبير والعريق في طبيعته وتاريخه وحضارته(٢) .

إن التركيبـة البشرية القبليـة هي السائدة في عموم أنحاء المحافظة . فالسكان من أصول قبائل عربية أصيلة ، استوطنت ديارها منذ عصور قديمة ، ومازالوا حتى اليوم. والأستـاذ عبدالرحمـن بن عبده الهلالي فصـل الحديث عن قبائل الـبرك ، وبخاصة قبيلـة بني هلال التي ينتسب لها شريحة كبيرة من سـكان المحافظة . وأورد الكثير من الشروحات التي قد أتفق معه في بعضها وأختلف ، وليس مجال حديثي في هذا المحور (٣) . وأيضـاً حديث هذا الباحث على أن بـرك الغماد الوارد ذكره في كتب السنن ، هو البرك المعـروف حاليـاً ، وأن الصحابي الجليل أبو بكر الصديـق (رضي الله عنه) قد هاجر إليـه في عصـر النبوة ، فهذا أيضاً مجـال كبير للأخذ والرد . ومازالـت الروايات التي أيدت هذا القول ضعيفة وتستحق جهوداً أكبر وأعمق من البحث والدراسة(٤) .

---

(١) في الأوطان الواقعة بين حاضرتي البرك ومحايل عسير الكثير من العشائر ، والقرى ، والمعالم الجغرافية. وهـذا الطريق الذي تم فتحـه منذ بضع سنوات بين محايل عسير والبرك بعرض حوالي عشرة أمتار يعد شريانـاً رئيسيـاً لخدمة سـكان المحافظتين ومـن يرتادهما من منطقـة عسير وغيرها . ومـازال يستحق التطوير والتوسعة ، آمل أن نراه طريقاً مزدوجاً ، وعليه الخدمات المهمة والضرورية لمن يسلكه ويرتاده ٠

(٢) قارنـت بـلاد الـبرك مع محافظـة القنفـذة ، ومـع وادي حلي تحديـداً ، الذي ليـس بعيداً عـن محافظة الـبرك. وهنـاك الكثير من البلدان في تهامة الممتدة من الليث إلى الـدرب تستحق أن تكون مجالات جيدة لإصـدار عشـرات البحوث العلميـة . للمزيد عن بـلاد القنفذة ووادي حلـي ، انظر كتاب : بـلاد القنفذة خـلال خمسـة قـرون (ق١ــ ق١٥م) (الطبعـة الثانيـة /١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) (٥٦٦صفحـة) . انظـر (Prof-ghithan.com).

(٣) للمزيـد انظر عبدالرحمن بـن عبده . من تاريخ برك الغماد ، ص ٣٨٥ وما بعدها. وجميع قبائل تهامة من مكـة إلى جازان ، وبخاصة أنسابها، وهجراتها ، وحروبها ، وتاريخها مازالت مشاريع بحثية كبيرة تستحق أن تبسط في عشرات الكتب والدراسات العلمية الرصينة ٠

(٤) عندما نقرأ عن صدر الإسلام ، وبخاصة تاريخ الرسول (ﷺ) ، وعصري النبوة والخلافة الراشدة نجد روايـات متناثـرة في كتب السير ومصادر التاريخ الإسلامي الأخـرى ، فتذكر أن الرسول (ﷺ) جاء إلى أمكنـة محـددة ، وبخاصة في جنوب شبه الجزيرة العربية ، وأخـرى تشير إلى بعض كبار الصحابة الذين وصلـوا إلى ناحيـة كذا ومكان كذا جنـوب حاضرتي الطائف ومكـة المكرمة ، وأصبحت مثـل هذه الأقوال

قد شاهدت بلاد البرك مأهولة بسكان الأرض الأصليين، وهم عرب صرحاء تعاقبوا عبر العصور في استيطانها . ومن يتأمل في جغرافية المحافظة التي تجمع بين طبيعة البحر واليابسة ، ومن يقرأ عن تاريخ شعوب الجزيرة العربية منذ العصر الحجري إلى وقتنا الحاضر، فإنه يخرج ببعض الرؤى التي أشير إلى أهمها في النقاط الآتية :

أ ـ معظم سكان هذه الأوطان من العرب اليمانية القحطانية والمضرية العدنانيه، ومن المؤكد أنه خالطهم شعوب من أجناس وأقوام أخرى غير العرب ، لكن أعدادهم قد تكون محدودة وقليلة .

ب ـ نجد محافظة البرك اليوم أو غيرها من مدن ومحافظات وحواضر السروات وتهامة لا تخلو من أجناس وعناصر عربية سعودية جاءوا إليها خلال العقود والقرون الماضية فأقاموا فيها واستمرت حياتهم مع غيرهم من أهل البلاد ، ومنهم من مكث بها لبعض الوقت ثم رحل إلى مكان آخر ٠

ج ـ لاشك أن بلاد الساحل ، والبرك منها ، عرفت عرباً وغير عرب جاءوا إليها من داخل الجزيرة العربية وخارجها، وتعاملوا مع أهلها تاريخياً وحضارياً . والدارس لتاريخ ساحل البحر الأحمر الشرقي من عدن جنوباً إلى خليج العقبة شمالاً يعرف أن هناك الكثير من الأمم والشعوب والحضارات التي وصلت إلى هذه البلاد عبر أطوار التاريخ ، ومن المؤكد أنه حصل صلات وربما تقارب وانصهار مع تلك الشعوب والسكان الأصليين في هذا الساحل. وإن بحثنا عن أحوال السكان الداخليين فقد كانوا أكثر انعزالا وانطواءً على بلادهم وأنفسهم من أهل الساحل .

د ـ تغيرت الأوضاع التاريخية والحضارية منذ أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، عندما قام الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل (يرحمه الله) بجمع كيان الأراضي والقبائل في هذه الدولة الحديثة (المملكة العربية السعودية) ، ثم أسس لها أنظمة وقوانين عصرية ، تتوافق مع شرع الله ـ عز وجل ـ عندئذ دخلت محافظة البرك وغيرها من بلدان السعودية تحت مظلة دولة مترامية الأطراف

والروايات مسلماً بها في عصرنا الحاضر. ويتناقلها الناس، والمتعلمون وغيرهم، على أنها حقائق لا لبس فيها . وأقول إن مثل هذه الروايات مازالت ضعيفة إذا وضعناها تحت النقد التاريخي الدقيق والأمين الرصين . فآمل من مؤرخي هذا العصر ، ومن المؤسسات العلمية الأكاديمية المتخصصة أن تلتفت لهذا الأمر الذي ليس سهلاً ، فتروي روايات عن سيرة النبي الكريم (محمد بن عبدالله) عليه أفضل الصلاة والسلام ، وعلى صحابته الكبار الكرام ، وهي غير دقيقة وربما تكون غير صحيحة أصلاً .

تحكمهــا مؤسســات وإدارات رسميــة ، وبالتــالي تحولــت حياة التقــزم والفرقة والصراعات التي كنت تعيشها عموم البلاد إلى حياة أمن وتطور واستقرار[١] .

هـ ـ واكــب التطــور الاقتصــادي الذي تعيشــه المملكة منــذ الستينيــات والسبعينيات في القــرن (١٤هــ/٢٠م) حتــى الآن (١٤٤٣هــ/٢٠٢١م) قــدوم عناصر عربية وإسلامية وأجنبية إلى محافظة البرك وغيرها من أجل كسب أرزاقهم ، ومن ثم ساهمــوا في البناء والتطوير والتنمية التي تعيشها البــلاد السعودية . والفاحص لهــذه الأجنــاس البشريــة وجنسياتها يجدهم مــن دول عربية عديــدة ، وأقطار إسلاميــة وأجنبيــة شرقيــة وغربية . وأثنــاء سيري في حاضرة الــبرك في يومي السبــت والأحد (١٧ــ ١٨/٣/١٤٤٣هـ) . رأيت بعض المصريين ، والسودانيين ، والشاميــين ، والأتراك ، وأعداداً ليست قليلة من الآسيويين ، كالهنود ، والبنجال ، والنيبــال ، والفلبــين ، والإندونيسيين ، وجميعهم يعملــون في قطاعات اقتصادية متنوعة [٢] .

٢ـ من التاريخ الإداري للمحافظة ومراكزها :

إن بلاد البرك مثلها مثل بلدان السروات وتهامة خلال القرن الثالث عشر الهجري (١٩م) ، والعقــود الأولى مــن القــرن (١٤هــ/٢٠م) . فالقــوى السياسيــة في عسير ، وجــازان ، والحجاز كانت تلقــي بظلالها على الأحوال السياسيــة والأمنية والحربية في عموم بلاد تهامة والسراة . كما أن الدولة العثمانية هي الأخرى مدت نفوذها إلى أرض الســراة وتهامة ، وخاضت حروباً عديدة مع أهل البلاد ، والقوى السياسية الداخلية في هذه البلاد العربية الجنوبية[٣] .

---

(١) مهمــا دُرِس وكُتب ورُوي تاريخ هــذه الوحدة ، ثم الرقي والتطور الحضاري الــذي تمر به (المملكة العربية السعودية) منذ أكثر من مئة عام (١٣١٩ــ ١٤٤٣هـ/١٩٠١ــ ٢٠٢١م) ، لن نوفي الموضوع حقه . وعلى أقسام التاريــخ والحضارة في البلاد السعودية أن تجتهد وتحرص على توثيق هذا التطور والتنمية الحضارية التي تمر بها البلاد منذ النشأة حتى الآن .

(٢) زرت بعضــ الأســواق ، والمنتجعات السياحية ، كما ذهبت إلى العديد من المساجد والجوامع ورأيت كل هذه الأجناس التي ورد ذكرها في المتن . وهذه الإشارات المحدودة عن التركيبة السكانية في البرك وغيرها من أراضــي الســروات وتهامة لا تكفي ولا تفيد لإعطاء صورة عن هــذا الموضوع الكبير الذي يستحق أن يدرس من شتى الجوانب ، مع التفصيل عن الآثار والتأثير العام على الأرض والناس من خلال هذا التنوع البشري والاجتماعي ، والثقافي ، والمعرفي ، وحتى الإداري والأمني ، والتنموي .

(٣) هنــاك عشرات الكتب والبحوث العربية والأجنبية التــي شرحت وفصلت مسيرة التاريخ الحديث في عموم الســروات وتهامــة منــذ بدايات القــرن (١٣هـ/١٩م) حتــى خروج العثمانيــين منهــا في ثلاثينيات القرن (١٤هــ/٢٠م) . ولا أرغــب في الإسهاب في هذا الجانب ، ومن أراد الاستزادة فعليه أن يراجع ما كتب ونشر عن تلك الحقب التاريخية الحديثة .

كانت بلاد البرك على علاقة طيبة مع الإدريسي في صبيا منذ عشرينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، واستمرت هكذا حتى دخلت أبها وبلاد عسير تحت حكم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل في نهاية الثلاثينيات من القرن نفسه . ومن ثم صارت أراضي البرك تدريجياً تأتمر بأمر الملك عبدالعزيز والإمارة السعودية في أبها مع مطلع الأربعينيات من القرن الهجري الماضي[١].

بدأت المؤسسات الإدارية الحديثة في البرك مع بداية الحكم السعودي في عسير في مطلع الأربعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) . واستمرت إمارة البرك في أسرة آل عبده حتى الآن . كانت في بادئ الأمر تراجع أمراء الدولة السعودية في أبها ، وبعد دخول الملك عبدالعزيز مكة المكرمة صارت تتبع إداريا لإمارة مكة حتى عام (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ، ثم تحول اسمها من إمارة إلى (محافظة) ، وبقيت على تبعيتها لمكة حتى عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ، ثم أصبحت تراجع محافظة محايل التابعة لإمارة منطقة عسير باسم (مركز) ، وأخيراً صارت محافظة من فئة (ب) ، عام (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) [٢].

وجدت في مكتبتي العلمية العديد من الوثائق التي تشير إلى عدد من المؤسسات الإدارية في بلاد البرك من الأربعينيات إلى السبعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) . ومن تلك الإدارات: السجن، والمالية، والجمرك، والمرفأ، والمحجر الصحي ، والمحكمة الشرعية ، والبريد ، والشرطة ، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها. والجميل في هذه المصادر أنها تذكر أسماء من تولى تلك الإدارات آنذاك ، وتضيف معلومات قيمة عن أسماء وظائفهم حسب السلم الإداري في الدولة ، ورواتبهم سواءً كانت بالقروش أو الريالات وغيرها من التفصيلات التاريخية الحضارية الجيدة [٣].

---

(١) في حوزة الباحث العديد من المصادر والوثائق التي تعكس شيئاً من تاريخ أمراء البرك (آل عبده) من القرن (١٣هـ/٢٠م) حتى أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) . وقد بدأت علاقاتهم جيدة مع حكومة الملك عبدالعزيز وإمارته في أبها منذ بدايتها ، ثم تطورت تلك الصلات ، فأجزل لهم الملك عبدالعزيز آل سعود في العطية والتقدير والاحترام . وتاريخ البرك السياسي والإداري والحضاري من بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) موضوع جديد في بابه يستحق أن يكون عنوانا لرسالة ماجستير أو دكتوراه .

(٢) عندما زرت البرك عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، كان المحافظ من أسرة آل عبده ، وحسب ما سمعت أن رجال هذه الأسرة تتابعوا في إمارة ثم محافظة بلادهم منذ بداية العهد السعودي الحالي في عسير عام (١٣٣٨هـ/١٩١٩م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . آمل أن يوثق تاريخ هذه الإمارة وأسرة آل عبده في عمل علمي أكاديمي موثق. وفيما يتعلق برفع هذه الناحية من مركز إلى محافظة فئة (ب) ، فقد اطلعت على وثيقة (خطاب) من أمير منطقة عسير ،الأمير فيصل بن خالد بن عبدالعزيز بتاريخ (١٤٣٤/٣/١٦هـ) ، وفيه تفصيلات عن القرارات والموافقات على رفع مستوى (مركز البرك) إلى محافظة فئة (ب) ، وترتبط به مراكز (المرصد ، وذهبان ، عمق) . وأكد سمو الأمير على العمل بهذا القرار من تاريخ صدور خطابه . المصدر : مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/ ق٢٠ـ ٢١م) ، ج ٢٠٢، ص ٤٤ .

(٣) نشرت بعض هذه الوثائق في بعض مؤلفاتي المطبوعة والمنشورة ، وفي مالية عسير ، ومركز المحفوظات

زرت المؤسسـات الحكوميـة في البـرك منـذ تسعينيـات القـرن الهجـري الماضي حتـى العقـد الثـاني مـن القـرن (١٥هـ/٢٠م) . ومـن الإدارات التي أنشئـت في تلك الفـترة ، (١) مركـز اللاسلكـي عـام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) . (٢) الأحـوال المدنيـة (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) . (٣) مدارس عديدة للأولاد والبنات ، وسبـق تأسيس مندوبية للبنـات عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م). (٤) محطة كهربـاء البرك عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) وتتبـع الشركـة السعودية الموحدة للكهرباء في عسـير [١]. (٥) إدارة الدفاع المدني عام (١٤١٠هـ/١٩٨٩م) [٢].

ممـا حظيت بـه ناحية البرك منذ مطلع هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م) محطة تحلية الميـاه . وأخـبرني بعض أعلام البـرك أن أهل بلدة البـرك كانوا يعانون مـن قلة المياه وشحهـا التي كانـوا يحصلون عليها من بعض آبارهم الجوفيـة . وعندما رفع الأمر إلى إمـارة مكـة المكرمة ، ووزارة الزراعة ، والمؤسسة العامـة لتحلية المياه تجاوب المسؤولون فيهـا على خدمة هـذه الناحية وتوفير مياه شرب بتحلية ميـاه البحر . وقد اطلعت على بعض المدونـات والسجلات والوثائق التي تعـود إلى بداية هذا القـرن (١٥هـ/٢٠م) ، وفيهـا تفصيلات تشير إلى جهود الدولة ومصروفاتهـا الكبيرة على محطة تحلية مياه البرك ، وافتتحت هذه المحطة عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، وحلت مشكلة كبيرة كان يعاني منها البركيون ثم تطور هذا المشروع حتى صار اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يقدم خدمات واسعة في محافظة البرك وما جاورها [٣].

للوثائق عشرات الوثائق التي تؤكد صحة ماذكرت . وتاريخ البرك وما جاورها من بلدان تهامة عسير خلال العقـود الوسطـى من القرن (١٤هـ/٢٠م) تستحق ان تدرس في كتـاب أو رسالة علمية ، وهنـاك الكثير من الوثائق المهمة الجديدة التي تفيد في خدمة هذا الموضوع .

(١) تجولـت في منطقة الساحل من الشعيبة شمالاً إلى الدرب ، وعرفت وسمعت عن بدايات تاريخ الكهرباء في هذه البلاد كيف كانت ضعيفة وبسيطة في بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، ثم تطورت حتى صارت جميع بلاد تهامة مخدومة بالكهرباء وبمستويات جيدة . تاريخ الإضاءة ثم الكهربـاء في بلاد تهامة والسراة من تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن موضوع جديد يستحق أن يدرس في عدد من الكتب والرسائل العلمية .

(٢) اطلعـت على بعض السجلات والوثائق في بعض المؤسسات الإدارية في جـدة وأبها وتشتمل على تفصيلات جيدة عن بلاد الساحل وتهامة الممتدة من جنوب مكة المكرمة إلى الدرب وبيش في منطقة جازان . وتاريخ المؤسسـات الإداريـة الحديثة في عموم السراة وتهامة في عهد الدولة السعودية الحالية مجال كبير لصدور عشرات الكتب والرسائل العلمية .

(٣) السائـح في عمـوم تهامة والسراة اليـوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يشاهد العديد من محطـات المياه الكبيرة والمتوسطـة ، التي تقدم خدمات مهمة لأجزاء كثـيرة من هذه البلاد . ومازالت الدولة (وفقها الله) تبذل قصـارى جهودهـا لخدمة كل مدن وحواضـر وقرى وأريـاف التهاميين والسرويين . المصـدر : مشاهدات الباحث ومعاصرته للكثير من التطورات التنموية في عموم بلدان جنوب المملكة العربية السعودية .

رأيت في عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) العديد من المؤسسات الإدارية والأهلية في حاضرة البرك ومراكزها، ومن تلك الإدارات ما يلي:

أ- إدارة المحافظة : تقع في عمارة حكومية من دور واحد، في وسط مدينة البرك بين المخططين المعمارين القديم والجديد، وقريبة من الشارع العام والطريق المتفرع منه شرقاً والممتد إلى مدينة محايل عسير. وهذه العمارة متعددة الأجنحة والمرافق، وأمامها من ناحية الغرب مواقف تتسع لعشرات السيارات. ويذكر أنها مشيدة من قبل عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ومنذ كانت هذه الناحية تابعة إدارياً لإمارة منطقة مكة[(١)].

ب- البلدية : تتكون من مبنى حكومي ثلاثة طوابق، وهي على ربوة مرتفعة في حي البليقعة غرب الطريق العام، تطل على جزيرة حصر في البحر، ويحيط بها مواقف متعددة للسيارات، وعدد من الحدائق المتنوعة في نباتاتها، وأشجارها، وهي مفتوحة للتنزه، وتشاهدها من بعد العصر الى الساعات الأولى من الليل مليئة بالناس الذين يرتادونها للراحة والاستجمام[(٢)].

ج- المستشفى العام والمراكز الصحية الأولية : يقع المستشفى في المدينة شرق الطريق العام، ويتكون من دور واحد ومرافقه، وطاقته حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) خمسون سريراً. ومن مرافق المستشفى (إدارة القطاع الصحي للمستشفى والمراكز الصحية الأولية في المحافظة)، وعدد المراكز ثمانية، هي: (١) مركز البرك. (٢) مركز عمق. (٣) مركز ذهبان. (٤) مركز السعيدة. (٥) مركز الفيض. (٦) مركز الجمة. (٧) مركز ذرا. (٨) مركز راكة. بالإضافة إلى الإشراف على إدارة مكافحة نواقل المرض والأمراض المشتركة[(٣)].

---

(١) المصدر: زيارة الباحث لمحافظ المحافظة في مكتبه يوم الأحد (١٨/٣/١٤٤٣هـ).

(٢) أعرف البلاد الممتدة من محافظة الليث شمالاً إلى مدينة جازان جنوباً منذ ثلاثين عاماً، كانت حتى عهد قريب غير مخدومة بالمتنزهات ومواطن الاستجمام والراحة، وخلال أكثر من عشر سنوات مضت (١٤٣٠-١٤٤٣هـ/٢٠١٠-٢٠٢١م)، قامت البلديات في كل مدينة أو ناحية ساحلية بجهود طيبة، واستصلاح الشواطئ حتى تكون أمكنة سياحية ربحية، وفي الوقت نفسه خدمت الناس أثناء قضاء أوقاتهم في التنزه والترويح والاستجمام. وتاريخ السياحة والترويح في عموم بلاد السراة وتهامة موضوع كبير، ولم يخدم بحثياً وتوثيقياً حتى الآن. آمل أن يكون هذا الموضوع من اهتمامات مراكز البحوث الجامعية والأقسام الأكاديمية في جنوب البلاد السعودية.

(٣) جميع المراكز الصحية المذكورة أعلاه تقع ضمن محافظة البرك، ما عدا مركز سعيد الصوالحة، فهذه الناحية إدارياً تتبع محافظة محايل، وتبعية المركز الصحي فيها إلى إدارة القطاع الصحي في البرك بسبب القرب الجغرافي بين مدينة البرك وبلدة سعيد الصوالحة. وكثير من المراكز في محافظة البرك في أبنية حكومية من دور ودورين، وبعضها مازالت في عمارات مستأجرة. والخدمات الصحية في تهامة تطورت بشكل كبير. ومن يقرأ عن حياة الطب والتطبيب في هذه البلاد خلال القرون الماضية، فإنه يجد تردي أوضاعها الصحية، فقد كانت موطناً للأمراض والأوبئة الكثيرة والمتنوعة.

د- إدارات الدفاع المدني، والنيابة العامة، والمباحث العامة : إدارتا الدفاع المدني، والمباحث العامة تقعان في مخطط البرك العمراني الجديد، وعمارة الدفاع المدني مكونة من ثلاثة أدوار مسلحة، والمباحث في دورين.

هـ - إدارات ومراكز إدارية أخرى : تقع إدارة الشرطة قريباً من الشارع العام في المخطط الجديد، في عمارة مستأجرة من طابقين. وحرس الحدود مبنى حكومي من طابق واحد، غرب الشارع العام وسط المدينة، ويشرف على مراسي البلد، والنهود، وعمق، وسوبان[١]. مركز الدوريات الأمنية شرق الطريق العام بجوار المستشفى من الجنوب في عمارة مسلحة من طابقين. وإدارة المساجد والأوقاف على الشاطئ وسط المدينة في مبنى مستأجر من دورين. والبريد على جانب الطريق العام وسط المدينة في مبنى مستأجر من دور واحد. ومكتب المياه في مخطط البرك القديم، في عمارة مستأجرة مكونة من دورين. ويشرف هذا المكتب على توزيع مياه التحلية في قرى البرك الشرقية، وفي مراكز ذهبان، وعمق، والقحمة، والصوالحة [٢]. ومكتب التعليم للبنين والبنات في عمارة مسلحة مستأجرة ضمن مدينة الأمير سلطان الخيرية، ويشرف على التعليم في محافظة البرك، بالإضافة إلى مدارس التعليم في مركزي سعيدة الصوالحة، والقحمة.

وفي مدينة البرك العديد من الخدمات الأهلية كجمعية البر في عمارة ملك للجمعية جنوب المحافظة، وفيها العديد من المكاتب والمرافق ومستودع كبير يخزن فيه مايرد إلى الجمعية من صدقات وزكوات وغيرها.

وفي نفس مبنى جمعية البر، يوجد فرع لجمعية تحفيظ القرآن الكريم، وفرع آخر للجمعية الخيرية. ولا يوجد في البرك فروع للبنوك التجارية، لكن فيها العديد من الصرافات الآلية النقدية التابعة لبنوك الراجحي، والرياض، والعربي، والأهلي. وجميع هذه الصرافات على جانبي الطريق العام في مدينة البرك[٣].

---

(١) جميع هذه الأمكنة على ساحل محافظة البرك، ولها مراس بحرية، وفيها العديد من الصيادين مع قواربهم لممارسة مهنة صيد الأسماك. وأيضاً بعض القوارب أو السفن الصغيرة التي تعمل في مهنة السياحة ونقل الزوار أو السواح الذين يرغبون في ركوب البحر والتنزه فيه.

(٢) شاهدت تبايناً في المرجعيات الإدارية للبلاد الممتدة من الحريضة جنوباً حتى الصوالحة شمالاً، فمنها الذي يراجع إمارة عسير كالقحمة، والحريضة محافظة رجال ألمع، وسعيد الصوالحة تراجع إداريا محافظة محايل عسير. لكن في البرك العديد من المؤسسات الإدارية، كالصحة، والكهرباء، والتعليم، والمياه وغيرها. التي تمتد أعمالها وخدمتها إلى مركزي القحمة وسعيد الصوالحة. كما أن سكان مركز الحريضة يحصلون على العديد من الخدمات الاقتصادية والاجتماعية والصحية من محافظة الدرب أيضا.

(٣) هذه المقتطفات التي وثقتها عن الحياة الإدارية المعاصرة في البرك، ليست مستوفاة. وإنما أشرت إلى ما تمكنت من مشاهدته أثناء تجوالي في المحافظة يومي السبت والأحد (١٧-١٨/٣/١٤٤٣هـ).

يتبع حاضرة البرك عدد من المراكز الإدارية الموزعة في المحافظة ، بعضها تأسست في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وأخرى أنشئت هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) ، وتلك المراكز على النحو الآتي:

١ـ مركز ذهبان :

هذا المركز ، تأسس باسم إمارة عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) ، ويتبع آنذاك إمارة البرك ، وحين تحولت الإمارات إلى محافظات في النصف الأول من العقد الثاني في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، صار يعرف باسم (مركز ذهبان) ، ويراجع محافظة القنفذة إدارياً . واسم الإمارة ثم المركز أخذ من اسم وادي ذهبان ، وهذا الوادي من أكبر أودية محافظة البرك[1] .

يبعد مركز ذهبان عن مدينة البرك جنوباً حوالي (١٥كم) . يحده من الشمال وادي الداهن ، ومن الجنوب وادي نجل ، ومن الشرق مركز الفيض ، ومن الغرب البحر . ويشرف هذا المركز إدارياً على سكان وداي ذهبان . من أعلاه إلى مصبه في البحر . ويعبر من خلاله الطريق العام الذي يربط بين الدرب والقنفذة . ومن فروع ووادي ذهبان العلوية ووادي ضنكان وأثلة . وهذا الوادي يعد الحد الجغرافي الفاصل بين محافظة البرك ومركز القحمة ، ويسكن ضفتي هذا الوادي بعض عشائر بني هلال في الناحية الشمالية ، وعشائر أخرى من قبيلة المنجحة على ضفته الجنوبية [2] . ومن قرى هذا الوادي القديمة والحديثة ، قرية الطرق فهي قديمة ومازالت أحد (قرى) المركز حتى اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، وقرى القوز ، والنحس والجوار وهما شرق الطريق العام ، والسنة شمال شرق الوادي . وقريتا الحباك والصانف، فالأولى غرب الطريق العام وقريبة من البحر ، والأخرى شرق الطريق وغرب قرية الطرق ، وهما من القرى

ومازال هناك إدارات أخرى ضرورية يجب أن تكون في هذه المحافظة الساحلية المهمة ، التي قد يكون لها شأن في التنمية والتطور السياحي ، لكن بعد خدمتها بالطرق الفرعية التي تصل بينها وبين مناطق تهامة الداخلية الممتدة من الدرب ورجال ألمع إلى بارق والمجاردة والعرضيات . كما أن التاريخ الإداري الحديث والمعاصر في عموم السروات وتهامة من الموضوعات المهمة والجديدة التي تعكس النمو والتطور لهذه الأوطان أمنياً وإدارياً وحضارياً وتنموياً . آمل أن يكون هذا الميدان من اهتمامات مراكز البحوث الجامعية في جامعات الجنوب السعودي . (والله من وراء القصد) .

(١) دراسة جغرافية محافظة البرك ، وأيضاً تاريخها السكاني ثم الإداري الحكومي من بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوعات جديدة ومهمة تستحق أن تكون عناوين لعدد من البحوث الجغرافية والتاريخية العلمية .

(٢) مشاهدات الباحث لهذا الوادي يوم السبت (١٧/٣/١٤٤٣هـ) . للمزيد انظر عبدالرحمن بن عبده . من تاريخ برك الغماد ، ص ٦٧ـ ٦٩ ، ١٦٥ـ ١٦٦ . ووادي ذهبان مذكور في بعض المصادر الإسلامية الوسيطة. وهناك مراجع ووثائق حديثة أشارت إليه جغرافياً وبشرياً .

القديمة ولهما ذكر في بعض الكتب والبحوث المطبوعة والمنشورة [١].

تجولت أكثر من ساعتين في قرى وأجزاء من وادي ذهبان القريبة من الطريق العام ، فرأيت أكثر المنازل في هذا الوادي مازالت بيوتاً شعبية مبنية بالبلك ومغطاة أحياناً بالأخشاب والتراب ، أو الخرسانة المسلحة ، والكثير من أبوابها ونوافذها من الحديد ، وقليل منها بالخشب . وهناك أيضاً منازل مسلحة كثيرة ومتناثرة في قرى الطرق ، والقوز ، والنحس وغيرها ، لكنها مختلطة وأحياناً متداخلة مع البيوت الشعبية. وفي القرى القريبة من الشارع العام رأيت طرقاً صغيرة مسفلتة يتراوح عرضها بين (٣×٤م) و (٤×٥م) ، والطريق الذي يتفرع من الشارع العام إلى قرى الوادي قد يصل عرضه إلى (٧×٧م) تقريباً . وأغلب الطرق الداخلية مازالت ترابية ، وبعضها يجمع بين الترابي والمسفلت أحياناً . وفي بعض قرى المركز مدارس حكومية وأغلب مقراتها مازالت مستأجرة ، وهناك أيضاً مركز للرعاية الصحية ، ومقر الإدارة المركز. ووادي ذهبان مكتظ بالأشجار الصغيرة والكبيرة المتنوعة ، ومن أشهرها وأكثرها أشجار النخيل . وقد حاولت الدخول في بعض غابات الوادي ، لكنني لم أستطع لكثرتها وتشابكها. وفي الوادي جسر كبير ومسلح يسير من فوقه الطريق العام . كما شاهدت بعض المقابر المتفاوتة في مساحاتها ، ومنها مقبرة كبيرة في إحدى قرى المركز الشرقية، ومساحتها تقدر بـ (١٥٠×٢٠٠م) تقريباً . كما أخبرني بعض أعلام المركز بأن هناك بعض الآبار الجوفية ، لكنني لم أقف على شيء منها ٠

٢ـ مركز عمق :

تأسس هذا المركز باسم إمارة عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ، وعند صدور نظام المحافظات في الدولة عام (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) أصبح مركزاً يتبع لمحافظة القنفذة ، واليوم هو أحد مراكز محافظة البرك الرئيسية ، وتبعد قاعدة قرية عمق عن مدينة البرك شمالاً حوالي (٣٠كم) ويحد المركز من الشمال مركز سعيدة الصوالحة ، ومن الجنوب ناحية سوبان ، ومن الشرق وادي الحريقة ، ومن الغرب البحر. وسمي عمق نسبة إلى قرية عمق وواديها ، وهي من أكبر قرى المحافظة بعد مدينة البرك ، كانت تعرف باسم (شرم الجارية) وأيضاً (الشوق أو أمشوق) [٢].

---

(١) لم آت كل القرى والأحياء في وادي ذهبان ، فالبعض منها في الأجزاء العلوية من الوادي ، ومازالت مأهولة ببعض السكان . وبلدان وقرى ومعالم تهامة منطقة عسير الجغرافية تستحق أن توثق وتدرس في معاجم جغرافية وعلمية .

(٢) للمزيد عن أسباب هذه المسميات وتعددها انظر ، عبدالرحمن بن عبده ، من تاريخ برك الغماد ، ص ٦٣٠

وسكان المركز خليط من أهل الأرياف والساحل ، ويتكون من عدد من القرى منها: المخلفية ، والقوز، والجلمين ، والحاجب، والهزم ، وشيبان، والدفنة ، ومثعال، وحثام فريدة، والترب، وجبل أمضرب، والعرس وغيرها[١].

زرت مركز عمق يوم الأحد (١٤٤٣/٣/١٨هـ) ، ورأيت الطريق العام يسير من وسط المركز ، وتوجد بعض المحلات والخدمات الاقتصادية على جانبي الطريق في بلدة عمق. ثم دخلت في بعض الأحياء الغربية والشرقية من الطريق العام ، فوجدتها مكتظة بالمنازل الشعبية والمسلحة الحديثة . فالبيوت القديمة بعضها مازال مسكوناً ومستخدماً، وأكثرها أصبحت مهجورة أما الأبنية المسلحة فهي متفاوتة في مساحاتها ومرافقها ، وأدوارها تتراوح من طابق إلى ثلاثة طوابق . وجميع الطرقات التي تسير بين المنازل والأحياء صغيرة ، يتراوح عرضها من (٣×٣م) إلى (٥×٦م) ، وقليل منها المعبد المسفلت ، والأكثرية مازالت ترابية . وفي بلدة عمق بعض المؤسسات الإدارية كمركز الرعاية الأولية في بناية مسلحة من دورين ومرافقهما .

ومركز التنمية الاجتماعية في طابق واحد ، ومخفر الشرطة في عمارة مسلحة مستأجرة من ثلاثة أدوار . وتكثر الأشجار في عدد من قرى المركز ومعظمها في الناحية الواقعة بين ساحل البحر والطريق العام . وجزء من شاطئ المركز مخدوم ببعض المظلات ، ودورات المياه وجلسات ، وألعاب ترفيهية . وفي جنوب المركز ، شرق الطريق العام مخطط حكومي قامت فيه بعض مدارس التعليم العام للبنين والبنات ، وعدد من العمارات الجديدة التي مازال بعضها في طور البناء والتشييد ، وفي هذا المخطط أكثر من (٧٠) أرضاً محدودة بمساحات تتراوح بين (٤٠٠م٢) إلى (٦٠٠م٢) . وإلى الشمال من المخطط على الناحية الشرقية من الطريق العام تجمع شعبي للأسر المنتجة التي تقدم خبز الخمير مع السمك ، وفي محيطهم أكثر من خمسين عشة بداخلها كراسٍ مصنوعة من الخشب ، يقدم فيها الطعام لزوار تلك الأسر ، ومعظم العاملين منّ النساء ، ومعهن خادمات وخدم من العمالة الوافدة مثل الهنود، والبنجال ، وبعض النساء العاملات من إفريقيا كالحبشة والصومال وغيرها [٢].

---

(١) لم أستطع الإلمام بجميع قرى هذا المركز، لكن هذا الذي استطعت جمعه أثناء زيارته يوم الأحد (١٤٤٣/٣/١٨هـ) . وكل قرى عمق وبواديها تراجع المركز إدارياً ٠

(٢) سبق أن زرت هذه الأسر المنتجة منذ بضع سنوات مع الأستاذ عبدالرحمن بن عبده الهلالي ، ورأيت آنذاك معظم زبائنهم من السروات وأجزاء من تهامة عسير والباحة . والأطعمة التي يقدمونها من الأسماك والخبز الخمير ذاتِ مذاق جيد وشهي . لكن إمكاناتهم من حيث الموقع وما يحتاجه الزبائن من خدمات ضرورية بسيطة جداً ، وبعضها غير متوفرة كدورات المياه وغيرها .

٣ـ مركزا المرصد والفيض :

يبعـد الأول عن مدينة البرك حوالي (٣٦كم) في الجهة الشمالية الشرقية . ويحده مـن الغـرب مركز عمق ، ومن الشـرق وادي ذرا وقراه ، ومن الشمـال قرى راكة ، ومن الجنـوب الكداء . ومن مستوطنات البشرية : المديد ، والمرسال ، والخرشة وغيرها . ولم أشاهد هذا المركز ، لكن أخبرني بعض الرواة أنها مازالت ناحية ريفية فيها أبنية شعبية وبعض العمارات المسلحة القليلة ، ولا تخلو من مدارس حكومية مستأجرة[١] .

يبعـد مركز الفيض عـن وسط مدينة البرك حـوالي (٢٣كم) شرقـاً ، وهو أحدث المراكـز في المحافظـة ، ويحده من الشمال ناحية الحميرة ، ومن الجنوب ضنكان ، ومن الشـرق وادي أثلة ، ومن الغرب المدرجة . وفيه مركز صحي ، وبعض المدارس الحكومية المستأجـرة . ومـن قراه شيرة ، وأثلـة ، والمدرجة . ولم أتمكن من زيـارة هذه النـاحية ، لكننـي سمعت من بعض سكان مدينة البرك أن عموم أراضي هذه البلاد ريفية بدوية ، وينقصهـا الكثير من الخدمات ، وأهمها الطرق المعبـدة المسفلتة التي تصل إلى مدينة البرك وإلى الطريق الرئيسي العام[٢] .

٣ـ ورقات من التاريخ العمراني التنموي الحديث والمعاصر:

يذكر أن بلدة البرك في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) كانت صغيرة جداً ، وبيوتها شعبية من العشش أو الحجارة والطين . كانت لا تزيد عن خمسة تجمعات سكنية محـدودة وهـي: الحشتان العليا والسفلـى[٣] ، والقرية ويفصل بينهمـا الدرب الرئيسي الذي يسير من القنفذة إلى جازان ، وحشة (حارة البليقعة) قريباً من شاطئ البحر ، وحشوة المُحصَّنة شمال شرق البلدة[٤] .

---

(١) مراكز التمدن والتحضر في محافظة البرك على الطريق العام مثل : مركز ذهبان ، ومدينة البرك الرئيسية وما جاورها من القرى والأحياء ، وأيضاً مركز عمق شمال المحافظة . أما النواحي الشرقية لعموم المحافظة فمازالـت أريافاً وبوادي متعددة ، وفيها العديد من القـرى المتواضعة في إمكاناتها وعمارتها ، لكنها لا تخلو مـن بعض الأبنية الحديثة المسلحة . وتفتقد هذه الأجزاء الشرقية إلى طرق مسفلتة تربطها مع الحاضرة البرك ، ومع الطريق الرئيسي العام .

(٢) بقيـت بـلاد الـبرك (الحاضرة ، والأريـاف ، والبوادي) غـير مخدومة بشكل جيد خـلال عقود مضت ، وذلـك لبعدها عن مرجعيتهـا الإدارية عندما كانت تابعة لإمارة مكة ، ثم بقيـت كذلك بعد تبعيتها لإمارة عسـير ، وفي العقـد والنصف الماضي امتدت إليها حركة التطوير والبنـاء . وإمارة وأمانة منطقة عسير في وقتنـا الحاضر تعملان بجد واجتهاد من أجل تطوير ساحل منطقة عسير ، وقد تحظى محافظة البرك في السنوات القادمة بمشاريع تنموية كبيرة تخدم الأرض والإنسان في شتى المجالات .

(٣) المقصود بـ (الحشة) : أي الحي والحارة ، ويعرف هذا المصطلح عند بعض سكان السراة وتهامة بالناحية أو الجـزء الصغير في القرية أو البلـدة . ومازالت هذه المفردة تستعمل في مواطن عديدة من بلدان جنوب المملكة العربية السعودية .

(٤) كل هـذه الأمكنـة أو الحـارات صـارت جـزءاً مـن مدينـة الـبرك الرئيسيـة ، بـل تعـد اليـوم وسـط

منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي، والعقود الثلاثة الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ ٢١م) تزايد العمران الحديث ، وقامت أحياء عديدة في حاضرة البرك مثل: (١) حي الخالدية غرب المدينة والمطل على البحر . (٢) حي العزيزية جنوب شرق المدينة. (٣) حارة القصر شمال البلدة ، وجنوب مخطط البرك . (٤) حي (حارة) المنقطعة وسط المدينة ، وهي مقر لمعظم أسرة آل عبده الهلاليين (أمراء وشيوخ البرك). مخطط البرك الجديد شمال مقر المحافظة حالياً [١]. (٥) ناحيتا البيض ، والصحين ، فالأولى شمال شرق بلدة البرك ، وسميت البيض لأن لون تربتها وحجارتها بيضاء أشبه ما تكون بالنورة أو الجير. والثانية (الصحين) شمال مخطط البرك الجديد ، ويذكر أن هذا المكان يسمى باسم سكانه الصحانية من بني هلال ، الذين كانوا بدواً رحلاً ، وقد انتقلوا في عهود سابقة إلى قريتي دبسا والمرصوفة وغيرهما شمال المحافظة[٢].

من أحياء حاضرة البرك الحديثة أيضاً. حي السليمانية على ضفة وادي البرك من الجنوب مقابل حشة بلد البرك القديمة ، ويذكر أنها سميت بهذا الاسم (السليمانية) نسبة إلى أحد أعلامها الذين سكنوها في البداية ، ويعرف باسم (أحمد بن سليمان)

المدينة القديمة . وناحيتي البليقعة ، والقرية تعد من أكثرها تطوراً وتنمية ففيها حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) مقر تحلية المياه المالحة ، ومقر بلدية البرك ومرسى البرك الذي يوجد فيه الكثير من الصيادين وقواربهم ، وبعض الحدائق والمتنزهات الحديثة الجميلة . المصدر : مقابلة وروايات بعض أعلام محافظة البرك في مقدمتهم الأستاذ عبدالرحمن بن عبده الهلالي. انظر أيضا صوراً فوتوغرافية لبلدة البرك قديماً في كتاب : من تاريخ برك الغماد ، لعبد الرحمن بن عبده الهلالي ، ص ٥٥ـ ٥٧ .

(١) تم اعتماد هذا المخطط الحديث من قبل عقدين تقريباً، لكن العمارة الحديثة لم تقم فيه وتتزايد إلا في ثلاثينيات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وصار اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) مكتظاً بالعمارات الحديثة التي تتراوح أدوارها من دور واحد إلى ثلاثة أدوار وقليلاً جداً أن ترى فيه أبنية من أربعة أدوار . ويتخلله العديد من الشوارع المسفلتة الجيدة التي يتراوح عرضها من (٥×٥م)إلى (١٠×١٠م) ، وربما بعضها أكبر من ذلك. وأذكر أنني زرت بلاد البرك في بداية عشرينيات هذا القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وكانت آنذاك بسيطة في عماراتها وتنميتها الحضارية، ثم زرتها هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) فوجدتها نمت وتطورت كثيراً ، ومازالت عجلة التنمية تتقدم في هذه البلاد بشكل كبير وجيد .

(٢) بلاد دبسا وقراها تقع شمال مدينة البرك بحوالي عشرة أكيال ، وهي قريبة من الطريق العام الذي يسير إلى القنفذة والليث وجدة. تعد من القرى القديمة في محافظة البرك ، كانت تعرف باسم (العيقة أو أمعيقة) . يحدها من الغرب سبخات البحر ، ومن الشرق بعض الحرات الهلالية الجرداء . ويجتاز هذه الناحية وادي باسمها (دبسا) . بدأ فيها شيء من التطور والتنمية من تسعينيات القرن الهجري الماضي. ومن أحيائها أو قراها ، قرية المرصوفة التي كانت في السابق هجرة ، واليوم صارت بلدة متحضرة بالعمران الحديث، والطرق، والكهرباء، وتقع شمال دبسا بحوالي أربعة أكيال . وقرى أخرى في محيط أراضي دبسا مثل: السدد ، والبزلاء ، وغبيشة ، والحشافة وغيرها. المصدر : زيارة الباحث لنواحي عديدة شمال محافظة البرك مثل عمق ودبسا وغيرها في (١٨/٣/١٤٤٣هـ) .

من عشيرة آل علي الهلالية [١]. وحارة حاجب (برصيدان) [٢]. شرق مدينة البرك على ضفـة البـوادي من الناحية الجنوبية ، ومعظم سكانها من بني هلال . وحي أو (حشوة) الشواعـرة وسـط مدينة البرك ، سميت بهـذا الاسم (الشواعـرة) لأن معظم سكانها كانوا ، ومازال بعضهم حتى الآن ، من شواعرة كنانة . وحشوة (حارة) البدو جنوب حي الشواعرة ، سميت بهذا الاسم ، لأن أول من سكنها بدو رحل جاءوا من أرياف المحافظة، ثم أقاموا فيه واستقروا . وحي (حشوة) الجزارة في الناحية الشمالية من المدينة[٣].

وتشـير بعض المصادر والوثائـق إلى وضع بلاد البرك الديموغـرافي خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، فذكرت أن عـدد بيوت البلدة عام (١٣٢٩هـ/١٩١١م) حوال (١٥٠) منـزلاً معظمها من الحجـارة والطين ، وقليل منها من بيوت القشـ[٤] ، ويحيط به سور قديم مندثر. وروايات أخرى تشير إلى أن عدد سكان البلدة في منتصف القرن الهجري الماضـي حوالي ألـف نسمة ، ومنازلها من القش ، والحجر مـن طابق وطابقين [٥]. وقد اطلعـت على العديد من الوثائق المحلية التي تذكر تزايد سكان مدينة البرك وما حولها خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى صاروا يقدرون بالآلاف [٦].

---

(١) تجولت في هذه الناحية مع الأستاذ عبدالرحمن بن عبده الهلالي يوم السبت (١٧/٣/١٤٤٣هـ) .

(٢) يقصد بحري (بر) أي (ابن) . وهذه كلمة سائدة ومستخدمة في أجزاء عديدة من تهامة منطقة عسير ومـا جاورهـا . وعلـم اللغة واللهجات في عمـوم بلاد السراة وتهامـة موضوع كبير جـداً يستحق أن يبسط ويدرس ويوثق ويحلـل في عشرات الكتب والبحوث العلمية. واليوم والحمـد لله يوجد في هذه الأوطان عدد من الجامعات السعودية المحلية ، وفيها بعض الكليات والأقسام التاريخية واللغوية التي يجب عليها دراسة مثل هذه المجالات العلمية والثقافية المهمة والضرورية لخدمة أرض وإنسان هذه الأوطان .

(٣) مشاهـدات الباحـث وجولاته في محافظـة البرك يومي السبـت والأحد (١٧-١٨/٣/١٤٤٣هـ) . كما أن الأستـاذ عبدالرحمن بن عبـده الهلالي مشكوراً سار معي في مناكب بلاده ، ووضح لي الكثير من معالمها ، وشيئاً من تاريخها وتراثها . (فجزاه الله عني كل خير) .

(٤) كانـت بلاد تهامة من مكة والليث وتهامة الطائف إلى جـازان مليئة بالبيوت المشيدة من الأشجار والقش ، ويطلـق علـى كل منزل (عشة) أو (عريش) أو (صبل) وغيرها من المصطلحات . وفي الوقت نفسه كان هناك بيوت حجرية أيضاً . وتاريخ العمارة القديمة في عموم البلاد التهامية خلال القرون الماضية موضوع مهم وكبير فالواجب دراسته في كتب ورسائل وبحوث علمية عديدة .

(٥) للمزيد انظر، علي أحمد عيسى عسيري . عسير (١٢٤٩-١٢٨٩هـ/١٨٣٣-١٨٧٢م) (دراسة تاريخية) . (مطبوعات نادي أبها الأدبي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ص ١٠٣ .

(٦) هنـاك العديـد من الرحالـة الذين أشـاروا إلى عدد من بلـدان تهامة ، والـبرك واحدة منهـا ، وفي كتبهم ومدوناتهم معلومات قيمة يصعب أن نجدها في مصادر أخرى . انظر غيثان بن جريس . بلاد القنفذة خلال خمسة قرون . (الطبعة الثانية) (١٤٤٣هـ/٢٢- م) ، ص ١٤٧-٢١٠ ، ٢٠٨-٢٦٣ ،، ٢٠٩ - ٢٥٨ .

وأثنـاء رحلتي الأخيرة عـام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) في محافظـة البرك، شاهدت وسمعت الكثير من التفصيـلات التاريخية الحضارية الحديثة عن العمارة والتنمية بشكل عام، ومن ثم خرجت ببعض الخلاصات التي أوثقها في الصفحات الآتية :

أ- مازالـت الحارات، أو الحشوات، أو الأحياء ظاهرة على حياة الأرض والإنسان في مدينـة الـبرك وما حولها. فالأسمـاء القديمة بقيت معروفة عنـد الناس وبخاصة الذيـن عاشوا فيهـا وعاصروها في العقـود الأولى من هذا القـرن (١٥هـ/٢٠م). بـل من يدخل في أحياء المدينة الشعبية يرى بعضـ المنازل القديمة مازالت قائمة، ومتداخلـة مع المنازل الحديثـة ومرافقها. بل رأيت بعضاً من تلك البيوت الحجرية التراثيـة مستخدمة من بعض السكان المحليين أو العمال الوافدين من خارج البلاد السعوديـة. ومن سـار في ربوع المحافظـة (مراكزها، وأريافهـا، وبواديها) يرى البيوت الشعبية منتشرة بشكل كبير ونسبة الاستيطان فيها عالية جداً [١].

ب- ليسـ هناك وجـه مقارنة بين العمـارة الشعبية، والأبنية المسلحـة الحديثة. فمواد العمـارات القديمـة محلية بامتياز من قشـ، وحجارة، وأخشـاب، وطين وتراب. وأدخـل عليها مؤخـراً مواد حديثة مستوردة من الأسمنـت، والحديد، والخرسانة، والبلاستيـك وغيرها. ثـم جاءت العمارة الحديثة، فاتسعـت مساحاتها، وارتفعت طوابقهـا، وتنوعت موادها الحديثة والمستوردة، وصارت الأيدي العاملة التي تقوم عليها وافدة من خارج البلاد السعودية[٢].

ج- لله در الآبـاء والأجداد، كم كانوا جادين مجتهدين، والبعض منهم مبدعين. فمن يسـير في عموم السروات وتهامة يـرى حضارات وإبداعات في بنـاء البيوت، وحفر

---

(١) تجولـت خـلال العشرين سنة الماضية في مدن، وحواضر، وقرى، وأريـاف كثيرة في عموم السراة وتهامة مـن الطائـف ومكة إلى جازان ونجران فوجدت تبايناً كثيراً بين بعض النواحي. فالأوطان السروية صارت العمـارات الحديثـة هي السائدة والمسكونة، ومن حولها الكثير من القـرى الحجرية أو الطينية المهجورة، وفيهـا أعـداد كثيرة اندثرت وتهدمت، ولم تعد مستخدمة إطلاقاً. في حين أن بلاد تهامة مازال فيها قرى كثيرة ومعظم منازلها الشعبية قائمة ومستخدمة. وهناك أيضاً بواد وأرياف تم هجرها فاندثرت.

(٢) لقـد خرجت بالكثـير من القناعات والتوصيات التـي أنادي من خلالها إلى إصـدار دراسات ومقارنات عن حياة سكان البلاد السعودية بشكل عام، وبلاد السروات وتهامة بشكل خاص. وعلى وجه الخصوص التاريخ الحضاري لعامة الناس، وليس عليتهم، وفي شتى المجالات. والتاريخ العمراني من أهم المجالات لأنه يعكس كيـف كانت أوضاعهـم الاجتماعية والاقتصادية، ثم كيف تطورت ونمت في ميادين عديدة. ثم إن العمارة القديمة تشتمل على فن وتراث وتاريخ وحضارة من صنع أهل البلاد. وكما قال المثل (الحاجة أم الاختراع)، فقد كانوا في حاجة ماسة إلى مساكن تأويهم، وتعينهم على استمرارية حياتهم، فلم يكن أمامهم إلا الإبداع والابتكار ثم البناء والبقاء، وأيضاً العيش والتكيف في حدود قدراتهم وإمكاناتهم المادية والمعنوية.

الآبار، وممارسة مهن الزراعـة والرعي والعديد من الصناعات اليدوية التقليدية، كالحـدادة ، والنجارة ، والصباغـة ، والصياغة ، والتعدين ، والدباغة، والخرازة ، والعمـارة والتشييد وغيرها من الحرف المحلية التي هي مـن صنع وإشراف البشر الأصليـين في هـذه البـلاد . ولم يكن عندهم المـال الوفـير ، أو الإمكانات والمعدات المتطورة ، وإنما جهودهم قائمة على تدبرهم وتفكيرهم وابتكاراتهم ، ثم سواعدهم وتعاونهـم . ومـن مـنن الله ، عز وجـل ، أن أكرم الله هذه البـلاد (المملكة العربية السعوديـة) بالأمنَ ثم الأموال والخيرات المتنوعة ، فتحولت الأراضي وسكانها إلى تطور وتمدن وتحضر معنوي ومادي حديث ومعاصر [١] .

د- رأيـت في محافظـة البرك ، كما رأيـت في غيرها ، من حواضـر ومدن ومحافظات جنـوب المملكـة العربية السعودية (سراة وتهامة) عمـارات سكنية حديثة متعددة الأدوارٍ والمرافـق ، وأبنيـة أخرى تجاريـة ، وسياحية ترفيهيـة ، وملاعب رياضية ، وورشا صناعية وتقنية ، وشواطئ بحرية مخدومة بالخدمات الترويحية الضرورية، ووحـدات سكنيـة وشاليهـات ، ومدارس حكوميـة ، وكذلك دورا للعبـادة ومساجد وجوامـع متعـددة [٢] . وأقـول أن كل هذه المحاور مهمـة أن أوثـق تاريخها الحديث والمعاصر الذي وقفت عليه في هذه المحافظة التهامية السعودية العربية[٣] .

---

(١) يجـب علينـا أبنـاء هذه البلاد (المملكة العربيـة السعودية) أن لا ننسى حياة الفقـرِ، والجوع ، والمرض ، ثـم الحروب والصراعات القبلية التي عاشها الأوائل في كل مـكان . إنها خمسون عاماً أقرأ وأكتب التاريخ والحضارة ، وعرفت وسمعت عن أمم في مشارق الأرض ومغاربها تحولت بها الأحوال من سيء إلى حسن، أو العكـس . وكنـا من هذه الشعـوبٍ التي تطورت أحوالهـا في شتى المجالات ، وتحسنـت أوضاعها المعنوية والماديـة ، ومـن ثم فإن علينا جميعاً التفاني والاجتهاد في شكـر الله (عز وجل) الذي رزقنا وأكرمنا بكل هـذه الفضائـل والخيرات ، ثم نعمل يداً واحدة من أجل خدمة ديننا وبلادنـا وأهلنا بكل الأعمال والأقوال النافعة الصائبة والمفيدة ٠

(٢) ارتحلـت من مدينة الدرب إلى الـبرك ن وقبل ذلك شاهدت وزرت وتأملت في أوطان وبلدان أخرى عديدة في أنحـاء الأوطـان السروية والتهامية . كما سافرت ورأيت تنمية وتطوراً في مناطق ومدن أخرى عديدة في المملكـة العربية السعودية . فوجدت عموم البلاد تسير في اتجاه جيد من التطوير والتنمية وبخاصة الحياةٍ العمرانيـة المادية . وهنـاك أيضاً تطورات جيدة في المجـالات الحضارية المعنويـة . والواجب علينا جميعاً الاجتهـاد والعمل الـدؤوب على التطوير المـادي ، وفي الوقت نفسه نحرص على هويتنـا العربية الإسلامية الوسيطة التي تميزنا على غيرنا، وكيف لا نكون كذلك ونحن سكان الحرمين، قبلة المسلمين عامة، وموطن قـبر الرسـول الكـريم (عليـه أفضل الصـلاة وأتم التسليم) . إننا أهـل هذه البلاد يجـب أن نكون قدوة لأنفسنا، ولأهلنا ، ثم لعالمنا العربي والإسلامي العريق ٠

(٣) مازالـت بـلاد البرك ، بل بلاد تهامة الساحلية والسهلية الداخلية من جنوب مكة المكرمة وأصدار وتهامة محافظة الطائف إلى سهول وسواحل منطقة جازان جديرة أن يصدر عنها مئات الكتب والبحوث الأثرية ، والتاريخية واللغوية ، والحضارية في شتى الجوانب منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر ، ونأمل أن يتحقق ذلك من خلال كليات وأقسام ومراكز بحوث جامعاتنا السعودية الجنوبية المحلية ٠

لكنني أقتصر فقط على عنصرين فقط ، هما : قطاع التعليم العام ، والمساجد والجوامع .

١ـ قطاع التعليم العام :

إن يومين في أعراف التوثيق والأبحاث العلمية الجيدة مدة قصيرة لإنجاز دراسة عميقة ورصينة ، وهذا ما لم أقم به في هذه الرحلة ، وإنما دونت شذرات معرفية مما سمعته أو شاهدته عن هذه الناحية الساحلية التهامية (محافظة البرك) . وبلاد البرك ذات فكر وحضارة تعليمية قديمة ، فقد وجدت بعض الوثائق التي تشير إلى بعض العلماء والمعلمات في هذه الناحية منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) ، بل إنني عرفت وقابلت بعض القضاة ورجال العلم في مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وأخبروني أن بداية حياتهم العلمية الشرعية واللغوية في بلدة البرك والقنفذة وجازان . بل بعضهم بدأوا من البرك ثم ذهبوا إلى بعض المدن اليمنية الساحلية كالحديدة أو زبيد ، أو إلى الحرمين الشريفين للاستزادة من المعارف والعلوم الشرعية [١] . ثم وصل التعليم السعودي الحديث إلى هذه الديار في مطلع السبعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ثم زاد وارتفع سقفه ، وتكاثرت مدارس جميع مراحل التعليم العام حتى صار عدد الطلاب والطالبات في هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) حوالي (١١٣٠١) طالبة وطالب[٢] . أما هيئة التدريس فعددهم (١١٩٩) معلماً ومعلمة ، (٦٢١) معلماً ومعلمة في المرحلة الابتدائية ، و (٣٢٨) معلمة ومعلماً في المرحلة المتوسطة ، و (٢٥٠) معلمة ومعلماً في المرحلة الثانوية[٣] .

٢ـ المساجد والجوامع :

إن الجوامع والمساجد الحديثة في المملكة العربية السعودية من المعالم الرئيسية البارزة التي نشاهدها في كل مكان . فلا أذهب إلى حاضرة ، أو مدينة ، أو قرية ، أو

---

(١) مازال في مكتبتي العلمية العديد من المدونات والوثائق التي جمعتها خلال العقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، ومن ضمنها خطابات ومذكرات وصلتني من رواد في العلم والتعليم والتعلم في عموم السروات وتهامة . آمل أن يرزقني الله الوقت والجهد والحظ فأجمعها وأعلق عليها ثم أصدرها في مجلدين أو ثلاثة مجلدات . (بإذن الله تعالى) .

(٢) وصلتني هذه المعلومات من الأستاذ عبدالرحمن بن عبده الهلالي في (١٤٤٣/٣/٢٥هـ) ، وأخبرني أنه حصل عليها من مكتب التعليم في محافظة البرك . وأشار أن (٥٥٧٢) طالبة وطالباً في المرحلة الابتدائية. و (٢٧٥٠) طالبة وطالباً في المرحلة المتوسطة . و (٢٦٣٤) طالبة وطالباً في المرحلة الثانوية ، و (٣٤٥) طالبة وطالباً في الروضة .

(٣) مدونة الأستاذ عبدالرحمن بن عبده الهلالي في (١٤٤٣/٣/٢٥هـ) . أما التعليم العالي والجامعي فلم يصل إلى محافظة البرك مع أن جامعة الملك خالد تمتلك أرضاً في المحافظة ، ونأمل أن نرى عليها قريباً بعض الكليات العلمية الجامعية .

بادية إلا ترى المساجد والجوامع المتنوعة في مواقعها ، ومساحاتها ، ومآذنها ، وديكوراتها ، ومرافقهـا . ومنها الذي شيدتـه الدولة على نفقتها ، وأكثر المساجـد والجوامع شيدها محتسبون من رجال الأعمال ، ومن لديهم أموال من النساء والرجال . بل بعض الأفراد (ذكـورا وإناثـا) يبنون جوامع ومساجد ، من باب الصدقات على الأموات كالوالدين ، أو أحدهما ، أو بعض الإخوان أو الأخوات أو الأبناء والبنات[1] .

ذُكـر لي أن محافظـة البرك عرفت عدداً من المساجـد القديمة ، كمسجد أبي بكر الصديـق داخـل السور القـديم في مدينة الـبرك ، وهو حاليـاً مندثر فلـم أر إلا بعض أحجـاره المتناثـرة . وسمعت عن مساجد أخـرى داخلي أحياء البلـدة القديمة ، وأطلق عليهـا أسمـاء بعض شيوخ وأعيان أسـرة آل عبده (شيوخ الـبرك) ، وقد هدم أغلبها وشيـد مكانها مساجـد أو جوامع مسلحة ، ومازالت قائمة حتى وقتنا الحاضر [2] . ومن المساجـد القديمة تاريخيا ، والكبيرة والحديثة حالياً ، جامع البرك وسط بلدة البرك ، حيث كان تأسيسه في عشرينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ٠ ثم جرى عليه بعض الترميمات والتوسعـات ، وهو من الجوامـع الرئيسية في المحافظة وتقام فيـه الجمع والجماعات . ويذكـر أن الأمير سلطان بـن عبدالعزيز آل سعود أمر ببنـاء تسعـة مساجد (جوامع) علـى نفقته عام (١٤١٨هــ/١٩٩٧م) في تسع قرى هي: الفيض ، وفارغة الهاد ، وشرفة بن مهاه ، وذرا ، والمرصد ، والأجرع ، والجمة ، وراكة ، والمعقد[3] .

---

(١) إن الذاهـب في أرجـاء البلاد يجد بعض المساجد القديمة والصغيرة مازالت معمورة ويصلى فيها النـاس. لكـن الغالب على الجوامع والمساجد اليوم أنها أبنية مسلحة حديثة والذاهب على الطرق العامة والرئيسية في كل مـكان مـن المملكة العربية السعودية يلحظ جوامع كبيرة لإقامة الجمع والجماعات . وكذلك مساجد صغيرة ومتوسطة يصلي فيها المسافرون وعابرو الطريق . ومن نتائج التنمية العمرانية التي تعيشها البلاد ، فقد توسع الناس في منازلهم ، وخروجهم من قراهم الرئيسية مما جعلهم يشيدون مساجد في مواطنهم الحديثـة . وأحيانـا تشاهد بيتاً واحداً مسلحاً ، وإلى جانبه جامع صغير أو متوسط . وتشاهد أيضاً منزلين أو ثلاثـة ، ومـن مرافقهـا مسجد . وقـد أحصيت في الحي الواحـد ، وبعض القرى المحـدودة في مساحتها ومنازلهـا ، وفيهـا مساجد عديدة: وبناء المساجد أمر جيد ومحمود ، لكـن ليس بهذه الكثرة والتعدد. وقد نجـد مسجداً ومساجد عديـدة في بعض القرى أو على بعض الطرقات فتراها مقفلة فلا يصلي فيها أحد. وموضـوع المساجد والجوامع القديمة والحديثـة في أنحاء المملكة العربية السعودية من الموضوعات الجيدة جداً لإصدار دراسات ورسائل علمية . أرجو من المهندسين المعماريين وأيضاً المؤرخين الجادين أن تتضافر جهودهم ويتعاونوا في إنجاز بعض البحوث العلمية الرصينة في هذا الميدان ٠

(٢) للمزيـد انظـر كتاب : من برك الغمـاد (بين الماضي والحاضر) ، لعبدالرحمن بـن عبده الهلالي ، ص ٦١ ٠ وذكـر لي بعض الرواة الذين التقيت بهم أسماء مساجد عديدة في مدينـة البرك ومراكزها ، وأيضا في مركز القحمـة ، ومنهـا في حاضرة البرك : جامع النمو ، وجامع الفاروق، وجامع البرك ، وجوامع البيض ، والتقوى ، والمرصوفة . ولا يخلو كل مركز من محافظة البرك من جامع كبير وبعض المساجد المتوسطة . وفي مركز القحمة جوامـع العقـدة ، والمطعن ، والمراوغ ، والطرق . ولا أقول أنني ذكـرت كل الجوامع في هذه البلاد ، لكنني وثقت بعضها ، وآمل أن نرى من يدرس جوامع تهامة من الدرب إلى البرك في عدد من البحوث والكتب العلمية .

(٣) رحم الله الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود فقد تجولت في نواحي عديدة من السراة وتهامة فوجدت

زرت بعض مساجد وجوامع البرك ، وصليت في بعضها ، مثل جامع البرك القديم، الذي سبق الإشارة إليه، وسط البلدة ، وفيه تقام كل الصلوات ، وبنايته حديثة ، وله مرافق عديدة كدورات المياه ، ومواقف سيارات ، ومساحته تقريباً (١٨×٢٥م). وجامع الفاروق داخل المدينة أيضاً ، يتكون من دورين ، مساحة الدور الأول (١٧×١٩م) ، والدور الثاني (١٠×١٧م) . وجامع البيض شرق المدينة ، وهو من الجوامع الكبيرة في المحافظة ، فمساحته (٢٦×٢٧م) ، بالإضافة إلى مرافقه الخارجية كمواقف السيارات وغيرها . وجامعا الكورنيش ، والشاطئ الأول غرب مستشفى البرك ، والثاني ضمن مبنى الأوقاف غرب الطريق العام[1].

خامساً : صور حضارية عامة من البرك إلى الدرب :

١ـ التشابهات والاختلافات تاريخيا وحضاريا :

جميع البلاد الممتدة من محافظة البرك إلى محافظة الدرب أراضي تهامية ساحلية وسهلية وجبلية ، تتفاوت في المساحات ، فالبرك أكبرها ، يليها الدرب ، ثم مركز الحريضة ومركز القحمة على التوالي . ويقع فيها جميعاً شواطئ بحرية ، وجبال، وهضاب ، وأودية متعددة . ومحافظة الدرب قديمة في التنشيط السياحي الشتوي ، فمركز الشقيق كان ومازال الواجهة السياحية لسكان سروات عسير وغيرهم منذ العقود الأخيرة في القرن (١٤هـ/٢٠م) [2]. ثم نمت وتطورت الأمكنة الأخرى في الحريضة ، والقحمة ، والبرك حتى أصبحنا نرى على شواطئها منتجعات سياحية متعددة ومتنوعة في إمكاناتها [3].

الكثير من المساجد التي شيدها على نفقته . كما أن له مدناً سكنية خيرية في كل مكان ، منها واحدة ، أشرنا إليها سابقاً ، في مركز القحمة ، وأخرى مئة فلة في مدينة البرك . وجهود الأمير سلطان آل سعود الخيرية في جنوب البلاد السعودية موضوع كبير يستحق أن يدرس في عدد من الرسائل والكتب العلمية ، آمل أن نرى بناته وأبنائه يشجعون ويدعمون بعض الباحثين والمؤرخين الجادين والمنصفين فيكتبون أعمالاً علمية توثيقية جيدة . عن هذا الأمير السعودي .

(١) لم آت على كل المساجد ، ففي أطراف مدينة البرك ، وخيرية الأمير سلطان جنوب المحافظة ، وأيضاً المراكز (ذهبان ، وعمق) ، وقرية دبسا وغيرها تشتمل على العديد من المساجد والجوامع المتباينة في مساحاتها ، ومرافقها ، ومواقعها .

(٢) هذا الذي عرفته ورأيته من تسعينيات القرن الهجري الماضي ، ومازال حتى اليوم من الأمكنة السياحية التهامية التي يرتادها سواح السروات وبخاصة في فصل الشتاء .

(٣) الأمكنة السياحية في البرك ، والقحمة ، والحريضة ظهرت وازدادت في العقدين الماضيين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وحاليا تقام متنزهات جيدة ومتطورة في الواجهة البحرية بالحريضة ومازالت مستمرة حتى الآن ، وفي شواطئ أخرى من بلاد القحمة والبرك .

يوجـد لهذه البلاد (الدرب ، والحريضة ، والقحمة ، والبرك) عمق جغرافي ريفي داخلـي ، متفـاوت في الأطوال، والمعـالم الجغرافية الأخرى ، وفي المقومـات السياحية . لكـن هذه النواحي لم تتطور بعد وتستثمر سياحياً وحضارياً. ولا تخلو بعض الأمكنة من العراقـة والقدم التاريخي مثل وادي ضنكان ، وبعضـ الأودية والقرى التراثية الأخرى، حبـذا أن نـرى في قادم الأيام هـذه الأوطان مخدومـة بالتنمية التي ترفـع من مستوى السياحـة وتطويرهـا . واتصال الأجزاء الساحلية بالمناطـق السهلية والجبلية الداخلية تختلف من مكان لآخر. فالدرب وجزء من الحريضة أفضل حالاً ، لخروج طريقين منهما إلى العمق الداخلي ثم إلى المحافظات المجاورة كمحايل عسير ورجال ألمع . أما القحمة فـلا يوجد فيها طريق بري يربط ساحلهـا بأريافها وبواديها ، والبرك فيها طريق ريفي محـدود العرض والخدمات يربط بين محايل عسير ومدينـة البرك ، ويستحق التطوير حتـى يصبـح مزدوجاً . والشريـان الحيوي الرئيســي الذي يربط هـذه النواحي الأربع (الـبرك ، والقحمـة ، والحريضة ، والدرب) ببعضها هو الطريق العام الذي يسير من جازان إلى القنفذة ثم الليث حتى مكة المكرمة أو جدة[١] .

جميع سكان هذه البلاد الأصليين قبائل عربية قديمة ، استوطنت مواقعها ومازالت، ثـم خالطهم في العقود التاريخية المتأخـرة عناصر عربية وغير عربية ، من داخل المملكة العربيـة السعودية وخارجها ، جاءوا للعمل في العديد مـن الأعمال الحكومية والأهلية [٢]

---

(١) كانـت هـذه البلاد وعموم تهامة أراضـ صعبة العيش فيهـا ، لعدم وجود خدمات ضروريـة لحياة الناس . وطـرق المواصـلات ، والمواصـلات نفسها كانت وعرة وقاسيـة . ثم امتدت إليها عجلـة التطوير والتنمية الحديثـة فشقت الطـرق في كل ناحية ، ومن أهمها هـذا الطريق الساحلي العام الـذي يربط بين حواضر الحجاز حتى جازان ثم اليمن ، وطريق داخلي آخر يسير من مكة وجدة حتى المظيليف ثم يتجه إلى المخواة في تهامـة الباحـة ، أو العرضيـات حتى تهامة عسير وبعضـ من مدن جازان الرئيسيـة كالدرب وغيرها . ناهيك عن مجالات التمدن والتحضر الأخرى فتراها موجودة منتشرة في كل مكان . لكن الطرق العرضية التـي تربط بـين شواطئ البحر الأحمر والأجـزاء الداخلية من تهامة حتى سفوح جبـال السروات الغربية مازالـت قليلـة ومحـدودة ، وبخاصة في بعض النواحي ، آمـل أن تكون من اهتمامـات وخطط وزارة النقل المستقبلية ، فتخدم بعض الطرق الموجودة حالياً بالتطوير والتوسعة ، وتشق طرق أخرى جديدة في الأجزاء التـي مازالت بحاجـة إلى مثل هذه الطرق التنموية المهمة . المصدر : معاصـرة الباحث للتاريخ الحضاري التنموي في السروات وتهامة من نهاية القرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ٠

(٢) هذا التشكل والانصهار الاجتماعي لم يحدث إلا في ظل الحكومة السعودية الحديثة ، وهو من ثمار توحيد البـلاد تحت راية ومنهج ودستور واحد ، ثم تأسيس مؤسســات حكومية حديثة تتولى الإشراف على البلاد والعبـاد حتـى يعيشوا في أمن وسلام ، تلا ذلك التطوير المادي التنموي الاقتصادي الذي عم أرجاء البلاد السعودية ، ومن ثم صار الناس يسيرون إلى أي مكان أرادوا من أجل الوظيفة والعمل وكسب الأرزاق . وهذا مـا نـراه في بلاد البرك ، والقحمة ، والحريضة ، والدرب وغيرها من اختلاط الناس ببعضهم في أعمالهم ، وأسواقهـم ، ومؤسساتهم الحكومية والأهليـة ، ومتنزهاتهم وغيرها . ومازلت أنادي بأهمية توثيق تاريخ التنمية الحديثة التي تعيشها المملكة العربية السعودية منذ ستينيات وسبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، وهذا الأمر من مسؤوليات المؤسسات التعليمية والبحثية العالية ٠

وقد قرأت وسمعت أن قبائل درب بني شعبة ، وقبيلة بني هلال ، وقبائل أخرى عديدة هم من سكن أجزاء من هذه البلاد الممتدة من البرك إلى الدرب منذ قرون بعيدة ، ولبعضهم أقسام وفروع في الأجزاء التهامية الداخلية الممتدة إلى بلاد محايل عسير ورجال ألمع[(١)].

ما من شك أن هذه الديار التهامية فيها اليوم آلاف المتعلمين والمتعلمات ، ومعظمهم جامعيون ، وفيهم من يحمل درجات عالية (ماجستير ودكتوراه) في تخصصات عديدة وربما أكثرهم في محافظة الدرب ، ولا تخلو مراكز الحريضة والقحمة ثم البرك من أفراد (ذكوراً وإناثاً) يحملون مؤهلات عالية . وعندما ارتحلت في أوطانهم وحاولت الالتقاء ببعض متعلميهم التعليم العالي ، وقابلت بعضهم وتحدثت معهم، لم أجد دراسات أو بحوثاً علمية موثقة تعكس صوراً من تاريخ بلادهم في الماضي والحاضر. وقد يكون الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي (رحمه الله) الباحث الوحيد الذي اطلعت على بحوثه وجهوده العلمية حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) فقد أشار إلى لمحات مختصرة من التاريخ الحربي والسياسي الذي عاشته منطقة جازان خلال عصور الإسلام المختلفة ، وللدرب وما يليها شمالاً حتى البرك والقنفذة ذكر في بعض مؤلفاته المطبوعة والمنشورة [(٢)]. كما سألت بعض من قابلت عن هذا الفقر المعرفي والعلمي البحثي ، فكانت إجاباتهم متفاوتة وغير مقنعة . وإذا قارنت بين النواحي الأربع (الدرب ، والحريضة ، والقحمة ، والبرك) فيما يتعلق بالتاريخ والحضارة عبر عصور التاريخ ، فسوف تجد البرك والدرب قديمة جداً في تاريخها ، وأحياناً القحمة (وادي حمضة) ، وهذا ما أشارت إليه بعض المصادر اليمنية والحجازية خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، ولا تخلو بعض كتب الرحلات والرحالة ، والمعاجم اللغوية والجغرافية من إشارات عديدة عن وادي عتود الذي تقع عليه بلدة (مدينة) الدرب ، وعن البرك أيضاً. أما القحمة باسمها الحالي فقد أشارت إليها بعض الكتب والوثائق الحديثة في القرنين (١٣ـ ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) . أما الحريضة فلم أجد لها ذكراً في المصادر والمراجع المبكرة ، وربما عرفت بهذا الاسم من فترة متأخرة في القرن (١٤هـ/٢٠م) . وإذا كان لم يصدر عن هذه الأوطان حتى الآن بحوث ودراسات تاريخية وحضارية مستقلة وجيدة،

---

(١) لم أفصل الحديث عن أصول وأنساب وتركيبة هذه القبائل العريقة والقديمة . وذلك لأسباب ، منها:
(١) لم أعثر حتى الآن على مصادر تاريخية قديمة موثوقة توضح بداية استيطان هذه القبائل في بلادها الحالية . ، ثم ما جرى من الأحداث والتغيرات التاريخية عليها منذ عصور ما قبل الإسلام حتى الآن .
(٢) سألت بعض العارفين وأعلام هذه البلاد فذكروا لي معلومات وتفصيلات متنوعة ، وعندما سألتهم عن مصادرهم ، قالوا (هذا الذي سمعناه من الآباء والأجداد) ، ومثل هذه الأقوال ربما يشوبها الخلط والخطأ . وهي غير كافية لدراسة وتوثيق تاريخ قديم يعود للوراء آلاف السنين .

(٢) رحمك الله يا محمد العقيلي فقد كنت الإنسان البار بأهلك وبلادك منطقة جازان ، وأجزاء أخرى من تهامة والسراة ، فأرخت لها ، وحفظت شيئاً من تاريخ وتراث أهلها .

فذلــك لا يعنــي أن ليس لها تاريخ ، لكنه للأسف لم يحفظ ويوثق . ومن يسير في أرجائها يرى الكثير من معالم التحضر والاستيطان البشري من خلال الكثير من النقوش والآثار السطحيــة والمدفونة ، وكذلك آثارهم وتراثهم في لهجاتهــم ، وأهازيجهم ، وأشعارهم ، وطربهم وفولكلورهم ، وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية المتنوعة[١] .

والحياة الإدارية الحديثة في هذه النواحي الأربع (القحمة ، والحريضة ، والدرب، والــبرك) موجــودة منذ عقود وبعضهــا قديمة بدأت مع دخول بلــدان السروات وتهامة تحــت الحكم السعودي الحديــث في أربعينيات القــرن (١٤هــ/٢٠م) ، ونجد الرحالة فيلبي وغيره قد أشاروا إلى بعض الإدارات القائمة في خمسينيات القرن نفسه. والدرب، والقحمــة ، والبرك استمرت مخدومة إدارياً وأمنياً وحتــى القحمة من منتصف القرن الهجــري الماضي ومازالــت حتى وقتنا الحاضــر ، لكنها تتفاوت في أعــداد مؤسساتها ، وطاقاتها البشرية ، ومقراتها . فالدرب في المقدمة من حيث البدايات ثم التطور وتزايد الإدارات الخدميــة والتنمويــة، يليهــا الــبرك . أما الحريضــة فهي حديثــة في إداراتها الحكوميــة والأهليــة ، وتسير حاليــاً بخطط جيدة وقــد تتطور أكثر في قــادم الأيام مع القحمة فتزيد وتتوسع مؤسساتها وخدماتها المتنوعة[٢] .

ذكــرت في صفحــات سابقة من هذه الرحلة عدداً مــن الإدارات الرسمية والأهلية في كل محافظة ومركز ، لكنني لم أفصل التطور التاريخي لكل إدارة ، كما أن محافظة الدرب تعودٍ في مرجعيتها الإدارية إلى إمارة منطقة جازان. أما البرك ، والقحمة ، والحريضة فهي حاليا تستمــد قراراتهــا ومرجعيتها من إمــارة منطقة عسير [٣] ، وكانت بعضهــا في السابق تراجع

---

(١) ليست بلاد الدرب إلى البرك هي الوحيدة التي تعاني من فقر في حفظ وتوثيق تراثها وتاريخها وحضارتها، وإنمــا عمــوم بلدان السرواتِ وتهامة الواقعة بــين حواضر اليمن والحجاز الرئيسيــة هي الأخرى تعاني من هــذه المشكلــة ، لكنها أيضاً متفاوتة من مكان لآخر . فبعض الموانــئ والبلدات الساحلية ذكرت بشكل أفضل في المصــادر العربيــة وغير العربيــة المبكرة والقديمة ، مقارنــة ببلدان وأمكنة داخليــة في الأجزاء التهامية والسروية . كما أن بعض المدن التاريخية السروية كالطائف ، وتبالة ، وبيشة ، وجرش ، ونجران وورد ذكرها أيضاً في مصادر متقدمة . والكثير من التهائم والسروات عرفت الاستيطان البشري منذ العصور الحجريةِ وعبر أطوار التاريخ حتى بداية العصر الحديث (ق ١٠هـ/ق١٦م) ، لكننا لا نجد لها تاريخاً مكتوباً واضحاً ومفصــلا ، لأنه لا يوجد في المصادر التراثية التقليديــة الكثير من ذلك . والآثار المادية المدفونة والسطحية مازالت هي الأمل الأخير والوحيد فنعثر على شيء من تاريخ وتراث هذه الأوطان العربية القديمة .

(٢) التاريــخ الإداري الحديث خــلال المئة عام الماضية (١٣٤٠ــ ١٤٤٣هـ/١٩٢١ــ ٢٠٢١م) ، من الموضوعات الجديدة عن بلاد الدرب حتى البرك ، حبذا أن يتخذ عنواناً لرسالة دكتوراه من قبل أحد طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ بالجامعات المحلية .

(٣) إنهــا إجراءات إدارية وأمنية وتنموية عامة وجميع هذه البلدان وغيرها في أرجاء المملكة العربية السعودية محكومــة بــوزارات وهيئات ومؤسسات عليا تخــدم الأرض والإنسان في كل مكان . وأحــوال المملكة العربية السعوديــة منــذ عرفت بهــذا الاسم في بدايــة الخمسينيات من القــرن (١٤هـ/٢٠م) تحولــت حياة أهلها

إمارتـي مكـة المكرمة وجـازان ، لكن إمارة منطقـة عسير في عهد أميرها خالـد الفيصل آل سعود سعت جاهدة في العقدين الأولين من هذا القرن أن يكون لها مساحة واسعة على شاطئ البحر الأحمر ، وتم ذلك في نهاية العقد الثاني من هذا القرن (ق١٥هـ/٢٠ـ ٢١م) [(١)] .

كل المجـالات الحضاريـة والتنموية الأخـرى موجود في كل النواحـي (الحريضة ، والـبرك ، والـدرب ، والقحمة) ، القـرى القديمة والعمارات الحديثـة ، وبعض الأسواق الشعبيـة ، والأسـواق اليوميـة الحديثـة ، ومدارسـ التعليـم العـام ، وكليـات التقنيـة والجامعيـة فقـط في الـدرب ، والقطاعـات الصحيـة ، مستشفيات ثلاثـة في الدرب ، والقحمـة، والـبرك[(٢)]. ومراكـز الرعايـة الصحية الأوليـة في كل مـكان . والشواطئ البحريـة والمنتجعات السياحية ، والوحدات السكنية ، أما الفنادق الكبيرة فلا توجد إلا في الدرب والشقيق والحريضة والقحمة . هذا الإطار العام الذي تعيشه هذه البلاد، لكن محافظـة الدرب تتقـدم على المناطق الأخرى من حيث كـبر أسواقها اليومية وتعددها، بالإضافـة إلى وجـود سوقين شعبيين مازالا يعمـلان في مدينتي الـدرب والشقيق حتى يومنا الحاضر. وحركة الصناعات والتجارات أكثر وأنشط في مدينتي الشقيق والدرب، ولا تخلـو النواحـي الأخرى من هذه الأعمال الاقتصادية المتنوعة ، لكنها مازالت أقل في المستوى والعدد من مدينة الدرب[(٣)] .

اجتماعيـاً ، وسياسيـاً ، وإداريـاً ، وحضارياً، وتعليمياً ،وتنمويـاً وغير ذلك . فأصبح هناك حكومـة وإدارات رسمية حديثـة ، يحتكـم إليها جميع النـاسـ ، وتعمل كل المؤسسـات في الدولة على توفير الاستقرار ، وجمـع الكلمة ، وحفظ الأمـن، وتطويـر الإنسـان في كل المجالات العامـة والخاصة . وأقول إن تاريـخ الإدارة والتنمية الحديثـة التي تعيشها مناطـق ، وحواضـر ، ومدن ، وقرى، وأرياف ، وبوادي المملكة العربيـة السعودية جديرة بالدراسة والتوثيق مع دعمها بالوثائق والصور الفوتوغرافية الملونة . أرجو أن يجد هذا النداء استجابة في جامعاتنا وكلياتها وأقسامها الأكاديمية.

(١) كنـت ومازلـت معاصراً وباحثاً وموثقـاً للكثير من تاريخ بلادنا المحلي المعاصـر . وقد جمعت بعض الوثائق والمدونـات والخطابـات التي تـدور في فلك ذلك التغيـير الإداري الجيد . وكانت جهود كبـيرة وموفقة من الأمـير خالـد الفيصل أن صار لمنطقـة عسير سواحل بحرية تزيد على المئة كيلـو متر ، وكذلك ما بذله في تأسيس محطة تحلية الشقيق أيضاً. وإمارة عسير في وقتنا الحاضـر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تعمل وتجتهد بكل إمكاناتها المادية والمعنوية ،والأمير تركي بن طلال آل سعود هو الذي يقود حالياً سفينة البناء والتطوير في هذه البلاد . ومن جهوده وجهود من قبله أن حكومة خادم الحرمين الشريفين، الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعـود، اعتمدت استراتيجية عسـير، التي (بإذن الله) سوف يكون لها ثمـار إيجابية كبيرة على عموم جنـوب المملكة العربية السعودية ، وعلى الوطن بشكل عـام . وأقول إن فترة إمارة الأمير خالد الفيصل آل سعـود من تسعينيـات القرن الماضي (١٤هـ/٢٠م) إلى عشرينيات هذا القـرن (١٥هـ/٢١م) تستحق أن توثق في عشرات البحوث العلمية ، مع دعم هذه الدراسات بالوثائق التاريخية والصور الفوتوغرافية .

(٢) كل المستشفيـات الموجودة محدودة في عدد أسرتها ، وعليها ضغط كبير من كثرة المراجعين . وقريباً يفتتح مستشفى الدرب الجديد والكبير. وقد تقدم خدمات من خلاله لسكان محافظة الدرب ، والمراكز القريبة كالحريضة والقحمة وغيرهما .

(٣) كل العناصـر المدونـة في المتن ، أشرت إلى بعضها في صفحات سابقة من هذا القسم . وتاريخ تهامة جازان وعسـير مـن صبيا وبيش إلى مركز سعيدة الصوالحة شمال محافظـة البرك بلدان لها تاريخ وتراث ، لكنه

٢ـ وقفات مع الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والصحية المعاصرة :

أ ـ وقفة مع الحياة الاجتماعية :

إن الحيــاة الاجتماعيــة في عموم البلاد المعنية في هذه الرحلــة متشابهة كالطعام، والشــراب ، واللباس، والزينـة، والبنـاء، والعمـران، والعـادات، والتقاليـد، والألعاب الرياضية، والفنون الشعبية . وأقصد بالتشابه هنا، أي في العصر الحاضر، وفي الإطار العام . وإن فحصنا كل مجال بشكل منفرد ، فسوف نجد بعض التباينات والاختلافات الجزئيـة مـن المدينة، إلى البلدة ، فالأرياف ، ثم البوادي . ومن ميسوري الحال مادياً ، إلى متوسطـي الدخل ، وأخيراً الفقراء ، أو من أوضاعهم المادية متدنية أو ضئيلة جداً. وحيـاة الناس الاجتماعية في هذه النواحي (البرك ، والحريضة ، والقحمة ، والدرب) تختلـف تمامـاً اليوم عن حياة الأولين في البلاد نفسها . ففـي الماضي كان الفقر سائداً على جميع النـاس ، ولا يخلو المجتمع من بعض المقتدرين مادياً واقتصادياً ، لكن نسبتهم محـدودة جـداً . وفي وقتنـا الحاضـر فاض الخير علـى كل النـاس ، فصـارت أحوالهم مسـتورة ، ويعيشـون في حيـاة معيشيـة حسنة ، وفيهـم نسب كبيرة يمتلكـون العقارات والأموال ، والوظائف المختلفة التي يقتاتون من خلالها ، ويديرون شؤون حياتهم العامة والخاصـة[1] . وأثنـاء ترحـالي في هذه الأوطـان العربية السعوديـة التهامية ، خرجت ببعض المشاهدات والانطباعات الاجتماعية التي أرصد بعضها في النقاط الآتية :

١. إن المـال والتعليـم والتحضـر الحديث شكل مجتمعـات اليوم ، وأثـر بشكل مباشر ورئيسـي في تفكيـر النـاس وثقافتهـم ، ومن ثـم أثـروا وتأثروا في جميـع أحوالهم المعيشية. وإن توقفنا مثلاً مع حياة الطعام والشراب ، أو اللباس والزينة ، أو العمارة والبنـاء. فـكل هذه الميادين تأثرت وتبـدل الكثير منها عمـا كان يعيشه الأوائل إلى نهاية القرن الهجري الماضي ، ومطلع هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) [2] .

لم يدون . وأرباب القلم من هذه الديار عليهم مسؤولية وواجبات تجاه تراث وحضارة أوطانهم فيعملوا على حفظها ، ثم جمعها ودراساتها وتوثيقها حتى يطلع عليها البنات والأبناء من الأجيال القادمة . وإذا لم يفعلوا ذلـك ، فقـد يضيع هذا الموروث كمـا ضاعت حضارة وتواريخ أجيال سبقتنا ، وربمـا كان المعاصرون آنذاك معذورين لانتشار الأمية في كل مكان . أما اليوم فليس لدينا عذر إطلاقاً ، لتوفر المتعلمين في كل المجالات .

(١) مـا أشـرت إليه في المتن خلاصة مختصـرة عن بعض أحوال النـاس الحضاريـة وبخاصة الحياة الاجتماعية . ومازالـت عموم بلدان السـروات وتهامة تستحق أن تدرس دراسات تفصيليـة لتاريخها الاجتماعي منذ بداية القـرن (١٤هـ/١٩ــ٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)، لأن إنسان هذه الأوطان عاصر وشاهد وساهـم في التحولات الاجتماعية الكثيرة التي عرفتهـا هذه البـلاد . كما جرى اتصالات وتداخلات اجتماعية متعددة بين سكان البلاد الأصليين وبين مجتمعات وشعوب كثيرة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها.

(٢) أرصـد هذه التوثيقـات ، ومتأكد من صحتها ، لأنني عاصرت هذه التحـولات ، ثم درستها ووثقتها في عدد

٢. إذا توقفنا مع عادات ، وأعراف ، وتقاليد ، وتعليم وثقافة ، ولهجات ، وألعاب وفنون أوطان البرك ، والقحمة، والحريضة ، والدرب اليوم ، ثم قارنها مع حياة السابقين، أو مع حياة بلدان وسكان آخرين في عموم السروات وتهامة في الماضي والحاضر. فإننا سوف نجد تغيرات كثيرة ، فهناك عادات وتقاليد قديمة اندثرت ، أو قل استخدامها، وحل محلها عادات وأعراف جديدة ، نتيجة التطور الاقتصادي والمالي الذي تعيشه البلاد، وأيضاً تقارب البلدان والشعوب داخلياً وخارجياً عن طريق تزايد الأسفار ، وتقارب الأقطار ، ثم دخول وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي فصار الإنسان في أي مكان يعرف ويطلع على ما يريد من خلال هذه التقنيات الإلكترونية الحديثة ، وأصبح النت وعالم الفضاء من أعظم المؤثرات في حياة جميع البشر العامة والخاصة[١] .

٣. إن جميع شرائح المجتمع في سباق وصراع من السير ، وأحياناً التكيف بنسب مع الحياة المدنية الحديثة بكل متغيراتها ، الإيجابية والسلبية .ومن أدرك حياة الآباء والأجداد ، ثم عاش في هذا العصر يتضح له سرعة التغيرات الاجتماعية ، وكثير من الجوانب الحضارية الأخرى . والبعض يفصح ويعبر في اللقاءات العامة والخاصة عن هذه التباينات والاختلافات . أما الجيل الحديث الذي بدأ حياته من العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، فلا يدرك الفرق الكبير ، حتى وإن قرأ أو سمع عن حياة الأولين . ومنذ عقد ونصف تقريباً (١٤٣٠- ١٤٤٣هـ/ ٢٠٠٩- ٢٠٢١م) ، زادت التحولات الحضارية ، وبخاصة الاجتماعية والإعلامية والتقنية الافتراضية، بنسبة كبيرة جداً ، ومازالت في طريقها للارتفاع والزيادة[٢] . وطبقات المجتمع

من البحوث العلمية المطبوعة والمنشورة . وليس كلامي مقصوراً على بلاد الدرب ، والحريضة ، والقحمة ، والبرك فحسب ، وإنما هذه الأقوال تنسحب على جميع أراضي وسكان المملكة العربية السعودية ، وبخاصة من بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) . فأينما ذهبت وتأملت في ربوع البلاد السعودية تشهد هذه التغيرات الحضارية الكبيرة وبخاصة في الميادين الثلاثة المذكورة أعلاه (الطعام والشراب ، واللباس والزينة ، والعمارة والبناء) . وهناك الكثير من الأسباب والعوامل التي جعلت الناس يتغيرون وتتحول حياتهم في هذه الميادين المختلفة . وأقول إن دراسة هذه الموضوعات في كل منطقة أو ناحية من المملكة العربية السعودية واجب على الباحثين والمؤرخين الجادين والمنصفين كما أن مؤسسات التعليم العالي ممثلة في الجامعات ومراكز بحوثها العلمية يجب عليها أن تخدم هذا المجال الحضاري الكبير .

(١) هذا التقارب الحضاري ، والابتكارات التقنية ، وجعل الفضاء الإلكتروني ، أو الافتراضي حاضراً بقوة في حياة الناس عامهم وخاصهم ، خلق كماً هائلاً من التحولات الحضارية الاجتماعية في جميع أنحاء العالم، ولم ينج - حسب علمي - أحد من هذا الزخم الثقافي الإعلامي الذي تسلل إلى كل شيء في حياة الإنسان .

(٢) إن العشرين عاماً الأخيرة (١٤٢٣- ١٤٤٣هـ/ ٢٠٠٢ - ٢٠٢٢م) جديرة أن تدرس ويكتب تاريخها في عموم البلاد السعودية ، وما حدث خلالها من تبدلات وتحولات اجتماعية وحضارية في جوانب كثيرة . مع ذكر الأسباب لهذه التغيرات ، والآثار السلبية والإيجابية التي نتجت عن هذا التمدن والحضارة الحديثة . وإن قورنت هذه الفترة مع فترات سابقة فذلك أجمل وأكثر فائدة في ميدان التأصيل والبحث العلمي الموثق .

صغــاراً وكباراً ، ذكــوراً وإناثاً ، بل جميع سكان البلاد السعوديين ، وغير السعوديين من الوافدين عرباً وغير عرب ، مسلمين وغير مسلمين تأثروا واشتركوا في مفاصل الحيــاة الاجتماعيــة المعاصــرة ، ولم ينــج منهــم أحــد كل حسب وضعــه الثقافي ، والجغرافي، والدينــي ، والاقتصادي ، والاجتماعي ، والتعليمي التربوي . وترى أهل الحواضــر والمدن الكبيرة والمتطورة تنموياً وحضاريــا أكثر انخراطاً وتأثراً بالحياة الاجتماعيــة العصريــة ، مقارنة بأهل الأريــاف والقرى النائية والبــوادي فمازالوا قريبــين من حياة بلدانهــم الرئيسية التــي ورثوها من آبائهــم وأجدادهم ، ومنهم أعــداد ليســت قليلــة يسعون إلى الجمــع بين حيــاة بواديهم وأريافهــم وحياة المدن والحواضر القريبة منهم أو التي سافروا إليها وشاهدوا حياة أهلها[١] ٠

٤. وإن عرَّجــت على ميدان التعليم والثقافة في بلــدان ساحل منطقة عسير وتهائمها ، أو في أي ناحيــة مــن نواحي السروات وتهامة ، فذلك موضوع واسع ومتعدد الفروع . لكن حتى مطلع هذا القرن (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) كان التعليم النظامي العام موجوداً في كثــير مــن المدن ، والقرى ، والأرياف [٢] . كما بــدأ التعليم العالي في مدينة أبها ، عاصمــة عسير وما جاورها[٣] ، في منتصف تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وكان ذلك بإنشاء كليات جامعية علمية وأدبية ، ثم زادت وكثرت مؤسسات التعليم العالي في حواضــر كثــيرة من أراضي تهامــة والسراة . وفي نهاية العقــد الثاني من القرن (١٥هـــ/٢٠م) أنشئت جامعــة الملك خالد في أبها ، وكانت بحــق فتحاً كبيراً لعموم

---

(١) إن جــل حديثــي في هذه الرحلة عن بــلاد البرك ، والقحمة ، والحريضة ، والــدرب . لكن ما دونته في المتن ينطبــق علــى هذه الأوطان المقصــودة في هذه الورقات ، ويجــري أيضاً على كل مــدن ، وحواضر ، وقرى ، وأرياف المملكة العربية السعودية . وقد شاهدت ذلك في أمكنة كثيرة من هذا الوطن الكبير ، وكتبت ووثقت شيئــاً مــن ذلك ، في دراســات سابقة ، عن أوطان وبلــدان عديدة في جنوب البــلاد السعودية من الطائف وجنوب مكة إلى جازان ونجران . وأنادي بوجوب دراسة التاريخ الاجتماعي الحضاري الذي تعيشه المملكة العربية السعودية منذ بداية هذا القرن حتى الآن (١٤٠٠ــ ١٤٤٣هـ/١٩٨٠ــ ٢٠٢١م) .

(٢) تاريخ التعليم العام النظامي بدأ في بعض مدن السروات وتهامة من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) ، واليوم صــار عالمــاً واسعاً من البشر والمنجزات الحضارية . لكن للأســف لا أجد دراسات تاريخية توثيقية رصينة حفظــت هذا التطــور الحضاري الذي أثر إيجاباً على حياة الأرض والنــاس منذ قرابة مئة عام . أرجو من كليــات الآداب ، والعلــوم الإنسانيــة ، واللغة العربية وآدابها ، والتربية ، والشريعــة وأصول الدين أن تشجع أساتذتهــا وطلابهــا في الدراسات العليا علــى دراسة هذا الميدان الحضاري المهــم ، وإصدار بحوث علمية رصينة في هذا المجال ٠

(٣) إن لي رحلــة طويلــة مــع حاضرة أبها ، ففي الثلاثين عامــاً الماضية أصدرت عدداً مــن الدراسات عن هذه المدينة التاريخية الحضارية ، التي كانت في وقت سابق عاصمة لمعظم بلدان السروات وتهامة ، واليوم هي العاصمــة الإداريــة لمنطقة عسير (مرتفعاتهــا ، وبواديها ، وسهولها، وسواحلهــا) . ومازالت هذه المدينة تستحق أن يصدر عنها كتب ورسائل علمية عميقة ورصينة ٠

جنــوب البلاد السعودية، فقــد خرج من تحت مظلتها عدد مــن الجامعات الأخرى في جازان، ونجران ، وبيشة . وأنشئت أيضاً جامعات في الباحة ، والطائف ،وهناك فــروع جامعية أخرى في القنفذة وتهامة عسير . كل هــذا الازدهار المعرفي والتعليم الجامعــي في السروات وتهامة جعل كل هذه البــلاد بمدنها ، وحواضرها ، وقراها ، وأريافهــا ، وبواديهــا تعيش في ظل هــذا التطور التعليمي العالي . وهــذه المؤسسات التعليميــة العالية تعمــل بجــد في أداء رسالتها ، ومازال هنــاك مناطق بحاجة إلى كليــات جامعيــة متنوعة . وبلاد الــبرك ، والقحمة ، والحريضــة ، والدرب من هذه الأوطان المحتاجة لهذه الخدمات الحضارية التنموية الحديثة[١] .

ب ـ وقفة مع الحياة الاقتصادية :

الاقتصــاد مجــال واسع ، فلن أستطيــع الإلمام بتاريخه في بلاد الــدرب ، والبرك ، والقحمــة ، والحريضة في ورقــات معدودة . فهذه البلاد مأهولــة بالسكان منذ القدم ، وعــبر عصور التاريخ الإسلامي المبكــر ، والوسيط ، والحديــث ، والمعاصر. ولها معالم جغرافيــة تجمع بين حياة البحر وسواحله ، وسهــول تهامة ومرتفعاتها . ويتخللها دروب قديمــة ، وشــوارع معبدة ومسفلتة حديثة . وقام فيها أســواق أسبوعية عديدة ، وتشتمل اليــوم (١٤٤٣هـ /٢٠٢١م) على عشــرات الأسواق والمحلات اليومية المتنوعة ، والكبيرة والصغيرة . وعمل أهلها قديماً وحديثاً في مهن عديدة كالزراعة ، والصناعات والحرف اليدويــة ، والصيد البحري ، وأحياناً الصيد البري ، والرعي ، والتجارة وغيرها . وجاء إليها في العقود الماضية الأخيرة أيد عاملة كثيرة سعودية وغير سعودية فساهموا وكسبوا من الأعمال الاقتصادية العديدة الحديثة والمعاصرة [٢] .

في هــذه الوقفة أشير وأحث فقط إلى دراسة التاريخ الاقتصادي الحديث والمعاصر في بلاد تهامة الممتدة من جنوب مكة المكرمة إلى جازان . وبحث هذا الموضوع في بحوث عديــدة جيــدة لن يكون صعباً لتوفــر الوثائق والسجلات اللازمــة ، وأيضاً وجود الرواة

---

(١) هذا الذي اتضح لي من خلال رحلتي الأخيرة في بعض محافظات ومدن منطقتي عسير وجازان في الفترة من (١٢ـ ١٨/٣/١٤٤٣هـ) . والجامعات المحلية القائمة حالياً في السراة وتهامة عليها واجبات كبيرة تجاه خدمة البحوث العلمية التي تصب في مصلحة الأرض والناس في عموم البلدان التهامية والسروية .

(٢) هــذه خلاصــة مختصرة عن مسيرة الاقتصــاد في بلدان الدرب ، والحريضــة ، والقحمة ، والبرك . فقط أشــرت إليهــا في سطور معدودة من أجل تنبيه المؤرخين والباحثــين المعاصرين في منطقتي جازان ونجران وغيرهمــا ، لأن هــذه الأوطان المذكورة في هذه الرحلة ، وغيرها من بلدان السروات وتهامة مازالت بحاجة ماسة إلى دراسة تاريخها الاقتصادي عبر عصور التاريخ الإسلامي (ق١ـ ق ١٥هـ/ ق ٧ـ ق٢١م) . (والله من وراء القصد)

المعاصريـن الذين عرفـوا وساهموا في حياة النـاس الاقتصادية والحضاريـة ، وأيضاً رؤيـة المعالم والمصـادر المادية الظاهرة على الأراضي الزراعيـة المتناثرة في كل مكان ، والأسواق اليومية والأسبوعية المتعددة ، والأنشطة الحرفية والصناعية المختلفة ، ومهن الصيد ، والرعي وغيرها[١] . وفي الصفحات التالية أقصر توثيقات على شيء من طرق المواصـلات المعاصرة ، بين هذه البـلاد وغيرها ، وعلى لمحات من الأسعار والأجور التي شاهدتها وجمعت شيئاً عن مادتها ، وهي على النحو الآتي :

١- إن الحديـث عن طرق الدرب ، والحريضة ، والقحمة ، والبرك المعاصرة ليست موضوعـاً صغـيراً ، فهناك طرق رئيسيـة وفرعية مسفلتة في كل ناحيـة ، وطرق فرعية داخليـة مسفلتة وترابيـة ، والترابية كثيرة في القرى الداخلية لـكل ناحية . وكل الطرق الآنـف ذكرهـا خاصة بالسيـارات ، وتـتراوح أطوالها ، وجـودة خدماتهـا ،وعرضها ، وأهميتهـا الحضارية والتنموية [٢] . لكن الطريـق الرئيسي العام الذي يسير من جازان إلى القنفـذة ثـم جدة ومكـة المكرمة هو الشريان المهـم الذي يمر من البلـدان الأربعة (الـدرب ، والحريضـة ، والقحمـة ، والـبرك) ، وله آثار إيجابية كثـيرة في تنمية هذه الأوطان وتطويرها في شتى المجالات[٣] . وفي الجدولين التاليين نوثق بعض الطرق البرية والمسفلتـة المعاصـرة التـي تربط بين الدرب والـبرك مع غيرهمـا مـن الحواضر والمدن الرئيسية في المملكة العربية السعودية[٤] .

---

(١) إن التاريـخ الاقتصـادي لأي ناحيـة أو مجتمع ، يعد من التوثيق الحضاري لحيـاة الناس بجميع شرائحهم وطبقاتهم . ومن يقوم بذلك فإنه سوف يجد المتعة أثناء قراءته وتوثيقاته لحراك المجتمعات في أي ناحية، أو أي زمـن . والكتابـة في التاريخ الحضاري المعاصر والعام يجب أن يكون دقيقاً ، فيدونه المؤرخ بكل أمانة، وصـدق ، وشفافيـة . ولا يتأثر بما قد يعترض طريقه من الأهواء ، والميول ، والرغبات الشخصية ، والموفق من استطاع إنجاز ذلك بكل حيادية ونزاهة .

(٢) أينما ذهبت في عموم السروات وتهامة تجدها مخدومة بطرق رئيسية وفرعية متفاوتة في الأطوال والأهمية. والطـرق البريـة المعبدة والمسفلتـة في أي مكان من بلدان المملكـة العربية السعودية مـن الركائز الأساسية لتطويـر وتنميـة أي ناحية . وقد التفتت الدولة لأهمية هذا الأمـر منذ وقت مبكر ، فخططت واجتهدت ، ثم أنفقـت بسخاء على هـذا المجال التنموي المهم . وتاريخ طرق المواصلات البريـة في أي منطقة أو ناحية من بلاد المملكة العربية السعودية موضوع مهم وجديد لدراسته خلال العصر الحديث (١٣١٩-١٤٤٣هـ/)

(٣) الصلات البرية بين اليمن والحجاز قديمة منذ عصور ما قبل الإسلام ، وخلال القرون الإسلامية المبكرة، والوسيطـة ، وبدايـات الحديثـة حتى منتصـف القرن (١٤هـ/٢٠م) . ثم تغير الحال بعـد ذلك وصارت السيـارة هـي الوسيلة الرئيسية في الثمانـين عاماً الماضية . وطرق المواصلات ووسائـل النقل في السروات وتهامة عبر عصور التاريخ موضوع مهم وجديد يستحق أن يدرس ويوثق في عشرات البحوث العلمية .

(٤) اجتهـدت في الإشـارة إلى بعض الطرق الرئيسية المسفلتة من الدرب والبرك إلى غيرهما من مدن المملكة، وذكـرت المسافات بالكيلومترات. وأكـرر توصيتي بأن الطرق البرية الحديثـة في المملكة العربية السعودية مـن ميادين البحث التاريخي المهمة والجيدة ويجب أن تخدم وتوثق من قبل الباحثين والمؤرخين في المملكة العربية السعودية .

جدول رقم (١)

أسماء بعض الطرق ومسافاتها التي تربط بين مدينة الدرب وغيرها من المراكز والمحافظات والمدن في المملكة العربية السعودية

م	اسم الطريق	مقدار المسافة بالكيلومترات	ملاحظات
١-	الدرب - جازان	١٢٥- ١٣٠كم	
٢-	الدرب - الطوال	١٩٥- ١٩٧كم	
٣-	الدرب - صبيا	٩١- ٩٣كم	
٤-	الدرب - بيش	٥٨ - ٦٠كم	
٥-	الدرب - أبها	٩٣- ٩٥كم	
٦-	الدرب - خميس مشيط	١٢٤- ١٢٧كم	
٧-	الدرب - نجران	٣٣٣- ٣٣٥كم	
٨-	الدرب - بيشة	٣٤٢- ٣٤٥ كم	
٩-	الدرب - النماص	٢٣٦- ٢٣٧كم	
١٠-	الدرب - الباحة	٣٨٦- ٣٨٨كم	
١١-	الدرب - الطائف	٥٩٦- ٥٩٨كم	
١٢-	الدرب - وادي الدواسر	٤٩٥- ٤٩٧كم	
١٣-	الدرب - الخرج	١١١٤- ١١٢٠كم	
١٤-	الدرب - الرياض	١٠٣١- ١٠٣٥كم	
١٥-	الدرب - الحريضة	٤٠ - ٤٣كم	
١٦-	الدرب - القحمة	٧٩ - ٨١كم	
١٧-	الدرب - البرك	١٠٧- ١١٢كم	
١٨-	الدرب - القنفذة	٢٣٦- ٢٣٨كم	
١٩-	الدرب - الليث	٣٩٨- ٤٠٠كم	
٢٠-	الدرب - مكة المكرمة	٥٩٢- ٥٩٥كم	
٢١-	الدرب - جدة	٥٩٥- ٥٩٨كم	
٢٢-	الدرب - المدينة المنورة	١٠٠٩- ١١١١كم	
٢٣-	الدرب - تبوك	١٥٦٢- ١٥٦٥كم	
٢٤-	الدرب - عنيزة	١٢٠٩- ١٢١١كم	
٢٥-	الدرب - حايل	١٤٢٢- ١٤٢٥كم	
٢٦-	الدرب - الجوف	١٨١٠- ١٨١٤كم	

جدول رقم (٢)

أسماء بعض الطرق ومسافاتها التي تربط بين مدينة البرك وغيرها من المراكز والمحافظات والمدن في المملكة العربية السعودية

م	اسم الطريق	مقدار المسافة بالكيلومترات	ملاحظات
١-	البرك - القحمة	٣١- ٣٣ كم	
٢-	البرك - الحريضة	٧٢- ٧٥كم	
٣-	البرك - الدرب	١٠٧- ١١٢كم	
٤-	البرك - بيش	١٥٩- ١٦٢كم	
٥-	البرك - صبيا	١٩٢- ١٩٥كم	
٦-	البرك - جازان	٢١٨- ٢٢٠كم	
٧-	البرك - الطوال	٢٨٥- ٢٨٨كم	
٨-	البرك - القنفذة	١٢٩-١٣٣كم	
٩-	البرك - الليث	٢٩٠- ٢٩٣كم	
١٠-	البرك - مكة المكرمة	٤٨٠- ٤٨٥كم	
١١-	البرك - جدة	٤٩٠ - ٤٩٤كم	
١٢-	البرك - ينبع	٨١٠ - ٨١٣كم	
١٣-	البرك - المدينة المنورة	٩٠١- ٩٠٥كم	
١٤-	البرك - تبوك	١٤٣٥- ١٤٥٧كم	
١٥-	البرك - بريدة	١١٧٢- ١١٧٥كم	
١٦-	البرك - عنيزة	١١٢٠- ١١٢٣كم	
١٧-	البرك - الجوف	١٧٠٢- ١٧٠٥كم	
١٨-	البرك - حايل	١٣١٥- ١٣١٧كم	
١٩-	البرك - القريات	١٩٧٥- ١٩٧٨كم	
٢٠-	البرك - أبها	١٧٠- ١٧٣كم	
٢١-	البرك - النماص	١٨٦- ١٨٨كم	
٢٢-	البرك - الباحة	٢٧٩- ٢٨١كم	
٢٣-	البرك - الطائف	٤٩٠- ٤٩٣كم	
٢٤-	البرك - خميس مشيط	٢٢٨ - ٢٣٠كم	
٢٥-	البرك - نجران	٤٣٧ - ٤٣٩كم	
٢٦-	البرك - وادي الدواسر	٥٤٣- ٥٤٥كم	

م	اسم الطريق	مقدار المسافة بالكيلومترات	ملاحظات
٢٧-	البرك - الرياض	١٠٧٢ـ ١٠٧٤كم	
٢٨-	البرك - الدمام	١٤٨٠ ـ ١٤٨٢كم	
٢٩-	البرك - الظهران	١٤٨٦ـ ١٤٨٨كم	
٣٠-	البرك - رأس تنورة	١٥١٦ـ ١٥١٨كم	
٣١-	البرك - الخبر	١٤٩٥ـ ١٤٩٧كم	
٣٢-	البرك - الخفجي	١٥٩٠ـ ١٥٩٣كم	

٢- أما الأسعار والأجور فهذا موضوع واسع إذا أردنا دراسته منذ عقود أو قرون. كما أنه صعب إن رجعنا إلى العقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م) وما قبلها ، لأن المصادر المحفوظة أو المطبوعة لم توثق هذا الجانب ، وجل المادة التي نستطيع الوصول إليها في ذلك الزمن تدور حول التاريخ السياسي والحربي . وإن بحثنا عن الوثائق فهي غير متوفرة حالياً ، وربما ذكر النفوذ العثماني في عسير (١٢٨٩ـ ١٣٣٧هـ/ ١٨٧٢ـ ١٩١٨م) شيئاً من ذلك وبخاصة في الوثائق العثمانية التي مازال معظمها غير منشور، وأغلبها باللغة العثمانية وهي جديرة بالترجمة والتحليل[1] . أما التاريخ الممتد من عام (١٣٤٠هـ/١٩٢١م) حتى الآن فمصادره ووثائقه موجودة بشكل كبير في وزارة المالية السعودية ، وفي مركز محفوظات الوثائق بالرياض ، وقد يأتي اليوم الذي يُفرج عنها وتدرس ، وفيها تفصيلات كثيرة عن التاريخ الحضاري في عموم بلدان السروات وتهامة[2] . وفي الفقرات التالية أسجل شيئاً من الأسعار والأجور التي سمعت عنها ، ووقفت على بعضها في بلدان البرك ، والدرب ، والقحمة والحريضة خلال الأيام السبعة التي قضيتها في هذه البلاد من (١٢ـ ١٨/٣/١٤٤٣هـ الموافق ١٨ـ ٢٤/١٠/٢٠٢١م) [3] .

تتراوح أسعار الأراضي السكنية التي مساحاتها من (٤٠٠ ـ٦٠٠م٢) ، وربما (٧٠٠ أو ٨٠٠م٢) ، وفي مخططات معتمدة وأماكن جيدة متحضرة من الدرب إلى البرك من

---

(١) في دار الوثائق التركية في استنبول عشرات الآلاف من الوثائق العثمانية المتعلقة بتاريخ وحضارة شبه الجزيرة العربية ، آمل أن تجمع وتترجم ويعلق عليها ، ومن المؤكد أن فيها تواريخ متنوعة عن بلاد الجزيرة العربية وسكانها خلال العصر الحديث .

(٢) هذا الذي عرفته وسمعت عنه خلال رحلتي العلمية البحثية في تاريخ وحضارة شبه الجزيرة العربية منذ أكثر من أربعين عاماً. أرجو من بناتنا وأبنائنا المؤرخين والباحثين الجادين أن يسعوا إلى حفظ صفحات من تاريخنا الحديث، ومن المصادر الأصلية الموثوقة، والوثائق بدون شك من أهم المصادر الرئيسية لهذا الميدان ٠

(٣) ربما يقول قائل لا فائدة من هذا التاريخ المعاصر الذي تدونه في وقتنا الحالي ، وأقول إن هذا الكلام صحيح للناس في عصرنا الحاضر . لكن مع تقدم الزمن وفي عصور وقرون قادمة سوف تكون مادة مهمة، وتصبح مصادر أساسية وأصلية . وأسأل الله أن تكون كذلك .

(٢٠٠ - ٣٥٠) ألــف ريــال ، وأحياناً ترتفع إلى (٤٠٠ و ٥٠٠) ألف ريال في محيط المدن الكبــيرة وعلى شوارع واسعة وجيــدة[١] . والأراضي ذات المساحــات المحدودة في القرى والأمكنة البعيدة عن المدن الرئيسية ، والموثقة بحجج وصكوك شرعية لا تزيد أسعارها عن الثمانين والمئة ألف . ويوجد مواقع سكنية قد تكون أقل من هذه الأسعار . وفي حالة الأراضــي السكنية التي ليســت موثقة بصك أو حجة شرعيــة ، ومساحاتها من (٤٠٠ـ ١٠٠٠م٢) ، فــلا تزيــد أسعارها في الأرياف والمواطن النائية عــن عشرة وعشرين ألف ريــال ، ونــادراً أن يكــون هناك أراض أغلى مــن ذلك ، إلا إذا كان لهــا ميزة اقتصادية مهمــة ، فتكون قريبة من منتجع أو أماكن سياحيــة معروفة وجميلة ، أو لها ميزة أخرى حضاريــة ترفــع قيمتهــا[٢] . وهنــاك أراضــ زراعية متفاوتــة المساحــات ، وعليها بعض الأوراق والصكــوك والإثباتــات الشرعية فهي غالية نوعاً ما ، فــإذا كانت مواقعها جيدة ومساحاتهــا كبيرة فقد تصل أسعارها إلى الخمسمائة ألــف ريال. وهنــاك مزارع تقدر مساحاتها بعشرات الآلاف من الأمتار ، وقد تتجاوز نصف كيلومتر في نصف كيلومتر ، أو (١كم ×١كم) فأسعارها تدخل في خانة المليون ريال فأكثر [٣] .

(١) هــذا الذي وقفت عليه في بعض مكاتب العقار في مــدن الدرب ، والشقيق ، والحريضة ، والقحمة ، والبرك في الفــترة مــن (١٢ـ ١٨/٣/١٤٤٣هـ) . ومقارنة الأراضي السكنيــة في هذه البلاد مع بعض المدن الأخرى الكبيرة في السروات وتهامة مثل القنفذة ، والطائف، والباحة ، والنماص ، وبيشة ، وأبها ، وخميس مشيط، ونجــران ، وصبيا ، وجازان . فالأراضي في هذه النواحي أغلى في أسعارها من الدرب والبرك وما بينهما ، فقد تصل بعض المواقع السكنية الجيدة في هذه المدن إلى المليون ريال ، وربما زادت عن هذا السعر . ومن يقارن أسعار الأراضي اليوم مع العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) فليس هناك وجه مقارنة حيث كانت في الماضي رخيصة فلا تتجاوز سعر الأرض الجيدة آنذاك المائتي ألف ريال ، ونادراً ما تصل أرض إلى الثلاثمائة ألف .

(٢) اطلعــت على عشــرات الوثائق الخاصة بالأراضي السكنية والزراعية في عمــوم السروات وتهامة . وبعضها تعــود إلى الخمسينيات والستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) فكانت أسعار الأراضي الجيدة جداً لا تتجاوز الهلــل أو القروش المعــدودة ، وربما بيعت أراض زراعية أو سكنية جيدة بصــاع واحد من الذرة أو البر ، أو الشعير . وقس على ذلك فأسعار كل شيء آنذاك كانت ضئيلة جداً ، ثم بدأت الأسعار والأجور ترتفع شيئاً فشيئاً حتى التسعينيات من القرن نفسه ، وفي بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) قفزت الأسعار بشكل كبير، ومازالــت في ارتفاع وازدياد مطّرد حتى الآن (١٤٤٣هــ/٢٠٢١م) . وأقول إن تاريخ الأسعار والأجور في أي منطقــة أو مدينة أو حاضرة في بلاد السروات وتهامة مــن بداية القرن (١٤هـ/١٩م) حتى وقتنا الحاضر من الموضوعات المهمة والجديدة التي تستحق الدراسة والتوثيق والتحليل .

(٣) كانــت معظــم بلاد السـراة وتهامة إمــا زراعيــة أو رعوية خــلال القرن (١٤هــ/٢٠م) والأراضــي التجارية والصناعيــة قليلــة جداً . ثــم إن الأراضي بشكل عــام كانت رخيصــة ، وكل إنسان متمســك بأرضه وبخاصة الأراضــي الزراعيــة ، ويــرى الناس حينها أنها جزء مــن أرواحهم وأجسادهم، ومازال هــذا الولاء والحب في قلوب سكان القرى والقبائل والعشائر حتى الآن ، لكن بنسبة أقل مما كان عند الأوائل . ومنذ مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) تراجع اهتمام الناس بالزراعة ، وعملوا في وظائف ومهن أخرى عديدة ، ومن ثم تراجعت مهنة الزراعــة ، وزادت نســب الاهتمام بالأراضــي السكنية والاقتصادية ، ومن ثم انتشــرت القرى والأحياء والمدن

مـن جولاتي في بعض قرى وأرياف بلدان البرك والدرب وما بينهما شاهدت أراض رعوية وأخرى زراعية، بعضها تخص بعض السكان أو العشائر في تلك النواحي ، وأخرى أمكنــة مشاعــة في محيط بعض الأوديــة ، أو الجبال، أو الشعــاب والهضاب . ومعظمها رخيصــة الأسعار وبخاصــة القريبة من المستوطنــات البشرية ، أمــا البعيدة في أماكن وعــرة أو نائية فلا أحد يسأل عنهــا ، وربما استوطنها بعض البدو الرحل الذين يبحثون عن الماء والرعي ، وأينما وجدوه حلوا حوله[١] .

تخضــع أسعــار المنــازل السكنيــة الحديثــة لمواقعهــا الجغرافية ، فالتــي في المدن والحواضــر الكبيرة ، وعلى شوارع جيــدة وفسيحة ومخدومة بالإنارة والأسفلت وغيره . وبعضهــا في مخططات حكومية معتمدة قامت البلديات على إصلاحها وتهيئتها للبنــاء ، أو مخططــات سكنية أخرى خاصة خضعت للأنظمــة والقوانين في البلديات ومؤسسات الدولــة الأخرى المعنية [٢] . فغالبــاً سعر الدور الواحد متوســط المساحة مع مرافقه من (٤٠٠ـــ ٦٠٠) ألف ريــال ، والعمارات السكنية على الشارع العــام الرئيسي الذي يسير وسط المدن (الدرب، والشقيق، والحريضة ، والقحمة ، والبرك) فأسعار الدور الواحد تكــون أكــثر من ذلك . وغالبيــة البيوت السكنيــة الحديثة في محيط المــدن وما حولها. وترتفــع أسعــار الدورين والثلاثة ، فقد تبدأ من (٨٠٠) ألف ريــال ، ويصل بعضها إلى المليــون والنصــف والمليونين وربما زادت عن ذلك حسب موقــع كل عمارة ، وجودة مواد بنائها ، وديكوراتها الداخلية والخارجية . وهنــاك بعض الاستراحات الخاصة الصغيرة والمتوسطــة في محافظتــي الدرب والبرك ، وقريبــة من المدن الرئيسيــة أو في محيطها

الحديثــة في كل مكان ، وتحولت الكثير من الأراضــي الزراعية إلى مقرات سكنية وتجارية وصناعية وسياحية وترفيهيــة . وأقــول إن ما جرى على الأراضي التهاميــة والسروية من ثمانينيات القــرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٣هـــ/٢٠٢١م) يستحق أن يدرس ويوثق مع الإشارة إلى الأسباب التاريخية والحضارية التي جعلت الناس يحولون أراضيهم من مواطن زراعية ورعوية إلى سكنية وتجارية وحضارية أخرى .

(١) إن المشاهد لأراضي المملكة العربية السعودية بشكل عام ، وبلاد السراة وتهامة بشكل خاص يرى الكثير من الخيرات التي تمتلكها هذه الديار. فتنوع الأراضي في تضاريسها ومواردها الطبيعية من العوامل الإيجابية التــي تبني الحضارة والاقتصاد . والدولة في الفترة المتأخــرة أدركت خيرات أراضيها في كل مكان ، فرأت إصــدار بعض التنظيمات الإدارية التي تحفــظ حقوق الناس وامتلاكهم أراضيهم بطرق نظامية ورسمية ، ومن ثم أنشأت منصة باسم (إحكام) ومن خلالها يستطيع كل فرد أو أسرة إثبات حقه وملكيته لأراضيه، ومــن يســير حسب القوانين والأنظمــة المطلوبة ، فإنه في الأخــير يحصل على مبتغاه ، ومــن ثم يتم حصر ملكيــات الأراضــي في كل مكان ، وهذا مما قد يدفع عموم الناس إلى استثمار أراضيهم الخاصة فيما يعود عليهم بفوائد جمة وعلى البلاد بشكل عام .

(٢) شاهــدت الكثير من المخططات الخاصــة في مركز الحريضة ، وأجزاء من محافظة الدرب وبخاصة مركز الشقيــق . أمــا المخططــات الحكومية التــي عمرتها البلديات فهــي قليلة ، ويوجد في كل ناحيــة (الدرب ، والحريضة ، والقحمة ، والبرك) بعضاً من هذه المخططات ، وأغلبها صارت مأهولة بالسكان .

فأسعار الاستراحة الواحدة متوسطة المساحة تتراوح من (٢٠٠ـ ٥٠٠) ألف ريال حسب موقعها وجودة تشييدها[١] .

وأسعار الأراضي والعمارات التجارية لا تقارن مع الأراضي والمنازل السكنية . وأثناء ترحالي في مدن البرك، والقحمة ، والحريضة ، والدرب . وجدت جل الأراضي التجارية تقع على الشوارع الرئيسية في كل مخطط حكومي ، وأيضاً على الشارع العام الذي يأتي مـن مدينـة جازان إلى مثلث الدرب ، أو من كبري رجال ألمع إلى وسط مدينة الدرب ثم يواصـل امتداده إلى الـبرك . فالمواقع على جانبي الشارع العام الرئيسي صارت مشيدة بأنـواع العمارات وبخاصـة وسط كل مدينة (البرك ، القحمـة ، الحريضة ، الدرب) ، وهـي مشغولـة بالكثير من التجـارات المتنوعـة في معروضاتها ، أو بالمهـن الاقتصادية الصناعيـة والحرفية الأخرى ، وقليـل جداً جداً المعروض مـن أراضيها للبيع ، وكذلك عماراتهـا . وأخبرني بعض أصحاب مكاتب العقارات أن أسعار العمارات الحديثة تقدر بالمليـون فأكـثر حسب حجـم كل عمارة وموقعهـا ، وارتفاع طوابقها ، ومـدة عمرانها ، وقـد تصل أسعار العمارات الكبـيرة والجديدة عدة ملايين ، وربما وجدت أبنية تجارية صغيرة أوقديمة نوعاً ما فأسعارها عادة بمئات الآلاف . أما الأراضي والعمارات البعيدة عـن وسـط المدن على الشارع العـام ، وفي تجمعات بشرية كبيرة في المـدن والمراكز ، أو في المخططـات الحكوميـة والخاصة ، فأسعارها بدون شك أقل مـن الأبنية أو الأراضي التجاريـة السابق ذكرها . والعمـارة وأراضي الساحل التجاريـة والسياحية من الدرب إلى الـبرك الواقعة بـين الطريق العام وشاطئ البحر في كل حاضرة غالباً تكون غالية ، وربما قربت من أسعار الأبنية والمواقع التي على الشارع العام ، وبعضها قد تفوقها بنسبة كبيرة حسب مساحتها وموقعها السياحي والاقتصادي[٢] .

---

(١) لم تعـرف عمـوم السرواتٍ وتهامة هـذا التطور العمراني الحديث الـذي تمر به منذ أربعـين عاماً . وإنما كانـت بيوت الناس قديماً صغيرة ، محدودة المساحة ، وتفتقد إلى الخدمات المعمارية والسكنية الضرورية . وكل هـذه الأوطـان كانت بادية ، أو قـرى ، أو بلدات ، وأحياناً مدناً صغيرة ومحدودة في جميع إمكاناتها . وتتنـوع في مـواد بنائها ، فمنها المشيد بالحجـارة، أو الحجارة والطين، أو الطين ، أو القش . ثم بدأ التطور العمـراني الحديث تدريجياً مـن بداية التسعينيات ، وبقيت العمارتان (القديمة والحديثة) تسيران جنباً إلى جنب حوالي عقد ونصف وربما أكثر ، ثم تقدم العمران الحديث، وتراجعت العمارة القديمة حتى صار الناس اليوم يعيشون في أبنية وعمارات مسلحة حديثة ، وهجرت معظم العمارات القديمة، واندثر أغلبها، ومـازال منها نماذج قليلة يسكنهـا بعض الفقراء، أو العمالة الوافدة مـن كل الجنسيات، لكن هذه الأبنية في طريقهـا إلى الـزوال، إلا أن يظهر مشروع كبير مدعوم من الدولة وعمـوم السكان لترميم وصيانة هذا التراث العمراني الأصيل.

(٢) رأيـت أراضـي عديدة قريبة من شاطـئ البحر ، بعضها من أملاك الدولـة ، وأخرى أملاك خاصة لبعض الأفـراد أو الأسـر . ووقفت على بعضها ، ففيها المساحات الصغـيرة التي لا تتجاوز الألف متر مربع، وفيها

كما لاحظت كثيراً من الأراضي أو العمارات المستعملة بالعديد من التجارات والصناعات والحرف اليدوية أو الآلية [١] ، فكانت أجورها متفاوتة وتختلف من عمارة أراض لأخرى حسب مساحة الموقع ، وتعدد أدوار العمارة الواحدة ، وأيضاً نوع المهن أو التجارات الممارسة . فالأسواق الحديثة والكبيرة اليومية تكون أجورها السنوية في مئات الآلاف وربما دخل بعضها في خانة الملايين ، وكذلك الفنادق والشقق والشاليهات والوحدات السكنية ، وهي في محافظة الدرب أعلى من غيرها من البلدان الأخرى . وقد سألت عن أجرة بعض المحلات أو الدكاكين الصغيرة في كل المدن المعنية في هذه الرحلة، فوجدتها تتراوح من عشرات الآلاف سنوياً إلى مئات الآلاف[٢] .

أثناء تنقلي في نواحي محافظة الدرب والبرك ، وفي بلدتي القحمة والحريضة زرت بعض الأسواق الشعبية الأسبوعية ، واليومية الحديثة فوجدت بعض الملابس والزينة التراثية والمعاصرة ، فكانت أسعار الملابس القديمة رخيصة فلا تزيد اللبسة الواحدة عن الريالات وأحياناً العشرات . أما الملابس وأدوات الزينة الحديثة فهي غالية حسب كمية اللباس ونوعه ومصدر صنعه . فالألبسة وأدوات الزينة المستوردة من ماركات أو شركات عالمية فأسعارها بمئات الريالات وأحياناً تدخل خانة الآلاف حسب النوع والحجم والكميات ، وهناك ألبسة وأدوات زينة صينية وغيرها أرخص من السابقة [٣] .

أراض واسعة تصل إلى الألف، بل عشرات الآلاف من الأمتار . وأسعار الصغيرة تقدر بمئات الآلاف ، وإن كانت في مواقع استراتيجية وجيدة فقد تدخل خانة المليون أما الأراضي الكبيرة فأسعارها بالملايين .

(١) مثل ورش السيارات ، أو دكاكين إصلاح المعدات والآلات الدقيقة ، أو الكبيرة ، والأسواق اليومية متنوعة المعروضات ، أو الفنادق ، والشقق والشاليهات ، واستراحات أو صالات الأفراح ، والملاعب الرياضية ، وأعمالاً وحرفاً أخرى عديدة مهنية ، وسياحية ، وتجارية وغيرها .

(٢) كمحلات الحلاقين ، أو التجميل ، والمطاعم والبوفيهات ، وأماكن شرب القهوة وغيرها (كافيه شوب) ، ومغاسل الملابس ، وإصلاح البناشر وزيوت السيارات ، والبقالات الصغيرة أو المتوسطة ، وورش بعض السيارات ، أو التقنيات ، ومكاتب العقار، وبعض العيادات والمراكز الصحية الصغيرة الخاصة ، وغيرها من الأعمال الاقتصادية المختلفة . وكل هذه الأنشطة الاقتصادية الحديثة لم تكن موجودة في هذه البلدان حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وإن وجدت فهي قليلة جداً في مدن الدرب يليها البرك والقحمة . ثم تطورت هذه الأوطان خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) حتى صارت مكتظة بكل الأعمال الحضارية التجارية والاقتصادية المتعددة . وتاريخ التجارة والحرف الصناعية من الموضوعات المهمة للبحث والدراسة والتوثيق في عموم بلدان السروات وتهامة من ثمانينيات القرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٣) تاريخ الألبسة والزينة القديمة والحديثة من حيث أشكالها ، وطريقة صنعها ، وأهميتها ، وأسعارها في أي منطقة من بلاد السراة وتهامة خلال الخمسين عاماً الماضية (١٣٩٠-١٤٤٣هـ / ١٩٧٠-٢٠٢١م) موضوعات تاريخية حضارية حديثة ومعاصرة جديرة أن تدرس وتوثق في عشرات الكتب والبحوث العلمية .

وهنـاك الكثـيرمـن التجـارات التـي سألت عنهـا وعـن أسعارهـا مثـل: أدوات الزراعة ، والطبـخ، والبنـاء، والصيـد ، والرياضة ، والنجـارة ، والتعليم والثقافـة، والأواني المنزلية ، ومعـدات السيـارات والآلات ، وكذلك أنواعٌ من الأطعمة والأشربة ، واللباس والزينـة ، وسلعا متعددة أخرى ، ثم خرجت ببعض الخلاصات العامة التي أدون بعضا منها في البنود الآتية :

١. جميع الأسواق الصغيرة والكبيرة مليئة بكل البضائع المتنوعة ، ومعظمها مستوردة من خـارج المملكة العربية السعودية ، وبعضها وهي قليلة من داخل البلاد . كما أن الأيدي العاملـة في هذه الأعمـال الاقتصادية مـازال أكثرهم غير سعوديـين . ومؤخراً بدأت نسبة السعوديات والسعوديين تزيد في هذه الأعمال ، لكنها مازالت ضئيلة جداً [١] .

٢. كانـت هـذه البلاد التي زرتهـا مؤخراً ، الـدرب والبرك وما بينهمـا ، وعموم البلاد السعوديـة متواضعـة في إمكاناتهـا الاقتصاديـة حتـى عقـود متأخرة مـن القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ثـم فاض الخير على النـاس وفي كل مـكان . والواجب على جميع السعوديـين (ذكـوراً وإناثـاً) أن لا يُفوّتـوا الاستفادة من هذه الطفـرة الحضارية والاقتصاديـة ، ثم يساهموا بالعمـل الفعلي من خلال الأعمال التجارية ، والحرفية الصناعية ، وغيرهـا من الوظائف اليدوية والتقنية . وهذا الذي تحتاجه بلادنا في الوقت الحاضر وفي كل مكان[٢] .

٣. نحـن أمة لنا هويـة وطنية وتراث معنوي ومادي عريق . كمـا أن بلادنا بحاجتنا في كل الوجـوه والميادين .ولا ننكر أننـا قطعنا أشواطاً وخطوات كثيرة وإيجابية ، لكننا مازلنـا نتطلع ونطمع إلى العلـو والارتقاء ، ولا ننسى العمل الحثيث في الحفاظ على هويتنـا وعراقتنـا العربية الإسلامية ، ومن ثم فلا نعزف ، أو نتعالى ، أو نتأفف من الاستفـادة مما عند الآخريـن ويصب في بناء حضارتنا المعنويـة والمادية إيجابيا ، ونأخذ بالقول (الحكمة ضالة المؤمن أي مكان وجدها أخذها)[٣] .

---

(١) تعيشـ البلاد طفرة حضارية واقتصادية كبيرة من تسعينيات القرن الهجري الماضي ، ومازال السعوديون حتى الآن يتجنبون الانخراط بشكل كبير في المهن والحرف والتجارات الاقتصادية . مع أنها ميادين ربحية لمن يصبر ويعمل بجد وإخلاص .

(٢) أرصـد وأوصـي بهذه الأقـوال ، لأنني عشـت سنين الجوع والفقـر والحاجة في ثمانينيـات القرن الهجري الماضـي (١٤هـ/٢٠م) ، ورأيـت الآباء والأجداد كيف كانـوا لا يأنفون من العمـل في أي مهنة يكسبون من خلالهـا قوتهـم وكسب أرزاقهم . ثم تطور الأمر وتحولت حياة الناس من جوع وفقر إلى غنى ونعمة وترف. والواجـب علـى الجميع أن لا ينسوا ذلك الماضـي الصعب الشاق ، وأن يستلهمـوا الصبر والعمل والدروس النافعة من تاريخ الآباء والأجداد .

(٣) هـذا الـذي يجب أن نسير عليه حكومة وشعباً ، صغاراً وكباراً ، ذكـوراً وإناثاً ، أغنياء وفقراء ، وإن اتخذنا جميعـاً الطريق الإيجابي فمن المؤكد أننا سوف نستمـر في مسيرتنا نحو البناء والتطور الحضاري المفيد . وأسأل الله أن يجعلنا جميعاً من الذين يقولون القول فيتبعون أحسنه وأفضله. (والله من وراء القصد) .

٤. معظم السلع والتجارات والأغراض التي وقفت عليها وسألت عن أسعارها غالية جداً مقارنة بعقود قريبة ماضية. وفي السنوات العشر الأخيرة (١٤٣٢ـ ١٤٤٣هـ/ ٢٠١١ـ ٢٠٢١م) ارتفعت الأسعار في كل شيء وبخاصة بعد إضافة الضريبة المضافة (١٥٪). وكثيرٍ من البضائع الصغيرة والكبيرة التي كانت تشترى قبل عشرين أو ثلاثين سنة مثلاً بريالات معدودة ، أو بعشرات الريالات فلا تشترى اليوم إلا بالمئات . فمثلاً الدجاجة المطبوخة مع الأرز في العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) كانت لا تتجاوز عشرة ريالات ، واليوم بلغت أربعين ريالاً . كذلك الخروف أو التيس كان لا يتجاوز (٢٠٠ـ ٣٠٠) ريالاً ، ونادراً يصل (٤٠٠ـ ٥٠٠) ريال. واليوم لا يقل عن الألف ريال لصغير الحجم ، أما كبير الحجم فيصل سعره إلى ألفي ريال ، وربما زادت عن ذلك . وقس ذلك على جميع البضائع من ألبسة وزينة ، وطعام وشراب ، وأدوات البناء ، والزراعة ، والصيد ، وحرف ومهن أخرى كثيرة [١].

أما الأجور فهي الأخرى مرتفعة أيضاً ، فأجرة العامل العادي باليومية (١٢٠ـ ١٥٠) ريالاً ، والعامل الفني كالكهربائي ، والسباك ، والمبلط ، والدهان فأجرته ضعف أجرة العامل العادي . وقد يعمل كل من العامل العادي والفني بالاتفاق العام (القاطوعة) لإنجاز عمل محدد ، ويجري الاتفاق بين صاحب العمل والعمال ، وغالباً تكون عالية مقارنة بالعقود الأولى في هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) [٢].

وأجور العقارات بشكل عام الأراضي ، والفنادق ، والشقق المفروشة ، والمحلات التجارية والصناعية والحرفية فجميعها مرتفعة ، فمنها الذي يقدر بالآلاف للسنة كاملة ، وأخرى بعشرات الآلاف ، والأجور الكبيرة تدخل في خانة مئات الألوف سنوياً. أما الأجرة باليومية ، كاستئجار غرفة أو غرف في فندق ، أو شقق مفروشة فأجورها بالمئات من (١٠٠ـ ٥٠٠) ريال ، وربما زادت قليلاً في بعض الشاليهات أو المواقع السياحية الجيدة في كل من الدرب ، والشقيق ، والحريضة ، والقحمة ، والبرك [٣].

---

(١) من يدرس ويتأمل في الأسعار والأجور في أنحاء العالم خلال الثلاثين سنة الأخيرة (١٤١٠ـ ١٤٤٣هـ/ ١٩٩٠ـ ٢٠٢١م) يجدها قفزت قفزات كبيرة جداً ، حتى أن أسعار الكثير من البضائع تضاعفت ثلاث وأربع وخمس مرات . ومازالت جميع الأسعار حتى الآن (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) في صعود مخيف ، ونسأل الله السلامة والعفو والعافية في الدنيا والآخرة .

(٢) هذا الذي عرفته وعاصرته من آخر القرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) فالأجور أيضاً ارتفعت أضعافاً عما كانت عليه. والأجور بشكل عام سادها الارتفاع والزيادات على ارتفاع الأسعار في كل شيء .

(٣) زرت وسكنت في بعض الفنادق والشاليهات في هذه النواحي فكانت أجورها متفاوتة من (٢٠٠ـ ١٠٠٠) ريال حسب الموقع ، وجودة العمارة المسكونة ، وعدد الغرف أو الأجنحة المستأجرة . والأجور في هذه الأمكنة السياحية تضاعفت في السنوات الأخيرة ، وأعتقد أنها في ازدياد بعد تطوير بعض الواجهات البحرية والشواطئ المتعددة من الدرب إلى البرك .

وأجور المواصلات من الدرب والبرك وما بينهما إلى أي مكان في السروات وتهامة ، أو أي مدينــة أو حاضرةٍ في المملكة العربية السعودية ، فتتراوح أجرة المسافر من عشرة وعشريــن وثلاثــين ريالاً للفــرد الواحد في البلــدان المتقاربة ، مثل الــدرب الحريضة أو الــبرك ، أو الــبرك محايل عســير ، أو القحمة القنفــذة ، أو الدرب بيشــ . أما الأمكنة البعيــدة فتدخــل في أرقام أكبر من العشــرات الكثيرة إلى ما فوق المئــة ريال وقد تصل الى مئــات الريــالات، وربما أكــثر إذا كان المسافر ذهب في سيارة أجــرة أو خاصة ومع مسافرين آخرين في نفس السيارة . أما إذا كان المسافر في سيارة مستقلة وطلبية خاصة (مشوار) فالأجرة تتضاعف ثلاث وأربع وخمس مرات حسب طِول الطريق، وصعوبتها ، أو الأغراض الخاصة بالمسافر ، فإذا كانت ثقيلة وكثيرة فحتماً الأجرة تكون أعلى[1] .

وأجــور نقل البضائــع ارتفعت اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) عــن عشرين وثلاثين سنة سابقــة . فالسيارة الكبيرة التي تنقل البضائع والسلع داخل المدن المعنية في هذه الرحلة (الــبرك ، الدرب ، القحمــة ، الحريضة) تقدر بالعشرات ومئات الريالات حسب طول المسافــة ، ونوعيــة البضائع المنقولة . أما إذا جلبــت أغراض وبضائع من مدن كبيرة في السروات وتهامة كخميس مشيط ، وجازِان ، وأبها ، والقنفذة ، والباحة فأجور السيــارات الكبــيرة تقــدر بمئات الريــالات ، وأحياناً تتجاوز الألــف ريال وبعض العشــرات . أما أجور سيارات النقل الصغيرة فهي أقل ، لكنها لا تنزل إلى خانة العشرات ، وإنما تبقى في المئات. والنقل من مدن كبيرة وبعيدة كالرياض ، والدمام ، وجدة وغيرها فالأجور بالآلاف [2] .

أمــا أجــور المعدات المحليــة كالحراثات ، والشيــولات ، والرافعــات ، والخلاطات ، وغيرهــا من الآلات المستخدمة في مجالات البنــاء والتشييد للعمارات الخاصة والعامة، وفي ممارســة بعض المهــن الزراعية والصناعية وغيرها. فغالبــاً تدفع أجرتها بالساعة

(١) عملــت في مهنــة سياقة التاكسي من عام (١٣٩٧ـ ١٤٠١هـ/١٩٧٧ـ ١٩٨٠م) وسافرت إلى مواطن عديدة في البلاد الممتدة من الطائف ومكة المكرمة إلى جازان ونجران ، وذهبت أيضاً إلى مدن جدة ، والرياض، والمدينــة المنورة . وكانت أجرة نقــل المسافرين آنذاك داخلِ المدن وخارجها قليلــة ومتواضعة ، فقد يذهب المسافر من الدرب أو أبها إلى الطائف بثلاثين وأربعين ريالاً ، أو إلى النماص ، أو القنفذة ، أو بيش وصبيا وجــازان بــ (١٠ـ ١٥) ريالاً للفرد الواحد . وإن ذهب الواحد في سيارةٍ بطلبية خاصة فلا تزيد عن (١٥٠ـ ٢٠٠) ريــالاً مــن الدرب إلى الطائف ، أو من البرك إلى الطوال مثــلاً . مع أن الطرق آنذاك صعبة وضيقةٍ وغــير مخدومــة كما نشاهدها اليوم ، ومع ذلك فأجور المواصلات في وقتنــا الحاضر زادت وارتفعت كثيراً عما كانت عليه قبل ثلاثة عقود .

(٢) سألت وشاهدت حركة نقلِ البضائع في حواضر كثيرة من المملكة العربية السعودية وبخاصة بلدان السروات وتهامة خلال الثلاثين عاماً الماضية ، وقد ارتفعت بعض وسائل النقل أضعافاً عديدة ، وارتفاعها تزامن مع غلاء الأسعار في كل شيء .

وتـتراوح من (٣٠) و (٤٠) ريالاً إلى (٢٠٠) ريـال حسب الآلة المستخدمة . فخلاطات الإسمنـت الكبيرة والمتطورة تؤجر مع الخرسانة بالمـتر المكعب الذي يتراوح من (١٥٠ـ ٢٠٠) ريالاً . أما الحراثات ، والعرجات ، والشيولات فتعمل بالساعة ، وأجرتها لا تخرج عما أشرت إليه أعلاه[١] .

والحديث عن الأجور والرواتب في القطاعات الحكومية والخاصة موضوع كبير جداً ، لكنها كانت في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) قليلة جداً جداً ، وفي الأربعينيات والخمسينيات من القرن نفسه تدفع بالقروش القليلة ، وأحياناً تعطى آنذاك مواد عينية كالحبوب وغيرها . ثم ارتفعت الرواتب تدريجياً حتى بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وقفـزت قفزات كبيرة حتى صارت في خانة الآلاف لجميـع العاملين في القطاعين العام والخاص ، ومنهم أعداد كثيرة ، في خانة عشرات الآلاف [٢] .

ج ـ وقفة مع الحياة الصحية :

عـرف أهـل تهامة في القـرن الهجري الماضي ومـا قبله حياة صحيـة شاقة ، لعدم وجـود الخدمـات الطبية ، والاعتماد علـى الله (عز وجل) وعلى مـوارد طبيعتهم من نباتـات وغيرها ، والتطبـب ببعضها في علاج أمراضهم المتنوعـة . وقد وثقت صفحات مـن تاريخ الطب في بلدان السـروات وتهامة خلال عصور ماضيـة [٣] ، كما أشرت إلى معلومات محـدودة عن الطب الحديث الذي عرفته هذه البـلاد منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (ق١٥هـ/٢١م) [٤] .

---

(١) كانـت حياة الناس في الماضـي شاقة وصعبة ، واعتمادهم الكلي على عضلاتهـم وعمل أيديهم ، ثم جاءت الآلات الحديثة المتنوعة فخدمت البشر في جميع أعمالهم الحرفية المختلفة . وكانت أجورها في بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) معقولة ومتقاربة ، ثم ارتفعت مع ارتفاع الأسعار والأجور الأخرى .

(٢) هـذا الـذي اطلعت عليه في عشرات الوثائـق والسجلات . ومع ارتفاع الرواتب في العقـود الماضية المتأخرة ارتفعـت أيضـاً الأسعـار والأجور والمعيشة بشكل عـام . وتوثيق تاريخ الرواتب ، والأجـور والأسعار في شتى الجوانـب من عـام (١٣٨٠ـ ١٤٤٣هـ/١٩٦٠ــ ٢٠٢١م) من الموضوعـات الكبيرة ، حبـذا أن نرى باحثين جادين يؤرخون لهذا الميدان الحضاري المهم .

(٣) أقـول إن تاريخ الطب والتطبيب في عموم بلاد تهامة والسراة حتى ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) يستحق أن يدرس ويوثق بطريقة تفصيلية. وهناك بعض المصادر والمخطوطـات والرواة المعاصرين الذين لديهم معـارف تفيد في خروج مثل هذه البحـوث العلمية . وللمزيد انظر صفحات متفرقة عن الحياة الصحية في جنـوب المملكة العربية السعودية في بعض مؤلفاتي عن الحيـاة الصحية التي صدرت خلال العقود الأربعة الماضية . وفيها بعض المفاتيح والإشارات التي تساعد من يعمل في هذا الميدان المهم .

(٤) حظيـت الحياة الصحية في معظم الحواضر ، والمـدن ، والحواضر الجنوبية السعودية بتأسيس الكثير من المراكز الصحية ، ثم المستشفيات الكبيرة والصغيرة العامة والخاصة ، ثم جامعات حكومية وكليات خاصة وفيهـا العديد من الكليـات الطبية الصحية المتنوعة في مجالاتها ، وهناك حاليـاً أيضاً مدن طبية تقام في

وأثنــاء رحلتي من الــدرب إلى البرك في الفترة من (١٢ــ ١٨/٣/١٤٤٣هـ) وقفت علــى عدد من المستشفيات الحكومية الحديثة وفيها تخصصات طبية متعددة ، والكثير من المتخصصين في فروع صحية متنوعة تقوم على خدمة كل الفئات ، الصغار والكبار، الذكــور والإنــاث ، السعوديين وغــير السعوديــين . ناهيك عن المقرات لهــذه الخدمات ففيهــا المستشفيات الحكومية الكبيرة ، والمراكز الصحية المتفرقة في نواحي هذه البلاد التهامية ، وفي أبنية تتفاوت في مساحاتها ، وعدد أدوارها ومرافقها ، ومنها المستأجرة، وأخــرى حكوميــة رسمية[١] . والقطاع الخاص استثمر وفُتحــت مراكز صحية عديدة في الدرب ، والشقيق ، والقحمة ، والبرك ، وهي تمارس أعمالها في المجال الصحي ، متعدد الجوانــب . ومازالــت عمــوم تهامة من مكة المكرمــة إلى جازان تحتاج مزيــداً من هذه الخدمــات الطبية الخاصة . آمل أن نــرى مستشفيات كبيرة خاصة ونوعية في خدماتها بهذه البلاد الشاسعة ، والمكتظة بالسكان المحليين والوافدين[٢] .

وعــن جائحــة كورونا (كوفيد ـ ١٩) التــي اجتاحت العالم منذ عامــين ، ولم تسلم المملكــة العربيــة السعودية مــن شرها وآثارهــا السلبيــة ، لكن الدولة ممثلــة في وزارة الصحــة السعوديــة بذلت قصارى جهودهــا في محاربة هذا المرضــ المعاصر ، ومن ثم كانــت البــلاد السعودية لجميع سكانهــا (المواطنين والوافدين) من أقــل بلدان العالم خسارة في الأرواح [٣] .

حواضــر عديــدة . ناهيك عن الكــوادر البشرية في هذا القطــاع الكبير فهم بــالآلاف في كل التخصصات الطبية الجسدية والنفسية وغيرها . والتاريخ الصحي في مناطق المملكة العربية السعودية الجنوبية جدير بالدراسات البحثية العلمية من تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ٠

(١) مكثــت سبعة أيام أتجول وأشاهد الكثير من الميادين الحضاريــة والتنموية . وقطاع الصحة من المؤسسات الحكوميــة التــي نالت الكثير من الدعــم والرعاية الحكومية . كمــا أن سكان البــلاد ازداد وعيهم الثقافي والصحــي ، مقارنة بالآباء والأجداد الذين كانوا محدودي الإمكانــات المادية والمعرفية التعليمية والبحوث المقارنــة بين حياة الناس اليوم والأوائل حتى سبعينيــات وثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) جديرة أن تنجز من قبل المؤرخين الجادين المنصفين ٠

(٢) إن الناظر بعين دقيقة وصادقة عن تاريخ الطب والتطبيب في المملكة العربية السعودية من بداية التسعينيات في القــرن الهجــري الماضي حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، فإنه يقف على تطــور واسع جداً رأسياً وأفقياً. كما يرى آلاف الطبيبات والأطباء السعوديين الذين ساهموا في كل مجال في هذا القطاع الحيوي ، والكثير منهم تفوقوا وأبدعوا ، وصار لهم منجزات عالمية متنوعة . ناهيك عن المعدات الطبية والمشاريع العمرانية الصحية فهي مجال رحب ومتشعب ولا تكفي عشرات المجلدات البحثية لإلمام بهذا التقدم والتطور الحديث والمعاصــر. وأقول إن الجامعات والكليــات وأقسامها يجب أن تتحمل المسؤولية وتوثــق التنمية التي تعيشها البلاد السعودية خلال الخمسين عاماً الماضية ، وهذا في اعتقادي من واجباتها ٠

(٣) ذكرت بعض التوثيقات والإرهاصات التي أحدثها هذا المرض في أجزاء سابقة من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ، وأشرت إلى شيء من أحوال الأرض والسكان في جنوب المملكة العربية السعودية (تهامة وســراة) . وهــذا المرض في العالم ، وفي المملكة العربية السعودية يحتاج إلى مزيد من الدراسات والبحوث

وفي فترة سيرى في بلدان الدرب ، والشقيق، والحريضة ، والقحمة ، والبرك سألت الناس عن آثار هذا المرض على بلادهم وسكانها ، وهل مازال موجوداً بينهم . فقال لي بعضهم أنه وصل إلى عدد من مدننا وقرانا وحواضرنا ، ومنهم من فقد حياته بسبب هذا الطاعون لكنهم مازالوا قلة مقارنة بمدن ومناطق أخرى في المملكة . كما أن جميع الناس ، عامهم وخاصهم ، كانوا متجاوبين مع إرشادات وزارة الصحة وتعليماتها من حيث التباعد في الاجتماعات العامة والخاصة ، وفي الصلاة في المسجد ، ولبس الكمامات ، والكثير منهم يحملون معهم سجاداتهم أثناء الصلاة في المساجد ، وهذا مما جعل الإصابات بهذا المرض قليلة [١] .

وأثناء سيري في هذه الرحلة المعنية في هذه الصفحات ، كان مرض كورونا قد تراجع كثيراً ، ورفعت كثير من القيود مثل التباعد الجسدي في الصلاة أو حتى في الاجتماعات العامة . ولبس الكمامة بقي مطلوباً عند دخول الإنسان أي منشأة أو دائرة حكومية ، ومعظم الناس أخذوا جرعتي اللقاح . وفي هذه الأيام ، مطلع شهر جمادى الآخرة عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) ، وأنا أدون هذه السطور هناك نداءات كثيرة لأخذ جرعة ثالثة ، وقد تكون إلزامية لكل الناس في الأسابيع القادمة . وتتداول وسائل الإعلام أن هناك فصيلة جديدة من فيروس كورونا بدأت تنتشر في العالم ، وآثارها وصلت بعض مدن المملكة ، ووزارة الصحة تدعو حالياً لأخذ الحذر والحيطة ، والحث على أخذ الجرعة الثالثة من اللقاح . كما أن طالبات وطلاب الجامعات ، والمرحلتين المتوسطة والثانوية عادوا إلى مقاعد الدرس في مدارسهم وكلياتهم ، أما طالبات وطلاب المرحلة الابتدائية فمازالوا يدرسون عن بعد تخوفاً من انتشار المرض مرة أخرى . وكل الناس في أنحاء المملكة مثلهم مثل غيرهم مازالوا قلقين وخائفين من هذه الجائحة المرضية المعاصرة ، لما نتج عنها ، من آثار سلبية كثيرة على مستوى العالم [٢] .

التوثيقية التاريخية . آمل أن نرى بعض المؤرخين والباحثين المعاصرين فيدرسون آثاره في السعودية ، وكيف ثم محاربته ، وما هي نتائجه الإيجابية والسلبية حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ٠

(١) إن الناس في عموم المملكة كانوا متقيدين بالتعليمات التي أصدرتها وزارة الصحة منذ البداية ، إلى أوقات الحجر الكلي والجزئي . وربما كان هناك نماذج قليلة غير ملتزمة ، وقد طبقت العقوبات المالية المفروضة على بعضهم . لكن وضع السكان بشكل عام كان جيداً أثناء تعاملهم الداخلي والخارجي مع هذا الوباء ٠

(٢) من يقرأ التاريخ يعرف أن هناك أمراض فتاكة حلت ببعض بلدان العالم على مر التاريخ . لكن هذا المرض الحديث (كورونا ــ ١٩) لم يسبق له مثيل من قبل من حيث الانتشار والرعب الذي أصاب جميع سكان العالم . وقد كثرت الأقوال عن أسبابه ، وهل هو بفعل فاعل؟ أم حدوثه كان طبيعياً كأي مرض آخر وحتى الآن لا يعرف الناس في أرجاء الكرة الأرضية عن أسباب حدوثه . والتاريخ سوف يكشف حقيقته بدون شك، لكن ربما لا يكون في الوقت الحالي ، والذهول مازال جاثماً على كل الناس حتى الآن .

رابعاً : خلاصة آراء ووجهات نظر :

إن شبــه الجزيرة العربية وبخاصــة جنوبها ، وعلى وجه التحديــد بلدان السروات وتهامــة الواقعة بــين حواضر الحجاز الرئيسيــة في الشمال ، وبلــدان اليمن الكبيرة في الجنــوب مــن أقل الأوطان التــي خُدمت توثيقيــاً وبحثياً في مجالي التاريــخ والآثار منذ العصــر الحجري إلى القــرن (١١هـ/١٧م) [١] ، وبعد هذا الزمــن حتى وقتنا الحاضر دُرس ووثق صفحات من تاريخها الحديث والمعاصر ، ومازال هنــاك الكثير من الحقب، والموضوعــات والميادين التــي تستحق أن تُدرس في عشرات بل مئــات البحوث والكتب والرسائل العلمية[٢] .

والرحالــون والرحــلات الميدانية من المجــالات المهمة والرئيسيــة في مجال دراسة تاريــخ الأراضــي والشعــوب . وسكان وأراضي شبه الجزيــرة العربية ذكــرت كثيراً في مدونــات الرحالة منذ عصــور ما قبل الإسلام وعبر حقب التاريخ الإسلامي حتى يومنا الحــالي . والمحظوظ من المؤرخــين والباحثين الذين أدركوا وتعاملــوا مع هذا النوع من المصــادر ، ففيها علوم ومعارف يصعب أن نجدها في موارد علمية أخرى . ثم إن الموفق مــن الرحالين من وثق رحلته ابتغاء وجه الله ، ثــم التقصي والحرص الشديد على قول الحق والصدق ، والبعد عن التدليس ، أو التضليل ، أو التزييف الذي يضر من كتبه قبل أن ينفع من كتب له أو عنه[٣] .

في هــذا القســم اقتصــرت في توثيقات على نوعــين من المادة العلميــة الأولى رحلة الرحالة الإنجليزي فيلبي (أو الحاج عبدالله فيلبي) الذي اجتاز بلاداً تهامية ساحلية، مــن الــدرب إلى البرك في بدايــات النصف الثاني مــن القرن الهجــري الماضي ، ووثق

---

(١) هنــاك القليــل من البحوث المطبوعــة والمنشورة التي بحثت بعض العناوين والموضوعــات في تلك العصور القديمة ، والإسلامية المبكرة والوسيطة ، لكنها مازالت محدودة جداً في مادتها العلمية ، والأزمنة والأمكنة التي وثقت شيئاً من تاريخها وتراثها .

(٢) نعــم الكثير من الباحثين والمؤرخين والآثاريين وكذلك كليــات وأقسام أكاديمية عديدة خدمت هذه القرون الثلاثــة والنصف من (ق١١هـ/١٧م) إلى وقتنا الحاضــر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، لكن ـ كما ذكرت أعلاه ـ مــازال هناك الكثير وبخاصة في الميادين الحضارية والأثرية تحتاج إلى خدمة ورعاية أكبر وأكثر من قبل أصحاب التخصص سواءً كانوا أفراداً أو مؤسسات علمية أكاديمية .

(٣) اطلعــت خــلال رحلتــي العلميــة التي تجــاوزت خمسين عاماً علــى الكثير من الكتــب والمدونــات (العربية والأجنبيــة) التــي اعتمدت معلوماتها على ميادين الرحلات وفي علوم وميادين شتى ، ورأيت الكثير منها قــام علــى تقصي الحقائق والمصداقية العالية ، وبعضها كانت أقل من ذلك . كما وقفت على رحلات دُونت لأهداف متعددة ، ولا تخلو من التضليل ، أو التعصب لأمر أو ناحية أو فرد أو شعب ما ، وأحياناً تخرج عن ميدان الاتزان النفسي والعقلي ، ومن ثم يتخللها فقرات ونصوص جارحة ، أو بذيئة ، أو عدائية أو غيرها من العيوب والزلات .

صفحات من تاريخ وحضارة هذه البلاد التهامية السعودية العربية . وتشتمل تلك المدونات على تفصيلات كثيرة يصعب أن نجدها في أي مصدر آخر. كما أن نسبة الدقة في الرصد والمصداقية عالية جداً ، لكنها أيضاً لم تسلم من بعض الأخطاء الوصفية لعدد من الأمكنة والمعالم الجغرافية . لهذا قمت بإيراد النصوص الرئيسية لفيلبي ، ثم اجتهدت في تصحيح ما استطعت ، ولا أدعي أنني أتيت على كل شيء يحتاج إلى تصويب ، لكن أزعم أنني عالجت وصححت أغلبها مع إيراد تعريفات وتوضيحات أكثر في هوامش الدراسة [١].

أما النوع الثاني من تأليف هذا القسم ، فقد قمت برحلة ميدانية في البلاد التي زارها فيلبي قبل (٨٨) عاماً، وتجولت في ربوع هذه الأوطان عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، وبذلت ما في وسعي لتدوين صفحات من تاريخها وحضارتها المعاصرة ، ولم أقتصر على الروايات أو المقابلات التي أجريتها مع بعض أعلام البلاد ، وإنما ارتحلت وشاهدت ووثقت ما استطعت ، ثم التقطت العديد من الصور الفوتوغرافية لمعالم كثيرة من البلدان الخمسة (الدرب، والشقيق ، والحريضة ، والقحمة ، والبرك) . ولا أدعي الكمال والتمام فيما وثقته ، لكنني بذلت الاستطاعة ، وأسأل الله الإخلاص في القول والعمل ، كما أسأله (عز وجل) الأجر والثواب[٢].

<u>(*) من التوصيات التي أسجلها في هذا العمل العلمي المتواضع والمحدود ، أذكر شيئاً من ذلك في النقاط الآتية :</u>

١. إن عموم بلاد السراة وتهامة قد وردت في الكثير من كتب الرحالة العرب والمسلمين وغير المسلمين منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر . والواجب على المؤرخين والباحثين أن يتلفتوا إلى هذا النوع من المصادر فتجمع وتدرس وتحقق ويصوب ما بها من أخطاء ، ويضاف عليها ما يمكن من تعليقات وشروحات تصب في خدمة ميادين العلم والمعرفة .

٢. جاء إلى هذه البلاد (السراة وتهامة) الكثير من العلماء ، والأدباء ، والشعراء ، والمؤرخين ، وبعض العسكريين السياسيين والإداريين وغيرهم . وقد يكون بعضهم

---

(١) إن فيلبي من الرحالة الكبار الذين عرفتهم تاريخ البشرية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، والرحالة الغربيون قدموا الكثير في خدمة تراث البشرية وبخاصة تاريخ وحضارة وموروث البلدان العربية والإسلامية . وبعض كتبهم ترجمت إلى العربية والكثير مازال ينتظر الترجمة والتحقيق الجيدين .

(٢) ما من شك أن يظهر في هذا العمل الذي أنجزته عيوباً وزلات ، وآمل من يجد شيء من ذلك أن ينبهني إليه، حتى أصوبه في طبعات قادمة ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ·

دون مذكراتــه ، أو انطباعاتــه أو مشاهداته عبر عصــور التاريخ التي زار فيها هذه الأوطــان ، أو أقــام فيها وعاش حتى الممات . ومثـل هذه المصادر تعـد من الكنوز الثمينــة التي تعكس شيئاً من تراث وحضارة هذه البلاد العربية الماجدة ، ويجب أن نجتهد في البحث عنها ، وقد نعثر على شيء من ذلك .

٣. عرفـت ثم عاصـرت الكثير من الأساتذة العـرب وغير العرب الذيـن جاءوا للعمل في عمـوم السروات وتهامة منذ سبعينيات القرن (١٤هــ/٢٠م) ، ومعظمهم كانوا يعملـون في قطـاع التعليـم ، وكان لبعضهم ذكريـات ومذكـرات ومقطوعات نثرية وشعريـة عن البــلاد التي عملوا فيهــا ، وقد عثرت على نماذج من هــذه المدونات ، ومــن يبحث في هذا الميـدان فمن المؤكد أنه سيجد شيئاً من هذه المصادر التاريخية والحضاريــة التي بدون شك تحتوي على معلومــات وتفصيلات قد لا نجدها في أي مصدر أو مكان آخر[١] .

٤. أحــث أساتذة الجامعات ، ومن لديه خبرات وتجــارب جيدة تستحق أن يُطلع عليها ويستفــاد منهــا أن يوثقها في مســودات ويحفظها أو يدفعها إلى مــن يحفظها لعلها تطبع وتنشر في قادم الأيام . كما أن حياتنا العصرية الحالية أشغلتنا بأمور ثانوية لا تعــود علينــا ولا على بلادنا وأهلنا بفائدة ، والواجب على كل رب قلم ، أو من يجد في نفســه القدرة على توثيق شــيء من تاريخ عصره ، فالواجــب أن يدونه ويحفظه بالكتابة ، وقد يأتي زمن يفيد في توثيق صفحات من حياة هذا العصـر[٢] .

---

(١) اننــي منذ زمــن أنادي المؤرخــين والباحثين في بلادنــا أن يبحثوا في تــراث أساتذة التعليــم وأعضاء هيئة التدريــس الذين قدموا من خارج المملكة العربيــة السعودية ، أو بعضهم من داخلها منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن ، وسوف يجدون منهم علماء وأساتذة كباراً لهم ذكريات وموروث وتاريخ عن أهلنا وبلادنا ، كانوا قد وثقوه وجمعوه ، لكنه لم ينشر ، وإنما قد يكون في حوزة بعضهم إن كانوا على قيد الحياة ، أو عند ورثتهم أو ربما كان هناك مدونات وتقارير علمية وحضارية من تأليفهم موجودة في أراشيف وزارة التعليم وغيرها من مؤسسات الدولة .

(٢) مــن تجربتي في البحث والتأليف حوالي أربعة عقــود ، وجدت معظم الناس لا يرغبون في توثيق ما يعرفونه ويعيشونه ، وإن طلبت من بعضهم الكتابة أو التوثيق لأمر ما ، أو لتاريخ وأحداث عرفوها أو عاصروها ، فلا تجد من يسمع ويتجاوب معك إطلاقاً ، وإن تجاوب معك أفراد فهم بنسبة ضئيلة جداً .

ملحق الصور الفوتوغرافية

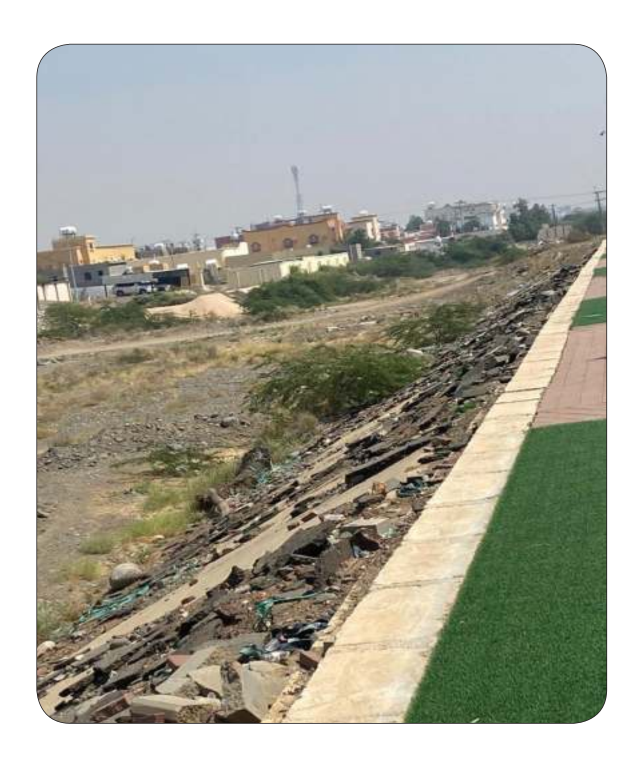
الخاصة برحلتي من الدرب إلى البرك

في الفترة من (١٢ - ١٨/٣/١٤٤٣هـ)

والمنشورة في القسم الثالث في كتاب

(القول المكتوب في تاريخ الجنوب)

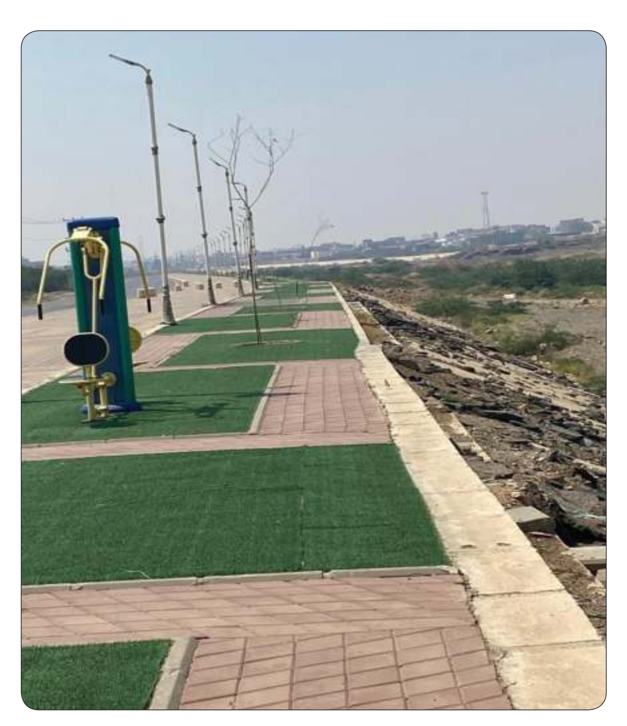
الجزء رقم (٢٥)



الصورة رقم (١): جزء من أحد احياء مدينة الدرب



الصورة رقم (٢): مدخل مستشفى الدرب داخل حي أبوالسداد



الصورة رقم (٣): أحد أرصفة الطرق الرئيسية داخل مدينة الدرب



الصورة رقم (٤): جزء من السوق الشعبي في مدينة الدرب



الصورة رقم (٥): طرف آخر من السوق الشعبي في محافظة الدرب



الصورة رقم (٦): منظر آخر من السوق الشعبي في الدرب



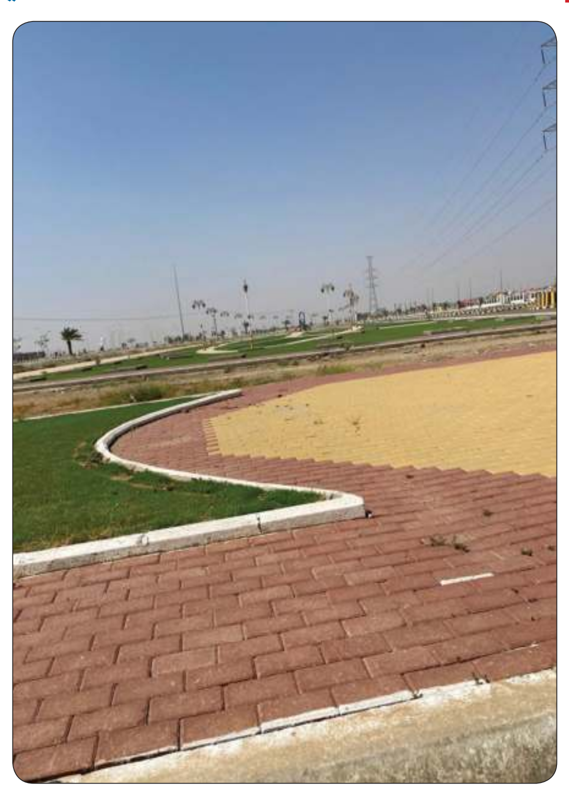
الصورة رقم (٧): جامع المثلث في مدينة الدرب



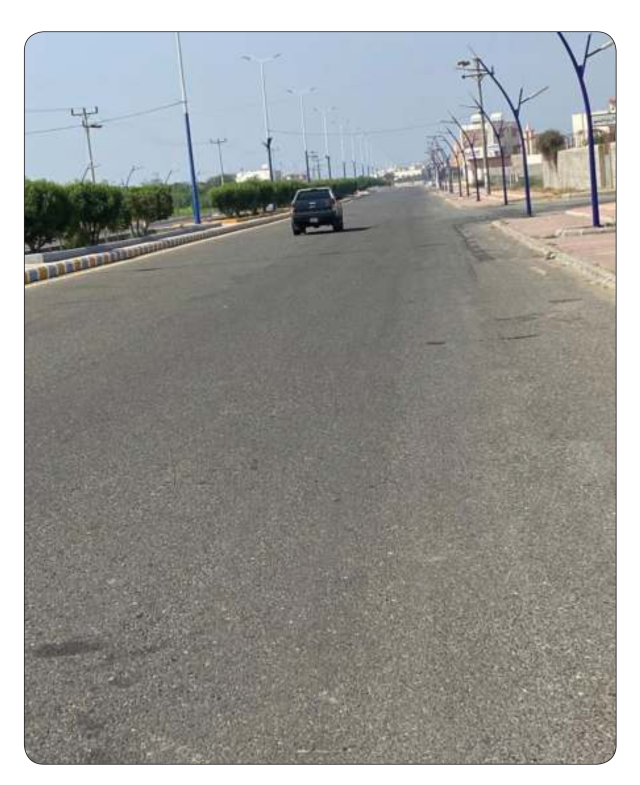
الصورة رقم (٨): مقر بلدية الدرب عام (١٤٤٣هـ)



الصورة رقم (٩): بعض حدائق محافظة الدرب على الطريق الرئيسي الى محافظة بيش



الصورة رقم (١٠): حدائق أخرى في الدرب على طريق جازان الرئيسى



الصورة رقم (١١): جزء من الطريق العام في مدينة الشقيق



الصورة رقم (١٢): بلدية الشقيق عام (١٤٤٣هـ/ ٢.٢١م)



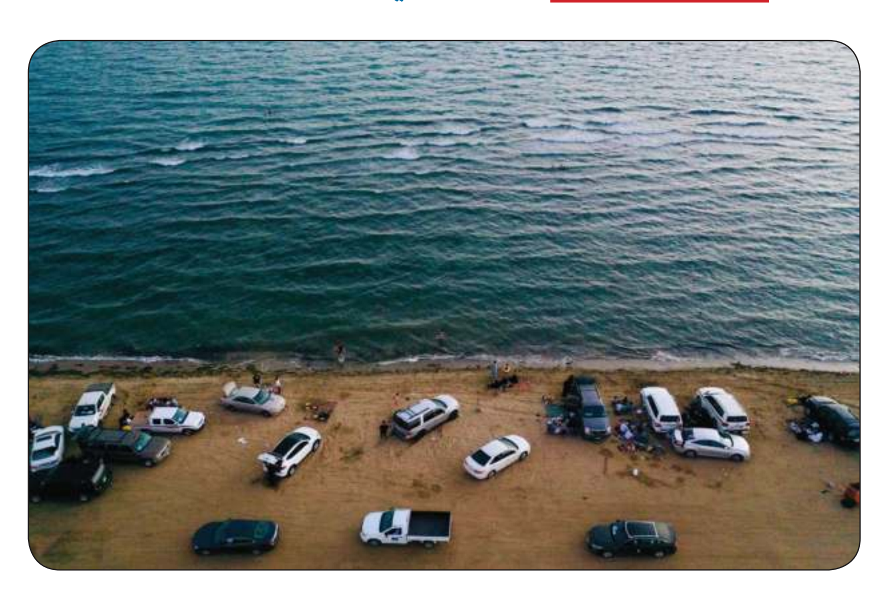
الصورة رقم (١٣): منظر لوادي ريم عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)



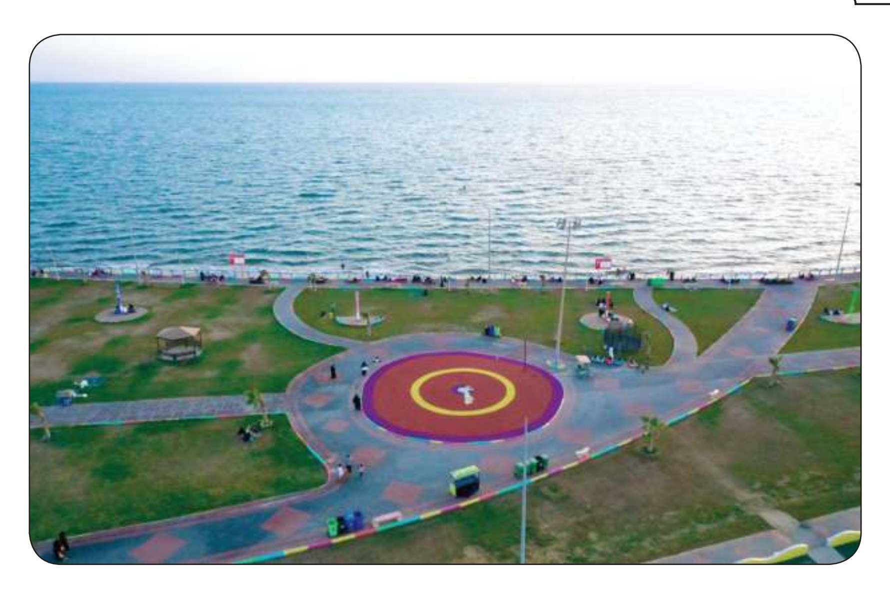
الصورة رقم (١٤): منظر لحديقة المملكة في محافظة الدرب



الصورة رقم (١٥): منظر جمالي في مدخل مدينة الشقيق



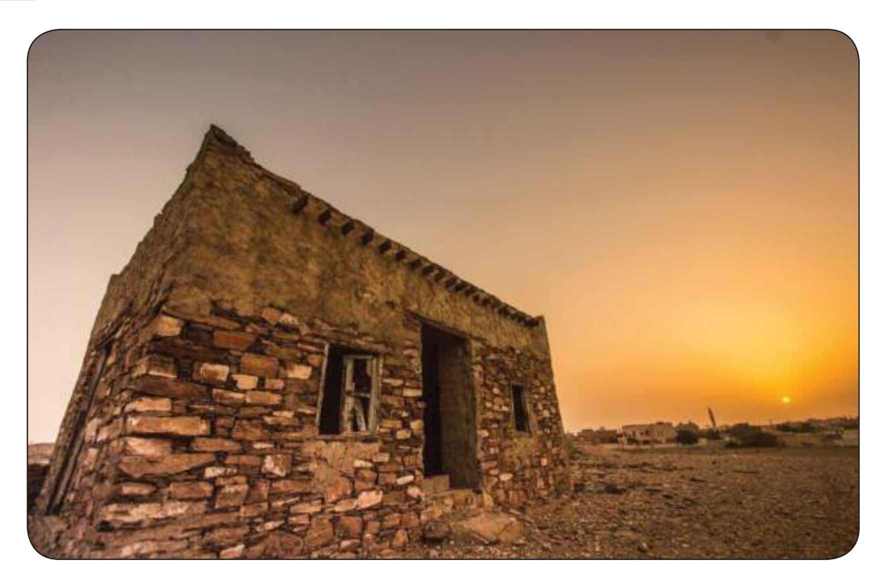
الصورة رقم (١٦): جزء من شاطئ مدينة الشقيق



الصورة رقم (١٧): منظر آخر لشاطيء مدينة الشقيق



الصورة رقم (١٨): منظر لمهرجان الدرب الشتوي عام (١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م)



الصورة رقم (١٩): نموذج من البيوت الحجرية القديمة في محافظة الدرب



الصورة رقم (٢٠): منظر جوي لطريق أبها المؤدي الى محافظة الدرب



الصورة رقم (٢١): منظر لحي (قرية القائم) وسط حاضرة الدرب



الصورة رقم (٢٢): منظر لسيارات المتنزهين الذي يذهبون من أبها الى محافظة الدرب في فصلي الشتاء والربيع



الصورة رقم (٢٣): سوق المواشي والاعلاف بمحافظة الدرب



الصورة رقم (٢٤): شاطيء السميرات في محافظة الدرب



الصورة رقم (٢٥): خور السميرات في حاضرة الدرب



الصورة رقم (٢٦): منظر لقرية الدرب القديمة عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٢٧): وأدي عتود في حاضرة الدرب



الصورة رقم (٢٨): منظر آخر لوادي عتود على ضفافة بعض قرى وأحياء محافظة الدرب



الصورة رقم (٢٩): جامع الوالدين في مركز الحريضة



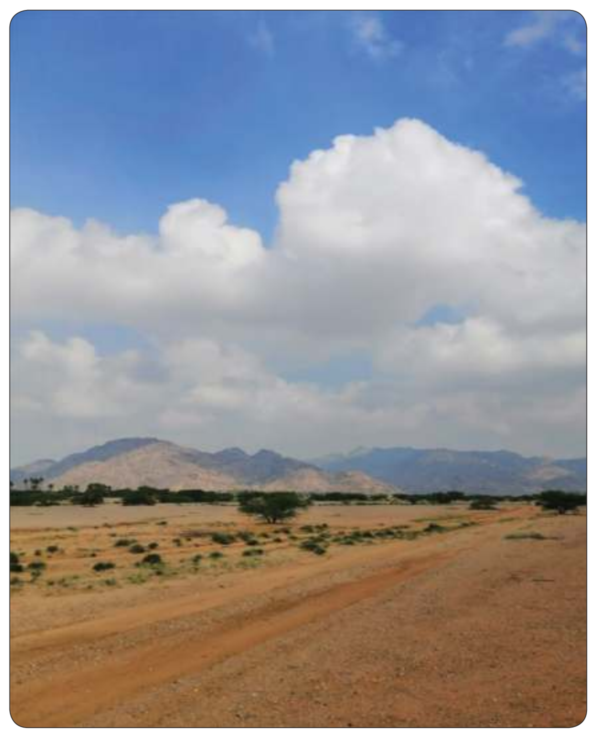
الصورة رقم (٣٠): مبنى بلدية الحريضة عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٣١): منظر لأجزاء من وادي عرمرم في مركز الحريضة



الصورة رقم (٣٢): شعب فريقة جنوب جبال لبيبا بمركز الحريضة



الصورة رقم (٣٣): جبل لبيبا وماحوله في بلاد الحريضة



الصورة رقم (٣٤): نبتة السكب في بلاد الحريضة وماحولها



الصورة رقم (٣٥): مزارع الذرة في وادي عرمرم بمركز الحريضة



الصورة رقم (٣٦): بعض شجر الدوم في العين الحارة بالحريضة



الصورة رقم (٣٧): جبل حصن بن معوادي في مركز الحريضة



الصورة رقم (٣٨): جبل امحشاي في مركز الحريضة



الصورة رقم (٣٩): منظر لوادي السائلة في بلاد الحريضة



الصورة رقم (٤٠): جزء من وادي نهب في مركز الحريضة



الصورة رقم (٤١): منظر لأحد الشوارع في بلدة القحمة القديمة



الصورة رقم (٤٢): طرف من البحر وجبل الوسم في مركز القحمة



الصورة رقم (٤٣): أحد أحياء وشوارع مدينة القحمة عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١ م)



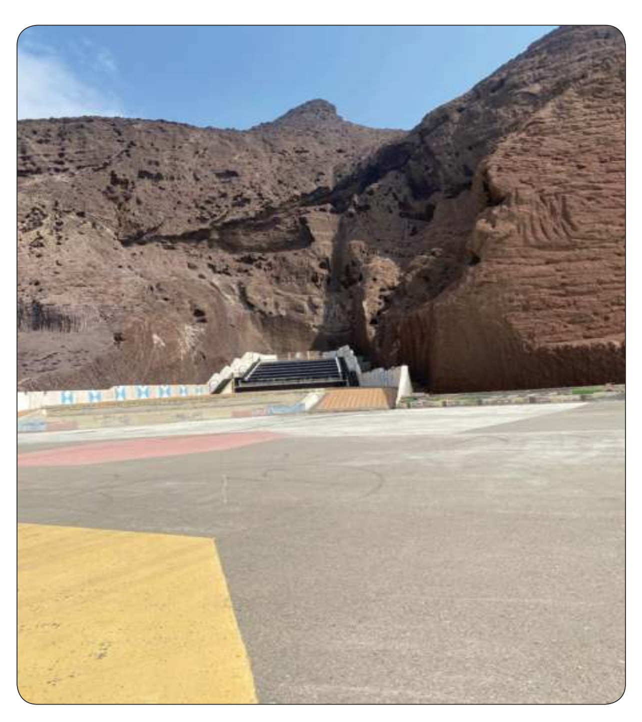
الصورة رقم (٤٤): طرف من سوق مركز القحمة الاسبوعي عام (١٤٤٣ هـ / ٢٠٢١ م)



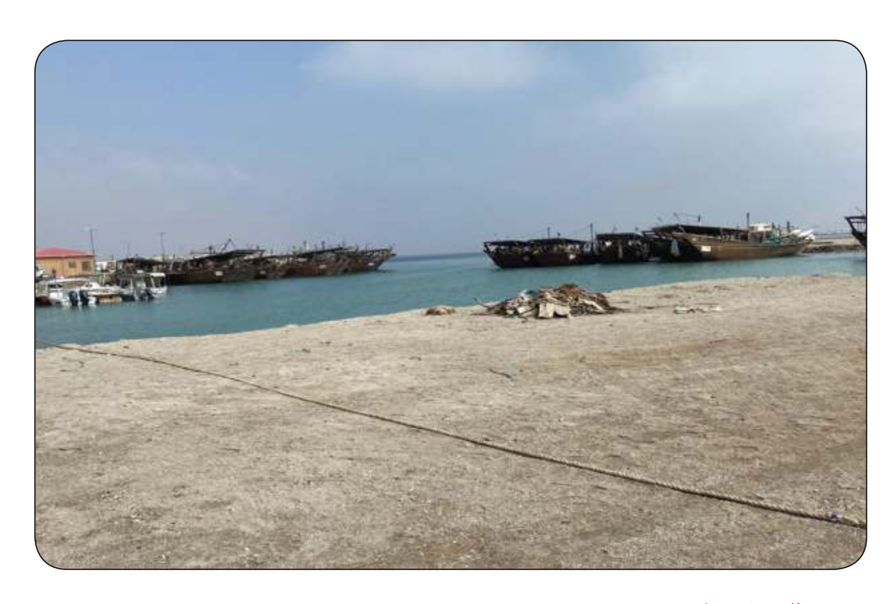
الصورة رقم (٤٥): منظر جمالي في مدينة القحمة عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)



الصورة رقم (٤٦): منظر لأحد الأجزاء القديمة في مركز القحمة عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١ م)



الصورة رقم (٤٧): طرف من جبل الخرماء في مركز القحمة عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٤٨): جزء من شاطيء مدينة القحمة عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)



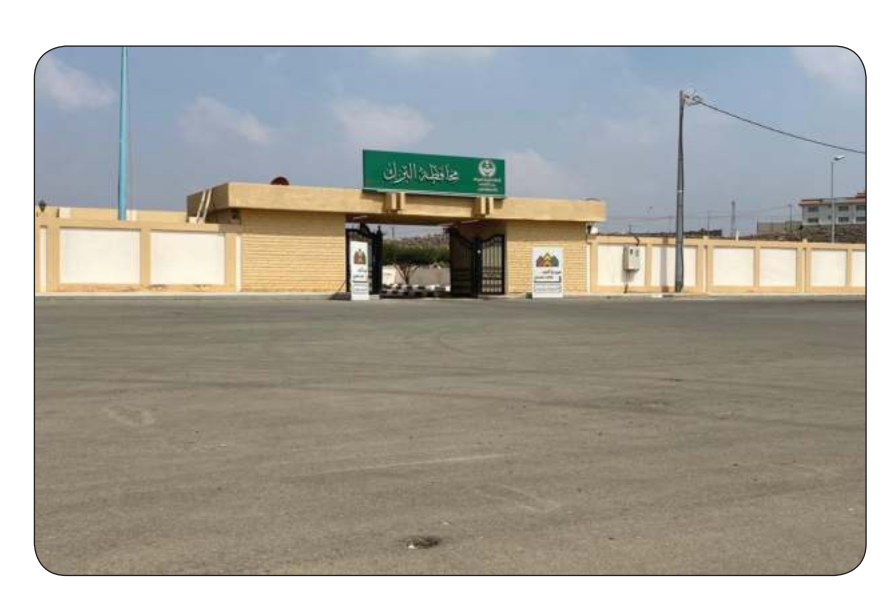
الصورة رقم (٤٩): حي العالية في مدينة القحمة عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٥٠): منظر لجزيرة كدمبل التابعة لمركز القحمة



الصورة رقم (٥١): منظر عام لمدينة البرك عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٥٢): مقر محافظة البرك عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٥٣): جزء من البحر في محافظة البرك عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٥٤): منظر آخر لبحر محافظة البرك عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٥٥): إحدى المدارس الحكومية في مركز عمق بمحافظة البرك عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٥٦): طرف من شاطئ النهود بمحافظة البرك عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٥٧): خزان ماء في مركز ذهبان بمحافظة البرك عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٥٨): جزء آخر من شاطئ النهود في محافظة البرك عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٥٩): منظر آخر لبعض العشش في مركز عمق بمحافظة البرك



الصورة رقم (٦٠): منظر لوسط مدينة البرك عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٦١): أحد الجوامع الرئيسية في حاضرة البرك عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٦٢): مقبرة على ساحل مدينة البرك عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٦٣): أحد الأبنية الحكومية في مركز ذهبان بمحافظة البرك عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٦٤): نماذج من العشش في مركز عمق بمحافظة البرك عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م)



القسم الرابع

رحلات ومشاهدات في تهامة والسراة خلال العصر الحديث والمعاصر (الجزء الأول)

القسم الرابع

رحلات ومشاهدات في تهامة والسراة خلال العصر الحديث والمعاصر (الجزء الأول)[١]

أولاً : مقدمة :

إن البـلاد السروية والتهامية مترامية الأطـراف ، لها موقع استراتيجي يتصل بجنـوب شبـه الجزيرة العربية وغربها ، وشرقها ، وشمالها . وفيها الكثير من المقومات الحضاريـة التي جعـل الكثير من النـاس يستوطنونها عبر العصور. وقـد ذكرت بعض أعلامهـا الجغرافية في المصـادر اللاتينية والسريانية وغيرهـا . وحفظت كتب التراث الإسلامـي شيئـاً من تراثها وموروثها ، ناهيـك عن الآثار الماديـة والنقوش والرسومات الصخرية فقد ساهمت في ذكر صفحات من تاريخها وحضارتها[٢] .

---

(١) هذا العنوان عام ،وكتب في نهايته مصطلح (الجزء الأول) على أمل أن يكون هناك أجزاء أخرى لاحقة . وجميـع الرحـلات التي ستدرج في هذا القسم ، أو أقسام أخرى ، أو مجلدات قادمة سوف تكون في محيط بلاد السروات وتهامة من مكة والطائف إلى جازان ونجران في العصر الحديث والمعاصر .

(٢) كل المصـادر المذكـورة أعلاه وثقت نتفاً من تـراث وحضارة هذه البلاد العربية الماجـدة ، لكن الذي درس وخرج للقراء والباحثين مازال ضئيلاً ، ونحتاج من يغوص في أعماق هذه المؤلفات الكلاسيكية ، ثم يستخرج ويحلـل ويوثق ما يتعلق بهذه الأراضي التهاميـة والسروية . والواجب على الكليات والأقسام المتخصصة في جامعاتنا المحليين أن تساهم في البحث عن هذا التراث ثم تدرسه وتنشره .

وعلماء الرحلات والجغرافيا من العرب والمسلمين الأوائل، ساحوا في مواطن عديدة من شبه الجزيرة العربية، وكتبوا عنها ووثقوا صفحات من تاريخها خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة . ولم تكن أوطان السروات وتهامة في منأى عن أقلامهم ومدوناتهم ، فحفظوا لنا لمحات من تراثها العربي والإسلامي . وإذا كنت قد جمعت شذرات من سجلاتهم وتوثيقاتهم ، إلا أنه مازال هناك الشيء الكثير المفقود، وقد يظهر شيء منه في قادم الأيام [١] .

في هذا القسم أنشر عملين علميين في عالم الرحلات والرحالة عن بلاد تنومة، والنماص، والمجاردة . **الأول: تنومة ، والنماص، والمجارة في مدونات بعض الرحالة المسلمين في القرن (١٤هـ/٢٠م)**[٢] . **والثاني: رحلتي وغيري في محافظات تنومة**[٣] ، **والنماص، والمجاردة في شهر صفر عام (١٤٤٣هـ) الموافق شهر سبتمبر عام(٢٠٢١م).**

(١) جمعت صفحات من أقوال ومدونات الرحالة المسلمين الأوائل ، كما ارتحلت في الكثير من مناكب هذه البلاد السروية والتهامية ، وآمل أن أواصل البحث العلمي وأجد مادة علمية جديدة تكشف شيئاً من تراث هذه الأوطان خلال القرون الإسلامية العشرة الأولى (ق١-ق١٠هـ/ق٧-ق١٦م) . للمزيد انظر ، محمد بن أحمد مُعَبرٍّ . الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي في مؤلفات غيثان بن جريس (ق٢-١٥هـ/ق٨-ق٢١م) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) (مجلدان) (١١٠٤صفحات) .

(٢) عدد هؤلاء الرحالة خمسة ، واحد تركي مسلم هو سليمان شفيق باشا ، والأربعة الآخرون عرب ، وجميعهم عاشوا في الحجاز وعسير، وهم: (١) الشريف شرف البركاتي. (٢) فؤاد حمزة . (٣) محمد عمر رفيع. (٤) يحيى إبراهيم الألمعي . وجميعهم يستحقون أن يصدر عنهم دراسات وبحوث توثيقية ترصد جهوده وأعمالهم التاريخية والحضارية .

(٣) معظم مادة المحور الثاني ، رحلة ميدانية قمت بها في المحافظات الثلاث (تنومة ، والنماص، والمجاردة)، وسبب إضافة كلمة (وغيري) في العنوان الرئيسي لهذه الرحلة الميدانية لأنه شاركني في هذه الرحلة شخصان كريمان . الأول : الدكتور عبدالله بن بلقاسم البكري الشهري. والثاني: الأستاذ: علي بن عبدالرحمن بن سردة الشهري. فالبكري سجل بعض انطباعاته ومشاهداته عن محافظة النماص. وابن سردة وثق شذرات من تاريخ محافظة المجاردة الحديث والمعاصر. لهذا فضلت الاستفادة من هذه المادة العلمية ، وتوثيقها ، على آمل أن تكون مفاتيح علمية تفيد من قد يدرس هاتين المحافظتين ويوثق تاريخهما وحضارتهما في أعمال علمية مطولة وكاملة. (والله من وراء القصد) .

ثانيــا : تنومـة والنماص في مدونـات بعض الرحالـة المسلمـين في القـرن (١٤هـ/٢٠م)[1] . بقلم . أ. د. غيثان بن علي بن جريس .

أولاً : مدخل :

حديثي في هذا العنصر مركز على توثيق بعض المعلومات والمدونات لرحالة ، وبعضهم رجـال إدارة وسياسية ، جـاءوا إلى سروات تنومة والنماص في فـترات متفرقة من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وسجلـوا بعض مشاهداتهـم لشـيء من تاريـخ الأرض والنـاس في هذه الأوطان٠ وعدد هؤلاء الرحالة خمسة ، جميعهم يدينون بالإسلام ، وأربعة منهم من أصول عربيـة، هـم : الشريف البركاتـي ، وفؤاد حمزة ، ومحمد عمر رفيـع ، ويحيى بن إبراهيم الألمعي . والخامس ، وأولهم تاريخيا ، من أصول تركية ، هو سليمان شفيق باشا[2] ٠

ثانياً : تنومة والنماص في مذكرات سليمان شفيق باشا :

سليمـان شفيق بن علي كمالي باشا ولد في شـرق تركيا عام (١٢٨٧هـ/١٨٧٠م) ، وتخـرج ضابطـاً في الكلية الحربية في اسطنبول ، ذهب مع والده عندما كان والياً لولاية طرابلـس وبنغازي في ليبيا . كما رافق والـده في رحلة عمل إلى الحرمين الشريفين عام (١٣٠٧هـ/١٨٩٠م) ، ثم أرسل إلى الخدمة العسكرية العثمانية في اليمن في الفترة من (١٣١١ـ ١٣١٣هـ/ ١٨٩٣ـ ١٨٩٥م) . ثم صار متصرفاً للواء إقليم عسير وقائداً للجيش هنـاك في الفترة من (١٣٢٦ــ ١٣٣٠هـ/١٩٠٨ـ ١٩١٢م)[3] ٠ ثم نقل إلى قيادة الجيش

---

(١) ذكـرت مصطلـح (المسلمين) في هـذا العنوان ، لأنني قد أجد مستقبلاً رحالة غـير مسلمين وثقوا شيئاً من تاريخ وحضارة بلاد تنومة والنماص، وإذا حصل ذلك أخرجت دراسة أخرى توثق مدوناتهم ومشاهداتهم ٠

(٢) سوف أدون شيئاً من سيرهم في صفحات قادمة ، مع أن كل واحد منهم يستحق أن يفرد له بحث أو دراسة مستقلة .

(٣) التاريخ السياسي والعسكري والحضاري في بلاد عسير خلال الحكم العثماني الأخير (١٢٨٨ـ١٣٣٧هـ/١٨٧١ـ١٩١٨م) يستحق أن يدرس في عدد من الكتب والرسائل العلمية مع توخي الدقة والحياد والإنصاف ٠

العثماني في سوريا ، وفي سنة (١٣٣١هـ/١٩١٣م) أصبح والياً على البصرة ، وقائداً للفيلق العثماني هناك . ثم أسندت إليه إدارة الوزارة الحربية عام (١٣٣٧هـ/١٩١٩م) . وبعد سيطرة كمال أتاتورك على مقاليد الحكم في تركيا صدر بحق الكثير من رجالات الدولة العثمانية حكم الإعدام ، وكان سليمان شفيق من ضمن أولئك المحكوم عليهم ، فهرب إلى مصر ، واستقر بها سنوات عديدة ، ثم صدر العفو بحق من صدر في حقهم حكم الإعدام ، فعاد سليمان إلى اسطنبول عام (١٣٦٠هـ/١٩٤١م) ، ووافته المنية هناك (١٣٦٥هـ/١٩٤٦م) [١] .

من آثار سليمان شفيق باشا العلمية أنه دون الكثير من رحلاته ومشاهداته في منطقة عسير ، خلال الفترة التي بقي فيها متصرفاً لإقليم عسير (١٣٢٦- ١٣٣٠هـ/١٩٠٨-١٩١٢م) ، ثم نشرها في حلقات متتالية في جريدة الأهرام المصرية ، وبقيت تلك المقالات متفرقة في الجريدة حتى قيض الله الشيخ حمد الجاسر أن يقابل الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ويقترح عليه جمع تلك المدونات أو المقالات في كتاب واحد ، فلم يكن على العقيلي إلا الترحيب بالفكرة ، وتم جمعها وترتيبها في كتاب بعنوان : **مذكرات سليمان شفيق باشا (متصرف عسير)** ، وقام نادي أبها الأدبي مشكوراً بطباعة ونشر هذا العمل العلمي عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) [٢] .

احتوى الكتاب على مادة علمية جديدة يصعب أن نجدها في مصدر آخر ، وبخاصة عن الأجزاء السروية لمنطقة عسير الممتدة من محافظة النماص إلى بلاد وادعة وقحطان[٣] . وكثير من مادة الكتاب وثقت من خلال التجارب والمشاهدات والرحلات لسليمان باشا في نواحي عديدة من بلاد عسير . وقد خص بلاد تنومة والنماص ببضع صفحات بعد أن سار إليها ، والتقى بأهلها ، وشاهد بعض معالمها[٤] .

---

(١) كما نعلم أن الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل كان حريصاً ومجتهداً على استقطاب الشخصيات المتعلمة والبارزة في بلدان عربية وإسلامية عديدة ، وكان سليمان شفيق باشا من أولئك الرجال ، لكنه لم يعد إلى شبه الجزيرة العربية ، وفضل الإقامة في مصر ، ثم عودته إلى تركيا ووفاته هناك .

(٢) يعد هذا الكتاب مصدراً مهماً ، فهو يحتوي على تفصيلات تاريخية وحضارية عن منطقة عسير في نهاية العشرينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ويقع الكتاب في (٢٠٦) صفحة من القطع المتوسط ، وقد أجري على هذا السفر بعض الدراسات ، وأضيف له بعض الحواشي والتعليقات .

(٣) هذا الكتاب يستحق أن يدرس في هيئة رسالة علمية ، آمل أن نرى باحثاً أو طالب دراسات عليا في أحد أقسام التاريخ بالجامعات المحلية فيكون عنواناً لأطروحته العلمية لدرجتي الماجستير أو الدكتوراه .

(٤) تجول سليمان شفيق باشا في أجزاء عديدة من سروات عسير ، فذهب إلى معظم المناطق المحيطة بمدينتي أبها وخميس مشيط ، كما ذهب في سروات قحطان حتى وصل بلاد وادعة ، وخرج من أبها عبر بلاد بللحمر ، وبللسمر حتى دخل بلدتي تنومة والنماص . والجميل في مادة هذه المذكرات أنها صدرت من المسؤول الأول في إقليم عسير ، ثم إنه على علم جيد باللغة العربية وعادات ومعارف وتقاليد العرب .

كان وصول سليمان شفيق باشا إلى تنومة في آخر سنة له في أبها عام (١٣٣٠هـ/١٩١٢م)، وذكـر أن أهالي تنومة وشيوخها كانوا غير موالـين للنفوذ العثماني في عسير ، وهم موالون للإدريسي في صبيا ، لهذا قرر أغلبهم الهروب من حاضرة تنومة عند قدومه إليها ، ولهذا اجتهـد في إخبـار الناس إلى أنـه قدم بلادهم ليس لحربهم والنيـل منهم ، وبعد اتصالات ومراسلات عديدة بين المتصرف سليمان باشا والشيخ شبيلي بن العريف تم اللقاء بينهما، وأجـرى القائـد سليمان بعضـ البروتوكولات الإداريـة والعسكرية، وأرسـل إلى قائم مقام النماص الشيـخ عبدالله بن ظافـر باشا يخبره وجوده في تنومة، وأنـه متوجه إلى النماص قريبـاً[1] . ومما قال: " أرسلت نجاباً خاصاً إلى بلـدة النماص، قاعدة بني شهر التي تبعد عـن سـوق السبت ثمان ساعات إلى الشمال ، ومع النجـاب كتاب إلى حاكم بني شهر ، وهو الشيخ عبدالله ظافر باشا ، أعلمه فيه بمجيئي ، واطلب إليه أن يعلن ذلك للأهالي والقبائل، وإننـي إنمـا حضرت لتأليف القلوب ، ولا أنوي قط الاعتـداء على أحد ، وإنني سأحضر إلى بني شهر بعد بضعة أيام ، فينبغي أن تتخذ التدابير لنزول الجند فيها "[2] .

ويذكـر المتصرف سليمـان باشا بعض التوثيقات الحضارية عـن سوق سبت تنومة ، ومعالم أخرى في المحافظة، فيقول : " إن سوق السبت من منازل (بني ثيلة) ، أحد أفخاذ بلحارث وشيخ مشايخ بني ثيلة هو شبيلي بن محمد ، وهو رجل ذو شخصية بارزة متصف بالشجاعة والنشاط والمروءة ، وإنما سميت هذه البلدة (سوق السبت) ، لأنه قام فيها في كل يوم سبت سوق عظيمة تقصدها القبائل من جميع الأطراف، لتبيع فيها ما تأتي به من نتاجها، وتشتري ما يعرض فيها من الأقمشة والغاز والبنادق الحربية والرصاص "[3] .

" وعقبـة تنومـة الواقعـة على مسافـة أربعة أكيـال من سوق السبـت إلى الجنوب الغربـي ، هـي أسهل العقبـات للقادم من تهامـة إلى جبال عسير ، ومـن الممكن صعود

---

(١) مذكـرات سليمـان شفيق باشا (متصـرف عسير) ، جمع وترتيـب محمد بن أحمد العقيلـي (نادي أبها الأدبي ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، ص ١٧٣ـ ١٧٤ .

(٢) المصـدر نفسـه ، ١٧٤ . مـن يستقرئ وضـع متصرفية الحكـم العثماني في ذلك الزمن ، يجـد أنها كانت تحرص على ضبـط المنطقة فكانت في أيـدي أعيانها وشيوخهـا ، ولهذا فالأوضاع كانـت مضطربة وغير مستقـرة ، وهناك حروب وصراعات دائمة بين قبائل الإقليم وجيوش الدولة العثمانية . والتاريخ العسكري في عصـر المتصرفيـة موضوع مهم وجديد يستحق أن يدرسه دراسة تحليلية توثيقية ، أرجو أن نرى مؤرخاً جاداً منصفاً يتولى إنجاز هذا الموضوع .

(٣) للمزيـد عـن سـوق السبت في تنومـة ، انظر: رشاد عبـدالله الطنينـي الشهري . "سوق سبـت تنومة في سـروات بنـي شهـر في العصـر الحديـث والمعاصـر" بحث منشـور في كتـاب : القول المكتـوب في تاريخ الجنـوب : موسوعة تاريخية حضارية (ق١ـ ق١٥هـ/ق٧ ـ ق١٦م) . ط١ (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) ، و (الطبعة الثانية ،١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) ، (الجزء الحادي عشر) ص ١١٤ـ ١٥٨ . ووقع المؤلف في خطأ اسم منازل بني (ثيلة)، والصحيح (أثلة) .

البغال والأثقال إليها إلا العربات وأمثالها ، وبسبب هذه العقبات كان لسوق السبت أهمية عسكرية ، وإذا لم تكن قبيلة بلحارث وأهالي بني شهر موالين للدولة لا يمكن اجتياز هذه العقبة"[١] .

ويواصل سليمان باشا حديثه عن رحلته في سروات بني شهر، فيقول: " وبعد أحد عشر يوماً رحلت من تنومة في الصباح فدخلت في وادي عسير[٢] ، وهذا الوادي يمتد باعوجاج من الجنوب إلى الشمال وفيه مياه وزرع ، والجانب الشرقي منه يعلو مقدار مائتين أو ثلاثمائة متراً ارتفاعاً شاقولياً تقريباً[٣] ، وأما الجانب الغربي فإنه ذو ميل تقوم فيه الأشجار وفيه معدن الكبريت وبعض النحاس ، ومن ورائه سلسلة جبال ذات ميل خفيف يبلغ ارتفاعها بين مائة متر وخمسين . ولما وصلنا إلى " عقبة القامة " في نهاية هذا الوادي وجدنا أهالي بني شهر محتفظين بالعقبة بناءً على إشعار سابق مني إليهم "[٤] .

" وعقبة القامة يبلغ ارتفاعها ثلاثمائة متر ، وفيها طريق ذو التواء يصلح لمرور جميع أنواع الأثقال والأحمال فيه ، فتقدمت أنا فيه مع مشايخ القبائل فصعدنا إلى العقبة، حيث وجدنا في أعلاها عبدالله ظافر باشا قائمقام بني شهر وأعيانها ومشايخها. ويوجد في رأس العقبة قرية اسمها" البردة "[٥] فدخلناها ولبثنا فيها ننتظر وصول الجنود وما معهم من الأثقال ، وبعد وصولهم تقدمت مع المشايخ وزعماء بني شهر نحو بلدة النماص ، وهي على مسافة ثلاث ساعات من هذه العقبة ، ولما وصلنا إلى النماص لم أنزل في الدار التي أعدها لنا عبدالله ظافر باشا ، بل نزلت في منزل سعيد بك الفائز رغبة مني في إدخال السرور عليه "[٦] .

" بلدة النماص تتألف من ثلاثمائة منزل ، وأما منزل آل الفائز فهو منزل فخم عظيم ، يتألف من عدة مبان كثيرة شامخة تصلح للحصار والدفاع ، ومبنية على رأس

---

(١) المقصود بهذه العقبة (عقبة ساقين) التي كانت تسلكها بعض الجيوش العثمانية أو الحجازية خلال القرنين (١٣ـ ١٤هـ/١٩ـ ٢٠م) ، وهذه العقبة تستحق أن تكون موضوعاً لبحث علمي موثق .

(٢) إيراد كلمة (عسير) خطأ ، والمقصود بالوادي عثربين ، وهو أحد أودية تنومة المتوسطة .

(٣) الشاقولي : أي الطولي عكس الأفقي .

(٤) عقبة القامة مازال يطلق عليها الاسم نفسه حتى الآن ، ويسكن معظم أجزائها عشائر وقرى شهرية من قبائل العوامر. كانت صعبة المسالك ، واليوم (١٤٤٣هـ /٢٠٢١م) صارت سهلة ، وأصبحت طريقاً مزدوجة تسلكها معظم السيارات الصغيرة والكبيرة .

(٥) مازالت هذه القرية قائمة حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) وتعود في قبيلة بلحصين من بلاد العوامر . وفي أعالي عقبة القامة قرية الميفاء، وتشرف على العقبة ، وهي أيضاً من قرى بالحصين .

(٦) الشيخان عبدالله بن ظافر ، وسعيد بك الفائز من أعيان قبيلة بني شهر ، وهما من بيت العسابلة بالنماص، شيوخ سلامان بني شهر.

عقبــة سنان التي تعلو عــن سطح البحر ألفين ومائتي مــتر"[١] . وهي على مسافة مائة وستـين كيلـو متراً من القنفذة في الشـرق ، لطيفة الهواء ، وفي مـكان متوسط من بلاد عسير ، ولجميع الأسباب المتقدمة تعد ذات أهمية كبرى من الوجهة العسكرية"[٢] .

" وجميع منازل "النماص" فخمة مبنية بالحجارة ، وهي ذات طبقتين أو ثلاث طبقـات، وجـدران المنــازل مطلية بالكلسـ " الجـير " ، وأهاليها يمتــازون عن غيرهم بلباسهم وعاداتهم ، بل بألوانهم وأسلوب معيشتهم . وأستطيع أن أقول أن أهالي بني شهر أعـرق أهالي عسير حضارة وتهذيبــاً [٣] . والقبائل التي تحيط ببلدة النماص هي قبائل " العوامــر" و"شهــر سلامين" [٤] . وعقبة سنان على طريــق المسافر من بني شهر إلى القنفــذة ، وفيها صخور الغرانيت على مسافة ثمانمائــة وخمسين متراً من رأس العقبة إلى آخرهــا ، ولا يستطيــع اجتيازها غير المشاة . وبعد الانتهاء منها تبدو قرية "الماشي" [٥] على مسافة أربع ساعات من العقبة ، ويأتي بعد هذه القرية " وادي خاط" ، ويلتقي به " وادي شري" [٦] ، والمرحلة الواقعة عند ملتقى الواديين هي المرحلة الأولى وبعدها مرحلة أخــرى في تهامــة عنــد وادي" يبا "بعد اجتياز" جبــل ثربان " الذي يبلــغ ارتفاعه ألفي متر"[٧] . وليس على هذا الطريق قرى ، وإنما يصادف الإنسان في الطريق قبائل بدوية تسكن الخيام ، ويعد وادي " يبا " يأتي " سوق الجمعة " وهو المرحلة الثالثة وفيه مجمع القبائــل كل يوم جمعة ، ومن سوق الجمعــة تتغير الوجهة نحو الغرب الشمالي إلى "بني

---

(١) مازالــت بعض قصــور آل فائــز العسابلة ماثلــة للعيان ، والمتجول في ســروات رجال الحجــر ، (بللحمر ، وبللسمر ، وبني شهر ، وبني عمرو) يلاحظ الكثير من القصور والحصون الكبيرة التي تعود ملكيتها لبعض الأســر والأعيان والشيوخ في هذه البلاد . وتاريــخ العمارة القديمة في بلاد السراة موضوع جديد لم يدرس حبذا أن يوثق في عدد من البحوث العلمية .

(٢) عقبــة سنان مــن العقبات التي بادر أهالي مدينــة النماص وخاط في تهامة بفتحهــا في بداية هذا القرن . (١٥هــ/٢٠م) ، وأصبحت في عــام (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) مفتوحة ومسفلتــة ، وفي عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) بــدأ العمــل في طريق أخرى تنزل من جنوب مستشفى النماص ، وافتتحت هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، وأطلق عليها اسم (عقبة التوحيد) .

(٣) ليســ سليمــان شفيق باشا الوحيد الــذي ذكر بعض الصفات الجيــدة التي يتصفون بها بنــي شهر، وإنما هناك رحالة وأرباب قلم زاروا النماص وذكروا العديد من الأوصاف والطبائع الجميلة التي شاهدوها عند أهالي بني شهر . أما الحديث عن المنازل والعمارة فذلك موضوع كبير وعموم السروات متنوعة في أبنيتها ومرافق عمارتها تستحق أن تدرس في عمل علمي موثق ومطول مدعوماً بالصور الفوتوغرافية .

(٤) الصحيح تلامين ، أو ثرامين ، وليس (سلامين) .

(٥) الصحيح آل ماشي ، وليس (الماشي) ، وهي إحدى نواحي خاط في تهامة .

(٦) وادي شري : تأتي منابعه من سروات العوامر ، ويسير في تهامة بني شهر حتى يصب في وادي حلي .

(٧) الصحيــح (يبة) وليس (يبا) ، وهــو من الأودية الكبيرة التي تأتي منابعه من جبال السروات ويصب في البحر عند سواحل محافظة القنفذة ، ولا يلتقي خاط مع وادي شري إطلاقاً .

زيد" الواقعة في شرق "القنفذة" وفيها آبار متعددة ، وعلى ذلك فالطريق بين بني شهر و"القنفذة" أربعة أيام ، وفي المرحلة الثالثة من النماص توجد المياه بكثرة في وادي خاط ووادي "يبا" المؤديين إلى سوق الجمعة ، غير أن الصحراء التي بين سوق الجمعة وبني زيد ليس فيها مياه ، وعلى ذلك فخير الطرق من الجبال إلى القنفذة هو طريق النماص" [١].

" وفي اليوم التالي لوصولي إلى بني شهر استدعيت أبا القاسم شيخ الأجاردة من بني تيم [٢]. وهو من أهل تهامة ، وطلبت إليه أن يعد لنا الجمال لنقل أشياء عليها من القنفذة ، وعينته مديراً على الأجاردة ، وانتخبت خمسين بغلاً من بغالنا لركوب كتيبة عينت لقيادتها البكباشي حسين بك قائد الجندرمة ، وأرسلته مع أبي القاسم عن طريق عقبة سنان إلى القنفذة ، فوجدوا فيها سبعة آلاف وخمسمائة جنيه ذهباً ، ووجدوا فيها ملابس تكفي لثلاثة آلاف جندي ، وأدوية وعقاقير صيدلية وذخيرة لمدافع[٣] ، فأخذوا هذه الأشياء كلها ، وأخذوا "بلكاً" من جنود المشاة التابعة للأورط الجبلية ، فأركبوا جنود البلوك على الجمال ، وعادوا هم على بغالهم بأمن وسلام حتى بلغوا قرية "الماشي" التي تحت عقبة سنان [٤] ، وهناك أعدنا جمال تهامة إلى مكانها ، وأخذنا من جمال البلاد الجبلية ما يكفي لنقل هذه الأشياء ، وأرسلناها عن طريق عقبة رشوان التي تستطيع الجمال المحملة أن تجتازها [٥] ، ومنها إلى عقبة المشهور[٦]. وأما البغال والنقود فجئنا بها معنا عن طريق عقبة سنان ، ومن هذا العمل برهنت على صدق ما كنت أقوله من إمكان الاتصال مع القنفذة عن طريق النماص ، ولما نجحت في ذلك بادرت في الحال إلى كتابة رسائل قيادة الحجاز وإلى وزارة الحربية قلت لهم فيها : " أنه يكفي أن يرسلوا لنا النقود والمهمات الحربية إلى القنفذة بطريق الحجاز ، ونحن نأتي بها من طريق خاص إلى الجبال ، وبذلك لا حاجة لما كانوا يقترحون من إيجاد خط للتموين للجيش بين القنفذة والجبال عن طريق "محائل" ، وموقع النماص واقع

---

(١) خرج صاحب الرحلة عن محيط بلاد النماص وسروات بني شهر ، وذكر أمكنة عديدة في البلاد الممتدة من خاط إلى ثربان ، وجمعه ربيعة ، ثم بني زيد أحد مراكز محافظة القنفذة ، ومن أهمها محافظة المجاردة تستحق أن تدرس في عدد من البحوث العلمية .

(٢) الصحيح المجاردة ، وبني التيم ، وليس الأجاردة وبني تيم ، والأول اسم مكان ، والثاني اسم قبيلة .

(٣) كانت القنفذة من المحطات الرئيسية للدولة العثمانية حتى تصل إلى أجزاء عديدة من بلاد جازان وعسير . وصلات القنفذة مع البلاد المجاورة لها من الشرق موضوع جديد لم يدرس خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ، حبذا أن يتخذه باحثاً موضوعاً لكتاب أو رسالة علمية .

(٤) الصحيح آل ماشي وليس الماشي.

(٥) ربما عقبة رشوان في أسفل صدر العوامر وبخاصة قبائل بلحصين . وقد بحثت عن شرح لها ، فلم أهتد إلى ذلك.

(٦) يقصد بـ (المشهور) أي بني مشهور ، وهي إحدى قبائل العوامر جنوب حاضرة النماص.

عنـد منتصف الطريق بـين أبها والحجاز ، والذين يسافرون مـن النماص إلى الحجاز يمرون بموقع "كفاف" وكفاف و"حلبة" و"بني عمرو" و"بلقرن" و"شمران" و"خثعم" و"غامـد" و"زهـران" و"بنـي مالك" و"ناصـرة" ثم إلى قبائل بني سعـد و"الحارث" [١] ، ومـن هناك إلى الطائـف، وأما الطريق مـن النماص إلى الجنـوب، أي إلى أبها، فيمر بالعوامـر، وبلحـارث ، وبللسمـر ، وبللحمر ، وبنـي مالك ، وبني مغيـد ، وقد أزمعت في نفسـي أن أتخذ بني شهر مركـزاً عسكرياً بسبب أهميته التـي ذكرتها ، ووجدت هناك مكاناً كانوا يتخذونه في الأزمان القديمة ثكنة للجند، ولكنه الآن خرب فاتخذت الوسائل لترميمـه وتعمـيره ، وتذرعت لإنشاء مخافر علـى عقبة سنان ، وفي بعض الآكام حول النماص ، وكتبت رسالة إلى الشريف فيصل بك قلت له فيها[٢] : " أنه لا فائدة في الوقت الحاضر من إقامته في القوز ، واقترحت عليه أن يترك " بلوك " الجندرمة من الهجانة الحجازيـة في القنفـذة لتأمين المواصلات بواسطتـه ، وأن يأتي بمن معـه من العساكر المشاة إلى الجبال لنعمل معاً يداً واحدة ، فورد عليَّ منه بالتركية جواب مطول" [٣] ٠

ثالثاً : الشريف شرف البركاتي يوثق شذرات من تاريخ تنومة والنماص.

الشريف شرف بـن عبدالمحسن البركاتي (١٢٨٨- ١٣٥٨هـ/ ١٨٧١- ١٩٣٩م) عمل في إمـارة الشريـف حسين بن علي في الحجاز ، وبعد زوال ملـك الأشراف عمل في دولة الإمـام عبدالعزيز بـن عبدالرحمن الفيصل [٤]٠ وقد دون رحلتـه المعروفة بـ "الرحلة اليمانيـة" .، وهي خلاصة رحلة الشريف حسين بن علي (أمير مكة) عندما خرج مـن الحجاز إلى أبهـا عبر بلاد الساحل عام (١٣٢٩هـ/١٩١١م) من أجل فك حصار الإدريسي على أبها[٥]٠ وتقع الرحلة في أكثر من (١٥٠) صفحة توثق النشاط العسكري الذي

---

(١) كل هذه الأمكنة والقبائل المذكورة تقطن البلاد الممتدة من سروات النماص إلى الطائف ، ومعظمها تسكن بلادها وتسمى أراضيها بأسمائها وحلبة صحيحها (حلباء) ، ومازالت معروفة بهذا الاسم حتى الآن ٠

(٢) فيصـل بـن الشريف حسين ، من أشراف مكة ، وصـار فيما بعد ملكاً للعراق . وكان له جهود حربية عديدة أثناء حكم الأشراف للحجاز٠

(٣) انظـر نص هـذا الجواب في كتاب المذكرات لسليمـان شفيق باشا ص١٨٩وما بعدهـا . وكان سليمان باشا مهتمـاً بسـروات بني شهر ، ويرى أنها من الأمكنة المهمة للاتصال ببـلاد القنفذة ، لكن في حكومة الدولة العثمانية بعض المعارضين لآرائه ووجهات نظره ٠

(٤) للمزيـد عـن هذا الشريف ورحلتـه إلى بلاد عسير ، انظر كتاب : الرحلـة اليمانية ، تحقيق عاتق بن غيث البـلادي (بـيروت ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م) . انظر أيضـاً محمد بن أحمد بن معـبرّ . الرحلات والرحالة في الجنـوب السعـودي في مؤلفات غيثان بـن جريس (ق٢- ١٥هـ/ق٨- ٢١م) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) (الجزء الأول) . ورحلة البركاتي تشتمـل على معلومات عسكرية وسياسية وحضارية يصعب أن نجدها في مصدر أخرى في نهاية العشرينيات من القرن الهجري الماضي ٠

(٥) في كتـاب مذكرات سليمان شفيق باشا بعض التفصيلات عن ذلك الحصار ، انظر أيضاً محمد بن أحمد العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني (الرياض ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ، ج٢، ص ٦١٩، ٦٦٥ ٠

شاهده وقام به الشريف وجيشه منذ خروجه من مكة إلى القنفذة، ثم تنومة، حتى أبها. ثم عودة الشريف من عسير عن طريق بلاد شهران وبيشة حتى الطائف ثم مكة المكرمة[١] .

وجل مادة الرحلة ترصد صفحات تاريخية حضارية عن بلاد تهامة ، وعندما أصبح الشريف وجيشه في تهامة بني شهر قرر الصعود إلى السروات عن طريق عقبة ساقين ، ودون صاحب الرحلة بعض المعلومات عما شاهده وعاصره من أسفل عقبة ساقين حتى خروج الجيش من تنومة إلى بللسمر نحو الجنوب ، كما ذكر بعض الخلاصة عن بلاد الحجاز (السراة) وتهامة ، ومما وثق عن هذه النواحي في عنوان مستقل سماه " عقبة ساقين " ، قوله : " وفي منتهى الساعة الواحدة صباح هذا اليوم [٢] ، ابتدأنا في صعود (العقبة) [٣] ، وهي عقبة عظيمة جداً ، ولبثنا جميع يومنا في صعود ، ثم بتنا أثناء العقبة في محل يقال له : صلبة [٤] . وهي روضة من رياض العقبة على طرف شلال ماء . وفي الساعة الحادية عشرة صباح يوم الثلاثاء غرة رجب الفرد واصلنا الصعود مجدّين المسير حتى أدركتنا القيلولة ، فقلنا في روضة يقال لها : براد [٥] ، تحت أشجار متنوعة الأشكال ، ذوات روائح زكية ، وبعد القيلولة نهضنا وأخذنا في الصعود إلى أن وصلنا سطح العقبة منتهى الساعة الثالثة من ليلة الأربعاء ثاني رجب ، ونزلنا في واد يسمى : تنومة[٦] ، لبني شهر أهل الحجاز ، إذ قبيلة بني شهر بعضها ساكن فوق الجبل المسمى : بالحجاز ، ويسمون : بأهل الحجاز ، وبعضهم ساكن بتهامة ويقال لهم : أهل تهامة ، وقبيلة بني شهر من أعظم قبائل اليمن وعددهم يزيد عن ستين ألف مقاتل [٧].

" مكثنا هناك إلى اليوم السادس حتى وردت جميع الإبل والدواب الصاعدة بالذخائر مع العساكر النظامية، لأن صعود هذه العقبة شاق جداً ، إذ يبلغ ارتفاع وادي تنومة عن سطح البحر ثلاثة آلاف متر تقريباً ، وبرده في فصل السرطان أقوى من شتاء مكة المكرمة ، وهواؤه أجود من هواء جبل لبنان الموجود بالشام ، وقد أقمت في جبل لبنان صيف عام خمس وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة ، وكنت أظن في ذلك

---

(١) للمزيد انظر كتاب الرحلة ، ص ١٢ وما بعدها .

(٢) يقصد يوم الإثنين (٢٩/جمادى الآخرة /١٣٢٩هـ) .

(٣) المقصود بالعقبة ، أي عقبة ساقين ، الوارد ذكرها أعلاه .

(٤) صلبة : أحد أجزاء عقبة ساقين ، ومازالت معروفة حتى الآن .

(٥) براد : من أجزاء العقبة ، وقبل الوصول إلى القمة .

(٦) كانت تنومة بلدة صغيرة أثناء رحلة البركاتي ، واليوم هي حاضرة كبيرة ، بل محافظة من محافظات منطقة عسير ، وفيها الكثير من المؤسسات الإدارية والمؤسسات الخدماتية الحكومية والأهلية . انظر تفصيلات أكثر عن تنومة في عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) في صفحات تالية من هذا القسم .

(٧) هذه الإحصائية والمعلومات غير دقيقة ، وربما من باب التخمين ، أو سمعها من أفراد غير دقيقين في أقوالهم . وبلاد تهامة والحجاز (السراة) تشمل المنطقة الممتدة من جنوب مكة والطائف إلى قعر اليمن .

الوقت أنه لا يوجد ما يماثله في جودة الهواء ، فلما رأيت هذا الوادي وجدت فرقاً عظيماً بينهما . وهذا الوادي تابع لقائمقامية: النماص ، وهي من أقضية لواء عسير ويسمى هناك : بقضاء بني شهر" .

" وفي الوادي المذكور نهر عظيم يتفرع منه جداول تجري فيه من كل جانب[١] ، ويزرع في هذا الوادي : الحنطة ، والشعير ، والعدس بكثرة ، وثمنها عندهم رخيص جداً ، فكل تسعة أمداد من البر بريال ، وكل ثلاثة عشر مداً من الشعير بريالين . وجميع أهل الشرق ونجد وبيشة يفدون على بني شهر القاطنين بجبل الحجاز بالتمر ، والإبل ، والخيل ، ويشترون منهم الحبوب ، والريال المستعمل بينهم هو الريال الفرنسي المسمى: بأبي طيرة[٢] . وهو يساوي عشرة قروش مصرية . وجبل الحجاز المذكور يفضل عن غيره بأربعة أشياء : بجودة السمن ، بسبب جودة المرعى ، وغنمه لا يوجد أحسن منها ، وماؤه من أعظم المياه وأخفها ، وهو شديد البرودة في فصلي الأسد والسنبلة ، كأنه مثلج، أما في أيام الشتاء ، فإن جميع المياه به من غدران ، وأنهار ، وآبار تتجمد من شدة البرد ، وسكان هذا الجبل في غاية القوة وسلامة البدن[٣] .

ثم يشير إلى بعض التفصيلات عن السروات (الحجاز) التي تنومة جزء منها ، ولم ينس الحديث عن تهامة أيضاً ، فيقول: " وإنما سمي هذا الجبل بالحجاز، لأنه هو الحاجز بين تهامة ونجد ، وأقل ارتفاع فيه عن سطح البحر ألفا متر ، ومساحته واسعة جداً ، ويحده من جهة الشمال عقبة كري[٤] ، التابعة للطائف ، ومن جهة الجنوب جنوب صنعاء بأربعة أيام ، وطولة من الشمال إلى الجنوب إحدى وأربعون مرحلة"[٥] ، وكل مرحلة سير من الإبل المحملة ، وهي أربعون كيلو متراً ، وسأذكر لك تفصيل بعضها : فمن الطائف إلى أبها عاصمة عسير خمسة عشر مرحلة ، ومن أبها إلى صعدا[٦] سبع

(١) إطلاق اسم نهر على وادي تنومة مصطلح غير دقيق ، والصحيح أن يطلق عليه اسم (وادي) ، لأنه لا يوجد أنهار في بلاد السراة وتهامة .

(٢) أدركناه يسمى (الفرنساوي) . يطلق عليه عند العامة . (الفرانسة) . (البلادي) .

(٣) معلومات تاريخية حضارية جيدة يصعب أن نجدها في مصادر أخرى .

(٤) الصحيح عقبة كرا ، أو (كرى) .

(٥) هذه السروات أو (الحجاز) الممتد من الطائف إلى بلاد قحطان ووادعة من أقل البلاد المخدومة بحثياً، بل إن كتب التراث الإسلامي المبكر لا تذكر لنا شيئاً واضحاً عن تاريخ وحضارة هذه البلاد ، مع أنها من المستوطنات البشرية القديمة ، وتشتمل على موارد اقتصادية وحضارية كثيرة ومتنوعة . جبل الحجاز : أي السراة : ويقول البركاتي: إحدى وأربعون مرحلة : هو الآن بالأكيال ، ما بين جبل كرا إلى نجران = (٧٥٠) كيلاً ، ومن نجران إلى صنعاء قريباً من (٥٠٠ ـ ٦٠٠)كيل .

(٦) الصواب : صعدة (البلادي) .

مراحـل ، ومـن صعـدا إلى شهارة ثمان مراحـل ، ومن صنعاء إلى نهايـة جبل الحجاز جنوباً أربع مراحل ، وعدد سكان جبل الحجاز على أقل تقدير أربعة ملايين ونصف[١] ، أما من الشرق إلى الغرب فلا يتجاوز أربع مراحل ، من أي جهة كانت " .

" وتهامة أرض مبسوطة منخفضة عن جبل الحجاز انخفاضاً عظيماً ، وهي واقعة بـين جبل الحجاز والبحـر الأحمر ، شديدة الحرارة ، كثـيرة الأدوية ، فلا يبعد الوادي فيهـا عن الآخر أكثر من ثلاث أو أربع ساعـات ، وجميع الأودية تشرب من السيول التي تهبـط من جبـل الحجاز المذكور[٢] ، وكافة أودية تهامة جيـدة صالحة للزراعة ، وتزرع بمـاء السيـل الذي يأتيها من الجبل ، في السنة ثـلاث زرعات . وتهامة : تبتدئ من جهة الشمال بقائمقامية الليث ، التابعة لإمارة مكة ، وفيها أمير مولى من قبل دولة أمير مكة، ويحدهـا من الجنـوب أزيد من خمسين مرحلة ، وجميعها آهلـة بالسكان ، إذ يبلغ عدد أهـل تهامـة على أقل تقدير خمسة ملايين[٣] ، وجبل الحجـاز الفاصل بين تهامة ونجد آهـل بالسكان ، وقراءة متصلة ببعضها ، فـإذا سافر مسافر من الشمال إلى الجنوب ، فإنه يكون دائماً بين مزروعات وأشجار وأودية كثيرة المياه والمرعى ، وجميع الجبل بهذا الشـكل ، وكافة قراه مبنيـة بالحجر المنحوت ، ودورها من طبقتين إلى ثلاث ، ولا يوجد فيه أكواخ مثل تهامة[٤] . وأما نجد فهي في الجهة الشرقية من جبل الحجاز، وهي سهل منخفض عن جبل الحجاز بخمسمائة متر فأقل[٥] .

وفي اليـوم الثاني من وصولنا وادي تنومـة المذكورة ، وهو يوم الخميس ثالث رجب، وفد على دولة الأمير قبائل بني شهر تحت رئاسة نجل شيخهم المسمى " فائز " ورئيسهم الأكـبر هـو : سعيد بن غُرم [٦] والد فائـز المذكور لم يحضر لأنـه كان محصوراً بأبها ، وهـذه القبيلـة هي المخلصة للدولة العليا ، ولم تمل للإدريسـي أصلاً ، بل رفضت طاعته ، وذلـك لكثرة المراسلات بينهم وبين دولة أمير مكة، حتـى إنه صد الإدريسي عن جهتهم . والشيـخ سعيد بن غرم المذكور ، أشرف أهـالي جبل الحجاز جاهاً ونسباً ، حتى إن سيدنا

---

(١) هذا رقم مبالغ فيه ، وقول البركاتي من باب التخمين فقط .

(٢) جبل الحجاز : أي جبال السروات .

(٣) أيضاً هذه الإحصائية غير دقيقة ، ولم توثق من مصادر موثوقة .

(٤) بلاد السراة غنية بثرواتها الطبيعة ، ومأهولة بالسكان ، وذات موقع استراتيجية يصل شرق شبه الجزيرة العربية بغربها وشمالها بجنوبها .

(٥) يقصد بـ (نجد) الأراضي الشرقية من جبال السراة والممتدة شرقاً إلى وسط شبه الجزيرة العربية .

(٦) فائـز ووالـده سعيد بن غرم من أعلام بني شهر ، ومن بيت العسابلة ، وكانوا على صلات نسب ومصاهرة مع بعض بيوت الأشراف في مكة .

المرحـوم الشريـف محمد بن عـون[١] أمير مكـة صاهرهم ، فأعقب من هـذا البيت دولة سيدنا المرحوم الشريف علي ، والد دولة سيدنا الشريف حسين باشا أمير مكة الحالي[٢] ٠

" وبعد صلاة صبح اليوم الثامن من رجب ، حضرت العيون وأخبرت دولة الأمير أن : قوم الإدريسي كامنون في عقبة تسمى: دهماء[٣] ، تحت قيادة الشيخ محمد بن دليم شيخ قبائل قحطان ، وهذه العقبة من أعسر العقبات ، إذ لا يمكن الصعود إليها إلا فرداً فـرداً ، مـن الطريق العمومي ، وعدد قومه الكامنين خمسـة آلاف[٤] ٠ فأمر دولة الأمير بترتيب الجيش من عرب وغيرهم ، وأمر بتقديم المدافع أمام الجيش ، ولما أقبل الجيش على العقبة اشتبك القتال ، فأمر دولة الأمير بإطلاق المدافع على مكامن العدو ، وقسم الجيـش قسمـين : قسماً في الجناح الأيمن ، وقسماً في الجناح الأيسر ، وبقي هو في قلب الجيش ومعه الأشراف " ٠

" دام القتال أربع ساعات والمقذوفات من المدافع والبنادق متوالية حتى تزلزلت الجبـال ، وبعد ذلك انكسـر العدو شر كسرة ، وانهزموا تاركين في ساحة الوغى ثمانين قتيلاً ، منهم ثلاثون من قحطان ، وأربعة عشر من قبائل بللحمر ، واثنا عشر من قبائل عسـير ، وسبعة من قبيلة بني يثـلا بنـي شهر[٥] وعشرة من قبائل بللسمر. وتم لنا ـ ولله الحمـد ـ النصر ، ودخلنا ديـار باللسمر[٦] ، بعد أن جلونا الأعـداء عن عقبة دهماء[٧] ، وعقبـة سـدوان[٨] ، وانتشـر الجيش في قـرى بللسمر لكسـب الغنائم ، فغنم مـن المواشي والحبـوب والأثـاث شيئـاً كثيراً ، فلما رأى أصحـاب القرى ذلك ، وفـدوا على دولة الأمير ومعهـم شيخهـم وصاروا يذرفون دموع الندم ، على ما حصـل منهم ، من العصيان، حتى لحقهـم ما لحقهم مـن التلف ، وصاروا يصرخون طالبين العفـو والرحمة من دولة الأمير

---

(١) قوله : محمد بن عون : كذا دأب كثير من المؤرخين على هذا القول ، وإلا فهو ابن عبد المعين بن عون ، ولكن كانـت شهرتـه هكذا (ابـن عونٍ) وكان يقال لكل أحفـاد عون : ابن عون ، حتى جـاء عهد الحسين فأطلق عليهم اسم الهاشميين ، اعتزازاً ببني هاشم ، وتقرباً للعرب زمن الثورة العربية الكبرى . (البلادي) ٠

(٢) البركاتي ، الرحلة ، ٧٢ ٠

(٣) الصحيح الدهناء بدلاً من (دهماء) .

(٤) كان في الدهنـاء شلال مياه يصب فيه مجمع ميـاه ، مكوناً سداً صغيراً ، واليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) صار من السدود الصغيرة .

(٥) الصحيح أثلة بني شهر .

(٦) هناك من يكتب كلمة بللسمر ، أو بللسمر بهذه الصورة الموجودة في المتن ، والصحيح ما تم تدوينه في الحاشية .

(٧) الصحيح (عقبة الدهناء) ٠

(٨) بلاد سدوان في الطرف الجنوبي من بلاد بللسمر وهي الحد الفاصل بين تنومة وبللسمر ، ويطل عليها من الجهة الجنوبية جبل شاهق يسمى (الهدار) والخط العام اليوم يأتي من وسط الهدار وسدوان ٠

فرق لهم قلب دولته وعفا عنهم، وأمر في الحال بإرجاع ما أُخذ منهم ، وأنعم على شيوخهم بالكساوى . وقد انضم بعضهم إلى الجيش المنصور بعدما اتضح لهم كذب الإدريسي وبهتانه ، وكان هؤلاء القوم يحاربوننا معتقدين أننا كفار ، وأن جهادهم في طاعة الله بناءً على التعليمات التي أدخلها في أذهانهم الإدريسي ،حتى اعتقدوا أن المدة من الهجرة إلى عام ظهور الإدريسي زمن فطرة [١] وصاروا يسمونه بزمن الجاهلية في جميع أحاديثهم وذلك لبساطتهم المتناهية[٢]. وكان دخولنا بهذا الوادي المسمى بوادي حوراء[٣] .

رابعاً: وقفات مختصرة لفؤاد حمزة عن تنومة والنماص :

فؤاد حمزة لبناني الأصل ، سعودي الجنسية ، شارك في بناء وسياسية المملكة العربية السعودية ، كلفه الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ، بالعديد من المهمات الداخلية والخارجية [٤] .ومنها رئاسة الوفد السعودي الذي التقى بالوفد اليمني في أبها عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) ، من أجل المشكلة السعودية اليمنية على الحدود[٥] .وعند مجيء فؤاد حمزة في تلك المهمة دون رحلته من الحجاز إلى عسير ، وهو العمل العلمي الذي يهمني في هذه الدراسة ، فقد أشار إلى بعض المعلومات الخاصة بسروات بني شهر (تنومة والنماص) [٦] .

يحتوي كتاب فؤاد حمزة الآنف الذكر (بلاد عسير) على ثلاثة أقسام ، وبعض الخرائط . **القسم الأول**: بعنوان (أهل الوديان) وتحدث فيه عما شاهده وقرأه عن

---

(١) يقصد بزمن الفطرة ، أي فترة ما بين النبوات .

(٢) من يبحث في كتب التراث يجد أمثلة وتفصيلات كثيرة تدور حول الخرافات والخزعبلات التي كانت عند عرب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعدها . وجميعها أو معظمها تقوم على معلومات مضللة وغير صحيحة ولا دقيقة ، وغالباً يعتقد بها العوام من الناس فيصدقون ما جاءت به ، ويمارسون الكثير من الأعمال والاعتقادات الخاطئة في ضوء ما جاءت به من أخبار وشروحات .

(٣) وادي حوراء : من أودية سروات بللسمر الشمالية ، وقريباً من حدود بلاد تنومة الجنوبية . من الأودية المأهولة بالسكان ، ويصب في وادي بيشة ، وهو خصب التربة ، ومحصولاته من البر والشعير والذرة. وجباله مكسوة بأشجار العرعر ، وفيه الكثير من الأشجار المثمرة مثل الحماط (التين) ، والعنب ، والخوخ، ولا يخلو من ينابيع طبيعية خارجة من بين الصخور . المصدر: زرت هذا الوادي وقراه خلال العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وشاهدت بعض قراه وجمال طبيعته .

(٤) ولد فؤاد حمزة في جبل لبنان عام (١٣١٧هـ/١٨٩٩م) ، وعمل مدرساً في القدس ودمشق ، ثم انتقل لخدمة الملك عبدالعزيز آل سعود ، وتقلد مناصب عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها ، واستمر في خدمة الحكومة السعودية حوالي ربع قرن ، ووافته المنية في بيروت عام (١٣٧١هـ/١٩٥١م) . للمزيد انظر خير الدين الزركلي . الأعلام (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٤م) ، ج٥، ص١٥٩ .

(٥) للمزيد من التفصيلات عن مشاكل الحدود بين اليمن والسعودية ، انظر محمد أحمد العقيلي ، المخلاف السليماني ، ج٢، ص١٠٣٥وما بعدها .

(٦) الكتاب مطبوع ومنشور ، ويقع في (١٩٢) صفحة من القطع المتوسط ، وهناك كتب أخرى لفؤاد حمزة بعضها منشور وأكثرها مازال مخطوطاً فلم تنشر حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

بعض الأودية الشرقية لجبال السروات الممتدة من الطائف إلى بلاد شهران في منطقة عسير . **والقسم الثاني :** وثق بعض التفصيلات عن تاريخ الأرض والناس في بلاد السراة الممتدة من بلاد وادعة وقحطان جنوباً إلى بلاد الحجر شمالاً . والقسم الثالث: خصصه لتدوين شيء من جغرافية وتاريخ نجران[١] .

يبدو أن فؤاد حمزة لم يزر بلاد الحجر (بللحمر ، وبللسمر ، وبني شهر ، وبني عمرو) التي أورد بعض التفصيلات عن سكانها وقبائلها ، والظاهر أنه نقل معلوماته عن هذه البلاد من بعض الرواة المحليين ، وربما قرأ عنها في بعض الكتب المطبوعة أو المخطوطة . والمتأمل في مدوناته يجدها لا تخلو من الأخطاء والمغالطات العلمية ، لأن من نقل له المعلومات لم يكن دقيقاً ومتأكداً مما رواه . وقد سجل مدونات عديدة عن قبيلة بني شهر وانتشارها في تهامة والسراة ، وذكر أغلب بطونها وفروعها القبلية . وأشار إلى أن بلدة النماص أكبر البلدان في سروات بني شهر التهامية والسروية ، ولم يذكر شيئاً عن تاريخها وجغرافيتها عند زيارته منطقة عسير في منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)[٢] .

إنه فقط اكتفى بسرد أسماء بعض العشائر في محافظتي تنومة والنماص ، ثم ذكر أسماء أكثر من مئة قرية في هاتين المحافظتين . ومن يتأمل في أسماء القرى الواردة في كتابه في محيط البلدتين النماصية والتنومية وما حولهما يجد أن تدوين أغلبها وردت خطأ ، فالكثير منها مصحفة ، ولم يذكر اسم القرية الصحيح الذي تعارف عليه الناس هناك[٣] .

ومما دون هذا المؤلف ، ويجوز أن نطلق عليه رحالة ، فقد رصد بعض الأسواق الأسبوعية في بلاد تنومه والنماص. ومن الأسواق التي أشار إليها. **(١)** سوق تنومة يوم السبت قرية آل صفوان[٤] . **(٢)** سوق النماص يوم الثلاثاء في قرية العسابلة[٥] .

---

(١) انظر كتاب (بلاد عسير) (الرياض: مكتبة النصر الحديثة ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) (الطبعة الثانية) .

(٢) هذا مما يؤكد أنه لم يزر هذه البلاد ، وإنما استقراره في أبها جعله فقط يسأل عن سكان وأراضي بلاد الحجر بشكل عام ، ثم يدون شيئاً مما سمعه ، واعتقد أنه لو زار حواضر سروات بني شهر مثل تنومة والنماص فإنه ربما زودنا بمعلومات تاريخية وحضارية جديدة ومهمة في بابها .

(٣) انظر كتاب (بلاد عسير) (الطبعة الثانية ،١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) . ص ١٥٧- ١٦٣ . والفاحص لجميع مادة الكتاب يجدها مليئة بالأخطاء والمدونات غير الدقيقة والصحيحة ، والكتاب يستحق أن يدرس ويحقق ويصوب في كثير من معلوماته . أرجو أن نرى باحثاً جاداً يقوم بذلك .

(٤) هذا السوق قديم في تاريخه ، ومازال قائماً حتى الآن وسط مدينة تنومة .

(٥) الصحيح في قرية الكلاثمة وليس هناك قرية باسم (العسابلة) ، وهذا السوق كان يقام بالتناوب في بلاد الكلاثمة وبني بكر المتجاورتين في سروات النماص . واليوم مازال قائماً في بلاد بني بكر ، ويطلق عليه (سوق الثلاثاء الشعبي) .

(٣) سوق شهرة الأمين في السرو يوم الأربعاء [١] . **(٤)** سوق بني التيم في قرية الخضرة [٢] .

خامساً : تنومة والنماص في مدونات محمد عمر رفيع :

محمد عمر رفيع من مواليد مكة المكرمة خلال العقد الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، من أصول هندية واسمه محمد عمر بن بكر رفيع ، اشتغل في بداية حياته بالخط ، ثم عمل في عدد من الوظائف الحكومية السعودية، وتوفي عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٧م) [٣] . اشتغل بالتعليم، وله مؤلفات عديدة، منها (في ربوع عسير) [٤] . يقع في ثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط ، واعتمدت في هذا البحث على الطبعة الأولى التي صدرت عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) . وينقسم الكتاب إلى قسمين ، **القسم الأول :** رحلة ميدانية لابن عمر رفيع تنقل فيها بين نواحي عديدة في منطقتي عسير وتهامة ، بالإضافة إلى سفره من الطائف إلى بيشة ، ثم خميس مشيط ، وأبها [٥] **والقسم الثاني:** تاريخ عسير في غضون مئة وخمسين سنة [٦] .

---

(١) ذكره سوق شهرة الأمين غير صحيح إطلاقاً ، فلا يوجد هناك أي شيء اسمه (شهرة) وإنما كلمة (شهر) هي الصحيحة نسبة إلى الشهر، ونسبة إلى بني شهر . أما الأمين فلم نجد أي مصطلح بهذا الاسم . والصحيح هو : شهر ثرامين ، وهناك من يقول شهر تلامين. وهي البلاد الممتدة من قبائل بني مشهور جنوباً إلى قبائل كعب وبني كريم شمالاً . ويقصد بها تقريباً خمس قبائل في هذه النواحي ، هي من الشمال إلى الجنوب (١) بنوجبير . (٢) الكلاثمة . (٣) بنو بكر . (٤) بنوقشير. (٥) آل بالرياع . وربما أن الذي جعل فؤاد حمزة يقع في هذا الخطأ أن هناك عقبة اسمها (السرو) تنزل من بلاد العوامر ، وبخاصة آل بهيش، وبلحصين إلى تهامة ، أما بلاد السرو وقبائلها فتقع في شمال محافظة النماص .

(٢) الصحيح سوق الخميس في الخضراء ببلاد بني التيم . وهذا السوق كان يعقد بالتناوب في مكانين هما: بلدة الخضراء من بلاد آل ليلح ، وبلدة العرق من بلاد آل وليد . وآل ليلح وآل وليد من قبائل بني التيم شمال حاضرة النماص . وهذا السوق اندثر حالياً ، فلم يعد قائماً. كما أشار فؤاد حمزة لبعض أسواق تهامة في تهامة بني شهر وبني عمرو مثل أسواق المجاردة ، وعبس ، وأثرب . وأغلب هذه الأسواق الأسبوعية اندثرت ، وحل محلها الأسواق اليومية الحديثة . وأقول إن بلاد الحجر (بنو عمرو ، وبنو شهر، وبللسمر ، وبللحمر) تستحق أن تدرس وتوثق في عدد من الكتب والبحوث العلمية .

(٣) للمزيد عن محمد عمر رفيع ، انظر : محمد بن أحمد معبر. "محمد عمر رفيع وكتابه في ربوع عسير ـ بحث منشور في كتاب القول المكتوب في تاريخ الجنوب . ط١ (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) ، ج٧، ص٢٩٥ وما بعدها. (الطبعة الثانية ، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) ، ص ٢٨٥ وما بعدها. انظر غيثان بن جريس . تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ، ج١، ٢٥٥ .

(٤) المرجع نفسه . هذا الكتاب طبع عدة مرات ، وكانت طبعته الأولى عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) بمكتبة المعارف في الطائف ، وهي الطبعة التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة .

(٥) انظر الكتاب نفسه (في ربوع عسير) ص ١ ـ ١٧١ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٧٥ ـ ٢٦٢ . انظر أيضاً محمد معبر ، المرجع السابق ، ط١، ص (٣٠ ـ ٣٠٥) ط٢، ص ٢٩١ ـ ٢٩٥ . انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ط١، (٣٢ـ ١٤٣٣هـ/٢٠١٠ـ ٢٠١١م) ، ج٣، ص ٣٥٣ (الطبعة الثانية ، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) ص ٣٠٩ .

كان محمــد عمــر رفيــع أديبــاً ورحالــة ، زار الكثير مــن دول العالم في شــرق الكرة الأرضيــة وغربهــا . وفي نهاية عام (١٣٥٩هــ/١٩٣٩م) أرسل إلى بــلاد عسير كي يفتتح مدرسة رجال ألمع الابتدائية ، ويكون مديراً لها . بقي في هذا العمل عامين ، إلى نهاية عام (١٣٦١هـ/١٩٤١م) . قام بالعديد من الرحلات في سروات وتهامة منطقة عسير[1] . خرج في رحلــة عام (١٣٦١هــ/١٩٤١م) من أبها إلى النماص ، فذكــر وعورة الطريق السروي عبر هذه البلاد ، وكتب صفحات من تاريخها الحضاري ، وخص سروات بني شهر وبعض تهائمهــا بنصيب جيد من مشاهداتــه وشروحاته . وبلاد تنومــة والنماص أكثر النواحي ذكــراً في مدونات هذا الرحالة وعند الانتهاء مــن سروات بللسمر وبني شهر من الجنوب سجل عنواناً جانبياً أسماه (بلاد بني شهر) ، قال فيه : " وفي طرف الوادي الشمالي بتنا في أحــد المنازل إلى الصبح ثم استأنفنا المسير وبعد أربع ساعات مررنا أثناءها بجبال لا تخلــو سُفوحها الغربيــة من اخضرار تسمى بـ (الدهناء) وهــي الحد الفاصل بين منازل قبيلة بللسمر وبين قبيلة بني شهر[2] . وصلنا قرية آل زخران فجزناه إلى باحة " تنومة " . وفي قرية من قرى الباحة يقال لها قرية " ابن العريف " قيلنا إلى الساعة التاسعة عصراً ثــم شهدنــا سوق السبت وهو سوق يقام في باحة تنومة كل يوم سبت أكبر أسواق بني شهر ومع ذلك فلم يكن شيئاً بالنسبة لسوق الأحد بالشعبين أو لسوق أبها"[3] .

" باحة تنومة باحة واسعة تشتمل على عدة قرى والجبال المحيطة بها جرداء إلا مــا واجه الغرب ، فلا يخلو مــن بعض الأشجار ، ومناخها دافئ ، فدرجة الحرارة كانت ظهراً عشرين درجة. وفي طرفها الغربي عقبة تسمى (ساقين) ، بعد أن قضينا حوائجنا مــن الســوق استأنفنا السير مترفقين ، فمررنا بوادي " مليح " وفيه عدة منازل ولم تخل جبالــه من شجر العرعر لاسيما قرب عقبة القامــة ، قطعنا الوادي ورقينا عقبة القامة في نحــو ساعة وربع ، ومررنا في سطحها على قريــة الظهارة فاجتزناها واجتزنا بعدها قريــة " آل مشهــور " ، أو بني مشهور ، وفي نحو الساعة الواحدة بعد الغروب وصلنا قرية

---

(١) يحتوي كتاب محمد عمر رفيع (في ربوع عسير: ذكريات وتاريخ) على معلومات قيمة ، وبخاصة في الجزء الخاص بالرحلة والمشاهدات حبذا أن نرى باحثاً جاداً يصدر دراسة عن هذا الكتاب ، مع تحقيق وتصحيح بعض الأخطاء الواردة فيه ، وهي قليلة جداً مقارنة بغيره ٠

(٢) كان قدوم محمد عمر رفيع من الطريق الجبلي الذي يسير من أبها إلى صبح في بللحمر ، ثم اثنين بللسمر حتــى وصل الهدار وســدوان في أقصى سروات بللسمر من الشمال، ثم دخل بــلاد قريش والدهناء أقصى محافظة تنومة من الجهة الجنوبية .

(٣) قريــة ابــن العريف ، هي سبت تنومة ، ويتضح من حديث هذا الرحالة أن سوق السبت الأسبوعي كان سوقاً نشطــاً ، لكــن سوقي أبها ، والشعبين في رجال ألمع أكبر وأنشط من هذا السوق . وتاريخ الأسواق القديمة في بلاد تهامة والسراة جديرة أن تدرس في العديد من البحوث العلمية .

النماص. وكانت طريقنا من باحة تنومة إلى النماص فضة[١] . فكنا نضطر إلى المشي على الأقدام في كثير من الأحيان على أن الطريق جميعه كان وعراً شاقاً، اعترضتنا في أثنائه عدة عقبات كنا نمشيها تحرزاً واحتياطاً من السقوط عن الدواب[٢] . وفي عنوان جانبي آخر دون اسم (النماص) قال فيه : "والنماص باحة تشبه سطح الهدا[٣] . ولكن تزيد عليه في السعة . والقرية كائنة في الطرف الشرقي من الباحة لا تتجاوز بيوتها المائة بل عددتها بيتاً بيتاً فكانت ثمانية وتسعين لا غير[٤] . وأكثر البيوت من ثلاث طبقات ، وبيوت العسابلة شيوخ بني شهر مجصصة من الداخل والخارج ، وجميعها من الحجارة بل بيوت قبائل بللحمر وبللسمر التي مررنا عليها في قراهم من الحجارة أيضاً ، عدا بعض بيوت في وادي عبل من منازل بالأحمر ، فقد كان نصفها الأسفل من الحجارة ونصفها الأعلى من اللبن[٥] .

" وسكان قرية النماص لايتجاوزون الخمسمائة على أكثر تقدير معظمهم من الكلاثمة بطن من بني شهر[٦] . والبيوت إلا النادر غير نظيفة من الداخل ، ولا تحوي الحجرة سوى نافذة واحدة مربعة لا تتجاوز سعتها ثلث المتر لشدة البرد في النماص ، وفي أغلب الأوقات تجد الغرفة ضعيفة الضوء ، ويسمون النافذة (بَدّاية) ، وليس في البيوت مراحيض ، ولا هي مزخرفة من الداخل كبيوت أبها أو رجال بل مليطة بالطين فقط[٧] . ولا يوجد في القرية سوى دكان واحد غير وافٍ بما يحتاجه المرء ولولا أننا

---

(١) الأرض الفَضَّة : هي الأرض المليئة بالصخور والأحجار متفاوتة الأحجام والأشكال ، وبعضها فوق بعض ، والمشي عليها وعراً وصعباً .

(٢) أوجز هذا الرحالة الحديث عند خروجه من تنومة إلى النماص ، مع أنه شاهد ومر على الكثير من القرى ، والأودية والجبال في هذه الناحية . وسوف أشير إلى بعضها في رحلتي الموثقة في صفحات قادمة من هذا القسم .

(٣) الهدا : هو سطح جبل كرى في الطريق الجبلي بين مكة والطائف عليه عدة قرى وبساتين فيها مختلف الثمار ويكثر فيها شجر الورد. (الناشر لكتاب محمد عمر رفيع عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) .

(٤) كانت بلدة النماص إلى العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) يطلق عليها اسم (القرية) . بل كبار السن في النماص اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) مازالوا يذكرون في مجالسهم واجتماعاتهم هذا المصطلح (القرية) ويقصد به بلدة النماص القديمة .

(٥) تاريخ العمارة القديمة في منطقة عسير (سراة وتهامة) جدير أن يوثق في كتاب أو رسالة علمية ، آمل أن نرى من يقوم بذلك مع دعم الدراسة بالوثائق التاريخية والصورة الفوتوغرافية .

(٦) انظر محمد عمر رفيع ، في ربوع عسير ، ص١١٠ .

(٧) المرجع نفسه ، ص١١٠. ربما أن هذا الرحالة لم يكن عنده الوقت الكافي لدخول بيوت كثيرة حتى يشاهد بعضها كان مزخرفاً من الداخل، لكن ليس بنفس الدرجة والمستوى الذي كان في منازل أبها وخميس مشيط . وتاريخ الفنون والديكورات المعمارية القديمة في منطقة عسير موضوع لم يدرس دراسة علمية ، حبذا أن نرى باحثاً جاداً يقوم بهذا العمل مع دعم عمله بالصورة الفوتوغرافية .

صحبنـا معنا مقداراً من السكر والشاي لما ذقناه مدة مقامنا بها[١]. واللحم لا يعرفونه إلا مـرة في الأسبـوع ، في القريـة سوق صغيرة جداً تقـام يوم الثلاثاء مـن كل أسبوع . وأكـثر مـا يذبحون يوم السوق ، البقر على أن المواشـي الأخرى موجودة لديهم لكنهم لا يذبحونها إلا في المواسم والولائم ولضيف عزيز يطرقهم [٢].

" وعـادات أهـل النماص وبني شهر تتقـارب وعادات أمثالهم مـن سكان جبال الحجاز كغامد وزهران وغيرهم[٣]. واستبدالهم أم بأل قليل جداً في كلامهم أما الجيم فضائعـة لا تجـد لها أثراً فيقولون يا بدلاً من جاء واليماعة بدلاً من الجماعة . وألوانهم هـي الألـوان العربية على أن منهم مـن هو أبيض البشـرة وردي الوجنات لبرودة المناخ وارتفاع النماص وعلوها فهي تعلو سطح البحر على ما قيل لنا بألفين وثمانمائة متراً[٤]. ودرجة الحرارة في الأيام الخمسة التي أقمنا فيها لم ترتفع نهاراً عن ثمانية عشر درجة وتهبـط ليلاً إلى العاشـرة مع أننا كنا في أشهـر الربيع. ولباس سـكان النماص الثياب البيضـاء للرجـال والسوداء أو الملونـة للنساء مع فارق بالطبـع في الشكل فيما يختص بكل جنس . أما التهاميون منهم وهم كثير فلباس الرجل الوزرة على غرار سكان تهامة عسـير حتـى الرؤوس فإنها حاسرة وافـرة الشعر[٥]. أما النساء منهـم فيلبسن الثياب ويعتدن لبس الطفشات لشدة الشمس والحر في تهامة . ولم يتسن لي مشاهدة شيء من ألعابهم وأفراحهم وأخالها لا تختلف كثيراً عن عادات من يجاورهم .

وفي سطـح النماص عدة مـزارع للحنطة والشعير والعدس والـذرة والسيالة وليس بهـا مـن أشجار الثمار ومـن الخضار ما يستحـق الذكر، لكن حول قريـة النماص نحو

---

(١) نعـم كانـت الحياة التجارية في سروات النماص ضعيفة ، والأسواق الأسبوعية هي التجمع التجاري الوحيد لعمـوم النـاس. وقد شاهدت ضعف التجارة في بلدة النماص (القرية) في ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) وبدايـة التسعينيـات واليوم صـارت محافظة النماص تحوي الكثـير من الأسواق المتنوعـة في معروضاتها وأحجامها ومواقعها ٠

(٢) حبذا أن محمد عمر رفيع ذكر لنا تفصيلات أكثر عن التعاملات التجارية التي شاهدها في سوقي الثلاثاء والسبـت في النماص وتنومـة ، وأشار أيضـاً إلى السلع المعروضـة في ذينك السوقين مـع تدوين شيء من الأسعار والموازين والمقاييس والمكاييل ٠

(٣) محمد رفيع ، ص١١١ ٠ هناك الكثير من التقارب والتشابه ، وأيضاً التباين والاختلاف في تقاليد وعادات ولهجات وثقافـة سكان السروات وتهامـة . وهذا الموضوع حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) لم يدرس في أعمال علمية موثقة ورصينة . أرجو من كليات وأقسام الجامعات المحلية أن تساهم في خدمة هذا الموضوع تأصيلاً وتوثيقاً ٠

(٤) غفر الله لك يا محمد رفيع فقد أشرت إلى لهجات أهل البلاد ، وشيئاً من ألوانهم وأشكالهم الخَلّقية ، وهي عناوين تستحق أن تبسط في بحوث علمية عميقة ٠

(٥) يبدو أن محمد رفيع شاهد بعض التهاميين الذين يرتادون بلاد السراة وبخاصة أسواقها. وهناك فرق بين ألبسة أهل السراة وأهل تهامة ، وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في عموم بلاد تهامة والسراة ويصدر عنه عدد من الكتب والرسائل الجامعية .

سبع عشرة قرية تنخفض عنها قليلاً يوجد بها كثير من الأشجار المثمرة والخضار بسائر أنواعها وفي بعض بساتين العسابلة في قرية النماص توجد بعض شجرات للجوز " القعقع " [١] . "ومن مزروعات قرى بني شهر التهامية الدخان الأخضر والبصل والثوم وهي وافرة لديهم ، يصدرونها إلى من جاورهم من القبائل والقرى ، ولا تخلو صدور جبالهم المواجهة للغرب من أشجار اللبن ولكنها قلة "[٢] .

وفي عنوان جانبي باسم (حدود بني شهر) يقول محمد رفيع " وبنو شهر قبيلة وافرة العدد ، تمتد منازلهم شرقاً إلى قبائل شِهران، وغرباً تصل منازل من يرجع فيهم من سكان التهائم إلى قرب ثغر القنفذة ، وشمالاً تحدهم قبيلة بني عمرو ، وجنوباً منازل بللسمر ، وممن يصاقبهم من القبائل التهامية مما يلي الغرب أهل وادي الريش وآل موسى والحمدة وربيعة المقاطر "[٣] .ومن أرفع الأمكنة في بلاد بني شهر جبلان في مواجهة النماص يعرفان بـ " بللحصن " كنا نراها من النماص في الجهة الجنوبية الغربية منه شاهقة الذرى معممة رؤوسها بقطع السحاب "[٤] . وأمام عقبة النماص مما يلي الغرب إلى تهامة ثلاثة جبال شاهقات إلا أنها منفصلة عن سلسلة جبال السراة فهي تحسب من جبال تهامة العالية وسكانها يعدون في بني شهر واسم أحد هذه الجبال (ثربان) ، والثاني (نَهْوَ) والثالث (رَيْمان) ، وذرى هذه الجبال على ما قيل لي لا تقل ارتفاعاً عن سطح النماص [٥] .

ويدون هذا الرحالة عدد من العناوين التي تصب في ذكر شيء من تاريخ الأرض والناس في بلاد بني شهر وبخاصة حاضرة النماص وما جاورها[٦] ، فيقول:" وبنو شهر

(١) لم يتجول محمد رفيع في عموم محافظة النماص، ولو فعل ذلك ، لرأى صوراً تاريخية حضارية متعددة . وسروات بني شهر كانت من البلاد الغنية في مزارعها وثرواتها النباتية والحيوانية ، ومازالت نوعاً ما حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٢) هذه حقيقة وقد شاهدت ذلك في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حيث يوجد بعض أشجار الدخان الأخضر ، واللبن في عدد من سفوح السروات الغربية .

(٣) وادي الريش يحد بني شهر من الناحية الجنوبية الغربية .وآل موسى ، وربيعة المقاطرة من الغرب . لم أجد مكاناً باسم (الحمدة) وربما يقصد هذا الرحالة (حميضة) إحدى نواحي محافظة بارق . وهناك بعض بلاد حرب في الطرف الشمالي الغربي ، وهي مجاورة لتهامة بني شهر . المصدر : معاصرة الباحث وجولاته في بلدان تهامية عديدة من مكة إلى جازان خلال الثلاثين عاماً الماضية .

(٤) الصحيح جبال بالحصين في بلاد العوامر قريباً من قرى البردة ، وبالحصين ، والظهارة . وهناك جبال عديدة في هذه الناحية من أهمها جبل لنبش وغيره .

(٥) هذه الجبال الثلاثة (ثربان ، وتهوي ، وريمان) تقع في تهامة بني شهر ، ويسكنها العديد من القبائل والفخوذ ، وهي عالية الارتفاع . فثربان في أقصى تهامة بني شهر من الغرب . وتهوى وريمان متجاوران، ووسط تهامة بني شهر ويجاورهما بعض القرى والعشائر العمرية ومحمد رفيع ذكر (نهو) والمقصود بذلك جبل (تهوي) .

(٦) انظر محمد عمر رفيع ، في ربوع عسير ، ص ١١٣ ـ ١١٤ .

ينقسمــون إلى قسمين: سلامان واثلة، ويقال لهم ، ولبللسمر وبللحمر ، "رجال الحجر" أنهـم أبنـاء عمومة يتقاربون في الأصـول غير البعيدة . ومع خلـو النماص من كثير من الضروريـات ، فضلاً عـن الكماليات ، وبعدها وعسر الطريق إليها ، فقد سمعت في ليلة من الليالي الست التي قضيتها بها (الراديو) في بيت شيخ بني شهر ، وكانت ليلة فريدة تشنفت فيها أسماعنا بصوت بلبلة الشرق الآنسة أم كلثوم(١) .

" قضيـت مهمتـي في النماص ،واعتزمت العودة إلى مقري برجـال ، وفي صباح يوم الجمعـة ، في نحـو الساعة الثانية تقريباً شددنا رحالنـا وبارحنا القرية نقصد (تنومة) ، وبعـد أن اجتزنـا عقبة القامة تعرض لرفيقي أصهاره وألزمونـا بالمبيتٍ لديهم ، فلم نر بداً من القبول والاستجابة للدعوة ، ولم يقصر مضيفنا ، فقد ذبح لنا كبشاً ، وذلك يعد في هذه الجهـات غاية الإكـرام ، وقد لاحظت أن طريقتهم مع الضيـوف في تقديم الضيافة تختلف عن عادة أهل عسير وطريقتهم ، فشهران ، وعسير ، وألمع يقدمون الطعام ويتركون الضيف وحده يتصرف كيف شاء ، بل يغلقون عليه الحجرة . أما بنو شهر كما شهدته من مضيفنا ، فإنهـم يشاركـون الضيف في الجلوس على المائدة ، وبعـد أن يحضروا كامل الذبيحة يخرج الضيف قسماً منها لأهل البيت ويسمونه قسم المعزبة ، ثم يوزعون الباقي من الذبيحة على الحاضرين من الضيوف ، ومن شاركهم الجلوس من أهل البيت على المائدة (٢) .

" بتنا واصبحنا وقدم لنا مضيفنا طبقاً من التمر تناولناه صرفاً على القهوة ثم استأنفنا المسير، وبعد ساعتين وصلنا باحة تنومة ، وشهدنا قيام سوق السبت مرة ثانية ، وظللنـا في تنومة حوالي أربع ساعات ، كنـت أراود نفسي خلالها أن لا نعود عن طريق السراة التي قدمنا منها ، بل نهبط إلى تهامة ، فإن في باحة تنومة عقبة تسمى ساقين ، توصل إلى قرية تسمى نُعُص"(٣) . وقيل لنا أن العقبة رغم طولها فإنها سهلة المسالك ، وأن المسافة فيها إلى بعض خمس ساعات ، ومن نعص نسير وسط وادٍ إلى محايل حوالي

(١) كانـت حيـاة الناس فقيرة ، وظروف العيش صعبة في الفترة التي زار محمد عمـر رفيع النماص وسروات الحجـر ، لكـن هناك بعض الأعيان والوجهاء أفضل حـالاً من غيرهم . كما أن بنـي شهر أهل فن وطرب وفكاهـة ومـرح ، وشهد لهم بذلك عدد من الرحالة والكتاب الذيـن زاروا بلادهم خلال القرنين الماضيين (١٣ــ ١٤هـ/١٩ــ٢٠م) حبذا أن نـرى باحثاً يدرس تاريخ الفنـون الشعبية والطربيـة في سروات وتهامة منطقة عسير منذ بداية القرن (١٣هـ/١٩م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٢) كما أشرت في حاشية سابقة إلى تباين بعض التقاليد والعادات عند سكان السروات وتهامة . وهذا الموضوع كبير ويستحق أن يدرس في عدد من الكتب والبحوث والرسائل العلمية .

(٣) أسفل عقبة ساقين وادي يسمى "بَقَرَة" والقاصد محايل يمكن له ألا يعرج على قرية نُعُصٌ ، بل يأخذ طريقه من وادي بقره إلى قرية المنظر ومنها إلى قرية حضن التابعة للريش ومنها إلى محايل ، وهو طريق أقصر من طريق قرية نُعُصٌ على ما قيل لي. المصدر: (ناشر كتاب محمد عمر رفيع (في ربوع عسير) حاشية (١) ص١١٤ .

خمس ساعات أخرى ، ومن محايل إلى رجال عشر ساعات في طريق سهل بالنسبة لطريق السراة التي طالما اضطررنا فيها للمشي على الأقدام ، ولكن لم أتبين في رفيقي الارتياح لهذه الرغبة ، فرأيت رعاية ما يريد وعدنا من حيث جئنا"[١] .

سادساً : تنومة والنماص كما شاهدها يحيى بن إبراهيم الألمعي .

يحيى الألمعي من مواليد بلدة رجال ألمع عام (١٣٥٦هـ/١٩٣٥م) ، بدأ تعليمه الأولي في وطنه ومسقط رأسه ، ثم انتقل إلى جدة ، وبدأ موظفاً في وزارة الصحة عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) ، ثم انتقل إلى إدارة الجوازات ، وعمل في هذه الإدارة بمدن عديدة في منطقة عسير مثل بيشة ، وأبها ، وظهران الجنوب حتى أحيل للتقاعد ، عاش في مدينة أبها حتى وفاته في عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) . زاول الكتابة في ميادين عديدة ، ونشر العديد من المقالات في الصحف والمجلات السعودية[٢] . له العديد من المؤلفات المخطوطة مثل: (١) الإيضاح والتيسير في تاريخ عسير . (٢) لمسات وهمسات . (٣) حلو ومر . (٤) عبير من عسير . (ديوان شعر). (٥) أحاسيس (ديوان شعر) . ومن الكتب المطبوعة : الأمثال الشعبية في عسير ، ورحلات في عسير (نصوص ، وانطباعات ، ووصف ، ومشاهدات)[٣]. هذا الكتاب الأخير الذي يهمنا في هذا المحور ، يقع في (١٨٥) صفحة من القطع المتوسط ، منها حوالي (١٤٠) صفحة في موضوعات عديدة عن منطقة عسير ، وجميعها رحلات ومشاهدات للأستاذ يحيى بن إبراهيم الألمعي[٤] . وهناك مقالات وتعقيبات ومشاهدات لكُتَّاب آخرين ، قام الألمعي بجمعها مع مدوناته في كتابه (رحلات في عسير)[٥] .

---

(١) يتضح من هذا الرصد الذي دونه محمد عمر رفيع ذكر معالم جغرافية في بلاد تهامة من رأس عقبة ساقين إلى تهامة رجال الحجر ثم محايل، ثم رجال ألمع . وهذه الأوطان مأهولة بالسكان ، وتشتمل على موارد طبيعية غنية بثرواتها النباتية والزراعية الحيوانية ، لكنها لم تخدم في مجال البحث والتوثيق . كما أنها لا تخلو من آثار ونقوش ورسومات صخرية ، آمل أن نرى باحثين جادين يدرسون هذه البلاد ويوثقون صفحات من تاريخها في الماضي والحاضر . كما أن محمد عمر رفيع أشار إلى صعوبة الطريق السروي من أبها إلى تنومة ، وأقول إن الطرق آنذاك (في منتصف القرن الرابع عشر الهجري) كانت جميعها صعبة ووعرة الحزون والمسالك .

(٢) انظر غيثان بن علي بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (٣٢-١٤٣٣هـ/٢٠١٠-٢٠١١م) (الطبعة الأولى) ، ص ٢٧٤-٣٧٧ . (الطبعة الثانية /١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) ،ج٣، ص ٣٢٦-٣٢٨ .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) المرجع نفسه .

(٥) يذكر الأستاذ يحيى الألمعي أن معظم مادة هذا الكتاب نشرت في هيئة حلقات في بعض الصحف المحلية خلال الفترة (١٣٧٨-١٣٨٣هـ/١٩٥٨-١٩٦٣م) ، ثم جمعت في هذا الكتاب ونشرت في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وتحديداً في السنوات الأخيرة من عصر الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود . للمزيد انظر الكتاب (رحلات في عسير) (معلومات النشر بدون) (١٨٥صفحة) .

والمـادة المستهدفة في هذا الكتاب ولها علاقة بناحيتي تنومة والنماص جاءت تحت عنـوان : أيام في بلاد الحجر[١] ، وهي مشاهدات هذا الرحالة الألمعي في سروات رجال الحجـر مـن بللحمر جنوبـاً إلى النماص وبلاد بنـي عمرو شمـالاً[٢] ٠ تحدث فيها عن صعوبـة الطريق التي تخرج من أبهـا إلى النماص ، وذكر بعض معالمها ، وبعض الجبال والقرى التي شاهدها [٣] ٠ كما أشار إلى بعض العشائر والقبائل التي تقطن هذه الأوطان السرويـة ، لكنـه لم يسهب الحديث في هذا الجانب [٤] ، كما أنه لم يدون معلومات كثيرة عـن ديـار التنوميين ، وإنما ذكر بعض قرى سروات رجـال الحجر ، ثم قال " ومن أهم القرى أيضاً تنومة ، وفيها مركز حكومي أنشيء مؤخراً ، وتحتوي تنومة على عدة قرى، وهي مدينة تاريخية ذكرها الهمداني ... " [٥] ٠

"أمـا بلـدة النماص (القرية) فقد خصها هذا الرحالة ببضع صفحات دونها من خلال التجوال والرحلة والمشاهدات وبخاصة حاضرة النماص ، بدأ حديثه عنها بعنوان جانبـي أسمـاه (النماص أو القرية) [٦] ، قال فيـه " بلدة النماص حاضـرة بني شهر وبنـي عمـرو واسمها الأساسي (القريـة) ، ولايزال هذا الاسم يطلـق عليها حتى الآن ، وقـد سألـت عن سبب تسميتهـا بـ (النماص) ، فقيل لي أنهـا كانت مليئة فيما مضى بشجـر يسمى (النمص) بفتح النون وتشديدها كمـا سمعتها من أفواه من حدثني عن ذلـك ، وكان يوجد هذا الشجر بكثرة في واديها فسميت هذه البلدة بـ (النمص) نسبة إلى شجـر النمـص، ثم حصل تحريف في الكلمة ، فصـاروا يطلقون عليها (النماص) بسكـون النون مع تشديدها .. وبعضهـم يقولونها بالضم ، إلا أن كثيراً ممن يسمى هذه البلـدة وخاصة من غير أهل المنطقة ينطقون الكلمـة بفتح النون مع تشديدها ، وهناك البعض ينطقونها بالضم ، وفي رأيي أن ذلك أصوب من الضم والكسر إذا صح أن سبب

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٨٥ـ ١١٥ ٠

(٢) تقع هذه المادة العلمية في حوالي (٣١) صفحة من صفحات الكتاب (رحلات في عسير) .

(٣) طريق أبها الطائف من الطرق المهمة ، كانت صعبة المسالك ، ولها تاريخ قبل ظهور السيارات وبعدها حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، تستحق أن يكتب عنها العديد من البحوث العلمية الموثقة .

(٤) يحيى الألمعي ، رحلات في عسير ، ص ٨٥ وما بعدها .

(٥) المرجـع نفسـه ٠ ص ٦٩ . أعتقد أن الألمعي كتب هذا المقال في بدايـة الثمانينيات بعد افتتاح إمارة في بلدة تنومة عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) . أما جمع مادة الكتاب ونشرها في هذا المؤلف ، فكان في بداية التسعينيات من القرن نفسه ٠

(٦) هنـاك بعض التوثيقات والمدونات عن بلدة النماص ومـا حولها ، لكن محافظة النماص بمفهومها الواسع، مازالـت تحتـاج إلى دراسة موسعـة تاريخية ، وأثرية ، وحضاريـة عبر عصور التاريخ . آمـل أن نرى أحد الباحثين الجادين يتولى هذا الموضوع بالبحث والتأصيل العميق والرصين٠

التسمية كان نسبة لشجر النمص . وقد بحثت عن مادة (نمص) في المعاجم ، فوجدت أن النمص بفتح النون مع تشديدها ، اسم لأول ما يبدو من النبات الرقيق الدقيق ، وقيل هو رقة الشعر ودقته حتى تراه كالزغرب، وقيل هو ضرب من (الأسل) لين يعمل منه الأطباق ، والأسل : نبات دقيق الأغصان ، ومن هذا يتضح بأن فتح النون في النماص هو الصواب في تسميتها [١] ٠

" تعتبر النماص ـ المركز الرئيسي ـ في منطقة بني شهر وبني عمرو ، إذ توجد فيها مجموعة من فروع المصالح الحكومية ، ومنها الإمارة والمحكمة الشرعية والبلدية والزراعة والصحة والتعليم وغير ذلك من المصالح الحكومية الأخرى ، وتتبع هذه المنطقة في أعمالها لإمارة مقاطعة أبها [٢] ٠ كان يوجد بالنماص في الزمان الغابر فرقة من الأتراك ، وكان عبد الله بن ظافر العسبلي هو قائمقام تلك الفرقة ، وترتبط آنذاك بقيادة أبها ، ومعنى هذا أن النماص كانت مركزاً رئيسياً منذ القدم ، وتقع النماص في مرتفع عالٍ من جبال السروات في بلاد الحجر ، يقدر ارتفاعها عن سطح البحر بحوالي (٧٠٠٠) قدم ، وهي شبيهة بأبها من حيث المناخ ، إلا أن الضباب الكثيف يعم النماص والقرى المجاورة لها في فصل الشتاء من العصر حتى الصباح ،ولا يكاد ينقشع عنها إلا في نادر الأيام ، وهذا ما دعا السكان هناك إلى تسميته بالعمى لأنه يحجبهم عن الاستمتاع بالنظر[٣] ٠

يحيط بالنماص حوالي (٣٠) قرية أبعدها لا تزيد مسافتها عن ساعة واحدة ، ويلاحظ وجود قلاع وحصون منيعة في معظم القرى الواقعة في منطقة النماص ، يقال أنها كانت تستعمل أثناء الحرب في العصور السابقة، أما الآن وبعد أن هيأ الله هذا العهد الزاهر ، عهد الأمن والرخاء والاستقرار ، عهد آل سعود الأمجاد ، فإن هذه القلاع والحصون أصبحت عبارة عن مخازن للحبوب والقصب ، وبعضها خالٍ من هذا أو ذاك[٤] ٠ وطريقة البناء في كل المنطقة بالحجارة فلا ترى بيتاً باللبن أو بالطوب ،

---

(١) أسماء الأمكنة في عموم السروات وتهامة من الموضوعات التي لم تدرس في بحوث لغوية وجغرافية علمية ، مع أن معظم الأعلام الجغرافية تسمى باسم جبل ، أو واد ، أو قرية ، أو نبات ، أو حدث تاريخي أو حضاري . ولا يستغرب أن اسم النماص جاء من اسم نبات النمص الذي كان منتشراً في نواحيها . أما ضم الكلمة أو كسرها ، فلم أسمع أحد ينطقها بهذه الصورة ، وإنما تنطق فقط بفتح النون وتشديدها ، وهذا في اعتقادي الصواب (والله أعلم) ٠

(٢) للمزيد عن التاريخ الإداري لمحافظة ، أو مدينة النماص خلال العصر الحديث والمعاصر. انظر غيثان بن علي بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ج١، ص ١٣٥ـ ١٦٨. للمؤلف نفسه ، دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ص ٩٩ـ ١٧٨ ٠ للمؤلف نفسه ، بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ـ ١٤هـ) (الطبعة الرابعة) (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) ، ص ١٨٧ـ ٢٣٩ ٠

(٣) أهل البلاد يطلقون على الضباب (العماة) وليس العمى ، كما أشار إليه هذا الرحالة ٠

(٤) تاريخ الحصون والقصور والقرى القديمة في بلاد السروات من الطائف إلى أبها موضوع مهم وجديد يستحق أن يوثق ويدرس في عدد من الكتب والبحوث العلمية ٠

بـل جميع هـذه الحجارة ماعدا بعض البيـوت الواقعة في بلاد بني الأحمـر فإن أسفلها بالحجـارة وأعلاها باللبن ، كما أن متانة البناء وقوته في بيوت النماص وما جاورها من القرى مدهشة وعجيبة في نفس الوقت ، إذ أنهم يستعملون في بنايتها صخوراً كبيرة قلٍ أن يحمل الصخرة الواحدة خمسة من الرجال ، بل ربما كانت أكثر قوة وصلابة وحجماً ، وتبـدو قوة البناء ومتانتـه في القصور الخاصة بآل العسبلي ، فهـي آية في القوة والمتانة وسمـك البنـاء ، لقد ذرعت بعض الصخور التي وضعت في إحدى هذه القصور فوجدت عرضها لا يقل عن متر وطولها حوالي مترين ، ولا تسل عن سمكها وصلابتها ، كما أنني لاحظـت أن سمـك البناء في بعض تلك القصور يزيد عن المترين وإن قل فمتر ونصف ، وتتألـف هذه القصور من عدة حجرات وغرف واسعة ، ويبلغ ارتفاع بعض هذه القصور حـوالي عشرة أمتـار إذ تتألف من أربعـة وخمسة أدوار، هذا إلى جانـب متانة أخشاب النوافـذ والأبـواب التي أبهرني منظرها وهالنـي ما رأيته من قوتهـا وضخامتها وشدة صلابتهـا ، بيـد أن لديهم طريقة خاصـة في تصميم هذه النوافـذ والأبواب، استرعت انتباهـي ، هـذه الطريقة هي عدم توسعـة مساحة الأبواب والنوافذ حتـى أن الشخص المتوسـط لا يـكاد يدخل مع الباب إلا منحنياً[١] ٠ وهـذا بالنسبة للأبواب الداخلية التي تقع داخل المبنى ، بعد العبور من باب الحوش الذي يكون عادة متسعاً وينفذ على مساحة كبيرة ، أما النوافذ فإنه بالإضافة إلى ضيقها وصغر حجمها ، لا يوجد في الأغلب الأعم إلا نافـذة واحـدة في كل غرفـة ، وقل أن تجد نافذتين في غرفة واحـدة . يبلغ عدد بيوت بلدة النماص حوالي (١٥٠) بيتاً ، ومن أبرزها بيوت العسابلة التي يرجع تاريخ إنشائها إلى مـا قبـل مائتي سنـة [٢] ٠ والمرافق الحكوميـة الموجودة في بلـدة النماص ، مدرسة ابتدائية كبيرة يؤمها أكثر من أربعمائة طالب ، إذ يفد إليها أبناء القرى المجاورة لبلدة النماص، وقـد قيل لي أن الطـلاب البعيدين عن مقر هذه المدرسـة يتكبدون مشقة في سبيلٍ الوصول إلى المدرسة باعتبارهم بعيدين عنها ، إذ يقضون أكثر من ساعة وساعتين مشياً على الأقدام [٣] ٠ وهذه ملاحظة نرجو أن تهتم بها وزارة المعارف فتعمل على إيجاد

---

(١) الرحالة يحيى الألمعي تأمل في قصورٍ وحصونٍ بلدة النماص وبخاصة منازل العسابلة ، ولو جال في عموم سروات رجال الحجـر فإنه سوف يشاهد قصـورا وحصونا واسعة وكبيرة في نفس مستوى حصون وقصـور بلدة النماص . ومازالتٍ العمـارة القديمـة في منطقة عسير ، وبخاصة الأجزاء السروية من بلاد قحطـان وودعة جنوباً إلى بلاد بلقرن شمالا تستحق أن توثق بالصور الفوتوغرافية ، وتدرس دراسات علمية عميقة ، وكذلك القرى والأبنية التراثية القديمة ٠

(٢) معلومـات هـذا الرحالة غير دقيقة ، لا في عدد بيـوت بلدة النماص ،ولا في التاريـخ الزمني لتأسيس بيوت العسابلة ، وإنما هي تخمينات لا تخضع لدقة في مصادرها .

(٣) عند بداية التعليم النظامي في سروات بني شهر انظر رسائل ومدونات محمد أحمد أنور ، أول من افتتح المدرسة السعودية في بلدة النماص عام (١٣٥٩هـ/١٩٣٩م) . غيثان بن جريس . تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤ـ١٣٨٦هـ/١٩٣٤ـ١٩٦٦م) (١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ، ج١، ص٥٥، ٦١، ٦٢. وللأستاذ أنور مذكرة مكتوبة بخط اليد في (١٤) صفحة دون فيها تفصيلات كثيرة عن بلدة النماص جغرافياً ، وتاريخياً ، وتعليمياً ، وحضارياً .

المدارس اللازمة لمثل هؤلاء الطلاب الذين يأتون من أماكن بعيدة ، ولاسيما إذا كان العدد المطلوب متوفرا ، حتى تخف عنهم مشقة الذهاب والإياب ، ومادمت قد وجهت هذا الرجاء لوزارة المعارف الجليلة ، فإني آمل أن تأخذ بعين الاعتبار ضرورة إيجاد العدد الكافي من المدارس الابتدائية والمتوسطة والمعاهد في منطقة بلاد رجال الحجر بوجه عام، إذ أن المنطقة لاتزال بحاجة إلى الكثير من ذلك بالرغم من أنه يوجد الآن في بلاد بني شهر وبني عمر ثلاثة عشر مدرسة ابتدائية ، هذا عداً الموجود في بلاد بللسمر وبللحمر ، التي يوجد فيها حسبما سمعت بضع مدارس ، وهذا طبعاً قليل في حق هذه المنطقة الواسعة التي يتلهف أبناؤها لطلب العلم ، وبالنسبة لبلاد بني الأسمر وبني الأحمر ، فإننا نجدها مهضومة . إذ لم يفتح فيها إلا القليل من المدارس. وعلى أية حال فإن الموضوع بحاجة إلى عناية من وزارة العلم والمعرفة وما إخالها إلا حريصة ومهتمة بِنشر التعليم في جميع أرجاء هذه المملكة ، كيِ يشمل كافة ربوعها ويعم القريب والبعيد وفقاً لسياسة الحكومة الرشيدة التي يهمها كثيراً نشر العلم وتعميمه في كل أنحاء البلاد [(١)] ٠

" نعود الآن إلى ذكر ما بقي من المرافق الحكوميةٍ الموجودة في النماص ، وهي إدارة للبريد ، وقد علمت بأن هذه الإدارة ستتطور قريباً حيث يزمع إيجاد مركز للاسلكي في النماص باسم المنطقة ، وتطوير مكتب البريد عما هو عليه الآن . ويوجد في النماص معهد للمعلمين ، ولوحظ حصول الإقبال عليه من عدد كبير من الطلابٍ ، كما توجد في النماص مدرسة ليلية لمكافحة الأمية ، وفي الأسبوع الذي كنت موجوداً أثناءه بالنماص افتتحت مدرسة للبنات . وقد سجلٍ الآن أسماء ما يزيد عن مائة طالبة . وينتظر أن يكون الإقبال على هذه المدرسة كثيرا ، ويوجد في بلدة النماص مسجدٍ عتيق مضى على تأسيسه أكثر من مائتي عام ، إلا أنه للأسف صغير وأبوابه ضيقة جداً ، وله مئذنة صغيرة مربعة كبعض القلاع الصغيرة التي كانت تستعمل أيام الحرب[(٢)] ٠

" بلغني بأنه يوجد في قرية بني (روق) التي تقع بالقرب من النماص ـ بركة ـ أثرية ذات أسرار غريبة وروايات عجيب، مثال أنها كانت تستعمل أيام الحروب في

---

(١) غفر الله لك يا يحيى الألمعي فقد أشار إلى صعوبة المواصلات بين القرى والمدارس النظامية في النماص، وقد عاصرت شيئاً من ذلك في ثمانينيات وتسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، كما ذكر عدم وجود المدارس وبعض المؤسسات الحكومية في بلاد بللسمر وبللحمر ، ويطلب من بعض الوزارات الالتفات لهذا الأمر. وللأسف إن بلاد بللسمر وبللحمر مازالت حتى الآن بحاجة إلى تنمية وتطوير أكثر ، كما أن تاريخها وموروثها الحضاري غير مدون ، وعلى الباحثين والمؤرخين فيها مسؤولية تجاه حفظ موروثهم وتراثهم التاريخي والحضاري ٠

(٢) رحمك الله يا يحيى بن إبراهيم الألمعي فقد دونت بعض المعلومات الحضارية عن بلدة النماص في بداية الثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م). وكنت أتمنى أنه حصل على بعض الصور الفوتوغرافية لبعض الأبنية القديمة في البلدة مثل المسجد العتيق الذي أشار إليه ، وغيره من المعالم العمرانية في تلك الناحية ٠

العصور السابقة عصور النهب والسلب والخوف وعدم الاستقرار[١] . وفي بلدة النماص سوق أسبوعي يقام يوم الثلاثاء ويحضره المجاورون من أبناء القرية من النماص ، ونفر قليل من أبناء تهامة بني شهر ، حيث يجلبون إليه بعض منتوجاتهم من السمن والعسل والأغنـام وبعض الفواكـه وخاصة (الموز) ، وقد تصل إلى هــذا السوق بعض السيارات القادمة من الحجاز وبيشة وبلاد بللسمر وأبها وهي محملة بالبضائع المختلفة ، ولعل من العجيـب أن هذا السوق يقام في مكانين من النماصـ يبعد كل منهما عن الآخر بحوالي نصف كيلو ، وذلك لأنه مجزأ بين فخذين من بني شهر ، هما الكلاثمة وبنو بكر ، فيقام السوق عند كل فخذ منهما مدة شهر واحد ، وهكذا يتأرجح السوق بين القبيلتين"[٢] .

" لا يوجد في بلدة النماص إلا مركز صحي صغير ، كان يديره إلى ما قبل وصولي بأسبـوع ممرضـ عادي واحد ، يتـولى معالجة المرضى والكشف عليهـم وصرف العلاج لهـم (على الهامشـ) ، إلا أن مندوبية وزارة الصحة بأبها تفضلت أخيراً فبعثت طبيباً خاصـاً لبلدة النماص ، لكنه لن يقدر وحده على مواجهة هذا العبء الكبير ، فقد صرح لي بأن نسبة المراجعين له يومياً تزيد عن مائتي شخص، كما صرح لي أيضاً بأنه لاحظ انتشار مرض السل بكثرة هائلة في جهة النماص ، فما رأي وزارة الصحة ومندوبيتها في أبها حيال هذا الموضوع ، إن الحالة تستلزم اهتماماً وعناية ، كما أن الضرورة تستدعي وجـود أكـثر من طبيب لا للنماصـ فحسب ، وإنما لـكل من بلاد بني شهـر وبني عمرو وبنـي الأسمـر وبنـي الأحمر ، وذلـك لأن بلاد رجال الحجـر واسعـة ، إذ أن كل جزء من هـذه الأجزاء الأربعة تشكل منطقة كاملة . إننا نرجـو من وزارة الصحة ومندوبيتها بأبها الاهتمـام بهذه المنطقة ، والمناطق المماثلة الأخرى التي تنقصها الرعاية الصحية المطلوبة ومنهـا (منطقة رجـال ألمع) التي تكاد تتساوى مع ابنة عمهـا بلاد الحجر وذلك في عدم توفـر الرعاية الصحيـة لهما ، لكنني أرجو أن لا يطول الأمد علـى تزويد هاتين المنطقتين الكبيرتين بالمستشفيات والمستوصفات والمراكز الصحية ، وأن يؤمن لهما العدد اللازم من الأطبـاء والممرضـين والقابلات وعسى أن يكون ذلك قريبـاً ، خصوصاً وأن اللجنة المكونة مـن معظم الوزارات المنتدبة لدارسـة أحوال بعض المناطق في إقليم عسير ، قد زارت هذه

---

(١) قريـة بنـي روق ، أحدى قرى قبيلة الكلاثمة ، وتبعد عن بلدة النماصـ شرقاً بضعة أكيال . وكنت أرجو أنه دون تفصيـلات أكـثر عن هذه البركة التي أشار إليها . وفي سروات بلاد الحجر معالم جغرافية عديدة لها أحداث تاريخية وحضارية عديدة ، والناس يتناقلون أخبارها ، لكنهم لم يدونوها .

(٢) عاصرت نشاط هذا السوق الذي ذكره يحيى الألمعي عندما كنت طالباً في مدارس النماص في الثمانينيات والتسعينيـات مـن القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وكان فعلاً يعقد بالتناوب عند الكلاثمـة وبني بكر، وتعرض فيه الكثير من البضائع التي تجلب إليه من داخل سروات بني شهر وبني عمرو ، أو من بلدان مجاورة في تهامة والسراة . وحسب علمي أن هذا السوق لم يدرس في عمل علمي توثيقي . آمل أن نرى باحثاً أو طالب دراسات عليا في جامعتي الملك خالد أو بيشة فيدرسه ويوثق تاريخه في رسالة أو بحث علمي رصين .

المناطق وشاهدت الكثير من احتياجاتها ومستلزماتها الضرورية التي تفتقر إليها [١] .

منذ بضعة شهور تقريباً أوجد في بلدة النماص فرع للبلدية يتبع أبها في المراجعة، وقد بحثت عن نشاط هذا الفرع فلم أجد له أي نشاط استحق الذكر؟ والواقع إن إيجاد فرع للبلدية بالنماص في الوقت الحاضر - يعتبر سابقاً لأوانه - ذلك أن البلدة بحاجة إلى ما هو أهم من البلدية ومنها ما سبق أن أشرت إليه آنفاً ، أضف إلى ذلك فإن البلدية لا تجد الآن أي مجال للعمل فيه ، من أجل تنظيم البلدة وتحسين أوضاعها كتوسعة الشوارع ونحوه، إذ أن كل ما قامت به البلدية منذ تأسيسها حتى الآن هو وضع بضعة أتاريك في بعض الطرقات داخل البلدة ، أما ما عدا ذلك فإنه لا يوجد هناك مجال يمكن البلدية أن تعمل فيه لتثبيت وجودها ، ذلك أن للبلدة وأهلها وضعاً خاصاً يختلف عن وضع الجهات التي توجد فيها بلديات ، بصرف النظر عن كون هذه البلدة صغيرة وواقعة بالقرب من قرى تشابهها من حيث الوضع والحالة ، مع أن الأراضي الزراعية تحيط بالبلدة من كل مكان ، بالإضافة إلى أن بيوتها متداخلة وبحالة بدائية يصعب تعديل شيء منها ، كما أنني لم أشاهد بالقرب من البلدة أي أرض حكومية يمكن البلدية أن تستغلها فتعمل على تخطيطها ، إذا ما هي الفائدة من وجود هذه البلدية ، مادام الحال ماذكر ، إنني لا أقصد بهذا - التقليل من مكانة النماص فهو جدير بالاهتمام . لكن فيما عدا البلدية [٢] .

والبلديات لا تكون عادة إلا في المدن الكبيرة ، وفي المدن التي قطعت شوطاً في توسيع العمران وكثرة الحركة التجارية وغير ذلك من أنواع النشاط الحضاري ، إنني أعرف مدناً أهم بكثير من بلدة النماص وأجدر منها بإيجاد البلدية ، بل لقد كانت تستحق وجود هذا المرفق منذ سنوات طويلة ، ومع هذا لم ينشأ فيها بلدية ، لقد كان الأجدر بأن يحل محل البلدية مستشفى أو مركز لاسلكي أو فرع للجوازات أو مدرسة متوسطة أو مركز لصيانة الطرق وفتحها أو غير ذلك من المرافق الضرورية الأخرى ، إنها كلمة حق أقولها دون أن أخشى في ذلك لومة لائم. وأعتقد بأن الكثيرين من أهل البلدة نفسها

---

(١) كان يحيى الألمعي (غفر الله له) لا يحمل هم نفسه ، وإنما كان يسير في بلاده ، ويشاهد معاناة بعض السكان وبخاصة في ميادين الصحة والتعليم والتنمية وغيرها ، ثم ينقل مشاهداته مكتوبة إلى المؤسسات الحكومية والمسؤولين ويحثهم على الاعتناء بالأرض والإنسان في نواحي عديدة من منطقة عسير ، ومن المؤكد أن نداءاته وتوصياته قد أثمرت ، وتحققت بعض الإنجازات التنموية لخدمة البشرية .

(٢) يتضح من طرح هذا الرحالة وضوحه وحسن منطقة ، إذا كان في عصره خدمات ضرورية يجب توفرها قبل نشأة البلدية . ثم إن البلديات حتى اليوم مازالت تعاني كثيراً في المدن والحواضر والبلدات الكبيرة ، وذلك لطبيعة الاستيطان البشري قديماً فلم يكن مخططاً له ، وبالتالي فإقامة أي مشروع حديث في القرى والأحياء السكنية القديمة يقابله الكثير من الصعوبات العمرانية والجغرافية التاريخية والقديمة.

يؤيدوننــي في هــذا الرأي ، لأن البلدية لم يحن وقت إيجادها [١] ٠ إذ أنها لاتزال بحاجة إلى الكثـير من الضروريـات ، وبعد ذلك يأتي دور البلديـة ، إن طبيعة بلدة النماص في الوقت الحاضر لا تساعد على وجود البلدية ، ومع هذا أرجو أن تبقى البلدية لمدة عام أو عامـين لتنظر ماذا تصنع خلال هذه الفترة ، ومـاذا يمكن أن تفعله ، إنني متأكد بأنها ستظل جامدة لا تعرف كيف تتصرف حتى ولو زاد عدد العاملين مثلهما " ٠

" وإدارة الشرطة في النماص ، رغم قدمها ومضي فترة طويلة على تأسيسها ، ينقصهـا الوسائل السريعة لتلافي الحـوادث ، كما أن مظهر الإدارة غير مشرف ، إذ لا يوجد فيها شيء من الأثاث والماصات والدواليب، وكذلك الحال في بعض فروع المصالح الحكوميـة الموجودة في النماص كالإمارة والصحة ، ولقد كان للأخ الملازم أول فهد بن فحاس رئيس الشرطة في النماص فضل في تنظيم الإدارة وتنسيقها ، لكن إمكانياته لا تساعده على إعطاء التنظيم المطلوب[٢] ٠ والشرطة وكل الإدارات في النماص تتبع أبها ما عدا المدارس فإنها تابعة لمنطقة بيشة"[٣] ٠

"هناك أسواق أخرى في المنطقة من أهمها (سبت تنومة) ، و(اثنين العوامر) ، وأربعاء السـرور، وخميس كفاف ـ وهـو مجزأ أيضاً بين فخذين كما هو الحـال في سوق النماص ـ شهر في قرية العرق ، وشهر في قرية الخضراء، ومن الأسواق أيضاً (اثنين حلبا) [٤] ٠

" يبلغ مجموع قرى بني شهر وبني عمرو في السراة (٢٧٣) قرية[٥]، توجد حوالي (٧) قـرى باديـة ، ومن عاداتهم الكرم والتعاون والمساعـدة ، ولا تختلف تقاليدهم عن التقاليـد والعادات في أبها ، ورجال ألمع ، ومن منتوجـات هذه المنطقة الحنطة والشعير والـذرة والعدس ، ومـن الفواكه العنب والرمـان والموز والخوخ والتفـاح والتين الشوكي والتـين الأسود ، ومن الخضـروات البطاطا والبصـل والقرع والطماطـم والفاصوليا ، وتشتهـر المنطقة بخصوبتها ووفـرة مياهها ، وتسقى المزارع هنـاك بالسواقي ، وبدأت

---

(١) مازلت أدعو الله أن لا يحرم الأستاذ يحيى الألمعي أجر ما وثق قبل أكثر من ستين عاماً ، لأنه يتضح للقارئ المصداقية ، والحيادية، والشفافية فيما سجله في هذه السطور. وأسأل الله ـ عز وجل ـ أن يرزقنا الصدق والإخلاص في جميع أقوالنا وأعمالنا ، إنه على كل شيء قدير ٠

(٢) ذكـر هـذا الرحالة الملازم فهد بن فحاس ، واسمه الصحيح سعيد بـن فحاس ، وهو من سروات بللسمر ، ومازال له ذرية في بللسمر وأبها ومدن عديدة من المملكة العربية السعودية .

(٣) نعم مدارس النماص كانت تابعة لإدارة تعليم بيشة حتى افتتحت إدارة تعليم النماص في بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ٠

(٤) جميع هذه الأسواق اندثرت ما عدا سوق سبت تنومة مازال يقام كل سبت ، لكنه تراجع كثيراً جداً عما كان عليه في الماضي ٠

(٥) أعتقد أن هذه الإحصائية غير دقيقة ، وربما سمعها من بعض الرواة في سروات بني شهر ٠

الطريقة الحديثة في الري تستعمل نادراً في بعض القرى وبالأخص في بلدة النماص "[١] .

" لقد أنجبت بلاد الحجر رجالاً أصبحوا اليوم من المشاهير، ومنهم الزعيم سعيد العمري ويشغل الآن منصب قائد منطقة الخرج ، والعقيد فائز الأسمري ، والعقيد المتقاعد علي عبدالله بن سعره ، والقائد محمد عبدالله الشهري ويشغل الآن منصب رئيس حرس القصور الملكية ، والأستاذ الأديب حسين الأشول ويشغل الآن منصب مدير إدارة الميزانية بوزارة الزراعة ، والأستاذ الأديب علي عبدالخالق الشهري مدير المكتب الزراعي في بني الأسمر وبني الأحمر ، وغير هؤلاء كثيرون ، ومعظمهم يعمل الآن بالجيش المظفر وقد بلغوا شأواً عظيماً في الرتب[٢] ، وتعتبر أسرة آل العسبلي من مشاهير الأسر في المنطقة ، ولهم تاريخ حافل بالبطولات والسؤدد ، وأذكر منهم الشيخ علي بن عبدالرحمن العسبلي عمدة بلدة النماص حاليا[٣] ، وقد تعاون معنا كثيراً في هذه الرحلة ، وقدم لنا الكثير مما نحتاجه من معلومات عن المنطقة ، فله جزيل الشكر ، وكذا المشائخ للكلاثمة فراج بن شاكر وتركي بن شاكر ، ويوجد في النماص واد جميل اسمه (العنب) يقع شرقي النماص وكان يشتهر بكثرة العنب فيما مضى [٤] .

---

(١) حبذا أن هذا الرحالة فصل الحديث عن التاريخ الزراعي في سروات بني شهر في ثمانينيات القرن الهجري الماضي ، فقد كانت الزراعة هي المهنة الرئيسية عند أهل البلاد .

(٢) رحمك الله يا هذا الرحالة الألمعي العسيري ، فكنت جاداً في قولك مع توخي الحيادية والإنصاف . وأقول نعم بلاد الحجر ، بل عموم بلاد السراة وتهامة عرفت رجالاً أفذاذاً على مر التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث والمعاصر . وهذه البلاد تستحق أن توثق سير رجالها وأعلامها منذ ظهور الإسلام إلى الآن ، ومن يفعل ذلك ، ويكون مخلصاً ومنصفاً بعيداً عن الأهواء والعواطف ، فإنه سوف يجد مادة علمية تذكر تاريخ وأمجاد الكثير من رموز وأعلام هذه البلاد العربية الماجدة .

(٣) وايم الله لقد قلت الصدق والحق يا يحيى بن إبراهيم الألمعي عن هذا الرجل الهمام (الشيخ علي بن عبدالرحمن العسبلي) . فقد سمعت ذكر هذا الرجل منذ كنت طفلاً ، ثم كبرت وقابلته ، وسمعت أقوال الناس عنه ، بل بعضهم دون شذرات عن نبله وطيب نفسه ، وهو بحق من أشهر أعلام بني شهر في العصر الحديث ، ويأتي في المقدمة حسب المعايير العلمية لتدوين التراجم والسير ليس بماله ، ولا نسبه ، ولا تعليمه ، لكن بفضله ، ونبله ، وتواضعه ، وخلقه ، وحبه لفعل الخير لكل من عرف أو لم يعرف . إن أخباره الماجدة كثيرة ، وهناك أعلام كثيرون تعاملوا معه ، ويشهدون له بذلك ، وبعضهم ماتوا ، وآخرون مازالوا على قيد الحياة . آمل أن نرى باحثاً ومؤرخاً جاداً ومنصفاً وحيادياً فيكتب سيرته وجهوده وأعماله لخدمة دينه ، وأهله ، وبلادهم . وقد يظهر من بنات أو أبناء بني شهر بشكل عام ، أو قبيلة الكلاثمة بوجه خاص من يوثق شيئاً من حياة وتاريخ هذا الرجل النبيل الماجد . (غفر الله له) .

(٤) أنا ابن محافظة النماص ، ولا أعرف هذا الوادي الذي ذكر هذا الرحالة ، وربما يكون في بلاد آل بالرياع، أو وادي الدحض ، شرق النماص المشهور بالعديد من الفواكه ، ومنها العنب ، وكنت أشاهد ، وأنا صغير، أهل تلك البلاد وهم يذهبون إلى الأسواق الأسبوعية في المنطقة ، ومعهم العديد من الجمال المحملة بالفواكه المحلية المجلوبة من بلادهم ومزارعهم .

ثالثـا : رحلتـي وغـيري في محافظـات تنومـة ، والنماص ، والمجاردة في الفـترة من (٦-١١/٢/١٤٤٣هـ الموافق ١٣- ١٨/٩/٢٠٢١م) . بقلم . أ . د . غيثان بن علي بن جريس .

أولاً : تمهيد :

إن بلاد تهامة والسراة ذات عمق تاريخي وحضاري طويل ومتشعب . هذا ما عرفته وتأكد لي من خلال البحث والدراسة والتوثيق خلال الأربعين عاماً الماضية . والذي زاد تعلقي بتراث وموروث هذه الأوطان هو السير في مناكبها ، والوقوف على الكثير من أطلالها ومعالمها الجغرافية والتاريخية ، وأيضاً مشاهدتي آلاف النقوش والرسومات الصخرية . ناهيك عن تراثها المعنوي من قيم ، وأعراف ، وعادات ، وتقاليد، وشيم،

ومروءات ، ولغات، ولهجات ، وأدب، وفكر، وعلم ، وثقافة ، وفنون وغيرها[١] ٠

هـذه البـلاد العربية الأصيلـة (تهامة والسراة) ميدان ثري ومهـم وبكر - إن صح التعبـير - لمن يرغب دراسـة تاريخها وأحداثهـا وحضارتها عبر أطـوار التاريخ ، وهذا أمـر لن يكون سهلاً لندرة مادون عنهـا ، لكنها مازالت تشتمل على تراث وآثار سطحية ومدفونـة كثـيرة جداً ، وتحتاج إلى عزيمة قوية ، وبخاصة من أصحاب القرار في البلاد (المملكة العربية السعودية) ثم توفر الكوادر البشرية البارعة والمتخصصة التي تبحث وتنقب عن هذا الموروث . وقبل هذا وبعده لابد من توفر الدعم المادي الاقتصادي الكبير الذي يساعد الباحثين والمتخصصين على إنجاز أعمالهم بنجاح واقتدار[٢] ٠

ما سبق الإشارة إليه في الفقرات السابقة ، جوانب علمية تشغلني منذ سن الشباب، ولابـد مـن الإشـارة إليها في بعض بحوثي بين الفينـة والأخرى ، وذلـك لعلها تجد من يدعمهـا ويتبناهـا حتى تكون منجزاً حقيقياً على أرض الواقـع[٣] ٠ وبلادنا تستحق منا الجـد والاجتهاد والتفاني في خدمـة أرضها وسكانها ، كل في مجـال عمله وتخصصه، وبخاصـة الباحثـين والمؤرخين وأساتـذة الجامعات فهـم من عليهـم المسؤولية الكبرى لدراسة وتحليل وتوثيق موروثها الحضاري ٠

---

(١) هـذه الحقيقـة ، فالبلاد الواقعة بـين حواضر اليمن والحجاز (تهامة وسـراة) لها تراث وتاريخ حضاري قـديم ووسيط وحديث ومعاصر. لكنها للأسف لم تخدم عند مـدوني التراث الإسلامي منذ فجر الإسلام إلى القـرن (١٢هـ/١٨م) ، وإن ذكـرت في بعض المؤلفات والمخطوطات خلال تلـك القرون ، فذكرها جاء مختصـراً جـداً ، وأحياناً يشار إليها في كلمات ، أو جمـل ، أو فقرات قليلة ومحدودة ، فلا يستطيع القارئ والباحـث أن يخرجـا بصورة شبه تقريبية عـن تاريخ وحضارة هذه البلاد خلال تلـك العصور الإسلامية المبكـرة والوسيطـة . وإذا بحثنا عن حياة الأرض والناس في العصور المتعاقبـة قبل الإسلام ، فالأمر أشد صعوبـة وغموضـاً . ومما لاشك فيه أن هذه البلاد السروية والتهامية مواطن استيطان بشري منذ العصر الحجـري ، ولها صلات داخلية وحضارية قبل ميلاد المسيح وبعـده حتى ظهور الإسلام في القرن السادس الميلادي ٠

(٢) مـن خـلال عملي أستـاذاً في الجامعة أكثر من (٤٤) عامـاً، فالجامعات المحلية لا تقـدر على تحقيق هذه الأمنيـات ، ربمـا لانشغالهـا بأعمالهـا الأكاديمية والإداريـة الرئيسية . ثم عدم توفر المـال الكافي لإنجاز مشاريـع كبـيرة وبخاصة في ميدان البحث والتنقيب الأثري . وأنادي منـذ عدة عقود بإنشاء مراكز بحوث علميـة أثريـة وحضارية متخصصـة لدراسة الأرض والناس في عموم السـروات ، ويكون همها البحث عن تـراث وموروث هذه الأوطان منذ العصور الحجرية إلى القرن (١١هـ/١٧م) ، وهذا الذي نحتاجه ونبحث عنه ، ومازلنا نجهل معظمه . حبذا أن نرى هذه الأمنية تصبح واقعاً . وقد يتحقق ذلك في قادم الأيام ٠

(٣) ليس كل ما يتمناه الفرد يتحقق ، لكن من يستقرئ تاريخ وحضارة بلادنا (المملكة العربية السعودية) منذ ثمانين عاماً يجد أموراً كثيرة جداً في ميدان العلم والبحث والمعرفة والتطور الحضاري قد تحققت في وقتنا الحاضـر ، وكنا نراهـا في الماضي من المستحيلات . وما ذكرته في المتن عن الدراسة والتنقيب لآثار وتراث وحضارة بلادنا قبل الإسلام وبعده قد يتحقق ويصبح حقيقة (بإذن الله تعالى) ٠

والعصـر الحديـث والمعاصـر ليس أقل أهمية مـن العصور السابقـة ، لكن الحياة أصبحـت سهلـة في شتـى الجوانـب، والبحث العلمـي صار مخدومـا ماليـا ، وعلميا ، وأكاديميـا وحتى تقنيـا وحضاريا. لكن انفتاح العالم على بعضه ، وانشغال الناس بأمور عصريـة كثيرة صرفت الغالبية من الباحثـين والأكاديميين عن الأمور العلمية والبحثية الجـادة . وأوطاننا بحاجة شديـدة لنا معاشر الباحثين والمؤرخـين ، فالواجب أن نعمل بجـد ومثابرة على حفظ تاريخنا وحضارتنا المحلية المعاصرة ، ثم الاجتهاد على ربطها بموروثنا الحضاري القديم الجميل[١] . وذلك من أجل أن يطّلع على هذا التراث العربي الأصيل أبناءنا وأحفادنا وأجيال المستقبل[٢] .

هـذه الرحلة الموثقة في هذا القسم لم أقم بها عبثاً ، أو فقط رص سطور وصفحات في هـذا العمـل التوثيقـي ، وإنما هي إحساس بالمسؤولية تجاه أهلي وبـلادي (السراة وتهامـة) ، فـأدون شيئاً مـن تاريخها وتراثها المعاصـر[٣] . وليسـت الرحلة الأولى في مسيرتي العلمية التي زادت عن خمسة عقود ، وإنما طبعت ونشرت مئات الصفحات من الرحلات في عموم السروات وتهامة[٤] .

لقـد حصـرت هـذه الرحلة في ثـلاث مناطق (محافظـات) في السـراة وتهامة ، وتحديـداً في منطقة عسـير . إنها أوطان تنومـة ، والنماص ، والمجـاردة . وتعرف هذه البلاد أيضاً باسم (بلاد بني شهر وبني عمرو)[٥] . ولم أخصها بهذه الرحلة تمييزاً ،

---

(١) نعم تاريخنا وموروثنا القديم جميل بكل ما تعنيه هذه العبارة ، حتى وإن كان هناك جوع وفقر ومرض وقلة ذات اليـد ، لكن الفاحص لحياة الآباء والأجـداد في القرون الماضية يجدها مليئة بالمثل ، والقيم ، والشيم والحب ، والتعاون ، والتعاطف ، والتكاتف ، والتكافل المثمر والجميل. كما أن الحياة الاقتصادية ، والعلمية، والأدبيـة ، والمعرفيـة ، والتكيـف مع الحياة الاجتماعيـة في شتى الجوانب كانت هي الأخـرى تراث وتاريخ وحضارة تستحق التأمل والاستفادة من إيجابياتها .

(٢) للأسف إن العصر الذي نعيشه حالياً مليء بالسلبيات التي تحارب ماضيها وتاريخ وتراث آبائها وأجدادها. وعلى مؤسسات التعليم العام والعالي ، والإعلام ، والناس أفراداً وجماعات أن يحرصوا على ربط ماضيهم بحاضرهـم ، حتـى تكون هويتهم ذات عمـق وأصالة . ولا يمنع ان نستفيد مـن كل جديد يفيدنا في حياتنا العامة والخاصة ، لكن لا ننسى وننسلخ من الارتباط بتراثنا وموروثنا الحضاري الإيجابي والمفيد .

(٣) لا أتمنى أن يسدل الستار على تراث وموروث هذه البلاد في العصر الحديث والمعاصر تدويناً وتوثيقاً . ومن ثم يضيع الكثير من تاريخها وحضارتها ، كما جرى لها ولأهلها منذ العصور الحجرية إلى بدايات العصر الحديث في القرنين (١٠ـ ١١هـ/ ق١٦ ـ ١٧م) .

(٤) للمزيد انظر محمد بن أحمد معبر . الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي في مؤلفات غيثان بن جريس (ق٢ــ ١٥هــ/ق٨ــ ٢١م) (الرياض: ، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) (مجلـدان) (١١٠٤ صفحـة) . كما انظر موسوعـة (القـول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢٥ مجلداً) ، وانظر مؤلفات أخرى صدرت خلال الثلاثين عاماً الماضية ، وهي مطبوعة ورقيا ، وأيضاً إلكترونياً على الرابط الآتي :(prof-ghithan.com) .

(٥) مسيرتي مع هذه البلاد ، أنني ولدت وتربيت وتعلمت تعليمي المبكر في أحد أجزائها ، ثم إنني درست ووثقت

أو تعصباً ، فقد شاهدت وارتحلت في غيرها ، ومازلت أسير في ارتحالي وتجوالي في بلدان عديدة في تهامة والسراة وبقية مدن ومناطق وحواضر المملكة العربية السعودية [١] .

إنها فقط ستة أيام تجولت خلالها في محافظات تنومة ، والنماص ، والمجاردة [٢] . ولا أقول أنني أتيت في تدويني وتوثيقي على كل شيء في هذه النواحي الثلاث . لكنني رصدت صوراً تاريخية وحضارية حديثة ومعاصرة. أرجو أن تكون خطوات أولية لبعض الباحثين والمؤرخين المستقبليين الذين قد يفصلون ويوثقون تاريخ وحضارة هذه البلاد وما جاورها من أراضي السروات وتهامة . كما أرجو أن يأتي في قادم الأيام من يصحح ما أخطأت فيه، ويستكمل ما عجزت عن تحقيقه ، ويشرح ما غمض أو يصعب فهمه[٣] .

إنني ابن هذه البلاد التي كانت ميداناً واسعاً لهذه الرحلة القصيرة ، ولو لم أجد العون والمساندة من بعض أعلامها ، لما كنت حققت هذا العمل العلمي المحدود. إن الذين ساعدوني ووقفوا معي في رحلتي كثيرون ، ويصعب أن آتي عليهم جميعاً [٤] ، لكنني أذكر أهمهم من وجهة نظري ، ومما حظيت به من دعم ورعاية ، وهم على النحو الآتي :

١. عند وصولي مدينة تنومة وجدت الدعم والرعاية والتوجيه من الأخ الأستاذ الكريم عبدالله بن علي بن محمد الطنيني الشهري وابنه الأكبر رشاد بن عبدالله فلهما مني جزيل الشكر والعرفان[٥] .

تاريخها وحضارتها في العديد من الدراسات والبحوث المطبوعة والمنشورة ، ولا أدعي أنني أتيت على كل شيء في تراثها وموروثها ، لكنني أزعم أنني ساهمت ببعض الشيء الذي أرجو أن يكون حجة لي لا حجة عليّ يوم العرض الأكبر أمام رب الأرباب ، رب السماوات والأرض .

(١) إن أي ناحية من نواحي بلادي (المملكة العربية السعودية) اعتبرها موطني الأصلي ،وأهلها أهلي . لذا فقد قمت بالعديد من الرحلات في عموم بلاد السروات وتهامة . ومازال هناك بعض النواحي التي أرغب أن أوثق شيئاً من تاريخها وحضارتها الإسلامية المبكرة ، والوسيطة، والحديثة ، والمعاصرة . كما أنني أتمنى أن يطيل الله في العمر ـ على مرضاته ـ وأرتحل في بعض مناطق ومدن المملكة العربية السعودية الأخرى. والمدينة المنورة ومكة المكرمة من أوائل تلك البلدان التي أتطلع إلى توثيق صفحات من تاريخها الحديث والمعاصر، أسأل الله أن يوفقني إلى تحقيق ذلك في القريب العاجل .

(٢) في الفترة من (٦ـ ١٤٤٣/٢/١١هـ الموافق ١٣ـ ٢٠٢١/٩/١٨م) .

(٣) هذه مهنة الباحث أو الباحثين المنصفين الحياديين الذين لا يأنفون من تصويب الأخطاء العلمية ، وشرح الغامض ، وإضافة جديد . وبلادنا (السراة وتهامة) تحتوي على كل جديد لمن أراد دراسة تاريخها وتراثها وموروثها الحضاري منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر .

(٤) أسأل الله العلي القدير أن يوفق من ساعدني في هذه الرحلة القصيرة ، وأن يرزقهم من فضله ، وأن يجعل عملي وأعمالهم ، وقولي وأقوالهم خالصة لوجهه الكريم .

(٥) أوردت ترجمة مختصرة للأستاذ عبدالله الطنيني في صفحة تالية من هذه الرحلة ، كما أوردت ترجمة لابنه الدكتور رشاد وذكرت مكانها في عدد من مؤلفاتي المطبوعة والمنشورة .

٢. كان الأستـاذ علي بن محمد بن فائز العسبلي ممن ساعدني في محافظة النماص، فلـم يقصر في تقـديم ما استطاع ، فله منـي جزيل الشكر والعرفـان [١] . كما أن الإخوة الكرام الشيخ فهد بن دعبش الشهري ، والأستاذين حسن بن حنش العمري، وصقـر بن عبدالله العمري قـد تعاونوا معي كثيراً في توضيـح وتصويب الكثير من المعلومات الخاصة بأوطانهم السروية الممتدة من بلاد بني التيم الشهرية إلى ديار بني رافع العمرية فجزاهم الله عني خير الجزاء[٢] .

٣. وجـدت الدعـم والرعاية مـن بعض أعلام تهامـة وبخاصة محافظـة المجاردة وما جاورهـم ، ومـن أهمهم الأبن حسن بـن فيصل بن محمد الشهـري[٣] ، والأساتذة محمد بن محسن الشهري، وعبدالله بن معيض الشهري ، وعلي بن زاهر الشهري. الذين تعاونوا معي كثيراً ، وقدموا لي الكثير من التفصيلات عن أوطانهم التي تقع ضمن محافظة المجاردة فلهم جزيل الشكر والتقدير[٤] .

٤. لقد حظيت بالتعاون المثمر من علمين كريمين ، إنهما : الدكتور عبدالله بلقاسم البكري الشهري، والأستاذ علي بن عبدالرحمن بن سردة الشهري . فكتب الأول بضع صفحات عـن محافظة النماص . ودون الثاني أيضـا صفحات محدودة عن محافظة المجاردة . وكان علـيَّ أن أترك مدونتيهما على وضعهما الذي وصلتني عليه ، وأنشرهما باسميهما مع إضافة بعض التعليقات في الحواشي ، فشكر الله لهما ، وجزاهما كل خير[٥] .

٥. وفقـت بأستاذين كريمين هما: (١) عبدالله بن جاري بن محمد البكري الشهري. (٢) عبدالسـلام بـن عثمان بن ظافـر آل الشيخ العمـري . اللـذان لم يألوا جهداً

---

(١) الأستاذ علي العسبلي من أعيان محافظة النماص ، وله مساهمات كثيرة في خدمة أهله وبلاده . وقد أشرت إلى شيء من سيرته الذاتية في عدد من مؤلفاتي التي صدرت خلال الثلاثين عاماً الماضية .

(٢) الإخـوة الفضـلاء الشيخ فهد بـن دعبش ، والأستـاذان حسن حنش العمري ، وصقر العمـري من أعيان ووجهاء بلادهم ، ولهم العديد من البصمات الجيدة في خدمة أهلهم وبلادهم .

(٣) الابـن حسـن بن فيصل مـن طلابي النجباء ، وهـو يعمل حالياً في مهنـة التدريس ، ويقـوم في هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) بكتابـة رسالة الدكتوراه ، وقريباً سيحصل على الدرجـة (بإذن الله تعالى) . دونت له ترجمة في (الجزء الحادي عشر) من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) . وقد ساعدني في نواحي عديدة من مدينة المجاردة وبعض مراكزها .

(٤) الأستـاذ محمـد بن محسن الشهري تعـاون معي مشكوراً فيمـا يتعلق بمركز عبس . كمـا اتصل بالأخوين الفاضلـين عبدالله بن معيض الشهري، وعلي بن زاهـر الشهري اللذين زوداني ببعض التفصيلات عن بلادهـم (مركـز ختبة) فلهم جميعاً خالص الحب والتقدير ونسـأل الله جميعاً أن يخلص لنا الأقوال والأعمال إنه على كل شيء قدير .

(٥) سبق لهذين العلمين أن شاركا معي في بعض مؤلفاتي السابقة ، ولهما تراجم فالبكري في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الجزء الثاني) طبعتان أولى وثانية) . وابن سردة في كتاب : بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٠-٢٠م) . الطبعات (الثانية ، والثالثة ، والرابعة) .

في دعم هذا العمل العلمي بالصور الفوتوغرافية الملونة . فالأول (ابن جاري) ساعدني بكل الصور المنشورة عن المحافظات الثلاث ، مع أنني حاولت التقاط صور لبعض المعالم في كل محافظة ، لكنها لم تكن ذات مستوى جيد ، عندئذ ذهبت إلى الأستاذ عبدالله وذكرت له مهمتي ، ورجوته أن يساعدني ، لعلمي أنه مصور محترف ، وعنده عشرات الآلاف من الصور الفوتوغرافية[1] ، فلم أجد منه إلا حسن الاستقبال ، وبشاشة المحيا ، وتلبية طلبي (فجزاه الله كل خير) [2] .

أما العلم الآخر فهو الأستاذ عبدالسلام بن عثمان العمري، عرفته منذ ثلاث سنوات (٢٠١٨م). أنه من الشباب النابهين المبدعين وبخاصة في علم التقنية والحاسب الآلي . فهو الذي خدمني على رفع مؤلفاتي وبحوثي على الموقع الإلكتروني (Prof-ghithan.com) . وكانت رغبتي وأمنيتي جعل جميع أعمالي العلمية المطبوعة والمنشورة ، لمدة أربعة عقود ، وقفاً لله (عز وجل) على موقع تقني حتى تعم فائدتها ويستفيد منها طلاب العلم والباحثات والباحثون . وقد تحقق ذلك ، بفضل الله عز

---

(١) إنني أسمع عن هذا الرجل منذ عشرين سنة ، وشاهدته عن بعد قبل عدة سنوات من تدوين هذه السطور. وأخبرني الكثير من الناس أنه مصور محترف وبارع ، وله إسهامات ونشاطات عديدة في هذا الميدان ، وكنت أرغب في الالتقاء به ، ثم طلبه تزويدي ببعض الصور. لكن قال لي من حدثني عنه أنه لا يعطي أحد شيئاً ، وإن طلبته فلن يتعاون معك . وبقيت سنوات أحمل هذا الانطباع ، لكنني لم أجرب حتى رحلتي الأخيرة (٦ـ١١/٢/١٤٤٣هـ) ، ثم قابلته وبينت له ماذا أريد ، فكان رده إيجابياً ، ولم يدخر جهداً في مساعدتي . وأخبرته عند أول مقابلة إن حقه العلمي محفوظ ، وهذا أقل شيء أقدمه له . والرجل (جزاه الله كل خير) متعاون جداً ، لكنه لا يرغب ولا يتمنى نسيان أو ضياع حقوقه الفكرية .

(٢) الأستاذ عبدالله بن جاري من قبيلة بني بكر الشهرية ، من مواليد (١١/شوال/١٣٩١هـ) في بلدته قرية بني بكر بالنماص. تعلم مراحل تعليمه العام في مدينة النماص . ثم التحق بكلية الملك فهد الأمنية عام (١٤١٦هـ/١٩٩٥م). وهو حاليا برتبة عقيد ، مدير إدارة الدفاع المدني بالنماص . يذكر عن نفسه أنه " كان هاويا للتصوير الفوتوغرافي منذ صغره ، امتلك أول كاميرا عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ثم صار يمارس تصوير المناسبات الاجتماعية والمناظر الطبيعية ، كما زاد اهتمامه بجمع الصور التراثية القديمة لبعض حواضر بلاد بني شهر وبني عمرو . وفي عام (١٤١٧هـ/١٩٩٦م) توسعت دائرة اهتماماته لتشمل منطقة عسير وحواضر ونواحي عديدة في عموم المملكة العربية السعودية حتى صار عنده في الوقت الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) أرشيف ضخم يضم أكثر من (١٠٠،٠٠٠) مئة ألف صورة قديمة وحديثة " . شارك الأستاذ عبدالله في عدد من المشاركات الداخلية والخارجية ، ومنها : (١) معرض كوريا الجنوبية أثناء زيارة ولي العهد لبكين عام (٢٠١٩م) ، كان ضمن برنامج (جسور إلى سيؤول) . (٢) شارك في مجال التصوير، وعرض بعض مقتنياته من الصور في مهرجان الجنادرية الوطني لمدة خمسة مواسم متفرقة (٣) شارك في العديد من الكتب ، والمطبوعات والصحف المحلية المختلفة مثل كتاب (تنومة رحلة بصرية) . وكتاب (بني شهر همم وقمم) . وكتاب (النماص موطن النمر العربي) . (٤) شارك أيضاً في برامج التنشيط السياحي في محافظتي تنومة والنماص ولعدة مواسم . كما حصل على جائزة الأمير سلطان بن سلمان للمصورين الرواد عام (٢٠١٧م) . أرجو من الأستاذ عبدالله أن يتعاون مع بعض الباحثين الجادين لنشر ما عنده من ثروة علمية مادتها الرئيسية الصورة الفوتوغرافية . (ابن جريس) .

وجـل ، ثـم بفضل إخوة وأبنـاء أكارم ساهموا معي في تحقيق هذا المشـروع . والأستاذ عبدالسلام في مقدمة هؤلاء الأعلام النبلاء [1] . (فجزاهم الله عني كل خير) .

وفي الختـام ، أسـأل الله عز وجل ، أن يخلص لنا جميـع أعمالنا وأقوالنا ، ويجعلنا مـن الذين يقولون القول فيتبعون أحسنــه ، وأن لا يحرمنا الأجر والثواب ، وأن يسخرنا لـكل عمل مفيد وصالح لنـا في الدنيا والآخرة . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين . (١٤٤٣/٥/١هـ الموافق ٢٠٢١/١٢/٥م) .

---

(١) الأستـاذ عبدالسـلام بـن عثمـان العمـري مـن مواليـد قريـة ذات العلـب في بـلاد عمـرو الشـام عـام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) . تلقـى تعليمـه العـام في منطقـة عسـير ، حصل على درجـة البكالوريوس في علم الحاسبـات، تحليـل النظم من جامعـة الملك عبدالعزيز عـام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) . حصـل على عدد من الـدورات مثل: الأمن السيبراني ، المهارات الاستقصائية للمعلـم ، التعليم الإلكتروني ، مهارات تدريسية، مناهـج الحاسب المطورة ، التحول الرقمي والتطبيقـات الحسابية ، تقنيات التعليم ، الاختبارات الدولية ، دمـج التقنية بالتعليـم ، أدوات القياس والتقويم ، الذكاءات المتعددة ، التخطيـط الاستراتيجي، كما عمل أمينا للجنة الخطة التشغيلية المدرسية ، ومنسق الجودة والأداء المدرسي ، ورائد النشاط الطلابي ، وعضو لجنـة الاختبـارات ومنسق الإعلام المدرسي . وهـو عضو في المنصة الوطنية للعمـل التطوعي . شارك في عـدد من المؤتمرات واللقاءات مثل: (١) برنامـج خدمة المجتمع عام (٢٠١٦م) . (٢) مؤتمر (STEM)) في مدينـة أبها عـام (٢٠١٧م) . (٣) مؤتمر تطوير مناهج الحاسـب الآلي في مدينة أبها عام (٢٠١٨م). (٤) ملتقـى الإشـراف التربـوي عام (٢٠١٩م) . ومـن إنجازاته ما يلي : (أ) تصميـم ثم الإشراف على موقع الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس . (ب) إجراء تحليل مناهج مادة الحاسب لمرحلة الثانوية عام (٢٠٠٩م) . (ج) منسق قسم الحاسب بتعليم النماص للقطاع الشمالي لمدة خمس سنوات . (د) حقق المركز الأول في أولمبياد الحاسب الآلي على مستوى تعليم النماص عام (٢٠١٧م) . (هـ) حقق المركز الأول في أولمبيـاد الحاسب وتطبيقات الجـوال على مستوى وزارة التعليم عـام (٢٠١٧م) .والأستاذ عبدالسلام على قدر كبير من الدماثة ، ولطف المعشر، وحسن الخلق . (ابن جريس) .

ثانياً : محافظة تنومة :

بلاد تنومة معروفة ومذكورة في بعض المصادر التاريخية منذ عصور ما قبل الإسلام ، وورد ذكرها في بعض مصادر التراث الإسلامي المبكر والوسيط [١] . أما في العصر الحديث والمعاصر فلها تاريخ واسع في الوثائق والمخطوطات والمراجع المطبوعة والمنشورة[٢] .

في هذا البحث لن أسهب في الحديث أو النقل من المصادر والمراجع المطبوعة والمنشورة عن محافظة تنومة ، ومن أراد الرجوع إلى ما كتب عنها ووثق فإنه سيجد بغيته ضمن محتويات المكتبة العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها[٣] . وإنما حديثي يتركز على محافظة تنومة في بدايات عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، وقد أدون في الحواشي بعض الشروح والتفصيلات التي تخدم مادة هذه الرحلة .

١ـ جغرافية تنومة وسكانها :

(*) شذرات من الجغرافيا :

تقع محافظة تنومة في شمال منطقة عسير[٤] ، لها سروات وبواد ، ومنحدرات سروية تهامية . ويحدها من الجنوب سروات مركز بللسمر ، والشمال الظهَارة وأجزاء من بلاد

---

(١) هناك مصادر أجنبية قديمة وحديثة ذكرت بلاد السراة ، ومن ضمنها أوطان تنومة وما جاورها . ومثل هذه المصادر جديرة بالجمع والترجمة ثم الطباعة والنشر . أما الآثار المدفونة والسطحية القديمة في أراضي تنومة وغيرها من بلاد السراة وتهامة فهي من المصادر القديمة والمهمة التي تحتوي على شيء من تاريخ وحضارة بلادنا وبخاصة السروات الممتدة من الطائف إلى صعدة ونجران . والمصادر الإسلامية المبكرة والوسيطة لا تخلو من إشارات متفرقة عن بلدان السروات ، وتنومة واحدة منها .

(٢) من يبحث عن تاريخ وحضارة أرض وسكان بلاد تنومة في العصر الحديث والمعاصر فإنه يجد الكثير من الوثائق العربية والأجنبية غير المنشورة وفيها تفصيلات عن جوانب عديدة لإقليم عسير بمفهومه الواسع، ولتنومة ذكر جيد في هذه المصادر والمراجع .

(٣) هناك عشرات البحوث والدراسات المنشورة وغير المنشورة التي صدرت خلال الخمسين عاماً الماضية ، ولبلاد تنومية ذكر فيها ، ويتفاوت هذا الذكر من دراسة لأخرى . كما أن هناك بعض الدراسات الأجنبية التي لا تخلو من إشارات متفرقة ومتفاوتة لأرض وسكان محافظة تنومة. والدكتور صالح أبوعراد أصدر مؤخراً دراسة بعنوان : تنومة زهراء السروات (دراسة جغرافية حضارية) (١٤٤١هـ/٢٠٢١م) أورد فيها أسماء الكثير من المصادر والمراجع التي حفظت شيئاً من تاريخ وحضارة محافظة تنومة ، وجل مادة الكتاب تدور في فلك التاريخ الحديث والمعاصر .

(٤) بلدة تنومة قديمة في تاريخها واستيطانها البشري ، كانت القبائل العربية التي تسكنها منذ القدم تدير شؤونها الإدارية والحضارية ، كما اتصل شيوخ تلك القبائل ببعض القوى السياسية التي ظهرت في الحجاز أو عسير خلال العصر الحديث . لكن منذ مجيء الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل وتأسيس المملكة العربية السعودية صارت هذه الناحية جزء من دولة ابن سعود ، وتأسست فيها بعض المؤسسات الإدارية من بداية الثمانينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ثم صارت مركزاً إدارياً في العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وفي منتصف الثلاثينيات أصبحت إحدى محافظات منطقة عسير.

العوامـر التابعة لمحافظـة النماص، ومن الشرق أجزاء من محافظـة بيشة ، ومن الغرب أجـزاء من محافظتـي المجاردة وبارق [١]. وأطوالها من الشمـال إلى الجنوب تتراوح بين (١٧ـ٢٠كـم) . ومـن الشرق إلى الغرب حـوالي (٧٠ - ٧٥كـم) . ومساحتها تتراوح بين (١١٩٠-١٥٠٠كم٢) [٢]. وترتفع أراضي المحافظة عن سطح البحر بين (٢٠٠٠ - ٢٥٠٠م) ، وربما زادت عن ذلك عند قمم جبالها العالية والكبيرة[٣].

" والناظر في محافظة تنومة وكثافة مستوطناتها البشرية يجدها في سهل منبسط يمتـد من الجنـوب إلى الشمـال[٤]. وتحيط بها الجبـال من كل النواحـي وبخاصة من الجهتـين الشرقيـة والغربية . وهناك تضاريسـ أخرى مختلفـة للمحافظة ممثلة فيما يعـرف بـ (الأشعـاف ، ومفردها شعـف) [٥]. والأصـدار ، وهـي منحـدرات السروات الغربية[٦] ، والأجزاء البدوية الممتدة إلى مركز منصبة شرق المحافظة [٧]. والغالب على

---

(١) يحيط بمحافظة تنومة محافظات عديدة ، وجميعها تتبع إمارة منطقة عسير . ويتضح موقع هذه المحافظة الاستراتيجي ، وصلاتها الحضارية مع بلدان ومحافظات مهمة ورئيسية في المنطقة . المصدر : مشاهدات الباحث ، فهو يتجول في ربوع هذه المحافظات منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٢) اطلعت على مراجع عديدة تحدثت عن مساحة المحافظة ، فلم تكن ثابتة على رقم محدد ، وإنما تراوحت الروايات في هـذا الجانـب من (١١٠٠ـ ٢٠٠٠كم٢) ، وقد قسـت طولها من الشمال إلى الجنـوب فكانت كما ذكرت أعلاه حسب نقطة البداية والنهاية من أطراف الحد الجنوبي إلى نهاية المحافظة في الأطراف الشمالية .

(٣) هـذا التبايـن في ارتفاعها عن سطح البحـر يخضع لمستوى الارتفاع علـى أرض تنومـة ، فالأراضي السهلية والمنبسطـة في المحافظـة أو الأجزاء الشرقيـة تختلف عن المرتفعات وقمم الجبـال العالية المتناثرة في عموم المحافظـة . فمثلاً قمة جبـل منعاء يختلف عن مستوى وسط المدينة أو في بعضـ أغوارها الشرقية والغربية. وهذا المقياس تقريبي وقد يأتي باحث آخر فيخالفني الرأي ، ويكون لديه أسباب ومبررات أخرى .

(٤) يعـرف هـذا السهل عند السكان المحليين بـ (وسط تنومـة) أو (سهل تنومة) ، أو (مدينة تنومة) . هذا ما سمعته من أكثر من شخص أثناء تجوالي في ربوع المحافظة يوم الإثنين (١٤٤٣/٢/٦هـ) .

(٥) الأشعـاف تمتـد من الشمال إلى الجنوب ، ومما أخبرني به بعض التنوميـين شعف آل سودة ، وشعف آل معافا ، وشعف آل صِفوان ، وربما هناك أشعاف أخرى عديدة لم يذكروها لي ، لكن الذاهب على رؤوس الجبال الغربية يلحظ بلدانا وقرى عديدة متفاوتة في كثافة سكانها ومواردها الطبيعية ، وجميعها ضمن منطقة الأشعاف .

(٦) إن الذاهب من سروات الطائف إلى ظهران الجنوب يجد سفوح السروات الغربية يطلق عليها اسم (الأصدار) ، وسكان هذه النواحي عادة فروع من القبائل السروية الممتدة من بلاد وادعة وقحطانٍ إلى الطائف ، وهي مرتادة مـن قبلهم أثناء رعـي مواشيهم ، أو جمع الحطب، أو ممارسة مهنة الصيـد . وغالبا يكون في هذه الأصدار حلل صغـيرة ، أو تجمعـات وبيـوت سكنية مخدومة ينزل السرويـون إليها في مواسم الشتاء للـدفء ورعي مواشيهم . وقـد شاهـدت الكثير من هذه الحلل التابعة لبعض القبائل في محافظتي تنومة والنماص ، ولها مسميات ، ومازال بعضها قائما حتى الآن ، لكنها لم تعد مستخدمة كما كانت في السابق . حبذا أن نرى باحثا جادا يدرس تاريخ هذه الحلل ، أو (الحلال) التي كانت مستخدمة بكثرة حتى بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) .

(٧) منصبـة موطـن بعض قبائل بني أثلة ، ويذكر أنها من أوائل النواحي التي جاءت إليها السيارات عن طريق بيشـة حتى وصلت سروات تنومة في بداية السبعينيات من القـرن (١٤هـ/٢٠م) . ومنصبة المركز الوحيد التابـع لمحافظة تنومـة ويصب فيها عدد من الأودية مثل: وادي الدم الأبيض ، ووادي الدم الأحمر اللذان ينبعـان مـن سروات تنومةٍ وبللسمر . ووادي الصحن وثار من مرتفعـاتٍ بللسمر . وتقع منصبة على وادي بيشـة ، ومساحتها تقريبا (٣كـم ×٢،٥كم) ، وعدد سكانها حاليا تقريبا (٢٠٠٠ ـــ ٥٠٠٠) نسمة . وفيها

تضاريس تنومة تعدد جبالها وتنوعها . فالمدينة محاطة بالكثير من الجبال والهضاب المتفاوتة في ارتفاعاتها ، ومساحاتها ، ومواردها الطبيعية . ولا تخلو أجزاء المحافظة الغربية والشرقية. من جبال ومرتفعات أخرى[١] . ومن أهم الجبال في هذه المحافظة وبخاصة القريبة من الحاضرة ، ما سوف نوثقه في الصفحات الآتية :

أ- جبال منعاء :

ربما سميت بهذا الاسم لارتفاعها وصعوبة تضاريسها ، فهي جبال شاهقة شرق سهل حاضرة تنومة ، وتمتد من الجنوب إلى الشمال ، وربما ارتفاعها عن سطح البحر يزيد عن (٢٥٠٠م) وهي جبال متقاودة ومتباينة في حزونها وتضاريسها ، ويغلب عليها اسم (منعاء) وتبدو للمشاهد جبال عديدة . وفي قمتها العديد من القرى[٢] . التي يسكنها الكثير من السكان، ويمارسون مهنة الزراعة ، والصيد ، وبعض الحرف الاقتصادية الأخرى[٣] . ويذكر بعض سكان هذه القرى أن آباءهم وأجدادهم كانوا يعانون من صعوبة التضاريس لممارسة حياتهم المعيشية ، وبخاصة إذا رغبوا النزول إلى سهول تنومة وجلب ما يحتاجونه لاستمرار حياتهم المعيشية [٤] .

إدارة المركز في عمارة مستأجرة تتبع للمحافظة ، ومستوصف ، ومركز خدمات للبلدية ، وجميع أبنيتها مستأجرة . وجميع مدارس التعليم العام للبنات والبنين من المرحلة الابتدائية إلى الثانوية ، وجميع المدارس أبنية حكومية تتراوح أدوارها من دور واحد إلى ثلاثة . لم أذهب إليها في رحلتي الحالية لكن هذا ما أخبرني به الأستاذان عبدالله الطنيني الشهري وهاجد بن مروان الشهري يوم الجمعة (١٤٤٣/٢/١٠هـ) .

(١) من الصعب حصر كل الجبال والهضاب الموجودة في محافظة تنومة من أطرافها الغربية إلى نواحيها الشرقية في بلاد منصبة ، فذلك موضوع يحتاج أن يبسط في عشرات الصفحات . بل جبال السروات من الطائف إلى نجران تحتاج أن تدرس وتوثق في عدد من المجلدات ، آمل أن نرى كليات وأقسام وأساتذة الجامعات المحلية يقومون على خدمة هذا الموضوع وتوثيقه بالشرح والصورة .

(٢) وجدت من أسماء القرى في أعالي جبال تنومة قرى آل سيارة ، وعتمة ، وآل رزيق وغيرها . والغريب أنني وجدت سكان قرية آل رزيق القاطنين في هذا الجبل هم أساساً من قرية والدي (آل رزيق) التي تقع في وادي رديحة شمال مدينة النماص ، وذكر لي بعض أفراد هذه القرية أن أجدادهم نزحوا من قريتهم الأصل منذ قرنين تقريباً واستقروا مع غيرهم في رأس جبال منعاء ، وهم وغيرهم يمتلكون الكثير من الأراضي والدور والعقارات حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢٠م) .

(٣) سبق أن زرت قمم جبال منعاء قبل عشرين عاماً ثم زرتها في زمن هذه الرحلة المدونة في هذه الورقات ورأيت بيوت السكان القديمة مبنية بالحجر والطين ، وبعضها يرتفع إلى أكثر من طابق ، وعندهم الكثير من الأراضي الزراعية العثرية والمسقوية ، ويوجد في بلادهم آباراً عديدة منقورة بعضها في الصخور . وتلك البيوت الحجرية صار بعضها مهجوراً ، وأحياناً مستخدمة بشكل بسيط ، وأصبحت المنازل المسلحة بالأسمنت والحديد هي المستخدمة حالياً وأدوارها تتراوح من طابق إلى ثلاثة طوابق ، ولأغلب البيوت الحديثة مرافق وأحواش ، وجميعها مخدومة بالكهرباء ، ودورات المياه ، ووصول المياه إليها عن طريق مكائن على الآبار القريبة من أماكن الاستيطان . وقد شاهدت مثل حياة هؤلاء الناس في بعض مرتفعات عسير الأخرى ، وجازان ، والباحة . ومثل هذه الأماكن الاستيطانية جديرة أن يدرس تاريخها عبر عصور التاريخ .

(٤) نشاهد اليوم طريقاً سهلاً ومسفلتاً بعرض (١٢-١٥م) تقريباً ، يصعد من جنوب جبال منعا إلى القمة ثم يعود

ب ـ جبل عكران :

هـذا الجبل جزء من سلسلة جبال منعـاء ، والكثير من الناس يطلق عليه اسم (منعاء) وهو مجاور لبلاد منعاء من الجهة الشمالية ، ومتصل مع بعضها ٠ وآخرونٍ يذكرونه باسمه (عكـران) ، ولا يعدونـه جـزء من جبال منعـاء[١] . وارتفاعه يزيد قليـلاً عن ارتفاع جبل منعا، السابق ذكره . وهو أشد وعورة من سابقه ، وخالياً من الاستيطان البشري.

ج ـ جبلا لنبش وغلامة :

كلاهما يقعان شمال محافظة تنومة ، وهما متجاوران ، فغلامة إلى الشمال، ويجاوره مـن الجنوب جبل لنبش[٢] ، وارتفاعهما يزيدان عـن (٢٥٠٠م) . ويأتي عند سفوحهما مـن الجنوب والغـرب بعض قرى محافظة تنومـة، وأعاليهما والأجـزاء المرتفعة منهما خالية من الاستيطان البشري ، ولا يوجد فيهما طرق للسيارة لصعوبة تضاريسهما [٣] .

د ـ جبال قريش :

جبال عديدة مترابطة في الجهة الجنوبية من محافظة تنومة ، وهي مأهولة بالسكان، ففيها العديد من القرى القديمة والحديثة ، وغنية بأراضيها الزراعية ، ومياهها الجوفية العذبـة . ويصـل بينها وبين الطريق العام طريق مسفلت بعرض عشرة أمتار تقريباً . ولا تخلو أرضها من نباتات وأشجار متنوعة ومتباينة في أحجامها وأشكالها [٤] .

هـ ـ جبال بعطان ، وعبدالله ، وعيسى وآل سودة وغيرها :

إن الذاهـب في مناكب محافظة تنومة الغربيـة يلحظ العديد من الجبال الصغيرة والكبيرة ، المتفاوتة في أشكالها وغطائها النباتي . وهذه الجبال المذكورة أعلاه وغيرها تقع في الناحية الغربية الممتدة من وسط مدينة تنومة إلى شمال المحافظة . وهي تتفاوت في ارتفاعهـا ، ومعظمها مأهول بالسكان ، وتعد بعض أجزائها وما يحيط بها من أجمل

من الجهة الشمالية حتى ينزل المنطقة المركزية في مدينة تنومة . وهذا الطريق سهل الكثير من الأمور المعيشية لخدمة وتنمية جميع القرى والسكان الذين يستوطنون فيها . وأثناء تجوالي في بعض القرى والأجزاء من قمة الجبـل رأيت سكان هذه الناحيـة يعيشون حياة سهلة وينعمون بجميع مميزات الحياة الحضرية الحديثة التي يعيشهـا سـكان المدينة والقـرى في السهول التنومية . وتاريـخ التطور والتنمية الذي تمر بـه جميع بلاد تهامة والسراة منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) موضوع جديد يستحق أن يوثق في عشرات البحوث العلمية .

(١) التصـاق الجبـال ببعضها ، ثـم تشابه ألوانهـا ، ومكوناتها هي التـي جعلت أكثر الناس يطلـق عليها اسم (منعاء) دون تفريق ٠

(٢) ليـس هـذان الجبلان بعيدين في تقاربهمـا وتلاصقهما عما شاهدناه وذكرناه عـن جبلي منعاء وعكران ٠ والغالـب على بعض جبـال تنومة الشرقية الكبيرة ترابطها مع بعضها وتلاصقهـا وتشابهها في التضاريس ومواردها الطبيعية ٠

(٣) مشاهدات الباحث يومي الإثنين والثلاثاء (٦ـ ٧ /٢/١٤٤٣هـ) ٠

(٤) المصدر نفسه ٠

بلاد تنومة لوفرة أشجارها وتنوعها [١].

و ـ جبلا عبدا أو (العابد) وَمُومة :

الأول صغير أو متوسط الارتفاع وسط مدينة تنومة وقريباً من الخط العام الذي يربط أبها مع الطائف . وقد يصل ارتفاعه إلى (١٥٠٠ــ ١٨٠٠م) عن سطح البحر ، ويذكر أنه كان أحد المحطات الرئيسية للمسافرين والحجاج والتجار . وربما سمي عبداً أو (العابد) لأنه كان محطة للحجاج اليمنيين الذين كانوا ينزلون فيه حتى يتزودون من سوق السبت الأسبوعي بما يحتاجونه من زاد وأعلاف لبهائمهم أثناء ذهابهم أو عودتهم من رحلة الحج[٢].

أما جبل مومة فيقع في الناحية الشمالية الغربية من محافظة تنومة ، وارتفاعه يزيد عن (٢٧٠٠م) ، ويوجد فيه بعض المستوطنات البشرية ، وفيه العديد من القرى المليئة بالمنازل القديمة والحديثة ، وكذلك الأراضي الزراعية، ويطل على منطقة الأصدار من الناحية الغربية وعلى بعض أودية وأراضي تنومة من الشرق . ويصل هذا الجبل وما حوله طريق مسفلت متفرع من الطريق العام بمسافة تقدر بأربعة أو خمسة كيلومترات[٣]. وهذه الجبال تتصل ببعض الجبال الشمالية المعروفة باسم (جبال شري) التابعة لمحافظة النماص .

أما الأودية التي شاهدتها وسمعت عنها في محافظة تنومة ، فهي على النحو الآتي :

١ـ وادي تريس أو (ترجس)[٤].

من كبار الأودية في محافظة تنومة، يقع في الناحية الجنوبية الشرقية من أرض المحافظة، تأتي منابعه من سروات تنومة الجنوبية ، ويسير شرقاً ، وترفده عدد من الأودية

---

(١) عند تجوالي في حاضرة تنومة ومقابلتي بعض أعلامها ذكروا لي الكثير من المعالم الجغرافية وبخاصة الجبال ، ولم أستطع أن أدون كل ما سمعته من أسماء الجبال أو الأعلام الجغرافية الأخرى ، لكنني أقول إن محافظة تنومة وبخاصة الحاضرة مليئة بالجبال التي لها ذكر ولا تخلو من أحداث تاريخية وحضارية، وهي جديرة أن تدرس في كتاب أو بحث علمي .

(٢) كان هناك طريق مسلوك من اليمن وبلاد عسير عبر أعالي السروات حتى الحجاز ، والمسافرون والحجاج اليمنيون كانوا كثيراً ما يسلكون هذا الطريق ، حتى إن بعض أجزاء هذا الطريق من بلاد قحطان إلى الطائف يطلق عليها طريق (العصبة) نسبة إلى اليمنيين العصبة الذين كانوا يرتادونه . وتاريخ طريق العصبة موضوع جديد يستحق أن يدرس ويوثق في كتاب أو رسالة .

(٣) منذ صغري كنت أسمع ذكر جبل مومة ، حتى أن الإنسان في بلادنا آنذاك إذا أراد أن يدعو على أحد يقوله له " رجموا بك في مومة " ، أو (خذوه ياهل مومة) وأحياناً يقولون (حرفة) بدلاً من مصطلح (مومة) وذلك اعتقاداً أنها من مواطن الجن . وهذه من الخرافات التي كانت تصدر من بعض العامة ويعتقدون فيها .

(٤) اسم الوادي ترجس ، لكن في اللغة المحلية يقلبون الجيم ياء فيطلق عليه اسم (تريس) . ودراسة لهجات سروات بلاد الحجر من الموضوعات الجديدة في بابها وتستحق أن تدرس في كتاب أو بحث علمي مطول .

المحلية الأخرى حتى يصب في وادي الجوف ثم وادي ترج الذي يصب في وادي بيشة[١] .

٢ـ واديا تنومة والمطَّعن :

وادي تنومــة ، يطلق الاسم على حاضرة تنومــة ، ويسير من وسط مدينة تنومة نحو الجنــوب والجنوب الشرقي ، ويرفده بعض الأودية المحلية الصغيرة حتى يصب في وادي ترجس (تريس) . ويوجد على جانبيه الكثير من الأراضي الزراعية العثرية والمسقوية[٢] .

ووادي المطَّعــن من الأودية التنومية الكبــيرة يبدأ من غرب جبال منعاء ، ويسير شمالاً ، ويلتقي مع وادي تنومة في مصب واحد ، والواديان من روافد وادي ترجس الذي يصب في وادي ترج . وهو في مستوى وادي تنومة من حيث الاستيطان البشري وغناه بالمزروعات المختلفة .

٣ـ أودية الغر ، ومليح ، وبني لام ، وقنطان :

جميعهــا شمــال محافظة تنومــة ، فمنابــع وادي الغر تأتي من بعض بــلاد العوامرٍ التابعة لمحافظة النماص ، وتحديداً من مرتفعات عقبة القامة وجبال لنبش ويتجه شرقاً مــع غــيره من الأودية حتى يصب في وادي ترج . كان هذا الوادي غزير المياه ، والأشجار الطبيعية والمثمرة ، بالإضافة إلى غنى أراضيه الزراعية بالعديد من المحاصيل[٣] . وادي مليح يقع إلى الجنوب من وادي الغر ، ويلتقي معه وغيره من أودية عقبة القامة ، وتسير شرقــاً حتــى تصب في ترج . وهــذا الوادي لا يخلو أيضاً من أشجــار متنوعة ومزروعات مختلفة ، لكنه ليس في مستوى وادي الغر من حيث غزارة المياه وكثافة الغطاء النباتي ٠ أما وادي بني لام ، فاسمه جاء من اسم سكان الوادي ، وتأتي منابعه من سروات شعف

---

(١) هنــاك الكثـير من التفصيلات عــن وادي بيشة قديماً وحديثــاً . ووادي ترج الرئيسي الــذي تعتبر أراضيه اليــوم جــزء من محافظة بيشة مذكور في الكثير من المصادر والمراجع المتقدمة والمتأخرة . وكثير من أودية ســروات بنــي شهر تصب في وادي ترج . وقد قمت برحلة في أجزاء مــن منطقة عسيرٍ في الفترة من (١٠ـ ١٣/١٢/١٤٤١هــ) ووصلت في تلك الجولــة إلى وادي ترج الرئيسي ، ودونت شيئــاً من جغرافيته وتاريخه وحضارته . وهذا الوادي مازال يستحق أن يفرد له دراسة مطولة يدون فيها أهميته التاريخية والجغرافية والحضارية . آمل من جامعة بيشة وكلياتها وأقسامها النظرية وبخاصة قسمي التاريخ والجغرافيا أن تلتفت لدراسة هذا الوادي الشهير . انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب . (١٤٤٢هـ/٢٠١٩م) ج٢١، ص ٣٩١ وما بعدها ٠

(٢) عرفت هذا الوادي منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، عندما كنا نذهب في رحلات مدرسية من النماص إلى شــلال الدهنــاء . كمــا رأيت كثرة الأراضــي الزراعية والمزروعــات المختلفة على ضفافــه عندما كنت أجتــاز بلاد تنومة ذهاباً وإياباً أيام دراسة البكالوريوســ في كلية التربية في أبها (١٣٩٦ـ ١٤٠٠هـ/١٩٧٦ـ ١٩٨٠م). والمشاهــد لهــذا الوادي اليوم (١٤٤٣هــ/٢٠٢١م) يجد الزراعة تراجعت فيــه كثيراً ، وتحولت الكثير من أراضيه إلى مخططات عمرانية ومستوطنات بشرية ٠

(٣) شاهدت جمال هذا الوادي وغزارة مياه وتنوع أشجاره ومزروعات منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى عشرينيــات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) . واليوم تراجعت الحياة الزراعية فيه ، ولحق غطاءه النباتي الكثير من التلف والتراجع .

آل سودة ، ويقع إلى الجنوب من وادي مليح ، ويسير شمالاً حتى يلتقي مع واديي الغر ومليح . ووادي قنطان يقع في الناحية الشمالية الغربية من محافظة تنومة ومن وادي الغر ، ويسير شرقاً حتى يلتقي بالأودية الثلاثة السابقة التي تصب جميعها في وادي ترج[١]. وهناك أودية أخرى عديدة في حاضرة تنومة وبواديها مثل: وادي عثربين ، ووادي سعدين ، ووادي القذال، ووادي المركبة ، ووادي العوصاء ، ووادي الحصون ، ووادي الدهناء ، ووادي الدم الأبيض والأحمر في بادية تنومة وغيرها وجميعها تتجه شرقاً حتى تصب في وادي ترج ثم وادي بيشة[٢].

٤ـ أودية ساقين ، والدُغنة ، وأوال :

جميع هذه الأودية غرب محافظة تنومة ، ومنابعها تأتي من أعالي السروات أو منطقة الأصدار وتتجه غرباً حتى تصب في وادي بقرة (وادي الخير حالياً) . وهذه الأودية مأهولة بالسكان الذين كانوا ومازال بعضهم يمارس مهنتي الزراعة والرعي . وهي تتفاوت في مساحاتها وإمكاناتها الطبيعية [٣].

تعد محافظة تنومة من أغنى السروات في تنوع نباتاتها وغاباتها. ومن خلال جولاتي في أرجائها منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم رحلتي هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) في بعض مناكبها ، ومقابلتي بعض أعلامها ، وجدت أنها مليئة بالنباتات والأشجار المتفاوتة في أشكالها ، وفوائدها ، وأنواعها . وقد قابلت الأستاذ عبدالله بن علي الطنيني الشهري ، أحد شعراء تنومة وأعلامها[٤]. وسألته عن بعض النباتات في سروات وبوادي وتهامة المحافظة ، فزودني بقائمة طويلة تحتوي على الكثير من أسماء النبات في محافظة تنومة وما جاورها من بلاد تهامة والسراة[٥]. وللفائدة

---

(١) لم أفصل الحديث عن طبيعة هذه الأودية المذكورة أعلاه ، ولا الأحداث التاريخية التي جرت على أرضها خلال العصر الحديث . وهي جديرة أن تدرس تاريخياً وجغرافياً دراسة مستفيضة .

(٢) لا أقول إن حديثي شمل جميع الأودية السروية والشرقية لتنومة ، لكنني ذكرت معظمها وأكبرها . وتاريخ الأودية في بلاد السراة من الطائف إلى نجران تستحق أن تدرس في عدد من الكتب العلمية . مع أن هناك بحوث ورسائل علمية تحوي الكثير من التفصيلات عن الأودية الكبيرة في هذه البلاد المتجه إلى الشرق والغرب .

(٣) تجولت خلال الأربعين عاماً الماضية في عموم الأجزاء التهامية والسروية ، ووجدت منطقة الأصدار (سفوح السروات الغربية) ، والبلدان التي تقع عند أسافل السروات الغربية من أقل الأوطان التي لها ذكر في الدراسات القديمة والحديثة . مع أنها مكتظة بالسكان وفيها الكثير من المقومات الطبيعية الجيدة ، لكن انزواء هذه البلاد وانعزالها من أهم الأسباب التي جعلت التوثيق عنها نادراً أو فقيراً .

(٤) عبدالله الطنيني من مواليد تنومة بني شهر عام (١٣٦٨هـ/١٩٤٨م) . عمل في مهنة التدريس سنوات طويلة ، عضو في عدد من الجمعيات واللجان الأهلية ، يمارس حالياً العديد من أعماله الخاصة . من شعراء سروات بني شهر في المناسبات والاحتفالات الاجتماعية، وله عدد من الدواوين الشعرية في الشعر الشعبي ، بعضها مطبوع ومنشور ، وأخرى مازالت مخطوطة .

(٥) بلاد السروات والأصدار الممتدة من الطائف إلى جبال اليمن وجازان وسرواتها مليئة بالأشجار والنباتات

رأيت إدراجها في هذه الدراسة [(١)]. وقد قسمها على النحو الآتي :

١ـ الأشجار البرية المعمرة :

(١) العرعـر . (٢) السـدر. (٣) الطلـح ويعـرف محليـاً باسم (الشـوك). (٤) الضهيـان .(٥) القرض. (٦) السمـر. (٧) القتـاد .(٨) الغـرب. (٩) العتم. (١٠) الكثـى (الكثـاء). (١١) الضرو.(١٢) النشـم. (١٣) القُسَّيـا. (١٤) الرقّاع. (١٥) الشبـارق .(١٦) التنعمان. (١٧) الزرح . (١٨) الصرة. (١٩) الغرف. (٢٠) الغرب. (٢١) الغبريـة . (٢٢) القاعـة . (٢٣) العرج .(عرج القـرود) . (٢٤) الثعابة. (٢٥) الأبراة (البرا) . (٢٦) القطف. (٢٧) التألب .(٢٨) اللبخ .(٢٩) الرديف (الأراك). (٣٠) العفار. (٣١) القفلة. (٣٢) الشاف.(٣٣) السيال. (٣٤) الأثب .(٣٥) التلهاد . (٣٦) الشدن . (٣٧) الأثبير. (٣٨) العصار[(٢)].

٢ـ بعض النباتات الصغيرة البرية والمزروعة :

(١) العرقـة، والمسـك (نبـات عطـري بـري) . (٢) الخـروع. (٣) الحبطـة. (٤) الخـردل. (٥) الخُرّيطـا . (٦) السعـد. (٧) القطبـة . (٨) الربلـة . (٩) الصفـاري . (١٠) الأيليـف . (١١) العندبـة . (١٢) البرسيـم (القضـب) . (١٣) الحلبـة. (١٤) الشـبرم . (١٥) الشخصـة . (١٦) الحل. (١٧) بعضـ النباتـات العطرية مثل: الـبرك ، والريحـان، والبردقوش، والحبـق ، والنعناع ، والمرمية ، والضيمران ، وإكليل الجبل [(٣)].

المتنوعـة . ونجـد أبا حنيفة الدينـوري من أهل القرن الثالث الهجـري (التاسع الميـلادي) دون مصدراً مهماً بعنـوان (كتـاب النبـات) يقع في عدة مجلـدات بعضها وصلتنا والبعض الآخر مازالت مفقـودة . ومن خلال الاطلاع على الأجزاء التي نشرت نجد أن معظم النباتات المذكورة في هذا السفر موجودة في بلاد تهامة والسراة الواقعـة بـين حواضر اليمن والحجاز ، ومـازال معظمها معروفا حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). آمل من كليات وأقسام جامعاتنا المحلية أن تدعم دراسة النباتات في هذه البلاد مع توثيق أسمائها ومصطلحاتها العلمية ٠

(١) تم إدراج أسمـاء النباتـات والأشجـار فقط ، مـع أن كل نبات يحتاج إلى وصف مع ذكـر فوائده وأضراره ، وأماكـن وجـوده ، والأستاذ الطنيني ذكر أنه يعمل على بعضـ التعريفات لهذه الأشجار . لكنها بحاجة إلى دراسـة علميـة تحليليـة تفصيلية وعميقة . أرجو أن نـرى من أساتذة جامعة الملك خالـد من يتولى ذلك ، وبخاصة أعضاء هيئة تدريس في كليات الصيدلة ، والطب ، وقسم علوم الحياة في كلية العلوم ٠

(٢) المصـدر: مذكـرة في عدة صفحـات من تدوين عبـد الله بن علي الطنينـي الشهري ، بـدون تاريخ ، توجد ضمـن أوراق مكتبة الباحث. وهذه نماذج من النباتات البرية المتناثرة في عموم السروات وبخاصة منطقة الأصـدار . ومـن خلال تجـوالي في محافظة تنومة وغيرها مـن محافظات السروات الممتـدة من أبها إلى الطائف ، رأيت بعض الأشجار المتسلقة على كثير من الأشجار المذكورة أعلاه. ومن تلك الأشجار المتسلقة: (١) الهـدال . (٢) العليقـا . (٣) المغـدة . (٤) العصبـة . (٥) الكتنـة وغيرها . وهـذه النباتات جديرة بالدراسة فيوثق وصف دقيق لها مع شرح أضرارها وفوائدها على الحياة النباتية وغيرها ٠

(٣) كنـا خلال العقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) نذهب للنزهة في بعض جبال وأودية تنومة فنجد هذه النباتات بكميات كبيرة. وعند جولتي في ربوع تنومة هذا العام (١٤٤٣هـ) ، وجدت الكثير منها انقرض ٠

٣ـ بعض الشجيرات :

(١) السعور. (الإستعـير) . (٢) الأركوض.(٣) العثرب. (٤)النيم .(٥) العبال. (٦) الشـث .(٧) الضرم. (٨) الطباق. (٩) العرفـج. (١٠) اللبينا. (١١) الحرباء . (١٢) اللصفة. (١٣) الحدق.(١٤) اليار (الجار) . (١٥) الثفنة (الثفلة) [(١)].

٤ـ الأشجار المثمرة ومزروعات أخرى :

(أ)الفرسـك (الفركسـ) . (ب) العنب . (ج) المشمشـ . (د) الخوخ . (هـ) الجوافة. (و) الكمثرى. (ز) التفاح . (ح) الرمان . (ط) الليمون . (ي) التين الشوكي (البرشومي) . (ك) التين (الحماط). (ل) البخارى[(٢)].

ومن المزروعات التـي يزرعها بعض التنوميين وغيرهم من السرويين في منطقة عسير. (١) الـبر. (الحنطـة ، أو القمـح) . (٢) الـذرة .(٣) الشعير. (٤) العدسـ (البلسن). (٥) الطماطـم. (٦)البازاليا . (٧) الفاصوليـا . (٨) الكرمب (الزهرة) .(٩) الملفوف. (١٠) الخيار. (١١) الكوسة . (١٢) الجزر .(١٣)البطاطس .(١٤) القثاء .(١٥) الدباء. (١٦) الفلفـل الحـار والبـارد . (١٧) البقدونسـ . (١٨) الكزبـرة. (١٩) الشبت . (٢٠) البصل . (٢١) الحبحب (البطيخ) . (٢٢) الخربز (الشمام) [(٣)] ٠

تتميـز تنومة بكثرة الغابات والمتنزهـات الطبيعية ، ومن أهمها : الأجزاء الشمالية والشماليـة الغربية من المحافظـة يوجد فيها عدد من الغابات مثـل غابات أودية قنطان ، وعومة ، والغر ، وعقبـة القامة ومعظم أشجارها العرعر ونباتات وشجيرات أخرى عديدة . وغابـات شعـف آل سـودة ، والوادي الذي يقـع شرق الطريق العام الممتـد من بلاد مليح

(١) هـذه الشجيرات مازالـت معروفة ، وكانت في الماضي موجودة بكثرة في عموم بـلاد تهامة والسراة ، وهذه الأسماء محلية ، فقد يكون لها أسماء أخرى في نواحي أخرى من الأراضي التهامية والسروية مع أن البيئة والطبيعـة الجغرافية واحـدة . وأقول إن جميع نباتـات جنوب المملكة العربية السعوديـة جديرة بدراسات علمية رصينة . أرجو من الأقسام العلمية في الجامعات المحلية أن تلتفت لمثل هذا الموضوع المهم.

(٢) بعضـ هذه الأشجار لم تكـن معروفة ومزروعة في العقود الأخيرة من القـرن (١٤هـ/٢٠م) ، وبدايات هذا القـرن (١٥هـ/٢٠م) ، لكنه تم استيرادها مؤخراً من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها وزرعت في الكثـير من بلدان السراة وتهامة ونجحـت زراعتها وفاضت ثمار بعضها حتى صـارت تصدر إلى الأسواق الأسبوعية واليومية في مناطق جنوب المملكة وغيرها ٠

(٣) جميع هذه المزروعات والخضروات تزرع في نواحي عديدة من محافظة تنومة ، وبعضها تصدر إلى أسواق عديدة في منطقة عسير مثل الطماطم ، والعنب ، والبطاطس ، وخضروات عديدة . ومن خلال تجوالي في عمـوم السروات وتهامة وجـدت أن هذه المزروعات تزرع في نواحي كثيرة من هـذه البلاد ، وربما تراجعت زراعة الحبوب مثل الشعير والذرة والقمح ، لكن باقي المزروعات الأخرى تزرع بكثرة ، وتصدر إلى كثير من الأسواق في جنوب البلاد السعودية وغيرها . المصدر : مشاهدات الباحث ورحلاته في بلاد تهامة والسراة منذ بدايات هذا القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ٠

شمـالاً حتـى أسافل سفوح جبال منعـاء الغربيـة . ولا تخلو أعالي جبال منعـاء من بعض الغابات والمتنزهات الجميلة . وفي غرب الطريق العام حتى الأشعاف يأتي عدد من الغابات الكثيفة، وهي من الجنوب إلى الشمال غابات آل بهيش ، والحيفة ، والقذال ونازلة وجميعها في جنـوب غرب المحافظة . وغابات الشرف، والمحفار، والأربوعة وبعض الأشعاف الأخرى ثم منحدرات جبال السروات الغربية وبخاصة في عقبتي برمة وساقين [(١)] .

ومناخ محافظة تنومة معتدل الحرارة في الصيف ، وأصبحت الحرارة مرتفعة في الأزمنة الأخيرة ، ربما بسبب كثرة السكان والمساكن ، وزيادة السيارات والآلات ، وارتفاع نسبة التلوث. أما في فصل الشتاء فهناك بعض البرودة ، لكنها ليست شديدة مقارنة بمحافظة النماص في الشمال وبلاد بللسمر وبللحمر في الجنوب . وربما انخفاض أرضٍ تنومة ، وإحاطتها بالجبال مـن الأسبـاب الرئيسيـة في عدم شدة البـرودة . ولا تخلو أحياناً مرتفعاتهـا الغربية من برد شديـد في فصـل الشتاء . كما يسـود المحافظة أحيانـا موجة ضباب وبخاصـة على الأجزاء الغربية وسهل تنومة ، أما الأجزاء الشرقية من المحافظة فنادراً يظهر فيها الضباب[(٢)] .

(*) لمحة عن التركيبة السكانية :

جميـع سكان المحافظة الرئيسين قبائل شهرية استوطنت أراضيها منذ زمن بعيد، ومعظـم القبائـل تنومية أثليـة وسلامانية، لهم شيـوخ ونواب يديرون شـؤون قبائلهم، ويكونون حلقة وصل بين عشائرهم ومؤسسات الدولة المختلفة[(٣)] .

وأثنـاء سيري في مناكب المحافظة وجدت القبائـل وأراضيها مازالت في مواطنها ، لكـن البلاد أصبحت وحدة واحـدة يسودها التقارب ، والترابط ، والتداخل ، والتشارك

---

(١) الحديـث عـن غابات محافظة تنومة يحتـاج إلى تفصيل في عشرات الصفحـات . والسائح في ربوع المحافظة يجدهـا من أجمل بقاع جنوب المملكة العربية السعوديـة مناخا وتضاريس وموارد طبيعية . عرفت هذه البلاد منـذ نهايـة القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وكانت آنذاك أجمل بكثير لوفـرة مياهها ومزارعهـا ونباتاتها وأشجارها المتنوعة . ومع التطور العمراني والحضاري الذي تمر به البلاد منذ أربعين عاما جرى التوسع في فتح الطرقات وبنـاء الكثـير من المشاريع العمرانية ، وهذا مما أثر سلباً على الغطاء النباتي . وأقول إن دراسة الحفاظ على الأشجار والنباتات موضوع مهم يجب أن تلتفت له بعض الأقسام والكليات العلمية في جامعاتنا المحلية .

(٢) عامـل الضباب من المؤثرات المناخية القوية التي تسود بعض بلاد السروات الممتدة من الطائف حتى أبها، وغالبـا في فترات من فصـول الصيف والخريف والشتـاء .ومناطق الباحة ، والنماص، وسروات بللسمر وبللحمر أكثر البلاد التي يظهر فيها الضباب ويخيم على أرضها لفترة أطول وبكثافة عالية .

(٣) أصبحت بلاد المملكة العربية السعودية، والحمد لله ، تخضع لمؤسسات إدارية حديثة مختلفة تشرف عليها الدولة، ومـن أعظـم مهماتها حفظ الأمن والاستقـرار في أنحاء البلاد . وذلك بخلاف أوضـاع البلاد في قرون ماضية ، حيـث كانت القبيلة هـي صاحبة الأمر والنهي في بلادها . وشيوخ القبائل وأعيانهـا آنذاك هم من يديرون شؤون بلادهـم وقبائلهـم في كل شيء . ومع هذا فالأمن لم يكن حاضرا ، والنزاعـات والحروب القبلية كانت السائدة . وبعد توحيد المملكة العربية السعودية تغير حال الناس إلى الأفضل ، وصارت الوحدة وتوفير الأمن والاستقرار هو ديدن الدولة وجميع مؤسساتها ومرافقها ، وقد حققت نجاحات كثيرة وكبيرة في شتى المجالات الحضارية .

في جميع مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والمعرفية والعلمية والتعليمية والإدارية وغيرها [١] . ولم تكن التركيبة السكانية محصورة في سكان القبائل التنومية فقط، وإنما يعيش على أرضها أفراد وجماعات سعودية وفدت إليها من بلدان عديدة في المملكة العربية السعودية ، وصاروا جميعهم من نسيج المجتمع التنومي ، ومنهم من يعمل في مجالات حكومية ورسمية ، وآخرون في قطاعات خاصة أهلية واستثمارية[٢] .

وغالبية الاندماج والانصهار السكاني الذي شاهدته في حاضرة تنومة الممتدة من حدود سدوان بللسمر جنوباً إلى عقبة القامة شمالاً. وإذا اتجهنا إلى بوادي تنومة في مركز منصبة وما حوله، أو سفوح السروات الغربية فإن معظم الناس في هذه الأجزاء الشرقية والغربية أهل البلاد الأصليون، أما الوافدون إلى بلادهم فقليل جداً[٣] .

كون محافظة تنومة من البلدان النشطة اقتصادياً وحضارياً ، وفيها الكثير من الأعمال والفرص المعيشية ، فقد استقدم إليها العديد من العناصر البشرية غير السعودية. وعند تنقلي في ربوعها السروية ، والتهامية ، والشرقية شاهدت الكثير من العناصر العربية الرجالية وبخاصة المصريين ، والسودانيين ، والسوريين ، والفلسطينيين ، واليمنيين ، وأحيانا من المغاربة . كما رأيت نسبة ليست قليلة من البنجاليين ، والهنود ، والباكستانيين ، والنيباليين وبعض الأفغان ، ولا تخلو المحافظة من أجناس إفريقية أخرى مثل الأحباش وغيرهم . وجميعهم يعملون في قطاعات ومهن متعددة[٤] .

---

(١) تاريخ الناس الحضاري المتمدن في محافظة تنومة اليوم جدير بالدراسة والتوثيق في عدد من البحوث العلمية .

(٢) هذا ما عرفته ورأيته فقد قابلت بعض موظفي الدولة في بعض الإدارات الحكومية في تنومة ومنهم من جاء من بلدان عديدة في المملكة العربية السعودية . كما وجدت الكثير من الأفراد والأسر الذين جاءوا إلى تنومة منذ سنوات بعيدة واستقروا فيها ، وملكوا الدور والعقارات ، وتزوجوا وصاهروا بعض الأسر التنومية، وصاروا من المجتمع التنومي الفعلي حتى وإن كان آباؤهم وأجدادهم من أوطان أخرى في تهامة والسراة ، أو من بلدان ونواحي متفرقة في المملكة العربية السعودية . وأقول إن دراسة التركيبة السكانية لمحافظة تنومة خلال الثلاثمائة سنة الماضية جديرة أن تدرس في هيئة كتاب أو رسالة عملية . آمل من مؤرخي محافظة تنومة أن يتولوا هذا الموضوع بالدراسة والتأصيل .

(٣) ربما انعزال هذه البلاد في القرون الماضية ، وصعوبة تضاريسها ، وقلة مواردها الاقتصادية من الأسباب التي جعلت الوافدين إلى تنومة لا يرتادونها ، وإنما فضلوا البقاء في حاضرة تنومة وما جاورها . ونجد الوضع اليوم أصبح مختلفاً ، فعند توافر المواصلات الجيدة ، والطرق المعبدة ، وتحسن أحوال الناس صار البعض لا يتراجع أن يذهب إلى أي ناحية في المحافظة أو غيرها للإقامة ، وأحياناً شراء بعض العقارات وممارسة بعض الأعمال الاقتصادية والحضارية الأخرى .

(٤) رحلتي في محافظة تنومة كانت محدودة وقصيرة فلم تتجاوز يوماً ونصف يوم تنقلت خلالها في شوارع المدينة ، وأسواقها ، ومطاعمها ، واستراحاتها ، ومزارعها . وزرت بعض الشاليهات والمتنزهات ، وسألت عن التركيبة السكانية في البوادي ، وبعض الأجزاء التهامية في عقبتي برمة وساقين . كما إنني ابن بلاد السراة الممتدة من أبها إلى الطائف . وعاصرت الكثير من الأجناس البشرية العربية ، وغير العربية، التي ارتادت هذه الأوطان من بداية التسعينيات في القرن الهجري الماضي إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، وشاهدت قديما المعلمين العرب غير السعوديين الذين كانوا موجودين بكثرة في هذه النواحي ، وأيضاً

وضمـن تركيبـة المجتمع التنومي نساء غير سعوديات ، فقـد شاهدت بعض النساء الطبيبـات وعضوات هيئـة تدريس في كلية العلوم والآداب للبنـات ومعظمهن مصريات وسودانيـات ، وذكـر لي أن هناك نساء هنديات وباكستانيات يعملن في التعليم العالي . ويوجـد بعض النسوة في الخدمة المنزلية وغالبهن من بعض الدول الإفريقية كالحبشة، وتشـاد ، والمغرب، والصومـال . كما يوجد أجناس فلبينية (نسـاء ورجال) يعملون في بعض الأعمال الخدمية أو التقنية[1] .

٢ـ من التاريخ الإداري والعمراني :

(*) التاريخ الإداري :

عرفـت بلاد تنومة النظـام الإداري الحديث منذ منتصف القـرن (١٤هـ/٢٠م)، فكانـت إحدى النواحي التابعة إداريا لإمارة النماص، ومنذ أوائل الثمانينيات في القرن نفسـه صـار فيها إمارة، ثم تحولـت في العقد الثاني من هذا القـرن (١٥هـ/٢٠م) إلى مركـز، وفي عـام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) أصبحت إحـدى محافظات منطقـة عسير[2] . وأثنـاء زيارتي محافظـة تنومة عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) وجـدت فيها معظم المؤسسات الإدارية الحديثة ، ومن الإدارات الرسمية والأهلية التي شاهدتها ما يلي :

أ ـ المحافظة ، والبلدية ، والمحكمة ، والمستشفى :

جميـع هذه الإدارات تقـع في المنطقة المركزية وسط مدينة تنومـة عند أسفل جبل منعـاء من الناحية الغربية . ومبنى المحافظة علـى الشارع العام، في عمارة مسلحة من دور واحـد ، ومساحتهـا مع مرافقها تقريبـاً (١٠٠× ٨٠م). وإلى جانبها مبنى البلدية

العمال والفنيين غير العرب مثل الكوريين والغربيين وغيرهم الذين جاءوا لإنجاز بعض المشاريع العمرانية والحضاريـة من نهاية القـرن (١٤هـ/٢٠م) إلى العقديـن الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وكانوا يحتكـون بالمجتمـع المحلي ، ويرتـادون أسواقهـم ، وبعضهم يحضـر مناسباتهم الاجتماعيـة والحضارية الأخرى . وأقول إن هذا الموضوع جديد في بابه يستحق أن يدرس ويوثق في بحث علمي رصين .

(١) إن الحديث عن طبقات المجتمع التنومي وعناصره يحتاج أن يفصل في بحوث وكتب عديدة ، لكنني أشرت إلى شـذرات من هذا الباب ، لعله أن يأتي في المستقبل من يدرس هذا الموضوع دراسة مطولة ورصينة . والمتأمل والمعاصـر للحراك المجتمعي الذي عاشته البلاد من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر يجد الكثير من التبدلات والتحولات الاجتماعية والسكانية ، وذلك خاضع لظروف سياسية، وإدارية ، واقتصادية ، وعلميـة وثقافية ،وسياحية ، وتنموية وغيرها . وهذا الوضع نفسه جرى على جميع أنحاء البلاد السعودية في العصر الحديث والمعاصر. وأقول إن دراسة التاريخ الاجتماعي والحضاري في جميع مناطق المملكة ، وفي كل الجوانب من بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢٠م) موضوع كبير ومهم جدا يجب الحرص والاهتمام بدارسته وتوثيقه من خلال مؤسسات التعليم العالي ومراكز بحوثها العلمية .

(٢) التاريـخ الإداري في سـروات بلاد الحجر من بللحمر جنوباً إلى بنـي عمرو شمالاً من الموضوعات الجديدة التـي لم تدرس في عمـل علمي، آمـل أن نرى باحثـاً أو مؤرخاً يدرسـه في هيئة كتاب أو رسالـة علمية منذ منتصف القرن (١٣هـ/١٩م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م).

ويتكـون من ثلاثـة أداور، ومقـر البلدية بناية حديثـة، وتعد أحسن مقـرات المؤسسات الحكوميـة في المحافظـة[١] . أمـا المحكمـة الشرعية فتقـع في حي المحافظـة والبلدية وإلى الشمـال منها ، وعمارتهـا مستأجرة مكونة من أربعة أدوار مـع مرافقها[٢] ، وتقع إلى جـوار مستشفـى تنومـة العـام ومبنـى المستشفى حكومـي يتكون مـن دور ودورين ولـه مرافـق عديـدة مـن ضمنهـا مركز غسيـل الكلى ومـازال هـذا المركز حتـى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تحـت الإنشـاء[٣]. وأثناء تنقلـي في المحافظة رأيـت وسمعت عن خمسـة مراكز للرعايـة الصحية الأولية بعضهـا في مباني حكوميـة وأخرى في مقرات مستأجـرة. ومن تلك المراكز . (١) مركز الرعايـة الصحية الأولية في الحي المركزي ، في مبنـى حكومي بجوار المستشفى يتكون من طابقين، ومركز آخر في سهل تنومة بقرية آل دحمـان، وهـاذان المركزان أكبر مراكز تنومـة مساحته ، وأكثرها خدمـة للناس . (٢) ثلاثة مراكز أخرى بفرعة قريش، وفي وادي ترج ، ومنصبة[٤] .

ب ـ مؤسسات إدارية حكومية وأهلية أخرى :

مركـز الشرطـة في عمـارة مستأجـرة تتكون مـن ثلاثـة أدوار على الشـارع العام وسـط المدينة[٥]. ومركز الدفـاع المدني في مبنى مستأجر، وهنـاك مبنى حكومي على

---

(١) يذكـر أن بلدية تنومة تأسست عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) .ومن خلال جولاتي خلال السنوات العشر الأخيرة في عموم بلاد السراة وتهامة وجدت وزارة البلدية اهتمت بمقراتها ، فأنشأت أبنية حديثة وكبيرة وفاخرة، وبالتـالي أصبحـت مبـاني البلديـات معالم بـارزة ورئيسيـة في كل مدينة وحاضـرة ، في المملكـة العربية السعودية. ويتبع بلدية تنومة مركزي خدمات ، الأول في وادي ترج ، والثاني في مركز منصبة ، وكلاهما في مبـاني مستأجرة تتكون من دور واحـد ومرافقه . وهذان المركزان يقومان على خدمة نواحي منصبة وترج من حيث التنظيف ومراقبة وخدمة الناس فيما يختص بأعمال البلدية .

(٢) تأسسـت المحكمة الشرعية في تنومة عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) ، وكانت كتابة العدل مع المحكمة الشرعية ، ثـم فصلت ، وصارت إدارة مستقلة من عام (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ، وشاهدت كتابة العدل في مبنى مستأجر مكون من دورين بجوار مبنى المحافظة .

(٣) تأسـس مستشفـى تنومـة عـام (١٤٣٣هـ/٢٠١٣م) ، وكان في المحافظـة بعض المستوصفات قبـل نشأة المستشفى، وأول مستوصف تأسس في المدينة عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) .

(٤) يعـد المركز الموجـود حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) في الحـي المركزي ، أول مستوصف تنومـة الذي تأسس في ثمانينيـات القـرن الهجري الماضـي ، وكان في السابق صغيـراً ومتواضعاً ، واليوم صـار مخدوماً بالكوادر البشريـة اللازمـة ، ومعظـم المستلزمـات الصحية والطبيـة . أما مركـز سهل تنومة في قريـة آل دحمان فكانـت بدايته عـام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ، ومركز فرعة قريش عـام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ، ومركز وادي تـرج (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ، ومركـز منصبة (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) . كما شاهدت في حاضـرة تنومة ثلاثة مستوصفـات أهليـة تشتمل على العديد من الخدمات والتخصصـات الطبية . وتاريخ الحياة الصحية ، أو الطب والتطبيب في محافظة تنومة ، موضوع جديد في بابه، حبذا أن يُدرس ويُوثق في عمل علمي رصين من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م).

(٥) كان هذا المركز سابقاً صغيراً ومحدوداً ، ويعرف باسم (مخفر) ، واليوم أصبح مركزاً ، وكانت بدايته عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) .

وشـك الانتهـاء قريباً من مبنى المحافظـة[١] ، والمكتب الزراعي شمـال المدينة في مبنى مستأجـر مـن ثلاثـة طوابـق[٢] . وإدارة الـبرق والهاتـف في مبنـى حكومـي يتكون من دورين[٣]. ومراكز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والهلال الأحمر، والبريد[٤]. وإدارات السجـون والمـرور ، والأوقـاف والمساجد[٥]، ومكاتب وفـروع الغرفة التجارية ، وبعض البنوك التجارية ، ولجان وجمعيات اجتماعية وخيرية وتوعوية[٦]، أما مؤسسات التعليـم العـام والعالي . فـأول مدرسة نظاميـة تأسست في تنومة كانـت مدرسة سبت تنومـة عام (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) ، ثم تلاها مدرسة الفيصليـة في وسط تنومة أيضاً عام (١٣٨٢هــ/١٩٦٢م) [٧]. ثـم أنشئ مكتب للتربية والتعليم عـام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ، ويقـع حالياً في مبنى مستأجر يتكون مـن دورين ومرافقهما وسط مدينة تنومة ، ويتولى الإشـراف على سبع مدارس ابتدائية للبنين يدرس فيهـا (٦٣٧) طالباً ، وسبع مدارس متوسـط وعـدد طلابها (٤٠٨) طالباً ، وأربع ثانويات بعـد ضم المعهد العلمي لها مطلع

---

(١) تأسس عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) .

(٢) كانت نشأته عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) .

(٣) تأسيس هذه الإدارة عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) .

(٤) أنشئـت إدارة هيئـة الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر عـام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ، وهـي حاليـاً (١٤٤٣هــ/٢٠٢١م) في مبنـى حكومـي يتكون مـن دورين مسلحين وسـط مدينة تنومـة . وتأسس الهلال الأحمـر عـام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ، ويقع في مبنى مستأجر من دوريـن في جنوب المدينة على مدخل طريق العوصـاء. والبريد كان قديماً مـع الهاتف والبرق في إدارة واحدة ، وقد تأسـس عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ويوجد اليوم في مبنى مستأجر من طابقين على الشارع العام وسط المدينة .

(٥) تأسسـت إدارة السجـون عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ، وتقع في الحي المركزي في مبنى مستأجر مكون من دور يحتوي على مرافق وغرف عديدة. وأنشئت إدارة المرور عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) ، وتقع في عمارة مستأجرة مـن دورين على الطريق العام وسط المدينـة . وإدارة الأوقاف والمساجد أنشئت عام (١٤٣١هـ/٢٠١١م) ، وتقع حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) في عمارة مستأجرة تتكون من ثلاثة أدوار شمال حاضرة تنومة .

(٦) مكتـب الغرفة التجارية تأسس عـام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م) ، وهو اليوم في مبنى ملحـق بعمارة البلدية . كما شاهـدت بنكين تجاريين ، هما: الأهلي الذي أنشئ عـام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) ويقع حالياً على الشارع العام في عمـارة مستأجـرة مكونة من دورين ، وبنك الراجحي أيضاً على الشارع العام قريباً من الحي المركزي ، تأسس عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ويقع اليوم في عمارة دورين ملك لشركة الراجحي . وجمعية البر الخيرية التي تأسست عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، تقع في سوق السبت وسط المدينة في عمارة ملك للجمعية . وجمعيتا تحفيـظ القرآن الكريم (١٤٣٣هــ/٢٠١٢م) ، ورعاية الأيتام (آباء) (١٤٣٧هــ/٢٠١٦م) ، وكلاهما على الشـارع العام في عمارتـين مستأجرتين من دورين وملاحقهما. والمكتب التعـاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات (١٤٣٢هــ/٢٠١١م) ، ولجنة التنمية الاجتماعية (١٤٣٦هــ/٢٠١٥م) في عمارتين مستأجرتين وسط المدينة . المصدر: مشاهدات الباحث لهذه المقرات يومي الإثنين والثلاثاء (٦-٧/٢/١٤٤٣هـ) .

(٧) انظـر غيثـان بن جريـس . تاريخ التعليـم في منطقة عسير (١٣٥٤ــ ١٣٨٦هـ/١٩٣٤ــ ١٩٦٦م)، ج١، ص ٦٥ ، ٦٧ . وسـروات بنـي شهر وبني عمرو كانت تتبع إدارة تعليم بيشـة حتى تأسست إدارة تعليم النماص، ومازالـت حتـى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . وتاريخ التعليم في سروات بلاد الحجر موضوع جديد يستحق أن يفرد له دراسة علمية مستقلة ومطولة .

هـذا العـام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ويدرس فيهـا (٣٨٩) طالباً[١] . أمـا مدارس البنات فهنـاك ثـلاث مدارس صفوف طفولة مبكـرة، وعدد طالباتها وطلابهـا (٢٥٥) طالبة وطالبـاً[٢] . والابتدائية ثمـان مدارس في عموم المحافظة يدرسـ فيها (٦١٦) طالبة . وخمس ثانويات يدرس فيها (٤٦٢) طالبة[٣] .

تجولـت في أنحاء تنومة ورأيت جميع مقرات مدارسـ التعليم العام (بنين وبنات) حكوميـة ، وتتفـاوت في أدوارهـا ، ومساحاتها ، ومواقعهـا ، ومرافقهـا . لكنها جميعها مسلحـة وحديثة وشاهدت في حاضرة تنومة أربـع روضات، وجميع مواقعها مستأجرة . ولا يوجـد في المحافظة مدارس خاصة[٤] . أما التعليم العالي فهو حديث النشأة، فبنات وأبناء المحافظة كانوا يذهبون لمواصلة تعليمهم العالي في كليات النماص ، وأبها ، ومدن المملكـة العربيـة السعودية الكبرى في المناطـق الغربية ، والوسطـى ، والشرقية[٥]. وفي

---

(١) أقـول إن تاريخ المعاهـد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعـود الإسلامية منذ تأسيسها في القرن الهجري الماضي حتى عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) جدير بالدراسة والتوثيق ، ولهذه المعاهد تاريخ مجيد ، فقد خرجـت آلاف الطـلاب البارعين النابهين الذين خدمـوا بلادهم ودينهم داخل المملكـة العربية السعودية وخارجها . آمل أن نرى باحثة أو باحثاً جاداً يدرس ويوثق تاريخ المعاهد العلمية في بلاد تهامة والسراة منذ بداياتها حتى عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) ، ومن يفعل ذلك فإنه يقدم لنا عملاً علمياً مهماً عن تاريخ وحضارة بلادنا في العصر الحديث والمعاصر .

(٢) صارت الصفوف الأولية من السنة الأولى إلى الثالثة يدرس فيها الطالبات والطلاب في فصل واحد ، ويقوم على تدريسهم معلمات المصدر: معاصرة الباحث ومشاهداته منذ عام (١٤٤٢-١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٣) وصلتنـي هذه المعلومات من طالبنـا العزيز الدكتور/ رشاد بن عبدالله الطنينـي الشهري أثناء رحلتنا في محافظة تنومة في(١٤٤٣/٢/٦هـ) .

(٤) أسافـر في بلدان السـروات وتهامة منذ مطلع هذا القرن (١٥هــ/٢٠م) ، وشاهدت تطور وقفزات التعليم العـام ثـم العالي في هذه البلاد . بل درست ووثقت صفحـات محدودة من تاريخ هذا القطاع المهم . واليوم يوجـد في هذه البلاد جامعات عديدة وعشرات الكليات والأقسام ومئات عضوات وأعضاء هيئة التدريس . وأقول إن عليهم جميعاً مسؤولية كبيرة فيعملوا على توثيق تاريخ التعليم العام والعالي في هذه البلاد العربية السعودية الجنوبية ، وإن فعل بعضهم ذلك فسوف يخدمون أهلنا وبلادنا بحفظ شيء من تراثها وموروثها الحضاري الحديث والمعاصر .

(٥) إن تاريخ التعليم العالي في جنوب المملكة العربية السعودية مر بمراحل عديدة ، فالطالبات والطلاب الذين يرغبـون مواصلـة دراساتهم الجامعية يذهبـون إلى خارج جنوب المملكة العربيـة السعودية وبخاصة مدن الرياضـ ، والدمـام ، والظهران ، وجدة ، ومكـة . ومنذ تسعينيات القرن الهجـري الماضي افتتحت كليات عالية في أبها ، ثم تزايدت الكليات الجامعية في مناطق الجنوب السعودي ، وفي نهاية العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) تأسست جامعة الملك خالد في أبها ، ثم قامت بمسؤولياتها على أكمل وجه فافتتحت الكليات ونشـرت التعليـم العالي في مدن وحواضر مناطق عسير وجازان ونجـران ، ولم يأت نهاية العشرينيات من القـرن نفسـه إلا وقد صار هناك عشرات الكليات والأقسام الجامعية في هـذه البلاد السعودية الجنوبية ، ونشاهـد اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) أكثر من خمس جامعات حكومية سعودية من الطائف وجنوب مكة إلى بلاد جازان ونجران . وأقول إن التاريخ الجامعي في هذه الأوطان جدير بالدراسة والتوثيق .

ثلاثينيات القرن (١٥هـ/٢١م) كان لرجل الأعمال الأستاذ علي بن سليمان الشهري فضل على محافظته ومسقط رأسه عندما عزم على بناء مقر للكلية التقنية في تنومة ، وقد أنجز مـا وعد به أهله وبـلاده وشيد عمارة كبيرة بمرافقها المتعددة في جنــوب المحافظة على أن تكـون مقراً لكلية التقنية ، لكن المؤسسة العامة للتعليم الفني شيدت كلية على أرض خاصة وانتقلت ملكية مبنى ابن سليمان إلى جامعة الملك خالد ، ومن ثم أنشئت كلية العلوم والآداب في تنومة عام (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) ، وصار المبنى الذي شيده الأستاذ على بن سليمان مقراً لهذه الكلية (شطر الطلاب) [١]. وفي عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) افتتحت الجامعة عدة أقسام تابعة لكلية العلوم والآداب خاصة بالطالبات ، وأصبحت عمارة حكومية وسط المدينة، كانت تابعة لمدارس تحفيظ القرآن الكريم ، مقراً لفرع الكلية (شطر الطالبات) . وقد وقفت على هذا المبنى وشاهدت بعض مرافقه وطوابقه، وهو عمارة جيدة وواسعة[٢] .

تأسست الكلية التقنية في تنومة عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) ، وتقع شرق المحافظة في قرية الحصون ، وتبعد عن الشارع العام حوالي سبعة كيلومترات . ومساحتها الإجمالية حوالي أربعين ألف متر مربع ، تتكون من مبانٍ إدارية، وورش، وصالة متعددة الأغراض، وغـرف للحراسات الأمنية والمستودع ومواقفَ لسيــارات الموظفين والمتدربين[٣]. وتقدم الكلية برنامج الدبلوم في تخصصين : المحاسبة المالية ، وشبكات الحاسب الآلي[٤].

---

(١) زرت هذا المبنى الحديث الكبير متعدد الطوابق والمرافق ، وذكرت شيئاً من تاريخه في دراسة سابقة . وأقول إن تاريـخ التعليـم العالي في محافظة تنومـة جدير أن يدرس في بحث علمي موثق. كمـا أن الأستاذ علي بن سليمــان الشهري يستحق أن يكتب عنه رسالــة أو كتاب علمي يوثق فيه مآثر هذا الرجل لخدمة دينه وبلاده وبخاصــة مـا قدم من جهود تذكـر فتشكر لبلاد تنومــة وسكانها . أرجـو أن نرى أحـد الباحثين المنصفين الأوفياء فيوثق شيئاً من جهود هذا الرجل الذي قدم الكثير لأهله ووطنه . وأثناء عملي حوالي ثلاث سنوات في تأليـف كتـاب تاريخ (جامعة الملك خالد ١٤١٩ـ ١٤٤٢هـ/١٩٩٨ـ ٢٠٢١م) ، اطلعت على وثائق وسجلات عديـدة تشـير إلى الخطوات التي سلكتها الجامعــة حتى تم افتتاح كلية العلـوم والآداب في تنومة ، وما قدم الأستــاذ علـي بن سليمــان من جهود وتبرعــات مادية ومعنوية لقيام هــذه الكلية . للمزيـد انظر غيثان بن جريـس. القول المكتـوب في تاريخ الجنوب (موسوعة تاريخية حضارية) (من قبل الإسلام ـ ق ١٥هـ/ق١ـ ق٢١م) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) (الجزء العشرون) ، ص ٣٥٤ـ ٣٥٥ .

(٢) مازلت أنادي بأهمية دراسة وتوثيق تاريخ التعليم العام والعالي في سروات بني شهر وبني عمرو ، أو بلاد الحجر ، أو عمـوم السروات وتهامة. فهذا الموضوع لم يخدم بشـكل علمي ، ومن يعمل في توثيق هذه الموضوعات فلن يجد صعوبة لتوفر المصادر والمراجع المكتوبة ، وأيضاً الأعلام البشرية التي خدمت في هذا القطاع الرئيسي والمهم .

(٣) هذه النبذة زودني بها الأستاذ عبدالله بن زايد العمري في (١٤٤٣/٢/١٢هـ) . وزرت موقع الكلية في (١٤٤٣/٢/٦هـ). وأعمل منذ زمن على دراسة تتعلق بالتعليم العالي والتقني في منطقة عسير ، أرجو أن يرى النور قريباً .

(٤) أعضــاء هيئة التدريـس في الكلية (٢٤) مدرباً، منهـم خمسة يحملون درجة الماجستـير ، و(١٩) يحملون درجـة البكالوريوس . أما عدد الموظفين فهم (٣٥) موظفاً. وأقـول إن تاريخ التعليم العام والعالي والتقني في محافظـة تنومـة يستحق أن يكون عنواناً لرسالة أو بحث علمي ، آمل أن نرى باحثة أو باحثاً من حاضرة تنومة فيقوم بهذا العمل العلمي التوثيقي.

(*) صفحات من التاريخ العمراني :

بلاد تنومة أراض سروية جبلية تتوفر فيها مواد البناء قديماً مثل الحجارة الصغيرة والكبيرة الصالحة للمشاريع العمرانية، وكذلك الأخشاب المتنوعة التي تُجلت من غابات المحافظة ، والتربة الصالحة لتشييد المرافق المعمارية المختلفة. وأثناء سيري في أراضي المحافظة التنومية شاهدت بعض القرى القديمة المندثرة ، والكثير من المنازل، والحصون ، والمدرجات الزراعية وغيرها وجميع مواردها كانت محلية(١) ٠

كما شاهدت بعض الطرق ، والأسواق ، والآبار ، والمقابر القديمة وجميعها مبنية بالحجارة والطين، والذين شيدوها من أهل البلاد . وقد سألته بعض رجالات تنومة ، من متوسطي الأعمار ، فذكروا لي أسماء بعض الرجال الذين كانوا مشهورين ببناء القرى والمنازل والحصون وغيرها . كما ذكروا لي مصطلحات بعض أدوات البناء المستخدمة قديماً، وبعضهم أشار إلى مصطلحات أجزاء المنزل ، أو الحصن ، أو القصر ، أو مرافق معمارية أخرى(٢) ٠

والعمارة الحديثة ، التي مواد بنائها الأسمنت والحديد والخرسانة أصبحت هي السائدة في أنحاء البلاد ، وصارت العمارة القديمة المبنية بالحجر والطين من التاريخ(٣) ٠ وتراجع

---

(١) حصرت أكثر من قرية ، وقصر أو حصن ، ومدرج زراعي في المحافظة من جنوبها إلى شمالها ، ورأيت جميع تلك الأبنية متهالكة ، وبعضها مندثرة تماماً . وهناك قرى قليلة محدودة مازالت معالمها بارزة مثل المنازل المتفاوتة في مساحاتها ومرافقها ، وأزقتها الصغيرة والضيقة ، وبعض أجزائها الأخرى كالمساجد الحجرية، وغرف متعددة كانت تستخدم لسكن المواشي ، وأحياناً للناس ، أو مستودعات لبعض الأعلاف وأغراض أخرى لضروريات حياة الناس قديماً. كما أخبرني بعض التنوميين بأسماء بعض القرى القديمة التي مازال بعضها ماثل للعيان ، وذكروا لي بعض الأحداث التاريخية التي جرت على أراضيها. ومن خلال سيري في مناكب السروات وتهامة من نهاية الثمانينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) شاهدت مئات القرى وبعضها ذات تاريخ سياسي وحضاري متعدد الجوانب . وأقول إن هذه القرى جزء من تاريخنا العريق، والواجب الحفاظ على هذا الموروث المعماري ما أمكن ، كما يجب على الباحثين وأرباب القلم أن يدرسوا تاريخ هذا المجال المهم ، مع توثيق دراساتهم بالوثيقة التاريخية والصور الفوتوغرافية الملونة ٠

(٢) اتضح لي مما سمعت ورأيت أن لنا تراثاً مادياً ومعنوياً رصيناً ، عرفه ومارسه الآباء والأجداد عبر العصور، لكن للأسف أصبح من التاريخ المهمل والمنسي . وإن لم تلتفت الجامعات ومؤسساتها الأكاديمية إلى هذا الموروث الحضاري ، فتقوم على صيانته وحفظه وتوثيقه، وإلا سوف يضيع ويفقد أبناؤنا وحفدتنا الشيء الكثير من تاريخ وحضارة أسلافهم ٠

(٣) كانت العمارة القديمة هي جزءاً من حياة الناس حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ثم ظهرت العمارة الحديثة ، وتوسعت وزادت ، وأخيراً حلت محل الأبنية القديمة . ولم يأت العقد الثالث من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلا والعمارة الحديثة صاحبة الحظ الأوفر في البلاد ، وأصبحت معظم الأبنية القديمة بين متهالك ومنسي وزايل . وإجراء دراسة مقارنة بين العمارة القديمة والحديثة من الموضوعات الجديدة التي لم تبحث وتوثق في أعمال علمية جيدة ورصينة . آمل من المؤرخين والباحثين في بلاد السروات وتهامة أن يلتفتوا إلى هذا الميدان الحضاري، ويكون له نصيب في دراساتهم وبحوثهم العلمية .

ثـم زوال العمارة القديمة أخذ بعض الوقت في الصمود أمام العمارة الحديثة ، فبدأ الناس في استخـدام الأسمنـت ثم البلك ثم الزنك قبـل أن يطغى استخـدام الأسمنت والخرسانة والحديد ، الذي مازال هو المألوف والسائد حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) [١] .

أثنـاء سـيري في تنومة ، شاهدت معظـم الإستيطان البشـري في سهل المحافظة ، وعنـد سفوح الجبـال الغربية والشرقية، وأحياناً في أجـزاء متفرقة من المرتفعات [٢] . وجميـع هذه النواحي قرى ومازالت معروفة بأسمائها القديمة[٣] . ومع التمدد والتطور العمـراني أزيلـت أو هجـرت القرى القديمة وحـل مكانهـا أو قريباً منها قـرى وأحياء عمرانية جديدة . بل إن معظم قرى حاضرة تنومة تداخلت في المواقع ، وصارت قرى أو حاضرة كبيرة متصلة بعضها ببعض[٤] .

لم أر في محافظـة تنومة مخططات حديثة تتوفـر فيها شروط التخطيط العمراني الحديـث . وذلك ربمـا يعود إلى ضيق الأراضي ، وازدحامهـا بالقرى القدبمة ، وكذلك تداخـل الأراضي الزراعية والأملاك الخاصة في كل قريـة ، وفي عموم الحاضرة. وبعد افتتاح الطرق المعبدة في أنحاء المحافظة ، تشكلت مدينة تنومة الحالية التي يبدو عليها

---

(١) عاصرت صمود الأبنية القديمة أمام زحف العمارة الحديثة منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) . وأسباب هذه التحولات العمرانية هو تطور الناس مادياً وأمنياً وثقافياً وحضارياً. وهذا مما جعلهم يهجرون العمارة القديمـة التي يغلب عليها محدودية الحجم والمساحـة، وأيضاً صعوبة المواقع ، وقلة المرافق والخدمات ، أو عـدم وجودهـا أصلاً . ومن ثم بدأ الناس يبنون مبانيهم ومرافقهـم المعمارية ، الخاصة والعامة، السكنية والتجاريـة علـى أراض أكبر وأفضل وأوسع . وكان ومازال يجب عليهـم أن يتطوروا ويتوسعوا في عماراتهم الحديثـة ، لكـن لا ينسّـون الحفـاظ على أبنيـة آبائهـم وأجدادهم التي هـي جزء من تراثهـم وتاريخهم وحضارتهـم . وقـد سافرت إلى بلدان ودول عديدة في العالم ، ورأيت بعض تلك الأقطار تعمل ما في وسعها للحفاظ على تراثهم وموروثهم المعماري . بل هناك مؤسسات حكومية وأهلية تتعاون في خدمة هذا المجال وصيانتـه والحفـاظ عليه . وأشاهـد الدولة (المملكـة العربية السعوديـة) حالياً تعمل علـى صيانة شيء مـن الـتراث العمراني القديم، لكـن العمل كبير وفوق طاقـة المؤسسات المعنية بهـذا الجانب . ويجب على القطاعات الخاصة الأهلية والحكومية أن تتعاون وتتضافر جهودها في خدمة هذا الموروث المادي والحفاظ عليه حتى يطلع عليه أجيال الأمة في الحاضر والمستقبل .

(٢) هنـاك استيطان بشري محدود في الأجـزاء الشرقية (البوادي) وفي منطقة الأصدار ، والكثافة السكانية العالية في حاضرة تنومة الممتدة من حدود مركز بللسمر جنوباً إلى عقبة القامة شمالاً .

(٣) اطلعـت على قائمة طويلة بأسماء قرى تنومة القديمة . حبـذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ هذه القرى منذ العصور الإسلامية الوسيطة إلى وقتنا الحاضر .

(٤) شاهدت هذه الظاهرة في جميع مدن وحواضر وبلدات بلاد السروات وتهامة ، من مكة والطائف إلى جازان ونجـران . وهذه التحـولات الجغرافية والديموغرافية بدأت منذ تسعينيـات القرن (١٤هـ/٢٠م) بعد توفر الأموال في أيدي الناس ، وافتتاح صندوق التنمية العقاري الذي ساعد السكان بالقروض المالية ، وكذلك دور البلديـات التـي أشرفت على البناء والتخطيط في أنحاء البلاد . وهـذه التبدلات التنموية والمعمارية جديرة بالتوثيق في كتاب علمي رصين من عام (١٣٩٠-١٤٤٣هـ/١٩٧٠-٢٠٢١م) ، آمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا الموضوع في عموم تهامة والسراة ، أو في مناطق الباحة ، أو عسير ، أو جازان ، أو نجران .

العشوائية في البناء والتخطيط[١] ٠

والعمارة الحديثة متنوعة في أهدافها وأنماطها العمرانية . فالأبنية السكنية تتراوح مساحاتها بين (١٠×١٠م) و(١٥×٢٠م) ، و (٢٠×٢٠م) ، وأحياناً (٢٠×٣٠م) و(٣٠×٣٠م) وربما أكثر من ذلك . وتتدرج ارتفاعاتها من طابق واحد إلى أربعة وربما خمسة طوابق . وأنواع وأسماء مرافق العمارة السكنية تكون شقة ، أو دور ، أو فيلا . وغالباً يراعى في هذه الأنواع الثلاثة المداخل الرئيسية ، في البناية الواحدة ، وقد يكون هناك أكثر من عمارة في حوش واحد له بوابة كبيرة لدخول السيارات ، وبوابات صغيرة لدخول الأشخاص . وكل فيلا ، أو شقة ، أو دور فيها مجالس للرجال ، وأخرى للنساء ، وغرف للنوم ، وحمامات ، ومطبخ ، وأحياناً مستودعات . وقد يكون في الدور الأرضي من هذه الأبنية الثلاثة مرافق زائدة كالأحواش التابعة لكل بناء ، أو مواقف للسيارة ، أو مستودعات خارجية . أما الأدوار العلوية فهي محصورة بالمرافق السابق ذكرها ، وفي بعضها (بلكونات) تطل على الأراضي أو الشوارع المجاورة ٠

وفي الحاضرة لا يمكن تشييد أي بناء (عام أو خاص) إلا بترخيص من البلدية، بعد تقديم المخططات والأوراق والحجج المتعلقة بالأرض التي يراد استخدامها مكاناً للبناء[٢] ٠ وغالباً يراعى في كل عمارة الهندسة المعمارية من التأسيس والبناء إلى تمديدات مجاري المياه ، والكهرباء ، ثم التزويق والديكورات [٣] ٠ ويراعى في ذلك أيضاً الأراضي المجاورة لكل عمارة ، من أجل حفظ حقوق كل الناس ، وكذلك الطرقات والشوارع التي تصل إلى كل بناية[٤] ٠

---

(١) عندما تطل على حاضرة تنومة من إحدى الجبال العالية المحيطة بها تشاهد التجمعات العمرانية الممتدة من سدوان إلى عقبة القامة ،وهي نفس القرى القديمة ، اللهم إلا أنها تكاثرت وتمددت في النمط المعماري الحديث . وكثير من الأزقة القديمة تحولت إلى ممرات وطرق مسفلتة صغيرة تصل بين كل قرية وأخرى، وترتبط جميعها بالخط العام الذي يربط أبها بالطائف ويعبر من وسط المدينة . وقد ذكر لي بعض التنوميين أسماء أحياء حديثة متفرقة في المحافظة ، لكنها لم تكن ظاهرة ومعروفة لعامة الناس من أهل البلاد ، أو من يأتي من خارجها. ويا حبذا أن تترك كل قرية أو ناحية بأسمائها التاريخية القديمة ، وهذا أفضل وأصلح لتاريخ البلاد وحضارتها ٠

(٢) قد لا تطلب هذه الأوراق في بعض الأجزاء الريفية أو البوادي ومناطق الأصدار ، وبخاصة إذا كانت خارج خدمات البلديات وفروعها٠

(٣) في كل مدينة أو حاضرة ، أو بلدة مكاتب هندسية تجارية تقوم على خدمة الناس وتوفير طلباتهم من المخططات والأوراق اللازمة للعمارة والبناء الحديث .

(٤) إن الصراعات بين الناس على الأملاك والعقارات الزراعية والسكنية وغيرها من أكثر المشاكل التي عرفها سكان السروات وتهامة منذ عصور ما قبل الإسلام حتى الآن . والدولة الحديثة أسست مؤسسات إدارية رسمية تشرف على حياة الناس، وتساعدهم في حل مشاكلهم، والفصل بين خصوماتهم . ودراسة صلات الناس ببعضهم (سلباً

وأغلـب العمـارات الحديثـة سكنيـة ، وتختلف مواقعهـا من مكان لآخـر ، فبعضها علـى الشوارع الكبيرة والرئيسية. وهذا النوع مـن العمران يجمع بين الأهداف السكنية والتجاريـة ، فـالأدوار الأرضية المطلة على الشارع تكون غالبـاً لأعمال تجارية متعددة . والأجـزاء العلويـة ، سواءً كانت أدواراً ، أو شققـاً ، أو غرفاً في فنادق فجميعها تستخدم للسكن . أما الأبنية السكنية داخل القرى ، والأحياء فهي تستخدم للسكن فقط . ومعظم محافظة تنومة مزدحمة بالأبنية السكنية المنتشرة في كل ناحية[١] .

لا تخلو منطقة الأصدار من بعض البيوت (الحلال ومفردها حلة) الصغيرة التي يملكها بعض التنوميين ، وينزلون إليها أوقات البرد ، وفي بعض أيام السنة للاستجمام . كما يوجد بعض الاستراحات العائلية الخاصة في سروات تنومة أو شرقها ، للاستخدامات الخاصـة . وهناك بعض الأغنياء والمقتدرين مادياً يمتلكون بعض المزارع ، أو المنتجعات لاستخداماتهم الشخصية[٢] .

أما العمارة التجارية فهي كثيرة ومتنوعة ، والمتأمل في الشارع العام الذي يجتاز وسط تنومـة ، يلاحظ عليه عشـرات العمارات الحديثة الاقتصادية مثـل: محطات البنزين، والمطاعـم ، والأسواق الكبيرة والصغيرة المتنوعـة في أهدافها ومعروضاتها، والفنادق، والشقـق المفروشـة ، وصالات الأفراح ، والبقـالات الصغيرة ، وأماكـن الحلاقة ، وبيع أدوات السباكة والبناء ، وعمائر مستأجرة من بعض المؤسسات الحكومية ، والأهلية ، أو التجاريـة ، وبعض محلات الأثـاث ، والأدوات المنزلية ، والكهربائية ، والتقنية وغيرها. كمـا يوجد داخل القرى والأحياء ، وعلى الطرق المؤديـة إلى جبال منعاء، أو الأشعاف ، وإلى مركز منصبة بعض المقرات الاقتصادية متعددة الأغراض[٣] .

وإيجاباً) في عموم السروات وتهامة من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس منذ العصر الجاهلي حتى الآن . ومن يدرس هذا الموضوع وبخاصة في العصر الحديث والمعاصر فإنه سوف يجد مصادر ووثائق وسجلات تدعم بحثه، حبذا أن نرى باحثين جادين يدرسون هذا الموضوع في عدد من البحوث والرسائل العلمية .

(١) جميـع قرى تنومـة القديمة وما حولها بقيت حتى الآن ، (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) مقرات المستوطنات البشرية الحديثـة، والكثـير من العمـارات الجديدة شيـدت في أملاك النـاس الخاصة ، وبعضهم مـن أهل تنومة وغيرهم اشتروا أراضي جديدة وشيدوا عليها بيوتهم الخاصة .

(٢) شاهـدت بعض هـذه الحـلال ، والاستراحـات والمـزارع في محافظـة تنومـة أثنـاء رحلتي فيهـا في (٦-١٤٤٣/٢/٧هـ) . والحلاَل قديماً كانت مشغولة مـن أصحابها بضعة شهور من كل عام . أما الاستراحات والمزارع الخاصة فهي حَديثة التاريخ ، وبخاصة منذ العقد الثاني في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) .

(٣) من الصعب حصر كل الأبنية التجارية في محافظة تنومة في عصرنا الحالي ، لكنني أشرت إليها باختصار، وقـد يأتي في المستقبل من يدرس تاريخ وحضارة المحافظـة في العصر الحديث والمعاصر ويفصل الحديث عـن تاريـخ العمارة الحديثة والقديمـة في هذه البلاد . وعمـوم السروات وتهامة تستحـق أن يدرس تاريخ العمران فيها من بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر ، آمل أن نرى باحثين جادين يقومون بهذا العمل العلمي المهم والكبير.

وتتراوح أدوار الأبنية التجارية من غرفة وغرفتين إلى شقة ، أو دور ، أو أدوار عديدة. كما تتفاوت مساحاتها ومرافقها من مبنى لآخر . لكن الموقع وأهميته الاقتصادية من أهم المحفزات لإنشاء عمل تجاري[١] .

والعمارة الحكومية والمستأجرة من الأبنية الحديثة التي عرفتها بلاد تنومة . وقد أشرت إلى بعضها في صفحات سابقة من هذه الرحلة . ومن أكثرها واهمها مقرات التعليم العام والعالي فجميعها حكومية ، وذات أدوار ومرافق متعددة. أما أبنية المؤسسات الإدارية الأخرى (الحكومي والمستأجر) فغالباً تتراوح بين طابق وأربعة طوابق[٢] .

وفي محافظة تنومة عمارات أخرى عديدة مثل المقابر ، فلا تخلو قرية أو قريتان من مقبرة محفوظة بأسوار يصل ارتفاعها إلى متر ونصف ومترين . وبعض الآبار الجوفية القديمة التي طويت جدرانها بالأسمنت ، وأحياناً بالحجارة والأسمنت ، ثم غطيت فوهاتها. أما المساجد والجوامع فهي متناثرة في كل قرية أو ناحية . وعلى الطريق العام العديد من الجوامع ، وأحدثها جامع الأوقاف على مدخل سبت تنومة الذي تم إعادة تشييده على نفقة الأستاذ علي بن سليمان الشهري ، وهناك جوامع أخرى عديدة تم تعميرها على نفقة بعض المحسنين[٣] .

وتعد الطرق الحديثة من أهم المجالات الحضارية التي أثرت على نمو وتطور محافظة تنومة. ومن أهمها طريق أبها الطائف ، فقد كان طريقاً وعراً وصعباً إلى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) . ومن أهم أجزائه الوعرة عقبة القامة التي تصل بين بلاد تنومة في الجنوب وقبائل العوامر الشهرية في الشمال . وكذلك بعض الحزون في سهل تنومة ، وأيضاً عقبة الدهناء جنوب المحافظة[٤] . وعند الانتهاء من فتح هذا الطريق وسفلتته في تسعينيات القرن الهجري الماضي ، بدأت بلاد تنومة تدخل عصراً حديثاً من النمو والتطور . وهذا الطريق ، والحمد لله ، أصبح اليوم شارعاً مزدوجاً بعرض (٦٠م) تقريباً ، وصار من أسهل وأفضل الطرق في منطقة عسير[٥] .

---

(١) تاريخ التجارة في محافظة تنومة ، أو سروات بني شهر خلال العصر الحديث (ق١٤ـ ق١٥هـ/ق٢٠ـ ق٢١م) موضوع مهم وجديد يستحق أن يكون عنواناً للكتاب أو رسالة علمية .

(٢) تاريخ العمارة الحكومية والمستأجرة في محافظة تنومة موضوع مهم وجديد ، حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرسها في هيئة بحث علمي موثق بالشرح والصورة .

(٣) تاريخ المساجد والجوامع في محافظة تنومة خلال قرن من الزمان (١٣٤٠ـ ١٤٤٣هـ/ ١٩٢٠ـ ٢٠٢١م) موضوع جديد لم يدرس. أرجو أن يعكف عليه أحد المؤرخين الجادين فيدرسه في كتاب أو رسالة علمية .

(٤) شاهدت هذا الطريق في بداية التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) وكانت هذه الأجزاء والعقبات صعبة المسالك ، وتقضي السيارات القوية فيها ساعات عديدة حتى تجتازها . وقرأت عن هذا الطريق في العقود الوسطى من القرن الهجري الماضي فكانت طريقاً شائكة وصعبة جداً .

(٥) تاريخ طريق الطائف ـ أبها له تاريخ طويل ، ووقع عليه أحداث تاريخية متعددة ومتنوعة ، يستحق أن يدرس

من الطريق العام في تنومة يخرج عدد من الشوارع الكبيرة (شرقاً وغرباً) ، ومعظمها ذات مسار واحد بعرض (١٢ـ١٥م) ، ومن أهمها من الجنوب إلى الشمال . طرق تنومة ـ منصبة ، وآل الصعدي ، والحصون ، ومنعاء ، وترج . وجميعها تخرج من الشارع العام تجاه الشرق ، وتتفاوت في أطوالها ، وعرضها ، وجودتها[١] ٠ وطرق قريش ، والقذال ، وعدد من الشوارع وسط المدينة ، وأفضلها شارع ظرفان من سبت تنومة إلى الأربوعة ، وطرق الشرف ، والمحفار، ومومة ، وآل سودة . وجميعها تتجه من الشارع العام غرباً حتى تصل نواحي عديدة في الأشعاف . ولها مسالك متعددة حتى تتصل بعقبتي ساقين والأربوع اللتين تسيران في الأصدار حتى تتلقيان بوادي الخير (بقرة سابقاً) في سهول تهامة[٢] ٠

في هيئة كتاب من بداية القرن (١٣هـ/١٩م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، آمل أن يقوم مؤرخ جاد بدراسة هذا الموضوع في رسالة أو كتاب علمي ٠

(١) ذهبت في معظم هذه الطرق ، وجميعها مسفلتة ، لكن الأسفلت في طريق تنومة منصبة متهالك ويحتاج إلى إصلاحات وخدمة أفضل ٠

(٢) تجولت في معظم هذه الطرق ، وجميعها ذات مستوى جيد ، وعرض معظمها يتراوح بين (١٢ـ ١٥م) . وعقبة ساقين لا تخلو مسالكها من الوعورة مع أنها طريق مسفلتة ذات مستوى متواضع . أما عقبة برمة فهي جيدة وسهلة العبور ، ومازالت تحتاج إلى خدمة وصيانة أفضل حتى تخدم محافظة تنومة بشكل ممتاز ٠

ثالثاً : محافظة النماص :

١ـ الجغرافيا والسكان :

أ ـ الجغرافيا :

تقع محافظة النماص في بلاد السراة ، وهي إلى أبها أقرب من مدينة الطائف[١] ٠ وهي محافظة من فئة (أ) تتبع لإمارة منطقة عسير[٢] ٠ ويحدها من الشمال محافظة بلقرن ، ومن الجنوب محافظة تنومة ، ومن الشرق محافظة بيشة ، ومن الغرب محافظتي المجاردة وبارق . ومساحتها تتراوح تقريباً بين (٢٥٠٠ـ ٢٨٠٠كم٢) [٣] ٠

تنقسم محافظة النماص في تضاريسها إلى ثلاثة أقسام . المرتفعات، أو السراة وهي أكثر الأقسام استيطاناً بشرياً، وتمتد من بلاد بني رافع المجاورة لمحافظة بلقرن شمالاً إلى بلاد العوامر، أو رأس عقبة القامة جنوباً . وهذا الجزء يقع في الوسط بين القسمين الآخرين، سفوج جبال السروات الغربية المطلة على سهول تهامة ، والمعروفة باسم (الأصدار) ، والهضاب الشرقية التي تنحدر تدريجياً شرقاً حتى تلتقي ببعض الأمكنة والبوادي في محافظتي بيشة وخميس مشيط [٤] ٠

(*) يتخلل هذه المحافظة العديد من الجبال ، والأودية ، والهضاب . ومن أهم جبالها من الجنوب إلى الشمال :

١ـ جبل لنبش :

يقع جنوب الظهارة ، يطل على وادي الغر، ويقع بين محافظتي تنومة والنماص ، وارتفاعه عن سطح البحر حوالي (٢٥٠٠م) ، ومعظم القاطنين فيه من قبائل العوامر ٠

٢ـ جبل البردة :

في بلاد بلحصين غرب الطريق العام ، وارتفاعه يقارب (٢٥٠٠م) ، ويتصل به عدد من الجبال الأخرى ، وجميعها تطل على سفوح السروات الغربية (الأصدار) [٥] ٠

---

(١) تبعد عن مدينة أبها (١٤٠ـ١٥٠كم) ، وعن مدينة الطائف (٤١٠ـ٤٢٠كم) . وذلك حسب المكان إذا كان من الوسط إلى الوسط في كل مدينة أو من أطراف كل مدينة ٠

(٢) بلدة النماص قديمة في تاريخها ، لها ذكر في الكثير من الوثائق الحديثة والمعاصرة ، كانت في فترات سابقة حاضرة بلاد الحجر. حبذا أن تدرس في بحث علمي مطول خلال القرنين (١٣ـ ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) .

(٣) مشاهدات الباحث في (٧ـ١٤٤٣/٢/٨هـ) ٠

(٤) جولات الباحث في محافظة النماص في يومي (٧ـ١٤٤٣/٢/٨هـ) . للمزيد انظر غيثان بن جريس. بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ـ ١٤هـ/١٩ـ ٢٠م) (الطبعة الرابعة /١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) ، ص٣٨ . انظر أيضا علي العسبلي ، وظافر حبيب . النماص: مسيرة التعليم والتنمية (١٤١٩هـ) ، ص٢٧ وما بعدها ٠

(٥) المتجول في بلاد العوامر من بني مشهور شمالاً إلى رأس عقبة القامة يشاهد العديد من الجبال شرق الخط العام وغربه ، وتتفاوت في الارتفاعات ولها أسماء عديدة ، وبعضها تسمى باسم القبائل أو العشائر التي تستوطنها ٠

٣ـ جبال شَعَير، وشُحر ، ومرَيْر وغيرها[١] :

في المنطقــة المَمتــدة من جنــوب مدينــة النمـاص إلى شمالها بحــوالي (١٥كم) . الأول : يقــع في ســروات قبيلة بني بكــر ، وارتفاعه حــوالي (٢٦٠٠م) . وجبل شُجر بين قبائـل الكلاثمة وبني جبير ، وهو في الجهة الغربية من الطريق العام ، وارتفاعه حوالي (٢٤٠٠م) ، يوجــد في أعلاه أعمدة اتصالات، وبعـض المنشآت التابعة لبلديةٍ النماص. وجبل مرير شمال مدينة النماص، وارتفاعه حوالي (٢٧٠٠م) ، ويسكن قريباً منه عدد من القرى العمرية والشهرية[٢] .

٤ ـ الجبل الأبيض ، أو القرن الأبيض :

يقع في فرعة سلمان[٣] ، ويبعد عن مدينة النماص في الجهة الشرقية حوالي (٦م) [٤] ، وارتفاعه يتراوح بين (١٦٠٠ــ ١٧٠٠م) . وهنـاك العديد من الجبال المتفاوتة في الارتفاعات شرق حاضرة النماص[٥] .

٥ـ جبل المطلا :

في بـلاد عمر الشام ، على الطريق العام الــذي يربط أبها بالطائف . وارتفاعه حوالي (٢٧٠٠ـ ٢٨٠٠م) عن سطح البحر . كان في الماضي من الطرق الوعرة التي تتعطل فيه الكثير

---

(١) هنــاك أيضاً مرتفعــات وجبال عديدة قريبة من هــذه الجبال المذكورة أعلاه ، وجميعهــا أجزاء من جبال السروات الممتدة من الحجاز إلى اليمن.

(٢) هذا الجبل من أعلى جبال محافظة النماص ، ويطل على تهامة وتحيط به من الجهات الشمالية والشرقية والجنوبيــة العديــد من القرى الشهرية والعمرية . وله غطاء نباتي كثيــف ، وأغلب أشجاره العرعر والطلح ونباتات صغيرة وكبيرة أخرى : مشاهدات الباحث يوم الأربعاء (٨/صفر/ ١٤٤٣هـ) .

(٣) كان ســكان هــذه الناحية بواد يتبعــون لقبائل الكلاثمة وبني بكر، ثم جرى توطينهــم في النصف الثاني من القــرن (١٤هــ/٢٠م) ، وصار هناك فرعتين شماليــة ويتبع سكانها لقبائل بني بكــر ، وجنوبية ويعودون في قبيلــة الكلاثمــة . ذهبت إلى هــذه البــلاد في (١٤٤٣/٢/٨هـ) فوجدتهــا مكتظة بالســكان ، وفيها نشاط عمــراني وحضاري جيــد ، وتحتوي على العديد مــن المدارس والمؤسسات الحكوميــةٍ والأهلية ، والمخططات العمرانية الحديثة . وأهلها أصحاب نشاط وحيوية ، والفرعة الشمالية أكثر تحضراً من الفرعة الجنوبية .

(٤) تبعد الفرعة التي يقع فيها الجبل الأبيض اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) فقطٍ ستة كيلومترات بعد فتح الطريق المسفلــت الذي يخرج مــن النماص إلى الفرعة. وفي السابق عشرين كيلاً عن طريق قريتي الحتار وعاكسه في بلاد كعب العمرية شمال مدينة النماص .

(٥) ذهبــت إلى البــلاد الممتدة من ســراة بني بكر والكلاثمــة في حاضرة النماص إلى أوطــان بني قشير، وآل بالريــاع ، والفرعــه ، والفضــول ، وبــدوة في الأجــزاء الشرقية من المحافظــة ، ورأيت الكثــير من الجبال والهضــاب المترابطــة أحياناً ، وبعضها متفرقة . وتتفاوت في ارتفاعاتهــا ، وفي حزونها، وغطائها النباتي . وأغلبهــا غير مسكونة ، ولا تخلو من بعض الرعــاة الذين يرعون أغنامهم في بعض مناكبها . حبذا أن نرى مؤرخاً أو جغرافياً يقوم بدراسة وتوثيق جبال بلاد الحجر ، أو منطقة عسير تهامة وسراة . ومن يفعل ذلك فقد يطلعنا على تفصيلات حضارية عن هذه المعالم الجغرافية في جنوب المملكة العربية السعودية .

من السيارات ، لصعوبة مسالكه ، ورخاوة تربته ، ولا تجتازه السيارة إلا بصعوبة شديدة . ووقع فيه بعض الأحداث التاريخية التي يرويها بعض الرواة ، وبخاصة في الصراعات بين أهل البلاد والجيوش العثمانية التي كانت في ذهاب وإياب بين اليمن والحجاز[١] .

٦ـ جبل حرفة :

أحد الجبال المشهورة في بلاد عمرو الشام ، في بلاد بني رافع ، إحدى قبائل عمرو الشام. ويظهر هذا الجبل على هيئة كتلة صخرية كبيرة ، ، صعبة المرتقى . يرتفع عن سطح البحر حوالي (٢٥٠٠ـ ٢٦٠٠م) . تحيط به القرى من كل جانب ، ويقع قريباً منه بعض الغابات التي معظم أشجارها العرعر والطلح . ومازال هذا الجبل من العلامات البارزة في أوطان عمرو الشام . ويذكر عنه بعض القصص والأحداث ، وربما بعضها يسودها المبالغة من بعض الرواة قديماً وحديثاً[٢] .

٧ ـ جبل الظور :

هذا الجبل جبلان ، صغير وكبير، يقعان شرق الخط العام في بلاد بلحارث وعمرو الشام . وارتفاع الكبير يزيد عن الألفي متر عن سطح البحر ، والصغير دون ذلك والجبلان متصلان ، وغطاؤهما النباتي قليل جدا ، وتقع بعض القرى المأهولة بالسكان عند سفحيهما من الغرب والشمال والجنوب ويقع سد بني عمرو في الناحية الجنوبية للظور الكبير . وذكر لي أنه يوجد فيه بعض المعادن ، وآثار للتعدين ، حسب أقوال بعض الرواة، ولم أصعده ، لكنني شاهدته من أماكن عديدة في تلك الناحية[٣] .

٨ ـ قمم سروات محافظة النماص:

معظم الجبال الآنف ذكرها جزء من جبال السروات الممتد من الحجاز إلى اليمن. لكن أعالي السروات في محافظة النماص تنحدر انحداراً شديداً تجاه الغرب ، مكونة

---

(١) مازال هذا الجبل يسمى (المطلا) وأصبح اليوم يسكنه العديد من القرى العمرية ، وعند سفحه الشمالي تقع قرية آل الشيخ، مقر أسرة آل عثمان شيوخ تميم من بني عمرو ، كما يوجد هناك مركز بني عمرو الإداري والعديد من المؤسسات الإدارية الأخرى ويعبره اليوم الطريق العام المزدوج بعرض (٦٠) تقريباً .

(٢) أعرف بلاد عمرو الشام منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)) ، ثم زادت معرفتي بهم بعد أن صاهرتهم وتزوجت من بلادهم فتوطدت العلاقة معهم. والكثير من أبنائهم من طلابي في الجامعة. وقد جلست في مجالس عديدة عندهم ، وسمعت روايات متعددة عن أصوات وأخبار الجن في هذا الجبل ، وبعض تلك الروايات مخيفة في قصصها ، وقد تكون حقيقية ، أو مبالغاً فيها .

(٣) ذكرت نماذج من الجبال الكبيرة في محافظة النماص ، ولم يشمل حديثي كل الجبال ، والذاهب في أرجاء البلاد يشاهد الكثير من الجبال الصغيرة والكبيرة غرب الطريق العام وشرقه . ومعظم الاستيطان البشري في المحافظة قريباً من الخط الرئيسي الذي يربط بين أبها الطائف.

منطقــة (الأصدار) التــي هي جزء من جغرافية محافظة النماص . وفي بلاد الأصدار جبال كثيرة ، لها أسماء معروفة ، ومتفاوتة في أطوالها ومساحتها ، وأيضاً في ملكيتها ، فالكثير من القبائل السروية في المحافظة لها أصدار وبوادي ، وبعضها لها أصدار بدون بوادي ، أو العكس[١] .

(*) يجتـاز المحافظـة أيضاً العديد من الأودية التي تسير شرقاً أو غرباً ، ومن أهم تلك الأودية من الجنوب إلى الشمال مايلي:

١. أوديــة عثربــين، والدحض ، والعرسين ، وسروم وتأتي منابعهــا من بلاد العوامر ، وآل بالرياع ، والفرعة . وتتجه شرقاً حتى تصب في وادي ترج . أحد روافد وادي بيشة [٢] .

٢. أوديــة نحيــان ، ونشيان ، والنمــاص، ورديحه ومسائلها من ســروات الظهار، وبني مشهــور، وحاضــرة النمــاص، وبني جبير وتسير شرقــاً ، وتلتقي مــع بعض الأودية الأخرى حتى تصب في وادي ترج[٣] .

٣. أوديــة صدريد، وآل زيدان، وحضــر، جميعها من روافد وادي بدوة في الشرق، ومنه إلى وادي ترج[٤] .

٤. في البــلاد الممتدة من جبل مرير جنوباً إلى شمــال جبل المطلا يسيل منها عدد من الأوديــة الشرقية مثــل: وادي زيد ، ووادي الغرة ، ووادي حلباء ، ووادي السرو وكلها تصب في وادي بدوة أحد روافد وادي ترج [٥] .

٥. واديــا عياش ورنما ، والحصبــاء ، ويقعان في بلاد عمرو الشــام ، ويتصلان بوادي العطف الذي يسير إلى أعالي وادي ترج في القوباء [٦] .

يتضح لنا أن وادي ترج يبتلع معظم الأودية التي تسير من محافظة النماص شرقاً. وبدايات هذا الوادي يأتي من شرق محافظة تنومة ويتجه في الجهة الشمالية الشرقية، ويصــب فيه معظم أودية تنومة والنماص حتى يصل بلــدة الحيفة جنوب مدينة بيشة ،

---

(١) أقــول إن جبــال الأصــدار ، والسراة ، والبوادي في محافظــة النماص ، بل في منطقتي عسير والباحة موضوع لم يدرس دراسة علمية ، حبذا أن نرى باحثين جادين يدرسونها مع دعم دراساتهم بالصور الفوتوغرافية الملونة .

(٢) مقابلة مع الأستاذ علي بن محمد العسبلي في منزله يوم الثلاثاء (١٤٤٣/٢/٧هـ) .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) تجولت في هذه البلاد يومي (٧ـ ١٤٤٣/٢/٨هـ) ووقفت على بعض الأودية المذكورة أعلاه .

(٥) المرجع نفسه .

(٦) تجولت في هذه البلاد أكثر من مرة ، ووقفت على بعض معالمها كالجبال والأدوية وغيرها .

ويبلغ طوله من بدايته إلى نهايته حوالي (١٧٠كم)[(١)] .

ومن أعالي السروات في النماص، أو منطقة الأشعاف تسيل بعض الأودية والشعاب الصغيرة التي تتجه غرباً، وتسقط في بلاد الأصدار مكونة مجاري مائية حتى تتصل ببعض الأودية الأخرى الكبيرة في السهول التهامية حتى تصب في البحر[(٢)] . تجولت في بلاد الأشعاف في محافظة النماص من عقبة القامة جنوباً إلى بلاد بني رافع العمرية، وآل سلمة القرنية شمالاً ، فوجدت أصدار وأشعاف بلاد العوامر تصب في وادي شري أحد روافد حلي . وأشعاف وأصدار حاضرة النماص وما صاقبها شمالاً حتى جبل مرير تنحدر مياهها غرباً حتى تصب في وادي خاط ، ومنه إلى وادي يبة . أما أشعاف البلاد الممتدة من جبل مرير جنوباً إلى بلاد بني رافع من عمرو الشام فجميع مياه هذه الناحية تصب في وادي عبس ، أحد روافد وادي يبة . كما شاهدت عدداً من الأودية في محافظة المجاردة مثل: وادي خاط ، ووادي الضمو، ووادي جريا ، ووادي ختبه وجميعها تأتي مسائلها من أعالي السروات بمحافظة النماص[(٣)] .

ومناخ محافظة النماص معتدل صيفاً، بارد شتاءً وتسقط الأمطار على البلاد في بعض شهور العام وبخاصة في فصلي الشتاء والصيف . والضباب المعروف محلياً باسم (العماة) من العقبات المناخية التي تخيم على سروات المحافظة عدة شهور من فصلي الشتاء والربيع . وأحياناً تزيد كثافة الضباب وتنتشر على أجزاء المحافظة السروية ، والشرقية ، وسفوح السروات الغربية . بالإضافة إلى شدة البرد الذي يخيم على عموم المحافظة[(٤)] . والضباب والبرد جعل معظم سكان البلاد يهجرون بلادهم ، ويذهبون

---

(١) وادي ترج بفروعه ومجراه الرئيسي في أعالي محافظة بيشة له ذكر وتاريخ في كتب التراث الإسلامي . كما أنه مليء بالنقوش والآثار السطحية والمدفونة ، ومكتظ بالسكان ، وغني بثروته النباتية والحيوانية ، ويستحق أن يدرس جغرافياً ، وتاريخياً ، وأثرياً وحضارياً. آمل أن نرى باحثاً أو قسماً علمياً في جامعة بيشة يتولى جمع تراثه وآثاره وتاريخه ثم تحليلها وتوثيقها ونشرها .

(٢) إن الذاهب في سهول تهامة من القنفذة شمالاً إلى البرك والقحمة جنوباً يرى أودية كبيرة تبتلع أودية الأصدار والأجزاء التهامية الداخلية . ومن أهم تلك الأودية وأكبرها قنونا ، ويبة ، وحلي . وهذه الأودية الفحول الثلاثة هي التي تصب فيها مياه السروات الغربية من بلاد غامد وزهران شمالاً إلى بلاد عسير جنوباً . وكل هذه الأودية لها تاريخ وذكر واسع في كتب التراث الإسلامي .

(٣) شاهدت معظم هذه المعالم الجغرافية خلال رحلتي التي قمت بها في شهر صفر عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . واعلم أنني قد أوجزت الحديث عن هذه الأمكنة الجغرافية ، لكنني حرصت أن أذكرها وأوثق بعض الشيء عنها ، ولعل من يأتي بعدي يصحح ما وقعت فيه من أخطاء ، أو يستكمل ما لم أستطع توثيقه ورصده .

(٤) غالباً يتزامن وقت الضباب والبرد في فصلي الشتاء والربيع . إلا أن البرد قد يسود البلاد في هذه الفترة بدون وجود الضباب. والضباب قد يغطي البلاد أيضاً وقت الصيف. والناس قد يتحملون مشكلة البرد ، لكن الضباب مشكلة كبيرة وبخاصة بعد كثرة السكان ووجود الطرق المعبدة المسفلتة ، وكثرة السيارات التي ينتج عنها الكثير من حوادث السير أثناء تغطية الضباب (العماة) للبلاد. المصدر: معاصرة الباحث لهذه المشاكل منذ بداية حياته إلى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

إلى تهامة ، أو بعض المدن والحواضر الأخرى في المملكة العربية السعودية[١] ٠

تعد محافظة النماص من البلاد السروية ذات الغطاء النباتي الكثيف ، وبخاصة مرتفعاتها ، وسفوحها الغربية . كانت ومازالت تشتمل على عشرات الأنواع من الأشجار والنباتات البرية والمزروعة . وقد أشرت إلى أسماء كثير من تلك النباتات في القسم الخاص بمحافظة تنومة. وتلك الأشجار ، والشجيرات ، والنباتات ، والمزروعات في بلاد تنومة هي نفسها في معظم بلاد النماص بأقسامها الثلاثة (السروية ، والشرقية، والغربية) [٢] ٠

أما ثروات المحافظة الحيوانية ففيها الحيوانات الأليفة مثل الإبل ، والأبقار، والأغنام . وأعدادها اليوم أقل بكثير من السابق بل إن بعض هذه الحيوانات تجلب إلى المحافظة من بلدان عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها[٣] ٠ وبعض الطيور في المنازل مثل الدجاج ، والحمام ، والبط[٤] ٠ كما لا تخلو البلاد ، وبخاصة في الماضي من الكلاب المنزلية، والقطط ، والحمير ، وربما بعض الأحصنة[٥] ٠

---

(١) عاصرت حياة الناس في هذه البلاد منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وكانوا في السابق يذهب البعض منهم بمواشيهم إلى بعض حلالهم (مستوطناتهم) في الأصدار هروباً من البرد والضباب ، وأيضاً رعي مواشيه . وبعد تحسن أوضاع الناس الاقتصادية ، وتطور أحوالهم الحضارية في شتى الجوانب ، أصبح الكثير منهم يشترون أو يستأجرون بعض العقارات في الأجزاء التهامية مثل الأراضي أو البيوت أو الشقق من أجل الانتقال إليها وقت البرد والضباب . ومنهم من يذهب إلى مدن مكة المكرمة ، أو جدة ، أو أبها وخميس مشيط وغيرها للجلوس هناك مع أقاربهم كالبنات والأولاد المتزوجين ، ثم يعودون إلى قراهم ومواطنهم الرئيسية وقت الصيف . ونلاحظ تناقص أعداد السكان في المحافظة وقت البرد ، وازدحامها في فصل الصيف . وهذه مشكلة عامة على البلاد السروية الممتدة من الطائف إلى بلاد وادعة وقحطان. ونلحظ بلاد تهامة من مكة إلى جازان تزدحم وتنشط حضارياً واقتصادياً في فصلي الشتاء والربيع . وأقول إن هذا الموضوع يستحق أن يدرس من شتى الجوانب ، ويوثق في عدد من البحوث العلمية ٠

(٢) تلك النباتات والأشجار المتنوعة التي أشرت إليها سابقاً ، أثناء توثيقي شذرات عن محافظة تنومة تكاد تكون نفسها في عموم البلاد التهامية والسروية الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز الرئيسية . وربما اختلفت أسماء تلك النباتات المحلية من مكان لآخر في الأوطان الواسعة ، لكنها مازالت بحاجة إلى من يدرسها دراسة علمية مع الحرص على توثيق أسماء النباتات العلمية ، ووصف أشكالها ، وأحجامها، وأضرارها وفوائدها ، وما يمكن أن يكتب عنها ، ويكون ذا قيمة علمية ٠

(٣) عاصرت سروات وتهامة مناطق عسير ، والباحة منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وكانت الثروات الحيوانية المحلية كثيرة جداً ، بل كانت مهنة رئيسية يعيش عليها الكثير من السكان . وبعد أن زادت نسبة الوظائف الحكومية في البلاد ، وتوفر المال عند الناس تراجعت مهنة الرعي وتربية الحيوانات ، وتحول سكان البوادي الذين كانوا يمارسون الرعي إلى أعمال اقتصادية أخرى. وصار بعض الأفراد والأسر يمتلكون مزارع يربون فيها بعض الحيوانات مثل الإبل والمواشي الأخرى ، ثم صاروا يجلبون عمالاً من الخارج حتى يتولوا رعايتها والإشراف عليها ٠

(٤) الوضع نفسه الذي جرى مع الحيوانات الأليفة جرى مع تربية الطيور ، وصار هناك من يشتري الطيور للمتعة والتسلية . ومنهم من يجلب بعض الطيور الأليفة وتربى مع الحيوانات الأخرى في المزارع الخاصة ٠

(٥) شاهدت كل هذه الحيوانات في الماضي حتى بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) فالحمير والكلاب كانت موجودة بنسبة كبيرة ، واليوم صارت نادرة جداً ، إلا في بعض البوادي والأرياف البعيدة عن القرى والمدن المتحضرة. أما القطط فنشاهد بعضها ، وهي قليلة ، في القرى وبعض الأمكنة من المحافظة . أما الأحصنة فلا يملكها في

أمـا الحيوانات والطيور البريـة فكانت كثيرة في كل ناحية مـن المحافظة وبخاصة في البـوادي ، والغابات في عموم السروات ، ومنطقة الأصدار . ومنها الأسود ، والنمور، والضباع ، والذئاب ، والثعالب ، والقرود ، والنيص ، والأرانب. وبعض الطيور كالحجل، والقهابـى ، والغربـان ، والصقور ، والنسـور ، والحدأة وغيرها . جميـع هذه الكائنات الحيـة كانت موجودة بنسبة كبـيرة إلى العقد الأول من القرن (١٥هـ/٢٠م) ، ثم بدأت تنقصـ حتى أصبح بعضها نـادر الوجود ، بسبب زيادة السيـارات والآلات ، والأضواء، والضوضـاء والإزعاج مـن البشر. بل بعضها مثل الضباع ، والنمـور، والأسود صارت لا تعيشـ إلا في منطقة الأصدار وبخاصـة في الأماكن الوعرة . وبعض هذه الحيوانات مثل القـرود ، والذئـاب ، والثعالب مازالت موجـودة في مواطن عديدة مـن سروات وبوادي المحافظة ، لكنها بنسبة أقل بكثير عما كانت عليه في السابق[1] .

كما أن الزواحف والحشرات الضارة والنافعة كانت موجودة بكثرة إلى عهد قريب، فـترى الكثير منها في جحور المنـازل والطرقات داخل القرى والبوادي والأرياف ، وتكثر في الأوديـة والجبـال والغابات . ثم تراجعـت أعدادها مع شق الـدروب، وبناء المشاريع العمرانية المختلفة . وصار الكثير منها نادراً أن تراه ، وإن رأيت بعضها في أماكن متفرقة من المحافظة ، فهي خائفة ، وسريعة الهروب والاختفاء[2] .

والمياه مـن المصادر الطبيعية التـي عرفتها محافظة النماص. ففـي السابق كانت الآبار الجوفية هي المصدر الرئيسي لجلب المياه إلى المنازل، ورعي بعض المزارع ، وسقي الحيوانـات الأليفـة[3] . كمـا أن الأمطار كانت تسقـط بكميات كبيرة، فتجـري الأودية

السابق وحتى الآن إلا الأغنياء والمقتدرون ، وقليل جداً من يملك بعض الأحصنة في بيته ومزرعته .

(١) ضريبـة التمدن والتحضر توفـر أشياء ، وتدهور أشياء أخرى . فالذاهـب في أرجاء بلاد السروات وتهامة مـن العقـود الأخيرة في القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يرى تطور الإنسان وتمدنه في أشيـاء كثـيرة مادية ومعنويـة ، وخاصة وعامة . لكن الحياة الطبيعية في البـلاد من غطاء نباتي ، وثروات حيوانية ومائية وجغرافية طبيعية أصابها الكثير من التدهور والتراجع عما كانت عليه في القرون الماضية . وهـذه التحولات التي جرت للأرض والإنسان في عموم المملكة العربية السعودية خلال الستين سنة الماضية (١٣٨٠ـ ١٤٤٣هـ/١٩٦٠ـ ٢٠٢١م) جديـرة بالدراسـة والتوثيـق مع دعـم كل البحوث العلميـة بالصور الفوتوغرافية الملونة ، وهي مصادر قريبة العهد والحصول عليها مازال ميسوراً .

(٢) أدون في هـذه الورقـات مشاهداتـي وتجاربـي خلال سـتين عاماً . وقـد اجتهدت أثناء ارتحـالي في بعض محافظـات منطقة عسير هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، لعلـي أن أرى بعض الزواحف أو الحشرات التي كنـت أراهـا في مزارعنـا وقرانا وبوادينـا في بلاد بني شهر وبني عمـرو منذ نهاية السبعينيـات إلى نهاية التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، لكنني لم أشاهد شيئاً يذكر ، وتأكد لي التدهور الذي أصاب الحياة الفطرية في بلادنا (سراة وتهامة) التي كانت مكتظة بهذه الكائنات الحية إلى عهد قريب من عصرنا .

(٣) سـرت مشاهداً ومسافراً في البلاد الممتدة من عمرو الشام إلى بلاد العوامر وعقبة القامة في جنوب محافظة النماص منذ ثمانينيات القـرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، ورأيت تلك البلاد في الماضي كيف كانت ممطرة طوال العام ، وكيف كانت جبالها ووهادها ومزارعه مكتسية باللون الأخضر، لما تحتوي عليه

الصغيرة والكبـيرة ، وتتشكل العيون والجداول المائية المتعددة في أطوالها ، وأحجامها، ومواقعها . ومن ثم فالأراضي كانت مورقة ومزدهرة والمزارع تغطي معظم بلاد السراة الممتدة من عقبة القامة ، إلى بلاد بني رافع في شمال المحافظة. والوضع نفسه الذي جرى للكائنـات الحية من النباتات والحيوانات وغيرها أثـر أيضاً على مصادر المياه، فغارت الكثـير من الآبار وجفت ، وقلت الأمطار ، فلم نعد نرى أودية أو عيوناً أو جداول جارية، وإنمـا جفت وأصاب القحط أغلبها ، وساد البلاد نسبـة عالية من الجفاف والتصحر. وأثناء تنقلي في ربوع محافظتي تنومة والنماص هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، قارنت الحيـاة الجغرافية الطبيعيـة في السابق، وكيف صار وضعها في الوقت الحالي ، ومن ثم عرفت أن الحياة الجغرافية في البلاد تراجعت في كثير من مكوناتها الطبيعية[1] .

من جغرافية المحافظة الغابات والمتنزهات . فالبلاد في الماضي كانت معظم جبالها ووهادهـا وأوديتهـا وقراها ومزارعها مكتظـة بالنباتات البريـة والمزروعة . والناس في الماضـي يبذلـون قصارى جهودهـم في أعمال الزراعـة ، وحماية قراهـم ، وأراضيهم الخاصـة والعامـة ، وبالتالي كانت الحشائش وجميع النباتـات متوفرة في كل مكان . ثم بـدأ العمران الحديث منذ التسعينيات، وجـرى الاعتداء على الغطاء النباتي والأراضي الزراعية فتراجعت مساحات النباتات والزروع . ولم تسلم الجبال والغابات والأودية من اعتـداء البشر على غطائها النباتـي . وتأسست البلديات وصـارت تشرف على أراضي المحافظـة ، وتنشئ الحدائـق والمتنزهات . كما اجتهدت وزارة الزراعة في الحفاظ على الغابـات وعـدم الاعتداء عليهـا . ونشاهد اليـوم الكثير من الأمكنـة المخصصة للتنزه والترفيـه . ومنطقة الأشعـاف في قمم السروات الممتدة من العوامـر وعقبة القامة إلى بلاد خشرم والعقيقة والخضراء . وأيضاً بعض الأشعاف من بلاد حلباء والسرو إلى بلاد بنـي رافـع في عمرو الشام . أصبحت جميعها متنزهات تشـرف عليها البلدية ، ومزودة

من النباتات المختلفة . وشاهدت في وقتنا الحاضر كيف تحولت الجبال والمزارع إلى قرى ومستوطنات بشرية ، ومـا جرى للغطاء النباتي والأراضـي المسقوية والعثرية من تجريف وتغيير في تربتها ومعالمها الطبيعية. واقول إن أجـرى دراسة على طبيعة الأرض ومواردها منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا المعاصر موضوع مهـم جدير بالدراسـة والتوثيق ، مع الحرص على دراسـة الأسباب والظروف والعوامل التـي سببت التقهقر للطبيعة ، وكيف يمكن تلافي تدهورها ، وإصلاح ما جرى لها من البشر والتحولات الطبيعية الجغرافية .

(١) ليست هذه الحالة محصورة فقط على محافظة النماص وإنما شاهدت ذلك في معظم بلدان السراة وتهامة، وفي مناطـق عديـدة من المملكة العربية السعودية . وتلك ضريبة الحياة المدنية التي يعيشها الناس منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وأيضاً عدم وعي الناس بأهمية الطبيعة ومواردها ، والاجتهاد في الحفاظ عليها . والواجب على جميع الأفراد والجماعات ، وعلى المؤسسات الحكومية والأهلية ، وعلى المدارس والجامعات أن تتضافـر جهودهـا لنشر الوعي والثقافة التي تصب في الحفاظ على البيئة الطبيعية في شتى الجوانب . وهذه مسؤولية تهم الجميع ، وليست الوزارات أو المؤسسات المعنية فقط ، وإنما الجميع عليهم مسؤولية ، ويجب أن يكونوا مدركين ذلك ، ومجتهدين متضافرين فيما يعود بالنفع والفائدة على طبيعة الأرض وجمالها .

بالإضاءة ، وبعضٍ الجلسات والحدائق ، وألعاب الأطفال ، والحمامات والمظلات. والذي أكسبها جمالاً ومتعة هو إحاطتها بغابات بالعرعر وغيرها من النباتات . وتصل إليها طريق مسفلت مزدوج في بعض أجزائه ، وذات اتجاه واحد في أجزاء أخرى [١] .

والذاهب في محيط حاضرة النماص، وحلباء ، وبلاد عمرو الشام ، وأودية شعبان ، والفرعة ، وبدوة . ووادي ترج، وسد بني عمرو وغيرها يجد العديد من الأمكنة الصالحة للتنزه[٢] . ويجد إلى جوار بعضها الغابات ، والأمكنة البرية التي يزورها الناس أفراداً وجماعات ويقضون فيها أوقات للاسترخاء والمتعة [٣] .

ب ـ السكان :

جميع سكان محافظة النماص قبائل عربية أزدية ، لها أسماء معروفة منذ القدم، ومازالت تحمل الأسماء نفسها حتى الآن . ومعظم سكان المحافظة يقطنون قريباً من الخط العام الذي يربط أبها بالطائف. وحاضرة المحافظة مدينة النماص ، وكل البلاد تعرف بأسماء قراها . وأثناء تجوالي في هذه المحافظة في الفترة من (٧ـ٩ / صفر/١٤٤٣هـ) زرت عشرات القرى في هذه الناحية[٤] ، ومن القرى التي شاهدتها وسمعت عنها ابتداءً من الجنوب إلى الشمال كانت على النحو الآتي :

(*) من عقبة القامة إلى جنوب حاضرة النماص شرق الخط العام وغربه .

(١) رؤوس شري .(٢) البردة. (٣) آل علاء .(٤) الميفاء .(٥) آل بهيش. (٦) مرو. (٧) الوهدة. (٨) النبيه . (٩) آل معمع، وآل مشني، وآل ثعلبة، والعماسية .(١٠) المهد. (١١) العرق .(١٢) آل عفراء، وآل يسعد. (١٣) آل بن جرادة ، وآل إيدي ، وبني مشهور.

---

(١) تجولت في هذه المنتزهات يومي (٧ـ ٨ /١٤٤٣/٢هـ) ، ووجدتها تزدان بالجلسات والمرافق الضرورية. ومعظمها تطل على تهامة، وتحيط بها الغابات من الجهات الشرقية والشمالية والجنوبية . وكثافة الغابات وكثرة الأشجار في محافظة النماص في هذه الأراضي الشعفية . كما يوجد قريباً من بعضها بعض المنتجعات والتجمعات السكنية . المتفاوتة في مساحاتها ، وأعدادها ، وأحجامها . وعلى مقربة من بعض الأمكنة في هذه المنطقة قرى سكنية ، وأحياناً أراضي زراعية . والمقرات والمتنزهات السياحية والغابات في بلاد الحجر تستحق أن تدرس في كتاب أو رسالة .

(٢) كل هذه الأمكنة معالم جغرافية معروفة ، وبعضها مذكورة في المصادر والمراجع التاريخية والحضارية .

(٣) بعض هذه الأمكنة تستخدم للرحلة والتنزه منذ كنت طالباً في مرحلتي المتوسطة والثانوية . وكانت آنذاك أراضي بكر لم تمتد إليها يد الإنسان بالتجريف والبناء . أما اليوم صار فيها بعض المرافق السياحية المتفاوتة في أحجامها ومساحاتها .

(٤) معظم القرى المذكورة في هذه الورقات قديمة ، فالبعض منها يعود تاريخها إلى عصور ما قبل الإسلام ، وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة . حتى مع التوسع العمراني الحديث مازالت تعرف بأسمائها القديمة ، ويجب الحفاظ على ذلك وعدم استبدالها بأسماء حديثة ، لأنها تعكس صفحة من تاريخ وحضارة البلاد .

(١٤) الفرعة ، وآل حلس، وآل ثابت، وآل التيس[١].

(*) من شمال بني مشهور جنوباً إلى جنوب حلباء :

هـذه البـلاد حاضـرة النماص ومـا جاورهـا ، ومـن القـرى التـي شاهدتهـا، وعرفـت معظمهـا منـذ سـن الطفولـة والشبـاب. (١) القريـة . أو النماص[٢]. وسكانـه الكلاثمـة ويتكونـون مـن عـدة قـرى مثـل بلـدة النماص نفسهـا ، وآل عمر، وآل سلامة ، وبني روق ، وآل الشنظوف ، وبادية الموادعة في الفرعة الجنوبية. (٢) بنـي بكر وهم عدة قرى وأحيـاء جنوب شرق النماص ، ومن قراهم أيضاً الفضول والفرعـة الشمالية في الناحيتين الشرقيـة والشمالية الشرقية من مدينة النماص .(٣) آل فويسـ، وآل هيه، والشهـوم، والعامشة، وآل زينب، والدحض، وجميع هذه القرى تقع شـرق مدينـة النماص، ويتفاوت بعدها وقربهـا من الخط العام ، وأبعدهـا شرقاً قرية الدحضـ . (٤) الحـدب والخاضـرة ، وآل رزيـق ، وآل معوطـة[٣]. وآل وليد ، والحتار، وآل ضـاوي ، وعاكسة، وآل مقبـول[٤]، وشعبان، وآل ملوح ، وآل كرع ، وبدوة، ومخدرة ، ولشعـب ، وآل بوحبـال، والصريف ، وصدريـد ، وآل سكوت ، وآل غيهب ، والحلقة ، وآل غوالة ، والقيم ، والريامة ، وآل ساعد، وآل طارق ، وذا المظر ، وآل هلالة ، وآل سلطان، وآل حشيش[٥]. (٥) لحبي ، وآل قحطان، والفرش ، وأبو قرنين ، وأبو قبيس ، ومسلمة ،

---

(١) هذه أسماء بعض القرى التي شاهدتها وزرت معظمها في بلاد العوامر من جنوب مدينة النماص إلى رأس عقبة القامـة. وجميعهـا على جانبي الطريق العام ، وتتفاوت في مسافـات بعدها وقربها منه . ولم آت على كل القرى وبخاصة مع العمران الحديث فقد تداخلت الكثير من البلدان والقرى ، وأصبح هنـاك صعوبة في تمييز كل قرية من أخرى . وجميع هذه القرى المذكورة أعلاه تعود لقبائل وعشائرها في بلاد العوامر الشهرية السروية .

(٢) النماصـ ، أو القريـة مقر المؤسسات الإدارية الرسمية منذ زمن بعيد. كانت متواضعة في مساحتها ومنازلها. ووسـط القرية يطلق عليه قديمـا المحثل ، أوالمنداة ، ثم عرفت مؤخرا بالمنشيـة كونها مقرا لبعض المؤسسات التجاريـة . وكان قريبا منها بعض الأمكنـة مثل الرهو في الناحية الشمالية ، وبدعة في الناحية الغربية ، وحي سكنـي في الجهة الجنوبية الشرقية . واذكر في التسعينيـات من القرن (١٤هـ/٢٠م) أن هذا الحي كان حارة تحتـوي علـى عمائر كبيرة من عدة طوابق ، وذات ألوان مختلفة (زرقاء ، وحمراء ، وبيضاء وغيرها) ، وهي تعكس جودة بنائها ، وربما غنى أهلها ويسر أحوالهم الاقتصادية والمادية . ومعظم سكانها آنذاك من سروات قحطـان ، جـاءوا إلى بلاد النماص في قرون ماضيـة ، واستقروا فيها، وصاروا من نسيـج المجتمع النماصي. وأولادهـم وأحفادهـم اليوم من بني شهر، فقـد صاهروا الكثير من الأسر. وقد رأيـت أمثالهم كثيرا في بلاد السـراة الممتدة مـن أبها حتى الطائف . وموضـوع هجرة بعض القحاطين من بلادهـم واستقرارهم في بلاد عديدة من خميس مشيط إلى الطائف موضوع جيد فيكون عنوانا لكتاب علمي أو رسالة ماجستير أو دكتوراه .

(٣) هذه القرى الأربع تتبع قبيلة بني جبير التي ينتمي لها المؤلف ، وقرية آل رزيق موطن والده وأجداده لأبيه .

(٤) قرية آل مقبول المكان الذي ولد فيه المؤلف ، وهي قرية أجداده لأمه ، إحدى قرى بني كريم العمرية .

(٥) كان هنـاك عقبة كـؤود في بلاد آل حشيش ، وصارت اليوم سهلة العبور وجـزءا من الطريق العام . وجميع القـرى الـواردة في الرقم (٤) تقـع شمال وشمال شرق مدينـة النماص ، وهي خليط مـن القرى العمرية والشهريـة ، والذاهب في أرجائها يصعب عليه التمييز ومعرفة القرية الشهرية من العمرية لشدة التداخل في الجبال والمزارع ومرافق القرى .

وآل رحال ، وآل عظية ، وآل رحمة ، وآل الحبشي ، وآل جميرة ، وآل غران ، وآل زهراء ، وبني مليح ، وآل ناشر، وآل طوير، والمرحب ، وخشرم ، والخضراء ، والعرق[١] ٠

(*) من حلباء جنوباً إلى السهوة شمالاً :

(١) المدانة ، وآل مستور ، وآل زفين ، والغرة ، والدقائق ، والشبارق . (٢) القرية ، وآل نشوان ، وآل عليان ، والقبل، وذرنا ، وآل الميسري، وآل عريف ، وآل نبهان ، والرهوة، وآل مكيمل. (٣) ربوع السرو ، والعدوة ، وأكرم ، وآل نبيح ، وآل جعيد ، والسهوة ، والأصفاء [٢] ٠

(*) من الأصفاء وما حولها جنوباً إلى بلاد بني رافع شمالاً :

(١) آل عطيفة، وآل الشاعر، وآل الهيفة، وآل سعد، وآل حسيكة. (٢) الجحور، وآل غثران، ولزمة، وآل جاهل، وآل عمار ، والكنهبلة، وذات العلب .(٣) آل مفرج، وآل طلحة، والعاسرة، وآل فقير، وآل الشيخ، وآل جرار (يرار) ، وآل سودان ، وآل سلطان، وآل خزيم . (٤) آل بسام ، والحصباء [٣] ، وآل مشنية ، وآل شيبان ، وآل غزالة[٤] ٠

(*) من خلال تجوالي في محافظة النماص من جنوبها إلى شمالها ، ومن شرقها إلى غربها ، خرجت ببعض الرؤى عن تركيبتها البشرية ، وأذكرها في النقاط الآتية :

١. إن جميع السكان الأصليين من القبائل العربية الماجدة ، ومعظمهم من الأزد ٠ وأكثر تجمع لهم في البلاد السروية الممتدة من عقبة القامة وبلاد العوامر جنوباً إلى حدود محافظة بلقرن من الناحية الجنوبية . ولهم أحلاف وصلات نسبية وقبلية مع بعض العشائر الأخرى في تهامة ، وفي الأجزاء الشرقية لبلاد السراة حتى محافظتي خميس مشيط وبيشة شرقاً [٥] ٠

٢. الغالب على التركيبة السكانية الوضع القبلي ، فكل قبيلة أو عشيرة في بلادها ، تتكون

---

(١) معظم هذه القرى تعود في قبائل بني التيم الشهرية ، وفيها قرى قليلة ومحدودة تعود في قبائل بني عمرو ٠

(٢) هناك الكثير من القرى والمنازل المتناثرة ، وبعضها عمرية وأخرى شهرية ، ولم أتمكن من ذكر كل القرى في هذه البلاد ، لكنني أجتهدت في ذكر بعضها . وقد يأتي بعدي من يصحح ما أخطأت فيه ، ويستكمل ما لم أستطع تدوينه٠

(٣) الحصباء مكان واسع في شمال محافظة النماص ، ويسكن في هذه البلاد مجموعة من القرى العمرية وبخاصة في بلاد بني رافع ٠

(٤) كل القرى المذكورة في المحور المدون أعلاه تنتسب في بلاد بني عمرو ، ولم أستطع الوقوف أو حصر كل القرى في هذه الناحية فهي كثيرة وبعضها صغيرة وأخرى كبيرة .

(٥) من يسير في هذه البلاد شرقاً وغرباً يجد صحة ما ذكرت أعلاه . ومن يطلع على بعض الوثائق والصلات الحضارية القديمة يجد البعض من سراة محافظة النماص ذهبوا إلى تهامة أو البوادي الشرقية واستقروا فيها ، وخالطوا عشائر وقبائل أخرى عديدة . بل يجد بعضهم في أقصى جنوب وشمال المحافظة متداخلين مع القبائل المجاورة في محافظتي تنومة وبلقرن ٠

من قرى كبيرة وصغيرة. ولبعضها مستوطنات سكنية وبشرية في البوادي الشرقية ، وفي أمكنــة عديدة من السفــوح الغربية لجبال السراة وبخاصة في منطقة الأصدار . وذكــري أسماء بعض القرى يؤكد علــى أن الأسر ثم القرى هي العمود الفقري الذي تشكلت منه القبائل والعشائر . والقرى السابق ذكرها وغيرها تتفاوت في مساحاتها ، وعــدد سكانها ، وتاريخهــا ٠ فأغلبها قرى قديمة ، والذاهــب في أرجائها يلحظ قدم آبارهــا ، ومنازلها ، وحصونها ، ومدرجاتهــا الزراعية ، وكذلك الكثير من عاداتها ، ولهجاتهــا ، وأعرافهــا الاجتماعية . ناهيك عن طرقهــا ، وأسواقها ، ومقابرها فهي الأخرى قديمة وبعضها يعود إلى العصر الجاهلي وصدر الإسلام [١] ٠

٣. في رحلتي الأخيرة عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) رأيت العديد من الأجناس العربية وغير العربيــة التي جاءت إلى المحافظة من أجل العمل في ميادين اقتصادية واجتماعية ، وصحية ، وتعليمية وغيرها ٠ فمن الدول العربية المصريون ، واليمنيون ، والسودانيون ، وبعض دول الشام ، ودول شمال إفريقيا ، وربما وسطها وشرقها وغربها . ومعظمهم يعملــون في مجالات اقتصادية متنوعة . ومنهم (نســاءً ورجالا) يعملون في التعليم العالي وبعض القطاعات الصحية الحكومية والأهلية[٢] ٠ وفي البلاد أيضاً عناصر غــير عربية ، وفيهم المسلم وغير المسلم) أمثال: الهنود ، والباكستانيين ، والأفغان ، والبنجاليــين ، والنيباليين ، والأحباش ، والإثيوبيين . وقليل من الفلبينيين ، ونادراً أن نشاهد أجناساً أوربية أو غربية[٣] ٠

٤. دراســة أوضاع السكان في محافظة النماص ، وما جرى عليها من تحولات حضارية خــلال العصــر الحديــث والمعاصر. مــن الموضوعــات الجديدة في ميــدان البحث والتوثيــق. وللحياة السياسية ، والإدارية ، والاقتصادية ، والتعليمية ثم التنموية دور

---

(١) أرصــد هــذه الأقوال ، لأنني متأكد مما ذكرت ، فقد شاهدت الكثير من هذه المعالم الجغرافية . ومحافظة النماص ليست إلا جزء صغير من بلاد تهامة والسراة ، الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز ، فهذه البلاد بمفهومهــا الواســع مستوطنات قبلية قديمــة ، ولكل قبيلة ومكان تاريخ وحضــارة ، لكن للأسف لا نجد لها الذكر الكبير والواسع في المصادر الكلاسيكية الأجنبية ، وكتب التراث الإسلامي المبكرة والوسيطة لا تذكر الشــيء الكثير عنها . وأملنا في معرفــة تاريخها وحضارتها القديمة من خــلال الدراسات الأثرية المعنوية والماديــة السطحيــة والمدفونة ، فأرجو من مؤسسات التعليم العالي في هــذه البلاد أن تؤسس مراكز بحوث متخصصة تهتم بهذا الميدان المعرفي المهم ٠

(٢) زرت مستشفــى النماص ، وبعض المستوصفــات الأهلية ، وكليتــي البنــات والأولاد في المدينة ، وبعض الأسواق الصغيرة والكبيرة ، وعدداً من الورش الصناعية والتقنية وشاهدت الكثير من العناصر العربية المذكورة أعلاه ٠

(٣) مشاهــدات الباحــث في الفترة من (٧ـ٢/٩/١٤٤٣هــ) . وفي نهاية القرن الهجــري الماضي وبداية القرن (١٥هــ/٢٠م) حتــى العشرينيات منه كنت أشاهد أجناساً غربية ، من أوربــا وأمريكا ، وعناصر كورية أو صينية وجميعهم يعملون في المشاريع المعمارية كالطرق ، والجسور ، وفي شركة الكهرباء وغيرها ٠

كبير في تشكيل حياة الناس ، وتكاثرهم ، وصلاتهم ببعضهم أو بغيرهم[١] ٠

٢ـ من التاريخ الإداري لمحافظة النماص ومراكزها .

أ ـ حاضرة النماص ومؤسساتها الإدارية :

تؤكد الوثائق التاريخية أن بلدة النماص كانت المقر الرئيسي لعدد من المؤسسات الإدارية الحكومية التي يمتد عملها ونفوذها إلى المجاردة في تهامة وبلاد بني عمرو السروية شمالاً ، وتنومة جنوباً[٢] ٠ واذكر بعض المؤسسات الإدارية الحكومية والأهلية التي شاهدتها في النماص عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، ومن أهمها ما يلي:

١ـ المحافظة (الإمارة سابقاً) :

تأسست المحافظة (الإمارة سابقاً) عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م) ، كان مقرها في مبنى حكومي وسط بلدة النماص (القرية) ، تتكون من ثلاثة أدوار . وتعاقب عليها العديد من الأمراء ثم المحافظين[٣] ٠وهي اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) توجد في مبنى حكومي مكون من دور واحد ومرافقه في مجمع الدوائر الحكومية شرق المدينة، وإلى جواره أبنية حكومية أخرى . ومقابل المبنى من الغرب مساحة تزيد مساحتها عن (٧٠×٧٠م) تستخدم للاحتفالات والمناسبات الرسمية في المحافظة ٠

٢ـ المحكمة وكتابة العدل :

تأسست محكمة النماص الشرعية عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٢م) ، وسط بلدة القرية، ثم تعاقب عليها العديد من القضاة[٤] ٠ وفيها اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) عدد من القضاة،

---

(١) هذا الأمر ليس محصوراً في محافظة محددة مثل النماص ، لكن عموم حواضر ، ومدن ، ومحافظات ، ونواحي السروات وتهامة جرى عليها تغيرات حضارية كثيرة منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر . وهذه البلاد تستحق أن تدرس ويوثق تاريخها الحضاري في المئة سنة الماضية . وهذه مسؤوليات الجامعات المحلية من خلال كلياتها ، وأقسامها ، ومراكز بحوثها ، وأعضاء هيئة تدريسها ٠

(٢) الباحث في التاريخ الإداري لبلدة النماص منذ القرن (١٣هـ/١٩م) حتى النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) يجد أن معظم المؤسسات الإدارية المسؤولة عن بلاد بني شهر وبني عمرو (سراة وتهامة) كان مقرها بالنماص ، ثم أنشئت إمارة المجاردة عام (١٣٦٥هـ/١٩٤٥م) ، وانفصلت عن النماص، تلاها إمارة تنومة عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) . انظر علي العسبلي وظافر حبيب ، النماص ، ص ٢٥٠ ٠ ويوجد عند الباحث العديد من الوثائق التي تؤكد المعلومات المدونة أعلاه ٠

(٣) للمزيد عن تاريخ المحافظة ، وأسماء الأمراء ثم المحافظين الذين تعاقبوا عليها إلى عشرينيات القرن (١٥هـ/٢٠م) . انظر: غيثان بن جريس. بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ـ ١٤هـ) ، (الطبعة الرابعة) ، ص ٢٠٣ـ ٢١٣ ٠

(٤) للمزيد عن تاريخ المحكمة الشرعية وكتابة العدل انظر غيثان بن جريس ، بلاد بني شهر وبني عمرو (الطبعة الرابعة) ، ص٢١٣ـ ٢١٥٠ علي محمد العسبلي ، النماص ، ص ٢٦١ـ ٢٦٢ ٠

وتعمـل في عمـارة مستأجرة مكونة مـن خمسة أدوار على الشارع العـام جنوب المدينة . ويشاركهـا في نفس المبنـى كتابة العدل التي يعمـل فيها قاضيان . وتشغـل كتابة العدل الطابـق الثـاني وجزء من الطابـق الأول . أما المحكمة فتعمل في جـزء من الدور الأول ، والأدوار الأخرى من الثالث إلى الخامس[١] .

٣ـ الشرطة ، والمرور ، والسجون ، والدفاع المدني :

تأسســت الشرطة عام (١٣٦٩هـ/١٩٤٩م) ، كانت مسؤولياتها تمتد من صبح بلاد بللحمـر جنوبـاً إلى آخر محافظة بلقـرن شمالاً ، ثم استقلت بعض النواحي بمراكز أو إدارات شرطة[٢] . وتقع إدارة شرطة النماص حالياً في عمارة مستأجرة مكون من ثلاثة أدوار جنوب المدينة على الشارع العام . ويتبع الإدارة ثلاثة مخافر في مراكز بني عمرو، والسرح ، ووادي زيد [٣] .

كانت الشرطة تباشر الحوادث المرورية في النماص ، ثم أنشئت وحدة مرور النماص عـام (١٤٠٠هــ / ١٩٨٠م)[٤] .وتقـع إدارة المرور حاليـاً إلى الجنوب مـن مبنى إدارة الشرطة، في عمارة مستأجرة مكونة من ثلاثة أدوار[٥] . ووحدة السجون كانت مرتبطة بالإمـارة منذ تأسست إمارة النماص ، ثم صـارت مرتبطة بالشرطة ، وأخيراً أصبحت تراجـع الإدارة العامـة للسجون في منطقـة عسير . وتقع اليـوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) في مبنى مستأجر مكون من دورين شرق المدينة ، قريباً من مبنى المحافظة[٦] .

تأسـس مركـز الدفاع المدني عـام (١٣٩٧هــ/١٩٧٧م) ، ثم تحـول إلى إدارة عام (١٤١٠هــ/١٩٩٠م) تشـرف على عدد من المراكز من بني عمـرو إلى بللحمر . وفي عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) انفصلت مراكز بللحمر ، وبللسمر، وتنومة . وبقيت مراكز النماص، وبنـي عمرو، والسرح ، وأخـيراً الفرعة وجميعها تراجـع إدارة الدفاع المدني بالنماص . والمراكـز في عمائـر مستأجرة ، أمـا الإدارة فتقـع في عمارة حكومية مكونـة من دورين

(١) مشاهدات الباحث في (١٤٤٣/٢/٨هـ) . وتاريخ المحاكم في منطقة عسير خلال العصر الحديث والمعاصر موضوع جديد يستحق أن يدرس في هيئة كتاب .

(٢) للمزيد عن تاريخ الشرطة في النماص انظر علي محمد العسبلي ، النماص ، ٢٦٥ . غيثان بن جريس ، بلاد بني شهر وبني عمرو ، ص٢١٥ـ ٢١٦ .

(٣) مشاهدات الباحث وجولاته في سراة محافظة النماص في (٨ ـ٩ /١٤٤٣/٢هـ) .

(٤) علي العسبلي ، النماص ، ص ٢٦٦ .

(٥) لمزيـد من التفصيلات عن بداية المـرور وما جرى عليه من تطوير انظر: غيثان بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو ، ط٤، ص ٢٣١ـ ٢٣٢ .

(٦) مشاهدات الباحث في (١٤٤٣/٢/٨هـ) ، للمزيد انظر علي العسبلي ، النماص ، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

ومرافقها على الشارع العام شمال مستشفى النماص. ويعمل في الإدارة والمراكز حوالي (٢٠٠) فرداً من رتبة جندي إلى عميد ، بالإضافة إلى موظفين مدنيين ، وهم قلة[١] .

٤ـ البلدية :

أسس فرع لبلدية أبها في النماص في أوائل الثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، كانت خدماته محدودة جداً[٢] . ثم أسست بلدية النماص عام (١٣٩٤ـ ١٣٩٥هـ/٧٤ـ ١٩٧٥م)، وتعاقب على إدارتها العديد من المديرين والمهندسين حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) [٣] . لها مبنى حكومي ضخم على الطراز الحديث في مجمع الدوائر الحكومية مجاور للمحافظة من الجهة الجنوبية . يقع في خمسة طوابق جميعها مستخدمة من قبل موظفي البلدية[٤] . ومساحة المبنى (٩٢٠٠م٢) ، ومن مرافقه مواقف تتسع لعشرات السيارات ، ومبنى طوارئ ، وغرفة حراسة . وهناك مقرات أخرى متفرقة للبلدية ، ومنها: (١) استراحة البلدية بالظهارة ومساحتها (٩٣٠٠م٢)، ومن مرافقها مدرجات وغرفة حراسة، ومواقف للسيارات . (٢) مبنى الضيافة بخفي ومساحته (٩٠٠م٢) ، ومن أهم مرافقه مواقف للسيارات. (٣) ساحة البلدية بالفرعة الشمالية ، ومساحتها (١١١٥٠م٢) ، ومن مرافقها مبنى ضيافة ودورات مياه ، وملاعب كرة قدم، وكرة السلة ، ومدرجات للساحة وبوفيه ومواقف للسيارات[٥] .

كما اطلعت في شهر صفر من عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) على سجل في بلدية النماص يوضح حوالي (٤٠) موقعاً تحتوي على أراضي ومباني تابعة للبلدية ، ومنها: (١) حدائق المجمع الحكومي ، والسحاب ، والملك عبدالله، والمطل، والمدانة ، وممشى التحلية الجديدة ، والملك خالد ، وأكثر من حديقة في الظهارة ببلاد العوامر. (٢) عدد من المباني ، والساحات ، والاستراحات ، مثل: مبنى البلدية القديمة بجوار المحافظة من الشمال ، ومسلخ البلدية ، ومبنى ساحة الظهارة ، والمركز الحضاري وساحته ، وساحة المجمع الحكومي ، وساحات الفرعتين الشمالية والجنوبية، ومصلى العيد بالفرعة الشمالية ، واستراحتي البلدية في جبل شحر وفي بني مشهور، ومجمع سوق الأقبال . (٣) مواقع أخرى ، مثل بعض الملاعب الرياضية ، ومشتل البلدية ، وبعض المواقع المستثمرة في الفرعة ، والشعب ، وشعبان .

---

(١) للمزيد انظر غيثان بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو ، ط٤، ص ٢٣١٠ علي العسبلي ، النماص ، ص ٢٦٩ـ ٢٧٠ .

(٢) علي العسبلي ، النماص ، ص ٢٧٤ .

(٣) المرجع نفسه ، انظر غيثان بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو ، ط٤، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

(٤) مشاهدات الباحث وزياراته لبلدية النماص في (١٤٤٣/٢/٨هـ) .

(٥) هذا الذي سمعته من بعض المسؤولين في البلدية في (١٤٤٣/٢/٨هـ)، وزودوني بالعديد من الخرائط والوثائق مثل: (١) صيانة حديقة المطل. (٢) صيانة حديقة المجمع الحكومي . (٣) صيانة بعض الشوارع بالمحافظة . (٤) سفلتة وصلات ترابية في ثلاثين قرية في المحافظة.

وهناك حوالي (١٢) موقع لأبراج الاتصالات ، وجميعها مستأجرة من قبل البلدية [١] ٠

٥ـ الإدارات الصحية :

نجد في بعض المراجع، ونسمع من بعض الرواة صعوبة الحياة الصحية في بلاد النماص خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وأول مستوصف صحي حكومي تأسس في بلدة النماص كان عام (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) ، كانت قدراته قليلة ومتواضعة، ثم تطورت القطاعات الصحية في المحافظة بعد افتتاح مستشفى النماص عام (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ، وافتتح عدد من المستوصفات الصحية في نواحي عديدة من سروات بني شهر وبني عمرو[٢] ٠

عند جولتي في المحافظة في (١٤٤٣/٢/٨هـ) . وجدت مستشفى النماص يقع على ربوة مرتفعة على الطريق العام جنوب المدينة . يتكون من دورين مع عدد من المرافق الأخرى . ومساحة الأرض تزيد عن تسعة آلاف متر مربع ، ويحتوي المستشفى على معظم التخصصات الطبية ، ويعمل فيه أكثر من (٢٠٠) فرد من الرجال والنساء ، موظفين وموظفات، وأطباء وطبيبات، وفنيين في أقسام الأشعة والمختبرات وغيرها .

كما يوجد فيه مركز لغسيل الكلى ، وآخر لطب الأسنان ، ومركز ترفيهي ، وسوبرماركت ، ويحيط به بعض الحدائق الصغيرة المحدودة في مساحاتها ونباتاتها. وضمن مرافق المستشفى مهبط لطائرة (الهليكوبتر) التي تقوم بإخلاء بعض المرضى من النماص إلى مستشفيات كبرى داخل المملكة العربية السعودية . وخدمات المستشفى تغطي محافظة النماص وما جاورها ، وسعته (١٠٠) سرير. وذكر لي أنه ربما تتم توسعته في المستقبل القريب[٣] ٠

يتبع المستشفى حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تسعة مراكز صحية متفرقة في عموم

---

(١) يعمل في البلدية عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) حوالي (١٥٠) موظفة وموظفاً فنياً وإدارياً . بالإضافة إلى بعض العمالة الهندية والبنجالية الذين يخدمون في مكاتب الموظفين . وتاريخ البلديات في عموم السروات وتهامة موضوع جديد لم يدرس منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر، مع أن هناك الكثير من الوثائق والمصادر التي تصب في خدمة هذا المجال ، أرجو أن نرى باحثين جادين يدرسون هذا العنوان في أكثر من كتاب أو رسالة علمية ٠

(٢) كان هناك العديد من الأمراض التي تفتك بالناس، وعند السكان بعض الوسائل الشعبية البسيطة التي يتداوون بها . وبعد افتتاح بعض المراكز الصحية ، زاد الوعي عند أهل البلاد ، وكثرت الخدمات الطبية التي تعود بالفوائد الكبيرة على حياة البشر. تاريخ الطب والتطبيب في منطقة عسير خلال القرون الماضية المتأخرة موضوع جديد يستحق أن يدرس في عدد من البحوث العلمية ٠

(٣) للمزيد عن تاريخ الخدمات الصحية في النماص انظر غيثان بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو ، ط٤، ص ٢٢٦ـ ٢٢٨، علي العسبلي ، النماص، ص ٢٩٩ـ ٣٠٠ ٠ وتاريخ الخدمات الصحية الحديثة في محافظة النماص لم يوثق ، حبذا أن يكون عنواناً لبحث علمي خلال العقود الخمسة الماضية ٠

المحافظة[١] ، وجميعها تقوم على خدمة الناس طبياً ، وتخفف الضغط على المستشفى ، ومن هذه المراكز ما يلي :

أ ـ مركز النماص الصحي :

أقدم مؤسسة طبية في بلدة النماص ، بدأت من سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) . ويقع المستوصف حالياً في عمارة حكومية من دورين ، شمال مبنى محافظة النماص. ويعمل فيه عدد جيد من الموظفين والأطباء والفنيين. وعليه حالياً ضغط كبير وبخاصة مع أحداث جائحة كورونا كوفيد ١٩(CoronaCovid-19)، وقد تم اختياره من إدارة الشؤون الصحية في عسير على أن يكون مقراً للتحول الوظيفي الذي تسعى وزارة الصحة إلى تنفيذه . وهذا المركز من أفضل أربعة مراكز أخرى على مستوى منطقة عسير [٢] .

ب ـ مراكز الظهارة ، وآل ثابت ، ونشيان :

وجميعها تقع في بلاد العوامر ، وفي مقرات حكومية ، مزودة بالاحتياجات اللازمة من الأجهزة ، والمعدات والموظفين والفنيين وغيرهم . والأول في دور واحد بقرية الظهارة ، والثاني في دورين مسلحين بقرية آل ثابت ، والثالث في وادي نشيان ببني مشهور ويقع في دورين[٣] .

ج ـ مركزا عاكسة ، والفرعة :

مركز عاكس في قرية عاكسة ببلاد كعب ، من المراكز القديمة ، تأسس منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ويتولى رعاية العديد من القرى في ناحيته. وتم تحويله في جائحة كورونا إلى عيادات تطمئن ، لأخذ مسحات فيروس كورونا ، وقد يعود إلى عمله الرئيسي إذا انقشعت مشكلة كورونا ، يقع في مقر حكومي يتكون من دورين مسلحين ومرافقهما . ومركز الفرعة يتكون من دورين في مبنى حكومي في الفرعة الشمالية ، ويقدم خدماته الصحية لجميع سكان تلك الناحية [٤] .

---

(١) منذ عدة سنوات كان في المحافظة أكثر من (١٥) مركزاً صحياً ، وأغلبها في أبنية مستأجرة ، ثم دمج بعضها في بعض ، وصارت اليوم (٩) مراكز جميعها في مقرات حكومية ، وتتفاوت في طاقاتها البشرية، والقرى والنواحي التي تخدمها ، لكنها حاليا تقوم بواجباتها بشكل جيد. وتاريخ المراكز الصحية في عموم منطقة عسير من الموضوعات الجديدة في ميدان البحث العلمي ، حبذا أن نرى باحثا جادا يقوم بجمع المادة التاريخية لهذه المؤسسات ثم يوثق تاريخها من خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٢) هذا الذي سمعته من بعض الموظفين في مستشفى النماص ومركز النماص الصحي في (١٤٤٣/٢/٨هـ) .

(٣) وقف الباحث على مقرات بعضها ، وسمع عن الأخرى من الموظفين الإداريين في مستشفى النماص. وجرى تحويل مركز نشيان في جائحة كورونا إلى مركز لقاحات، ومازال يمارس هذا العمل حتى الآن (شهر صفر/١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٤) كوني ابن محافظة النماص ، وأتجول في بلادها وغيرها من بلدان السراة وتهامة منذ زمن بعيد ، أجد الخدمات الصحية تطورت كثيراً عما كانت عليه البلاد في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) والعقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) .

د ـ مراكز وادي زيد ، وحلباء ، وربوع السرو :

تمارس هذه المراكز خدماتها الصحية في مقرات حكومية تتكون من دور أو دورين مسلحين. فالأول في ناحية خشرم من وادي زيد ، يتولى رعاية سكان تلك البلاد من أعالي الجبال إلى بوادي وسروات قبائل بني التيم في وادي زيد ٠ والثاني في قرية الغرة ببلاد حلباء ، ضمن نطاق مركز السرح . ويؤدي عمله كغيره من المراكز السابق ذكرها . والمركز الثالث في بلاد السرو شمال بلاد حلباء ، في قرية ربوع السرو في عمارة حكومية مكونة من دورين مسلحين[1] ٠

وفي بلاد عمرو الشام التابعة لمحافظة النماص كان يوجد ثلاثة مراكز صحية في بني عمرو قريباً من قرية آل الشيخ ، وفي الأصفاء ، وفي الحصباء . وجميعها تتبع إدارياً ومالياً لمستشفى محافظة بلقرن الذي يراجع مديرية الشؤون الصحية في بيشة . وحاليا (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تم إلغاء مركزي الأصفاء والحصباء . وجمعت إمكاناتها وموظفيها في مركز بني عمرو الشام من بلاد السهوة والمطلا جنوباً إلى بني رافع شمالاً٠ ومازال يتبع إداريا مستشفى بلقرن في العلاية حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) [2] ٠

ومركز السكري التابع حالياً لمستشفى النماص يقع في شعف الخاضرة قريباً من جبل شحر ، ويتولى رعاية مرضى السكري والغدد الصماء وغيرها ، يقع في مبنى مسلح مكون من دورين مسلحين وهذا المكان كان سابقاً وحدة صحية تتبع وزارة التربية والتعليم (التعليم حالياً) ، وعند إلغاء الوحدات الصحية ، ضم المبنى إلى وزارة الصحة وصار مقراً لخدمة مرضى السكري ومن هو في حكمهم [3] ٠

أما الكادر البشري فأغلب الموظفين والموظفات في القطاعات الصحية في سروات بني شهر وبني عمرو من السعوديين والسعوديات ، ولا تخلو بعض الأقسام أو الإدارات من موظفين غير سعوديين ، ونسبتهم قليلة جداً. أما الفنيون من الأطباء والطبيبات والممرضين والممرضات، والعاملين في الأشعة والمختبرات ففيهم أعداد جيدة من السعوديين وبخاصة في مهنة التمريض والعلوم الطبية الأخرى . أما الأطباء (نساء

---

(١) زار الباحث بعض هذه المراكز ، وسمع عن الأخرى من أهالي وادي زيد وحلباء والسرو . وهذه البلاد صارت اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تنعم بالكثير من الخدمات التنموية الحديثة . المصدر : مشاهدات الباحث وجولاته في محافظة النماص في (٨ـ٩/٢/١٤٤٣هـ) ٠

(٢) وقف الباحث على مقر المركز في بني عمرو في (٩/٢/١٤٤٣هت) ، وسمع هذه الأقوال من بعض رجال عمرو الشام وبخاصة من قريتي ذات العلب وآل الشيخ ٠

(٣) لا أدعي أنني وثقت كل ما يجب توثيقه عن تاريخ الصحة المعاصر في محافظة النماص ، لكنني أعتقد أني ذكرت بعض النقاط المهمة التي قد تكون مفاتيح جيدة لإجراء دراسة أطول وأعمق عن تاريخ الطب والتطبيب في عموم منطقة عسير (سراة وتهامة) ٠

ورجــال) فمــازال معظمهم غير سعوديين . وهم من بلــدان عربية عديدة مثل: مصر ، والسودان ، وبلاد الشام ، وقليل من دول إفريقيا ، ومن الهند ، والباكستان وغيرها[١] ٠

٦ـ مؤسسات التعليم العام ، والعالي ، والتقني :

لم تكـن محافظة النماصـ (سراة وبادية) وما جاورها خاليــة من الفكر والثقافة والعلــوم منذ عصــور ما قبل الإســلام ، وخلال القــرون الإسلامية المبكــرة والوسيطة وبدايــات العصر الحديث[٢] ٠ ونجد الكثير مــن المصادر والوثائق التي تعكس شيئاً من نشاطات هذه البلاد وما جاورها من أراضي السروات منذ بدايات القرن (١٣هـ/١٩م) حتى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) [٣] ٠ ومن خمسينيات القرن الهجري الماضي بدأت المدارســ النظاميــة الحديثة في بلــدة النماص وعدد مــن بلدان الســروات وتهامة ، ثم تزايــدت ، وزادت أعــداد المتعلمين والمتعلمات حتى صارت اليــوم مليئة بآلاف المدارس، والمعاهــد ، والمراكز العلميــة ، والجامعات ، والكليات والأقســام العلمية النظرية وتخرج فيها الآلاف من الطالبات والطلاب [٤] ٠

---

(١) زرت مستشفــى النماص وبعض المراكز الصحية في (٨ـ٩ /١٤٤٣/٢هـ) ، وشاهدت أجناساً غير سعودية وبخاصــة مــن الأطباء وبعض الممرضــين والممرضات . وأعــرف مستشفى النماص منــذ بداية هذا القرن (١٥هــ/٢٠م) ، وكان أعــداد السعوديين في الماضي قليلــة وأحياناً نادرة أما اليــوم فالكثير من الممرضين والعاملين في المختبرات والعلاج الطبيعي والأشعة أغلبهم من السعوديين ٠

(٢) الباحــث في كتــب التراث الإسلامــي يجد أن عمــوم السروات كانت لا تخلــو من معارف وثقافــات متعددة منذ العصــر الجاهلــي وعبر أطــوار التاريخ الإسلامي . ففي الجاهليــة ظهر فيها بعض الشعــراء البارعين ، ناهيك عــن أصحاب الأقوال السديدة والأخبار الحضارية الأخرى. وبعــد ظهور الإسلام تعلموا شرائع الإسلام، وخرج منهم رجال كثيرون ساهموا في بناء الحضارة الإسلامية داخل الجزيرة العربية وخارجها٠ والمتجول في أرجائها اليــوم (١٤٤٣هــ/٢٠٢١م) يجد الكثير مــن آثارها ونقوشها ومعالمها المادية التي تعكــس تاريخ وحضارة أهلها ، وفي العصــر الحديث وصلت إلى بلادها العديد من القوى السياسيــة ، فأثرت وتأثرت ثقافيا ومعرفيا وحضاريا . ثــم جــاءت الدولة السعودية الحديثة فرعت الأرض والإنسان في شتى مناحي الحياة . وأتجول في عموم السراة وتهامــة منــذ خمسين عاما وهي بــلاد تستحق الخدمة العلميــة والبحثية ، لما تحتويه أراضيهــا من كنوز معنوية ومعرفية جديرة بالدراسة والتوثيق . والميدان التعليمي ، والمعرفي والثقافي والفكري من الموضوعات المهمة ، حبذا أن نرى باحثين ومؤرخين جادين يدرسون هذا المجال منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر ٠

(٣) من يتأمل في تاريخ السروات وتهامة منذ بداية القرن (١٣هـ/١٩م) حتى أربعينيات هذا القرن (١٤هـ/٢٠م) يجدهــا مرت بالعديد من التحولات السياسية والعسكرية والحضاريــة . وهناك الكثير من البحوث العلمية التي صدرت في هذا البــاب ، ومازال هناك جوانب أخرى عديدة تستحق الدراسة والتوثيق .

(٤) أرصــد هــذه الأقــوال ، متأكداً مــن صحتها ، لأننــي عاصرت مسيــرة التعليم والتعلــم منذ ثمانينيــات القرن (١٤هــ/٢٠م) ، ومازلــت حتى الآن (١٤٤٣هــ/٢٠٢١م) ، ثم إنني الفت آلاف الصفحــات عن تاريخ وحضارة الأرض والناس ليس في سروات بني شهر وبني عمرو (محافظة النماص وما جاورها) ، ولكن في عموم السراة وتهامة الممتدة من مكة والطائف إلى جازان ونجران . وأقول أن هذه البلاد حظيت بالخدمة والرعاية الكبيرة جــداً سياسيــا وماليــا وتنمويا وحضاريــا ، لكنها مازالت بحاجــة إلى توثيق تاريخهــا وموروثها الحضاري عبر عصور التاريخ ، أرجو أن يتحقق ذلك من خلال الجامعات والكليات والأقسام الموجودة حاليا في هذه الأوطان ٠

وأثنــاء رحلتي الأخيرة في النماص (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) شاهدت الكثير من مدارس التعليـم العام للبنـات والبنين ، وجميعها مقرات حكوميـة ، يدرس فيها آلاف الطالبات والطـلاب . ويعمـل فيها مئات المعلمـات والمعلمين، وجميعهم سعوديـون[١] . كما وقفت علـى بعض المقرات الكبيرة والمتوسطة التابعة لإدارة التعليـم في النماص ، وسعيت إلى معرفـة بعض الشيء عن هذه الأبنيـة ، وأخيراً التقيت بأحد طلابـي الجادين من عام (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، إنه الدكتـور غرمان بن عبدالله بن غصـاب الشهري[٢] ، الذي عمـل في مهنـة التدريس والإدارة بمحافظـة النمـاص أكثر مـن سبعة وعشريـن عاماً (١٤١٣ــ ١٤٤٠هـ/١٩٩٣ـ ٢٠١٨م) ، فزودني بمدونة مختصرة عن أهم فقرات التعليم العـام في مدينة النمـاص ، وبخاصة إدارة التعليم ومرافقها ، ولاحتواء هذه المذكرة على تفصيـلات جديدة وجيدة ، وجديـرة بالتوثيق ، أوردتها كما وصلتنـي من صاحبها ، مع إجراء بعض الإضافات والتعليقات التي تزيد من قيمتها العلمية ، وهي على النحو الآتي :

" هنـاك مبـانٍ ومرافق تابعة لإدارة التعليم بمحافظة النماص ، التي تشرف في الوقـت الحاضر (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) على التعليم العـام للبنين والبنات ، وهذه المرافق تتميـز بأنها حكومية بنيـت على نفقة الدولة، ويقع أكثرها في مـكان متوسط من مدينة النمـاص ، ومعظمها مجاور للمقرات الخاصة بـالإدارات الحكومية الأخرى كالمحافظة والبلديـة من الجهة الشرقيـة ، وأبرز هذه المباني المقر الرئيسـي لإدارة التعليم ، الذي يقـع إلى الشرق من الطريق العـام الذي يخترق مدينة النماصـ، بني على مساحة من الأرض تصـل إلى (٥٠٠٠م٢) ، وتحيط بها الشوارع المرصوفـة من أربع جهات، يتكون من أربعة أدوار تمتد من الشمال إلى الجنوب ، ولها جناح باتجاه الشرق، ويضم بداخله مكاتـب العاملين ، وصالات إدارية ، ومكتبة ومصلى ، وبه مكتب مدير التعليم ومساعده للشـؤون المدرسية ومستشاريـه وإدارة الموارد البشرية وإدارة المبـاني والشؤون المالية ، وبعض الإدارات والأقسام المساندة ، ويعمل به أكثر من (٢٠٠ موظف)[٣] . ويوجد بفناء

---

(١) خـلال يومـي (٨ـ٩/٢/١٤٤٣هـ) تنقلت في ربوع محافظة النماص من رأس عقبة القامة إلى بني رافع في بـلاد عمـرو الشام ، وذهبـت شرقاً إلى بلاد الفرعة وبـدوة والفرش ، ورأيت عشـرات المدارس الحكومية التـي تتراوح أدوارها من طابق إلى ثلاثـة ، كما تتفاوت في مساحاتها ومرافقها . والتقيت ببعض المدرسين والمديريـن للمدارس وأخبروني أن أعـداد المدارس والطـلاب تتقلص في محافظة النماص، ولم يذكروا الأسباب . لكن هجرة السكان من المحافظة أحد أسباب هذا التراجع . آمل أن نرى باحثين جادين يدرسون هذا الموضوع مع ذكر السلبيات والإيجابيات ثم الخروج بتوصيات تصب في خدمة المحافظة .

(٢) الدكتور غرمان بن غصاب من قبيلة آل وليد من بني التيم الشهرية ، يعمل حالياً أستاذاً مساعداً في قسم التاريخ بجامعة الملـك خالد ، إنه على قدر كبير من الأدب ، واللطف ، وحسن الخلق . أرجو أن أراه مؤرخاً وباحثاً مثمراً لخدمة دينه ووطنه وأهله .

(٣) الـذي دون هـذه المدونة (ابن غصــاب) الذي صار حالياً أستاذا مساعداً في قسـم التاريخ في كلية العلوم الإنسانيـة بجامعـة الملك خالد، ومـازال له صلات بالموظفـين والعاملين في إدارة تعليـم النماص . كما أن

المبنى المذكور قاعة للندوات والاحتفالات على شكل مدرج يتسع لحوالي (٤٠٠شخص)، وبها مسرح نفذ بطريقة عمرانية رائعة وتجهيزات صوتية متقدمة ، وقد أطلق عليها اسم : قاعة ظافر بن حبيب الثقافية [١]، وهو أحد مديري التعليم السابقين الذي كان له جهوداً بارزة في خدمة التعليم بالمنطقة لأكثر من ثلاثة عقود"

هناك مبنى آخر يقع إلى الغرب من طريق الملك فيصل العام ، على ربوة مرتفعة تطل على مدينة النماص من الغرب، وهو عبارة عن بنايتين كبيرتين محلاة من الخارج بصفائح الألمنيوم الملونة (الكلادنج) المتناسقة الرائعة الجمال، ويتكون كل منها من أربعة أدوار وبه مكتب مساعدة مدير التعليم للشؤون التعليمية (بنات) ، والإدارات والأقسام التابعة لها ، وبعض الأقسام النسائية المساندة . وكل مبنى له مداخله المستقلة وأفنيته ومرافقه وفي وسط هاتين البنايتين مسرح كبير جداً على شكل مدرج يتسع لأكثر من (٣٠٠شخص) ، والمبنى المذكور يقع على مساحة من الأرض تقدر بحوالي (١٠٠٠٠م٢) ، تحيط بها الشوارع المرصوفة من أربع جهات ويعمل بها أكثر من (٢٥٠ موظف وموظفة) ، ويقع في مكان سياحي تغطية أشجار العرعر والنباتات المتنوعة ، ويتميز بأجوائه الباردة وسمائه المبلدة بالغيوم، التي لا تخلو من الضباب في بعض شهور السنة[٢] .

هناك مبنى للصحة المدرسية على بعد يسير من الطريق العام ، باتجاه الغرب ، مكون من طابقين صممت بما يناسب تقديم الخدمات الصحية المدرسية[٣] ، ومبنى آخر على الطريق العام جنوب مدينة النماص صمم على شكل صالات كبيرة ليكون مستودعات عامة للتعليم العام ، وبه بعض المكاتب لإدارة المستودع وإدارة المخزون [٤].

الباحث زار مدينة النماص في (٨-٩/٢/١٤٤٣هـ) ، وتأكد له صحة ما تم تدوينه أعلاه . المصدر : مدونة في صفحتين من إعداد الدكتور غرمان غصاب الشهري ، بمكتبة الدكتور غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠-٢١م) ، ج٢٠٢، ص ٣٢-٣٣ .

(١) ظافر بن حبيب العمري من قبائل بني رافع في بلاد عمرو الشام ، خدم في التعليم العام مدة عمله الحكومي، وتولى إدارة تعليم النماص سنوات عديدة ، وتاريخ التعليم في سروات بني شهر وبني عمرو موضوع لم يدرس حتى الآن ، حبذا أن يوثق في كتاب أو رسالة علمية منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٢) الموقع الذي تقع فيه هذه الأبنية ضمن أراض قبيلة المؤلف (بنو جبير) ، كانت في السابق وهاداً وهضاباً وجبالاً مكسوة بالنباتات والأشجار المختلفة . واليوم أصبحت هذه الناحية وما جاورها من أشعاف بني جبير وغيرهم مواقع سياحية جميلة ، مكتظة بالحدائق ، وملاعب للأطفال ، وبعض المرافق الترفيهية الأخرى. المصدر: معاصرة الباحث ومعرفته لهذه البلاد منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٣) بعد إلغاء الوحدات الصحية في وزارة التعليم ، صار المبنى تابعاً لوزارة الصحة ، وهو الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) مركز السكري والغدد الصماء .

(٤) هذا المبنى في الظهارة من بلاد العوامر قريباً من الطريق العام ومازال مستخدماً للأغراض نفسها حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

استفـاد التعليم العـام في النماص من بعض المباني المدرسيـة الحكومية الزائدة عـن الحاجة مثل مبنى مدرسـة النهضة الابتدائية الذي خصص لقسم ومركز رعاية الموهوبـين من الطلاب ، ودور من مبنى المدرسـة السعودية بوسط مدينة النماص الذي خصص لمركز التدريب التربوي والنمو المهني للمعلمين ، ومبنى مدرسة البنات في قرية لشعـب شمال مدينة النماص الذي خصص لإدارة الحركة ، وبعض المرافق والصالات بفنـاء مدرسـة محمد بن عبـد الوهـاب الابتدائية بالخاضـرة شمال مدينـة النماص خصص كمركز للتدريب الطلابـي وفعاليات النشاط العلمـي ، كما خصص جزء من مبنى ابتدائية النماص الأولى للبنات بوسط النماص لمركز اختبارات قياس[١] ٠

مبنـى في قمة الروعـة ، واسطة العقد في المباني الحكوميـة التابعة لتعليم النماص، يقـع إلى الشـرق من مبنى إدارة التعليم الرئيسي ، ويبعـد عنه بحوالي (١٥٠م) ، ويطلق عليـه مبنى بيت الطالب، ومساحته تقدر بـ (١٠٠٠٠م٢) ، يتكون من أربعة أدوار ، الدور الأرضي ، مجلس كبير فاخر وصالات طعام وصالات تدريب وصالة لياقة صحية مجهزة، والـدور الثـاني قاعات اجتماعـات ومصلى واسع ومركـز مصادر تعلـم وثمانيةٍ أجنحةٍ سكنيـةٍ فندقيـة فاخـرة ، وفي الدورين الثالث والرابـع ما يقارب أربعـين جناحاً فندقياً مجهـزاً بالأثاث الفاخر، تكفـي لسكن (١٤٠شخصاً) من ضيـوف التعليم من مسؤولين وطلاب ، وهناك أفنية خارجية بها ملاعب ومسبح وصالة ألعاب مغلقة وديوانية ومواقف للسيارات، وكل ذلك في تناسق معماري رائع وتجهيزات متكاملة في غاية الجودة[٢] ٠

عرفت محافظة النماص الكلية المتوسطة منذ العقد الثاني في القرن (١٥هـ/٢٠م) ، ثـم تطورت تحت إشـراف الرئاسة العامـة لتعليم البنات إلى كليـة للتربية تمنح درجة البكالوريوس في أقسام عديدة نظرية وعلمية[٣] . وفي عام (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) ألحقت تلـك الكليـة بجامعة الملك خالد ، وتحـول اسمها إلى كلية العلـوم والآداب للبنات ، كما

---

(١) جميـع هذه الأبنية تقع في سروات المحافظة الممتدة من شمال مدينة النماص حتى بلاد الظهارة. المصدر: معاصرة الباحث ومشاهداته هذه المقرات (٨-٩ /٢/١٤٤٣هـ) ٠

(٢) تجولـت في العديـد من محافظـات السراة وتهامة خـلال الثلاثين سنـة الماضية . ووجدت بعض إدارات التعليم في هذه البلاد تملك الكثير من المقرات الضخمة والفارهة . وما ذكر عن محافظة النماص ليس إلا أنموذجـا مـن تلك العمارات الحديثة . وفي الوقت نفسه هناك بعض المحافظات مازالت تحتاج إلى رعاية وخدمـة أكـثر في مقراتها وإمكاناتها المعمارية . المصدر : جولات الباحـث ومشاهدته للكثير من مؤسسات التعليم العام في مناطق عديدة جنوب البلاد السعودية .

(٣) تاريـخ تعليـم البنات الجامعي في محافظـة النماص من العقـد الثاني في القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى عام (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) يستحق أن يوثق في كتاب أو رسالة علمية ٠

افتتحت كلية المجتمع للبنين [١] . وعند إنشاء جامعة بيشة عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) صارت كليات التعليم العالي في محافظة النماص تتبع جامعة بيشة إدارياً وأكاديمياً ومالياً . وأثناء زيارتي محافظة النماص في (٨ـ ٢/٩/١٤٤٣هـ) وقفت على ثلاث كليات. (١) كلية العلوم والآداب لشطري الطلاب والطالبات ٠ (٢) كلية المجتمع (طلاب وطالبات). (٣) كلية العلوم الصحية للبنات[٢]٠وكليتي العلوم والآداب ، والمجتمع للطلاب تقع في مبنى مستأجر في سد العتمة جنوب المدينة ، شرق مستشفى النماص والخط العام بحوالي كيلومتر. وتتكون من ثلاثة طوابق وعدد من المرافق ، وفناء واسع يتسع لوقوف عشرات السيارات[٣]٠

وذكر لي أن عدد الأقسام الأكاديمية الرجالية ستة : (١) نظم معلومات . (٢) إدارة أعمال . (٣) لغة إنجليزية. (٤) تمريض (افتتح عام ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . (٥) إدارة أعمال. (٦) السفر والسياحة . والأقسام الأربعة الأولى تمنح الطالب درجة البكالوريوس ، والقسمان الأخيران يمنحان درجة الدبلوم . ويدرس في هذه الأقسام عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) (٣٨٢) طالباً[٤]٠

أما شطر الطالبات في كليتي العلوم والآداب والمجتمع ، وكلية العلوم الصحية فتقع جنوب مدينة النماص في أبنية حكومية متجاورة جنوب قرية بني مشهور، غرب الطريق العام بحوالي نصف كيلو متر. وكل هذه الأبنية تتراوح طوابقها بين الطابقين والثلاثة، وهي متلاصقة مع بعضها ، ولها مرافق عديدة كالمستودعات ، وقاعات واسعة، ومصلى ، ومواقف محدودة للسيارات . وفي كلية العلوم الصحية فقط قسم التمريض. وفي كليتي العلوم والآداب والمجتمع أربعة عشر قسماً ، منها (١١) قسماً تمنح درجة البكالوريوس ، هي: (١) إدارة الأعمال . (٢) نظم المعلومات . (٣) لغة إنجليزية . (٤) لغة عربية . (٥) دراسات إسلامية . (٦) كيمياء . (٧) فيزياء . (٨) رياضيات . (٩) الاقتصاد المنزلي . (١٠) علوم الأغذية . (١١) تصميم أزياء . وثلاثة أقسام أخرى

---

(١) الكليات الجامعية في النماص تحت إشراف جامعة الملك خالد (١٤٢٨ـ ١٤٣٥هـ/ ٢٠٠٧ـ ٢٠١٤م) موضوع جديد لم يدرس حبذا أن نرى مؤرخاً جاداً يدرسه في بحث علمي موثق .

(٢) هناك أقسام عديدة معتمدة من مجلس التعليم العالي ، لكن الذي يعمل منذ بضع سنوات قسم التمريض للبنات . وهذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) افتتح قسم التمريض للأولاد ، ويدرس في هذين القسمين حوالي (٢٥٠) طالبة وطالباً . المصدر: بعض موظفي وإدارة الكليات في النماص في (٢/٩/١٤٤٣هـ) ٠

(٣) مقرات كليات البنين مستأجرة ، وتقع ضمن بلاد قبيلة بني بكر ، وهذه الكليات تستحق أن تكون في مقرات حكومية ، أرجو أن يتحقق ذلك قريباً .

(٤) هذه المعلومات أخذها الباحث من بعض المسؤولين في الكلية في يوم (٢/٩/١٤٤٣هـ) ٠

تمنــح الدبلــوم: إدارة أعمال ، نظم معلومات ، سفر وسياحة ، ويدرس في جميع الأقسام عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٠م) لدرجتي البكالوريوس والدبلوم (١٨٥٨) طالبة[(١)].

يعمــل في كليات النماص (٤٦) موظفاً وموظفة ، منهم (١٦) من الرجال، و (٣٠) مــن الإناث . وأعضــاء هيئة التدريس (١٦٠) عضوة وعضــواً . النساء (١٠٣) عضوة ، والرجال (٥٧) عضواً. وعدد السعوديات والسعوديين (١٠٧) عضواً وعضوة . وجنسيات غــير السعوديين من دول عربية وغير عربية، مثل: مصر، واليمن ، والأردن، والسودان، وتونس ، وبنجلاديش ، وموريتانيا ، والجزائر ، والهند[(٢)]. وجميع أعضاء هيئة التدريس ومن في حكمهم يحملون الدراجات العلمية العالية من البكالوريوس إلى الدكتوراه [(٣)].

في عــام (١٤٠١هــ/١٩٨١م) افتتح مركــز التدريب المهني في مقــر حكومي شمال مدينــة النماص بشعــف الخاضرة[(٤)]، ثم تطور إلى المعهد الثانوي الصناعي ، ونقل إلى مبــاني أخرى حديثــة شرق قريتي آل قحطــان ولحبي في وادي زيد[(٥)]. ثــم ألغي المعهد الثانوي الصناعي بعد افتتاح الكلية التقنية للبنين عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) .

---

(١) من خلال دراساتي لتاريخ التربية والتعليم العام والعالي في منطقة عسير ، وجدت أن كلية العلوم والآداب للبنات في الجامعات المحلية في جنوب البلاد السعودية لا تختلف كثيراً عن خطط كلية التربية القديمة ، مع إضافة أقسام محدودة في الحاسب الآلي وبعض العلوم الأخرى . والكليات الطرفية في المحافظات في عموم الســراة وتهامــة تحتاج إلى إعادة هيكلة تحتوي علــى أقسام أكثر في العدد والنــوع ، وحبذا أن يطلق عليها الكليــات الجامعيــة ، وليس (كليــات المحافظات) . المصدر : مشاهداتي أثنــاء تجوالي في مناطق عسير، وجازان ، ونجران خلال السنوات السبع الماضية (١٤٣٥ـ ١٤٤٣هـ/ ٢٠١٤ـ ٢٠٢١م) .

(٢) لم آت علــى كل التفصيــلات عن التعليــم الجامعي في محافظــة النماص ، لكنني رصــدت لمحات من هذا المجــال خلال شهر صفر عام (١٤٤٣هــ/٢٠٢١م) . وتاريخ التعليم العالي في عموم منطقة عسير يستحق أن يدرس ويوثق في كتب وبحوث عديدة .

(٣) اتصلت بأكثر من مسؤول في كليات النماص ، ومنهم عمداء حاليون وسابقون ، ومسؤولون آخرون وزودوني بمعلومات متنوعة ، لكن يظهر على بعض الإحصائيات اختلافات طفيفة من شخص لآخر. وكليات النماص بحاجة إلى تطور أكبر وأشمل في المقررات ، والبرامج ، وأعداد الموظفين وأعضاء وعضوات هيئة التدريس ، وهذا ما لمسته من خلال زيارة الكليات .

(٤) مازالت الأرض التي افتتح فيها مركز التدريب المهني عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) ملكاً لمؤسسة التدريب التقني والمهنــي، ويشيد عليها اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) عدد من الأبنية الخاصة بالتعليم الفني في المحافظة مثل سكــن المدربــات ، وصالات ومرافق أخرى عديدة . وقد زرت هذا المــكان في (١٤٤٣/٢/٨هـ) فرأيت العمل جاريــاً في تلك الأبنية ، وهــي متعددة الأدوار والمرافق ، وواسعة المساحات . المصدر: مشاهدات الباحث في شهــر صفــر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . انظر أيضاً غيثان بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ــ١٤هـ) (ط٤) ، ص ٢٣٦ـ ٢٣٧ .

(٥) تقــع هــذه الأبنية الجديدة على جبل مرتفع يطــل على بعض قرى وادي زيد ، وهــي إلى الشرق من الشارع العام بحوالي كيلومتر ، ويمر قريباً منها الخط الفرعي الذي يربط قرية آل مسلمة بالخط العام . المصدر: مشاهدات الباحث للمكان في بداية شهر صفر (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) .

زرت مقـر الكلية التقنية فوجدت تسعـة مباني كبيرة بمرافقها في حوش واحد على مساحة تزيد عن خمسة عشر ألف متر مربع[١] ، ومن حولها فضاءات واسعة ، ومواقف سيـارات تتسع لعشرات السيـارات . وهذه الأبنية كلية التقنية للبنـات، انتهى تشييدها منـذ زمن ، وتدرس الطالبات فيها ، وأبنية المعهد الثانـوي الصناعي الذي أقفل حديثاً ويدرسـ فيه حالياً طلاب كليـة التقنية . وهناك عمارة أخرى مازال البناء فيها جاريا ، وذكر لي أنها سوف تكون مبنى كلية التقنية للأولاد[٢] .

في كلية التقنية للبنين قسمان : الدعم الفني للحاسب الآلي ، وإدارة مكتبية ، ويدرس فيهمـا حاليـاً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) حـوالي (٦٢٠) طالباً . أما كليـة البنات فهي حديثة النشـأة ويدرسـ فيها الآن (١٥٠) طالبة في قسمي التأمـين ، ودعم الشبكات[٣] . وعدد الموظفـات والموظفين حوالي ستين موظفاً وموظفة ، عـدد الرجال منهم (٤٥) موظفاً . أما عدد أعضاء هيئة التدريس ، فالرجال (٢٦) مدرباً ، والنساء (٨) مدربات . ونسبة السعوديـين في الرجـال تقريباً (١٠٠٪) ، أما النساء فمـازال هناك بعض المتعاقدات ، وتقدر نسبتهن بـ (٢٥ـ ٣٠٪) ، ومعظمهن من مصر ، وبلاد الشام[٤] .

٧ـ مؤسسات إدارية حكومية وأهلية أخرى :

يوجد في محافظة النماص وبخاصة الحاضرة مؤسسات حكومية أخرى عديدة مثل : (١) البريد . (٢) الاتصالات . (٣) الأحوال المدنية . (٤) الضمان الاجتماعي. (٥) هيئـة الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر. (٦) الجـوازات. (٧) مركز الهلال الأحمر .

---

(١) تتكـون هذه الأبنيـة من مرافق الكليات وأقسامها العلمية ، والمسجد ، والمسـرح ، وإدارة النشاط ، وقاعات التدريـب والحاسـب الآلي ، والعمـادة ، وإدارة القبـول والتسجيـل ، ومرافـق أخـرى متعـددة الأهداف . مشاهدات الباحث لهذه الأبنية في (١٤٤٣/٢/٨هـ) .

(٢) زيـارة مقر كليتـي التقنية للبنات والبنين شمـال مدينة النماص بحوالي (١٠كـم) في (١٤٤٣/٢/٩هـ) . وأخـبرني بعض المسؤولين في كلية التقنية للبنين أن شركة أمريكية تولت الإشراف عليها من عام (١٤٣٨ـ ١٤٤٠هـ/٢٠١٧ـ٢٠١٩م) لكنها لم تنجح ، فعاد الإشراف عليها إلى مؤسسة التدريب التقني والمهني .

(٣) يحصـل الطالـب والطالبة على مكافأة شهرية تقدر بـ (١٠٠٠) ريال للأقسام العلمية ، و (٨٥٠) للأقسام الأدبيـة . وإذا تخرج الطالب بدرجـة امتياز يعطى مكافأة تشجيعية قدرها (٢٠٠٠) ريال . ولا يوجد سكن ولا تغذيـة ، مـع أن مؤسسـات التعليم العـالي كانت تمنح طلاب الجامعـة سكناً بالمجـان ، وتغذية بأسعار مخفضـة حتى نهايـة العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) ثم ألغيت هذه الميـزات . المصدر: معاصرة الباحث للتعليم العالي من (١٣٩٦ـ ١٤٤٣هـ/١٩٧٦ـ ٢٠٢١م) .

(٤) مـن خـلال جولاتـي في عموم بلاد السراة وتهامـة وجدت انتشار الكليـات التقنية (رجالاً ونسـاءً) في كل مكان ، بالإضافة إلى بعض المعاهد والثانويات التقنية والمهنية في بعض المدن والحواضر. وهذه المؤسسات التعليمية التقنية تستحـق أن يوثـق تاريخها وجهودها في خدمة الأرض والناس منذ العقود الأخـيرة في القرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . آمل أن نرى باحثين مؤرخين جادين يتولون هذا المجال بالرعاية البحثية الجادة .

(٨) وحدة الكهرباء . (٨) فرع الزراعة والبيئة . (٩) إدارة الأوقاف والدعوة والإرشاد. (١٠) نادي السروات الرياضي[١]٠

وهنــاك مؤسسات أهلية أخرى مثل: الجمعيــات التعاونية ، والخيرية ، والزراعية ، وآباء لرعاية الأيتام ، وتحفيظ القرآن الكريم ، ومركز التنمية الاجتماعية . وفي حاضرة النماص عدد من البنوك التجارية كالراجحي ، والعربي ، والرياض ، والأهلي ، والبلاد . وأغلـب مقـرات هذه المؤسسات على الشارع العام في المدينـة ، وقليل منها في أحياء أو أمكنة داخل القرى والمدينة ، وأكثر من (٩٦٪) في أبنية مستأجرة[٢]٠

ب- مراكز محافظة النماص :

يتبع حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) محافظة النماص ثلاثة مراكز ، وهي على النحو الآتي :

١- مركز بني عمرو :

يقــع في أقصــى محافظة النماص مــن الشمال ، في عمارة حكوميــة مسلحة بقرية آل الشيــخ علىٍ الطريق العام[٣]٠ تمتد خدماته اليــوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) من قرية آل عطيفــة جنوباً إلى الحصباء شمــالاً ، ومن الحدود الغربية لمركز البهيم التابع لمحافظة بيشة في الشرق ، إلى أطراف مركز عبس الشرقية في تهامة[٤]٠

مــن خــلال زيارتي لمركز بني عمــرو في (١٤٤٣/٢/٩هــ) ، ومقابلة بعض الوجهاء والأعيان هناك ، اتضح لي وجود بعض المؤسسات الإدارية والأهلية في المركز ، وأغلبها في

(١) وقفت على معظم مقرات هذه المؤسسات في (٨ـ ١٤٤٣/٢/٩هـ) ، ووجدتها تقع في محيط مدينة النماص، ما عـدا وحدة الكهرباء في بلاد العوامر . وأغلبها تقع على الشــارع العام ، وفي مقرات مستأجرة تتراوح أدوارها من طابق واحد إلى دورين وأحياناً ثلاثة . وموظفوها يتفاوتون في العدد ، وحجم العمل في كل مؤسسة إدارية . للمزيد عن تاريخ هذه الإدارات انظر: غيثان بن جريس . بلاد بني شهر وبني مرو خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ) (الطبعة الرابعة) ، ص ٢٢٦ وما بعدها . انظر أيضاً على العسبلي ، النماص ، ص ٢٦٤ وما بعدها٠

(٢) انظـر المراجع المذكورة في الحاشيــة السابقة ، وقد شاهدت معظم مقرات هذه المؤسسات ، والعاملين فيها مــن السعوديين ، وقليلاً ترى عناصر غير سعودية تعمل فيها . وكوني ابن محافظة النماص فقد كانت هذه الناحيــة متواضعــة في بداية هذا القــرن (١٥هـ/٢٠م) ، مع أن فيهــا آنذاك معظــم المؤسسات الحكومية الرئيسيــة . أمــا اليوم (١٤٤٣هــ/٢٠٢١م) ، فهي ناحيــة مخدومة بأغلب الخدمــات الحكومية والأهلية ، ومازالت تحتاج دعماً أكثر وبخاصة في خدمات التعليم العالي وغيره ٠

(٣) تأسس مركز بني عمرو عامٍ (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) ، وكانت تمتد مسؤولياته من حلباء ، جنوباً إلى الحصباء في بــلاد بنــي رافع شمــالاً ، ثم تقلصت بعـد افتتاح مركز الســرح . ومقر المركز اليــوم حكومي يتكون من طابقين ومرافقهما . وحوله مواقف تتسع لعشرات السيارات .

(٤) مركــز عبس يتبع لمحافظة المجاردة ، ويقع عند سفوح السروات الغربية ، وتتصل بعض نواحيه . بالأصدار التابعة لسروات بني شهر وبني عمرو .المصدر : مشاهدات الباحث في (١٤٤٣/٢/١٠/٩هـ) ٠

قرى آل الشيخ ، والعاسرة ، وآل يرار (جرار) في وادي عياش. ومن هذه الإدارات المركز الإداري ، والبلدية ، والشرطة ، ووحدة الدفاع المدني ، ومركز الرعاية الأولية وغيرها [١] .

وفي مدونة وصلتني من الأستاذ حسن بن حنش العمري رصد فيها نبذة عن بداية التعليم العام في بلاد عمرو الشام ، وأشار إلى أسماء المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية وسنوات افتتاحها [٢] . ولا يستغرب من ابن حنش عندما فصل الحديث عن مسيرة التعليم العام في بلاده ، فقد قضى زهرة حياته في مهنة التربية والتعليم ومعظمها في بلاد عمرو الشام[٣] . وأثناء سيري في مناكب هذا المركز زرت بعض المدارس في تلك الناحية ، ووجدت وزارة التعليم أقفلت حديثاً عدداً من المدارس ، بعد أن جمعت بعضها في مدارس محددة . ووجدت في قرية آل الشيخ ، وهي القرية الرئيسية لشيوخ بني عمرو (آل عثمان) ، ابتدائية ومتوسطة الغزالي، ومدرسة ابن القيم لتحفيظ القرآن الكريم، وثانوية زيد بن الخطاب[٤] ، وجميعها للذكور . وللبنات مجمع آل الشيخ (ابتدائي، ومتوسط، وثانوي) . وفي قرية الأصفاء إلى الجنوب من قرية آل الشيخ ابتدائية ، ومتوسطة، وثانوية الأمير سلطان للبنين[٥] .

وعند سؤالي عن بعض المعالم الجغرافية في مركز بني عمرو ، زودني الأستاذ حسن بن حنش ببضع صفحات رصد فيها حوالي (٨٣) قرية ، فذكر اسم كل قرية ، وبعدها عن المركز ، فكانت أقرب القرى في حدود كيلو وكيلو ونصف مثل قرية آل روضان ، وجزء من قريتي العاسرة ، وآل طلحة . وأبعدها حوالي (١١) كيلاً مثل قريتي آل محفوظ وآل عطيفة في أقصى الناحية الجنوبية للمركز[٦] .

---

(١) مقابلة مع الأستاذ حسن بن حنش العمري في (١٤٤٣/٢/٩هـ) ، وقد زودني ببعض المدونات عن أودية وقرى المركز، ومعلومات جيدة سوف أشير إلى بعضها في سطور قادمة . وذكر أنه كان هناك بعض الإدارات مثل المحكمة الشرعية وغيرها ثم أقفلت وصار أهل المركز يراجعون بعض الإدارات في مدينة النماص .

(٢) صورة من هذه المذكرة ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠-٢١م) ، ج٢٠٢، ص ١٩-٢٠ .

(٣) المصدر نفسه . أرجو من الأستاذ حسن بن حنش العمري أن يدون ذكرياته ومذكراته عن الأرض والناس في وطنه الأصلي . (بلاد عمرو الشام) ، وإن فعل ذلك فقد يوثق شيئاً من تاريخ وحضارة هذه الأوطان ، وهذا مما سوف يطلع عليه الأبناء والأحفاد في قادم الأيام .

(٤) مشاهدات الباحث في بلاد عمرو الشام في (١٤٤٣/٢/٩هـ) .

(٥) لا أعلم ماهي الأسباب في تقليص المدارس هناك ، لكن تناقص أعداد الطلاب والطالبات قد تكون من الأسباب الرئيسية . وهذا الأمر ليس مقصوراً على بلاد بني عمرو ، لكن الذاهب في السروات من شمال أبها إلى قرب الطائف يجد الهجرة كبيرة في هذه البلاد ، وهذا مما أثر على حجم السكان وتناقص أعدادهم ، وهذه الهجرة ليست وليدة الساعة ، لكنها بدأت منذ عقود عديدة ، ومازالت مستمرة حتى الآن. وهذا الموضوع يستحق أن يدرس ويوثق في عدد من البحوث العلمية .

(٦) مذكرة حسن بن حنش العمري ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠-٢١م)،

ومما لاحظته وسمعته أسماء أودية عديدة صغيرة وكبيرة في مركز بني عمرو ، وذكر لي حوالي (١٨) وادياً ، من أهمها: أودية عياش ، وآل غثران ، ونابط ، والكنهبلة / وبطحان ، والعطف ، والقحيف ، والحصباء وغيرها وجميعها تسيل من أعالي السراة وتتجه شرقاً أو شمالاً أو جنوباً [١] . وهناك حوالي (١٣) بادية في بوادي عمرو الشام جميعها تتبع المركز الإداري، ومنها: شبارق، وأبومدر، والهداة، والفجير، وشعبة الجمل، ووادي العرين[٢] . وتم حصر حوالي (٢٧) حلة في أصدار تهامة مركز بني عمرو، ومنها: الأمرح، والطوف، والخيالة، والجورة ، والقريضة ، والقرن[٣] . وجميعها تقع في أمكنة محددة ، بأسماء معلومة عند أهل البلاد[٤] .

والأوطان التابعة لمركز بني عمرو قديمة في مسمياتها ، ولها تاريخ وأحداث حضارية يتناقلها الرواة ، لكنها غير مدونة ، وتقع على طريق الحاج والمسافر السروي . وكان أهلها يعيشون في الماضي عيشة اكتفاء ذاتي لما يملكونه من زروع وعقار ، وثروات حيوانية ونباتية . وبعد فتح الطريقة المعبد والمسفلت الذي يربط الطائف بأبها تحسنت أوضاع الناس حضارياً واقتصادياً ، وهم اليوم يعيشون في نعمة كبيرة ، مثلهم مثل غيرهم من أهل السراة وتهامة . ومازالوا يتطلعون إلى المزيد من التطوير والتنمية الإدارية ، والتنموية [٥] .

٢ـ مركز السرح :

تأسس مركز السرح عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، يقع بين مدينة النماص جنوباً ، ومركز بني عمرو شمالاً ، ويبعد عن الأولى حوالي (٢٧) كيلا ، ويمر من خلاله الطريق العام الذي يربط أبها بالطائف . ويحده من الجنوب مركز وادي زيد، ومن الشمال مركز بني عمرو، ومن الشرق مركز القوباء التابع لمحافظة بيشة ، ومن الغرب سفوح

ج٢٠٢، ص ٧ـ٨ . وقرى وجبال وأودية السراة من الطائف إلى أبها تستحق أن توثق في معجم جغرافي تاريخي ، آمل أن نرى باحثاً جاداً يقوم بهذا العمل العلمي الجديد في بابه ومحتواه .

(١) هذا الذي سمعته من بعض أهالي عمرو الشام في (٩/٢/١٤٤٣هـ) .

(٢) المصدر : مذكرة حسن بن حنش العمري ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠ـ ٢١م) ، ج٢٠٢، ص١١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢٠٢ ، ص١٢ .

(٤) هذا ما سمعته من بعض أعلام مركز بني عمرو ولم أشاهد هذه الحلال .

(٥) أثناء مجالسة بعض أعلامهم ومثقفيهم ذكروا لي العديد من المطالب والنواقص التي يتطلعون إلى توفيرها في بلادهم ، وهذا من حقهم . وإن استمروا في مطالباتهم فالدولة والجهات الرسمية لن تخذلهم ، وسوف تسعى إلى رعايتهم وخدمتهم أرضاً وسكاناً . أما الطريق الرئيسي الذي يسير من أبها إلى الطائف عبر جبال السروات فهو قديم ، وله ذكر في العديد من مصادر التاريخ الحديث . ومن العقود الوسطى في القرن (١٤هـ/٢٠م) بدأ العمل فيه حتى يكون طريقاً للسيارة ، ولم يأت نهاية القرن نفسه إلا وصار مسلوكاً بجميع السيارات .

جبال السروات الغربية ومركز عبس التابع لمحافظة المجاردة[١] . وأطلق عليه اسم (السرح) لأنه يقع بين ناحيتي السرو وحلباء ، فسمي بهذا الاسم [٢] .

يوجد في المراكز العديد من المؤسسات الإدارية والأهلية مثل: مركز الدفاع المدني، ومخفر للشرطة ، ومركزين للرعاية الصحية . وفيه أكثر من ثلاثين مدرسة للتعليم العام بنين وبنات ، وجمعيتين تعاونيتين ، وفرع لجمعية البر ، وفرع للبنك الأهلي[٣] . كان في هذه الناحية أربعة أسواق أسبوعية ، هي : (١) سوق الأحد بقرية الغرة . (٢) سوق الإثنين بقرية آل جميل . (٣) سوق الأربعاء بقرية السرو . (٤) سوق الجمعة بقرية آل جميل . وجميعها توقفت ، ما عدا سوق الجمعة فمازال يقام كل يوم جمعة . ويلاحظ أن مقرات الأسواق المتوقفة مازالت قائمة ، لكنها غير مستخدمة[٤] .

خلال تجوالي في ربوع هذا المركز في (١٤٤٣/٢/٩هـ) شاهدت الكثير من المؤسسات التجارية على الشارع العام من قرية الغرة جنوباً إلى ربوع السرو شمالاً ، ولا تخلو من أسواق تجارية يومية ، ووحدات سكنية ، وشقق مفروشة وفنادق. ومن وسط المركز يتجه خط مسفلت إلى بيشة ، ذهبت فيه فوجدته يربط بين بيشة وسروات النماص. ولا تخلو البلاد من قرى تراثية قديمة ، وعمران حديث منتشر في كل مكان . ومما لفت نظري عدد من الجوامع الكبيرة في المركز مثل: جامع الملك فهد ، وجامع الأمير سلطان ، وجوامع قرى القبل ، والسرو ، والغرة . وجميعها على الطراز الحديث وتتسع للكثير من المصلين[٥] . وأيضاً مدينة الإسكان شرق الخط العام في المركز ، وفيها الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) أكثر من (٣٥٠) عمارة وأراضي سكنية . وعند توزيعها ، سوف تحل مشكلة السكن للكثير من الأسر والأفراد في محافظة النماص وما جاورها[٦].

---

(١) زرت مركز السرح في (١٤٤٣/٢/٩هـ) . كما وصلني مذكرة مختصرة من الأستاذ صفر بن عبدالله العمري ، وتوجد ضمن أوراق الباحث (غير مرقمة) .

(٢) هذا الذي سمعته من بعض أعلام مركز السرح في (١٤٤٣/٢/٩هـ)

(٣) مشاهدات الباحث لهذه المؤسسات في (١٤٤٣/٢/٩هـ) .

(٤) المصدر نفسه . أعرف هذه الأسواق منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وتسوقت في بعضها ، وشاهدت نشاطها التجاري قبل عقدين من الزمان ، وهي اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) مهجورة ، فلا يستفاد منها .

(٥) إن تاريخ المساجد القديمة والحديثة في عموم بلاد السراة وتهامة موضوع واسع يستحق أن يدرس في عشرات البحوث. أرجو من كليات وأقسام التاريخ في جامعات الملك خالد ، وجازان ، ونجران ، وبيشة ، والباحة ، والطائف أن تلتفت لهذا الميدان المهم فتدرس وتوثق في بحوث علمية عميقة .

(٦) طبيعة الأرض في مركز السرح أفضل من مركزي بني عمرو ووادي زيد المجاورين لانبساط أرضه واتصاله. ببيشة شرقاً ، ثم التقائه بالطريق العام الذي يصل بين أبها والطائف .

٣ـ مركز وادي زيد :

افتتح مركز وادي زيد في بلدة خميس العرق بمحافظة النماص في (١٤/٤/١٤٣١هـ)، يقع على الشارع العام الذي يربط أبها بالطائف .ويحده من الشمال مركز السرح ، ومن الجنوب حاضرة النماص ، ومن الشرق قرى بدوة وما جاورها من القرى التابعة لمدينة النماص ، ومن الغرب الأجزاء الغربية من مركزي عبس وختبة التابعتين لمحافظة المجاردة ، ومساحة المركز حوالي (٧٥كم٢) [١]. ويخدم المركز عدداً من عشائر بني شهر ، وبعض القرى العمرية الواقعة في محيطه الجغرافي[٢].

تمتاز أراضي المركز بموقع جيد ، فهي تقع على جانبي الشارع العام ، وتخرج عقبة تلاع من غرب المركز إلى الأصدار وأجزاء تهامية أخرى ، وهي سهلة الاستخدام مقارنة بغيرها من العقبات الموجودة في سروات بلاد الحجر. وتتصل بمركز عبس في تهامة ، ثم المجاردة حتى ترتبط بالطريق العام الذي يخرج من محايل إلى المخواة ، ثم إلى مدينة الباحة في سروات غامد وزهران ، أو إلى مكة المكرمة عبر الطريق الساحلي الدولي[٣] .

يشتمل المركز على بعض المؤسسات الإدارية مثل: كليتي التقنية للبنين والبنات ، ومكتب بريد ، ومركز صحي ، وست مدارس حكومية ، هي: (١) ثانوية عثمان بن عفان للبنين . (٢) متوسطة عمار بن ياسر للبنين . (٣) متوسطة وابتدائية أبو ذر الغفاري للبنين . (٤) متوسطة وثانوية وادي زيد للبنات . (٥) ابتدائية وادي زيد للبنات. (٦) ابتدائية وادي زيد لتحفيظ القرآن (بنات) [٤]. وهناك العديد من القرى التابعة لوادي زيد ومنها : بلدة خميس العرق ، مقر المركز ، وبلدة الخضراء ، وقرى خشرم ، وآل جميرة، وآل حبشي، والفرش ، وآل مسلمة ، وأبو قبيس ، والعقيقة ، وآل قحطان ، وآل عظية ، وآل رحمة ، وآل غران ، وآل الطوير ، وآل مرزوق ، وآل مستور ، وآل ناشر ، وبني مليح ، والمدانة[٥] .

---

(١) المصدر : مذكرة وصلتني من الشيخ فهد بن ظاهر بن دعيش في (١٥/٢/١٤٤٣هـ) . كما تجولت في ربوع هذا المركز في (٩/٢/١٤٤٣هـ) .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) ذهبت في هذه العقبة مرات عديدة ، وهي سهلة إلى حد ما ، تنزل وتصعد معها معظم السيارات ، وهي من إنجازات وزارة النقل ، حبذا أن تخدم بتوسعات وخدمات أفضل ، وإن تم ذلك فسوف تكون سهلة جداً ، وتسلكها جميع السيارات الصغيرة والكبيرة . المصدر: مشاهدات الباحث في (٩ـ ١١/٢/١٤٤٣هـ) .

(٤) مذكرة الشيخ فهد بن ظاهر بن دعبش توجد ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة ، (ق١٥هـ/٢٠ـ ٢١م) ، ج٢٠٢، ص ١ـ ٢ .

(٥) لم آت على كل القرى التابعة للمركز ، وأغلب القرى المذكورة أعلاه تعود في قبائل شهرية . حبذا أن نرى مؤرخاً أو جغرافياً جاداً يصدر معجماً جغرافياً لمعالم بلاد الحجر الجغرافية (سراة وتهامة) .

وضمن مركز وادي زيد العديد من الأعلام الجغرافية مثل: جبل مرير ببلاد آل قحطان وآل مرزوق ، وجبل شوحطة بخميس العرق ، وجبل عصية ببلدة الخضراء ، وجبل المحرق بقرية آل مسلمة . وفي أراضي المركز بعض المتنزهات الجميلة ذات الغطاء النباتي الكثيف ، وأغلبها في منطقة الأشعاف . وهناك آثار عقبات قديمة ، كانت مستخدمة في الماضي بالدواب والسير على الأقدام ، ومن تلك الطرقات عقبة غمام التي تنزل من قرية آل رحمة ، في الناحية الجنوبية الغربية من المركز ، تنزل إلى أصدار آل حبشي وبني مليح حتى تصل مركز ختبة في تهامة . وعقبة أخرى تنحدر من قرية لحبي حتى تصل وادي الغيل ثم مركز خاط في تهامة[1] .

وادي زيد الذي سمي به المركز من أكبر أودية تلك الناحية ، تأتي منابعه من سروات آل رحمة ، والعقيقة ، وآل خشرم ، والخضراء يتجه شرقاً ، وتلتقي به أودية أخرى ، ويواصل سيره نحو الشمال الشرقي حتى يصب في سد حلباء شرق مركز السرح . ويقع على جنبات هذا الوادي العديد من الغدران التي تعرف بأسماء معلومة عند أهل البلاد[2] .

ووادي المرحب في قمم السروات ، تبدأ منابعه من قرى آل غران ، وآل جميرة ، وشعف العقيقة ثم يتجه غرباً نحو منطقة الأصدار حتى يلتقي ببعض الأودية التهامية في مركزي عبس وختبة حتى وادي خاط[3] .

---

(١) شاهدت آثار هاتين العقبتين في الفترة من (٩ـ١٤٤٣/٢/١١هـ) ، وهي مندثرة اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) وغير مستخدمة . والذاهب في عموم السروات من الطائف إلى بلاد وادعة وقحطان يشاهد الكثير من الدروب القديمة التي تربط بين أعالي السراة وتهامة ، وكانت مستخدمة في السابق مشياً على الأقدام ، وتسلكها بعض الدواب مثل الحمير والأغنام والأبقار . وهذه الطرق (العقبات) نماذج من تاريخ وحضارة الآباء والأجداد ، حبذا أن تحصر تلك الطرق ثم تدرس بداية كل عقبة وماذا جرى لها من تطور أو اندثار حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، مع ذكر محطاتها ، وماتمتاز به كل عقبة ، وذكر الصعوبات التي كانت تقابل مرتاديها في الماضي .

(٢) تنقلت في أجزاء من هذا الوادي من أعالي السروات في العقيقة وآل رحمة وخشرم إلى قرى الخضراء والعرق وآل مسلمة ، وآل رحال وغيرها . كان في السابق وادياً غزير المياه ، وفيه الكثير من الأشجار والنباتات المتنوعة في أحجامها وأشكالها ، وتقع على جانبية الكثير من الأراضي الزراعية الجيدة في تربتها ومزروعاتها .

(٣) يتخلل منطقة الأصدار من الطائف إلى بلاد قحطان عشرات الأودية الصغيرة والمتوسطة التي تسير غرباً حتى تتصل بالأودية الكبرى في تهامة، وأخيراً تصب في البحر . وبلاد الأصدار والأوطان الواقعة عند أسفل سفوح السروات من الغرب ، لم تكن في الماضي في معزل عما حولها ، لأنها مأهولة بالسكان ، وتشتمل على الكثير من الثروات الحيوانية والنباتية ، لكن صعوبة أرضها هي التي جعلتها غير مذكورة في كتب التراث العربي والإسلامي ، وإن ذكرت بعض معالمها فلم ترد بشكل واضح ، وإنما فقط أسماء أمكنة متفرقة في هذه البلاد الواسعة . واليوم ــ ولله الحمد ـ أصبحت معروفة عند معظم الناس ، وتجتازها عقبات معبدة ومسفلتة ، وهي تستحق أن يدرس تاريخها ، وتجمع أخبارها وآثارها في دراسات عديدة ، آمل أن تقوم الكليات والأقسام العلمية في الجامعات السعودية المحلية ، بهذا العمل العلمي المفيد والمهم .

لا يوجد في مركز وادي زيد نشاط تجاري وحضاري كبير مقارنة بحاضرة النماص، أو مركزي بني عمرو والسرح. وربما حداثة تأسيس هذا المركز أحد أسباب هذا التواضع، ثم أرضه ضيقة فالجبال تحيط بقرى وبلدات المركز من كل ناحية ، ومن الصعب إنشاء مخططات عمرانية ، أو مشاريع اقتصادية كبيرة . ومعظم أراضي المركز أملاك زراعية خاصــة. وهناك بعض الأنشطة الاقتصادية القليلة على جانبي الطريق العام الممتد من قريتي لحبي وآل قحطان جنوباً إلى بلدة العرق شمالاً[١] ٠

٣ـ صفحات من تاريخ العمران :

تأتــي حاضــرة النماص من أفضــل المواقع عمرانيــاً في سروات بــلاد الحجر [٢] ، فالمنــازل الخاصــة تــتراوح ارتفاعاتها حالياً (١٤٤٣هــ/٢٠٢١م) من طابــق إلى ثلاثة طوابــق ، وهناك عمارات قليلة قد تزيد أدوارهــا إلى الأربعة والخمسة. ولا تخلو القرى ومراكز المحافظة من عمائر كبيرة تضاهي العمارات الموجودة في الحاضرة[٣] ٠

وأثنــاء سيري في أنحــاء محافظة النماصــ رأيت العمران الحديث هــو السائد في عمــوم البــلاد . والعمارة والقرى القديمة تراجع وجودها ، فصــارت أبنية ومستوطنات مهجــورة، ونــال الكثــير منها الهــدم والاندثــار، وحل قريبــاً منهــا الأبنيــة الإسمنتية الحديثــة[٤]٠ وعند التأمل والمقارنــة بين العمارات القديمة والحديثة تبين لي الكثير من الفوارق والاختلافات، وأذكر بعضاً منها في النقاط الآتية :

---

(١) أعرف هذه البلاد منذ خمسين عاماً (١٣٩٠ـ ١٤٤٣هـ/١٩٧٠ـ ٢٠٢١م) ، كانت في السابق صعبة المسالك ، غنية بالمياه والمزروعات، وبعد افتتاح الطريق العام وتوسعته حظيت بالكثير من التنمية العمرانية ، وبعض الأنشطة الاقتصادية والحضارية الأخرى ٠

(٢) مدينــة النماصــ قديمة في تاريخها ، وتعد المركز الإداري الرئيسي لبــلاد بني شهر وبني عمرو منذ القرن (١٢هـ ـ١٨م) ، وربما من قبل هذا التاريخ . وهذه الحاضرة تستحق أن يوثق تاريخها السياسي والحضاري خلال العصر الحديث والمعاصر٠

(٣) هــذا الــذي شاهدتــه أثناء رحلتي في سروات بني شهــر وبني عمرو في (٨ــ ٩ /٢/ ١٤٤٣هـ) . والمتأمل في العمارات القديمة في هذه البلاد يجد في بلدة النماص العديد من القصور والبيوت القديمة والكبيرة . كما يشاهد بعض المنازل والقصور التراثية مازالت قائمة في البلاد الممتدة من بلاد العوامر إلى بلاد الحصباء وبني رافع شمالاً. والعمارة القديمة في هذه البلاد تستحق أن تدرس وتوثق في عدد من البحوث العلمية مع دعمها ببعض الصور الفوتوغرافية الملونة، ومن يقوم بهذا العمل فقد يساهم في حفظ صفحات من التاريخ العمراني الحضاري في هذه البلاد العربية الماجدة .

(٤) هــذا الوضــع هو السائد في عموم بلاد السراة وتهامة ، ومن يتجول في ربــوع المملكة العربية السعودية يجد الوضع نفسه في كل منطقة وناحية ، مع اختلافات طفيفة في طبيعة الأرض ، وربما مواد البنــاء . لكن الأبنية القديمة في كل مكان تركت ، وهجرها أهلها، واستبدلوها بأمكنة وعمارات حديثة مختلفة في هياكلها ومواد بنائها وطرق تشييدها واستخداماتها ٠

١. شيدت المنازل والقرى قديماً بطرق عشوائية فلا يراعى فيها التخطيط السليم، ولا سعة المكان وتعدد مرافق المنزل وخدماته . والأهم من ذلك توفر سكن في مكان حصين ضمن إطار سكان القرية أو العشيرة أو القبيلة حتى يكونون متقاربين متعاضدين متعاونين للعيش بأمن وسلام ، والوقوف في وجه كل ما يهدد حياتهم وأمنهم(١) . وفي العصر الحديث والمعاصر توفر الأمن في البلاد ، وزاد المال والخير في أيدي الناس ، وعملت مؤسسات الدولة على الإشراف وإدارة حياة الناس ، فصار عندهم منازل مملوكة بحجج ووثائق شرعية ، وصاروا في ركاب التمدن والحداثة، فشيدوا بيوتاً واسعة في أراضيها ، ومرافقها ، وخدماتها ، وتوفرت لهم مواد البناء والعمران الحديثة التي لم تتوفر للأوائل(٢) .

٢. عاصرت العمارة القديمة والحديثة . فالأوائل كانوا يبنون بيوتهم وقراهم بأنفسهم، فمنهم البناؤون وجميع الأيدي العاملة التي تشيد كل الأبنية القديمة . والنساء يعملن جنباً إلى جنب لخدمة من يقوم بالبناء ، فيوفرن الطعام والشراب، وأحياناً جلب الماء من الآبار وغير ذلك (٣) . أما العمارة الحديثة فأصبح هناك أيدي عاملة محلية، وأكثرهم وافدون من خارج البلاد ، فهم الذين يتولون أعمال البناء والتشييد من البداية إلى النهاية (٤) .

---

(١) الناظر إلى جميع المنازل والقرى القديمة في عموم تهامة والسراة يتأكد له محدودية مساحاتها ومرافقها. بل يرى القرية الواحدة متداخلة ومتلاصقة منازلها وأزقتها وجميع مرافقها ، وذلك لعدم وفرة الأموال عند الناس ، وأيضاً فقدان الأمن والعيش بسلام . وقد وقفت على قرى قديمة في بلاد العوامر ، وقرى بني بكر والكلاثمة ، وفي وادي زيد ، وبلاد عمرو الشام فرأيت قرى عديدة قديمة يغلب عليها ضيق المكان ، وأحياناً صعوبته ، فقد تتكون في جبال ، أو هضاب ، أو أودية وعرة الطبيعة ، وضيقة المسالك والدروب . وأقول إن قرى تهامة والسراة القديمة تحتاج إلى من يحصرها ثم يدرس تركيبتها العمرانية ، وصفحات من تاريخها الحضاري خلال القرون الماضية. وهذا العمل من واجبات الكليات والأقسام العلمية الموجودة في الجامعات السعودية المحلية .

(٢) حبذا أن نرى باحثين جادين فيدرسون تاريخ العمارة القديمة والحديثة في سراة وتهامة منطقة عسير ، مع الحرص على استخدام المنهج المقارن ، ثم دعم العمل بالوثائق التاريخية والصور الفوتوغرافية .

(٣) للمزيد انظر غيثان بن جريس . عسير: دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/١٦٨٨-١٩٨٠م) (جدة، ١٤١٥هـ/١٩٨٤م) ، ص ٣٧ وما بعدها . للمؤلف نفسه . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، الجزء الثالث والعشرون ، ص١٨٧وما بعدها .

(٤) لم يتحول الناس فجأة من نظام العمارة القديمة إلى الحديثة ، وإنما حدث ذلك بالتدريج ، والمحرك الرئيسي في ذلك توفر المال، وأثر الوعي والثقافة والتعليم ، فالتطور الاقتصادي بدأ في ازدياد من ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، بالإضافة إلى التعليم والحصول على وظائف حكومية جديدة ، وكذلك مشاهدة الغير في أنحاء المملكة العربية السعودية، ثم جهود الدولة في تطوير الإنسان مادياً ومعنوياً ، وبالتالي بدأ الناس من العقود الأخيرة في القرن الهجري الماضي يشيدون منازل قديمة ، ويستخدمون بعض مواد البناء الحديثة كالإسمنت والبلك ثم الحديد ، وفي الفترة نفسها هناك من شيد غرفاً أو منازل من الزنك ، ومنذ العقود الأول في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، فاض المال والخير على البشر ، فساروا بشكل أسرع وأكبر نحو البناء والتشييد للعمارات الحديثة ، وتركوا قراهم ومنازلهم القديمة ، ولم نصل إلى نهاية العشرينيات من هذا

مــا من شــك أن العمــارة الحديثة أفضــل من الأبنيــة والمنازل القديمــة من حيث سهولــة المواقــع ، ثم خدمتها بالطــرق ووسائل المواصلات والاتصــالات الحديثة، وتنوع وتعــدد أجزاء البيت الواحد ومرافقه. وللبلديات ومؤسسات حكومية أخرى تأثيراً كبيراً وإيجابيــاً في تشييــد العمارات الحديثة وتنظيمهــا. والنــاظر اليــوم في أي مجمع سكني حديث ، في المدنٍ والقرى ، ثم مقارنته مع هيئة وتركيبة القرى القديمة ، فلن يجد هناك تقاربــاً وتشابهاً بين الموقعــين . ولكل منهما ظروفه وزمنه ، لكن المال والأمن والاستقرار من أهم العوامل التي خلقت هذا التباين والاختلاف ٠

ليســت منازل النــاس الخاصة ومرافقها الوحيدة في محافظــة النماص، وإنما هناك أفراد وجماعات يمتلكون أبنية للاستخدام الشخصي أو للترفيه ، أو للتجارة . ومما رأيت في عموم المحافظة الأبنية التجارية، والطريق العام الممتد من عقبة القامة إلى بلاد عمرو الشام مكتظ بالمحلات التجارية المختلفة ، وأكثرها في التجمعات السكنية الكبيرة كحاضرة النماص، ومراكز وادي زيد ، والسرح ، وبني عمرو. ومن العمارات الاقتصادية التي رأيتها على الشارع الرئيسي أو وقفت عند بعضها في المحافظة أسواق تجارية كبيرة وصغيرة [١] ، ومحطــات بتروليــة ، وفنادق وشقق مفروشــة ، وورش ودكاكين تقنيــة وصنــاعية وحرفية ، وبعضــ الاستراحات وصالات الأفراح المتفاوتة في مساحاتها ، ومرافقها . وكل هذه الأبنية تختلــف في تعــدد طوابقها ، فمنهــا الصغيرة والمحدودة ، وأخرى واسعــة وأحياناً مرتفعة الأدوار فقد تصل بعض عمارات الفنادق والشقق المفروشة إلى أربعة وخمسة طوابق[٢] ٠

والأبنيــة الحكومية في النماص جزء من العمارة الحديثة ، وقد أشرت إلى كثير من تلك العمارات في صفحات سابقة من هذه الرحلة ، وأهمها وأكثرها مقرات التعليم العام والعــالي والتقني ، والمحافظة ، والبلدية ، والمستشفى وغيرها وجميعها رسمية حكومية. أما المقــرات الحكومية المستأجرة فهي الأخرى كثيرة ومتفرقــة في أنحاء المحافظة[٣] ٠

القــرن (١٥هــ/٢٠م) إلا والعمارة الحديثة أصبحت السائدة في كل مــكان . ودراسة هذا التحول المادي وأثره على حياة الناس ، وبداية جلب الأيدي العاملة من الخارج وتزايدهم ، وآثارهم الإيجابية والسلبية على الأرض والناس موضوعات علمية جديدة وهي من اختصاصات الجامعات المحلية ، فالواجب تبنيها ودعمها ٠

(١) من الأسواق الكبيرة سوق العثيم ، وسوق ابن سلام ، وسوق العسيري وغيرها ، وهي متفرقة في مدينة النماص ٠

(٢) لم يشمــل حديثــي كل العمارات الرئيسيــة أو حتى الثانوية في محافظة النماصــ . لكنني أشرت إلى نماذج منهــا ، وهي أبنيــة حديثة ، ومواد بنائها مستوردة مــن داخل المملكة العربية السعوديــة وخارجها . والذي أشــرف على بنائها وتشييدها مؤسسات تجارية تعمل في مهن المقاولات والبنــاء ، وجميع الأيدي العاملة من الأجناس العربية وغير العربية الوافدة إلى المملكة العربية السعودية ٠

(٣) رأيت عدداً من المؤسسات الإدارية في مدينة النماص في عمارات مستأجرة ، وأخبرني بعص أعلام المدينة أن لبعضها مقرات حكومية ، والعمل جارٍ في تشييدها مثل مركز الهلال الأحمر ، وإدارة الشرطة وغيرهما ٠

وكل هذه الأبنية (الحكومية والمستأجرة) متفاوتة في مواقعها ، ومساحاتها ، وطوابقها. لكنها تتراوح من طابق واحد إلى أربعة ونادراً خمسة طوابق ، بالإضافة إلى أحواشها ومواقفها ، ومرافقها الداخلية والخارجية[١] .

رأيت العديد من الجوامع الكبيرة والمساجد المتوسطة والصغيرة في أنحاء المحافظة. ومن الجوامع التي توقفت عندها وصليت في بعضها . (١) جامع الملك عبدالعزيز ببلاد العوامر في الظهارة ، ويقع على الشارع العام ، ويتكون من عدة طوابق. (٢) جامع المنداة داخل مدينة النماص ، كان في السابق مسجداً صغيراً ، ثم أعيد تشييده ، وتقام فيه صلاة الجمع والجماعات . (٣) جامع بني بكر ، في قرية بني بكر الرئيسية ، وقد أعيد توسعته وتشييده .(٤) الجامع الكبير في مدينة النماص ، كان في السابق ضيقاً ، ثم أعادت الوزارة توسعته وتشييده، ومن مرافقه مغسلة للأموات، وتقام فيه صلاة الجمعة، والصلاة على الجنائز[٢] . (٥) جامع بلال شمال مدينة النماص، على الطريق العام. كان يتكون من دورين ، ومتوسط المساحة ، ثم أعيد بنائه وتوسعته، ومازال العمل فيه جارياً حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . (٦) جامع صدريد في قرية صدريد العمرية على الشارع العام شمال مدينة النماص . بحوالي (٦ـ ٧كم)، وهو جامع كبير يتسع للكثير من المصلين ، وفي الدخول إلى مواقفه والخروج منها صعوبة وخطورة لقربه من الطريق العام الذي يصل بين أبها والطائف. (٧) وفي بلدات الخضراء، وحلباء ، والسرو، وبني عمرو الشام ، والفرعة الشمالية والجنوبية جوامع كبيرة تتراوح مساحاتها بين (٢٠×٢٠م) إلى (٣٠×٣٠م) وربما أكثر من ذلك .

معظم الجوامع الآنف ذكرها قام ببنائها فاعلو خير من التجار والمقتدرين مادياً، وبعضهم من أهل الجنوب السعودي، وآخرون من مناطق ومدن أخرى في المملكة العربية السعودية . وجميعها حديثة العمران ، ومواد بنائها متنوعة في النوعية والجودة . وتتفاوت في مواقعها ، ومساحاتها ، ومرافقها . وجوامع الظهارة ، والجامع الكبير في النماص، وجامع بلال ، وجامع صدريد تعد من أكبر المساجد في المحافظة ، وجميعها على الطريق العام ، ما عدا الجامع الكبير يقع إلى الداخل قليلاً ، وعلى طريق رئيسي داخل المدينة [٣] .

---

(١) التاريخ الإداري في منطقة عسير ، أو أي منطقة من مناطق الجنوب السعودي موضوع جديد ومهم ، حبذا أن نرى مؤرخين وباحثين جادين يدرسون هذا الميدان في عدد من الكتب أو الرسائل العلمية خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٠ـ ١٤٤٣هـ/١٩٢٠ـ ٢٠٢٠م).

(٢) كان هذا المسجد محدوداً وصغيراً منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ثم جري عليه توسعات عديدة ، وهو اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) جامع كبير يتسع لمئات المصلين ، وتراه يومياً ممتلئاً بالمصلين الذين يفدون إليه لصلاة الفريضة والصلاة على الأموات .

(٣) المصدر : رحلة الباحث ومشاهداته في (٨ـ ٢/٩/١٤٤٣هـ) .

الحديـث عن فتح دروب السيــارات التي تصل محافظة النماص بغيرها تستحق أن تدرس في بحـث كبير ومطـول، لأن سروات بني شهـر لم تعرف طرق السيــارات إلا في العقـود الأخيرة مـن القرن (١٤هـ/٢٠م) [١] . وأهمها الطريـق الرئيسي الذي يربط الطائف بأبها عن طريق بيشة أو الباحة . وقد مر بمراحل عديدة منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) [٢] . لكـن منـذ بداية الثمانينيـات في القرن نفسه بـدأت الدولة في فتح الطريـق الذي يربط بين النماص وأبها ، ولم يأت عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ، إلا وهذا الطريـق قد أصبح مسلـوكاً بأغلب السيــارات الصغيرة والمتوسطـة [٣] ، أما الشاحنات الكبيرة ، فكانت تواجه صعوبات شديدة أثناء السير فيه [٤] .

لن أخوض في البدايات ثم التطور التاريخي للطرق التي تربط بين محافظة النماص وغيرها ، لأن هذا الموضوع يحتاج إلى إسهاب وتفصيلات كثيرة لكل طريق يربط الشمال بالجنوب وغرب سروات بني عمرو وبني شهر بشرقها [٥] .وإنما أدون لمحات عن الطرق التي شاهدتها أثناء رحلتي عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، وإذا لزم الرجوع إلى عقود قريبة ماضية فسوف أذكر ذلك في حواشي الدراسة .

قبـل خمس سنوات تقريباً كان الطريق العــام في مدينة النماص يسير في اتجاهين، ويتفـرع منه طـرق ذات اتجاه واحد، وقليل جـداً ذات اتجاهين . ثم جـاء رئيساً جديداً

---

(١) هنــاك محــاولات عديدة من بعض الرجال في بني شهر وبنـي عمرو منذ سبعينيات القـرن (١٤هـ/٢٠م)، تسعى إلى الوصول بالسيارة من بيشة إلى النماص وتنومة . وبعضهم جاءوا من بلدة ضمخ في أرض شهران، وآخرون جاءوا عن طريق بيشة وسبت العلاية . وقد حققوا بعض النجاحات ، وكان للعديد من أعلام سروات الحجـر ، وبخاصـة قبائـل بني عمرو وبني شهـر دور إيجابي في تلـك الإنجازات . ومنذ أربعـين عاماً أسمع روايـات متعددة عن أسماء بعض الرجـال الشهريين والعمريين الذين قادوا السيارات من بيشة إلى النماص وتنومة . وآخرون من أعيان البلاد ووجهائها كانوا من الداعمين والمجتهدين في فتح طرق من بيشة إلى بوادي بلقـرن وبني عمروا وبني شهر ثم الوصول إلى سبت العلاية والنماص وتنومة. وفتح طرق للسيارات في عموم السـروات وتهامة من منتصف القـرن (١٤هـ/٢٠م) إلى بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) موضوع جديد في بابه يستحق أن يوثق في أعمال علمية عديدة . آمل أن نرى بعض طالباتنا وطلابنا في برامج الدراسات العليا في جامعية الملك خالد وغيرها فيقوموا بدراسة هذا الموضوع في عدد من البحوث والرسائل العلمية .

(٢) وصلت السيارة من الطائف إلى بيشة في نهاية الأربعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ثم إلى سروات بلقرن في السبعينيـات . وجـاءت عن طريق الباحة إلى سبت العلاية في سنوات تالية من القرن الهجري الماضي . لم تكـن تلـك الطرق سهلة العبور ، بل شديدة الوعورة ، ولا يسلكها إلا السيارات القوية جداً ، وقد عاصرت شيئاً من هذه الصعوبات في ثمانينيات وتسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٣) عاصـرت بدايـة العمل في طريق أبها من منتصف الثمانينيات إلى منتصف التسعينيات ، وبعد فتحه بقيت أجزاء عديدة فيه شديدة الوعورة، وغير مسفلتة حتى بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) .

(٤) معاصرة الباحث لهذا الطريق من عام (١٣٨٧ـ ١٤٠٠هـ/١٩٦٧ـ ١٩٨٠م) .

(٥) أشـرت إلى هـذه المعلومـات حتـى أنبه الباحث والقـارئ والمؤرخ بأن الطـرق التي نراها مسفلتـة مسلوكة في عموم السـروات وتهامـة ، لم تتحقق وتصل إلى وضعها الحالي إلا بعد نضال وجهود عظيمـة بذلتها الدولة ، وتعاون معها أهل البلاد في كل مكان . فلله الحمد والشكر على ما أنعم به الله ـ عز وجل ـ علينا من فضائل لا تعد ولا تحصى .

لبلديـة النماص ، لا أعرفه ، ويقــال إن اسمه يحيى بن خلوفه القحطاني ، فاجتهد وبذل قصــارى جهوده في تغيير اتجاه الدخول والخروج إلى وسط المدينة ، فسار الطريق العام اتجاه واحد من شمال المدينة إلى جنوبها ، والداخل إلى المدينة من جهة الجنوب يضطر السـير في طريق آخـر يجتاز وسط المدينة حتى يلتقي بالطريـق العام في شمالها . وعند بدايتـه في التنفيذ قابله العديد من العقبـات والصعوبات ، لكن بحزم الرئيس وحصوله علـى الدعم الإداري والفنـي والمالي من أمانة عسير تحقق المشـروع، وصار الدخول إلى وسط المدينة والخروج سهلا وميسرا، مقارنة بوضعها في السابق[١] .

<u>لم يتوقـف رئيـس البلديـة الأستاذ/ يحيى بـن خلوفة عند عملـه التخطيطي السابق، وإنما سعى إلى فتح طرق رئيسية تتفرع من الطريق العام في مدينة النماص إلى نواحي عديدة في المحافظة[٢] .ومن تلك الطرق :</u>

١. طريـق الملـك سلمان في جنوب المدينــة ، يخرج من الشارع العــام ، ويسير شرقاً في أراضي قبيلة بني بكر حتى يصل ديار بني قشير وناحية الدحض في بلاد آل بالرياع. وأجزاء منه مزدوجه بعرض حوالي (٢٥م).
٢. طريـق التعاون يخرج مـن وسط المدينة نحـو الشرق حتى يصـل الفرعة في بوادي المحافظة ، وهو أيضاً طريق مزدوج بعرض (٣٠م) تقريباً .
٣. طريـق مزدوج يخرج من المنشيــة وسط المدينة تجاه الشـرق ، ويتصل بالعديد من القرى شرق المحافظة.
٤. طريق بلال مزدوج بعرض (٢٥ ـ ٣٠م) يخرج من الشارع العام في طرف المدينة الشمالي، ويسير شرقاً إلى مسلخ النماص ، وأسواق الخضار والأغنام شرق المدينة[٣] .
٥. طريق مزدوج بعرض (٢٠م) شمال المدينة ، يتفرع من الشارع العام ويسير شرقاً حوالي (٢ــ ٣)كيلا في بلاد قبيلة بني جبير حتى مدرسة محمد عبدالوهاب وما جاورها[٤] .

جميــع الطرق الآنف ذكرهــا تتجه شرقاً في محيط مدينــة النماص ، وهنـاك طرق أخـرى عديدة تتفرع من الطريق العام شرقــاً وغرباً ، وبعضها قديمة يعود تاريخها إلى

---

(١) هذا الذي سمعته ، وأيضاً شاهدته ، ومازلت أشاهد هذ التطور والتنمية حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٢) هــذه المشاريع التي نفذهــا رئيس البلدية المذكور أعلاه ، لم تكن وليدة الساعــة ، وإنما هناك رؤساء بلدية قبلـه كان لهـم دور إيجابـي في دراستهـا والرفع بها إلى الجهـات العليا في الدولة . لكن هــذا الرئيس كان محظوظا فتحققت في عصره .

(٣) هــذا الــذي شاهدته ووقفت عليه أثناء رحلتي في شهـر صفر (١٤٤٣هـ) . كما سمعـت الكثير من الأخبار والروايات عن فتح هذه المشاريع قبل أربع أو خمس سنوات من وقتنا الحاضر.

(٤) مشاهدة الباحث ، وهذا الطريق يسير في بلاد قبيلة المؤلف ، المعروفة باسم (قبيلة بني جبير) ومن قراها آل رزيق ، والخاضرة ، وآل معوطة .

عقـد وعقدين وربما أكثر، وأخـرى حديثة خلال السنوات الســت أو السبع الماضية[١]٠ والذاهـب على طـول الطريق العـام من الجنـوب إلى الشمال يجد العديـد من الطرق المسفلتـة بعرض (٥ـ٨م) وبعضها أكبر ، والمتفرعة من الطريق الرئيسي شرقاً وغرباً ، وأحياناً تخرج من الطريق العام ثم تتجه شمالاً أو جنوباً [٢]، ومنها :

١. جنوب المحافظة في بلاد العوامر طريق ذي الحلاة ، وطريق المحلب ، وطريق البردة، وطرق آل ثابت ، وآل التيس، وآل فويس ، ويتراوح أطوالها بين (١٠ــ١٥كم) [٣] ٠
٢. هنـاك طريق جديد مزدوج بعرض تقريباً (٢٠م) في بلاد بني مشهور شمال مدينة النماص، يخرج من الشارع العـام نحو الغرب ، ويتصل بعدد من قرى الأشعاف في تلك الناحية[٤] ٠
٣. مـن شمال مدينـة النماص إلى بلاد عمرو الشام طرق عديـدة متفرعة من الشارع العـام غربـاً وشرقاً مثـل: طريق الحتـار وعاكسة وبـدوة[٥]، وطريقـا لشعب ، وآل سكـوت والصريـف ، وطريق قفعـة ، وآل هلالـة ، وآل طارق ، وطريـق مسلمة وآل رحـال والفرش[٦]، وطريـق العقيقة التي تتصـل بعقبة تلاع التـي تنحدر إلى بلاد عبسـ في محافظـة المجاردة، وطريق بحاثل المدانة ، وطريـق حلباء القبل ، وطريق حلباء القوباء حتى مراكز البهيم (ترج) ، مهر ، والحازمي في محافظة بيشة، وطرق يانف، وآل عطيفة ، والسهوة ، والأصفاء ، وسد بني عمرو، وبني رافع[٧]٠

وإذا نظرنـا في المتنزهات والمواقع السياحيـة وجدنا الكثير منها مخدومة بالدروب المتفاوتـة في أطوالها وخدماتها . ومـن أهمها وأطولها الطريق السياحي الذي يسير من

---

(١) حظيـت محافظـة النماص بخدمات جيدة في الطرق . وتاريخ الطرق في هذه المحافظة خلال الأربعين سنة الماضية (١٤٠٠ـ ١٤٤٣هـ/ ١٩٨٠ــ ٢٠٢١م) يستحق أن يدرس في كتاب أو رسالة علمية ٠

(٢) يطلـق علـى هذه الدروب طرق القـرى ، أو الطرق الزراعية ، وقد بـدأت وزارة المواصلات (النقل حالياً) في شقها منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) وتزايدت حتى صارت كل ناحية أو قرية في المحافظة متصلة بطريـق مسفلـت ، ويتفـاوت عرضها ، وأطوالهـا من قرية لأخرى ومـن مكان لآخر . المصـدر: مشاهدات الباحث في عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ٠

(٣) مشاهدة الباحث في (٨ـ ٩ /٢/١٤٤٣هت) ٠

(٤) المرجع نفسه ٠

(٥) المرجع نفسه ٠

(٦) المرجع نفسه ٠

(٧) جميـع هذه الطـرق تتفرع من الطريق العام شرقـاً وغرباً لخدمة القرى والبـلاد في سروات المحافظة من عقبـة القامة إلى الحصبـاء قريباً من حدود محافظة بلقرن الجنوبيـة . ولم آت على كل الطرق الفرعية، فهـي أكـثر مما دونـت . وكل ناحية وقرية يوجـد فيها طرق مسفلتـة ومتعددة ومتنوعة الطـول والعرض . والبلاد اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تعيش في عصر تنموي مزدهر في جميع دروبها الصغيرة والكبيرة ٠

أشعـاف بـلاد العوامر جنوباً إلى جبل مريـر ووادي زيد شمالاً. وطريـق آخر يسير من جبـل المطل غربـاً حتى الحصباء في بلاد بني رافع أقصى قبائـل عمرو الشام . وهذان الطريقـان حديثـا العهد ، ومزدوجـان في بعض أجزائهما ، وذا اتجـاه واحد في مواضع أخـرى ، ويوجـد علـى جانبيهما بعض الخدمـات كالمظلات ، والجلسـات ، والحدائق ، وألعاب أطفال ، وبعض الأمكنة الصالحة لرياضة المشي[١] .

إن علاقة السرويين بالتهاميين قديمة جداً ، فالكثير من قبائل السروات لها صلات حسب ونسب مع العديد من القبائل القاطنة عند سفوح السروات الغربية ، بل متشابهين في الكثير من السمات الخلقية والخُلقية ، ناهيك عن الأعراف والتقاليد وبعض المعارف والثقافات فهم متقاربون وأحياناً متداخلون في أغلبها [٢].

ومحافظة النماص ، أو سروات بلاد الحجر جزء من السروات[٣] ، لها طرق قديمة تصل بين أعالي السراة وسهول تهامة ، وقد شاهدت بعضها ، وسرت في عدد منها منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) حتى عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) ، وجميع تلك الـدروب مسالك صغـيرة وصعبة ، فلا يسلكها إلا المشـاة ، وأحياناً الدواب مثل الحمير والأغنام ونادراً الأبقار والجمال[٤] .

---

(١) أتردد على محافظة النماص في العام مرتين أو ثلاثاً ، وأشاهد هذه الطرق السياحية منذ ثلاث أو أربع سنوات ، لكنني لم أتأملها بعين الراغب في التدوين والتوثيق . وفي هذه الرحلة الأخيرة في شهر صفر عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) تأكـد لي أنهـا مشاريع حديثة وكبـيرة ، ومازالت البلدية تبذل قصارى جهودها لدفع عجلـة التنمية بشكل أفضل وأسـرع ، وصارت محافظة النماص اليوم تحتضن الكثير مـن الخدمات الجاذبة للزوار ، وهذه الطرق السياحية إحدى المشروعات الجيدة والناجحة في تطوير المحافظة وارتيادها بأعداد أكثر وأكبر من السواح .

(٢) أرصـد هـذه الأقوال بعد السير في مناكب السراة وتهامة ، من مكـة والطائف إلى جازان ونجران ، حوالي خمسين عاماً. ثم البحث في تراث هذه البلاد فتأكد لي صحة ما تم تدوينه أعلاه . والسائر في مناكب هذه الأوطان يجد الصلات والتقارب بين التهاميين والسرويين أصبح أوسع وأكثر مما كان عليه الأوائل ، بسبب توفـر الاتصالات والمواصلات الحديثة ، وسهولة الحياة عند عموم الناس في هذه البلاد. ومازلت ، وسوف أستمر ، أحث على دراسة جميع أحوال الأرض والناس في هذه البلاد العربية السعودية منذ عصور ما قبل الإسـلام حتى وقتنا الحاضر . والأمر ـ ولله الحمد ـــ أصبح سهلاً وميسراً لتوفر مؤسسات التعليم العالي التي تحتضن عشرات الكليات ، ومئات الأقسام العلمية ، وآلاف الطلاب ومنهم طالبات وطلاب الدراسات العليـا الذين يجب عليهم دراسـة أوطانهم من شتى الجوانب ، وهذا ما سوف يحدث ـ بإذن الله تعالى ـ . (والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل) .

(٣) سروات الحجر من الجنوب إلى الشمال (بللحمر ، وبللسمر ، وبني شهر ، وبني عمرو). تستحق أن تدرس تاريخياً وأثرياً وبخاصة البلاد الأحمرية والأسمرية فمازالت فقيرة في ميدان البحث العلمي . آمل أن نرى باحثاً أو مؤرخاً منصفاً يدرس تاريخ وموروث هذه البلاد العربية الأزدية الماجدة .

(٤) الكثير من قبائل السروات من الطائف إلى وادعة وقحطان في منطقة عسير ، لها طرق (عقبات) قديمة تربـط بين مواطنهـم في السروات وبعض مستوطناتهم (الحلال ومفردهـا حلة) الصغيرة والمحدودة في منطقة الأصدار. وتلك الدروب تواصل غرباً حتى تتصل بالمستوطنات البشرية في سهول تهامة وسواحلها.

وفي العصر الحديث استبدلت بعض الطرق البدائية القديمة بطرق للسيارات[١]. ونشاهد اليوم عدة عقبات في محافظة النماص صارت مطروقة بطرق ترابية أو مسفلتة، وتسير فيها معظم السيارات الصغيرة والمتوسطة ، وهي من جنوب المحافظة إلى شمالها على النحو الآتي :

١ـ عقبة السرو :

تقع في سروات العوامر ، تبعد عن مدينة النماص جنوباً بحوالي (٨ ـ ٩) كيلاً ، تتفرع من الطريق العام غرباً ، وتنحدر في أصدار بعض قبائل العوامر . كانت في السابق عقبة صغيرة يسير فيها الناس مشياً على الأقدام ، وفي العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) تعاون سكان بلاد العوامر بفتحها وإصلاح أجزائها حتى تسلكها السيارات ، وساهمت إدارة الطرق في أبها ، وبلدية النماص ، والمجمع القروي ثم بلدية المجاردة في فتحها من أعالي السراة إلى بلدة خاط ومدينة المجاردة . ومازالت حتى الآن ترابية ، وتسلكها بعض السيارات ، ولها مطالبات وجهود في سفلتتها ، أرجو أن يكون ذلك قريباً ، وطولها من السراة إلى خاط حوالي (١٥كم) [٢] .

٢ـ عقبة سنان :

كانت هذه العقبة مطروقة قديماً بالأقدام ، تبدأ من غرب مدينة النماص حتى تصل خاط، وطولها حوالي (١٢ـ١٣كم) . سميت عقبة سنان نسبة إلى أحد القادة العثمانيين الذي صعد من خلالها إلى مدينة النماص في القرن (١٣هـ/١٩م) [٣] .ولصعوبة الطريق

والذاهب في الأجزاء التهامية من جنوب مكة المكرمة إلى جازان يجدها مليئة بالمستوطنات السكنية التي يعود تاريخ بعضها إلى العصر الحجري وعصور ما قبل الإسلام أو القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، وإذا كانت اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) مدناً وقرى ومحافظات وحواضر حديثة ، فليست وليدة العصر الحالي ، وإنما بعضها قديم جداً ، ولأهلها وأرضها تاريخ قديم ومتنوع سياساً وحضارياً .

(١) جبال السروات ، من المناطق الصعبة والوعرة ، وفي عصر التطور والتنمية الذي بدأته المملكة العربية السعودية ، ومازالت مستمرة فيه ، كان من أكبر العقبات في طريق التنمية شق طرق للسيارات تصل الأجزاء الشرقية أو التهامية بأعالي السروات . وقد تحققت ذلك خلال السبعين عاماً الماضية ، وصار هناك اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) عشرات الطرق السهلة التي تربط بين أجزاء السراة وتهامة ثم تتصل بغيرها من مدن وحواضر المملكة العربية السعودية . ولكل طريق نراها سهلة العبور في وقتنا الحاضر تاريخ وعقبات كثيرة ثم التغلب عليها حتى أصبحت شبكة المواصلات في هذه البلاد سهلة وميسرة ومتطورة .

(٢) رأيت هذه العقبة ، ووقفت في أعلاها ببلاد بالحصين من قبائل العوامر في (١٤٤٣/٢/٨هـ) . وهذه العقبة تستحق أن تدرس في بحث علمي موثق .

(٣) يتناقل الناس في محافظة النماص رواية أن سنان باشا صعد من أسفل هذه العقبة ، وعندما جاء إلى مكان صعب ووعر أجرى عليه بعض التعديلات والإصلاحات حتى يسهل صعود العقبة ، وأطلق على هذا المكان الذي جرى فيه التعديل اسم (عقبة سنان) ومع مرور الزمن أطلق الاسم على العقبة كاملة من خاط إلى النماص .

وارتيادهـا بشكل كبـير من التهاميـين والسرويين تضافرت الجهود بـين بعض الأعلام في النماص وخاط ورغبـوا في مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) في فتحها لتكون طريقاً تسلكها بعض السيارات . وتعاونت بعض قبائل بني شهر وبني عمرو وفي مقدمتهم قبيلة الكلاثمة وبخاصة أهل القرية (النماص) على فتحها ، وساهم معهم مادياً بعض رجالات الدولة ، كما ساهمت وزارة المواصلات وبلدية النماص والمجمع القروي بالمجاردة وبعض الشـركات ومؤسسات المقاولات المحلية على فتحها ، ولم يـأت عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) إلا صـارت مسلوكة بالسيارات القويـة وبخاصة ذات الدفع الرباعي ، وفي عام (١٤٠٥ـ ١٤٠٦هـ/١٩٨٥ـ ١٩٨٦م) أصبح معظمها مسفلت ، واستمر استعمالها بشكل كبير حتى بدايـة عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، ثم خف استخدامها بعد افتتـاح عقبة التوحيد مطلع هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) [(١)] .

٣ـ عقبة التوحيد :

تقـع هـذه العقبـة إلى الجنـوب من عقبـة سنان بحـوالي كيلـين ، وتبدأ مـن جنوب مستشفـى النماصـ ، وتنحدر في الأصدار التـي تسير فيها عقبة سنـان حتى تصل مركز خاط ثم المجاردة. بدأ التخطيط ثم التفكير في فتحها في بداية العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، لكن لم يبدأ العمل فيها إلا نهاية العقد نفسه، وبداية العشرينيات (١٤٢٠ـ ـ١٤٢١هـ/١٩٩٩ــ ٢٠٠٠م) ، وطولها حوالي (١٩كم) ، وعرضها حوالي عشرة أمتار [(٢)] .

لم يكـن اسـم هـذه الطريـق عنـد البدايـة (التوحيـد) ، وإنما الهـدف مـن فتحها أن تكـون بديلـة لعقبـة سنان الوعـرة في مسالكهـا وحزونها الجغرافيـة . وربما فكـر أهل البلاد في تسميتهـا أثنـاء العمـل والتنفيذ ، لكن لم تكن شغلهـم الرئيسي [(٣)] ، المهـم أن يتم تنفيذها.

---

(١) عقبـة سنـان من العقبات القديمة ، ولها تاريخ ، ووقعت حولها أحداث حضارية وسياسية عديدة ، كما ورد ذكرهـا في بعض الوثائق والمصادر الحديثة . وبعد فتحهـا وعبور السيارات من خلالها حلت مشاكل كثيرة كانت تواجه سكان بني شهر وبني عمرو في السراة وتهامة ، وصاروا يستخدمونها بشكل كبير. وربط الناس والبـلاد (تهامـة وسـراة) ببعضِها ، وعـادت بفوائد حضاريـة واقتصادية عديدة على عمـوم الناس في هـذه الأوطـان . آمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ هذه العقبـة في هيئة كتاب أو رسالة علمية من القرن (١٣هـ/١٩م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٢) نزلـت وصعـدت في هـذه العقبة في رحلتـي الأخـيرة (٩ـ١١/٢/١٤٤٣هـ) ، وهـي سهلة جداً ، لكنهـا تقع ضمن منحدرات عالية ووعرة ، وقد تسقط بعض الأتربة والأحجار وبخاصة أثناء نزول الأمطار، وهذه من أكبر العقبات في هذا الطريق الحيوي لمجتمعات كبيرة ومتعددة في السراة وتهامة . وتاريخ هذه العقبة جدير بالدراسة والتوثيق منذ كانت فكرة ، ثم بداية المشروع في عام (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ، وما جرى عليه من صعوبات وتوقفات ثم مواصلة العمـل من عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ، واستمراره أكثر مـن عشرين سنة حتى الافتتاح عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) ، ويجب الحرص على تدوين الفوائد والإيجابيات التي سوف تتحقق من فتح هذه العقبة (الطريق) المهمة .

(٣) يبـدو أن هـذه العقبـة كانـت قديمـة جـداً ، فقـد أشـار إليهـا الهمـداني في القـرن (٤هـ/١٠م) .

وفي بداية عام(١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) جاء أمير منطقة عسير الأمير تركي بن طلال آلِ سعود ومعه وزير النقل إلى محافظة النماص، وأعلن افتتاحها، وأعلن تسميتها أيضا باسم (عقبة التوحيد)، وكان له كلمة خطابية حول هذه العقبة. وخلاصة كلمته أن بلادنا (المملكة العربية السعودية) قامت على عقيدة التوحيد، والملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل (يرحمه الله) بذل الغالي والرخيص من أجل توحيد شتات القبائل والبلاد على منهج واحد دستوره القرآن والسنة النبوية، وتوحيد الأوطان والقلوب على عبادة رب العباد (عز وجل) ٠ وكان الأمير تركي بن طلال ومن شارك معه في هذه التسمية موفقين، فالبلاد في وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تعيش حياة موحدة ومستقرة (بفضل الله عز وجل) [١] ٠

٤ـ عقبة تلاع :

تقع شمال المحافظة، وتبعد عن مدين النماص حوالي(١٧ـــ ٢٠) كيلاً، يتم الوصول إليها، من الطريق المتفرع غرباً في بلدة الخضراء بوادي زيد إلى رأس العقبة في العقيقة، ثم تنحدر في أصدار قبائل بني التيم [٢]٠ حتى تصل مركزي عبس وختبة التابعين لمحافظة المجاردة [٣] ٠

كان الناس يسلكون هذه الطريق قديماً مشياً على الأقدام [٤] ٠ثم تكاتف بعض

وعند البداية فيها عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) كان ملك المملكة العربية السعودية الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، ويشرف على شؤون الدولة ولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيزٍ آل سعود، بسبب مرض الملك فهد بن عبدالعزيز، ثم موته عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، والعمل مازال جارياً في هذه الطريق، عندئذ اقترح بعض سكان محافظة النماص تسميتها عقبة الملك عبدالله، وبقي الأمر هكذا حتى جاء افتتاحها، ثم تسميتها بهذا الاسم المهم والجيد الذي يدل على توحيد البلاد وتوحيد الله (عز وجل) على منهج واحد هو كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ٠

(١) من يقرأ أوضاع شبه الجزيرة العربية قبل قيام الدولة السعودية الحديثة يدرك الخوف والرعب وعدمِ توفر الأمن في البلاد. ثم تحول الوضع في عهد الملك عبدالعزيز الفيصل وأبنائه (غفر الله لهم جميعاً) إلى حياة أمن ونمو واستقرار لجميع أجزاء البلاد والعباد (فلله الحمد والشكر). كما أخبرني أهل النماص في رحلتي الأخيرة (٦ـ١١/٢/١٤٤٣هـ) إن عقبة سنان تم إيقافها لمدة أسبوع بعد افتتاح عقبة التوحيد. ثم فتحت مرة ثانية، حتى تكون رديفا لعقبة التوحيد لو جرى فيها بعضٍ الخراب والهدم. والعقبتان (سنان، والتوحيد) مفتوحتان حاليا، ويرتادها الكثير من الناس ذهاباً وإياباً، والطريقان تلتقيان في أعالي مركز خاط، ومنه إلى مدينة المجاردة ٠

(٢) قبائل بني التيم السروية مجموعة من القبائل الشهرية شمال محافظة النماص، ويتبعون حالياً مركز وادي زيد الإداري الذي مقره قرية العرق على الطريق العام.

(٣) للمزيد انظر تفصيلات أكثر في صفحات تالية عن مركزي عبس وختبة، وهما من مراكز محافظة المجاردة في تهامة بني شهر وبني عمرو. وعقبة تلاع سهلة التضاريس، وتسلكها سيارات عديدة ومتنوعة في أحجامها وأنواعها. المصدر: مشاهدة الباحث ونزوله وصعوده فيها خلال رحلته في سروات بني شهر وبني عمرو (٦ـ١١/٢/١٤٤٣هـ) ٠

(٤) هناك عقبات قديمة قريباً من عقبة تلاع مثل: عقبة غمام تنزل من شعف آل رحمة إلى وادي عبس، وعقبة لحبي من سروات قريتي لحبي وآل قحطان إلى وادي الغيل في مركز خاط. والباحث وقف عند بداية هاتين

أعــلام وادي زيد ، وطالبوا قبائلهم والدولة بفتحها طريقاً تسلكها السيارات ، وأثمرت جهودهــم ، وتم افتتاحهــا بالجهــود الأهليــة عام (١٤٠١هــ/١٩٨١م) . وبــدأت وزارة المواصــلات ، بشكل رسمــي ، في فتحها عام (١٤١٨هــ/١٩٩٧م) ، وبذلت جهوداً تذكر فتشكــر حتــى انتهت منهــا في نهاية العشرينيات مــن هذا القرن (١٥هــ/٢٠م)، ويبلغ طولها حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) حوالي عشرين كيلاً ، وعرضها من (٨ــ١٠م) [١] ٠

٥ـ عقبة بني عمرو :

تقــع شمال مدينة النماص بحوالي (٣٨ـ٤٠كــم) ، وتنزل من أشعاف عمرو الشام حتــى تلتقي مع عقبة تــلاع في مركز عبس . بــدأ تنفيذها في عــام (١٤١٧هـ/١٩٩٦م) بتعــاون قبائــل بني عمرو ومشاركة بعض قبائل بني شهــر وبلقرن ، وتم الانتهاء منها في نهايــة العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) . وطولها حوالي (١٣كم) وعرضها يتراوح من (٥ــ٧م) . كما قامت وزارة المواصلات (النقل حالياً) بعمل بعض الصيانة لأجزاء فيها ، وإنشاء مصدات لبعض المواقع. وهي عقبة صعبة ، والكثير من تضاريسها وعرة ، فلا يسير فيها إلا السيارات الصغيرة والمتوسطة القوة ، وتحتاج إلى خدمة أكبر وصيانة أفضل حتى تسلكها السيارات بسهولة [٢] ٠

في النمــاصــ مرافــق عمرانية أخــرى كالآبار القديمة فقد شيــدت جدران معظمها بالإسمنت، وهنــاك آبار أخرى عديدة ارتوازية[٣]٠ وفي المحافظة بعض السدود مثل:

١. سد وادي ترج على بعد (٣٠كم) شرق مدنية النماص، ويتسع لعشرة ملايين متر مكعب.
٢. سد وادي شعبان المعروف أيضاً بسد بدوة وسعته مليوني متر مكعب .
٣. سدود أخرى كسد وادي حضر، وسد شرق حلباء ، وسد بني عمرو . وجميعها متفاوتة في أحجامها ، وأزمانها التاريخية، وأغلبها تحتوي على نسب جيدة من المياه [٤] ٠

وميــاه التحلية جلبت من أبها إلى محافظة النماص، وشيدت خزانات مياه كبيرة في جبل شعــير في بــلاد قبيلة بني بكــر بمدينة النمــاص، وفي بحاثل مركز وادي زيــد . وقد حلت هذه

العقبتين في السراة ومازال بعض الناس يطرقونها مشياً على الأقدام من باب الترفيه والنزهة ٠

(١) هذا الطريق من العقبات المهمة التي يسلكها أناس كثيرون لسهولتها ، وربطها بين نواحي رئيسية في تهامة والسراة . وتستحق أن تدرس وتوثق في عمل علمي رصين ٠

(٢) لم أشاهد هذه العقبة لكن سمعت أخبارها عند بعض أعلام عمرو الشام .

(٣) بعض الآبار القديمة لها تاريخ ، وقد اندثر بعضها ، ومازال البعض الآخر يحتوي على مياه محدودة. وآبار الارتواز منتشرة في عموم المحافظة، لكن الكثير منها لا تعمل بسبب الجفاف ، وقلة المياه ٠

(٤) تاريــخ الســدود في ســروات وتهامة بــلاد الحجر (بللحمر ، وبللسمــر ، وبني شهر ، وبنــي عمرو) جديرة بالدراسة والتوثيق مع دعم هذه البحوث بالصور الفوتوغرافية الملونة ٠

المشاريـع المائيــة مشكلة كبيرة عنــد سكان المحافظة، . ومــازال هناك خزانــات جديدة يراد استكمالها في شمال المحافظة[١] ٠ وذكر لي أن هناك ثلاثة مشاريع لتنقية مياه السدود، وهي:

١. مشروع سد بدوة ، وانتهى العمل فيه .
٢. مشروع سد بني عمروٍ ويذكر أنه على وشك الانتهاء .
٣. مشروع ترج وهو حاليا (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تحت الإنشاء [٢] ٠

الناظـر في بعض المدرجـات الزراعية يلاحظ أنهـا مبنية بأحجار قديمــة ، لكن بعض السكان قاموا بتغطية هذه المدرجات بالأسمنت حتى تزيد من قوتها واستمراريتها . وآخرون أزالــوا الأحجــار واستبدلوها بالبلــك والإسمنت ٠كمــا شاهدت جميع المقابــر في المحافظة محاطة بأسوار مسلحة من عمل البلديات ، وتم إصلاح ورصف بعض جوانب الطرق الرئيسية والفرعيــة ، وفي بعض الأماكن تم تشييد جدران استنادية مسلحة حتى تمنع سقوط الأحجار والأتربة. نفذت بعض هذه المنجزات العمرانية في أجزاء من الطريق العام الرابط بين أبها والطائف ، وفي بعض العقبات مثل التوحيد ، وسنان ، وتلاع ، وبني عمرو[٣] ٠

٤ـ مشاهدات وانطباعات على محافظة النماص في التاريخ المعاصر . بقلم . د. عبدالله بلقاسم البكري الشهري [٤] ٠

أـ توطئة :

ذهبــت في رحلة في بعض المحافظات العسيرية السروية والتهامية ، وعندما وصلت مدينة النماص في (٨ـ٩/٢/١٤٤٣هـ) التقيت بالأخ العزيز الدكتور عبدالله بن بلقاسم البكــري الشهــري فأخبرته أننــي في رحلة ميدانية مــن تنومة إلى المجــاردة ، ولمعرفتي قدرتــه على تدويــن بعض مشاهداته عن محافظة النماص ومــا جاورها طلبت والحيت في الطلــب علــى أن يكتب بعض انطباعاتــه الحديثة والمعاصرة عــن محافظات تنومة ، والنماصــ ، والمجاردة . وبعــد اصراري الشديد ، وكون الرجل على قدر كبير من الحياء والأخــلاق وعدني بما طلبته منه . وعند عودتي إلى أبها بقيت على اتصال مستمر أحثه

---

(١) مشاهدة الباحث وزيارته لهذه الخزانات في (٩/٢/١٤٤٣هـ) ٠

(٢) مقابلة الباحث لعدد من أعلام محافظة النماص الذين زودوه ببعض المعلومات عن هذه السدود .

(٣) مشاهدات الباحث أثناء سيره في المحافظة في (٨ـ ٩/٢/١٤٤٣هـ) ٠

(٤) عبدالله بن بلقاسم البكري الشهري من مواليد مدينة النماص . يحمل درجة الدكتوراه في علم الإدارة التربوية ، عمل في مهنة التعليم ، وتقلد العديد من الأعمال الإدارية ، وهو عضو في عدد من اللجان والجمعيات المحلية . يعيش حاليا في النماص ، وتقاعد عن العمل منذ عدة سنوات . للمزيد عن سيرته الذاتية ، انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطبعة الأولى ، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، ج٢، ص ٣١٥ـ ٣٢٠ (الطبعة الثانية ، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) ، ص ٣٠٨ ـ ٣١٩ ٠ (ابن جريس) ٠

وأسأله عما فعل ، وكل مرة يقول قريباً (بإذن الله تعالى) . وبدأ فعلاً في الكتابة عن حاضرة النماص ، وحتى يتخلص من سؤالي وإلحاحي المستمر أرسل لي عدة صفحات، وكأنّ لسان حاله يقول : لا تثقل عليَّ بكثرة الاتصال والسؤال ، عندئذ توقفت بعض الوقت ، ثم عدت للاستفسار والطلب بإرسال ما وعد به . وبعد حواليً ثلاثة أسابيع أخبرني بأنه لا يستطيع الكتابة عن محافظتي المجاردة وتنومة ، وسوف يرسل لي ما تم إنجازه عن النماص، عندئذ استسلمت لقراره ، وقلت له ، جزاكم الله كل خير، أرسل العمل الجاهز، فأرسل لي هذه الورقات التي أوثقها في هذا الكتاب تحت اسم : **مشاهدات وانطباعات الأستاذ الكريم على محافظة النماص في التاريخ المعاصر** . أدون هذا العنوان وأنا مقتنع وأعلم بأن الدكتور عبدالله بن بلقاسم علم من أعلام السروات[١] ، وذلك بعلمه، وأدبه، وأخلاقه، وحبه لفعل الخير . وفي الصفحات التالية أترك هذا الأستاذ الكريم يروي ما عاصره وشاهده في بلاده (محافظة النماص) .

ب ـ مشاهدات وانطباعات على محافظة النماص في التاريخ المعاصر[٢] :

التقيت أستاذنا المؤرخ الدكتور غيثان بن علي بن جريس من جديد، وحدثني عن رحلته الأخيرة إلى كل من النماص وتنومة والمجاردة، وطلب إلي المشاركة عما أعرفه عن هذه المحافظات وبحيويته الدائمة وشغفه المشتعل يبعث في محدثه الرغبة للكتابة، وبحثت عن مدخل يمكن أن يكون إضافة للموضوع، فوقع في خاطري أن أقوم بجولة موازية ورحلة لهذه المحافظات[٣] ، أتنقل فيها بروح الرحالة وعيون المؤرخ، وجاء السؤال الصعب. ما الذي يمكن أن يكتب الرحالة أو الأديب أو المؤرخ في زمن الصورة حيث يوثق الناس أدق تفاصيل حياتهم و جزئيات معاشهم وينقلون المشاهد من مدنهم وأحيائهم وشوارعهم وحيطانهم وأثاث منازلهم يتشاركونه مع كل العالم عبر الفضاء الإلكتروني؟[٤]، ما الذي أبقوه للرحالة

---

(١) كوني أدرس وأوثق وأجمع تراث بلاد السروات وتهامة من أكثر من أربعين عاماً. أقول إن هذه البلاد عرفت رموزاً وأعلاماً كثيرين على مر التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث والمعاصر. أتمنى أن نرى باحثين جادين يجمعون سير أعلام هذه البلاد ثم تطبع وتنشر حتى يستفيد منها أجيال الحاضر والمستقبل . (ابن جريس) .

(٢) وصلتني مدونة الدكتور ابن القاسم بدون عنوان ، مع أنه أرسلها على الواتس في الهاتف النقال باسم (رحلة في النماص) عندئذ غيرت العنوان إلى ما تم رصده أعلاه . لأن حديث الكاتب شمل أجزاء في عموم المحافظة . (ابن جريس) .

(٣) الدكتور عبدالله وعد أن يدون مشاهداته على المحافظات الثلاث، لكن بعد أن دون صفحات محدودةٍ عن النماص ، رأى عدم قدرته ، وربما عدم رغبته الكتابة عن محافظتي تنومة والمجاردة ، ونقول له شكراً على ما تم رصده عن ديرته (محافظة النماص) . (ابن جريس) .

(٤) البحث العلمي يحتاج إلى عمق وصبر وجلد لتدوين معلومات صحيحة وحيادية ، أما وسائل التواصل المختلفة اليوم ، ففيها الكثير من الخلط المعرفي ، وعدم الدقة في تدوين الصحيح والحقيقة . (ابن جريس) .

ليدهشهـم أو يثريهم أو يضيف إليهم، ما الجديد في زمـن(google map) حيث الخرائط وصور المدن ثلاثية الأبعاد والمباني وملايين الصور والمقاطع تكتظ بها الانترنت؟

ولاح لي أنـه بقي الكثـير الكثير ، فالرحالة والمؤرخ والأديـب ليسوا مجرد كاميرات فوتوغرافية ناقلة بل هم جزء من المشهد، يسكبون ألوانهم في لوحة المكان، فتبدو شيئا مكتظا بالحياة والحركـة وأبعاد الماضـي والحاضر والمستقبل. وتخيلـت بعد مائة عام حـين يقـرأ الناس هذه الرحلـة التي لا تخبرهم عن هـذه المدن فحسـب ، بل تحدثهم عـن الإنسـان في روح الكاتب ، وكيـف نظر إلى مدينتـه وقريته في ساعة مـن التاريخ ، وكيـف وصفها وعبر عنها ، فالكتابة تأريخ للغة للمشاعر للثقافة للارتباط بين الإنسان والمـكان، وكل هذه المواد المصورة والمسجلة عبر الشبكات، تبدو قابلة للضياع والنسيان، غير قادرة على الصمود لعقود طويلة أو قرون، بخلاف الكتابة والكتاب[١] .

بـدأت رحلتي في النماص المدينة التي عشت فيها أكـثر عمري وأعرفها كما أعرف بيتنـا ، قـررت أن أرتحل فيها من جديد ، أزورها هذه المرة بعيـون رحالة، وعقل مؤرخ، ومسؤولية ناقل . بدأت من جنوبها وارتقيت قمة عالية تشرف على كل المدينة، لأحتضن صورة كاملة لها، وبجواري في هذه القمة كانت خزانات مياه التحلية الضخمة التي تأتي مياهها من البحر الأحمر تغذى المدينـة وقراها[٢] ، تذكرني بسعادة الناس قبل سنوات قليلـة بتدفق المياه إليهم، لتنهـي قلقا مؤلما من أزمات المياه ، ومخاوف من شحها ، وغور المياه في آبارها الجوفية[٣] ، لقد كان نقل مياه التحلية للجبال مشروعا مثاليا تم إنجازه خلـف المدن فلم يسمعوا له ضجيجـا ولم يرهقهم الانتظار وألم تأخـر المشروعات، ولم يشعروا إلا وصهاريج مياه التحلية تجول في المدينة وتسكب الماء العذب في بيوتهم ، ومن وجهـة نظري أن هذا المشروع أحد المشاريع التحويلية الأربع الكبرى التي نقلت النماص إلى عصر جديد[٤] . أولها طريق الطائف أبها ، وثانيا التعليم ، وثالثها الصحة بافتتاح المستشفى ، ورابعها وصول المياه....وتأمين الأمن المائي[٥] .

---

(١) غفر الله لك يا ابن بلقاسم إن أدركت ذلك ، واستشعرته ، ثم وثقته ضمن هذه المدونة التاريخية المعاصرة، التي سوف يطلع عليها الأبناء والأحفاد في قادم الأيام . (ابن جريس) .

(٢) تاريـخ المياه ومصادرهـا في القرون والعقود السابقة موضوع جديد في بابه ، يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية. (ابن جريس) .

(٣) مـازال هنـاك أناس وأمكنة في عمـوم السروات بحاجة إلى هـذه الخدمة الضرورية ، آمـل أن نرى عموم السراة وتهامة مخدومة بتحلية المياه ، والدولة وفقها الله لا تألوا جهداً في تحقيق ذلك . (ابن جريس) .

(٤) وأيم الله أن هذه الحقيقة ، فتراني في ذهاب وإياب بين أبها والنماص ، ولم أشاهد هذا المشروع منذ البداية حتى النهاية . نعم أسمع عنه في مجالس الناس العامة والخاصة ، لكن لا أعرف الخطوات والمراحل المتبعة في تنفيذه حتى الانتهاء منه .

(٥) أخـي عبدالله أشرت إلى موضوعـات عديدة ومهمة (طريق أبها الطائـف والتعليم ، والخدمات الصحية

ومن ذات المكان ألتفت إلى الغرب إلى حركة السيارات القادمة من الغور التهامي، من طريق التوحيد، المشروع الذي كان حلم الناس في السراة وتهامة، الذي افتتح للتو قبل نحو شهر من كتابة هذه الرحلة، ليصل النماص بالمجاردة لم يكن طريق التوحيد مجرد شريان بين مكانين، بل كان كما قال القصيبي في جسر الملك فهد:

درب من العشق لا درب من الحجر   هذا الذي طار بالواحات للجزر

ولئن كان الجسر إلى البحرين قد طار بالواحات إلى الجزر ، فقد حمل طريق التوحيد السهل إلى الجبل. فالارتباط بين النماص والمجاردة ومراكزها وقراها ارتباط تاريخي عميق ونسيج قبلي واحد، ومنظومة اجتماعية واقتصادية منذ قرون، ورغم عوائق التضاريس ووعورة الجبال، لم تنفصل السراة عن تهامة يوماً[1] ، وظل الإنسان يكابد مشقة الطريق وخطورته نزولا وصعوداً، وكان افتتاح عقبة (سنان) الأهلية للسيارات قبل أربعين عاماً تحولاً كبيراً رغم شدة وعورتها ، فقد انساب أهل السراة إلى السهل التهامي الواسع، وأضافوا إلى حياتهم خياراً مناخياً دافئاً في شهور شتائهم الباردة، في بيئة يعرفونها ويألفونها وهي امتداد لقبائلهم وأنسابهم ، ولما كانت إقامتهم تمتد لأشهر تحولت إقامتهم المؤقتة إلى إقامة شبه دائمة فبنى الكثيرون بيوتاً واتخذوا بساتين ، وشاركوا في التجارة ، ونظرا لطبيعة السراة الجبلية فلم تكن خياراتها واسعة كسهل تهامة المضياف المتسع ، فكان أهل تهامة يكتفون في الغالب بإقامة مؤقتة في أشهر الصيف[2] .

مع مرور الأيام زاد عمق الارتباط بين النماص والمجاردة واشتدت أشواق الناس لطريق حضاري ومشروع حكومي يسهل انتقالهم بين المحافظتين وإلى ما ورائهما، وكانوا على موعد مع ذلك ، بالبدء في مشروع (طريق التوحيد) الذي واجه الكثير من العوائق

ممثلة في مستشفى النماص). وهذه المشروعات الكبيرة أضافت لسروات بني عمرو وبني شهر مميزات كثيرة ، وخدمت الأرض والناس . آمل أن نرى باحثين جادين يدرسون هذه الميادين الثلاثة في ثلاثة بحوث أو ثلاث رسائل علمية منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . (ابن جريس) .

(١) أشرت إلى طريق التوحيد ، الطريق الجديدة التي تربط السراة بتهامة . ومن يقرأ في كتب التراث وبخاصة الأنساب والأحداث التاريخية والحضارية التي عاشتها بلدان السراة وتهامة منذ العصر الحجري إلى الآن، يجد أن العلاقات بين الطرفين قديمة متجذرة ، لكن هذه الصلات لم تدرس بعد دراسات علمية موثقة ، آمل أن نرى علماء التاريخ والآثار والأنساب يساهمون في إثراء هذا الجانب علمياً وبحثياً . (ابن جريس) .

(٢) الطرق (العقبات) التي سلكها الناس قديماً في الذهاب والإياب بين بلاد السراة وتهامة . وكذلك التداخل الحضاري الذي عاشوه في الماضي ، ويعيشونه اليوم موضوع ثري بأحداثه وأخباره التاريخية والحضارية. ولم أر حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) باحثاً أو باحثين أو مؤسسة علمية أكاديمية تخدم هذا الموضوع في دراسات عميقة ورصينة ، والذاهب في حزون وأجزاء السروات الغربية حتى سهول تهامة يلحظ الكثير من المؤهلات الحضارية التي خلقت مجتمعات بشرية وحيوانية وكائنات نباتية متنوعة . (ابن جريس) .

والتأخير، على مدى أكثر من (٢٠) عاما، ظل حديثا للمجالس، ومادة للسمار، والناس يلاحقــون أخبار الطريق الواعــد بالأشواق، ويتشوفون لكل جديــد عنه، ويبشر بعضهم بعضــا بأي تطــور في الطريق، حتى كان موعدهم مع الافتتــاح، الذي كان تعبيرهم عن الفرحة به لا يحتاج إلى حروف ولا كلمات، بل بتدفق المركبات فيها، حيث اكتظ الطريق النــازل والصاعــد بالسيارات من أوله إلى آخره لعدة أيــام، وبعضهم يصعده وينزل في اليوم أكثر من مرة لحجم سعادته به، ويتوقف الكثيرون على جنباته، فتحول لمنتزه بطول الطريــق[١]، لقد كان ميلاداً لمرحلة جديدة اختصــرت المحافظتين في محافظة واحدة، كأنمــا تنتقل عبره من حي إلى حي، عشرون دقيقة فقط وتسعة عشر كيلومتراً في طريق تعــبره السيارات الصغيرة بلا مشقة أو عناء، يجد الإنسان نفسه في الصيف قد انتقل من لفــح الأربعــين درجة مئويــة إلى نسمات باردة في (٢٠) درجة مئويــة بينما لم يبرد فنجان الشــاي الذي معــه ولم ينسكب أيضا باهتزاز مركبته، وحين سيأتــي الشتاء ينتقل الإنسان مــن الصقيــع اللاســع إلى الدفء في غضــون تلك الدقائــق، لقد فتح الطريــق الخيارات والتفضيــلات (بفضــل الله) أمام النــاس بلا حــدود، وسيكون له آثــار اقتصادية واسعة، وسيؤثــر بشكل واضح على اقتصــاد المحافظتين والمحافظات المجــاورة، إذا من المتوقع أن يكــون بديلا وخيارا مفضــلا للراغبين في السفر إلى مكة وجــدة، وسيكون الخيار المفضل للمصطافين أيضا مــن المحافظات الساحلية وسهل تهامة، وسيجعل كل إضافة اقتصادية أو تنمويــة لأي من المحافظتين فكأنما هي للمحافظة الأخرى، ومن ميزات الطريق أنه شق في أرضــ مكتظة بالتاريخ والتراث، ومواطئ أقدام السابقين[٢]، فكل منعطف فيه معروف اسمــه، ومزدحم بالقصص والروايات، والآثار، والحلــل (الأحياء القديمة) المتناثرة على سفوح الجبال في الطريق مما يوفر مادة للسياحة التاريخية، كما يوفر الطريق القدرة على التنقــل بين ثقافات متنوعة وعادات مختلفة ولهجات في بيئات متقاربة وأطباق وموائد[٣]،

---

(١) نزلت مع هذا الطريق أثناء رحلتي لجمع مادة علمية عن محافظتي النماص والمجاردة، وهي طريق سهلة، لكنها تقع في عروض منحدرات السراة الشديدة، وقد ينجم عنها سقوط الأتربة والصخور التي قد تؤذي المارة، أرجو أن يكون هناك بعض الجهود لبناء مصدات خرسانية، أو أي عمل يقلل مخاطر هذه المشكلة. (ابن جريس).

(٢) للأسف الكثير من الناس، وبخاصة المؤرخين والباحثين، لا يدركون ذلك. وهذا الذي جرى لبلاد السراة وتهامــة. فكتــاب الــتراث والمؤلفين الأوائــل لم يعيروها اهتمامــا في بحوثهم وأعمالهــم العلمية القديمة، والجامعــات ومراكز البحوث الحديثــة لا تلتفت أيضاً لهذا الأمر، ومن ثــم لم يحفظ تراثها وموروثها عبر العصــور. آمــل أن نــرى في مؤسساتنا العلمية المعاصرة مــن يتنبه لهذا الأمر، ثم يحفــظ شيئاً من تراث وحضارة هذه الأوطان العربية الماجدة. (ابن جريس).

(٣) مــن يذهب في عموم بلاد السراة وتهامة بعين الباحث والمتأمل فإنه يجد التنوع الثقافي والحضاري المعرفي الــذي تنعم به البلــدان التهامية والسروية، وهــي ميادين خصبة في مجال الدراســات التاريخية والأثرية والحضارية. (ابن جريس).

يمنحك ثراء في رحلتك . وأقول: إن طريق التوحيد سيكون نقطة فاصلة بين زمنين تنمويين في المحافظتين، وسيفتح آفاقا في كل المجالات (بإذن الله تعالى) ، ولا زال الزمن مبكراً لمشاهدة الآثار العميقة التي سيحدثها افتتاح هذا الدرب[١] .

سأدع (طريق التوحيد) الآن وألتفت إلى الشمال إلى قلب مدينة النماص حيث بدت المدينة متجددة كما لم تكن قبل ست سنوات، ولأن كاتب الرحلة ، كان معاصراً للتحول في السنوات الست الماضية، فستكون فرصة لتوثيق بعض أخبار هذا التحول، فرغم أن المدينة عتيقة ولها تراث قديم ، وبدأت أهميتها مبكراً بعد توحيد المملكة العربية السعودية[٢] ، وتوفرت لها الكثير من الخدمات لكنها لم تتوسع بقدر صويحباتها من المدن التي بدأ تاريخها التنموي معها في نفس الوقت أو قريباً منه في المنطقة، وربما هناك عوامل أدت إلى ذلك، كانت المحافظة بحاجة ماسة للتخطيط الحضري، إذ يلاحظ أن المدينة تكبر بطريقة تقليدية وفق التجمعات السكنية القديمة مما كساها سمة العشوائية ، التي أدت إلى تعويق التمدد الحضري والتخطيط العمراني المنظم[٣]، وقبل ستة أعوام تم تعيين رئيس بلدية جديد في المحافظة هو الأستاذ/ يحيى بن خلوفه القحطاني ، ومع أنه في خواتيم خدمته الوظيفية لكنه كان ممتلئاً بالحماس والرغبة في الإنجاز، والتقى بالمجلس البلدي وعبر في أول لقاء له معهم عن تشخيصه لأهم مشكلات المدينة ، وأنه لاحظ خلال تجوله فيها أنها قرى منفصلة بينها شوارع ضيقة، ولحل هذه المشكلة لا بد من شق طرق رئيسية تعطيها الشكل الحضري اللائق بها. ومن توفيق الله أن المجلس البلدي السابق قد أقر شبكة طرق وتم اعتمادها من الجهات المختصة، لكن تنفيذها يحتاج إلى جهد كبير جداً، وتعاون بين جهات كثيرة، وشعر المجلس البلدي أنه أمام رئيس بلدية متحمس وكفاءة إدارية قادرة على تغيير جوهري في شكل المدينة، فانضم المجلس بكل طاقته للمساعدة في تحقيق هذا الهدف، وبدأت رحلة التغيير التي

---

(١) ما من شك أن سهولة الدروب التي تصل السراة بتهامة تعود بآثار إيجابية كثيرة على عموم الناس السرويين والتهاميين . وقد قرأنا ثم شاهدنا الآثار الجيدة التي وفرتها عقبات الهدى بين مكة وجدة ، والطائف، وعقبات المخواة ، وشعار ، وضلع على سكان السراة وتهامة من بلاد اليمن إلى الحجاز . وكل هذه الشرايين الحضارية جديرة أن تدرس وتوثق في أعمال علمية بحثية كبيرة . (ابن جريس) .

(٢) بلدة النماص (مدينة النماص) وما جاورها قديمة جداً ، تعود إلى الوراء مئات السنين . والذاهب في أرجاء محافظة النماص ونقوشها ورسوماتها الصخرية يتأكد له صحة عراقة هذه البلاد ، وقدم تاريخها وحضارتها . (ابن جريس) .

(٣) الذاهب في أرجاء مدن وحواضر تهامة والسراة من مكة والطائف إلى نجران وجازان يلحظ العشوائية طاغية على هذه البلدان ، وإن استحدثت مواقع ومخططات حديثة ، إلا أن الأمكنة القديمة مازالت تشكل عقبة كبيرة لوزارات ومؤسسات البناء والتخطيط في عموم المملكة العربية السعودي . (ابن جريس) .

بــدا للجميــع أنه حان وقتها بالتفكير في اتجاهات مسارات الطرق داخل المدينة، إذ كان في المحافظة شارع رئيسي واحد هو طريق الملك فيصل، وأصبح الطريق يعاني من الاختناقات المروريــة خاصــة في فصل الصيــف، مع وجود العديد مــن الإشارات الضوئيــة عليه، مما يعيــق الحركة، ويجعل المدينة مجــرد محطة طريق للقادمين من أبهــا إلى الطائف، بدون عمــق حضري في الشــرق والغرب ، فاقترح رئيــس البلدية توحيد المســارات بطريقة تلغي الإشــارات الضوئيــة وتضيف طريقاً آخر للمتجهين شمــالاً، بحيث يكون اتجاه طريق الملك فيصل القائم للمتجهين جنوباً فقط، مما يساعد في فك الاختناقات المرورية، مع تغيير في مسارات الشوارع التي تربط بين الاتجاهين وبالتشاور مع المجلس ولجنة التنسيق المرورية، وموافقــة الجهات المختصة ودعم إمارة وأمانة المنطقة ، بدأ تنفيذ المقترح، الذي كان كأي تغيير كبير يمس جميع المواطنين فقد صار مادة للنقاش وحديث المجتمع، ومع ما لقيه من قبــول واسع، كان هناك بعض الملاحظات والاعتراضات من البعض الآخر [١] ، وعبروا عن وجهة نظرهم في داخل المجلس البلدي بطريقة متحضرة، وشرحوا بعض السلبيات المترتبة واقترحوا بعض التعديلات، ومضى التغيير وغير شكل المدينة ، وبالانتهاء من التنفيذ بدأت تظهر إيجابيات جديدة، وتختفي بعض العوائق وبدا كأن النماص تغير ثيابها ٠

بــدأت المرحلــة الأهم وهي فتــح محاور جدية في المدينــة ، وكان شارع بلال قد بدأ العمــل فيه من قبل، فتم تسريع العمل فيه وإنجازه ليكون أول شارع بمفهومه الحضري الصحيح يصل بــين شرق المحافظة وغربها ومعه نشط سوق الخضار والماشية ، وبدأت الأنشطــة التجارية على الشارع، واتصلت أحياء شــرق المدينة بوسطها ٠ ولما كان شارع بلال قد بدئ العمل فيه، فقد كان إتمامه أسهل ، من ابتداء محاور جدية بالكلية، كشارع التعــاون الذي يربط أحياء المدينــة الشرقية ببقية أجزائها، ويحتــاج إلى تضافر جهود البلدية والمجلس والمجتمع، وبتوفيق من الله، ومع وجود العوائق الكبرى والصعبة المادية والمعنويــة فقد تم إنجاز المشروع وكأنما تدفق شريــان من الحياة وتجددت الحركة من الشرق إلى الغرب والعكس، وتعمقت المدينة وتحولت من مجرد قرى على ضفاف الطريق إلى مدينــة أعمــق ، وبعد شــارع التعاون وبشكل مــواز بدأ العمل في عــدة شوارع كشارع الملك سلمان، والتحلية، والمنشية، والخاضرة، وشُحر، وشارع ولي العهد، والحزم، وكلها شوارع معتمدة في الشبكة المحلية، لكنها انتقلت من الأوراق إلى الأرض [٢] ٠

---

(١) إن كل عمــل جديــد يقابله مؤيدون ومعارضون ، وقد جلست في مجالس عديــدة ، وسمعت اختلاف وجهات النظر في هــذا التخطيــط الجديد الذي دعمه رئيس البلدية ثم نفذه . ووضع المدينــة اليوم أفضل بكثير مما كانت عليه سابقاً، فجزى الله هذا الرئيس خير الجزاء ، وجزى الله من ساعده وأيده على تنفيذ خططه . (ابن جريس) ٠

(٢) من المؤكد أن هذه المشاريع كانت مدروسة ومخططة على الورق منذ سنوات ، لكن عندما توفرت القيادة الناجحة

من العوامل الكبرى التي ساهمت في إحداث هذا التغيير التنموي هو ما يسمى بالجهد الذاتي للبلديات، الذي توظف فيه البلدية معداتها وعمالها لإنجاز الأعمال التي لا تتوفر لها بنود كافية من الميزانية، فقد تمكن الرئيس الجديد الأستاذ يحيى بن خلوفه القحطاني من تفعيل هذا العامل بشكل كبير، وبشخصية إدارية متميزة تمكن من بث الحماس في فريق العمل معه، مع إشرافه الدائم وحضوره المستمر، وشخصيته الكاريزمية ٠

وللمسؤولية التاريخية حين أكتب هذه الأسطر فإن المجتمع شعر بنقلة تنموية جيدة في هذه السنوات الست توازي عدة عقود، وللإنصاف فإن هذه النقلة بعد فضل الله - عز وجل- ثم إنفاق الحكومة السخي، تمت بثلاث عوامل هي :

١. رئيس البلدية الأستاذ يحيى بن خلوفه القحطاني، وأتعمد التنويه باسمه مرة بعد مرة، لأنه جزء من واجب التاريخ أن يحفظ حقوق المنجزين، ويسجل شهادة على عملهم، فقد امتاز هذا الرئيس بقدرة على فهم واقع المدينة واحتياجها مع شخصية عملية متفانية تحب عملها وتتحمس له، وقدرة على بناء فريق العمل، وبث الحماس فيه، مع المتابعة المستمرة، والشجاعة الأدبية التي تتحمل أعباء التغيير ومصاعبه، وحين يشاد به فإنه في الوقت نفسه يشاد بمن كانوا معه وأعانوه من فريق العمل في البلدية، وكل من لم يظهر اسمه في كتاب أو ورقة فإن الله تعالى لا يضيع أجر العاملين[١] ٠

٢. المجتمع المحلي الذي كان على درجة عالية من الوعي والتحضر والمدنية والمشاركة الإيجابية، والتضحية، والمرونة الكبيرة مع البلدية والمجلس البلدي، والإسهام المباشر في تذليل الصعوبات والعقبات[٢] ٠

٣. المجلس البلدي : رغم دوره الرقابي والاستشاري إلا إن أعضاءه كانوا مشاركين في التخطيط والتنفيذ مساندين لرئيس البلدية وفريق عمله في الواقع، والاتصال

المخلصة ممثلة في رئيس البلدية، الأستاذ يحيى بن خلوفه، ومن حوله بعض الجادين المخلصين تحققت هذه النجاحات، وهذه التطورات العمرانية التخطيطية التي عادت بالفائدة والنفع لعموم الناس. (ابن جريس) ٠

(١) شكر الله لك يا دكتور عبدالله بلقاسم على حفظ لمحات من جهود هذا الرجل الذي بذل قصارى جهوده في الارتقاء بمدينة النماص حضاريا وتنمويا. وأقول غفر الله له ولمن كان عونا له في تحقيق هذه الخدمات والمشاريع النافعة والمثمرة لعموم سكان المحافظة، أو من زارها أو سار من خلالها. (ابن جريس) ٠

(٢) هذا أنت يا عبدالله بلقاسم تذكرهم بخير، وهناك الكثير أمثالك يذكرونهم ويدعون لهم بكل خير. والله ـ عز وجل ـ لن يضيع أجورهم (بإذنه تعالى)، أما من حاول تأخير أو تعطيل هذه المشاريع النافعة للبشرية، فقد غيبهم التاريخ، والله ـ عز وجل ـ يطلع على قلوبهم ونياتهم، وهو الحكم بين عباده. (ابن جريس) ٠

بالمواطنين، وحل المشكلات، والتواصل مع الجهات العليا[١] .

هـذا مقتضـى الإنصاف مـن وجهة نظري، وقد يوجـد بعضـ الآراء التي تحب أن تمنح الإنجاز لعامل واحد، وللحقيقة هذا التغيير البلدي لم يكن ليحدث لولا توفيق اللّه تعـالى، ثم تضافر هذه العوامل الثلاثة معـا، وربما يكون بعض هذه العوامل أكثر تأثيراً مـن غيرها، وهذا يحتاج إلى دراسة مفصلـة ومعايير عادلة لبيان ذلك، لكن المؤكد أنه مـن المستحيل حدوث هـذا الأمر بفقدان أحد هـذه العوامل، مهمـا كان تأثير العاملين الآخريـن. ورغـم هـذا التغيير فإنه يظـل خطوة في طريـق التنمية الطويـل، فالنماص مدينة مزدحمة بمعاني الجمـال والجاذبية ، وبيئة واعدة لكل آفاق التنمية الاقتصادية والتنمويـة والسياحيـة والتراثية والاثريـة، وقد تمركز التغيير في وسـط المدينة ولا زال جنوبها وشمالها بحاجة لتغيير كبير كالذي حدث في مركزها [٢] .

ننزل إلى النماص حيث نعيش هذين العامين كما يعيش العالم الوباء الذي يسمونه (كوفيـد ١٩) أو (كورونـا)، وهـو أول وبـاء منـذ عشرات السنـين، وربما هـو أول وباء يشهـده الجيل المعاصر، ولم يبق ممن شهـد أوبئة أخرى سابقة إلا القليل من المعمرين، ونحـن الآن في أيامـه الأخـيرة إن شـاء اللّه، حيث وصـل إلى بلادنا في رجـب من سنة (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) وقد عم العالم في العامـين الماضيين، وتسبب في أحوال جديدة لم يعرفهـا النـاس من قبل مثل الحجر الصحي، والإلزام بالبقاء في المنازل، وفرض حظر التجول في أوج الوباء ، وهو وباء تنفسي يسببه فيروس يشبه فيروس الأنفلونزا كما يقول الأطبـاء، لكنه أخطـر منه وخاصة على كبـار السن وذوي الأمراضـ المزمنة، ولم يعد غريبـاً أن ترى جميع النـاسـ في الأسواق والجوامع والمساجد وعلى وجوههم الأقنعة، ولا يـكاد يعرف بعضهم بعضا ، وقـد أحزن النـاس ما سببه ذروة الوباء من إغلاق المساجد والجمعـات، وتباعدهم بعـد فتح المساجد بحيث يصلون متفرقـين جماعة، بين المصلي والمصلي متر ونصف أو متران وصلوا تراويح العام الأول من المرض في بيوتهم، وأغلقت المدارسـ واتضح أثر الوعـي والتعليم على تعامل الناس مع الحـدث المحزن من التزام بالاحـترازات والمحاذير، وتحريهم لما ينبغي لتقليل آثار هذه الجائحة، وقد فقد كثيرون أحبتهم في آلاف من الذين ماتوا منه على مستوى البلاد، وملايين في العالم، ثم فتح اللّه علـى عباده باكتشاف اللقاحات التي تقوي مناعة الناس من الوباء، ويسر اللّه الحصول

---

(١) إن رئيس البلدية (ابن خلوفة) لا أعرفه ، ومع صدقه وإخلاصه في عمله ، لكنه لو لم يجد رجالاً مخلصين يرجون المصلحـة العامـة لمدينتهـم ومحافظتهم ، لما كان تحقق هذا الإنجاز النافع للجميع . وأسـأل اللّه ـ عز وجل ـ أن يوفق كل مخلص محب لخدمة دينه ، وأهله وبلاده ، واللّه الهادي إلى سواء السبيل . (ابن جريس) .

(٢) مازالـت المحافظـة بحاجـة إلى طرق كبيرة تربط أجزاءهـا ببعضها ، مع الحرص في الحفاظ علـى البيئة والغطاء النباتي ، حتى تكون بلاد جاذبة للزوار والسواح من داخل المملكة العربية السعودية ومن خارجها . (ابن جريس) .

عليها في بلادنا بحمد الله بسهولة ويسر[١]. أثرت الجائحة على كثير من وجوه الحياة، لكن كما قيل: مصائب قوم عند قوم فوائد .فحين أدت الجائحة إلى إغلاق المطارات والدول في العالم، احتاج الناس في السياحة أن يأتوا إلى المدن السياحية ومنها النماص، وحصل انتعاش ملحوظ في عدد السياح في العام الماضي، مع عوائق السفر للخارج وتحفظات الدول على الزائرين، بالإضافة إلى تحسن الخدمات في النماص وغيرها .

تأخذنا الرحلة إلى شرق النماص نحو معلم حضاري ، ظل عبر التاريخ من محاور التحضر وعمران المدن، وهو سد ترج، وهو بحيرة كبيرة يصلٍ طولها إٍلى أربعةٍ كيلومتراتٍ، وعرضها نصف كيلومتر، مع ارتفاع يصل إلى(٢٥) متراً، مشكلاً سطحاً مائياً واسعاً يصلح أن يكون نقطة حضارية ، أو وجهة سياحية، في هذا الوادي التاريخي القديم الذي كان مأسدة، لايجرؤ على السير فيها إلا فرسان الرجال وشجعانها، حتى قالت العرب: أجرأ من ماش بترج، ولم يعد الأمر كذلك فقد صار المشي في ترج آمنا للناس جميعا ، والحمد لله، وماؤه خلف بحيرة السد متاح للجميع، وليس لحاجز الأزدي وحده كما قالت أخته:

أحي حاجز أم ليس حيا ... فيسلك بين جندف والبهيم
ويشرب شربة من ماء ترج ... فيصدر مشية السبع الكليم

هناك طريق معبد تم إنجاز أكثره يوصل إلى السد، وهو جزء من حلم الأهالي بمتابعته إلى محافظة بيشة ليكتمل مربع الوصول إلى المدينة من جهاتها الأربع ويختصر طريق الوصول إلى بيشة والرياض، وحول السد بيئة وجبال مختلفة عن قمم الجبال المشرفة على تهامة، جبال يسكنها الصمت، حيث تبعد عن صخب المدينة، في أجواء هادئة تمتد منخفضة نحو أغوار نجد، في سلاسل من الجبال المتتابعة، وبينها الشعاب والوديان، وأكثر دفئاً من وسط النماص[٢] .

المتحدث عن النماص لا ينبغي له أن يجاوز الحديث عن التعليم فيها، لأن الكاتب كان معاصراً ومعايشاً لواقع التغيير في التعليم في العقدين الماضيين فإن من الإنصاف القول بأن العام (١٤١٧هـ/١٩٩٦م) كانت بداية لمرحلة مختلفة للتعليم في النماص

(١) جائحة كورونا في المملكة العربية السعودية بشكل عام ، وفي بلاد السروات وتهامة أثرت على الحياة العامة والخاصة ، وتستحق أن تدرس أحداثها ، وآثارها . آمل من جامعاتنا المحلية أن تساهم في توثيق شيء من تاريخ هذا المرض القاتل . (ابن جريس) .

(٢) ترج كواد وبلاد متنوعة التضاريس له تاريخ وذكر في كتب الأدب واللغة والتاريخ ، يستحق أن يدرس في عدد من البحوث والرسائل العلمية . حبذا أن نرى أقسام التاريخ واللغة في جامعتي الملك خالد وبيشة تشجع طلابها وأساتذتها لدراسة هذه البلاد في بحوث علمية رصينة . (ابن جريس) .

وتنومــة، وذلك للتغيــير الجوهري الذي حدث في إدارة التعليم فيهما، فقد كانت الإدارة منــذ تأسيسهــا إلى ذلكم العام في مرحلة يمكن أن يطلق عليها مرحلة التأسيس، تعاقب علي إدارتها فضلاء، لهم اجتهادهم الإداري الخاص بهم، وأترك لمعاصريهم ومن عمل معهــم الحكم علــى الحقبة الإدارية التي عاصروها[١] ، أمــا ما شاهدته عن قرب فكان بدءاً من (١٤١٧ــ ١٤٣٢هـ/ ١٩٩٦ـ ٢٠١١م) وذلك بتكليف الدكتور ظافر بن سعيد بن حبيــب مديراً للتربية والتعليم، والمجتمــع المحلي لا تزال ذاكرته مليئة بالذكرى الحسنة لإدارتــه، لكــن هذه الأسطر تحاول الكشــف عن أسرار وعوامل النجــاح والتطوير الذي وافق هذه الفترة وما بعدها، ويأتي في مقدمتها شخصية المدير الجديد الذي جاء بفهم عميــق لكل مصاعــب وعوائق الإدارات السابقــة، فقد عاصرها بنفســه وتدرج في سلم التعليــم معلماً ومديــراً ومشرفاً تربوياً وموجهــاً ورئيساً للإشــراف وشاهد الصعوبات التي واجهها سلفه وطريقة تعاملهم معها، مما كون لديه رؤية شمولية للمشهد التعليمي وأزمتــه وفرص النجاح فيه، يغــذي هذا الفهم شخصيــة تواقة للنجــاح محبة للعمل ، صــاغ من خلالهــا قيادة يمكن أن نسميها قيادة الفرســان الذين يصرون على الالتزام بالأخلاق والفضيلة والعدل في ممارساتهم الإدارية اليومية[٢]٠ ورافق هذا التغيير تحول في وزارة التربيــة بقيــادة الوزير الدكتور محمد الرشيــد (رحمه الله) الذي دفع باتجاه منح الصلاحيات لمديري التعليم ليتمكنوا من التعامل مع مشكلاتهم بفعالية أكثر، فكان التعليم في النماص وتنومة على موعد مع قدرهم الطيب من الله تعالى، وكما قال جرير مع التصرف في بيته

جــاء الإدارة إذ كــانــت لــه قــدرا   كـمـا أتــى ربــه مـوســى علــى قــدر

شرع بالاهتمام بالمباني المدرسية وذلك بالتوسع في بناء المدارس والمنشآت التعليمية وتحســين المبــاني وتطوير بيئة العمــل ، حدث في إدارتــه بناء الإدارتــين البنين والبنات (سابقــا) ، وعشرات المدارس، بل تحولت المدارس بالكامــل إلى مدارس حكومية، وتم الاستغناء عن المدارس المستأجرة، وتحسنت المباني المدرسية، وتوفرت المرافق والوسائل

(١) تاريخ الحياة العلمية والثقافية والفكرية واللغوية والأدبية في محافظة النماص وعموم السروات من نجران إلى الطائــف ميدان كبير يستحق أن يدرس ويوثق في عشرات البحوث ليس في العصر الحديث ، لكن منذ العصــر الجاهلــي وعبر أطوار التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديــث والمعاصر . وأقسام التاريخ في جامعــات الباحة ، وبيشة ، والملك خالد ، ونجــران عليها مسؤوليات كبيرة تجاه هذا الموضوع المهم فتدرس أعلامه ، وبداياته ثم إحداثه . وإذا تأملنا في العصر الحديث من القرن (١٢هـ/١٨م) حتى الآن فإننا نجد الكثير من المصادر والوثائق والسجلات التي تفيد في خدمة هذا الجانب الكبير . (ابن جريس) ٠

(٢) حبذا يا دكتور عبدالله أنك دونت لنا بعض اللمحات التاريخية عن مسيرة التعليم العام في النماص منذ بداية هذا القرن ١٥هـ/٢٠م) ، فهناك أعلام كان لهم دور ريادي في بناء التعليم وتطويره . (ابن جريس)٠

التعليمية بشكل كبير[١]٠ وحصلت الإدارة ذات العدد المحدود من الطلاب، التي تأتي في فئة أقل الإدارات طلابا وطالبات على جوائز ومراكز متقدمة ، وكثيرا ما تكون مشاركاتها فعالة ومتميزة ، ونظرا لشخصية المدير المنفتحة على الجديد والمرنة في التعاطي معه، فقد كانت الإدارة تسبق كثيرا من الإدارات الكبيرة الأخرى على مستوى المملكة في تبني التقنية ونظم المعلومات، ومع بعدها عن المدن التجارية التي توفر الأجهزة والمعدات اللازمة والبرامج، لكنه كان موفقا في معرفة الكفاءات وتعيين الخبرات فاستقطب في كل تخصص ألمع الكفاءات المخلصة المتوفرة، مما جعلهم يتبنون مفهوم الإدارة الإلكترونية منذ وقت مبكر. وأذكر في هذا الإطار أنه تبنى برنامجاً من تطوير القطاع الخاص لنظام الاختبارات وتدريب المدارس على ذلك في وقت مبكر قبل أن تتبنى الوزارة نظام (معارف) ، وكان مقتنعا بضرورة التدريب للتطوير المهني للمعلمين والعاملين وفي هذا المجال شهد العقدان الماضيان تحولا جذريا لمفهوم التدريب، فقد فتح كل ما يمكنه أمام المعلمين والإداريين للارتقاء بذواتهم، بإكمال دراستهم الجامعية أو الدراسات العليا في الماجستير والدكتوراه، وذلل لهم الصعاب، وأبدى غاية المرونة في مساعدتهم، وفي الوقت نفسه شجع على الالتحاق بالدورات التدريبية في الوزارة ومعهد الإدارة ٠ كما طور التدريب في الإدارة ببناء مراكز التدريب وتطويرها وتجويد مخرجاتها، فكانت بعض مراكز التدريب تفوق تجهيزات بعض الجامعات[٢] ٠

وطور العلاقة بين المشرف التربوي والمعلم ومدير المدرسة والمعلم ببناء مفهوم جديد يقوم على التكامل وتبادل الخبرات والتعاون بينهما وأنهى فكرة التصيد والمتابعة وملاحقة الأخطاء ، وأدرك أنه ليتشارك الجميع في أهداف التعليم لا بد أن يكونوا شركاء في القرار ، فكان يوسع دائرة التشاور مع زملائه حتى يكاد لا يترك أحدا، دون أن يكون شريكا في كثير من القرارات ٠

ومن عوامل النجاح لمدير التعليم أنه انفتح على المجتمع المحلي مصغيا لهم متفهما لكل معاناة تتعلق بالمدارس والطلاب والطالبات والمعلمين والمعلمات، محاولا قدر الإمكان تغييرها أو التخفيف منها ، كما طور الجهاز الإداري وحين أتاحت الدولة فرصة التوظيف والترسيم وتحسين الوضع الوظيفي، كان يتابع بنفسه للحصول على أقصى ما يمكن من

---

(١) حبذا أنك فصلت الحديث عن هذه المدارس والمقرات المعمارية ، كيف تم الحصول على أماكنها ، وكيف شيدت مع ذكر العقبات التي واجهت عمارتها . (ابن جريس) ٠

(٢) أشكرك يا ابن بلقاسم على توثيق هذه المعلومات عن مدير التعليم ، وكنت أتمنى أن تذكر أهم الرجال والنساء الذين كانوا سنداً وعوناً كبيراً حتى تحققت هذه النجاحات الجيدة (ابن جريس) ٠

ذلـك للإدارة مـع نزاهة ظاهرة في سلوكـه، في تحري العدل والبعد عـن الاستئثار بأي مزايـا وظيفية. ومن الأشياء المهمة التي يجب الوقوف عندها، وأعتقد (شخصيا) أنها كانت جزءا من عوامل توفيقه، هي قدرته على استيعاب الآخرين وأخطائهم وترفعه عن الحقد والكيد لهم مهما كانت إساءاتهم وصدق الذي قال:

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب　　　ولا ينال العلا من طبعه الغضب

في هذيـن العقديـن كانت هنـاك تحولات جذرية كـبرى على مستـوى المملكة منها دمـج تعليـم البنين والبنات، مما جعلـه يواجه مهمة الدمج الصعبة بمـا فيها من إلغاء لمراكز إدارية وأقسامٍ، والتعامل مع منظومة عمل جديدة، وقد نجحت الإدارة في ذلك نجاحـا كبيراً وسريعاً، واحتوت الآثار الناجمة عن التغيير، وكل هذه النجاحات لا يمكن تجييرهـا لمدير التعليـم وحده، فقد ساهـم كل فريق العمل معه، لكـن القيادة التربوية المتميـزة وترسيـخ مفهوم القيـادة الأخلاقية وفر بيئـة قابلة للنجـاح، والاستمرار وقد واصـل بعده الأستـاذ عبدالله بن عبدالرحمن بن قاسم وفريـق العمل مع النجاح أيضا حتى تقاعده[١]٠

---

(١) غفـر الله لـك يا عبدالله بلقاسم، فقـد وثقت وقفات جيدة ونافعة (بإذن الله تعـالى) ، لكن كنت أتمنى أنـك أسهبت الحديث عن تاريخ الناس في محافظة النماص كما عاصرته ومازلت تعاصره خلال السنوات الست التي أشرت إليها في حديثك ، مع ذكر بعض التحولات الاجتماعية والثقافية والمعرفية التي وفدت إلى المحافظة من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها . وإشارتك إلى عالمٍ التقنية ، فهي الأخرى لها آثار إيجابية وسلبية على حياة الفرد والأسرة والمجتمع وكنت آمل أنك وثقت شيئاً من ذلك . (ابن جريس) ٠

رابعاً : محافظة المجاردة :

١ـ مدخل :

تقع محافظة المجاردة في الشمال الغربي من منطقة عسير ، ومساحتها اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تقريباً (٤٠كم ×٦٥ إلى ٧٠كم) [١]. يحدها من الجنوب محافظة بارق ، ومن الشمال محافظة العرضيات (العرضية الجنوبية تحديداً) ومن الغرب محافظة القنفذة التابعة لمنطقة مكة المكرمة ، ومن الشرق سفوح السروات الغربية ، ومن بعدها محافظة النماص في السراة [٢].

أثناء رحلتي في مناكب محافظة المجاردة في الفترة (١٠ - ١١/٢/١٤٤٣هـ) ، شاهدت الكثير من تاريخها المعاصر، وسوف أشير إلى لمحات من ذلك في صفحات تالية من هذا المحور. لكن لي مع عموم بلاد المجاردة بحوث ودراسات ورحلات سابقة ، ولا أرغب أن أكرر ما سبق تدوينه وطباعته ونشره خلال الثلاثين سنة الماضية ، وإنما أشير إلى معظم الأعمال العلمية المنشورة لمن رغب الاطلاع والاستزادة عن هذه المحافظة التهامية ، وهي على النحو الآتي :

أ ـ رحلة أبها المجاردة يوم الجمعة (١٢/٩/١٤١٣هـ) :

هذه رحلة ميدانية قمت بها في بعض أجزاء المجاردة قبل ثلاثين عاماً (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ، وسجلت صفحات تاريخية حضارية عديدة عن هذه البلاد ، ونشرت في أكثر من وعاء علمي ، ولمحافظة المجاردة ذكر حسن في مادة هذه الرحلة [٣].

---

(١) هذه مساحة تقديرية طويتها بالسيارة ، وقد تزيد أو تنقص قليلاً حاولت جاهداً أن أجد المساحة الدقيقة من بلدية المجاردة لكنني لم أصل إلى مبتغاي . (ابن جريس) .

(٢) هذ الذي شاهدته ووقفت عليه في رحلتي الأخيرة من (٦ـ١١/٢/١٤٤٣هـ) . (ابن جريس) .

(٣) وثقت في هذه الرحلة جوانب حضارية عديدة شاهدتها في مدينتي المجاردة وخاط عام (١٤١٣هـ/١٩٩٢م). انظر غيثان بن علي بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب . الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ، ج٢، ص ٤٤٥ـ ٤٥٦ . الطبعة الثانية (مطبوعات جامعة الملك خالد) (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) ، ص ٤٢٧ـ ٤٣٦ . والرحلة نفسها نشرها محمد بن أحمد معبر في كتابه: الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي في مؤلفات غيثان بن جريس (ق٢ـ ١٥هـ/ق٨ ـ ٢١م) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) ، (الجزء الثاني) ص ٦١٨ ـ ٦٢٦٠ انظر المراجع وهذه الرحلة في موقعنا الإلكتروني (Prof- ghithan,com) .

ب ــ تصويبـات وإضافات على كتاب : بلاد بني شهر وبنــي عمرو خلال القرنين (١٣ــ ١٤هـ/١٩ ـ ٢٠م) (الطبعة الأولى) (١٤١٣هـ/١٩٩٢م):

احتـوت هـذه التصويبات على ثلاث دراسـات لثلاثة أساتذة مـن محافظة المجاردة ، دونوهـا نهايـة عام (١٤٢٧هـ) وبداية عـام (١٤٢٨هــ) (٢٠٠٧م) [1]٠ ومعظم إضافاتهم وتصويباتهـم على الكتاب المذكور أعـلاه ركزت على الجزء التهامي في بلاد بني شهر وبني عمـرو (محافظـة المجاردة) . ومن يقـرأ الكتاب الـذي صوبوه وراجعـوه في طبعته الأولى عـام (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) يجد جـل مادته ركزت على البلاد الشهريـة والعمرية السروية ، خـلال قرنين من الزمان (١٣ــ ١٤هـ/ ١٩ــ٢٠م) ، ولم تنل الأجزاء التهامية التابعة لهاتين القبيلتين (بني شهر وبني عمرو) نصيباً جيداً من مادة الكتاب في الطبعة الأولى . وبالتالي جـاء هؤلاء الباحثـون الثلاثة فدونوا تفصيـلات مهمة وجيدة عن محافظـة المجاردة ، ثم نشرت مشاركاتهم في كتاب : **بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ــ ١٤هـ/١٩ ــ ٢٠م)** ، الطبعة الثانية (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) [2]٠ **وأسماء ومشاركات الباحثين الثلاثة على النحو الآتي:**

(*) محمد علي آل الحجيني الشهري :

الأسـتـاذ محمـد (الدكتـور حالياً) في التاريـخ الحديث ، من طلابـي وأصدقائي المميزيـن الجاديـن دون إضافاته وتصويباته في (٣٣) صفحـة فصحح بعض الأخطاء التي وقعت فيها في الأجزاء التهامية من بلاد بني شهر وبني عمرو (محافظة المجاردة حاليـاً) ، ثـم أضـاف تفصيلات كثـيرة عن الغطـاء النباتـي ، والتركيبـة السكانية ، وصفحـات أخـرى في الحياة الاجتماعيـة والاقتصادية والثقافية والعلميـة والتعليمية ، والجميـل أن جميـع مادته العلمية موثقـة بـ (٨٧) حاشية دونهـا في خمس صفحات في نهايـة دراسته، كمـا أشار إلى العديد من المصادر والمراجـع التي تصب في خدمة عمله العلمي عن محافظة المجاردة وما جاورها[3]٠

(١) كانـت بـلاد بارق في ذلك التاريخ تتبع محافظة المجاردة ، وفيما بعـد استقلت بارق بمحافظة تتبعها بعض المراكـز ، وانحصرت محافظة المجاردة في خمسة مراكز إدارية ، سوف أذكرها في صفحات تالية من هذا القسـم . وبـلاد بارق الواقعة بين محافظتـي محايل عسير والمجاردة تستحق أن يوثـق تاريخها وحضارتها الحديث في بحث مستقل . (ابن جريس) ٠

(٢) طبعـت هذه الطبعـة في مطابع الحميضـي بالرياض (١٤٢٩هــ/٢٠٠٨م) ، ومشـاركات الباحثين الثلاثة غطـت عشـرات الصفحـات من هـذه الطبعة ، ص ٣١٩ــــ ٣٩٥ ٠ ثم طبـع الكتاب نفسه طبعـة ثالثة عام (١٤٣٤هــ/٢٠١٣م) ، وطبعة رابعة (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) ، ص ٢٦٣ ومـا بعدها . انظر الطبعتين الأخيرتين (الثالثة والرابعة) في موقعي الإلكتروني (Prof-ghithan .com) . (ابن جريس) ٠

(٣) انظـر الدراسـة في كتاب : بلاد بني شهـر وبني عمرو خلال القرنـين (١٣ــ ١٤هـ/١٩ ـــ ٢٠م) (الطبعة الثانية) ، ص ٣٢٠ـ ٣٥٣ . (ابن جريس) وصدر من الكتاب حتى الآن أربع طبعات . (ابن جريس) ٠

(*) مفرح بن حبسان العمري [١] :

الأستاذ مفرح من العاملين في مجال التعليم العام ، ومن سكان مركز خاط، أهم مراكز محافظة المجاردة ، والمادة التي شارك بها جديدة في مادتها العلمية ، ومستقاة من مصادر محلية جمعت بين خبرة الباحث ومعرفته لبلاده خاط ، وأيضاً مصدر: الرواية ومقابلته لبعض أعلام ورموز مركز خاط . وجميع المادة الموثقة في دراسة ابن حبسان محصورة على أرض وسكان مركز خاط ، ومتنوعة في ميادينها من جغرافية إلى التركيبة السكانية ، وشملت بعض المجالات الاجتماعية ، والاقتصادية والثقافية والتعليمية . وهذه المدونة قد تكون لبنة رئيسية لأحد المؤرخين أو الباحثين الذين يدرسون تاريخ وحضارة مركز خاط بمحافظة المجاردة في قادم الأيام [٢] .

(*) علي بن عبدالرحمن بن سردة الشهري :

الأستاذ علي كان من منسوبي التعليم العام في محافظة المجاردة[٣] ، وثق مادة جيدة جداً عن مدينة المجاردة بشكل خاص ، وعن المحافظة على وجه العموم فذكر لمحة من تاريخها وتركيبتها الجغرافية والبشرية ، ثم دون جوانب عديدة عن الحياة الإدارية ، والاجتماعية ،والاقتصادية ، والتعليمية ، والتنموية والسياحية[٤] . والجميل عن التاريخ المدون أنه صدر من رجل يعيش في المحافظة منذ طفولته حتى تاريخ مشاركته في (١٤٢٨/١/٢٩هـ) [٥] .

(*) وسبب الإشارة إلى هذه الخلاصات عن هذه المشاركات الثلاث يعود لبعض الأسباب التي أدرج أهمها في النقاط الآتية :

١. إن التاريخ الحديث الموثق في البحوث الثلاثة جاء بناءً على خطاب أرسلته إلى كل واحد من الباحثين قبل إعادة طباعة كتاب : **بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ - ١٤هـ/١٩- ٢٠م)** [٦] . (الطبعة الثانية) ، وطلبت منهم قراءة الطبعة الأولى من

---

(١) انظر نبذة من سيرته في كتاب : بلاد بني شهر وبني عمرو (الطبعة الثانية) ، ص ٣٥٤ .

(٢) انظر دراسة مفرح بن حبسان العمري في كتاب : بلاد بني شهر وبني عمرو (الطبعة الثانية) ص ٣٥٤- ٣٦٩ .

(٣) انظر نبذة من سيرته في كتاب : بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣- ١٤هـ/١٩ - ٢٠م) (الطبعة الثانية) ، ص ٣٦٩ .

(٤) ما تم تدوينه جيد ومختصر ، وربما يصبح من الموضوعات الجديدة لطالب دراسات عليا فيتوسع في توثيقه ودراسته وتحليلية عن محافظة تهامية تشتمل على الكثير من المؤهلات التاريخية والحضارية الحديثة والمعاصرة .

(٥) انظر هذا التاريخ في نهاية مشاركته المدونة في كتاب : بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣- ١٤هـ) ، (الطبعة الثانية) ، ص ٣٩٤ .

(٦) أرسلت خطاباً إلى العديد من أعلام بني شهر وبني عمرو وطلبتهم قراءة الكتاب في طبعته الأولى ثم تصويب الأخطاء أو إضافة ما يرونه. وكان الأساتذة محمد الجحيني ، ومفرح بن حبسان ، وعلي بن سردة من أولئك

الكتاب وإضافة وتصويب ما يفيد البحث ويخدم الأرض والناس في أوطان بني شهر وبني عمـرو ، وتعمـدت أن يكون هؤلاء الأساتـذة الثلاثة من الأجزاء التهامية في هذه البلاد المعنيـة في الكتـاب. وقد تجاوبـوا (الجحيني ، وابـن حبسان ، وابن سـردة) مشكورين فدونوا معلومات قيمة شملت محافظة المجاردة في جوانب تاريخية وحضارية عديدة [١].

٢. ارتحالي في محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) جعلني أشاهد تطورات تاريخية عصريـة وحديثـة ، وسوف أذكر شيئـاً منها في سطور تالية من هـذا المحور. وارسلت واتصلت ببعض الأساتذة الثلاثة الذين دونوا صفحات من تاريخ حضارة بلاد المجاردة قبل عقد ونصف ، وطلبت منهم أن يساهموا معي في هذه الرحلة الحديثة ببعض العلوم والمعـارف المعاصرة في بلادهـم ، وقد اعتذروا ما عدا الأستاذ علي بن عبدالرحمن بن سردة شارك بصفحات عديدة، سوف أنشرها في صفحات قادمة من هذا القسم [٢].

٣. الهـدف مـن الإشارة إلى أعمـال هؤلاء الباحثـين الثلاثة عن محافظـة المجاردة ، إشعـار الباحثين والمؤرخين عـن تاريخ محافظة المجـاردة في العصر الحديث ، لمن أراد قـراءة أو معرفـة شيء مـن تراثها وحضارتها . وأيضاً عـدم التعمق في رحلتي الحالية (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) فأكرر شيئاً مما ذكره هؤلاء المشاركين [٣].

ج - بعض أسواق محافظة المجاردة في تهامة بني شهر خلال العصر الحديث :

هذا البحث رسالة ماجستير لطالبي النبيل الأستاذ حسن بن فيصل بن محمد الشهري من محافظة المجاردة[٤]. فصل الحديث عن بعض الأسواق الأسبوعية في المجاردة ، وكيف صار وضعها في وقتنا الحاضر. وأشار إلى العديد من الأسواق الحديثة اليومية ، وتعاملاتها التجارية ، كما وثق آثار الأسواق الأسبوعية واليومية على حياة الناس[٥].

الأعلام ، وجميعهم يعيشون في محافظة المجاردة . وللمزيد انظر صور من هذه الخطابات في ملحقي (٢٥، ٢٦) من كتاب: بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ـ ١٤هـ/١٩ ـ ٢٠م) (الطبعة الثانية) ، ص ٤٩٦ـ ٤٩٨ .

(١) انظـر الدراسـات الثلاثة في كتـاب : بلاد بني شهر وبني عمرو (الطبعة الثانيـة) ، وتقع في حوالي (٥٧) صفحة ، ص ٣١٩ ـ ٣٩٤ .

(٢) أشكـر الأخ الأستاذ علي بن سردة الذي تجاوب معـي في تدوين لمحات من تاريخ المجاردة المعاصر. وعموم بلاد تهامة من مكة المكرمة إلى جازان وما جاورها لم تنل حقها من البحث والتوثيق . آمل أن نرى جامعاتنا المحليـة وكلياتهـا وأقسامها وأساتذتها فيساهمـوا في خدمة عموم السراة وتهامة معرفيـا وبحثيا في شتى المجالات العلمية والأكاديمية . (ابن جريس) .

(٣) لا أدعـي الكمـال فيما وثقت في هذه الرحلـة ، ولا في المادة المدونة من المشاركين الثلاثـة ، لكنني أزعم أن هناك صفحات تاريخية جديدة حديثة ومعاصرة عن هذه المحافظة التهامية . وآمل أن نرى باحثاً أو مؤرخاً جاداً يدرس تاريخها بشكل أعمق وأطول خلال قرن من الزمان (١٣٤٠ـ ١٤٤٣هـ/١٩٢١ـ ٢٠٢١م) .

(٤) انظـر نبـذة عـن سيرتـه ، غيثـان بن جريـس . القـول المكتـوب في تاريـخ الجنـوب . (الطبعـة الأولى) (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) ، ج١١، ص ٧٨.، (الطبعة الثانية (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) ، ص ٧٨ .

(٥) المرجع نفسه ، ج١١، ص ٧٨ ـ ١١٣ .

هـ - من بارق إلى قلوة زهران (مشاهدات، وقراءة في بعض الكتب، والوثائق، والبحوث) .

أصل هذه المادة رحلة قمت بها شهر ربيع الآخر عام (١٤٣٨هـ) الموافق شهر يناير (٢٠١٧م) في بلدان عديدة من تهامة بدأت من محافظة بارق جنوباً إلى محافظة قلوة في تهامة منطقة الباحة . وتجولت في أجزاء من محافظة المجاردة ودونت صفحات عديدة من تاريخها الحديث[١]٠ وأقول إن بحث الأستاذ حسن بن فيصل ورحلتي ومدونتي عن بلاد المجاردة شملت معلومات جديدة في بابها، وقد تفتح آفاقاً أوسع لدراسات أشمل وأعم عن هذه المحافظة[٢]٠

٢ـ بعض مشاهداتي وتوثيقاتي على محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) :

مدينة المجاردة المركز الرئيسي للمحافظة ، فيها العديد من المؤسسات الإدارية الحكومية والأهلية والاقتصادية: مثل المحافظة ، والمحكمة ، والشرطة ، والدفاع المدني، والضمان الاجتماعي ، وكتابة العدل ،وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمستشفى العام ، ومركزان للرعاية الصحية ، وإدارة البيئة والمياه ، ومركز الاتصالات، وإدارة السجون ، ومركز الهلال الأحمر ، ومكتب التعليم ، وكلية العلوم والآداب للبنات ، والبلدية، ووحدة الكهرباء ، والبريد ، وإدارة الأوقاف والمساجد ، وإدارة الأحوال المدنية، والعديد من مدارس التعليم العام، وفرع جمعية التنمية الاجتماعية ، وبنكان تجاريان (الراجحي ، والأهلي) ، وخمسة مستوصفات أهلية ، اثنان عامان، وثلاثة طب أسنان [٣]٠

معظم سكان مدينة المجاردة فخوذ عربية أصيلة ، وخالطهم الكثير من العناصر العربية وغير العربية الذين جاءوا إلى المدينة خلال الخمسين عاماً الماضية من أجل

---

(١) ذكرت نبذة عن أرضها وإنسانها ، ولا أقول إنني شملت كل شيء ، لكنني سجلت صوراً من تاريخها الحضاري الحديث ، وقد يأتي بعدي من يصوب أخطائي ، أو يستكمل ما لم أستطع رصده وتدوينه ٠ انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج١٢، ص٢٦٠ ٠

(٢) إن وجود هذه المحافظة عند سفوح السروات الغربية ، وانزواءها عن الطرق التجارية التي تصل بين اليمن والحجاز عبر أطوار التاريخ القديم والإسلامي المبكر والوسيط والحديث جعلها في عزلة عن غيرها ، وهذا مما أثر على توثيق تاريخها وحضارتها . مع أن المتجول في أرجائها يشاهد الكثير من المعالم الحضارية الجديرة بالجمع والدراسة والتوثيق . كما أنها لا تخلو من آثار مادية سطحية ومدفونة تستحق التنقيب والدراسة٠

(٣) مشاهداتي أثناء تجوالي في المدينة في (١٤٤٣/٢/١٠هـ) ، ولا أدعي أنني وقفت على كل مؤسسة حكومية وأهلية ، لكن حاضرة المجاردة تشتمل على معظم الإدارات المهمة والضرورية لخدمة الناس . والتاريخ الإداري لعموم المحافظة موضوع جديد لم يدرس ، فقد بدأت الإمارة (المحافظة) في مدينة المجاردة من بداية الستينيات (ق١٤هـ/٢٠م) ، ثم المؤسسات الإدارية الأخرى . ومازالت المدينة بحاجة إلى بعض الإدارات الخدماتية مثل كليات جامعية أكثر ، ومراكز صحية طبية وغيرها ٠

العمـل في مهن وحرف اقتصادية واجتماعيــة متنوعة[١]٠والمدينة مقسمة إلى أحياء أو قرى قديمة ومازالت تعرف بتلك الأسماء حتى الآن مثل : الخطوة [٢]٠ والسودة، وخوعة، وقــرن الميفــاء ، والمرصــد ، والحدبة ، والحواجــر ، والقابل ، وسوق الإثنــين ، والقدح ، والموظفين، والشرف وقضريمة ، وآل فصيل ، وتريبة وغيرها [٣]٠

لا يوجـد في المدينــة مخططــات حديثة كثــيرة ، وأكـبر مخططاتهــا الفيصلية رقم (١+٢) ، يقع وسط المدينة ، ويفصل شارع بدر ، الواصل بين المجاردة وخاط ، إلى قسمين، وهــو مملوء بالعمارات الحديثة (سكنيــة وتجارية) وتتراوح أدوارها من طابق واحد إلى أربعــة وخمسة طوابــق . ومعظم سكانه من قــرى وقبائل محافظة المجــاردة ، ويشاركهم مواطنــون آخرون من بــلاد السراة وبعض المدن والمحافظــات التهامية الأخرى . ويقع في هذا المخطط، وعلى شارع بدر الآنف ذكره معظم المؤسسات الحكومية والأهلية [٤]٠

تشتمـل المدينة على الكثـيرمن الشوارع المسفلتة المتفاوتـة في أطوالها وعرضها وجودة تشييدها وأهمها وأكبرها :

١. شارع بدر يبدأ من وسط المدينة حتى مركز خاط ، طريق مزدوج عرضه حوالي (٢٥م) . يتفرع منه في الوسط شارع مزدوج بعرض (٢٥م) يصل إلى سوق الإثنين الأسبوعي .
٢. شــارع حطين الذي يخرج من وسط المدينة إلى مركــزي ختبة وحيد عبس، وبدايته مزدوجة ، ثم يسير في مسار واحد عرضه حوالي (١٥م) .
٣. شــارع الشهداء يخرج من وسط المدينة حتــى يتصل بالطريق الرئيسي الذي يخرج مــن محايل وبارق حتى العرضيــات، عرضه حوالي (٤٠م) مــزدوج ، وعلى الجزء الــذي يخرج من المدينة الكثير من العمــارات التجارية والسكنية ، وسوف يكون من أنشط الشوارع وأكثرها ازدحاماً في قادم الأيام[٥]٠

---

(١) تاريـخ التركيبة السكانية والجغرافية في مدينة المجــاردة موضوع مهم يستحق أن يدرس في بحث مستقل . ومساحة المدينة حالياً تقريباً (١٠كم ×١٠كم) ٠

(٢) قريــة الخطــوة: وسط مدينة المجــاردة ، كانت قديماً المقــر الرئيسي لبعض المؤسســات الإدارية الحديثة ، ومازالــت حتــى اليوم معروفة بهذا الاسم، وبيوتها خليط من العمارة القديمة والحديثة ، ويستوطنها بعض السكان في وقتنا الحاضر. المصدر : جولة الباحث في هذه القرية في (١٠/٢/١٤٤٣هـ) ٠

(٣) لم أذكـر كل القرى في مدينة المجاردة وما حولها ، فهــي كثيرة ومتفاوتة في مساحاتها ، ومواقعها ، ومازال يعيشــ فيهــا أهلها حتــى الآن . ومع التمدن الحديث في المدينة اتصلت القــرى (الأحياء) بعضها ببعض ، وتسمى أغلب القرى بأسماء عشائرها أو قبائلها .

(٤) يوجد على هذا الشارع الكثير من المحلات التجارية والحرفية والاقتصادية الأخرى ، بالإضافة إلى العديد من المطاعم ووحدات الشقق المفروشة . المصدر : مشاهدات الباحث في (١٠ـ ١١/٢/١٤٤٣هـ) ٠

(٥) مشاهدات الباحث في (١٠ـ١١/٢/١٤٤٣هـ) ٠

٤. شارع أحد الذي يخرج من وسط المدينة تجاه الغرب مروراً بناحية قضريمة يتصل بطريق محايل العرضيات مزدوج وعرضه حوالي (٣٠م) . ومعظم الشوارع الأخرى داخل المدينة يتراوح عرضها من (٥ ـ١٢م)، وبعضها أكبر من ذلك ، وهناك طرق فرعية مازالت ترابية [١] .

في المدينة معالم عمرانية أخرى عديدة مثل: شارع الفن وسط المدينة ، يتكون من حديقة للمشاة ، ومسرح يتسع لمئات البشر. وفي بعض جوانبه ألعاب للأطفال ، وأماكن للأسر المنتجة . وتعقد فيه بعض الاحتفالات والمهرجانات الوطنية ، كاليوم الوطني ، والاحتفالات والمهرجانات الشتوية . وحالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يوجد فيه مركز لقاحات كورونا [٢] .

في المدينة مساجد وجوامع عديدة تتفاوت في مواقعها ومساحاتها . والجوامع التي وقفت عندها ، أو صليت في بعضها : (١) جامع المقر في قرية آل فصيل ، مساحته حوالي (٢٥×٣٠م) . (٢) جامع عقبة بن نافع في حي الفيصلية ، مساحته تقريباً (٣٠×٣٠م). (٣) جامع بن سرور على شارع بدر وسط المدينة ، مساحته حوالي (٣٠×٢٥م) . (٤) جامع المرصد على طريق سوق الإثنين الأسبوعي ، مساحته حوالي (٣٠×٣٠م) . (٥) جامع المستشفى بجوار مستشفى المجاردة العام ، مساحته حوالي (٣٠×٢٥م). وهناك جامع جديد يجري تشييده حالياً جنوب المستشفى العام [٣] .

لاتخلو المدينة والمحافظة من أماكن للترفيه والتنزه . فحديقة البلدية غرب مدينة المجاردة ، قريباً من مبنى البلدية ، مساحتها تقريباً تزيد عن (٢٠٠×١٠٠م) مسطحات خضراء فيها بعض الأشجار وألعاب الأطفال ، وجلسات للأفراد والأسر ، ومن مرافقها مسجد صغير يتسع لـ (٦٠ـ٨٠) مصلياً [٤] . وحديقة أخرى جنوب شارع الفن وسط المدينة على شارع الحزام ، مساحتها تقريباً ١٥٠×١٥٠م) وفيها بعض الأشجار الجمالية، ومسطحات خضراء وبعض الجلسات [٥] . وإذا تجولت في المدينة وبعض أجزاء المحافظة ترى العديد من المتنزهات البرية عند سفوح الجبال أو على ضفاف بعض الأودية . ومازالت عموم المحافظة تحتاج إلى خدمة وتطوير في مجال السياحة والترفيه [٦] .

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه . في صفحات تالية من هذا القسم سوف أتحدث عن آثار جائحة كورونا على أرض وسكان المحافظات الثلاث (تنومة ، والنماص ، والمجاردة) .

(٣) تاريخ المساجد والجوامع في محافظة المجاردة موضوع جديد لم يدرس حبذا أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية .

(٤) مشاهدات الباحث في (١٤٤٣/٢/١١هـ) .

(٥) المرجع نفسه .

(٦) المرجع نفسه . تشتمل محافظة المجاردة على تضاريس متنوعة من سهول ، وجبال ، وهضاب ، وأودية ، والكثير منها صالحة لتعمير بعض المتنزهات والمراكز الترويحية .

(*) يتبع المحافظة خمسة مراكز إدارية، موزعة في أماكن عديدة، وهي على النحو الآتي :

أ ـ مركز خاط :

سمي المركز باسم وادي خاط الذي تأتي منابعه من أعالي جبال السروات ويسير غرباً حتى يتصل بوادي يبة[١]. يقع في أقصى محافظة المجاردة من الناحية الجنوبية الشرقية، عند سفوح سروات حاضرة النماص الغربية . يرتبط حالياً بمدينة النماص من خلال عقبتي سنان ، والتوحيد ، يبعد عن مدينة المجاردة حوالي (١٥-٢٠كم) ، مساحته تقريباً (١٠×٢٠ كم) ، وسكانه وقراه تعود في قبيلتي بني عمرو وبني شهر . ومن قراه القديمة : حيمة، ووادي الغيل ، وآل شعثاء ، وغيّة ، وآل شغيب القف ، والأفاقمة وآل صميد (الرهوة) [٢]. يتخلل المركز العديد من الطرق المسفلتة المحدودة في أطوالها وعرضها . والمركز حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) متحضر في مرافقه المعمارية ، فيه العديد من المحلات التجارية ، والمدارس الحكومية للبنات والبنين، ويتصل بمدينة المجاردة عن طريق مسفلت مزدوج عرضه حوالي (٢٥م) [٣].

ب ـ مركز عبس :

يعرف هذا المركز باسم (عبس) أوحيد عبس [٤]، تأسس عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، يقع في أقصى الشمال الشرقي من المحافظة ، ويبعد عن المدينة من (٣٠ ـ٣٥كم) ، يحده من الغرب والشمال محافظة العرضيات، وبلاد آل سلمة من محافظة بلقرن في السراة، ومن الشرق سروات مركزي السرح ووادي زيد ، ومن الجنوب مركز ختبة. ومساحته تقريباً (٧كم ×١٠كم) [٥] وفي المركز عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) بعض المؤسسات الإدارية مثل: إدارة المركز ، ومركز للشرطة ، ومركز للرعاية الصحية [٦] ، وعدد من مدارس

---

(١) خاط ، أو وادي خاط معروف بهذا الاسم من قبل الإسلام ، صار مركزاً إدارياً تابعاً لمحافظة المجاردة من عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

(٢) هذه القرى اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) مهجورة من السكان ، واستوطن أهلها أمكنة أخرى في مركز خاط وغيره . وسبب هجرة هذه المواطن بسبب صعوبات تضاريسها ، وعدم توفر الخدمات اللازمة فيها . مشاهدات الباحث في يومي (١٠ـ١١/٢/١٤٤٣هـ) .

(٣) للمزيد عن هذا المركز قراه ، قبائله ، جباله ، أوديته ، وصفحات من تاريخه الحضاري الحديث انظر دراسة الأستاذ مفرح بن حبسان العمري المنشورة في كتاب : بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ) (الطبعة الثانية) (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ، ص ٣٥٤ـ٣٦٩ .

(٤) نسبة إلى قبيلة الحيد ، إحدى قبائل المركز الرئيسية وهذا ما عرفته وسمعته منذ أربعين عاماً .

(٥) مشاهدة الباحث وجولته في المركز في (١١/٢/١٤٤٣هـ) . بالإضافة إلى مدونة مكتوبة وصلتني من الأستاذ محمد بن محسن الغزواني الشهري في منتصف شهر صفر عام (١٤٤٣هـ) .

(٦) هذا المركز تم تأسيسه في مطلع تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) عام (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) .

التعليم العام بنات وبنين ، من الروضة إلى الثانوية ، ومكتب للبريد ، ومكتب خدمات البلدية . وتحيط الجبال بالمركز من الجهات الجنوبية ، والشرقية ، والشمالية ، وأشهرها جبلي الصياب والقوس من الغرب ، وجبل شيبان من الجنوب، وجبل كرفوس من الجهة الشمالية الشرقية . ومن أودية المركز المرحب ، وحمر، وشيبان، وبشما ، وساقين ، والظفراء، والدخول، والعنقة ، وكتفاء ، والبيضاء . وجميع هذه الأودية تأتي من أعالي السروات ، أو من منطقة الأصدار وتتصل بغيرها في سهول تهامة حتى تصب في البحر[١] .

قرية حيد عبس أهم قرى المركز ، فيها جميع المؤسسات الإدارية ، وتربطها الطريق المسفلت الذي يصل إلى مدينة المجاردة ، وعرضه حوالي (١٥م) ، كما تتصل بالسراة عن طريق عقبة تلاع التي تصعد إلى سروات وادي زيد. ومن القرية نفسها تخرج الطريق التي تتصل بعقبة بني عمرو ، وفي المركز العديد من القرى الأخرى مثل قرية العروض ، وقرية الدخول ، وقرية الحضن وغيرها[٢] .

ج- مركز ختبة :

هذا المركز يجاور مركز عبس من الجنوب ، يبعد عن مدينة المجاردة من (١٥- ٢٠كم) ، تحد حاضرة المجاردة من الغرب ، وسروات وأصدار وادي زيد من الشرق ، ومركز خاط من الجنوب، وأجزاء من محافظة العرضيات ومركز عبس من الشمال[٣] . تم تأسيس المركز في عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م) . يشتمل على بعض المؤسسات الإدارية، كإدارة المركز، ومركز الرعاية الصحية ، ومجموعة مدارس حكومية للبنات والبنين ، من الروضة إلى مرحلة الثانوية[٤] .

ختبة حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) بلدة جمعت عدد من القرى القريبة ، وتمتد إدارة المركز على قرى أخرى عديدة مثل: قرى جبل ريمان ، وبطحة بني حسين ، وآل مغلف ، وقرى بني زهير ، وآل حسن ، وآل فارس، والأصدار وغيرها[٥] .

---

(١) رحلة الباحث في محافظة المجاردة في (١٠-١١/٢/١٤٤٣هـ ، ومدونة الأستاذ محمد بن محسن الغزواني الشهري . للمزيد انظر أيضاً رحلتي في اجزاء من تهامة الممتدة من بارق إلى قلوة عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج١٢، ص٢٦٠ .

(٢) مشاهدات الباحث في (١١/٢/١٤٤٣هـ) . ومعظم القرى القديمة ، مازالت ماثلة للعيان ، وتختلط معها الأبنية الحديثة المتفاوتة في مساحاتها ، وطوابقها ، ومرافقها . وتحيط بأراضي المركز القطع الزراعية العثرية والمسقوية المتنوعة في مواقعها ومساحاتها ومحاصيلها .

(٣) مشاهدات الباحث ورحلته في محافظة المجاردة في (١٠-١١/٢/١٤٤٣هـ) .

(٤) المصدر : مشاهدة الباحث في محافظة المجاردة في (١٠-١١/١٤٤٣هـ) . ومدونة وصلتني ، عن طريق محمد بن محسن الغزواني الشهري ، مدونة من قبل الأستاذين عبدالله بن معيض الشهري ، وعلي بن زاهر الشهري يوم السبت (١١/٢/١٤٤٣هـ الموافق ١٨/٩/٢٠٢١م).

(٥) لم آت على ذكر جميع قرى المركز ، وإنما أشرت إلى بعضها ، وجميعها مشيدة قديماً ، بالحجارة والطين . وحالياً

مــن معالم المركز أجزاء من جبال ريمان ، وعــيران ، والقرن ، وشيبان ، وسمعية ، والقوســ ، وقشبة ، وبعض المرتفعات والهضــاب المتفاوتة في ارتفاعاتها ومساحاتها [١] ، ووادي ختبة أهم أودية المركز ، يسير في الوسط ، ويقسم المركز إلى قسمين شمالي على ضفافه حاضرة ختبة الحديثة ، وعلى جنوبه العديد من القرى القديمة التراثية ، وبعض القلاع والحصون الحجرية . ويصب في هذا الوادي العديد من الروافد الصغيرة، ويتجه مــن الشرق إلى الغرب حتى يلتقــي مع وادي صيوي ، ويتشكل منهما وادي العقص الذي يصب في وادي جرية في الجزء الشمالي الغربي من المركز [٢] .

د ـ مركزا ثربان ، وأحد ثربان [٣] :

هــذان المركــزان يقعــان غــرب الطريق العــام الذي يســير من محايل وبــارق إلى القنفــذة والعرضيــات . الأول : يسمــى مركز ثربان ، ويبعد عــن مدينة المجاردة حوالي (٢٥كــم) ، تأسس عام (١٤٠٢هــ/١٩٨٢م) . يوجد فيه بعض المؤسســات الإدارية مثل مخفــر الشرطة ، ومركز للرعايــة الصحية . وعدد من مدارس التعليم العام ، كمدرسة حذيفة بن اليمان الابتدائية ، ومتوسطة الأجيال ، وثانوية البخاري . وابتدائية الطلاليع للبنات [٤] ، ومتوسطة وثانوية .

تــرى العمارات الحديثة منتشرة في كل مكان . ومازال في الكثير من القرى بعض المنازل القديمة المستخدمة من قبل الناس لأغراض عديدة . المصدر : مشاهدات الباحث في محافظة المجاردة في (١٠ـ١١/٢/١٤٤٣هـ) .

(١) محافظــة المجاردة محاطة بالكثير من الجبال الكبيرة والصغيرة . ولم أفصل الحديث عن تضاريس هذه البلاد ومعالمها الجغرافية . لكنها مع غيرها من بلاد تهامة الممتدة من قلوة والمخواة شمالاً إلى بيش وصبيا وضمــد وفيفاء وبني مالــك جنوباً تستحق أن تدرس في عدد من الكتب والرسائــل العلمية . وهذه مسؤولية أقسام الجغرافيا والتاريخ في كليات الجامعات المحلية في مناطق الباحة ، وعسير ، وجازان.

(٢) مشاهدات الباحث لمحافظة المجاردة يومي (١٠ـ١١/٢/١٤٤٣هـ) . ومدونة الأستاذين عبدالله بن معيض الشهــري ، وعلي بــن زاهر الشهري ويوجد منها صورة ضمن مكتب د. غيثــان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠ـ٢١م) ، ج٢٠٢. والمتأمل في موقع مركزي عبس وختبة يجده استراتيجياً في تضاريسه، ومكوناتــه الجغرافيــة ، وإطلالتــه على بلدان تهامية عديــدة في محافظات العرضيــات، والمجاردة، وبارق وغيرها. مشاهدات الباحث في (١١/٢/١٤٤٣هـ) .

(٣) اســم ثربــان يطلق على جبل ، أو جبال ثربــان في الجزء الغربي من محافظة المجاردة. وهــذه الناحية سلسلة جبلية يسير من خلالها ، أو حولها عدد من الأودية مثل: وادي يبة ، ووادي الأحسرين الشرقي والغربي ، ووادي مغلــوث وغيرهــا . ويقطنها العديد من العشائر التي تعود في أحلافهــا ونسبها إلى قبيلة بني شهر الحجرية . المصدر : مشاهدة الباحث ورحلته في محافظة المجاردة في يومي (١٠ـ١١/٢/١٤٤٣هـ) . للمزيد انظر غيثان بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ) (الطبعة الثانية) ، ص ٣٧٤ـ ٣٧٥ .

(٤) الطلاليع إحدى القبائل الرئيسية في مركز ثربان ، كانوا في السابق يسكنون المرتفعات في جبال ثربان ، وفي الثلاثين عاماً الماضية ، تركوا قمم الجبال ونزلوا إلى السهل وتمدنوا في كثير من حياتهم العامة والخاصة . ويخالط الطلاليع ويجاورهــم عشائــر أخــرى عديــدة ، وهم اليوم (١٤٤٣هــ/٢٠٢١م) يسكنــون في قرى عديــدة في المركز ، ومعظم منازلهم ومرافقها حديثة العمران . مشاهدات الباحث ورحلته في محافظة المجاردة في (١٠ـ١١/٢/١٤٤٣هـ) .

وسكان مركز ثربان في الوقت الحاضر هجروا أماكنهم القديمة ، وبعض المهن السابقة كالرعي وتربية المواشي بشكل رئيسي ، والتحقوا بالوظائف ومؤسسات التعليم المختلفة . بل الكثير منهم تركوا مواطنهم الرئيسية وانتقلوا إلى المدن والحواضر الكبرى في المملكة العربية السعودية ، وبعضهم ، وبخاصة الطالبات والطلاب ترقوا في سلم المعرفة حتى حصلوا على درجات جامعية متنوعة[١] .

أما مركز أحد ثربان ، تأسس عام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ، ويقع في أقصى غرب المحافظة ، ويبعد عن مدينة المجاردة حوالي (٤٥ــ ٥٠كم) ، ويجاور مركز خميس حرب، التابع لمحافظة القنفذة ، من الجهة الشرقية[٢] . فيه بعض المؤسسات الإدارية والأهلية كمركز الشرطة ، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومركز للرعاية الصحية، وفرع جمعية البر الخيرية ، وعدد من المدارس مثل مدرستي المعالي والليث بن سعد الابتدائيتين للبنين ، ومدرسة ابن حيان المتوسطة والثانوية (بنين) . ومدرستي البنات الابتدائيتين بمغلوث وآل مجامد[٣]، ومدرستين أخريين متوسطة وثانوية (بنات)[٤].

---

(١) مشاهدات الباحث في محافظة المجاردة في (١٠ـ١١/٢/١٤٤٣هـ) . وحياة التمدن والتطوير الحضاري ليس مقصوراً على سكان جبال ثربان ، وإنما شاهدت أثناء تجوالي في عموم السراة وتهامة خلال الأربعين سنة الماضية (١٤٠٠ـ ١٤٤٣هـ/ ١٩٨٠ ـ ٢٠٢١م) الكثير من الأمكنة ، والقرى والنواحي التي كان أهلها متواضعين جداً في حياتهم التعليمية والاقتصادية والحضارية ثم امتد التطور والتمدن إلى أوطانهم ، فصاروا هم وبلادهم اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يعيشون حياة نعمة ورفاهية وتحضر في شتى الميادين ، وهذا بفضل الله ـ عز وجل ـ ثم جهود هذه الدولة (المباركة) المملكة العربية السعودية التي سعت ومازالت تسعى إلى توفير سبل الراحة لكل إنسان في هذه البلاد العربية السعودية الماجدة .

(٢) مشاهدات الباحث أثناء رحلته في محافظة القنفذة في شهر ذي القعدة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) . وفي رحلته الحالية في (١٠ـ١١/٢/١٤٤٣هـ) . للمزيد عن رحلة المؤلف في القنفذة ، انظر كتاب : بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠ـ ق١٥هـ/ق١٦ـ ق٢١م) (الطبعة الثانية ، ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) ، ص ٣١١ــ ٣٥٩ .

(٣) مغلوث وآل مجامد أسماء أمكنة وفروع سكانية تقطن مركز أحد ثربان . ينسب المكان إلى سوق الأحد الأسبوعي ، وهو من الأسواق النشطة تجارياً واقتصادياً حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٤) لا أدعي أنني دونت كل الجوانب الحضارية في مركزي ثربان وأحد ثربان ، لكنني وثقت جوانب تاريخية مهمة . آمل أن يأتي في المستقبل باحث أو مؤرخ جاد فيدرس محافظة المجاردة ومراكزها من شتى الجوانب .

٣.محافظة المجاردة (شذرات من تاريخها الحديث و المعاصر) عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)[١] : بقلم. أ. علي بن عبدالرحمن بن سردة الشهري[٢] :

محافظة المجاردة حاضرة تهامة وعروسها بوابة منطقة عسير من الجهة الشمالية، يتبعها عدد (٥) مراكز إدارية٠ عبس، وختبة، وخاط ، وثربان ، وأحد ثربان. تتربع على مساحة جغرافية ذات ميزة تضاريسية خلابة تجمع بين الجبل والسهل والوادي، بها قمم جبال تهوى وريمان ومسلمن وامبكرتين تنحدر من خلالها أودية عبس وختبة وجرية والضمو وخاطة تتلاقى في وادي يبة الذي يصب في البحر الأحمر.

تعامل الإنسان مع هذه الطبيعة بكل حب وعشق وولاء حسب إمكانياته فنحت الصخر وشق الأرض وشيد البناء وانتج وابدع لسد حاجته ومتطلبات يومه وليلته بهمة ونشاط وتكامل الأدوار بين فئات المجتمع رجالا ونساء شيبا وشبابا فظهرت حضارة خلدها التاريخ عبر صفحاته بمداد من ذهب[٣] ٠ وقد حضيت محافظة المجاردة في العصر الحديث بالرعاية الكريمة من حكومتنا الرشيدة التي ساهمت في النهضة التنموية في مختلف المجالات، ولنا وقفات مع هذا التغير الكبير الذي شهده المكان والانسان خلال العشر سنوات الأخيرة نوجزها فيما يلي:

أ ـ التنمية الإدارية :

اكتمال عقد المؤسسات الحكومية الخدمية في المحافظة.. بل أصبحت معظم الادارات ذات مباني حكومية في طراز معماري حديث.. المحافظة..مكتب التعليم.. المستشفى العام.. البلدية.. الضمان الاجتماعي.. الدفاع المدني.. الشرطة.. ومركز الرعاية الصحية.. وجميعها تؤدي دورها على مدار العام لكل مواطن ومقيم على أرض المجاردة[٤]٠

ب ـ الحركة الاقتصادية :

نلحظ تزايد الحركة التجارية وفتح فروع شركات كبرى مثل العثيم، والراية، والنهضة، وتوفير المستهلك ، وبرج الوسام.. وأنشئت العديد من المصانع المحلية

---

(١) أرسلت لي هذه النبذة من صاحبها (ابن سردة) فوضعت لها العنوان المدون أعلاه (ابن جريس) ٠

(٢) الأستاذ علي بن سردة من مواليد محافظة المجاردة ومن سكانها ، عمل في ميدان التربية والتعليم عقوداً عديدة ، ومازال يعيش في مدينة المجاردة حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). انظر المزيد عن سيرته الذاتية في كتاب : بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ) ، لغيثان بن جريس ، الطبعة الثانية (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص ٣٦٩. (ابن جريس) ٠

(٣) من يتجول اليوم في محافظة المجاردة يتأكد صحة عراقة تاريخ هذه البلاد من خلال تراثها العمراني ، وآثارها المادية والمعنوية ، وما تحتوي عليه البلاد من موروث حضاري متنوع . (ابن جريس) ٠

(٤) صاحب هذه المشاهدات اختصر حديثه عن المؤسسات الإدارية في محافظة المجاردة اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) حبذا أنه فصل التدوين في هذا الجانب . وتاريخ الحياة الإدارية في هذه المحافظة يستحق أن يوثق في كتاب خلال المئة سنة الماضية . (ابن جريس) ٠

للمياه الصالحة للشرب التي تنتج ملايين العبوات لسد احتياج المحافظة ومراكزها من مياه الشرب النقيه والتوزيع الي عدة مدن داخل المنطقة وخارجها مثل: مصنع ينبوع المجاردة ، ومصنع نقاء، ومصنع روين ، ومصنع ينابيع تهامة، وشركة بن ثالبة لمزارع الدجاج وإنتاج وبيع السيراميك ، وشركة عكاظ بن سرور القابضة لمواد البناء والخرسانة وغيرها من المؤسسات المحلية ٠ التي ساهمت بفاعلية في دعم الاقتصاد داخل المحافظة. ولاننس الأسواق الشعبية الأسبوعية ودورها الريادي في النمو الاقتصادي، كسوق الاثنين المجاردة. وسوق الأحد في أحد ثربان. وسوقٍ خميس خاط. وسوق خميس ثربان الطلاليع. وسوق المواشي والعلف الذي افتتح مؤخراً على طريق المجاردة سفيان. ، والبنوك (الاهلي والراجحي) والبنك العقاري ، والتنمية الاجتماعية٠

لهذه المؤسسات والأنشطة الاقتصادية والبنوك التجارية دور بارز في دفع عجلة التنمية إلي الأمام بعد أن فتحت مجال تقديم القروض والتسهيلات البنكية للمواطنين لبناء المحلات التجارية والمساكن الحديثة ، حيث تشهد المحافظة نهضة عمرانية كبيرة جدا على اثرها نجد ان الأحياء السكنية في ازدياد.. وآخرها حي العبير السكني الذي تم توزيع أراضيه على المواطنين المستحقين للدعم الحكومي أرض وقرض، وكذلك زاد من نمو الحركة الاقتصادية توفر وحدات أجهزة الصراف الآلي في المجاردة ومراكزها ونقاط البيع والشراء عبر الشبكة الإلكترونية التي اعتمدت في جميع المحلات التجارية، بل تم الوصول إلى الشراء من الأسواق العالمية عبر الإنترنت، كما سعت الشركات الخدمية في تأمين وسائل نقل البضائع من وإلى المحافظة يوميا ، وفتح فروع لها مثل: (زاجل.. سمسا.. أرامكس.. ناقل.. واصل.. البريد السعودي) بهدف توصيل الطلبات من الأسواق العالمية إلي العملاء في المحافظة ومراكزها[1] ٠

ج- التعليم والثقافة :

يقدم مكتب التعليم في محافظة المجاردة خدماته التعليمية والإدارية لحوالي(١٠٠) مدرسة بنين وبنات بها أكثر من (١٠) آلاف طالب وطالبة ، وافتتحت كلية العلوم والآداب للبنات في مبنى حكومي حديث كلبنة أولى للتعليم الجامعي، واعتمد افتتاح مركز دائم لاختبارات القياس والتقويم للبنين والبنات في محافظة المجاردة . وفي الجانب الثقافي

---

(١) اشكرك يا أستاذ علي بن سردة فقد لخصت جوانب عديدة من الحراك الاقتصادي والتجاري في محافظة المجاردة وأشرت إلى الخدمات الاقتصادية والحضارية التي وصلت إلى أرض وسكان البلاد . وكنت آمل أن تفصل أكثر عن هذا التطور الحديث الذي تمر به المحافظة في عصرنا الحديث والمعاصر . وهذا الموضوع يستحق أن يبسط في بحوث عديدة أو في كتاب علمي تفصيلي توثيقي مع الحرص على دعمه بالصور الفوتوغرافية . (ابن جريس) ٠

تم اعتمــاد لجنــة ثقافيــة في المحافظة تتبع للنــادي الأدبي بأبها لإثــراء الحركة الأدبية والثقافيــة ، فشكلت رافداً قوياً ظهرت من خلالها إبداعــات الشعراء والأدباء من أبناء محافظة المجاردة في الأمسيات والندوات والحفلات داخل المجاردة وعلى مستوى منطقة عسير[١] . ولا ننس الصحافة الإلكترونية التي قامت بدورها الصحفي والإخباري اليومي لنشر كل ما يدور في المحافظة من مناشط وفعاليات رسمية وخاصة، صحيفة المجاردة، وصحيفــة خاط ، وصحيفة ثربان، والوطن نيوز حيث بــرزت من خلالها أقلام صحفية محلية تطرح قضايا المجتمع وحاجاته بين يدي المسؤول والرأي العام[٢] .

د ـ الرياضة والشباب :

اعتمــد نادي الفــاروق الرياضي بمحافظة المجاردة رسميــا لرعاية الشباب وصقل مواهبهــم الرياضيــة ومشاركتهــم في مختلــف الألعــاب: القــدم، والطائــرة، والسلة، والسباحــة ، وغيرها على مستوى المنطقة والمملكــة. كان للقطاع الخاص مشاركة فاعلة في مجــال الرياضــة والشباب بإنشاء ملاعــب خاصة مزروعة على أحــدث طراز تؤجر بالساعــة لمزاولة كرة القدم (معشوقة الملايين) . وأنشئت مراكز اللياقة البدنية لمختلف الفئــات العمرية من الرجال والنساء، والاشتراك بمبالغ رمزية شهرية أو سنوية لمزاولة التماريــن الرياضية وألعاب القــوى والسباحة والعلاج الطبيعــي للمسنين، وغيرها من الخدمات لشغل وقت الفراغ بما يفيد ويعزز الصحة[٣] .

هـ ـ المجتمع المحلي في محافظة المجاردة..

يشهــد تطورا ملحوظــا ومتسارعا تناغما مع مــا تشهده المملكة العربيــة السعودية مــن تطــور ونماء وفق رؤيــة المملكة (٢٠٣٠) فقــد تسهلت السبــل في التعليم والتوظيف والتواصــل الاجتماعي عبر وسائــل التواصل الاجتماعي، التي أصبحــت الشغل الشاغل للصغــير والكبــير في الجد والهزل ، لمــا فيها من تنوع معرفي وثقــافي وترفيهي أسهمت

---

(١) اختصــرت كثــيراً يا أستاذ علــي في حديثك عــن التعليم والثقافــة في محافظة المجاردة ، كنــت أتمنى أن تسهــب في هــذا الجانــب ، لقربك من هذا الميدان وعملك فيه سنوات عديدة . آمــل أن نرى باحثاً أو طالب دراســات عليــا في جامعة الملك خالد فيدرس تاريخ التعليم والثقافة في تهامة عســير منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). (ابن جريس) .

(٢) الإشــارة إلى الصحافة الإلكترونية وكذلك التعليم الإلكــتروني (العام والعالي ، الحكومي والخاص ، التجاري والتطوعي) كل هذه المجالات حديثة العهد ولها آثار إيجابية كثيرة جداً ، ولا تخلو من الآثار السلبية على الأرض والناس في عموم بلاد تهامة والسراة . حبذا أن تقوم كليات وأقسام وأساتذة الجامعات المحلية في جنوب المملكة العربية السعودية بدراسة هذه الموضوعات في عدد من الدراسات والكتب والرسائل العلمية . (ابن جريس) .

(٣) هذه الإشارات يا ابن سردة جيدة جداً ، حبذا أنك فصلت الشرح على ما تم الإشارة إليه . وتاريخ الرياضة القديم والحديث في محافظات منطقة عسير التهامية أو عموم بلاد تهامة الممتدة من جنوب مكة المكرمة إلى جــازان موضــوع مهم وجديد في بابه حبذا أن يدرســ في عدد من الكتب أو الرسائل العلمية خلال قرن من الزمان (١٣٤٠ـ ١٤٤٣هـ/١٩٢١ـ ٢٠٢١م) . (ابن جريس) .

بصــورة واضحة في تحقيق وإنجاز مطالــب الفرد والمجتمع الشخصيــة والرسمية عبر برامــج الخدمات الالكترونية مثل: أبشر، توكلنا، ناجــز ، إحكام[١]٠ وسهلت الكثير من التعامــلات الرسميــة للوزارات ذات العلاقــة٠ وهنا نقف وقفة شكــر وتقدير لحكومتنا الرشيــدة لمــا قدمته لنا كمجتمع سعــوي في الظرف الطارئ الــذي نعيشه منذ عامين ٠ (جائحــة كرونا) فقد كان للمجتمــع السعودي السبق في مجال التقنية من خلال منصة التعلم الإلكتروني عن بعد للطلاب والطالبات حيث تعامل معها بكل كفاءة واقتدار خلال الأعوام الدراسية (١٤٤١هـ ، و١٤٤٢هـ ، و١٤٤٣هـ) ٠[٢] ومجتمع محافظة المجاردة جزء من هذا الكيان السعودي الكبير ، وشهد المجتمع نقلة نوعية عالية بقيادة المرأة للسيارة ، ومنحها الهوية الوطنية باستقلالية في إدارة شؤنها الخاصة والعامة ، والتنقل من مدينة الي أخرى بكل يسر وسهولة وفق الأنظمة والضوابط الشرعية. فنحمد الله ونشكره على مانحن فيه من خير ونعمة لا نحصي عددها [٣]٠

و ـ الخدمات الصحية :

يقدم مستشفــى محافظة المجاردة العام خدمات كبــيرة للمرضى داخل المحافظة والمحولــين من خارجهــا ، ونتطلع إلي إنشــاء المستشفى الجديد المعتمــد (٢٠٠) سرير قريبــا ان شــاء الله تعالى ٠ والقطاع الخاص له دور بــارز في توفير الخدمات الصحية، فقــد تم افتتاح بــرج الدواء الطبــي بكامل التخصصــات، ومجمع دار الشفــاء الطبي، ومجمــع الشمال الطبي، ومراكــز لطب الأسنان، كالصقر ، وابــن حبتر، وقمر الجنوب، والكثير من الصيدليات المنتشرة داخل المحافظة ومراكزها [٤]٠

---

(١) أشكرك الشكر الجزيل يا أستاذ علي على إشارتك إلى هذه الخدمات الإلكترونية الحديثة (أبشر ، وتوكلنا، وناجز ، وإحكام) فكل هذه الخدمات الأربع سهلت على الناس الكثير من أعمالهم . بل صارت أساسيات في الحياة البشرية اليوميــة علــى مستوى الفرد ، والأسرة، والمجتمع . وسوف تكون مجالات كبيرة وواسعة لإصدار الكثير من الدراسات العلمية ، فتدرسها وتوثق تاريخها وتطورها وآثارها الإيجابية على المستوى المحلي والإقليمي . (ابن جريس) ٠

(٢) أمــا جائحة كورونا وآثارها السلبية وكذلك الإيجابية علــى المجتمع السعودي بشكل عام أو على بلاد تهامة والســراة فهي موضوع كبير، والواجب علــى الباحثين والمؤرخين والجامعات المحليــة وكلياتها وأقسامها أن تؤرخ لهذه الجائحة العالمية ، وما جلبت أوعاصرها من تحولات تاريخية ٠ (ابن جريس) ٠

(٣) تاريــخ قيــادة المرأة للسيارة موضوع قديم ، فقد جرى الحديث عليه منذ عقود ، وكان في المجتمع معارضين ومؤيديــن حتى تاريخ (١٤٣٩/١/٦هــ الموافق ٢٠١٧/٩/٢٦م) عندما أصدر الملــك سلمان بن عبدالعزيز آل سعــود بيانــا بالسمــاح للمرأة السعوديــة بالقيادة على أن يكــون التنفيــذ في (١٤٣٩/١٠/١٠هـ الموافق ٢٠١٨/٦/٢٤م) ،وتم العمــل بذلــك في التاريخ المحــدد ، وصار اليوم (١٤٤٣هــ/٢٠٢١م) هناك عشرات المدارس الحكومية والخاصة التي تقوم بتعليم المرأة قيادة السيارة . وتاريخ قيادة النساء للسيارة في المملكة العربية السعودية موضوع جديد في بابه ، حبذا أن يقوم بعض المؤرخين والباحثين الجادين بدراسة وتوثيق هذا الموضوع بطريقة شفافة وحيادية . (ابن جريس) ٠

(٤) تاريخ الطب والتطبيب في محافظة المجاردة أو تهامة عسير موضوع جدير بالبحث في عدد من البحوث والرسائل العلمية من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ٠ (ابن جريس) ٠

ز- السياحة في محافظة المجاردة :

ليست وليدة اللحظة بل لها تاريخ عريق يمتد لقرابة (٤٠) عاما فقد كنت عضوا لأول لجنة سياحية في المجاردة عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، وتم إصدار أول كتيب سياحي عام (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ومع مرور الزمن تطورت الخدمات السياحية في محافظة المجاردة، وأصبحت ذات طابع شبه يومي، بعد أن توفرت أماكن السياحة من حدائق ومنتزهات وأماكن تسوق وقرى ومساكن قديمة٠ وقرية غيّة في جبل تهوي أنموذج، والمهرجان الشتوي السنوي الذي تقدم من خلاله فعاليات ومناشط عديدة تستمر لمدة (٣) أشهر في فصل الشتاء ،ومهرجان العسل السنوي، وشارع الفن أكبر شاهد على تميز السياحة في المجاردة، فقد حظيت برعاية كريمة من سمو أمير المنطقة، وتغطية إعلامية جعلت من المكان مزاراً لكل فئات المجتمع من داخل المجاردة وخارجها، وافتتحت مطاعم وأماكن للأسر المنتجة ، ومقاهي شعبية وأقسام ذات طابع حضاري متقدم في أكثر من موقع يرتادها الجميع من الرجال والنساء، وزادت وحدات (الكوفي شوب) للمشروبات الساخنة والباردة والوجبات السريعة في أغلب الشوارع والميادين٠ ومقهى وادي الغيل بمركز خاط أنموذج، وظهرت عربات ترك فوود للشباب السعودي التي أصبحت مصدر رزق يومي لهم ولأسرهم ، وللقطاع الخاص دور بارز في المشاركة الفعالة لدعم التنمية السياحية في إنشاء أماكن للتراث الشعبي على هيئة متاحف أهلية يطلع من خلالها الزائر على تراث وتاريخ المحافظة ومراكزها مثل : قرية ربوع بلادي في وسط مدينة المجاردة ، ومتحف تركي الغيلاني، ومتحف بن دحمان بمركز الطلاليع ثربان، ومتحف بن خضير ببني زهير٠ كما تحتضن المجاردة أكبر إناء عسل في العالم التابع لمحل عسل تهامة الذي سجل في مجموعة جينس للأرقام القياسية، وإنشاء الوحدات السكنية المفروشة، والاستراحات والشاليهات السكنية والترفيهية ، ومنتجع النخيل ، ومون لايت، والشلال، وأحلى مساء، وفندق أرض العسل٠ كل هذه الخدمات هيئت من أجل راحة واستمتاع الزائر للمحافظة ومراكزها[1] ٠

ح مشاريع تنموية حديثة ،ومعاصرة :

نالت محافظة المجاردة الكثير من الرعاية والاهتمام التنموي ، والكثير منها أصبح موجوداً وواقعاً ، وبعضها مازالت في طريق البناء والاكتمال ، ومن هذه المشروعات

(١) أشرت يا أستاذ علي في محور (السياحة في محافظة المجاردة) إلى العديد من النقاط الجيدة التي يستحق كل واحد منها أن يدرس في بحث مستقل . وما يحدث في محافظة المجاردة ترى ما يشابهه في محافظات منطقة عسير (تهامة وسراة) بل في عموم البلاد السروية والتهامية وهذه الطفرة الحضارية الحديثة بدأت من نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) ٠واستمرت في التطور خلال العقود الأربعة الماضية (١٤٠٠-١٤٤٣هـ/١٩٨٠-٢٠٢١م) . واليوم يوجد في هذه البلاد العديد من الجامعات المحلية التي تشتمل على عشرات الكليات والأقسام ومئات الأساتذة وعليهم جميعا مسؤولية خدمة الأرض والناس في جنوب المملكة العربية السعودية من خلال البحوث والأعمال العلمية الأكاديمية التوثيقية التي تحفظ موروث هذه البلاد وحضارتها. (ابن جريس) ٠

الحديثة والمعاصرة ما يلي[١] :

١- افتتاح عقبة التوحيد التي تربط بين النماص والمجاردة حيث أصبحت همزة وصل بين طريق أبها الطائف السياحي في السراة وطريق جدة جيزان على ساحل البحر الأحمر .
٢- مشروع توصيل شبكة المياه المحلاة من محطة الشقيق الي محافظة المجاردة مرورا بمحايل وبارق، وخلال السنتين القادمتين سيبدأ التشغيل ان شاء الله تعالى.
٣- مشروع شبكة الصرف الصحي الذي بدأ تشغيله في كافة الأحياء السكنية داخل مدينة المجاردة.
٤- مشروع إعادة تأهيل المباني القديمة في قرية الخطوة التاريخية وسط المدينة التي كانت مركز المجاردة وقلبها النابض وأساس حضارتها ..
٥- مشروع إعادة بناء سوق الاثنين الأسبوعي المركز الاقتصادي منذ عشرات السنين حيث أصبح ذا مبنى مميز على أحدث طراز يرتاده الناس كل أحد واثنين محتفظا بمكانته الاقتصادية والتاريخيه.
٦- مشروع مبنى بنك الراجحي يقع في قلب المدينة حلة جمالية تسر الناظر وأعطت إضافة حضارية للنهضة العمرانية في محافظة المجاردة.
٧- مشروع قرية ربوع بلادي التراثية في وسط مدينة المجاردة لصاحبها الأستاذ محمد عبدالله الغاوي جمع فيها تاريخ وتراث المنطقة ومزج بين الماضي والحاضر.
٨- مشروع مستشفى المجاردة الجديد (٢٠٠) سرير تم تسليم الأرض واعتمدت له ميزانية من وزارة المالية بحوالي (٢٥٠) مليون ريال وسينفذ قريبا ان شاء الله تعالى.
٩- سد وادي يبة الذي أنشئ بمبلغ يفوق (١٢٠) مليون ريال ويعتبر من أكبر السدود في المنطقة، حيث يقع بين سديّ وادي قنوانا شمالا، ووادي حلي جنوبا، بالإضافة الي سد وادي مليحة بمركز ختبة، وسد بني قيس، وسدٍ الافاقمة بمركز خاط.
١٠- شبكة الطرق التي بدأ العمل فيها ستكون قريباً مزدوجة ذات طاقة استيعابية عالية من المجاردة إلي المخواة شمالا وإلي محايل جنوباً ، وتم فتح طريق المجاردة القنفذة على ساحل البحر الأحمر مرورا بمراكز ثربان، وخميس حرب، وجمعة ربيعة، والقوز. وأقول إن محافظة المجاردة واسطة العقد في هذه الشبكة من الطرق المعبدة حيث أضافت قيمة إيجابية للمكان والإنسان في سهولة التنقل من وإلى المجاردة . (السبت ١٠/ربيع الأول/١٤٤٣هـ) [٢] .

---

(١) جميع هذه المشروعات الموثقة في هذا المحور أخذ بعضها سنوات عديدة حتى تم إنجازها ، وصرف عليها مليارات الريالات ، وكل نقطة أو موضوع يستحق أن يدرس في بحث علمي موثق ورصين . (ابن جريس) .

(٢) أشكرك يا علي بن سردة على هذه الخلاصة الموجزة الجيدة ، التي آمل أن يجد فيها بعض طلاب البحث العلمي مفاتيح تساعدهم لإجراء دراسات أطول وأعمق . مع أنها تحتوي على عناوين مهمة ، وكل عنوان يستحق أن يدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . (ابن جريس) .

خامساً : صفحات من تاريخ الناس في المحافظات الثلاث :

تتفـاوت تضاريسـ المحافظات الثـلاث ، وهذا مما أثر في المنـاخ فالنماص وتنومة بـاردة شتاءً ، معتدلة الحـرارة صيفاً ، بعكس المجاردة الحـارة في الصيف والمعتدلة في الشتـاء . والمناخ أيضـاً أثر على الحياة النباتيـة والحيوانية ، ففـي المرتفعات السروية نباتـات وحيوانـات تعيش في السـراة ، وأخرى لا توجد إلا في الأجـزاء التهامية لحرارة الجـو في الصيف واعتدالـه في الشتاء . كذلك الإنسان التهامـي يفضل غالباً العيش في أرض حارة أو دافئة ، وأيضاً السرويون، بخاصة وقت الشتاء، يخرج أغلبهم من بلادهم إلى أوطـان معتدلة المناخ ، ورأيت معظم سكان تنومة والنماص ينزلون في فصل الشتاء إلى محافظة المجاردة ، أو نواحي أخرى تمتاز بدفء الجو[١] ٠

والناظـر في الطبيعـة الجغرافيـة في المحافظـات الثـلاث (تنومـة ، والنماصـ ، والمجـاردة) يجد أن المحافظتين السرويتين تمتازان بمناظـر طبيعية خلابة وبخاصة منطقة الأشعـاف الممتـدة مـن مركز بللسمـر جنوبـاً إلى حدود محافظـة بلقرن شمـالاً . ففي هذه الناحيـة مواقـع سياحية مكتظة بالنباتـات والغابات الكثيفة ، والـذي زادها جمالاً فتح طرق (عقبـات) تنحـدر من سفوح السروات الغربية إلى محافظـة المجاردة[٢] ٠ كما أن محافظة المجـاردة لا تخلو من نباتات وغطاء نباتي لا بأس به ، وفيها بعض الأودية الكبيرة ، مثل وادي خاط وغيره ، التي تحتاج إلى خدمة وتطوير يصب في خدمة الحياة السياحية والترفيهية[٣] ٠

الذاهـب اليـوم في أرجـاء محافظات المجـاردة ، والنماص، وتنومـة ، أو أي ناحية سروية وتهامية لا يصدق ما تمر به هذه البلاد من نمو وتطور . وبخاصة إذا كان يعرف أو عاشـ في هـذه الأوطان في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ، والعقد الأول من هــذا القــرن (١٥هـ/ ٢٠م) فقد كانت حياة الناس بسيطة ومتواضعة في كل شيء ، وقبل

---

(١) هذا الذي يعيشه عموم سكان السراة اليوم من الطائف إلى سراة وادعة وقحطان فهم يتركون بلادهم أوقات البـرد ، ويذهبـون إلى مناطق دافئة . وتهامة مـن جازان إلى مكة قبلة معظمهم وقـت الشتاء ، ومنهم الكثير الذين يملكون الدور والعقار في الأجزاء التهامية . والتهاميون لا يفعلون كالسرويين ، فنادراً ترى إنساناً تهامياً يصعـد إلى السـراة ، ويمتلـك الأراضي والعقار ، وبعضهـم يعملون في بعض المؤسسـات الإدارية الحكومية أو الأهلية في البلاد السروية الممتدة من الطائف إلى نجران ثم يستأجرون سكناً ، أو يشترون بيوتاً مدة إقامتهم، وعنـد الانتهاء يعـودون إلى بلادهم في تهامة . أمـا السرويون فهم أكثر الناس امتـلاكاً للعقار والتجارات في عمـوم الأجـزاء التهامية ، ولم يكونوا كذلك في القرون الماضية لفقرهم وقلة ذات اليد ، لكن عندما توفر المال وتحسنت أوضاعهم الاقتصادية والحضارية يمم الكثير منهم وجهه للعيش والاستثمار في البلاد التهامية ٠

(٢) هـذه العقبـات تمر على مواقـع ومنحدرات جميلـة في طبيعتها ، وبعضهـا لا تخلو من الأشجـار والنباتات المتنوعة في أحجامها وأشكالها وفوائدها٠

(٣) يوجـد في بلاد المجاردة أمكنة طبيعية بكـراً تحتاج إلى التطوير تنموياً وسياحياً ، وإن تم ذلك فسوف تنعم المحافظة بالكثير من الأنشطة الترفيهية والسياحية الجميلة ٠

ذلك الزمن كانت أكثر تواضعاً وفقراً . ثم تتابع بناء الأرض والإنسان على مدار خمسين عاماً حتى صارت أوطاناً حضرية متمدنة في كل شيء[(١)] ٠

١ـ من التاريخ الاجتماعي:

يعيش الفرد والأسرة والمجتمع اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) في انفتاح على كل شيء ، في السكن ، واللباس، والطعام والشراب ، والتعليم والاتصال بالآخرين ، والفكر ، والثقافة، والفنون ، والكثير من الأعراف ، والعادات ، والتقاليد ، وحتى في دقائق الأمور العامة والخاصة . وهذا الانفتاح سلاح ذو حدين ، ففيه الفوائد الكثيرة ، ويتخلله أضرار كثيرة أيضاً ٠ وأقول إن على المجتمع ، ثم الأسرة ، ثم الفرد أن يتيقظ لهذه التحولات الاجتماعية المحلية ، والإقليمية ، والعالمية ، فلا يكون سلبياً فيعيش في عزلة عمن حوله ، ولا يكون مندفعاً فيأخذ من كل غث وسمين ، وإنما يتذكر أن الدين الذي تؤمن به البلاد وأهلها هو دين التوحيد ، الدين الإسلامي الوسطي، فلا إفراط ولا تفريط ، وإنما الاعتدال هو سبيل الفوز والنجاح ، ثم العمل على التطوير الإيجابي في شتى مناحي الحياة ، مع الحرص الشديد على التمسك بالثوابت في ديننا الحنيف . وهذا لا يتم إلا بتضافر جهود جميع مؤسسات وأفراد المجتمع الرسمية والأهلية ، العامة والخاصة. كما يجب التذكر أن هذه البلاد (المملكة العربية السعودية) هي أرض الحرمين ، والواجب أن تكون كذلك ، فتكون متميزة على غيرها من بلدان العالم ، لما اختصها الله به من توحيد العبادة لله، ـ عز وجل ـ ثم تمكينها من حماية الحرمين وخدمتهما ٠ وليست محافظات تنومة ، والنماص، والمجاردة إلا جزء صغير جداً من هذا الكيان العربي الإسلامي العظيم [(٢)] ٠

سرت في رحلتي من حاضرة تنومة إلى مدينة المجاردة ، فكانت العمارة الحديثة المسلحة هي الطاغية والمنتشرة في كل مكان من المدينة إلى القرية إلى البادية إلى سهول تهامة . أبنية عامة وخاصة ، حكومية وأهلية ، تجارية وسكنية ، متعددة في الطوابق والمرافق والمساحات ، متقاربة في التخطيط والتصميم من الداخل والخارج ، مزودة بكل الخدمات

---

(١) أدون هذه السطور ، وهي خلاصة ما عرفته وعاصرته في عموم المملكة العربية السعودية وبخاصة بلاد السراة وتهامة من بداية التسعينيات في القرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). وهذه التنمية والتطور الذي تمر به المملكة يحتاج إلى أن يوثق بالنص والصورة الفوتوغرافية في عشرات الكتب والبحوث العلمية ٠

(٢) يجب على كل فرد في عموم البلاد مسؤولاً صغيراً أو كبيراً ، ذكراً وأنثى ، أن يراقب الله ـ عز وجل ـ في الأقوال والأفعال والنوايا ، وأن يكون على قدر عالٍ من الوطنية والمسؤولية . فبلادنا (المملكة العربية السعودية) محسودة ومحاربة من كل مكان . وإذا لم ندرك ونستشعر نحن أهل البلاد ، ثم نعمل جميعاً على دفع الشرور والأضرار ، مع الحرص الشديد على الالتزام بكل فضيلة والعمل الإيجابي الذي يخدم الدين الإسلامي الوسطي أولاً ، ثم يخدم الأرض والإنسان في كل مكان ، وإلا فقد تتكالب علينا الأعداء ، ونخسر ديننا أولاً، ثم بلادنا وأعراضنا وأرواحنا ٠

(كهربـاء ، ودورات ميـاه ، وأثـاث ورياش متنوعـة) . كما شاهدت إلى جـوار هذا العمران الحديـث أو قريب منه بعض الأبنية السكنية الحجرية التراثية القديمة ، وأغلبها مهجورة ، ومندثرة ، وبعضها في مراكز المحافظات الثلاث مازالت مستخدمة يسكن فيها بعض أهلها ، أو بعض العمال الوافدين من خارج المملكة، والعاملين في حرف ومهن اقتصادية متعددة[١] .

رأيـت الشارع العام من تنومة إلى عمرو الشـام ، ومن خاط إلى قلب المجاردة ، ووسط مـدن النماص ، وتنومة ، والمجـاردة فكانت مليئة بالمطاعم وأمكنـة الأكل والشرب المتفاوتة في مساحاتهـا ، ومعروضاتهـا المتنوعة مـن الطعام والشراب. ودخلـت بعضها واطلعت على قوائمها وما تقدمه لزبائنها من مأكولات نباتية وحيوانية وبحرية . ودخلت ضيفاً إلى منازل بعض السرويين والتهاميين، فهم الآخرون يقدمون في بيوتهم الكثير من الأشربة والأطعمة. وإن ذهبت إلى متاجر بيع الأغذية والمشروبات رأيت مئات الأنواع من المواد الغذائية وجميعها مسـتوردة من داخـل المملكة العربية السعوديـة وخارجها . وتوقفت أيضـاً في بعض الأسواق الشعبية الأسبوعية في محافظتي النماص والمجاردة فوجدت الكثير من الفواكه والخضروات وأحيانـاً الحبوب المزروعة محليـاً . ومعظم العاملين في المطاعم وبعض الأسواق مازالوا غير سعوديين ، وبعض المواقع يعمل فيها شباب سعودي جنباً إلى جنب مع الوافدين[٢] .

وإن تأملـت في ألبسـة النـاس وزينتهـم ، عرفت ذلـك من خلال أسـواق الملابس، ومـن محـلات الخياطة الرجالية والنسائيـة . وزرت بعضاً من هـذه الأسواق والمحلات داخـل مدن تنومة ، والنماص، والمجاردة ، وشاهدت أيضاً ألبسة بعض الرجال والنساء والأطفال في الشـوارع وبعض الأمكنة العامة فوجدت مئات الأشكال والأنواع والموديلات

---

(١) هذه المظاهر العمرانية التي رأيتها ، ووقفت عند أكثرها في محافظات تنومة والنماص والمجاردة في الفترة مـن (٦ــ١١/٢/١٤٤٣هـ) شاهدت مثلها في عموم بـلاد تهامة والسراة . واحياناً تختلف وتتفاوت في مواد البنـاء ، أو طبيعـة الأرض ، أو تأثيرات التضاريس والمنـاخ ، لكن عموم البلاد تعيش نهضة عمرانية حديثة جيدة ، وهي جزء من باقي مناطق وحواضر ومدن وقرى المملكة العربية السعودية . والعمارة القديمة في كل مكان أصابها الخراب والدمار ، وهي جزء من تاريخ وحضارة البلاد في القرون والعقود الماضية . والواجب الحفـاظ عليهـا وصيانتها ، وعلـى الجامعات ومراكز البحـوث العلمية أن تدرس تاريـخ العمران الحديث والقديم وتوثقه نصاً وتصويراً فوتوغرافياً ، وإن فعلت ذلك فهي تحفظ البلاد في الماضي والحاضر .

(٢) هذه خلاصة رحلة محدودة في ستة أيام في نواحي محدودة من بلاد تهامة والسراة ، ولم أفصّل الحديث عن أماكن الطعـام والشـراب التجارية الحديثة ، ولا متاجر بيع الأشربة والأغذية ، ولا طـرق الطهي ، أو المواد المستخدمة ، ولا الأيـدي العاملة في المنـازل الخاصة أو الأماكن العامة . ولم أذكر الأطعمة والأشربة الحديثة ، أو القديمة التي عرفهـا الآبـاء والأجداد ، ولا حياة الناس قديماً وحديثاً في المآكل والمشـارب . وكل هذه المحاور مهمة للدراسة مع مقارنـة الماضي مع الحاضـر . وما يعيشه أهل محافظات تنومـة والمجاردة والنماص يكاد يكـون الوضع نفسه في عمـوم قرى ومدن وحواضر ومناطق ومحافظات بلاد السـراة وتهامة . وإشارتي إلى هذه النقاط باختصار لعلها تكون مفاتيح بحث علمي لكتب أو رسائل علمية في إحدى كليات أو أقسام الجامعات السعودية المحلية .

لألبسة الرأس ، والجسد ، والقدم . وهناك أيضاً الألبسة الداخلية المتنوعة ، ناهيك عن أدوات الزينة فالأسواق مليئة بالعطور ، وأدوات التجميل . وفي المدن الثلاث محلات تجارية عديدة لبيع الذهب ، والألماس ، والأحجار الكريمة[١] .

اللباس السعودي ، الثوب والغترة ، والعقال ، للرجال مازال هو السائد في عموم المحافظات الثلاث ، لكن هناك من السعوديين صغاراً وكباراً من يلبس البنطال والقميص، ويسير ورأسه حاسر .وكذلك النساء يحرصن على لبس العباءة والنقاب في خارج البيت ، لكنهن يلبسن أنواعاً كثيرة من الموديلات الحديثة داخل المنازل . والذاهب إلى أسواق الملابس يشاهد مئات الأنواع المستوردة من الألبسة وأدوات الزينة وأغلبها خاصة بالنساء والأطفال ، وبعضها من ألبسة الرجال والشباب[٢] . ومازال بعض كبيرات وكبار السن من النساء والرجال ، وهم قليل ، يلبسون بعض الألبسة القديمة للرأس والجسد الخارجي[٣] .

وإذا راقبت حياة الناس الاجتماعية العامة ، وأحياناً الخاصة مثل صلات الأفراد أو الأسر أو القرى أو الأحياء مع بعضها وجدتهم يعيشون في تداخل سلمي كبير عن طريق الزمالة في الأعمال العامة والخاصة ، أو السكن في القرى أو الأحياء ، وينتج عن ذلك تعارفات ومساعدات ولقاءات في المساجد أثناء أداء الصلوات ، أو في الأعياد ، والاحتفالات الاجتماعية المتنوعة . وإذا قارنت أوضاع الناس اليوم مع الأوائل وجدتهم الآن أكثر اتصالاً وانفتاحاً على بعضهم . أما في السابق فكانت معظم العلاقات والصلات محصورة على أبناء القرية أو العشيرة الواحدة . **والسبب في هذا التوسع الحديث يعود إلى عدة أسباب ، أهمها :**

١. توفر الأمن والاستقرار الاجتماعي والإداري والسياسي في البلاد . وانعكس ذلك إيجاباً على حياة الفرد والجماعة. وفقدان الأمن والخوف قديماً كان عائقاً في تداخل أفراد المجتمع وتقاربهم .

---

(١) تاريخ اللباس والزينة في العصر الحديث في أي منطقة أو محافظة أو مدينة من مدن المملكة العربية السعودية ، أو في بلاد السراة وتهامة موضوع جديد ، لم يدرس حسب علمي ، في أعمال علمية رصينة وموثقة . آمل أن نرى باحثين يهتمون بهذا الميدان التاريخي الحضاري المهم .

(٢) لم أسهب في الحديث عن أنواع الألبسة الحديثة وأدوات الزينة التي سمعت عنها وشاهدتها في هذه المحافظات الثلاث (المجاردة ، وتنومة، والنماص) ، مع أن وضع المناخ يؤثر في نوعية الألبسة المستخدمة في كل فصل من فصول السنة . فالبسة أهل المجاردة في فصل الشتاء، ليست الملابس نفسها عند أهل تنومة والنماص، فالأوائل يلبسون ألبسة خفيفة، لها أشكال وأسماء مختلفة عن ألبسة أهل السراة المتينة والثقيلة التي تساعد على التدفئة ومحاربة البرد . كما أن كل لباس ، أو مناسبة اجتماعية ، أو جزء في الجسد له لباس معين يختلف في الشكل والتفصيل .

(٣) لم أتحدث عن الألبسة القديمة التي عرفها أهل البلاد في ماضي الأيام ، لكن كبار السن مازالوا يعرفونها وبعضهم يمتلكها ويلبسها . كما أن الأسواق الشعبية والمتاحف التاريخية في عموم بلاد السراة وتهامة تحتوي على نماذج من أدوات الزينة وألبسة الأوائل .

٢. توفـر المال والخير عند الناس ، وتحسن أوضاعهـم الاقتصادية ، ثم حرص الدولة علـى نشـر الوعـي والتعليم والثقافة بـين السـكان كان لذلك آثار جيـدة في توحيد الأرض والناس تحـت راية ونظام واحـد ، دستوره الكتاب والسنـة ، وهذا ما جعل أجزاء المملكة العربية السعودية تتحد وتحتكم لدستور وقانون واحد ٠

٣. إنشاء المؤسسات الحكومية الرسمية التي تحث على الوحدة وجمع الكلمة ، ومعالجة مشاكل المجتمع بطرق شرعية ورسمية . وأي مجتمع يظهر فيه عوائق وسلبيات، لكن الوعي والوحدة وتوفر الإدارات الرسمية ساعدت في حل معظم المشاكل ، ومساعدة الناس على الحياة بطريقة حضارية متمدنة وآمنة .

والذاهـب في الأماكـن العامـة ، أو إلى بعض الإدارات الشرعيـة ، والأمنيـة ، والإعلاميـة ، والاجتماعية وغيرها يشاهد أو يسمع بعض الأحداث السلبية نتيجة اتساع رقعة الحضارة والتمدن وانفتاح البلاد بعضها على بعض داخلياً وخارجياً . وهذه الأمور تقـع لا محالـة ، فمـن يستقرئ حضارة الأمم مـن قديم الزمان حتى اليـوم يجد أن أي تطـور أو توسع حضاري ينتج عنه آثـار إيجابية وأخرى سلبية . لكن الأفراد والمجتمعات الواعية، وبخاصة الإسلامية المؤمنة الصادقة ، تستطيع أن تتكيف مع كل حديث وجديد مـع الحرص على عدم المساومة أو التنازل عن الثوابت ، ومعظمها موثقة في كتاب الله ، عز وجل ، وسنة الرسول الكريم محمد بن عبدالله (عليه أفضل الصلام والسلام) ٠

ونسمـع ونقـرأ عند الأوائـل ارتفاع نسبـة التعـاون ، والتكافل والترابـط والتآخي ، ومساعـدة الضعفاء والفقـراء والمحتاجين ، ونصرة المظلوم وغيرهـا من القيم الجميلة التـي حـث عليها الإسلام ، ومارسهـا الآباء في محافظات المجـاردة، وتنومة ، والنماص وغيرهـا من بلدان السراة وتهامـة . وأقول إن الكثير من هذه العـادات الجميلة مازالت موجـودة ، ويمارسهـا الكثير مع زملائهـم وإخوانهم وجيرانهم وعشائرهـم وقبائلهم ، لكـن اتسـاع رقعة البلاد تنموياً وحضاريـاً جعلت الكثير من هذه الأعـراف تتراجع ، ولا يدركهـا الإنسان ، كمـا كانت عند السابقـين ، وربما ذلك قصـور في مؤسسات الإعلام والتعليـم والمجتمع فلا تنقل هذه القيـم الجيدة إلى أجيال اليوم من الذكور والإناث ، ثم إن التقنية بجميع وسائلها أثرت كثيراً في جلب عادات وأعراف حديثة ومستوردة ، فصار جيل الشباب (ذكوراً وإناثاً) يعيش حياة فضائية افتراضية مع هذا الغزو الثقافي الكبير الذي يحمل في طياته الكثير من السلبيات والقيم التي تحارب كل قديم وأصيل[1] ٠

---

(١) غـزو بـلاد العرب والمسلمين ليس حديث الساعة وإنما بدأ مع كل الأديان السماوية ، وبخاصة دين الإسلام الـذي ظهـر في جزيرة العرب قبـل أكثر من خمسـة عشر قرناً ، ومـازال مستمراً حتـى الآن . ونجد كتب

وفي رحلتي الأخيرة في بعض محافظات منطقة عسير التهامية والسروية سألت وشاهدت بعض التحولات التي جرت على عادات الزواج ، والأعياد ، والمآتم وغيرها ، فوجدتها مازالت سارية بين الناس ، ومازال هناك أعراف ووثائق مدونة بين أفراد بعض القرى أو القبائل في سروات وتهامة قبائل بني شهر وبني عمرو ، وفيها شرح بعض البنود والخطوات المتبعة مع كل عادة اجتماعية[١]. لكنه حصل بعض المبالغات في إنفاق الأموال والأطعمة في عادة الزواج ، وجرى محاربة بعض العادات السلبية في عادة العزاء والمآتم . أما الأعياد فلم تعد بتلك النكهة والطعم الذي كان يعيشه الأوائل ، وإنما تراجعت بعض العادات الجميلة التي كانت تمارس في مناسبة عيدي الفطر والأضحى، واستبدلت ببعض السلوكيات والعادات التي أفقدت جمال ومتعة أيام العيد قديماً[٢]. كما ظهر عادات جديدة على مستوى الأفراد والأسر ، أو النساء والرجال ، وهي ليست من عادات أهل البلاد ، وإنما جاءت من أماكن داخلية وخارجية[٣].

عند أهل المجاردة ، وتنومة ، والنماص ألعاب شعبية قديمة وجميلة مثل: (١) لعرضة. (٢) المدقال . (٣) لعب الدمة . (٤) اللعب الشهري . (٥) الربخة . (٦) الخطوة . (٧) الردّشة . (٨) الطَرّقَ ، وغيرها[٤]. كل هذه الفنون من التراث الحضاري المحلي الذي عرفته بلدان عديدة في السراة وتهامة . وكانت إلى قبل عقدين من الزمان

التاريخ توثق آلاف الصفحات عن أعداء الدين الإسلامي ، وما فعلوا وجربوا في حرب المسلمين وأوطانهم بكل الوسائل والسبل . وما يفعلون اليوم من تسخير التقنية و (النت) ليس إلا مرحلة من مراحل الصراع الثقافي والفكري بين المسلمين وغيرهم . والواجب على كل دول العرب والإسلام أن تعمل جاهدة على الاستفادة من كل ما تحمله التقنية من علوم وإيجابيات، وتحارب كل ما يأتي من خلالها بالعلم والوعي والعمل الجاد لخدمة الإسلام وأتباعه في كل مكان.

(١) البعض من هذه الوثائق والاتفاقات قديمة في تواريخها ، لكنه تم تجديدها ، وحذف من القديم بعض البنود ، وأضيف نقاط جديدة تواكب العصر الحديث . يوجد لدى الباحث مئات الوثائق القديمة والحديثة التي توضح كيفية التعامل والتوافق بين أفراد القبيلة أو العشيرة الواحدة على ممارسة بعض عاداتها مثل الزواج ، والأعياد ، وغير ذلك .

(٢) العيد قديماً كان يبدأ بالفرحة والسرور من قبل شروق يوم العيد ، ويستمر الناس في فرح وسرور طول الأيام الثلاثة . أما العيد اليوم فالكثير من الناس ينامون الصباح ، وفي آخر النهار يلتقون في منازلهم أو استراحات ، وكأنهم يعيشون أيامهم العادية ، وليست أيام عيد مبارك

(٣) من هذه العادات الدخيلة تجمع النساء في الاستراحات ، أو بعض الديوانيات . وتبادل الهدايا في مناسبات اجتماعية دخيلة مثل عيد الميلاد ، أو رأس السنة الميلادية ، أو مناسبة طلاق وغير ذلك . وأقول أنه من الصعب حصر كل العادات الدخيلة علينا في طعامنا وشرابنا، وألبستنا ، وإقامة ولائمنا ، وأسفارنا ، وإقامتنا . وهذا الموضوع جدير بالدراسة والتوثيق ، ثم الخروج بالنتائج والتوصيات التي تعالج هذه المشكلات الاجتماعية الحديثة .

(٤) هذه الفنون لها طقوس ، وحركات تعارف عليها من يمارسها ، وهي من ألعاب الرجال ، ويتزامن معها ضرب الطبول ، وقول الأشعار وبعض الفنون الأدبية الشعبية ، ولها شعراء موهوبون ومتدربون على قرض قصائدهم وأشعارهم التي تشجع اللاعبين على الاستمرار في ممارستها .

تمارس على نطاق واسع في معظم الزواجـات ، واستقبال الضيوف ، والأعياد وغيرها ، ثم بدأت تتراجع ، ويخف وهجها ، وحل محلها ألعاب وفنون دخيلة جاءت من مدن أخرى في شبـه الجزيرة العربية ، وأخرى وفدت من بلـدان عربية وغير عربية [١] . كما أصبح الشعراء الذين يظهرون في هذا الألعاب دون المستوى الذي كان عليه الشعراء الأوائل، لا في ثقافتهم ، أو إتقانهم فنون الأداء والأشعار التي تتزامن مع كل فن أو لعبة [٢] .

التقيـت ببعض كبـار السنِ وبعضٍ الشعراء القدمـاء في محافظتي النماص وتنومة وسألتهم عن هذه الفنون قديماً وحديثاً ، فكانوا جميعهم يتشوفون ويحنون لأيام الماضي، ومـا تخللها من مناسبـات اجتماعية شارك فيها الكثير من الأوائـل بفنونهم الشعبية ، وأشعارهـم النبطيـة . بل بعضهم أطلعوني على فيديوهـات مصورة عن بعض اللقاءات الاجتماعيـة التي عقدت في مطلع هـذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) ، ومارس فيها الكثير من رجال البلاد ألعاب العرضة ، والدمة ، والخطوة ، واللعب الشهري [٣] .

وللنسـاء والأطفـال قديماً فنون اجتماعية لهـا ذوق ومتعة جميلة ، لكنهـا تلاشت ، وحل محلها أيضاً موسيقى وفنون غنائية دخيلة ، لا صلة لها بتراثنا وثقافتنا المحلية . وصار الشباب والشابات والنساء أيضا يجهلون موروث الآباء والأجداد ، ويعيشون مع فنون عربية وأجنبية [٤] .

٢ـ لمحات من التاريخ الإداري ، والثقافي والتعليمي :

تتوفـر في المحافظـات الثـلاث مؤسسـات إداريـة رسمية تشـرف على حـراك الناس واستمراريـة عيشهـم . ومحافظـة النماص أقـدم المحافظات التي بـدأت فيهـا الإدارات الحكومية، يليها المجاردة ، ثم تنومة .ومن خلال السير في أرجاء هذه النواحي الثلاث وجدت

(١) دخـل مع هذه الفنـون الدخيلة أنواع من الموسيقي العربية والغربية ، وبعضـ الألعاب والحركات التي يغلب عليها الهزال والسطحية في الأداء، وفي الغناء والشعر الذي يصاحبها . بل بعض الفنون تجلب في أسطوانة مسجلـة ، كمـا استخدمت التقنية في جلب بعض الفنون والألعاب الجديدة علـى أهلنا ومجتمعاتنا العربية السعودية ، أو السروية والتهامية .

(٢) عرفـت بعضـ الشعراء الأوائل منذ تسعينيـات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) وقرأت وسمعـت عن شعراء قبل ذلك فكانـوا قامـات شامخة في أشعارهم وحكمهـم وأقوالهم . وهذه الفنون والشعـراء الشعبيين في بلاد تهامة والسراة خلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م) يستحقون أن يوثق تاريخهم وفنونهم الشعبية .

(٣) هنـاك بعض الأشرطة، والفيديوهـات القديمة التي تحتوي على مادة علمية عـن بعض الفنون الشعبية في عمـوم السـراة وتهامة من عام (١٣٨٠هـــ١٤٢٠هـ/ ١٩٦٠ـ٢٠٠٠م) حبـذا أن تجمع وتفرع ثم تدرس في هيئة كتب ورسائل علمية .

(٤) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يقوم بإجراء دراسة علمية مقارنة بين الألعاب والفنون الشعبية الحديثة والقديمة في منطقـة عسـير ، أو عموم السراة وتهامة ، مع دعم الدراسـة بالصور الفوتوغرافية ، ثم الخروج بنتائج وتوصيات تصب في دعم وتشجيع الفن والأدب الشعبي المحلي .

المجاردة والنماص تتقاربان في عدد مؤسساتها الإدارية الرسمية والأهلية ، مع أن النماص تزيد قليلاً في العدد داخل المدينة ، إلا أن محافظة المجاردة يتبعها خمسة مراكز إدارية (عبس ، وختبة، وخاط ، وثربان ، وأحد ثربان) ، ويتبع النماص ثلاثة مراكز فقط (بنوعمر ، والسرح ، ووادي زيد) . والمحافظتان ليستا متباعدتين كثيراً في المساحة الجغرافية ، وإعداد السكان . أما محافظة تنومة فهي أقل من المحافظتين السابقتين من حيث عدد مراكزها ، فلا يتبعها إلا مركز واحد في منصبه ، وكذلك مساحتها الجغرافية وعدد سكانها[١].

من خلال ترددي على المحافظات الثلاث منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى الآن (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م) ، كانت المؤسسات الإدارية قديما متواضعة في مقراتها ، وعدد موظفيها ، وإمكاناتها . بل إن الكثير من الإدارات الحكومية والأهلية كانت تحوي موظفين غير سعوديين ، وأكثرهم من دول عربية من مصر والشام وأحياناً السودان وشمال إفريقيا. ومع نمو البلاد وتطورها خلال الثلاثة عقود الماضية (١٤١٠ـ ١٤٤٣هـ/ ١٩٩٠ـ٢٠٢١م) زادت مقرات الإدارات وتوسعت ، وصارت جميعها اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) في أبنية (حكومية أو مستأجرة) مسلحة ، يتبعها العديد من المرافق ، كالمستودعات ، ومواقف السيارات، وغرف للحراسة وغيرها[٢]. والموظفون والكوادر البشرية العاملة حالياً في المؤسسات والإدارات الحكومية والأهلي جميعهم سعوديون وسعوديات[٣] ، ونادراً ما ترى عاملين غير سعوديين في مؤسسات المحافظات الثلاث ، اللهم إلا بعض العمال التابعين لبعض المؤسسات والشركات الخاصة ، الذين يقومون بعمليات الغسيل أو التنظيف للمكاتب والمقرات ومرافقها[٤].

---

(١) تشير الوثائق والمصادر إلى أن بلدة النماص كانت المقر الإداري الرئيسي لعموم بلاد بني شهر وبني عمرو (تهامة وسراة) منذ بداية القرن (١٣هـ/١٩م) ، واستمرت حتى أنشئت فيها مؤسسات إدارية حديثة في بداية الخمسينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ثم تزايدت الإدارات الحكومية فيها خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي والعقود الماضية من هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ ٢١م) . كما بدأت المؤسسات الإدارية الحديثة في المجاردة منذ الستينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وفي تنومة من الثمانينيات في القرن نفسه . واليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) نجد المحافظات الثلاث (تنومة ، والنماص ، والمجاردة) تشتمل على الكثير من المؤسسات الإدارية الرسمية والأهلية.

(٢) مشاهدات الباحث ومعاصرته للتاريخ الإداري والتنموي في منطقة عسير وما جاورها من عام (١٣٩٠ـ ١٤٤٣هـ / ١٩٩٠ـ ٢٠٢١م).

(٣) منذ أربع سنوات تقريباً منحت المرأة السعودية فرصا أوسع وأكثر للعمل في قطاعات حكومية وأهلية متعددة. ونشاهد زيادة أعدادهن في الكثير من الوزارات والإدارات بالمدن والحواضر الكبيرة ، وأصبحن يعملن أيضاً في مؤسسات المحافظات والمراكز ، لكن أعدادهن مازالت أقل . وقد شاهدت عددا من الموظفات السعوديات في إدارات عديدة (حكومية وأهلية) في المحافظات الثلاث (النماص ، والمجاردة ، وتنومة) .

(٤) الناظر في الطاقة البشرية للإدارات الرسمية والأهلية خلال العقدين الأولين من هذا القرن (١٤٠٠ـ ١٤٢٠هـ/١٩٨٠ـ ٢٠٠٠م) يشاهد موظفين كثيرين غير سعوديين في مؤسسات التعليم العام ، والإدارات الخدمية الأخرى كالبلدية ، والطرق ، والبريد والاتصالات، والكهرباء وغيرها . واليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) جميع هذه

منــذ بدايــة التعليــم الحديــث في بلــدة النمــاص في نهايــة الخمسينيــات مــن القرن (١٤هــ/٢٠م) ، بدأت عجلة الثقافة والتعليم الحديث يسير في البلاد ، وفي العقود الثمانية الماضية (١٣٦٠ـ١٤٤٣هـ/١٩٤٠ـ٢٠٢١م) انتشر التعليم العام ثم العالي في هذه المحافظات الثلاث (النماص ، وتنومة، والمجاردة) حتى صار في كل ناحية ، وقرية، وبيت[١]٠

(*) وأثنــاء جولتــي في هــذه المحافظات خرجــت ببعض الخلاصــات التي تدور في فلك الحياة العلمية والتعليمية والثقافية ، وهي على النحو الآتي :

١- يوجــد في مدينــة النمــاص إدارة تعليم تشــرف على عشــرات المدارس للبنــات والبنين في محافظتــي تنومــة والنمــاص ، يدرس فيهــا آلاف الطالبــات والطلاب ، ويعمــل في الإدارة والمدارس أيضا آلاف المعلمات والمعلمين والموظفات والموظفين . وجميع مقرات التعليم في هذه البلاد أبنية حكومية تتفاوت في مساحاتها ، وطوابقها ، ومرافقها الداخلية والخارجية[٢]٠

٢- كان للمعلمين والمعلمات الأوائل ، وأكثرهم من المتعاقدين ، فضل كبير في نشر التعليم العــام رأسياً وأفقياً، من خلال نشاطاتهم الصفية واللاصفية . وأذكر بعض الرواد والقيــادات التربوية في أداء رسالتها التعليمية ، فتراهم في عمل دائم مع طالباتهم وطلابهم توجيها ، وتثقيفاً ، وتعليماً ، وتدريباً ، ومن ثم أثمرت تلك الجهود في بناء أجيال متعلمة ترقت في سلّم الحياة (وظيفياً ، وتعليمياً ، وثقافياً ، وتنويراً) [٣]٠

المؤسســات ، وكذلك المؤسسات التجارية والاقتصادية صارت تــدار بأيد سعودية (نساءً ورجالاً) ، ما عدا بعض المراكز الصحية ، ومؤسسات التعليم العالي ، وأيضاً شركة الكهرباء مازال فيها موظفين كثيرين من أجناس عربية وغير عربية . المصدر : مشاهدات الباحث أثناء رحلته في تنومة والنماص والمجاردة من (٦ـ١١/٢/١٤٤٣هـ) ٠

(١) تاريــخ التعليم العــام والعالي ، والحياة الثقافية والعلمية في هذه المحافظــات الثلاث (تنومة ، والنماص ، والمجاردة) أو في منطقة عسير (سراة وتهامة) موضوع جديد ومهم يستحق أن يدرس ويوثق في عشرات البحوث من أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢٠م)٠

(٢) عاصرت التعليم العام في بلدة النماص منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، واستمررتُ أشاهد الحراك والتطور الثقافي والتعليمي في عموم منطقة عسير ، فكانت المدارس قديما مشغولة بالمعلمات والمعلمين الوافدين من بلدان عربيــة ، وأحيانــاً أجنبية لتدريــس اللغة الإنجليزية ، واستمــرت المعاهد والكليات والجامعــات السعودية تخرج عشرات المدرسين والمدرسات الوطنيين ، ولم نصل نهاية العشرينيات من القرن (١٥هـ/٢١م) إلا ومعظم الهيئة التدريسيــة (معلمــين ومعلمات) من السعوديــين والسعوديات . واليوم (١٤٤٣هــ/٢٠٢١م) جميعهم من أبناء وبنات الوطن (المملكة العربية السعودية) . ومقرات التعليم العام المستأجرة ، والمعلمين والمعلمات المتعاقدين في محافظات النماص ، وتنومة ، والمجاردة من (١٣٦٠ـ ١٤٢٥هـ/١٩٤٠ـ ٢٠٠٤م) من العناوين الجديدة في بابها، وهي جديرة أن تدرس دراسة علمية توثيقية في هيئة كتاب أو رسالة علمية لدرجة الدكتوراه ٠

(٣) أوثــق هــذه الأقــوال والانطباعات من خلال ما عرفتــه وشاهدته في ربوع المحافظات الثــلاث ، أو عموم بلاد تهامة والسراة من العقدين الأخيرين في القرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . ومما سمعت، وكتبــت ، وشاهــدت وأنــا أتنقل في أرجاء منطقــة (نجران ، وعســير ، وجازان ، والباحــة) فهناك رائدات ورواد للتعليــم مــن سكان هذه الأوطان أفنوا حياتهم في تعليم أبناء وبنات هذه البلاد السروية والتهامية منذ

٣- من ثمار التعليم العام إنشاء مؤسسات تعليم عالية ، وبدأت أول هذه المؤسسات بكليات علمية ونظرية في مدينة أبها منذ منتصف التسعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). وتزايدت الكليات (للذكور والإناث) في حاضرة أبها ، ثم امتدت إلى محافظات منطقة عسير، وكان للنماص ، والمجاردة ، وتنومة نصيب من التعليم الجامعي ، وبخاصة للعنصر النسائي ، وفي العشرينيات ثم الثلاثينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢١م) كان لجامعة الملك خالد الدور الريادي في التأسيس ، ثم التخطيط والهيكلة للكليات الجامعية الموجودة في المحافظات الثلاث (النماص، وتنومة ، والمجاردة) ، وجاءت جامعة بيشة فواصلت مسيرة جامعة الملك خالد مع مؤسسات التعليم العالي في النماص ، وبقيت كليات محافظتي تنومة والمجاردة تتبع جامعة الملك خالد أكاديمياً وإدارياً ومالياً[١] ٠

٤- أثناء رحلتي في المحافظات الثلاث من (٦-١٤٤٣/٢/١١هـ)زرت إدارة التعليم في النماص، ومكتبي التعليم في تنومة والمجاردة. كما زرت كليات العلوم والآداب في النماص ، وتنومة ، والمجاردة فوجدت العمل العلمي والتعليمي فيها قائماً، وتأكد لي ، كما أشرت سابقاً ، أن المواطنة والمواطن السعودي هم من يشرفون بنسبة (١٠٠٪) على التعليم العام . أما التعليم الجامعي فالقيادات في الكليات وبعض عضوات وأعضاء هيئة التدريس من السعوديات والسعوديين ، ومنهم من يحمل درجة الدكتوراه ، وآخرون بالماجستير . لكن مازال هناك نسب كبيرة في أعضاء هيئة التدريس من المتقاعدات والمتقاعدين [٢] ٠ أما مقرات التعليم العالي فهناك أبنية من أملاك الجامعة في محافظة تنومة[٣] ، وفي النماص أبنية حكومية مستأجرة للبنين ،

خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ومن حقهم على طالباتهم وطلابهم ، وكثير منهم اليوم يحملون درجات عالية في التعليم ، أن يوثقوا أعمالهم وجهودهم المباركة في بناء إنسان هذه البلاد تعليمياً وثقافياً وتربوياً . وإن لم يستطيعوا فعل ذلك ، فيروونها لمن يدرسها ويوثقها من الباحثين والمؤرخين الجادين المنصفين ٠

(١) لخصت مسيرة التعليم العالي بشكل مختصر جداً في منطقة عسير ، ابتداءً من أبها ، وامتداداً إلى بعض المحافظات .وهذا الموضوع كبير جداً والواجب أن يدرس في كتب ورسائل علمية عديدة . وقد أخرجت عدداً من البحوث عن تاريخ التعليم العالي في عسير منذ بدايته عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . لكن كل حاضرة ، أو محافظة في المنطقة ، وبداية وتطور جامعتي الملك خالد وبيشة وآثارهما الإيجابية على البلاد تستحق أن تبسط في بحوث عديدة ، آمل أن نرى من أساتذة الجامعتين وبخاصة المؤرخين من يقوم بهذا العمل خدمة لأرض وإنسان هذا الوطن العظيم ٠

(٢) تاريخ التعليم العالي والتقني والمهني (للبنين والبنات) في المحافظات الثلاث موضوع جديد يستحق أن يكون عنواناً لكتاب علمي توثيقي. آمل أن نرى مؤرخاً جاداً يقوم بإنجاز هذا المشروع خدمة للعلم ،والأرض وسكان المحافظات المعنية في هذا المحور ٠

(٣) والفضل يعود لله عز وجل ـ ثم للأستاذ علي بن سليمان الشهري الذي شيد كلية العلوم والآداب للبنين ، ويعد من معالم محافظة تنومة الكبيرة والمميزة ، فجزاه الله خير الجزاء ٠

وحكومية لكليات واقسام البنات . وفي المجاردة مبنى حكومي لكلية البنات فقط[١] .

(*) نتج عن مسيرة التعليم العام ثم العالي في منطقة عسير بشكل عام ، وفي المحافظات الثلاث على وجه الخصوص العديد من الآثار الإيجابية على البلاد وأهلها ، وأذكر أهمها في النقاط الآتية :

أ- انتشار العلم والوعي والثقافة بين الناس ، فلا يخلو بيت في كل محافظة من متعلمات ومتعلمين تعليماً جامعياً ، وأحياناً عالياً . وحملة الماجستير والدكتوراه في المحافظات الثلاث يقدرون اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) بالمئات . أما حملة درجة البكالوريوس والدبلوم العالي فأعدادهم بالآلاف . والمتأمل في شريحة المتعلمين داخل المحافظات يجدهم يقودون مجتمعاتهم إدارياً وحضارياً في شتى الجوانب . وإن بحثنا عنهم في جميع أنحاء البلاد (المملكة العربية السعودية) وجدناهم في كل وزارة ، وإدارة، ومؤسسة حكومية وأهلية ، ومنهم من يعمل في مراكز قيادية عليا (مدنياً وعسكرياً) ، ولا يخلو القطاع الخاص من إسهاماتهم المتنوعة [٢] .

ب- لا تخلو أي محافظة من علماء ومبدعين في مجال تخصصاتهم . وإن بدأنا بالمؤسسات التعليمية والصحية والإدارية في كل محافظة وجدنا أفراداً (نساءً ورجالاً) حازوا على درجات جامعية أو عالية ، ولهم بصماتهم الإيجابية الواضحة في مواقعهم من خلال علومهم ومعارفهم . فهناك المتخصصون في مجالات الشريعة واللغة وعلوم إنسانية أخرى. وآخرون في علوم طبية ، وعلمية وتقنية وغيرها . وإذا بحثنا عن بنات وأبناء المحافظات الثلاث (تنومة ، والنماص ، والمجاردة) في مدن ومناطق المملكة العربية السعودية ، وأحياناً في السفارات والقنصليات السعودية الخارجية وجدنا الكثير من الأعلام الذين يشار إليهم بالبنان في تخصصاتهم العلمية ، وفي مساهماتهم وإبداعاتهم الحضارية في خدمة دينهم وأهلهم وبلادهم (المملكة العربية السعودية) [٣] .

---

(١) لا يوجد في محافظة المجاردة كلية للأولاد ، وذلك لقرب فرع جامعة الملك خالد بين محافظتي بارق ومحايل. وأقول إن فرع جامعة الملك خالد في تهامة يستحق أن يوثق في عمل علمي مفصل . المصدر: مشاهدات الباحث في محافظة المجاردة في (١٠-١١/٢/١٤٤٣هـ) .

(٢) إن طبقة المتعلمين التعليم الجامعي والعالي في المحافظات الثلاث موضوع مهم وجديد . حبذا أن نرى باحثاً جاداً وحيادياً منصفاً يقوم بحصرهم إحصائياً ، ثم يوثق سير المنتجين والمؤثرين في بيئاتهم ومجتمعاتهم داخل المحافظة وخارجها . ومن يفعل ذلك فسوف يجد أعلاماً لهم ثقلهم التنموي والحضاري والإبداعي خلال مسيراتهم التعليمية والوظيفة والعملية .

(٣) أتجول في أرجاء بلادي (المملكة العربية السعودية) وأقرأ عن تاريخها وتراثها ورجالها منذ أربعين عاماً. وعرفت وسمعت عن رموز من منطقة عسير ، وتحديداً من النماص وتنومة والمجاردة وهم قامات كبيرة في خدمة بلادهم معرفياً ، وإدارياً ، وحضارياً . كما سمعت أن هناك من يرغب تدوين تراجم أعلام هذه

ج- قرأت وسمعت عن بعض الأطباء ، والمهندسين ، والفنيين ، والإداريين، وأساتذة الجامعات وغيرهم في هذه المحافظات فكان لبعضهم آثار علمية واضحة وكبيرة، فقد حققوا اختراعات وبراءات علمية في تخصصاتهم العلمية الدقيقة ، ومنهم جراحين أو علماء في مجالات هندسية ، أو طبية ، أو تقنية ، ولهم في هذه المجالات آثار معروفة ومنشورة في مراكز بحوث ومجلات علمية عالمية[١] . وهناك أيضاً علماء في علوم نظرية وإنسانية ، ولهم أيضاً إسهامات معرفية مطبوعة ومنشورة . ناهيك عن أعلام مميزين في الأنشطة الأدبية واللغوية والثقافية والإعلامية المختلفة[٢] .

د- تعيش البلاد والعالم عالماً تقنياً في الكثير من مفاصل الحياة . ومن بنات وأبناء المحافظات الثلاث (النماص، والمجاردة، وتنومة) من حقق نجاحات كبيرة في هذا العلم ، بل بعضهم أساتذة في الجامعات أو الوزارات ، أو الشركات الصغيرة والكبيرة ، العامة والخاصة، الداخلية والخارجية وهم حجة ومصادر علمية يستفاد منهم في مجالات فنية وتقنية عديدة [٣] .

٣ـ نبذ من التاريخ الاقتصادي ، والصحي ، والرياضي ، والسياحي :

تعيش محافظات تنومة والنماص والمجاردة حياة اقتصادية متنوعة . فالرعي لم يعد نشطاً كما كان في السابق. والبعض ، وهم قلة ، يربون المواشي ، والأغنام والماعز والأبقار وأحياناً الإبل ، فيضعونها في حظائر ويقومون على خدمتها إعاشة وسقاية وتنظيفاً . ولم أشاهد من يذهب بأغنامه ومواشيه إلى أماكن المراعي في الأودية والجبال والهضاب ، واخبرني بعض الرواة أن بعض الأسر والأفراد يمارسون هذه المهنة ، وغالباً من يقوم على مهنة الرعي أو خدمة الأنعام في الزرائب وأحياناً في المرعى عمالة وافدة

النواحي في العصر الحديث والمعاصر ، أرجو ممن يقوم بهذا العمل أن يضع له معايير علمية ومنصفة وحيادية لبحثه ، وإن فعل ذلك قد يدون عملاً علمياً جيداً .

(١) من يبحث عن هؤلاء الأعلام في الأقسام ، والكليات والجامعات المحلية ، والإقليمية ، والعالمية فسوف يجد البعض منهم يتصدرون غيرهم في تخصصاتهم ومجالاتهم العلمية .

(٢) لا أقول هذا الكلام من فراغ ، لأن من يزور الجامعات السعودية ، والنوادي الأدبية ، والمهرجانات المختلفة ، أو من يحضر العديد من الندوات ، واللقاءات ، والمؤتمرات الداخلية والخارجية فإنه يشاهد بعض الرموز البارعة المتعلمة المنتمية إلى مدن وقرى وقبائل النماص ، وتنومة ، والمجاردة .

(٣) لا أستطيع حصر الآثار الإيجابية للتعليم والتعلم الذي بدأ صغيراً في بعض قرى المحافظات قبل أكثر من ثمانين عاماً ، واليوم أصبحت فوائده المثمرة لا تعد ولا تحصى . وأقول إن على أبناء وبنات هذه المحافظات بل المملكة العربية السعودية أن يردوا الجميل لحكومتهم، وبلادهم ، وأهلهم فيسخروا معارفهم وعلومهم في خدمة أرضهم ، وعمل كل ما يعود بالفوائد الإيجابية لخدمة الدين والوطن .

من مصر ، واليمن ، والهند ، والسودان ، وإثيوبيا وغيرها[١] .

أثناء رحلتي في المحافظات الثلاث رأيت بعض الأفراد الذين يصدرون بعض مواشيهم ، وبخاصة الأغنام والماعز ، إلى الأسواق الأسبوعية . وسألت بعضهم عن أماكنها الرئيسية فقالوا : يتم جلب بعضها من بعض القرى والنواحي الريفية في المحافظات المعنية في هذا القسم ، أو من بعض المناطق المجاورة في السراة وتهامة مثل بلاد شهران من بيشة إلى خميس مشيط ، أو من محافظة القنفذة ، أو بعض المحافظات التهامية في منطقة الباحة[٢] .

مما لفت نظري في بعض الأجزاء الشرقية من محافظتي النماص وتنومة ، وفي حاضرة المجاردة وأريافها انتشار بعض الحيوانات السائبة مثل الكلاب والحمير، والقطط . وشاهدت الكثير من القرود في أمكنة عديدة من سروات وتهائم المحافظات الثلاثة[٣] . وبعض هذه الحيوانات ، كالكلاب كانت قديما تستخدم في حراسة المنازل ومصاحبة الرعاة أثناء رعي مواشيهم . وتسخر الحمير في خدمة الناس فتنقلهم من مكان لآخر ، أو يحمل على ظهورها بعض الأثقال والأغراض[٤] .

---

(١) كانت حرفة الرعي قديماً من الأعمال الرئيسية عند سكان السروات وتهامة . بل البعض منهم ، وبخاصة المناطق الشرقية البدوية ، تعد تربية المواشي ورعيها المهنة الوحيدة التي يمارسونها . بخلاف أهل القرى والحواضر في الأجزاء السروية والتهامية فكانوا يجمعون بين مهنتي الزراعة والرعي . وأفراد وأسر معدودة ومحدودة يمتهنون التجارة أو بعض الصناعات والحرف التقليدية . وقد نشرت العديد من البحوث عن الحياة الاقتصادية في جنوب البلاد السعودية (سراة وتهامة) في عدد من مؤلفاتي وبخاصة (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب (٢٥) مجلداً. انظرها ورقياً في معظم المكتبات المركزية والعامة . وانظرها إلكترونياً على الرابط (Prof-ghithan.com) .

(٢) زرت معظم هذه البلاد ووثقت صفحات من تاريخها خلال القرون الإسلامية المختلفة ، وشاهدت فيها ثروة حيوانية جيدة ، ومنها أعداد كثيرة تصدر إلى العديد من الأسواق المحلية في جنوب البلاد السعودية، وبعض الأفراد والأسر تصدر أغنامها إلى مدن وحواضر أخرى كبيرة في أنحاء المملكة العربية السعودية .

(٣) كانت القرود قديما تعيش في منطقة الأصدار والأماكن الوعرة ، أما اليوم فصارت لا تخاف لا من الآلات ولا الناس ، بل تخالطهم في قراهم وطرقاتهم ، وأحيانا تدخل إلى أطراف المدن الرئيسية في عموم السروات . المصدر: مشاهدات الباحث لهذه الظاهرة في مناطق عسير والباحة والطائف منذ ثلاثين عاما (١٤١٠-١٤٤٣هـ/١٩٩٠-٢٠٢١م) .

(٤) في بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) كانت الكلاب والحمير موجودة بكثرة في كل مكان . ومع تحسن أحوال الناس المالية والاقتصادية ، ثم توفر الآلات كالسيارات ، والدراجات النارية وذهاب أكثر الناس إلى الوظائف الحكومية ، والأعمال الاقتصادية الأخرى ، هجروا مهن الرعي والزراعة وغيرها ، ثم تركوا الحمير وكلاب الرعي والحراسة تهيم على وجوهها في الأرض عندئذ تعرض أغلبها لدعس السيارات، وتسبب بعضها في وفاة الكثير من البشر نتيجة للحوادث المرورية . واستمر هذا الوضع تقريباً إلى منتصف أو نهاية العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، ثم اختفت هذه الظاهرة ، . وأثناء رحلتي الأخيرة في تنومة والنماص والمجاردة من (٦-١١/٢/١٤٤٣هـ) ، شاهدت الظاهرة نفسها تعود مرة ثانية ، لكن بأعداد قليلة مقارنة بالفترة السابقة . وقد أخبرت بعض المسؤولين في إدارات البلديات والمحافظات والمراكز ، أرجو أن ينتبهوا إلى خطورة هذه الحيوانات السائبة على أرواح الناس وممتلكاتهم .

كانت الزراعة هي العمل الأهم والأكثر انتشاراً عند سكان النماص والمجاردة وتنومة . والناظر في هذه الأوطان اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يجد الأراضي الزراعية (العثرية والمسقوية) مازال أكثرها باق ومهجور من الحرث والزراعة ، وبعضها تحولت إلى مخططات ، وأحياء ، وتجمعات سكنّية أو تجارية وصناعية [١] . وكل القطع الزراعية وملحقاتها معروفة بأسمائها وحدودها ومواقعها في كل قرية أو ناحية[٢] . وقد اطلعت على عشرات الصكوك والحجج الشرعية وبعض الأوراق والاتفاقيات القبلية والفردية الموجودة في المحاكم الشرعية ، وعند بعض الأسر والبيوتات المحلية . ومن كتب هذه الوثائق ذكروا أسماء الكثير من الأراضي الزراعية وأصحابها ، وأطوالها ، وكل ما يثبت ملكيتها لأصحابها[٣] .

---

(١) تنقلت في هذه المحافظات الثلاث ، مع أنني أسير في مناكبها منذ خمسين عاماً ، وأعرف أنها كانت أراضي زراعية بامتياز ، لكنها اليوم لم تعد على ذلك الوضع القديم ، فالكثير من العمران الحديث زحف وانتشر على أراض زراعية كثيرة ، وبقي هناك أفرادٍ قلائل يمارسون بعض الزراعات المتنوعة ، والأيدي العاملة الوافدة هي التي تقوم على هذه المهنة حالياً ، أما النسبة الكبرى من البلاد الزراعية فأصبحت غير مخدومة فلا يستفاد منها ، واشتغل أهلها بأعمال حكومية وأهلية متعددة ، بل الكثير من ملاك هذه المزارع هاجروا من قراهم وبلدانهم واستقروا في مدن وحواضر ومناطق أخرى عديدة في المملكة العربية السعودية . وأقول إن تاريخ الزراعة في السابق واللاحق ، وهجر السكان لأراضيهم وقراهم ومزارعهم والكثير من المهن القديمة موضوعات مهمة وجديدة ، حبذا أن تبحث وتوثق في عموم بلاد السراة وتهامة منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) . ومن يقوم بهذا العمل فسوف يجد الكثير من المادة الوثائقية المدونة عند عامة الناس وفي بعض الأراشيف الحكومية المحلية .وأيضاً يسمع ويقابل الكثير من الرواة الذين عاصروا هذه التحولات الحضارية خلال الخمسين عاماً الماضية .

(٢) من يعرف هذه المعلومان هم أصحاب الأرض وجيرانهم في الأرض وفي كل ناحية أو قرية توجد فيها هذه العقارات . والذاهب في أرجال السروات وتهامة اليوم يجد أن كل قطعة معروفة باسم عند صاحبها ، أو الأسرة أو الفخذ الذي يملكها ، ولا يوجد أي أرض أو مزروعة بدون اسمٍ . والناس يتوارثون هذه العقارات، وتنتقل المواريث من السلف إلى الخلف ، والأسماء لا تتغير إلا نادراً، أو لظروف عمرانيةٍ أو تخطيطية تستوجبٍ ذلك . وتاريخ تسمية كل أرض أو قطعة زراعية تستحق أن تدرس تاريخياً وحضارياً ولغوياً وحتى اجتماعياً ونفسياً عند أصحابها من المزارعين وسكان القرى والنواحي المختلفة .

(٣) إن إثبات ملكية الأراضي الزراعية لأصحابها موجودة عند سكان شبه الجزيرة العربية منذ عصور ما قبل الإسلام ، لكن بعد ظهور الإسلام، وإثبات الملكيات العامة والخاصة ، وطريقة المواريث ، وفرض الزكاة على ما تنبت الأرض أو ما يوجد بداخلها من معادن وركاز وغير ذلك زاد الاهتمام بامتلاك الأراضي وخدمتها زراعياً، لما تعود به من فوائد معيشية واقتصادية على الأفراد والمجتمعات . بل إن الإنسان نفسه حرص أن يكون له موطن يستقر فيه، وينتمي إليه ، ويتصل به عقلياً ، وجسدياً ، وفكرياً، وروحياً. والوطن أو أماكن الاستيطان بما فيها الأراضي الزراعية من الأمور التي جاهد واجتهد سكان السروات وتهامة على امتلاكها وخدمتها والذود عنها .

تزامن مع هذه الرحلة التي قمت بها في أجزاء من سروات بني شهر وبني عمرو(١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) تفاعل الناس في هذه النواحي مع القرار الرسمي الذي أصدرته الدولة منذ قرابة عام، وهو وجوب إثبات تملك الأراضي الزراعية وغير الزراعية في أنحاء البلاد (المملكة العربية السعودية) ومنحت جميع المواطنين فرصة عام واحد تنتهي في (٥/٥/١٤٤٣هـ) حتى تثبت كل أسرة، أو فرد أو أفراد ملكيتهم وثائقيا لمزارعهم وما يملكونه من الأراضي بالشراء، أو الوراثة، أو الهبة أو غير ذلك. وهذا القرار الحكومي له جوانب إيجابية كثيرة على مستوى الدولة، والمنطقة، والقبيلة، والأسرة، والفرد، ومن أهمها :

١- الفائدة التنظيمية والاقتصادية والأمنية العامة ذات المدى البعيد . والتقنية ساعدت في ذلك حتى تحصر جميع أراضي البلاد الزراعية وغير الزراعية، ومعرفة أصحابها، والتي ليس لها ملاك، فتصبح من عقارات الدولة [١]. والذاهب في ربوع البلاد يشاهد أراضي شاسعة وكثيرة بعضها زراعية أو سكنية خاصة، وأخرى تجارية أو سياحية أو حكومية أو غير ذلك . والكثير منها مهجورة وغير مستفاد منها في خدمة البلاد والعباد . وبعد فرزها وتحديد مواقعها، وأصحابها، ثم إثبات ملكيتها الخاصة والعامة يصبح الانتفاع بها ميسراً حتى تكون مورداً اقتصادياً مهماً يعود بالفائدة على الأرض والناس، حكومة وأفراداً [٢].

٢- هذا التصرف الحكومي أجبر الناس على الاجتهاد والسباق في عمل كل ما يقدرون عليه، من خلال اللوائح والأنظمة التي أقرتها الدولة، حتى يثبتوا ملكيتهم لأراضيهم، والحصول على الوثائق والإثباتات المطلوبة . ومن لا يستطيع تحقيق ذلك، فقد يفقد أحقيته فيما يسعى إلى إثباته وتملكه . والدولة لا تسعى إلى أخذ حق أحد إطلاقاً،

---

(١) أرى أن هذا القرار من أشجع القرارات وأفضلها على مستوى البلاد (المملكة العربية السعودية) لأنه يحفظ حقوق الناس أولاً، ويمنع الفوضى العقارية التي كانت سارية في كل مكان، فهناك من يملك مئات الآلاف من المترات أو عشرات الكيلومترات، وآخرون لا يملكون متراً واحداً . وأيضاً إيقاف التجاوزات والتعديات على أملاك الغير، أو على الأراضي العامة التي ليست ملكاً لأحد .

(٢) من يدرس الحياة الاقتصادية في العقود الأولى من تأسيس المملكة العربية السعودية يجد أن الحاصلات الزراعية والثروات الحيوانية كانت المصادر الأولى والرئيسية في مساعدة الدولة وتزويدها باحتياجاتها الأساسية أثناء التوحيد وبناء الدولة الحديثة . وكانت بلاد تهامة والسراة من مكة والطائف إلى نجران وجازان أهم البلدان التي وفرت هذه الموارد الاقتصادية الرئيسية والمهمة . وقد اطلعت على آلاف السجلات والوثائق في أراشيف ماليات الجنوب السعودي وهي تؤكد ما أشرت إليه أعلاه . ونشرت أيضاً مئات الوثائق والدراسات التي وثقت الكثير من الأموال التي دخلت صناديق وزارة المالية، وكان معظمها من الثروات الحيوانية والزراعية في جنوب البلاد السعودية. انظر الكثير من هذه الكتب والدراسات المطبوعة ورقيا، وأيضا إلكترونيا على الرابط (Prof-ghithan,com) .

لكنهـا فقط أوجدت قواعد وأنظمة حكومية رسمية مـن أجل حفظ حقوق مواطنيها، وإيقـاف التلاعبـات العقارية التي كانت غـير خالية من الفوضـى والعشوائية . ومن خـلال هذه الأنظمة الجديـدة خدمت النـاس في امتلاك أراضيهـم بوثائق حكومية شرعيـة رسمية ، وأيضـا استفادت في توفـير موارد مالية لخزينـة الدولة من خلال هـذه الخدمـات المقدمة لكل مواطن[١]. ثـم إنها في المستقبل قـد تفرض رسوماً على كل أرض لا يستفـاد منها ، وإنما اسمها فقط أرض زراعية أو سكنية أو تجارية بدون فائـدة . ومن ثم فالواجب علـى كل صاحب أرض أن يخدم أرضـه بالعمل أو الحرفة التـي تناسبها ومن ثم يستفيد منها أولاً ، ويفيـد أيضاً خزينة الدولة بما يؤخذ عليها من زكاة ، أو رسم ، أو ضريبة [٢].

٣- هذه الأيام الستة (٦ـ١١/٥/١٤٤٣هـ) التي قضيتها في محافظات تنومة والنماص والمجـاردة شاهـدت جميع سكان هـذه البلاد يعملـون مثل غيرهم في عمـوم البلاد السعوديـة ، فتراهـم في سعي حثيـث بين المكاتـب الهندسية المعتمـدة ، والبلديات ، والمنصـة المعروفة باسم (إحـكام) التي من خلالها يتم رفـع الأوراق من أجل إثبات تملـك عقاراتهم الزراعيـة والسكينة ، ولم تسلـم المحاكم الشرعيـة وكتابات العدل وغيرهـا من هذا الحراك المجتمعـي والتنظيمي[٣]. ومن العجيب أن بعض الأفراد لم يأتوا إلى قراهم ومساقط رؤوسهم منذ ثلاثين أو أربعين سنة ، وإنما يعيشون في مدن وحواضـر أخرى بالمملكة العربية السعودية ، وبعد صدور هذا القرار ، وإعطاء الناس مهلـة عام واحد ينتهي في (٥/٥/١٤٤٣هـ) تراهم عادوا إلى أوطانهم الرئيسية من أجل استكمال طلباتهم وأوراقهم ورفعها على منصة (إحكام) قبل التاريخ المحدد[٤].

---

(١) قـرأت بعض الأنظمـة واللوائح الخاص بهذا القـرار ، ثم تجولت في ربـوع تهامة والسـراة ، وزرت بعض البلديـات ، والمكاتـب الهندسيـة ، وقابلت بعض المواطنين . فوجـدت أن الواجب على كل مـن لديه أرض زراعية ، أو سكنية ، أو تجارية أو غيرها أن يجتهد في الحصول على وثيقة تثبت ملكيته لها . وأوجدت الدولة منصة إلكترونية يتم التقديم من خلالها واعتمد في كل مدينة أو حاضرة مكاتب هندسية تقوم على خدمة المواطنـين . والمواطـن يدفع مبالغ محدودة من خـلال المنصة تودع في خزينة الدولـة. والمكاتب الهندسية تحصل على أجرتها مقابل رفع الأوراق المطلوبة لكل مواطن على المنصة ومتابعتها .

(٢) اعتمـدت الدولـة خلال الثمانين سنة الماضية علـى سلعة البترول، وقد يأتي يوم ينضـب فيه البترول ، ولا يشكل موردا اقتصاديا رئيسيا للبلاد . وبالتالي لابد من إيجاد بدائل ، والمملكة العربية السعودية ، والحمد لله ، عندها من الموارد ما يجعلها دولة اقتصادية وصناعية كبيرة. والزراعة والأراضي الزراعية من أهم المصادر التي يجب الاستفادة منها وتفعيلها في خدمة لبلاد والعباد اقتصاديا . وقد يكون هذا القرار وما سوف يليه من قرارات في قادم الأيام يصب في خدمة هذه المهنة (الزراعة) حتى تعود إلى سالف عهدها المتألق في القرون الماضية .

(٣) زرت بعض هذه المؤسسات الإدارية في المدن الثلاث (النماص، والمجاردة ، وتنومة) فوجدت من أكثر أعمالها خدمة المواطنين الذين يريدون إثبات ملكياتهم لأراضيهم عن طريق المنصة المحدثة من الدولة (إحكام) .

(٤) أثنـاء تنقلـي في أرجاء المحافظـات الثلاث واجهت عشرات الأفـراد ، وأحياناً معهم نسـاء يشتركن معهم

٤- مــن العجائــب أننــي سمعــت وقيــل لي أن البعض من الأفــراد في محافظــة تنومة والنماص والمجاردة عنــد عودتهم من بعض المدن والحواضر في المملكة إلى قراهم وأماكن استيطانهم الأساسية كانوا يجهلون الأماكن الصحيحة والدقيقة لأراضيهم الزراعية، والكثير منهم عانوا في البحث والسؤال عمن يرشدهم إلى كل أرض وقطعة زراعيــة، والأصعب من ذلك معرفة أطوال الحــدود وأسماء الجيران لكل أرض[١]. وقــد التقيت ببعضــ الأشخاص الذين عانوا من هذه المشكلــة ، فقالوا : لقد هجرنا ديارنــا منذ سنوات طويلة ، والأوائل من الآبــاء والأجداد توفاهم الله (عز وجل) ، وهجــرت الأراضــي الزراعية ومهــن الزراعة ، وتقــادم الزمن على هــذه الأملاك العقاريــة ، حتــى إن الأحياء من الأقــارب كالإخــوان ، والأخوات ، وأبنــاء العمومة نســوا الكثير من معالم أراضينا الزراعية التي آلت إلينا بالوراثة ، وبعضهم مازالوا يعيشون في القرى والأوطان الرئيسية ، أو يترددون على زياراتها باستمرار[٢].

ويتضح لي ممــا شاهدته وتأكد لي إيجابية قرار الدولــة بخصوص إلزامية الناس بالعمــل علــى إثبات أملاكهم وأراضيهــم الزراعية والسكنية وغيرهــا ، وبالتالي تعميق ربــط الإنســان السعودي ببلاده وارضه ســواءً كان في موطنــه الأول ومسقط رأسه ، أو في أي مــكان أقــام فيه وامتلك العقــار وبخاصة الأراضي . ثــم إن كل أرض أو ناحية في الوطن إذا أصبحت مثبتة بوثائق رسمية ، وعرف أصحابها فسوف تتراجع الخصومات والصراعات بين الناس، وتشتغل المحاكم الشرعية والمؤسسات الإدارية الأخرى بأعمال تصب في خدمة وتطوير الأرض والإنسان في كل مكان من أرجاء البلاد[٣].

في الإرث الشرعــي، وجميعهــم مشغولــون بجمع كل الشــروط والأوراق المطلوبة لإثبــات حقوقهم الزراعية والسكنيــة ، وأعــرف بعضهــم ، وسألــت آخرين فوجدتهم لم يــزوروا قراهم وأوطانهم ، حســب أقوالهم ، منــذ بدايــة هذا القرن (١٥هــ/٢٠م) ، والذي دفعهم للعودة هو القرار الحكومــي الصادر يوجب امتلاك عقاراتهم بأوراق وثبوتات رسمية .

(١) هــذه الأمور من أهم الشروط التي يجب توفرها في منصة (إحكام) أو في المحاكم الشرعية وكتابة العدل، ولا يمكن استكمال الأوراق والإثباتات إلا بهذه الشروط . ولم يكن الأمر مقصوراً على سكان النماص وتنومة والمجاردة ، وإنما هي مشكلة ظهرت في جميع مناطق المملكة وبلاد السروات وتهامة من أكثر الأوطان التي فيها عقارات زراعية وسكنية وغيرها .

(٢) التقيــت في رحلتــي في المحافظــات الثــلاث في الفترة مــن (٦-١١/٢/١٤٤٣هــ) بأكثر من ثلاثــين فرداً، وأغلبهم قالوا ما أشرت إليه أعلاه، وهناك أشخاص آخرون يعرفون مواقع أملاكهم الزراعية التي ورثوها من آبائهم وأجدادهم ، لكن تطور العمران والتمدن في البلاد غير الكثير من معالم الأرض ، فقابلوا بعض الصعوبات حتى عرفوا أملاكهم التي عملوا على إثبات ملكيتها ورفعها على منصة (إحكام) .

(٣) أرصــد هذه الأقوال لمعرفتي التامة بأن أكثر المشاكل والخصومات بين الناس في عموم بلاد السراة وتهامة تــدور على الأراضي الزراعية والسكنيــة وغيرها من الأملاك العقارية . ومن يطلــع على أراشيف المحاكم الشرعيــة ، والبلديــات ، والشرطة ، والإمارات والمحافظ والمراكز في عموم جنوب المملكة العربية السعودية

والمحافظات الثلاث مليئة بالأعمال الحرفية والصناعية ممثلة في مهن الحدادة ، وخدمات السيارات والآلات والتقنيات بأنواعها ، وكل ما يتعلق بالعمارة والعمران العام والخاص ، والحرف الفردية والجماعية كالبيع والشراء ، وخدمات الأراضي الزراعية والسكنية والتجارية ، وممارسة أعمال الحلاقة، والصياغة ، والصباغة ، والنجارة، وحرف أخرى متنوعة تتصل بالكثير من المجالات الحضارية التعليمية، والصحية، والسياحية، والإدارية، والثقافية، والاجتماعية وغيرها[1] ٠

أما مجال التجارة فهو قطاع مهم وكبير ، ويتصدر أعمال شريحة كبيرة من الناس. وأثناء سيري في أرجاء هذه المحافظات المعنية في هذا القسم ، رأيت مئات الأسواق المتنوعة في معروضاتها ، وأسعارها ، والأيدي العاملة فيها. ومما ساعد على ممارسة الأعمال التجارية بشكل جيد سهولة الطرق الموجودة داخل كل محافظة ، وكذلك الدروب التي تربط كل محافظة مع غيرها ، وقد أشرت إلى بعضها في صفحات سابقة من هذه الدراسة ، وأذكر في الجداول التالية كل محافظة والطرق التي تربطها بما حولها ٠

يتأكد له صحة ما دونته . وأعرف ذلك من خلال زياراتي المتعددة لهذه المؤسسات الإدارية ،، وأيضاً اطلاعي وامتلاكي آلاف الوثائق التي تبين كثرة الخصومات في هذا الجانب . بل إن آثارها السلبية تمتد إلى انتشار القطيعة والبغضاء بين الأقارب والجيران وغيرهم في عموم البلاد ٠

(١) إن الحديث عن الصناعات والحرف التقليدية القديمة والحديثة في بلاد السراة وتهامة موضوع كبير يستحق أن يوثق في عشرات البحوث العلمية .آمل أن يجري على هذا القطاع تطويرات وتنظيمات حكومية رسمية ، وذلك بعد التخطيط والدراسة المستفيضة ، التي تصب في مصلحة البلاد من خلال تفعيل هذا القطاع الحيوي الاقتصادي المهم ٠

جدول رقم (١)

أسماء بعض الطرق ومسافاتها التي تربط بين مدينة تنومة وغيرها من المراكز والمحافظات والمدن في المملكة العربية السعودية .

م	أسماء الطرق بين تنومة وغيرها	مقدار المسافة بالكيلومترات
١ـ	تنومة ـ مركز منصبة	٧١كم
٢ـ	تنومة ـ النماص	٢٥كم
٣ـ	تنومة ـ المجاردة	٦٦كم
٤ـ	تنومة ـ بارق	٤٤كم
٥ـ	تنومة ـ محايل عسير	٨٠كم
٦ـ	تنومة ـ رجال ألمع	١٥٣كم
٧ـ	تنومة ـ أبها	١٢٠كم
٨ـ	تنومة ـ خميس مشيط	١٤٦كم
٩ـ	تنومة ـ نجران	٣٧٠كم
١٠ـ	تنومة ـ جازان	٣١٩كم
١١ـ	تنومة ـ بيشة	٢٠٤كم
١٢ـ	تنومة ـ الباحة	٢١٦كم
١٣ـ	تنومة ـ القنفذة	١٩٢كم
١٤ـ	تنومة ـ الليث	٣٢٥كم
١٥ـ	تنومة ـ الطائف	٤٣٢كم
١٦ـ	تنومة ـ مكة المكرمة	٥٣١كم
١٧ـ	تنومة ـ جدة	٥٣٧كم
١٨ـ	تنومة ـ المدينة المنورة	٨٨٤كم
١٩ـ	تنومة ـ الرياض	٩٠٠ كم
٢٠ـ	تنومة ـ الدمام	١٣١٠كم
٢١ـ	تنومة ـ القصيم	١٠٦٢كم
٢٢ـ	تنومة ـ تبوك	١٤٨٩كم

جدول رقم (٢)

أسماء بعض الطرق ومسافاتها التي تربط بين مدينة النماص وغيرها من المراكز والمحافظات والمدن في المملكة العربية السعودية .

م	أسماء الطرق بين النماص وغيرها	مقدار المسافة بالكيلومترات
١ـ	النماص ـ مركز بني عمرو	٤٢كم
٢ـ	النماص ـ مركز السرح	٣٠كم
٣ـ	النماص ـ مركز وادي زيد	١٧كم
٤ـ	النماص ـ تنومة	٢٥كم
٥ـ	النماص ـ المجاردة	٥٠كم
٦ـ	النماص ـ أبها	١٥٠كم
٧ـ	النماص ـ خميس مشيط	١٦٠كم
٨ ـ	النماص ـ بارق	٧٤كم
٩ـ	النماص ـ محايل عسير	١٠٠كم
١٠ـ	النماص ـ رجال ألمع	١٨٨كم
١١ـ	النماص ـ جازان	٣٥٠كم
١٢ـ	النماص ـ نجران	٤٠٠كم
١٣ـ	النماص ـ بيشة	١٧٩كم
١٤ـ	النماص ـ الباحة	١٩٢كم
١٥ـ	النماص ـ الطائف	٤٠٨كم
١٦ـ	النماص ـ القنفذة	١٧٤كم
١٧ـ	النماص ـ الليث	٣١٨كم
١٨ـ	النماص ـ مكة المكرمة	٤٩١كم
١٩ـ	النماص ـ جدة	٥١٨كم
٢٠ـ	النماص ـ المدينة المنورة	٨٦٠كم
٢١ـ	النماص ـ الرياض	٨٧٦كم
٢٢ـ	النماص ـ الدمام	١٢٨٤كم
٢٣ـ	النماص ـ القصيم	١٠٣٧كم
٢٤ـ	النماص ـ تبوك	١٤٨٢كم

جدول رقم (٣)

أسماء بعض الطرق ومسافاتها التي تربط بين مدينة المجاردة وغيرها من المراكز والمحافظات والمدن في المملكة العربية السعودية .

م	أسماء الطرق بين المجاردة وغيرها	مقدار المسافة بالكيلومترات
١ـ	المجاردة . مركز عبس	٣٣كم
٢ـ	المجاردة ـ مركزختبة	١٦كم
٣ـ	المجاردة ـ مركز خاط	١٨كم
٤ـ	المجاردة ـ مركز ثربان	٢٣كم
٥ـ	المجاردة ـ مركز أحد ثربان	٥٠كم
٦ـ	المجاردة ـ النماص	٥٠كم
٧ـ	المجاردة ـ تنومة	٦٦كم
٨ ـ	المجاردة ـ بارق	٣٣كم
٩ـ	المجاردة ـ محايل عسير	٧٩ كم
١٠ـ	المجاردة ـ رجال ألمع	١٦٧كم
١١ـ	المجاردة ـ أبها	١٧٠كم
١٢ـ	المجاردة ـ خميس مشيط	١٩٢كم
١٣ـ	المجاردة ـ نجران	٤١٣كم
١٤ـ	المجاردة ـ جازان	٣٢٤ كم
١٥ـ	المجاردة ـ بيشة	١٩٥كم
١٦ـ	المجاردة ـ الباحة	١٧٨ كم
١٧ـ	المجاردة ـ الطائف	٣٩٤كم
١٨ـ	المجاردة ـ القنفذة	١٢٥كم
١٩ـ	المجاردة ـ الليث	٢٧٢كم
٢٠ـ	المجاردة ـ مكة المكرمة	٤٦٦كم
٢١ـ	المجاردة ـ جدة	٤٧٢كم
٢٢ـ	المجاردة ـ المدينة المنورة	٨٧٩كم
٢٣ـ	المجاردة ـ الرياض	٨٩١كم
٢٤ـ	المجاردة ـ الدمام	١٣٠٠كم
٢٥ـ	المجاردة ـ الظهران	١٢٩٩كم
٢٦ـ	المجاردة ـ القصيم	١٠٧٣كم
٢٧ـ	المجاردة ـ حائل	١٢٦٩كم
٢٨ـ	المجاردة ـ الجوف	١٧٩١كم
٢٩ـ	المجاردة ـ عرعر	١٨٤٧كم
٣٠ـ	المجاردة ـ تبوك	١٤٣٦كم

وإن توقفت مع بعض التعاملات التجارية فالعملة السعودية العربية الورقية والمعدنية هي المستخدمة في كل مكان[١] ، وهناك بنوك تجارية تملك بعض العملات الأخرى العربية والأجنبية ، وتخدم السعوديين وغير السعوديين في التحويلات المالية والصرافة لمن يبحث عن هذه الخدمات[٢]. أما الأوزان والمكاييل فالطن للمواد الثقيلة كالحديد ، والخرسانة ، والأسمنت وغيرها . والكيلو جرام ، والجرام من الأوزان الأكثر استخداما وانتشاراً في البلاد، ومازال هناك أوزان بالأوقية . وتقاس المسافات بالأمتار والكيلومترات ونادراً يستخدم الميل، مع أنه معروف لدى بعض الوزارات والمؤسسات والمكاتب الهندسية التي تستخدمه أحياناً . والصاع ، والمد بأنواعه ومقاساته يستخدم في كيل الحبوب والمواد الغذائية الأخرى كالأرز والسكر وغيرها [٣].

سألت وسمعت وشاهدت شيئاً من الأسعار والأجور. فالأراضي متوسطة المساحة من (٥٠٠ ــ ١٠٠٠م٢) داخل مدن النماص ، وتنومة، والمجاردة تتراوح أسعار السكنية من (٢٥٠) إلى (٧٠٠) ألف ريال . وهناك أراض لا تزيد أسعارها عن مئة أو مئة وخمسين ألف ريال . أما الأراضي التجارية داخل المدينة وبخاصة الواقعة على الشارع الرئيسي الذي يصل من أبها إلى الطائف عبر مدينتي تنومة والنماص ، أو طريقي بدر والشهداء في المجاردة ، أو الطريق الذي يسير من بارق إلى العرضيات عبر محافظة المجاردة فجميعها غالية ، وغالبا تكون قريبا من المليون ريال، أو تزيد ، وأحياناً تدخل في خانة المليونين والثلاثة إذا كانت المساحات واسعة . أما البيوت السكنية في النواحي الثلاث ، فالبيت داخل الأحياء السكنية المكون من دور أو دورين أو ثلاثة تتراوح أسعاره من (٣٠٠) ألف إلى المليون ريال . وهناك منازل جديدة ، ومواقعها السكنية جيدة ومواد بنائها وديكوراتها من الداخل والخارج مميزة ، فأسعارها عالية ، وغالبا تكون في خانة

---

(١) تاريخ العملة السعودية درست في عدد من الكتب والرسائل العلمية منذ بداية عصر المملكة العربية السعودية حتى وقتنا الحاضر . ومازال هناك جوانب عديدة في هذا الموضوع لم توثق في أعمال علمية ، أرجو من أقسام التاريخ في الجامعات السعودية أن تلتفت لهذا الميدان فيخدم من خلال البحوث والرسائل الجامعية .

(٢) أعيش وأدرس أحوال سكان المناطق الجنوبية السعودية منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وشاهدت وعاصرت التطور الاقتصادي والمالي في هذه النواحي ، حيث كان بسيطا ومتواضعا في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) ثم بدأ يتطور ويتوسع حتى أصبحنا نشاهد اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) الكثير من المؤسسات المالية والبنوك التجارية المنتشرة في كل مكان وجميعها تقدم خدماتها بشكل جيد على المستوى المحلي ، والإقليمي ، والعالمي . حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس ويوثق تاريخ مؤسسة النقد العربي السعودي في منطقة عسير ، والبنوك التجارية منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر .

(٣) إنني فقط أوثق معلومات مختصرة عن بعض الصور الحضارية الاقتصادية التي شاهدتها أثناء رحلتي في محافظات النماص وتنومة والمجاردة، بل رأيتها أيضاً في مدن وحواضر أخرى من البلاد العربية السعودية. وهذه العناصر المذكورة أعلاه تستحق أن تدرس ويكتب عنها كتابات علمية توثيقية منذ تأسيس الدولة السعودية الحديثة حتى وقتنا الحاضر. أرجو من كليات وأقسام وأساتذة الجامعات المحلية أن يلتفتوا إلى هذه المحاور المهمة والجيدة في ميادين التوثيق والبحوث التاريخية .

المليـون وزيادة ، وربما يصل بعضهـا إلى المليونين . والأراضي التجارية والأبنية التجارية أغلـى بكثير مـن السكنية ، فالوقعة على الشـوارع الآنفة الذكر في المـدن الثلاث تتراوح أسعارهـا مـن المليون إلى عدة ملايين حسب مساحة الأرض وعدد الطوابق لكل عمارة. ولا تخلـو المحافظات من استراحات وصالات أفراح ، تتفـاوت أسعارها حسب مواقعها ، ومساحتهـا ، وجودة بنائهـا ٠ والاستراحات أو القاعات الكبيرة غاليـة، أرضاً وعمراناً، وغالباً تكون في خانة المليون ، وبعضها يصل سعرها إلى المليونين والثلاثة ملايين ريال[١] ٠

أمـا أسعـار الطعام والشراب ، فكيلو اللحم من الأغنـام والأبقار والإبل يتراوح من (٥٠ــ ٧٠) ريـالاً . والمطبـوخ يتجاوز المئة ريـال وفي بعض المنـادي والمطاعم يصل إلى (١٦٠ و ١٧٠) ريـالاً٠ والذبيحة من الماعز والأغنام من (١٠٠٠ـ ٢٠٠٠) ريال، والأبقار من (٣٠٠٠ـ ٥٠٠٠) ريال للحسيل أو الثور متوسط الحجم . والإبل من (٤٠٠٠ـ ٨٠٠٠) ريال حسب السن والحجم . ووجبة الدجاج مع الأرز من (٣٥ـ ٤٥) ريالاً والدجاجة النيئة من (١٢ـ١٧) ريال حسب الحجم والنوع . والوجبة في المطاعم للفرد الواحد المكونة من نصـف دجاجـة مع الأرز وقارورة ماء صغيرة ، أو مشروب غـازي تتراوح من (١٤ـ٢٥) ريالاً حسب جودة المطعم ، أما الوجبة من اللحم المندي أو السمك فتكون أغلى ، وغالباً بـين (٤٠ــ ٧٠) ريـالاً . أما صحـن الإدام الصـغير ، أو السلطـة ، أو الخبز ففي خانة الريـالات مـن (٤ـ ١٠) . وكوب الشـاي بريال أو ريالين. هنـاك مقاهي (كوفي شوب) علـى الشوارع تخدم المـارة بالسيارات ، أو من يريد الجلوس ، والمشروب والحلوى للفرد الواحـد يـتراوح سعرها من (١٥ـ ٦٠) ريـالاً ، والفواكه والخضـروات : كيلو الطماطم مـن (٤ـ٨) حسب الندرة أو الوفرة ، وكيلو الفاصوليا ، والكوسة ، والباذنجان ، والفلفل البارد ، والفلفل الحار من (٤ و ٥) ريالات إلى العشرة . أما البامية فالكيلو الجيد منها (١٠ــ ٢٠) ريـالاً حسب القلـة والكثرة . والورقيـات مثل : البصـل الأخضر ، والخس، والجرجـير، والكزبرة ، والنعناع ، والحبق ، والكراث وغيرها الحزمة الصغيرة الواحد وأحيانـاً الثنتـان بريال، وهناك مـن يبيع الثلاث حزم بريالين . أمـا الملوخية فالحزمة قبضة اليد الواحدة من ريالين إلى أربعة ريالات حسب وفرتها في الأسواق[٢] ٠

أمـا الفواكـه فالكيلو من الموز والبرتقال من (٥ ــ ٨) ريـالات . وكيلو العنب، والتفاح (الأخضـر والأحمـر) ، واليوسفـي، والعنـب، والخـوخ ، والمشمش، والبخـارى، والكمثرى

(١) تاريخ أسعار الأراضي والعمارات السكنية والتجارية والسياحية والرياضية في منطقة عسير موضوع جديد لم يدرس ، حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرسه ويوثقه تاريخياً من عام (١٣٩٠ـ ١٤٤٣هـ/ ١٩٧٠ـ ٢٠٢١م) ٠

(٢) كل هـذه الأسعـار في أسواق الخضار ، والمحـلات التجارية الكبـيرة ، وأحياناً تكون هـذه السلع في أسواق صغيرة فتكون أغلى قليلاً .

والليمون، وغيرها تتراوح أسعارها من (١٠ــ٢٠) ريالاً حسب كمياتها، ومواسمها، ووفرتها . والكيلو من الحبحب من ريالين إلى أربعة ريالات. والشمام بين (٥ـ ١٥) ريال حسب الوفرة . وكيلو البلح أو التمر من (١٠ــ ٣٠) ريالاً ، وربما زاد سعر كيلو التمر الجيد والمميز . وإذا توفر الرمان ، والشمام (الخربز) ترخص أسعارها فقد يباع الصندوق الذي يزن عشرة أو عشرين كيلو من الرمان بمئة ريال . وربما أقل من ذلك ، وإذا كان المعروض قليلاً فالأسعار تزيد . ومد الحب من الذرة، أو القمح، أو الشعير، وأحياناً السمسم في تهامة يتراوح من (١٠ــ ٤٠) ريالاً، حسب جودة النوع ، ووفرته، وقيمته الغذائية .

من يزور أسواق الأغذية الكبيرة والصغيرة فإنه يقف أمام عشرات الأشربة والأطعمة، وكلها مستوردة من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها . وأسعارها تتفاوت حسب نوعها، وأوزانها، وأماكن تصديرها . لكنها تتراوح من الريال والريالين إلى عشرات الريالات للمقادير والكميات القليلة والمحدودة . أما الكميات الكبيرة فقد تدخل في خانة المئات[(١)] .

وإن اجتهدنا في توثيق أسعار الألبسة وأدوات الزينة في وقتنا الحاضر فليس الأمر بعيداً عن الأشربة والأطعمة . حيث فاض الخير على الناس ، وامتلأت الأسواق بألاف الأنواع من اللباس وأدوات التزين للرجال والنساء ، الصغار والكبار، الذكور والإناث. وعند تنقلي في مدن المجاردة، والنماص، وتنومة ، ثم زيارتي لبعض أسواق الألبسة الكبيرة يقف الإنسان حائراً على كثرتها ، وجميعها مستوردة من خارج المملكة العربية السعودية وبخاصة من الصين التي أغرقت الأسواق بسلعها وفي مقدمتها الأقمشة والألبسة الداخلية والخارجية، وفئات النساء والأطفال يتصدرون كل سوق في كثرة ملابسهم وأدوات زينتهم . ولا تخلو الأسواق أيضاً من ألبسة وأدوات زينة محلية ، وأماكنها غالباً في الأسواق الشعبية. وهناك ألبسة أخرى خارجية تم استيرادها من بلدان غربية وشرقية غير بلاد الصين[(٢)] .

أما الأجور اليوم فهي مرتفعة جداً مقارنة بالقرن الهجري الماضي أو العقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) . فالمسافر سابقاً من النماص أو المجاردة ، أو تنومة

(١) تاريخ الأشربة والأغذية الحديثة والمعاصرة لا يقارن مع أطعمة وأشربة الأوائل . ففي السابق كان محدوداً ومحلياً . أما اليوم فيصعب على الإنسان حصر ما تمتلئ به الأسواق والمنازل من طعام وشراب معظمها مستورد من أمكنة وبلدان عديدة في العالم . حبذا أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ الأشربة والأطعمة الحديثة والقديمة . في مناطق الباحة ، وعسير، وجازان ، ونجران . والجامعات المحلية وأقسامها الأكاديمية عليها مسؤوليات كبيرة لخدمة أي بحث علمي يصب في مصلحة أرض وإنسان هذه الأوطان .

(٢) إجراء دراسة مقارنة على أدوات الزينة والألبسة الحديثة والقديمة من الموضوعات الحضارية الجديدة التي تصلح أن تكون عناوين لبحوث وكتب ورسائل علمية . وكل ناحية كبيرة في عموم السراة وتهامة تستحق أن تخدم في هذا الجانب ، مع توثيق الأسماء والألفاظ التي تطلق على كل لباس في الماضي والحاضر .

إلى أبهـا ، أو الطائـف، أو مكة، أو حتى الرياض لا تتجاوز أجرة ركوبه في سيارة صغيرة أو كبـيرة الريـالات ، وأحياناً العشرات التـي تصل إلى الأربعـين والخمسين ريالاً لأبعد المسافـات . أمـا الآن فقد تضاعفت هذه الأجور ثلاث وأربـع مرات حسب نوع السيارة ، والمسافة من مكان لآخر . كذلك الآلات والمعدات المستخدمة في خدمة الأرض عمرانياً أو سكنياً ، وزراعياً ، صارت الساعة الواحدة بالعشرات، وبعضها تدخل خانة المئات حسب الزمـن وحجم العمل . أمـا الأيدي العاملة العادية ، فالأجـرة اليومية للفرد تتراوح من (١٥٠ــ ٢٠٠) ريال ، وأحياناً تكون أقل إذا كانت هـذه الأيدي من العمالة السائبة التي لا تعيش في البـلاد بطريقة نظامية[1]. أما الأيدي العاملـة الفنية ، أو المدربة وتتضمن بعض المهن المهمة مثل الكهرباء ، والسباكة ، والبناء ، والدهانات، وعمل ديكور الجبس، وتركيـب الرخام ، وأعمال تقنية ومهنية أخرى عديدة فغالباً تكون أسعارها عالية سواءً كانـت بالمتر، أو اليوم ، أو الاتفاق الشامل المعروف محلياً بـ (القاطوعة). وللأسف إن معظـم الأيـدي العاملة التي تعمل في هـذه المهن معظمها وربما جميعهـا غير سعودية ، ونادراً أن نرى عاملاً وطنياً يخدم في هذه الحرف الاقتصادية المربحة[2].

والحديث عن الرواتب والأجور للنساء والرجال السعوديين والسعوديات . في القطاعين العـام والخاص موضوع مهـم وكبير ، وحسب علمـي لم يدرس حتـى الآن في بحوث علمية موثقـة. مـع أن المادة العلمية لهذا الميـدان متوفرة وبخاصة في الأربعـين أو الخمسين عاماً الماضية (١٣٩٠ـ ١٤٤٣هـ/١٩٧٠ـ ٢٠٢١م) ، أرجو أن نرى من طالباتنا وطلابنا في أقسام التاريخ، والاجتماع ، والجغرافيا ، والاقتصاد من يدرس هذا المجال الحضاري المهم[3].

إن الخدمـات الصحية في محافظات النماص وتنومة والمجاردة جيدة ، فلا تخلو المدن الكبار من مستشفيات ومراكز صحية حكومية . ومستوصفات ومقرات طبية خاصة ، ناهيك عـن الصيدليات المنتشرة في كل حاضـرة وعلى الشوارع الرئيسية التـي تربط المحافظات

---

(١) أتجـول في عموم السـروات وتهامة من بداية هذا القـرن (١٥هـ/٢٠م) ، والعمالـة السائبة موجودة بكثرة ، ومازالـت ، وأغلبهم من الأحباش، والصوماليين ، واليمنيين ، وربما بعض العمال الهاربين من مؤسساتهم أو كفلائهم ، ومنهم عرب وغير عرب من بلدان عديدة في شرق آسيا وغيرها . وموضوع العمالة السائبة (غير النظاميـة) في جنوب البلاد السعودية من مكـة والطائف إلى جازان ونجران من العناوين المهمة التي يجب إجراء دراسات عليها مع الحرص على الحيادية والشفافية في التدوين ثم الخروج بتوصيات ونتائج شفافة.

(٢) أرجـو أن نرى معاهد متخصصـة تعلم وتدعم أبناءنا على هذه المهن ثم تدعمهـم وتشجيعهم حتى يعملوا فيها بشكل جاد وعملي.

(٣) وثقت وطبعت ونشرت عدداً من الدراسات التي تشير إلى بعض الرواتب والأجور للسعوديين من الأربعينيات إلى السبعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) . وإذا أجريت دراسة على رواتب الموظفين اليوم ، ثم مقارنتها مع أجور الموظفين في النصف الثاني من القرن الهجري الماضي، فسوف نجد البون الشاسع والفرق الكبير في مقادير هذه الأجور في الماضي والحاضر. وهذا الموضوع يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية.

الثلاث بغيرها . وإن بحثنا عن الكوادر البشرية الطبية السعودية فلا تخلو مستشفيات ومراكز هذه النواحي من أعداد طيبة[١] . ومن بنات وأبناء سروات بني شهر وبني عمرو عشرات الأطباء والممرضات والممرضين والفنيين الطبيين الذين يعملون في وزارات وجامعات وكليات وقطاعات عديدة في طول البلاد (المملكة العربية السعودية) وعرضها ، ولهم إسهامات وصلات مع قراهم ومدنهم وأهليهم في محافظات تنومة والمجاردة والنماص، ولا يتأخرون في تقديم أي خدمة صحية أو طبية تطلب منهم سواءً كانوا بين أهلهم في المحافظات المذكورة أو في مقرات أعمالهم في أنحاء البلاد السعودية [٢] .

وفي هذا العام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) والعامين المنصرمين (١٤٤١ـ ١٤٤٢هـ/٢٠١٩ـ ٢٠٢١م) مر العالم ، والمملكة العربية السعودية . بجميع مناطقها ، ومدنها ، ومحافظاتها بجائحة عالمية ، هي مرض كورونا (كوفيد١٩) . وقد أشرت في بحوث سابقة إلى لمحات مختصرة عن هذا المرض وآثاره الإيجابية والسلبية على بلدان السراة وتهامة ، وعلى منطقة عسير تحديداً [٣] . وعند زيارتي الأخيرة لمحافظات المجاردة ، والنماص، وتنومة رأيت بعض آثاره مازالت سارية بين الناس. فلبس الكمامات والتباعد في المساجد ، والمجالس ، والمؤسسات الحكومية والأهلية مازال مطبقاً ، والكثير من الناس ملتزم بذلك ، وآخرون مقصرون في بعض الانتباهات والاحترازات الصحية [٤] . وفي هذه الأيام الأولى من شهر بيع الأول (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) وأنا أكتب رحلتي عن محافظات تنومة والنماص والمجاردة أقرأ وأشاهد تراجع الآثار السلبية لفيروس كورونا ، حيث صارت الأعداد المصابة في عموم البلاد (المملكة العربية السعودية) قليلة جداً ، فلا

---

(١) أكتب هذه التوثيقات في شهر صفر عام (١٤٤٣هـ) نتيجة لما شاهدته في المحافظات الثلاث . وهذه الخدمات الطبية المعاصرة تدار من قبل موظفين فنيين وغير فنيين سعوديين وغير سعوديين . وإذا قارنا وضع الحياة الطبية اليوم في عموم بلدان السروات وتهامة ، بما فيها النماص والمجاردة وتنومة ، مع عقود ماضية من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) فليس هناك وجه مقارنة على الإطلاق لتواضع الخدمات الصحية في الماضي ، وتقدمها وتطورها في عصرنا الحاضر. وهذا الموضوع يستحق أن يدرس ويوثق في عدد من البحوث العلمية الرصينة .

(٢) من يقوم بعمل إحصائية عن بنات وأبناء المحافظات الثلاث الذين درسوا وتخصصوا في مجالات صحية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها فسوف يعثر على أعداد كثيرة تدخل في خانة المئات ، وربما تزيد. حبذا أن نرى باحثاً جاداً يقوم بدراسة هذا العنوان في عمل علمي موثق .

(٣) انظر موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ، الأجزاء من (١٩ـ ٢٥) ، ففيها بعض الصفحات التي توثق شيئاً من سلبيات وإيجابيات مرض كورونا من (١٤٤١ـ ١٤٤٣هـ/٢٠١٩ـ ٢٠٢١م) .

(٤) قضية الاحترازات من مرض كورونا موضوع كبير في عموم العالم ، والمملكة العربية السعودية . وقد نشر عن هذا المرض الكثير من البحوث والدراسات العلمية في معظم بلدان العالم . وأرى أنه من الموضوعات التاريخية الحدثة والمعاصرة التي يجب أن تصدر عنه توثيقات مطولة ، وهي من مسؤوليات المؤرخين وأقسام التاريخ ، وعلى جامعاتنا المحلية في جنوب البلاد السعودية أن تدعم طلابها وأساتذتها على إنجاز مثل هذه الأعمال العلمية في إطار حدودها الجغرافية الممتدة من الطائف ومكة إلى جازان ونجران .

تزيـد عن العشرات، ومما يقــال ويعلن في بعض وسائل التواصــل حالياً إن الاحترازات الإلزاميــة مــن كمامات وتباعد سوف تلغى في غضون عشــرة أيام إلى أسبوعين ، أي في نهايــة شهر ربيــع الأول (١٤٤٣هـ) الموافق نهاية شهر أكتوبــر (٢٠٢١م) ، آمل أن تكون هــذه الأخبــار صحيحة ، وإن حدث ذلك ، فهناك إشارة إلى تراجع هذا المرض الخطير (كوفيد ١٩) . ومما قيل إن جميع المراحل التعليمية سوف تستأنف عملها حضورياً وليس عن بعد [١]. أرجو أن يتحقق ذلك ، وأن تكون هذه الأخبار التي يتناقلها الناس صحيحة.

ونشاهد المجال الرياضي مرعياً من الدولة ، فهناك أندية رياضية رسمية في كل محافظة، ولهــا مقرات معروفة ، ومدعومة بميزانيات محددة ، ولها نشاطات رياضية متنوعة ، وأحياناً تقــدم بعض الأنشطــة الثقافية والعلمية والمعرفية والترفيهــي . والقائمون عليها والمستفيدون منها شباب المحافظات (النماص ، وتنومة ، والمجاردة) . وشاهدت أيضاً العديد من الملاعب الرياضيــة التجاريــة التي تدعم أنشطة الشباب ، وأغلبها تخدم لعبة كرة القدم . كما لا تخلو البــلاد من أنشطة حديثة وصلت إليها مؤخراً ، مثل رياضة تسلق الجبال ، وتمتاز المحافظات الثلاث بالكثير من المرتفعات والجبال الصالحة للممارسة هذه الرياضة [٢].

أمــا السياحــة والأمكنــة الترفيهية السياحيــة في عموم المحافظــات الثلاث ، فهي متوفرة وتنوع تضاريس هذه البلاد ، وكثافة غطائها النباتي جعلها من البلدان السياحية الجيــدة بامتياز ، والمؤسسات الرسميــة المحلية ، ووزارة السياحــة اليوم تبذل قصارى جهودهــا لتطوير إنســان وأرض هذه المحافظات ، وهي تستحق ذلك . أرجو أن نراها في قــادم الأيام مــن المناطق السياحية الإقليمية والعالميــة ، لكنها مازالت تحتاج إلى جهود تنموية وتطوير كبير حتى تحقق هذه الدرجة المتقدمة والرفيعة[٣].

---

(١) عانــى النــاس كثيراً من هذه الجائحة الصحية ، وبخاصة قطــاع التعليم العام والعالي ، فقد تحول التعليم إلى نظــام إلكــتروني ، عــن بعــد . وهــو الآن مازال هنــاك مراحــل تعليميــة ، وبخاصة الصفــوف الأولى والابتدائيــة تواصــل تعليمها عــن بعد ، ويذكر أنهم سوف يعــودون إلى مدارسهم (حضوريــا) نهاية شهر أكتوبر (٢٠٢١م) ، آمل أن يتحقق ذلك على أرض الواقع.

(٢) لم أفصل الحديث عن تاريخ الرياضة الحديث والمعاصر في هذه المحافظات الثلاث ، لكنها عرفت الرياضات القديمة والحديثة منذ قرون عديدة . وهذا المجال يستحق أن يدرس دراسة علمية توثيقية في عدد من الكتب والبحوث العلمية ، أرجو أن نرى من يقوم بذلك مع دعم العمل العلمي بالصور الفوتوغرافية الملونة.

(٣) أقــول هــذا القول ، وأدون هذه السطــور في بدايات عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، وأنا علــى أمل ويقين أن هذه المحافظــات الثــلاث وغيرها من مناطق عسيــر ، وربما عموم بلاد السراة وتهامة ســوف تكون من البلدان المشهــورة سياحياً على مستوى العــالم . والدولة حالياً (وفقها الله) أقرت استراتيجية عسير التي من أهم أهدافهــا تسخيــر أرض وموارد وإنسان هذه البــلاد لكل عمل مثمر وإيجابي يخدم عمــوم الوطن (المملكة العربيــة السعوديــة) اقتصاديــا ومعرفيا وثقافيــا . أرجو من القائمــين على هذه الاستراتيجيــة أن يعملوا جاديــن مخلصين لتحقيق هذا الهدف العظيم ، مع الحرص على حفظ هوية هذه الأوطان العربية الماجدة عقيدة ، وثقافة ، وفكراً ، وحضارة ، ومروءة ، وشهامة ، وقيماً ، وتقاليد ، وأعرافاً تصب في خدمة الأرض والناس بكل ما هو هادف ورفيع في مبناه ومعناه (والله من وراء القصد).

رابعاً : خلاصة آراء وتوصيات :

احتوى هذا القسم على مادة علمية في علم الرحلات ، وعلى بلاد سروية تهامية ضمن منطقة عسير (تنومة ، والنماص ، والمجاردة) . الجزء الأول لخمسة رحالة زاروا النماص خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ووثقوا صفحات من تاريخها الحضاري . ثم قمت برحلة حديثة في شهر صفر عام (١٤٤٣هـ) ، وسجلت لمحات من تاريخها التنموي المعاصر. وفي الوقت نفسه أشركت معي أستاذين كريمين ، أحدهما في السراة ، والآخر في تهامة فكتبا لي شيئاً من مشاهداتهما وانطباعاتهما. الأول عن محافظة النماص ، والآخر عن محافظة المجاردة [١] .

إنني أسعى من خلال هذا العمل التوثيقي إلى حفظ شيء من تاريخ وتراث بلادنا الحديث والمعاصر ، ولا أتمنى أن يندثر ويضيع كما ضاع موروث عربي أصيل قديم عن عموم السروات وتهامة ، التي إذا بحثنا في تاريخها السياسي، والعسكري ، والإداري ، وجوانب حضارية أخرى عديدة قبل الإسلام وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة وجزء كبير من العصور الحديثة فإننا لا نجد ما نسعى إلى معرفته والاطلاع عليه ، وذلك لضياعه واندثاره، مع أن هذه الأوطان ذات تاريخ عريق وقديم ، وأكبر مثال على ذلك أن معالمها الطبيعية بما تحتوي عليه من موارد اقتصادية وآثار تاريخية سطحية ومدفونة تؤكد ما أشرنا إليه . ومازال الأمل كبيراً في أن تقوم جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية والثقافية والبحثية بأعمال أكاديمية وحضارية حقيقية يسودها التعاون ، ثم الدعم المعنوي والمادي والتخطيط الجاد لدراسة تاريخ وحضارة الأرض والناس منذ العصور الحجرية حتى وقتنا الحاضر. ولا أنادي وأصر على هذا القول باستمرار في كل أعمالي العلمية المطبوعة والمنشورة ، إلا بعد أن شاهدت ورحلت عقوداً عديدة في ربوع هذه الديار العربية القديمة في عراقتها وتراثها . فوجدتها كنوزاً معرفية متنوعة في شتى الجوانب المعنوية والمادية ، بل إنها ذات موقع جغرافي عظيم يربط بين العديد من الشعوب الأصيلة ، ناهيك عن الطبيعة الجغرافية التي تحيط بها من كل مكان ، فهي الأخرى ذات حضارة قديمة ومتعددة الأعراف والحضارات[٢] .

ووثقت هذه المادة المنشورة في هذا القسم ، راغباً ومتطلعاً أن تشتمل على مفاتيح أولية ليس على محافظات (تنومة ، والنماص ، والمجاردة) ، لكن على جميع الحواضر ، والمدن ، والمحافظات في جنوب البلاد العربية السعودية من جنوب مكة والطائف إلى جازان

---

(١) إنهما الدكتور عبدالله بلقاسم البكري الشهري ، والأستاذ علي بن عبدالرحمن بن سردة الشهري . كانا من العاملين في ميدان التربية والتعليم لعدة عقود . انظر مشاركتهما في صفحات سابقة من هذا القسم .

(٢) البلدان المجاورة لتهامة والسراة من كل الجهات ، حتى البحر الأحمر من الغرب وما يأتي بعده من بلدان إفريقية جميعها ذات تاريخ طويل ، ولها صلات قديمة وقوية مع عموم السراة وتهامة ، وهذا ما نرغب في العثور عليه ، ثم دراسته وتحليله ثم طباعته ونشره .

ونجـران ، فتجد من ينقب ويبحث عن تاريخهـا وحضارتها عبر العصور ، وهذه الأمنيات سـوف تكـون واقعا (بـإذن الله) ، وذلك بهمـة نسائها ورجالها مـن المؤرخين والمؤرخات والآثاريـين ، ثم بدعم وتشجيع هذه الحكومة الرشيـدة (المملكة العربية السعودية) التي لا تدخر جهداً في تطوير الأرض والناس في جميع أجزاء بلادها ومدنها وحواضرها [١] ٠

لا أدعـي الكمـال والشمولية فيمـا تم رصده وتوثيقـه ، لكنني على يقـين أن هناك جديـداً ، ولا يخلـو هذا العمل من الـرؤى التي قد تفتح آفاقاً لمؤرخـين وباحثين حياديين ومنصفـين فيستكملـوا ما لم أستطع عملـه ، أو يصححوا ما وقعت فيـه من أخطاء ، أو غموض ، أو لبس . أو يظهـر في محافظات ، أو بلدان ، أو حواضر أخرى من ينهج نفس المنهج الذي اتبعت ثم يطوره ، ويستحدث طرقاً ومدارس حديثة يدرس من خلالها بعض الأراضي والشعوب في أي ناحية من نواحي شبه الجزيرة العربية أو غيرها [٢] ٠

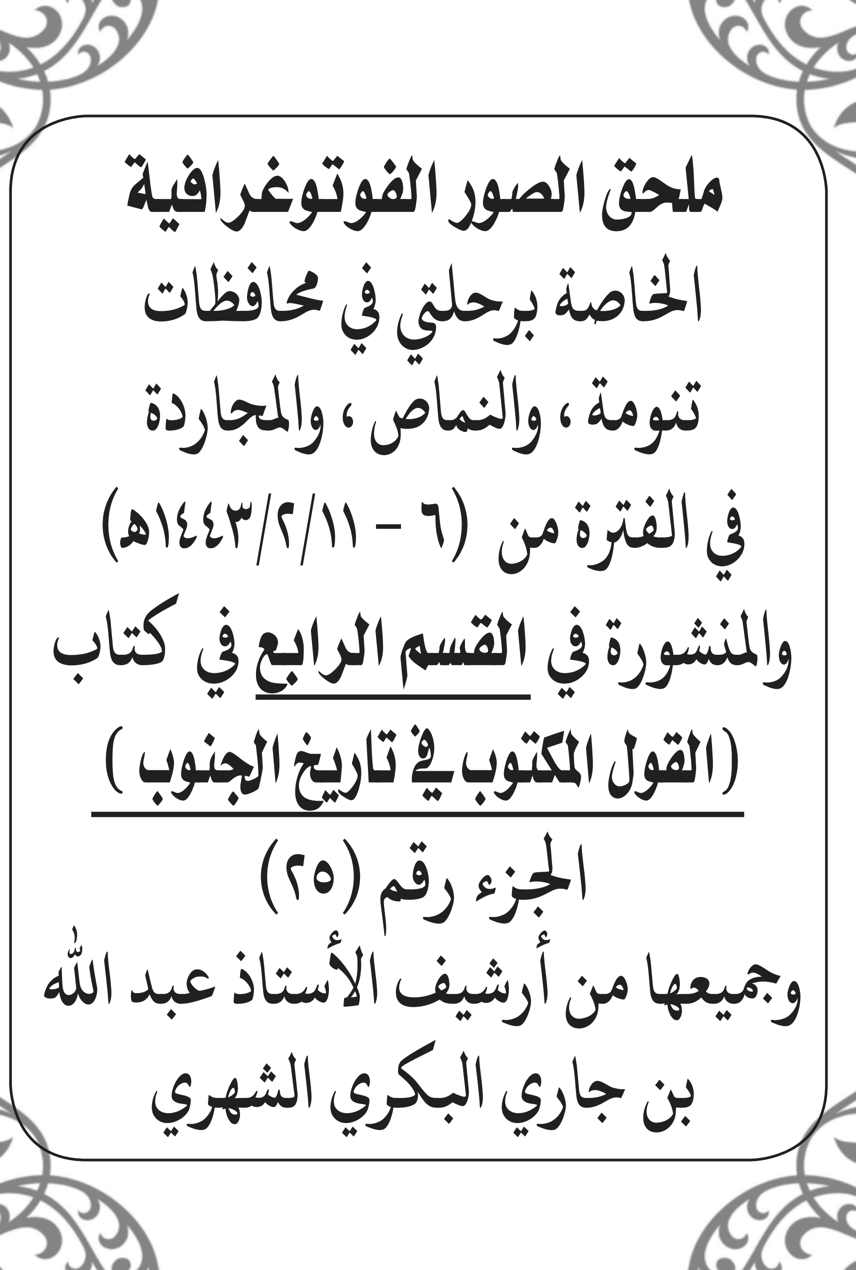
مـا مـن شـك أن يظهر في قادم الأيـام من يوافق معـي فيما طرحت ، وآخـرون يكون لهم رؤى واقتراحـات ووجهـات نظـر مخالفة . وهـذا الأمر في اعتقـادي ظاهرة جيـدة ينتج عنها التطويـر والابتكار. ونحن معاشر الباحثـين في العلوم الإنسانية والنظرية نقول ، أحياناً ، ما هو الجديد الذي نستطيع خلقه واستحداثه ، وأقول إن الدراسات الإنسانية وفي مقدمتها أبو العلوم (علـم التاريـخ) هي الأساس في بناء الحضارات وسقوطهـا ، فلا يمكن أن يدرس أي شيء في الحياة وترسم خططـه الأولية إلا بالدراسات التاريخية الحضارية (الاجتماعية ، والسياسية، والإداريـة ، والاقتصاديـة ، والثقافية والتعليمية ، والفكرية وغيرهـا) ٠ وهذه القاعدة رئيسية وأساسية في بناء أي أمة ، أو شعب ، أو أرض منذ خلق الله السماوات والأرض حتى تقوم الساعة. وإذا استشعرنـا هـذه الأهمية للعلوم الإنسانيـة، فلابد أن نكون على قـدر المسؤولية ، وبخاصة المتخصصين والمنخرطين في ميادين الدراسات النظرية الإنسانية بكل فروعها وميادينها [٣] ٠

---

(١) إنهـا عـين الحقيقة ، فقد رأيت وعاصرت كيف كانت أحوال الأرض والناس ضعيفة ومتواضعة٠ وبسيطة منذ عـام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) ، وتدريجياً جرت التنمية والتطوير في كل مـكان ، حتى صارت هذه البلاد (السراة وتهامة) مليئة بكل الفضائل والخيرات ، مدارس، وكليات وجامعات ، وعقول بشرية منتجة ومبدعة ومتألقة ٠

(٢) نحـن معاشر المؤرخين ندرس ونطالع الكثير من الدراسات القديمة والحديثة ، ويظهر الاختلاف والتباين بـين كل دراسـة وأخرى . لكن الأهم الاستفادة من كل عمل بناء ومفيد ، ثم الابتكار والمساهمة بما نستطيع خدمة للعلم وطلابه ، وأسأل الله الإخلاص والقبول ٠

(٣) نشاهـد عشـرات الكليـات والأقسـام العلميـة في بلادنـا ، ويعمل فيهـا آلاف الطـلاب ، ومئـات الأساتذة المتخصصـين. لكن الدراسة التقليدية في مدارسنا ، وجامعاتنا ، وبحوثنا العلمية هي الغالبة . والذي نطمع ونتطلـع إليـه هو الإبداع والابتـكار والحرص على الإتيان بالجديـد في علومنا ومعارفنـا ودراساتنا البحثية العلميـة والنظرية٠لقد قضيـت عدة سنوات في بعض الجامعـات الغربية أثناء دراستـي درجتي الماجستير والدكتوراه ، ثم استمررت متابعاً وحاضراً في العديد من الندوات والمؤتمرات واللقاءات الداخلية والخارجية. وشاهدت الكثير من طالباتنا وطلابنا الذين أبدعوا وتميزوا في علومهم وتخصصاتهم . لكن الذي أريده هو الاجتهاد في وضع خطط ومناهج علمية عملية تساعد الطلاب على الإبداع والابتكار والتفكير ٠



ملحق الصور الفوتوغرافية

الخاصة برحلتي في محافظات

تنومة ، والنماص ، والمجاردة

في الفترة من (٦ - ١١/٢/١٤٤٣هـ)

والمنشورة في القسم الرابع في كتاب

(القول المكتوب في تاريخ الجنوب)

الجزء رقم (٢٥)

وجميعها من أرشيف الأستاذ عبد الله

بن جاري البكري الشهري



الصورة رقم (١): منتزه غدانة أحد أهم المتنزهات في محافظة تنومة



الصورة رقم (٢): وسط مدينة تنومة وتظهر قرية القُريّة في مقدمة الصورة



الصورة رقم (٣): ناحية الأربوعة غرب مدينة تنومه عند الغروب



الصورة رقم (٤): قرية آل عمر القديمة شمال محافظة تنومة



الصورة رقم (٥): انتشار الفنادق الحديثة في مدينة تنومة حيث تعد من أهم مصائف المملكة



الصورة رقم (٦): الزراعة أهم نشاطات السكان في محافظة تنومة وتنتشر في أغلب القرى



الصورة رقم (٧): وادي الغر وقرية المركبة شمال محافظة تنومة



الصورة رقم (٨): ناحية الأربوعة غرب محافظة تنومة وتشتهر بالزراعة وجمال الطبيعة



الصورة رقم (٩): أحد البيوت القديمة بقرية غالبة أحد قرى شمال محافظة تنومة



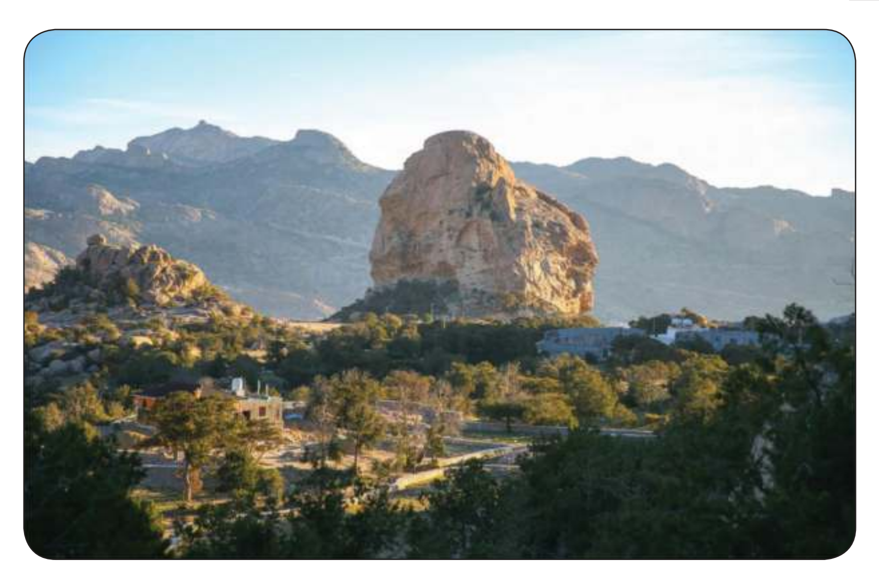
الصورة رقم (١٠): قرية القُريّة من أهم القرى التراثية في محافظة تنومة والتي تم إعادة تأهليها مؤخراً



الصورة رقم (١١): الطريق المؤدي إلى جبل منعاء ويظهر جبل خبيب في محافظة تنومة



الصورة رقم (١٢): قرية الرهوة القديمة وتشتهر محافظة تنومة بكثرة القرى التراثية



الصورة رقم (١٣): جبل عبدالله أحد أشهر جبال محافظة تنومة



الصورة رقم (١٤): قرية مليّح شمال محافظة تنومة



الصورة رقم (١٥): وسط مدينة تنومة وقد أنتشر العمراني الحديث في ارجاء المحافظة



الصورة رقم (١٦): قرية المركبة شمال محافظة تنومة



الصورة رقم (١٧): قرية الدهناء جنوب محافظة تنومة



الصورة رقم (١٨): شجرة الرقاع المعمرة في قرية ال سودة شمال غرب محافظة تنومة



الصورة رقم (١٩): وسط مدينة تنومة ويظهر جبل عِبَدة



الصورة رقم (٢٠): قرية آل مرحب وسط حاضرة تنومة من القرى القديمة المميزة



الصورة رقم (٢١): غزارة الأمطار أدت إلى جريان السيول في أحد الأودية جنوب محافظة تنومة



الصورة رقم (٢٢): القطع الزراعية جنوب محافظة تنومة بعد امتلاؤها بمياه الأمطار



الصورة رقم (٢٣): شلال وادي الدهنا الشهير جنوب محافظة تنومة



الصورة رقم (٢٤): جبال سيال غرب محافظة تنومة



الصورة رقم (٢٥): مبنى بلدية محافظة تنومة من المباني الحديثة



الصورة رقم (٢٦): سوق السبت القديم وسط مدينة تنومة بعد تطويره من قبل البلدية



الصورة رقم (٢٧): مبنى شرطة محافظة تنومة



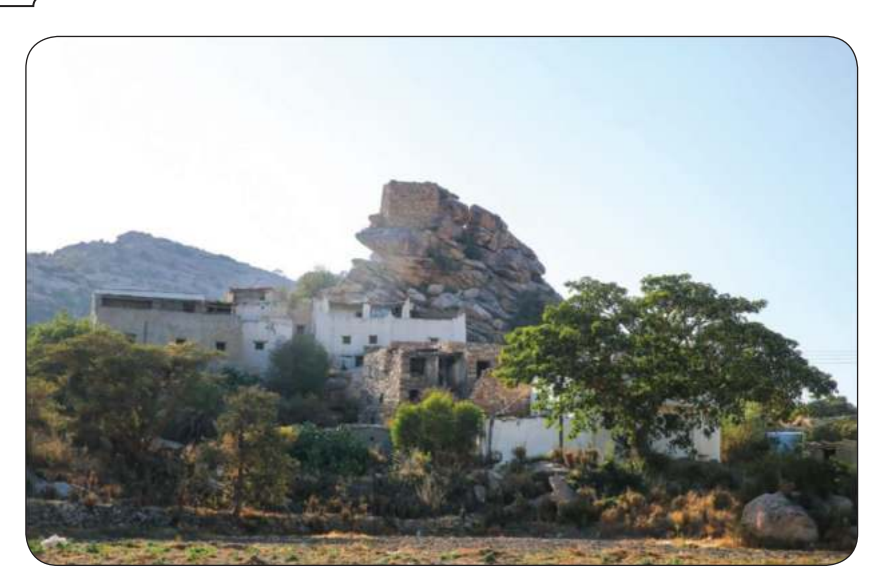
الصورة رقم (٢٨): طريق الملك فيصل وسط محافظة تنومة



الصورة رقم (٢٩): التعليم الجامعي في محافظة تنومة ومبنى كلية العلوم والآداب للبنات



الصورة رقم (٣٠): مبنى محافظة تنومة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٣١): إحدى القرى القديمة بمنتزه المحفار في محافظة تنومة



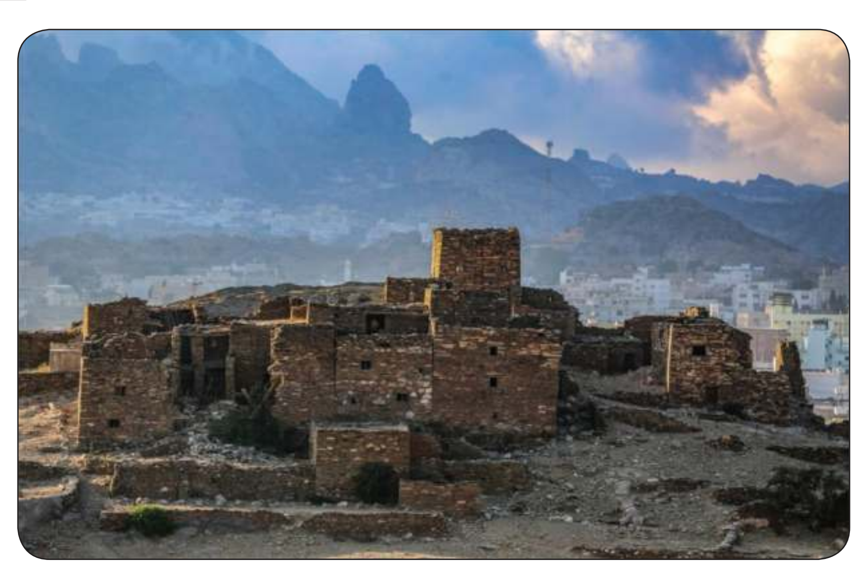
الصورة رقم (٣٢): وسط محافظة تنومة و ازدحامه بالعمران الحديث



الصورة رقم (٣٣): وسط حاضرة تنومة من زاوية أخرى ويظهر الطريق المؤدي إلى جبل منعاء



الصورة رقم (٣٤): فرع جامعة الملك خالد بمحافظة تنومة



الصورة رقم (٣٥): قرية الدهناء الأثرية من أشهر وأميز القرى التراثية في محافظة تنومة



الصورة رقم (٣٦): وادي مليّح في محافظة تنومة أثناء نزول السيل



الصورة رقم (٣٧): أحد المساجد القديمة بقرية آل دحمان في وسط مدينة تنومة



الصورة رقم (٣٨): وسط محافظة تنومة ويظهر طريق الملك فيصل الذي يمتد من الطائف إلى أبها



الصورة رقم (٣٩): وسط مدينة تنومة بعد يوم ممطر



الصورة رقم (٤٠): لقطة من وسط مدينة تنومة ويظهر الطريق القديم المؤدي إلى جبل منعاء



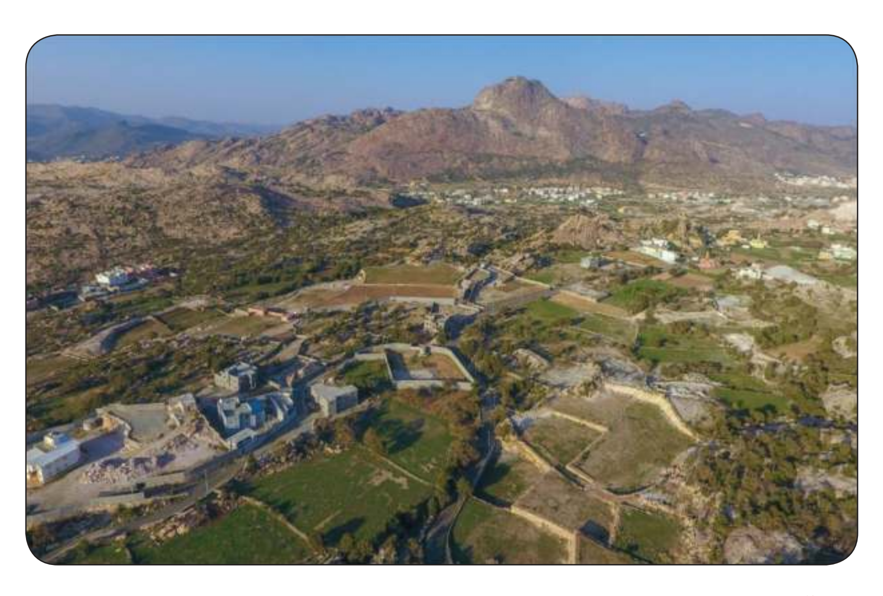
الصورة رقم (٤١): بلاد الأربوعة في محافظة تنومة ويظهر الطريق المؤدي إلى طريقها (عقبتها)



الصورة رقم (٤٢): وادي قنطان في محافظة تنومة من البلاد الخصبة زراعياً وتتميز أرضه بكثرة مدرجاتها الزراعية



الصورة رقم (٤٣): قرية قديمة في شعف آل سودة بمحافظة تنومة والمشيدة على قمة جبل



الصورة رقم (٤٤): لقطة جوية لجزء من شمال محافظة تنومة ويظهر في الصورة جبل عكران



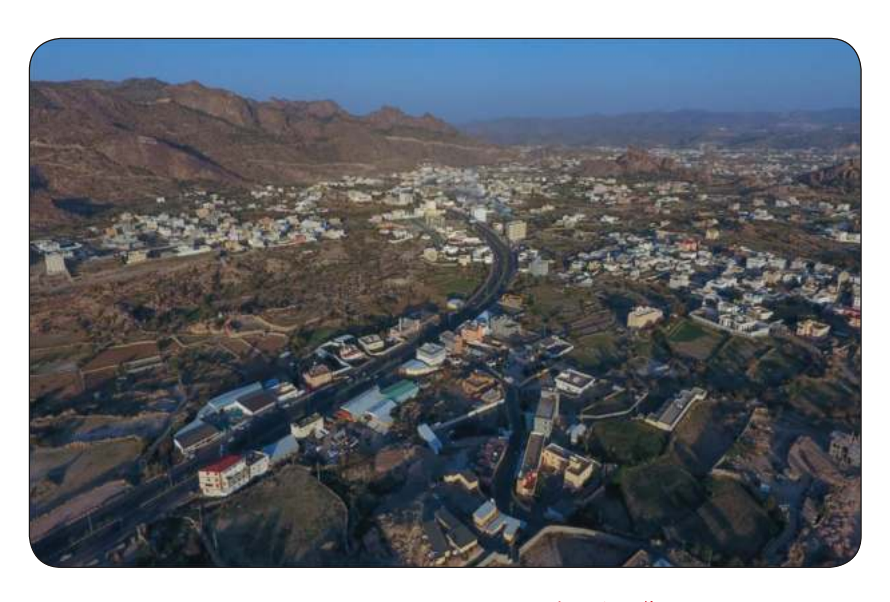
الصورة رقم (٤٥): لقطة جوية لجزء من قرى المحفار في محافظة تنومة



الصورة رقم (٤٦): لقطة جوية من شمال محافظة تنومة



الصورة رقم (٤٧): لقطة جوية لجزء من قرى شمال محافظة تنومة



الصورة رقم (٤٨): لقطة جوية لوسط حاضرة تنومة



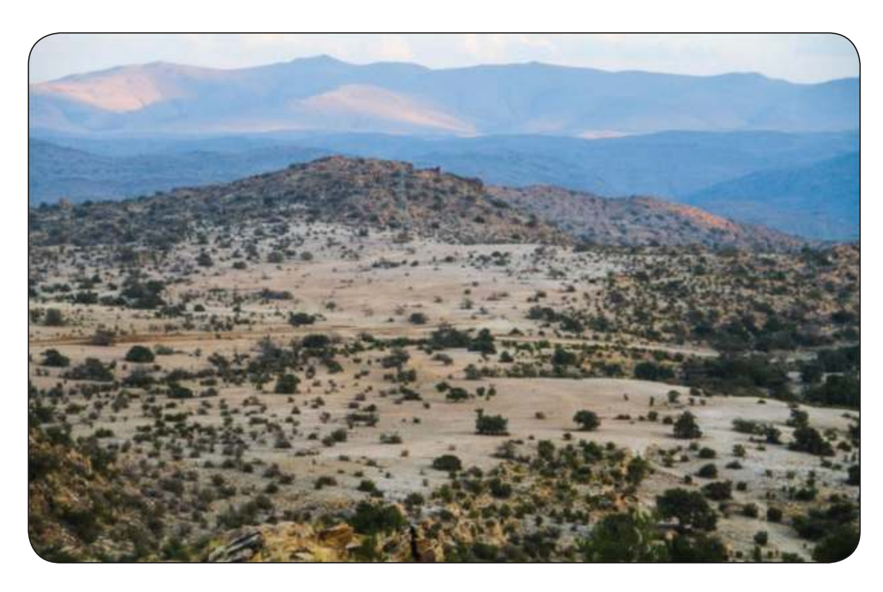
الصورة رقم (٤٩): لقطة جوية من وادي سعوان في محافظة تنومة



الصورة رقم (٥٠): مباني أثرية بالقرية القديمة بالمحفار في محافظة تنومة



الصورة رقم (٥١): وادي سعوان من أعظم أودية محافظة تنومة يصب من غربها ويتجه شرقاً



الصورة رقم (٥٢): منطقة رحل وتقع شمال شرق محافظة تنومة وهي منطقة بكر ويذكر أن بها قبر مفرج بن سلامان



الصورة رقم (٥٣): مستشفى محافظة تنومة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٥٤): وسط مدينة تنومة وتظهر خريطة المملكة على أحد الجبال التي صارت علامة مميزة للمحافظة



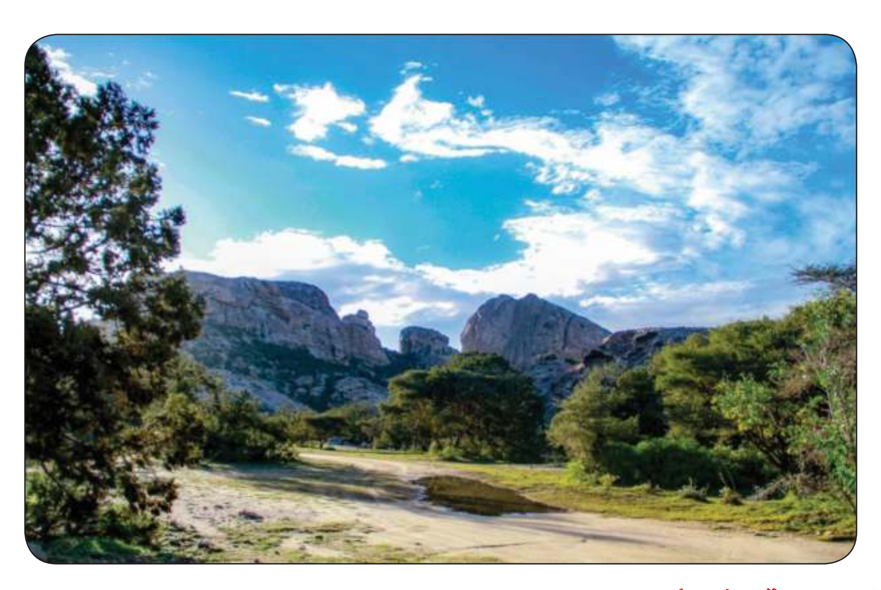
الصورة رقم (٥٥): لقطة يظهر فيها جبل لنبش وغلامة شمال محافظة تنومة



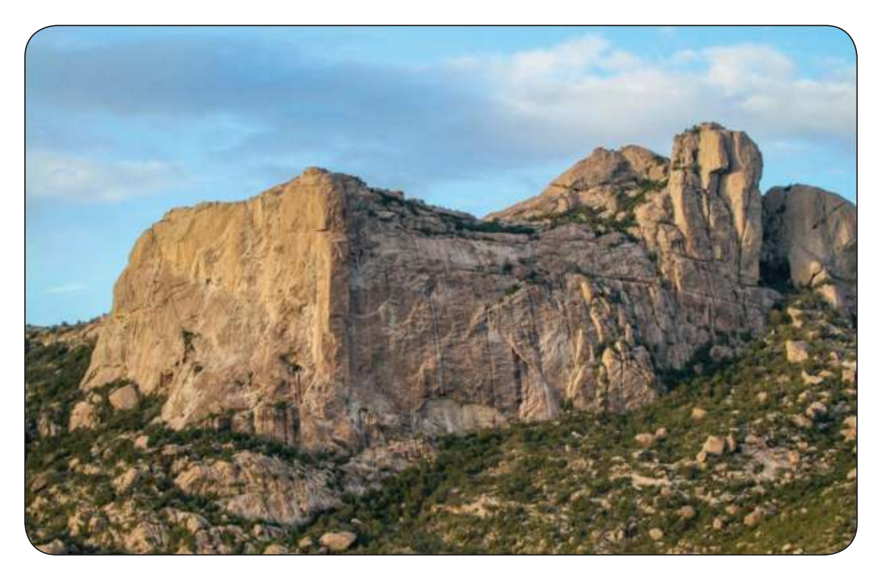
الصورة رقم (٥٦): عقبة القامة التي تربط محافظة تنومة مع محافظة النماص



الصورة رقم (٥٧): عدد من مزارع البر شمال محافظة تنومة



الصورة رقم (٥٨): منتزه الشرف من المتنزهات الرئيسية في محافظة تنومة



الصورة رقم (٥٩): جبل بعطان الواقع بين الشرف والأربوعة في محافظة تنومة



الصورة رقم (٦٠): إحدى مزارع الرمان والعنب بوادي آل خضاري شمال محافظة تنومه



الصورة رقم (٦١): قرية ترج شمال شرق محافظة تنومة ومنها يبدأ وادي ترج العظيم



الصورة رقم (٦٢): المدرجات الزراعية في وادي قنطان بمحافظة تنومة



الصورة رقم (٦٣): بلاد الأربوعة وتظهر بداية الطريق التي تربط محافظة تنومة بتهامة



الصورة رقم (٦٤): وادي ترج الذي يبدأ من قرية ترج شمال شرق محافظة تنومة



الصورة رقم (٦٥): مبنى بلدية محافظة النماص وهو من المباني ذات الطراز الحديث



الصورة رقم (٦٦): وسط مركز بني عمرو أحد المراكز التابعة لمحافظة النماص



الصورة رقم (٦٧): أحد الفنادق الحديثة بمحافظة النماص وتعتبر سروات النماص من المحافظات السياحية في المملكة



الصورة رقم (٦٨): قصر ثربان الأثري أحد أهم معالم محافظة النماص الذي تم ترميمه مؤخراً



الصورة رقم (٦٩): سوق الثلاثاء الشعبي بمحافظة النماص بعد تطويره وكان من أشهر الأسواق الأسبوعية قديماً



الصورة رقم (٧٠): نقش أثري قديم شرق محافظة النماص وتكثر في هذه الناحية النقوش والرسومات الصخرية



الصورة رقم (٧١): عقبة التوحيد التي تربط حاضرة النماص بتهامة أثناء العمل في تنفيذها



الصورة رقم (٧٢): لقطة من مركز وادي زيد التابع لمحافظة النماص



الصورة رقم (٧٣): قرية المدانة شمال غرب محافظة النماص



الصورة رقم (٧٤): الضباب يعانق جبال السراة بمتنزهات محافظة النماص



الصورة رقم (٧٥): أمطار فصل الربيع في محافظة النماص وغالباً تكون غزيرة



الصورة رقم (٧٦): قرية لحبي في محافظة النماص من القرى القديمة التي مازالت تحتفظ بطابعها القديم



الصورة رقم (٧٧): وادي المحضر شرق محافظة النماص أحد روافد وادي ترج العظيم



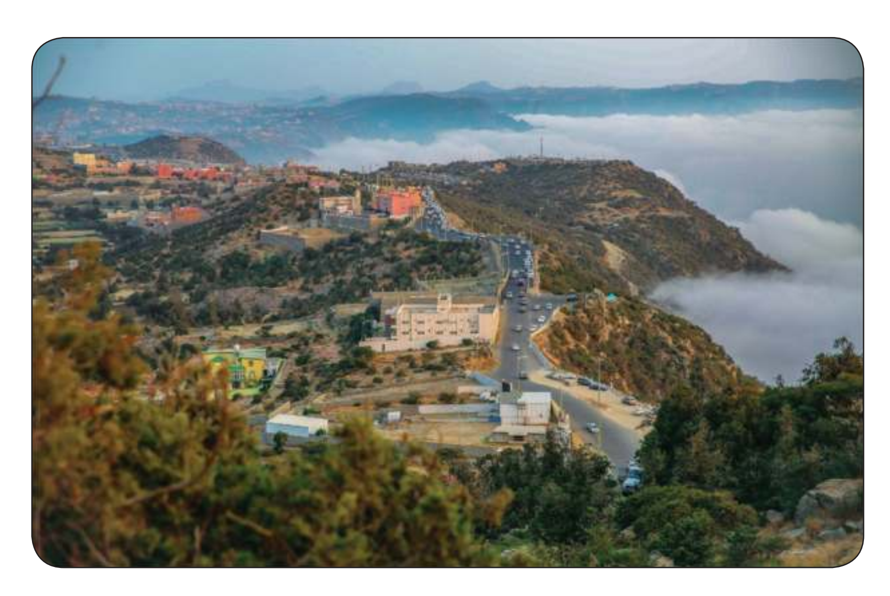
الصورة رقم (٧٨): رعي الأغنام في محافظة النماص من المهن التي مازال الأهالي يحافظون عليها



الصورة رقم (٧٩): جزء من حصون قرية الجهوة التاريخية بمحافظة النماص



الصورة رقم (٨٠): عقبة سنان أول عقبة في محافظة النماص سلكتها السيارات رغم صعوبتها



الصورة رقم (٨١): منتزه شعف آل وليد أحد أهم متنزهات محافظة النماص



الصورة رقم (٨٢): بقايا أحد الحصون بقرية الجهوة التاريخية في محافظة النماص



الصورة رقم (٨٣): قرية آل النبيح من القرى التراثية في محافظة النماص والمجاورة لقرية الجهوة



الصورة رقم (٨٤): قرية العقيقة شمال غرب محافظة النماص



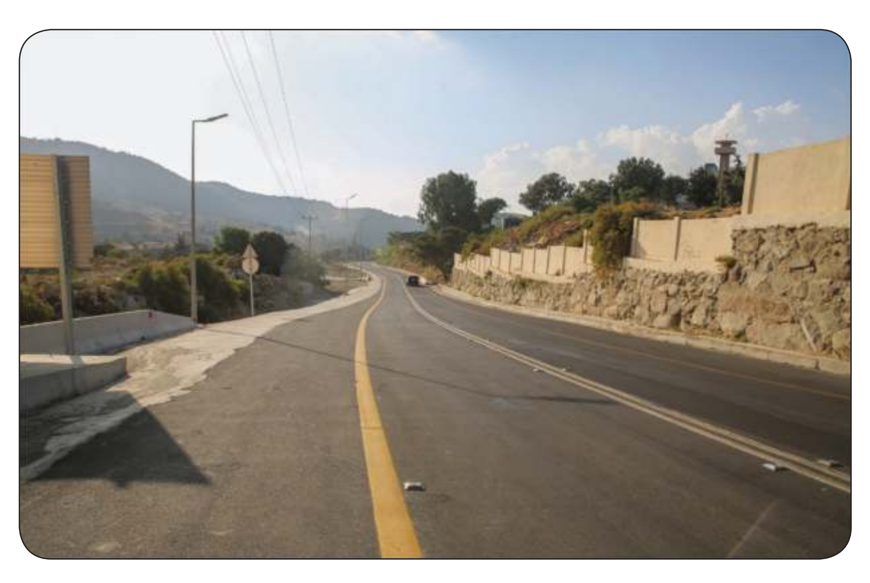
الصورة رقم (٨٥): مبنى محافظة النماص عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٨٦): مبنى إدارة التعليم بمحافظة النماص
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٨٧): مبنى المركز الحضاري بمحافظة النماص عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٨٨): مدخل عقبة التوحيد بمحافظة النماص التي تربط السراة بتهامة عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)



الصورة رقم (٨٩): مبنى كلية العلوم والآداب للبنات بمحافظة النماص عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٩٠): مبنى الرعاية الصحية الأولية بنحيان في محافظة النماص الذي تم تخصيصه لإعطاء لقاحات كورونا عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٩١): مبنى محكمة محافظة النماص وكتابة العدل
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٩٢): خزانات تحلية المياه بمحافظة النماص
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



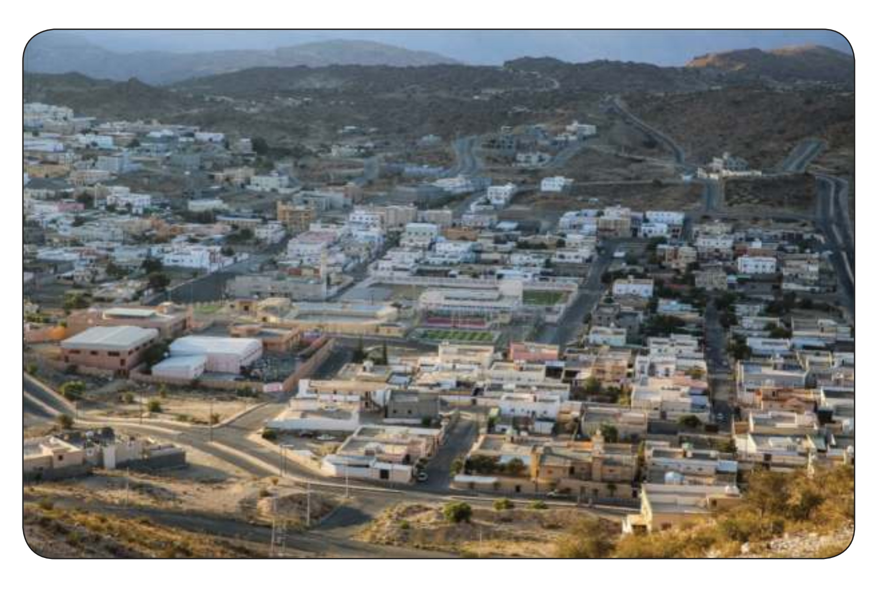
الصورة رقم (٩٣): مبنى الدفاع المدني بمحافظة النماص عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (٩٤): وادي الدحض شرق محافظة النماص



الصورة رقم (٩٥): **أحد الحدائق التي قامت البلدية بإنشائها شرق محافظة النماص عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)**



الصورة رقم (٩٦): **مخطط الفرعة الشمالية من المخططات الحديثة بمحافظة النماص**



الصورة رقم (٩٧): إحدى قرى مركز بني عمرو بمحافظة النماص
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



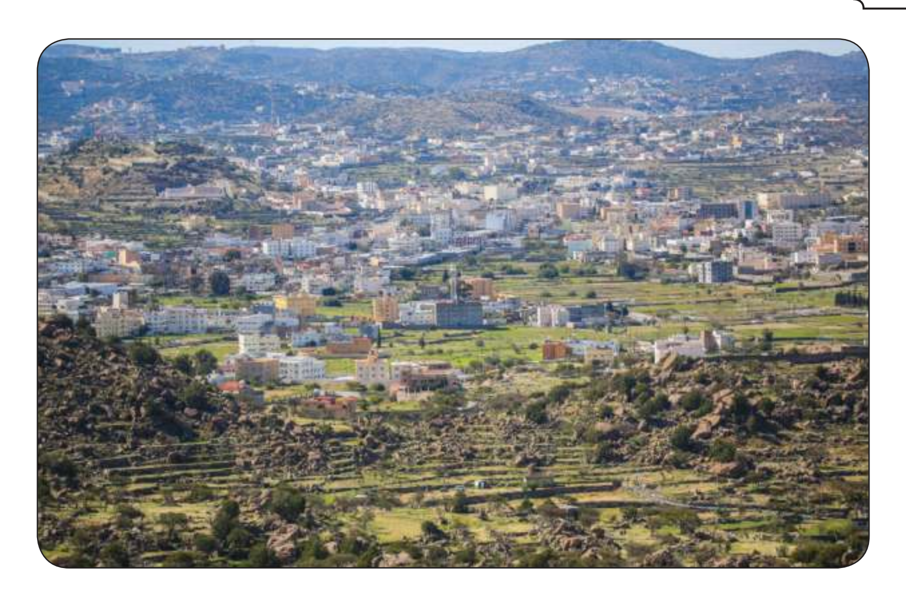
الصورة رقم (٩٨): قرية آل رحمة شمال غرب محافظة النماص



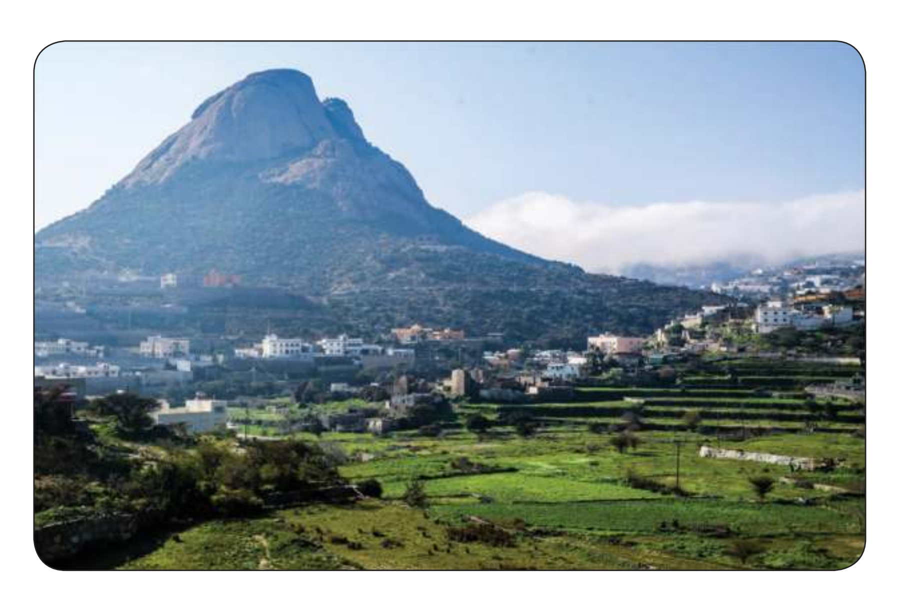
الصورة رقم (٩٩): السحاب يغطي وسط محافظة النماص



الصورة رقم (١٠٠): قصر المقر للحضارات أحد أهم معالم محافظة النماص



الصورة رقم (١٠١): وسط حاضرة النماص عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٠٢): جبل حرفة في سروات عمرو الشام بمحاغظة النماص



الصورة رقم (١٠٣): وادي عياش وسط مركز بني عمرو بمحافظة النماص



الصورة رقم (١٠٤): جبل مرير وقرية آل سلطان شمال محافظة النماص



الصورة رقم (١٠٥): مقر الكلية التقنية شمال محافظة النماص عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



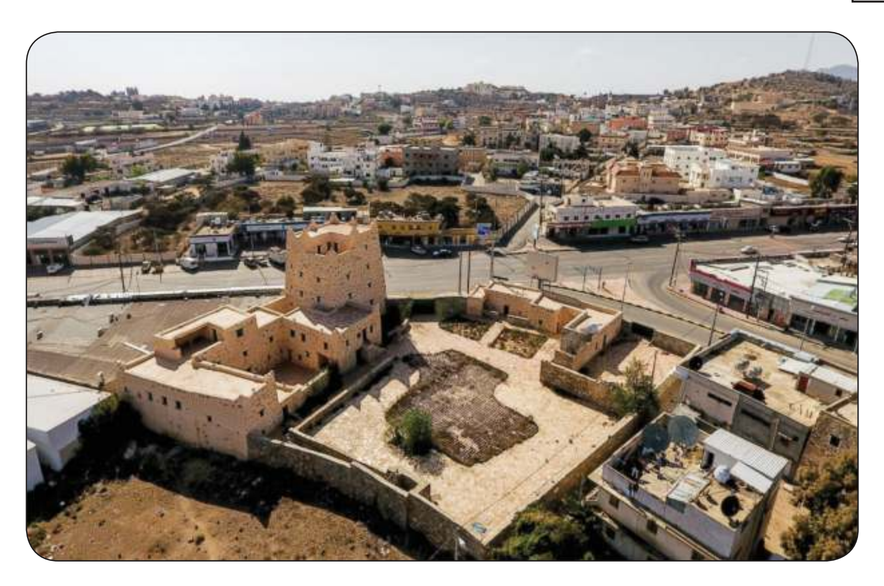
الصورة رقم (١٠٦): سد وادي بدوة شرق محافظة النماص



الصورة رقم (١٠٧): قرية صدريد التاريخية بمحافظة النماص ويظهر جامع صدريد يسار الصورة



الصورة رقم (١٠٨): قرية آل مقبول شمال محافظة النماص



الصورة رقم (١٠٩): القرية القديمة وسط محافظة النماص ويظهر قصر ثربان



الصورة رقم (١١٠): جبل المطلى الواقع بمركز بني عمرو شمال محافظة النماص



الصورة رقم (١١١): دوار طريق الملك سلمان وسط محافظة النماص من الطرق التي تم شقها حديثاً



الصورة رقم (١١٢): طريق رئيسي بمركز السرح التابع لمحافظة النماص



الصورة رقم (١١٣): طريق التعاون الذي يربط وسط محافظة النماص بشرقها



الصورة رقم (١١٤): لقطة جوية لطريق الملك فيصل وسط محافظة النماص عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١١٥): لقطة جوية لوسط محافظة النماص بعد شق عدد من الطرق مؤخراً



الصورة رقم (١١٦): لقطة جوية لوسط محافظة النماص ويظهر سوق الثلاثاء الشعبي وكذلك طريق الملك سلمان



الصورة رقم (١١٧): لقطة جوية لأحدى القرى شمال محافظة النماص



الصورة رقم (١١٨): قرية البزواء بمحافظة النماص التي قامت على أنقاض قرية رنامة التاريخية



الصورة رقم (١١٩): عدد من القرى بمركز وادي زيد شمال محافظة النماص



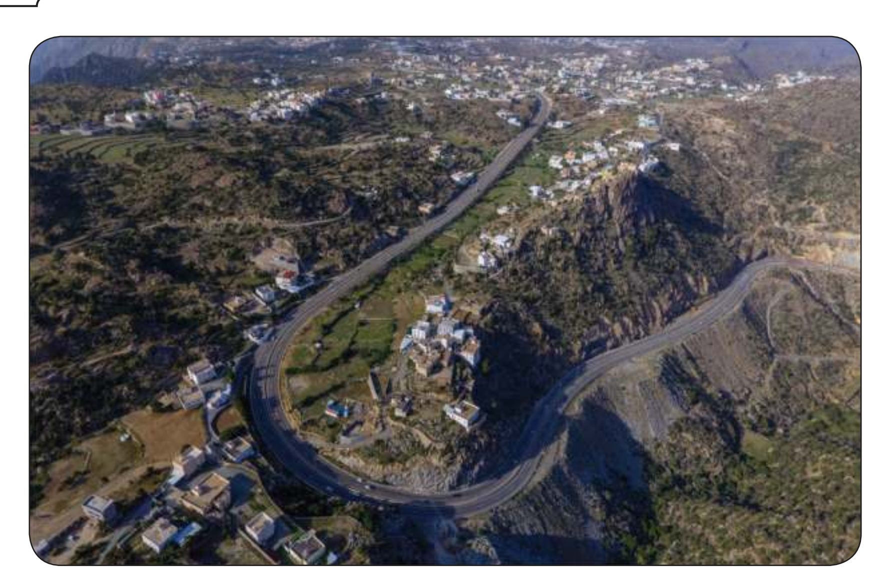
الصورة رقم (١٢٠): جبل مرير من أعلى القمم في المملكة شمال محافظة النماص



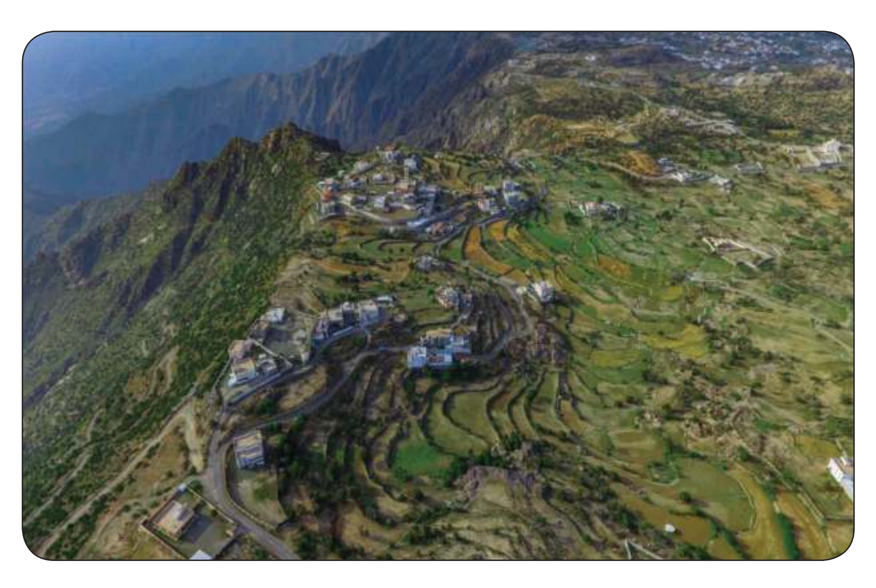
الصورة رقم (١٢١): وسط مدينة النماص ويظهر الجامع الكبير وسط الصورة



الصورة رقم (١٢٢): طريق أبو بكر أحد اهم الطرق وسط محافظة النماص



الصورة رقم (١٢٣): بداية عقبة القامة جنوب محافظة النماص



الصورة رقم (١٢٤): قرية آل يسعد جنوب محافظة النماص



الصورة رقم (١٢٥): قرية قفعة شمال شرق محافظة النماص



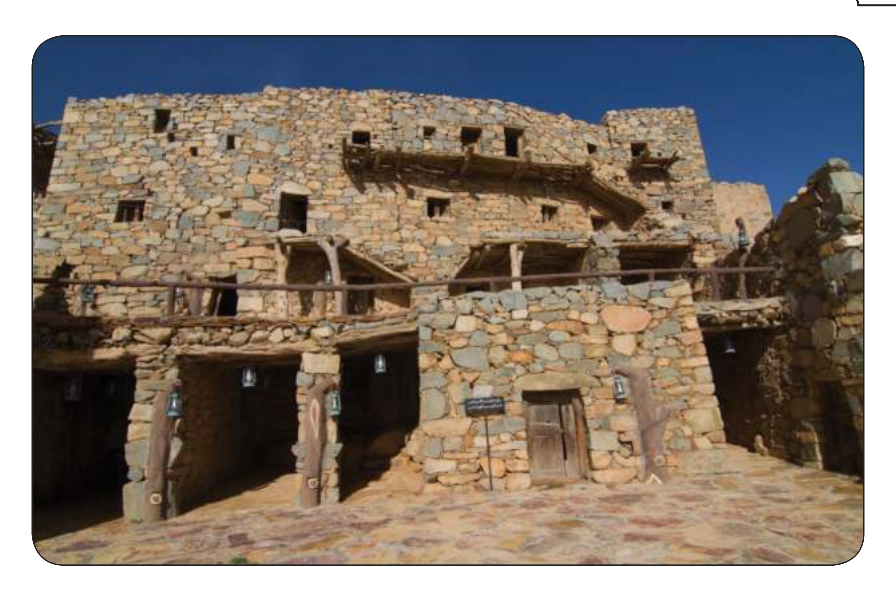
الصورة رقم (١٢٦): قرية آل نبيح الأثرية وسط محافظة النماص



الصورة رقم (١٢٧): سد وادي ترج شرق محافظة النماص عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)



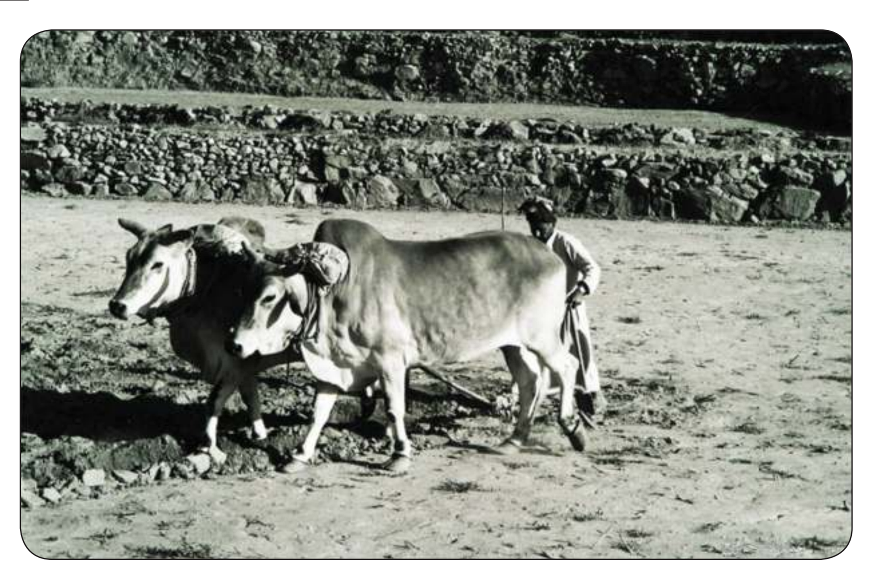
الصورة رقم (١٢٨): سوق المواشي بمحافظة النماص عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٢٩): قرية آل عليان بمركز السرح في محافظة نماص



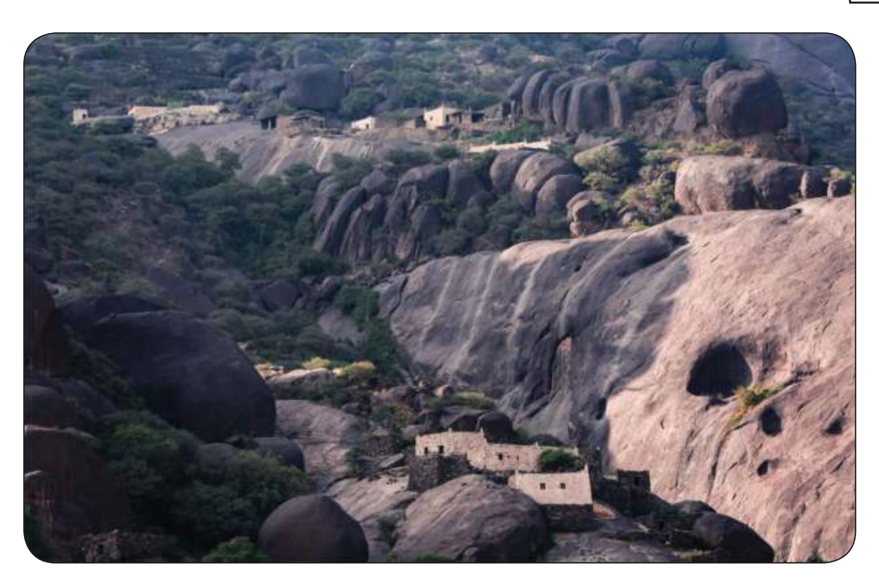
الصورة رقم (١٣٠): قرية آل عطيفة الواقعة بين مركزي السرح وبني عمرو شمال في محافظة النماص



الصورة رقم (١٣١): صورة من حياة الزراعه بالبقر قديما في محافظة النماص



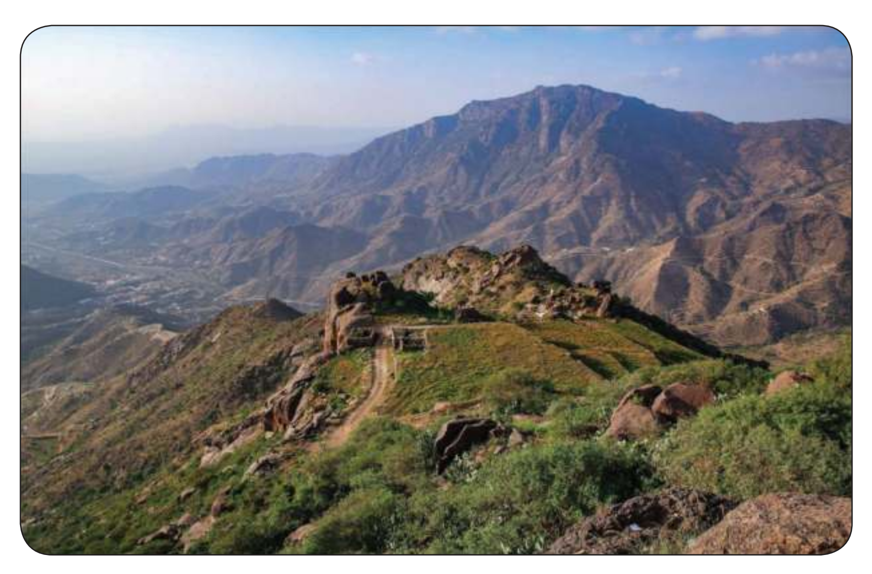
الصورة رقم (١٣٢): مركز خاط التابع لمحافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٣٣): إحدى القرى القديمة على تل صخري بجبل تهوي في محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٣٤): المدرجات الزراعية من الناحية الشمالية لجبل تهوي في محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٣٥): جبل ريمان كما يظهر من أعلى رهوة آل صميد في محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٣٦): وادي ختبة في محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٣٧): مركز خاط في محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



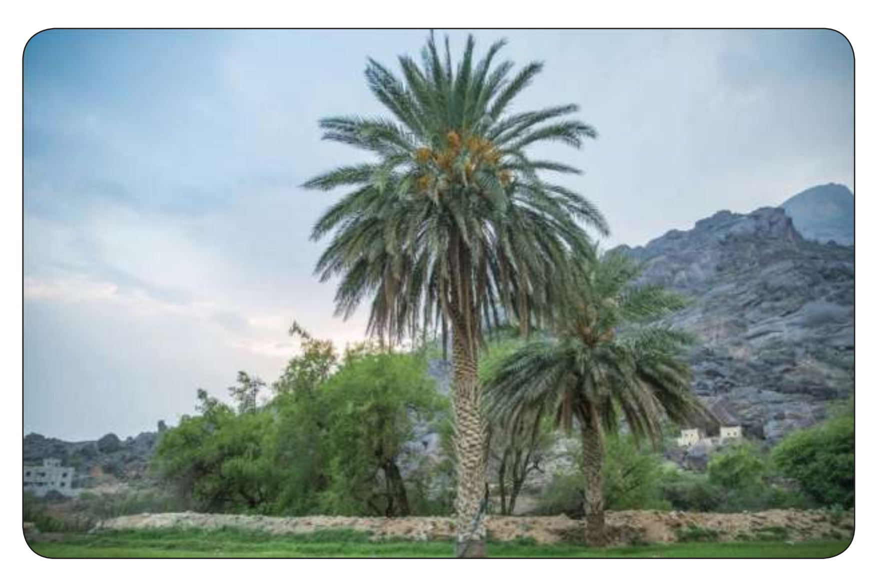
الصورة رقم (١٣٨): وسط محافظة المجاردة باتجاه الجنوب عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٣٩): وسط محافظة المجاردة والمباني الحديثة تنتشر في كل الإتجاهات



الصورة رقم (١٤٠): وسط محافظة المجاردة باتجاه الغرب عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٤١): زراعة النخيل في وادي خاط بمحافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٤٢): إحدى القرى القديمة وسط محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٤٣): أحد الشوارع الحديثة وسط مركز خاط بمحافظة المجاردة عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)



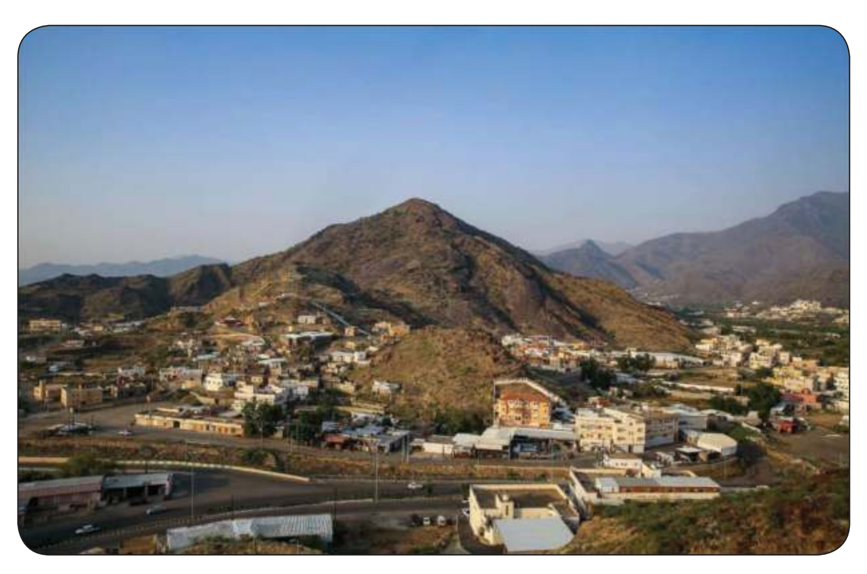
الصورة رقم (١٤٤): نموذج من المزارع في مركز خاط بمحافظة المجاردة



الصورة رقم (١٤٥): جبل تهوي من أعظم الجبال في محافظة المجاردة



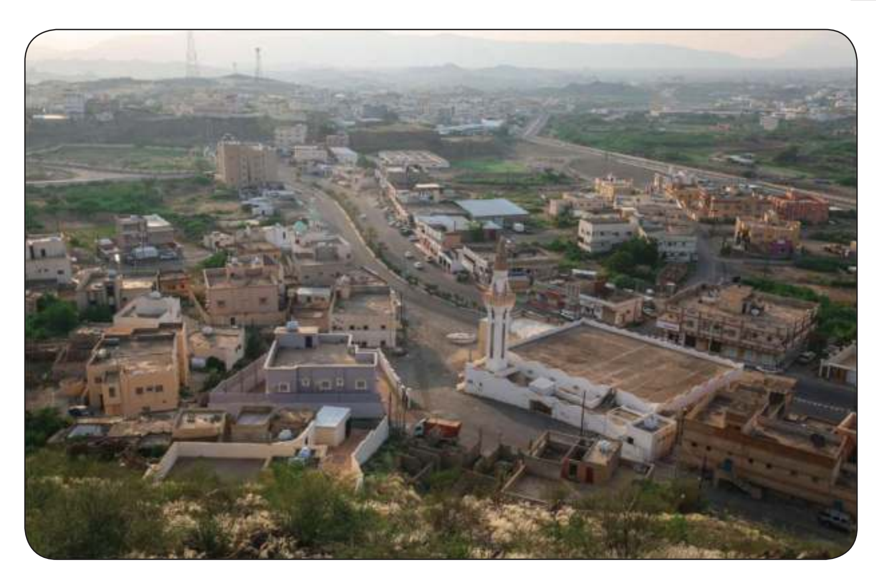
الصورة رقم (١٤٦): أحد المواقع بين مدينتي المجاردة وخاط وتشرف عليه جبال السراة



الصورة رقم (١٤٧): أحد الجبال شمال سوق الأثنين وسط محافظة المجاردة



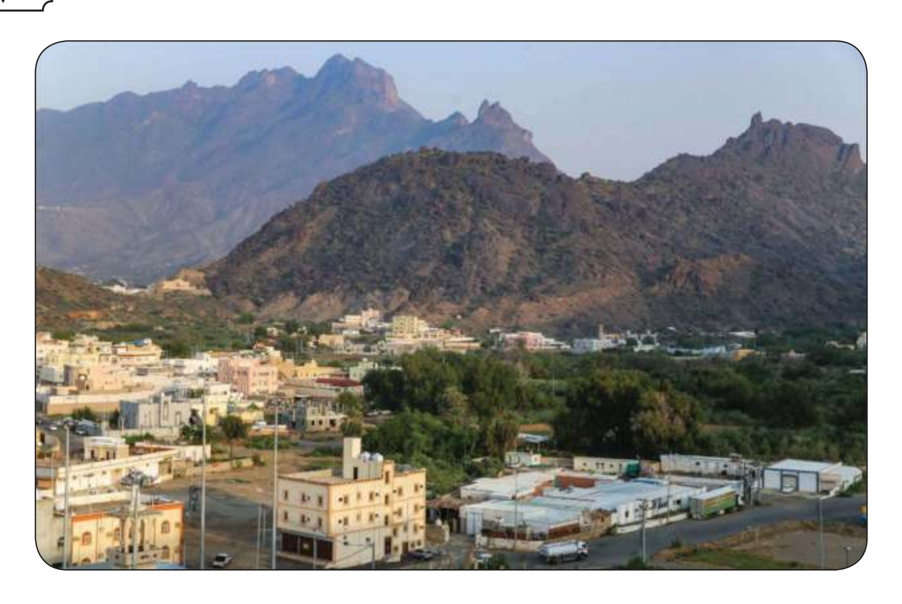
الصورة رقم (١٤٨): انتشار العمران في محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٤٩): الطريق المؤدية إلى سوق الأثنين القديم بمحافظة المجاردة



الصورة رقم (١٥٠): جزء من سوق الأثنين الأسبوعي بمحافظة المجاردة
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٥١): جزء من المنازل الحديثة بالقرب من سوق الأثنين في محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٥٢): سوق الأثنين الشعبي بمحافظة المجاردة كما يظهر بعد تطويره



الصورة رقم (١٥٣): أحد المساجد الحديثة وسط محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



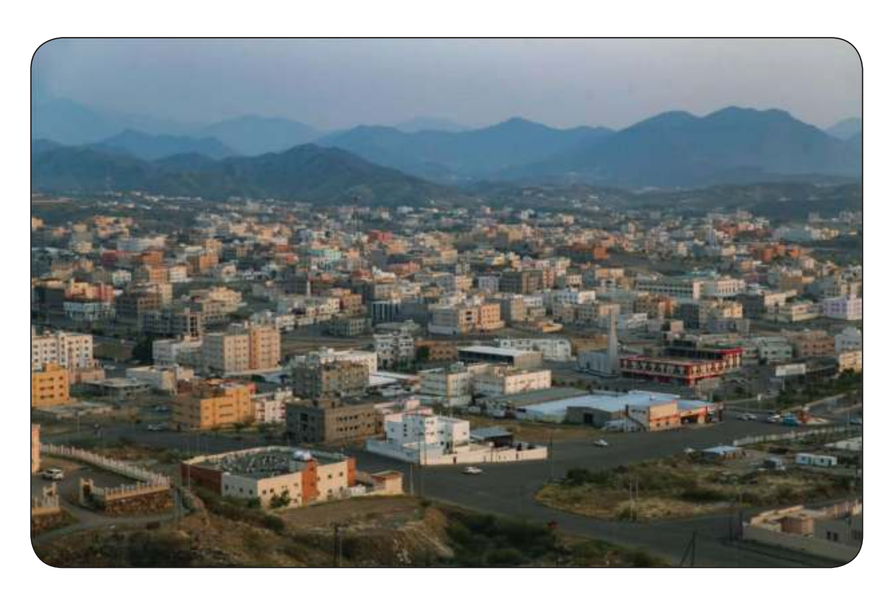
الصورة رقم (١٥٤): أحد مراكز الرعاية الصحية في محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



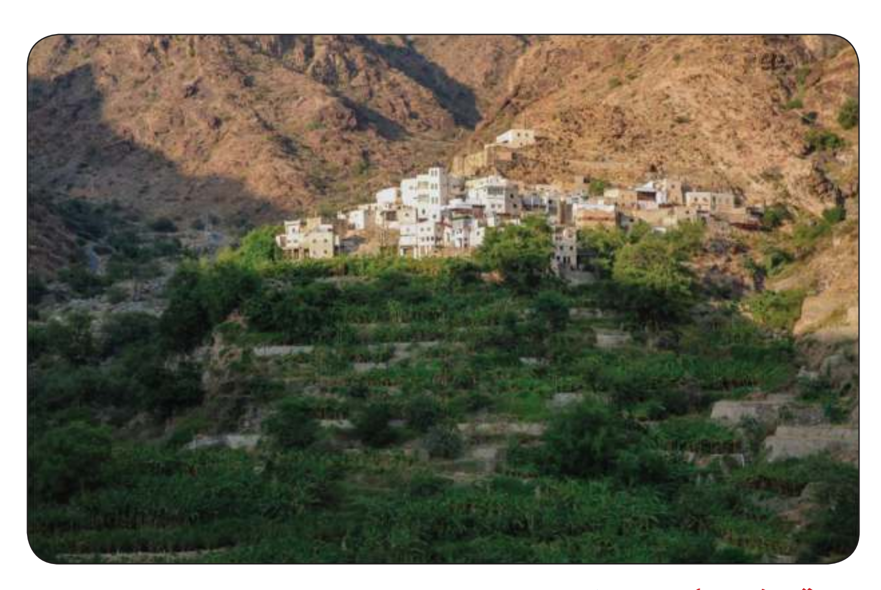
الصورة رقم (١٥٥): وسط محافظة المجاردة وتظهر فيه ساحة الاحتفالات



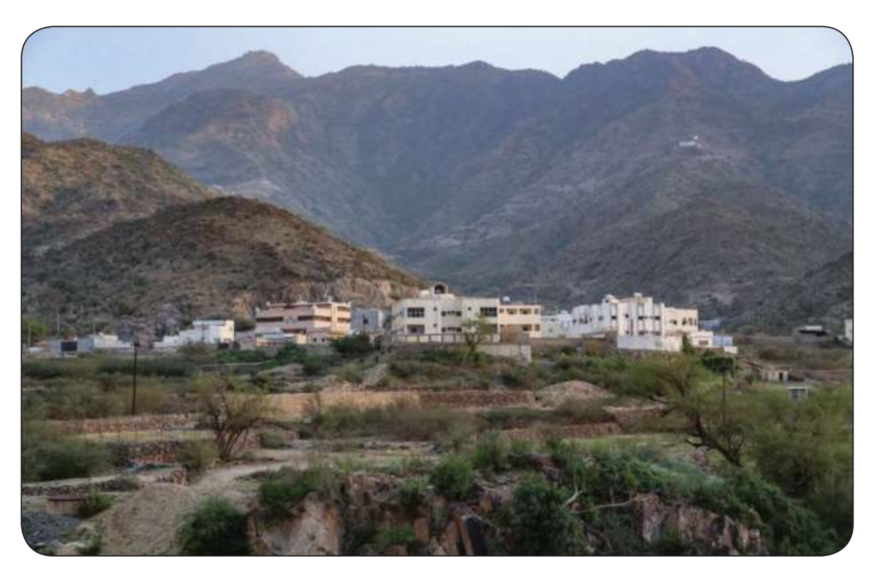
الصورة رقم (١٥٦): وسط محافظة المجاردة وتظهر صورة المستشفى العام



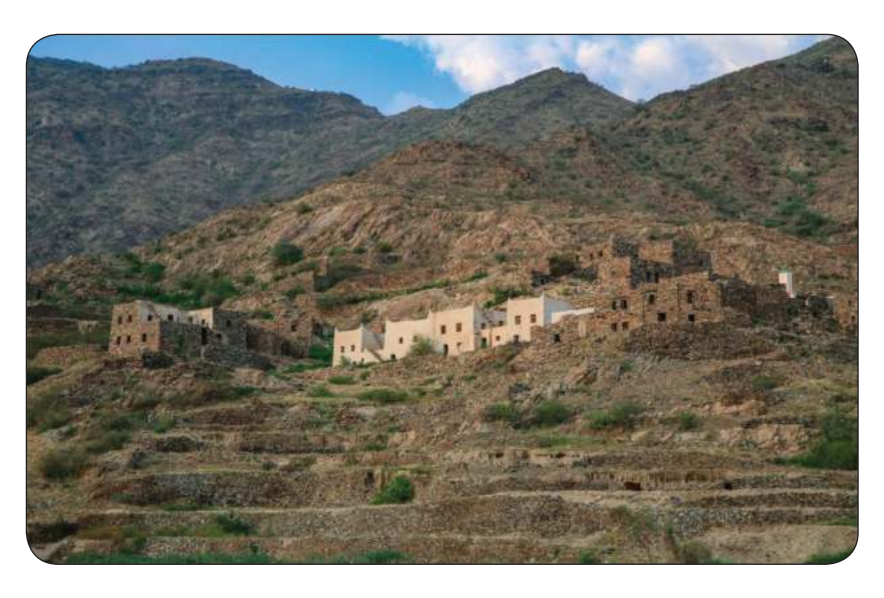
الصورة رقم (١٥٧): جزء من وسط محافظة المجاردة باتجاه الجنوب الغربي



الصورة رقم (١٥٨): قرية آل الدهيس بمحافظة المجاردة المشهورة بزراعة البن والموز



الصورة رقم (١٥٩): إحدى القرى شمال جبل ريمان في محافظة المجاردة
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٦٠): إحدى القرى القديمة بمركز ختبة في محافظة المجاردة
عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٦١): **جزء من المنازل أعلى قرية ختبة في محافظة المجاردة**



الصورة رقم (١٦٢): **مبنى مركز ختبة الإداري في محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)**



الصورة رقم (١٦٣): المعهد العلمي بمحافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٦٤): مبنى محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٦٥): مبنى الدفاع المدني بمحافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٦٦): الشارع الرئيسي وسط محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٦٧): أحد أهم التقاطعات وسط محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٦٨): إحدى عمارات المدارس الحديثة وسط محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٦٩): أحد التقاطعات على الطريق المودية إلى قضريمة في محافظة المجاردة



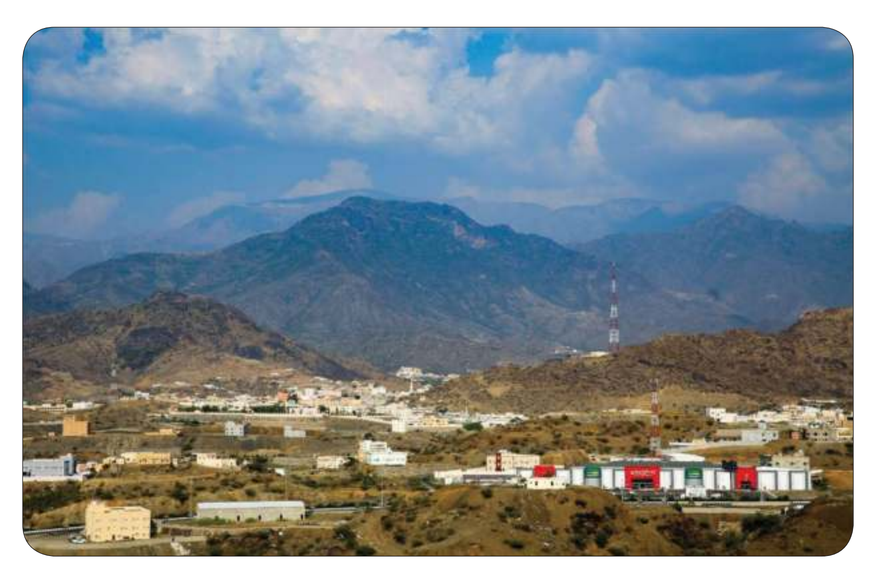
الصورة رقم (١٧٠): مبنى بلدية محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٧١): إحدى الحدائق الحديثة التي انشأتها البلدية في مدينة المجاردة



الصورة رقم (١٧٢): قرى بني زهير شمال محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٧٣): جانب من القرى والأحياء في محافظة المجاردة ويظهر بعدها جبل ريمان الشهير



الصورة رقم (١٧٤): انتشار العمارات الحديثة في كافة ارجاء محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٧٥): فرع جامعة الملك خالد للبنات بمحافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٧٦): رعي الأبقار من المناشط المنتشرة في محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٧٧): أحد مراكز الرعاية الصحية بمركز ثربان في محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٧٨): سوق الماشية بمركز ثربان في محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٧٩): سوق الخميس الأسبوعي بمركز ثربان) في محافظة المجاردة



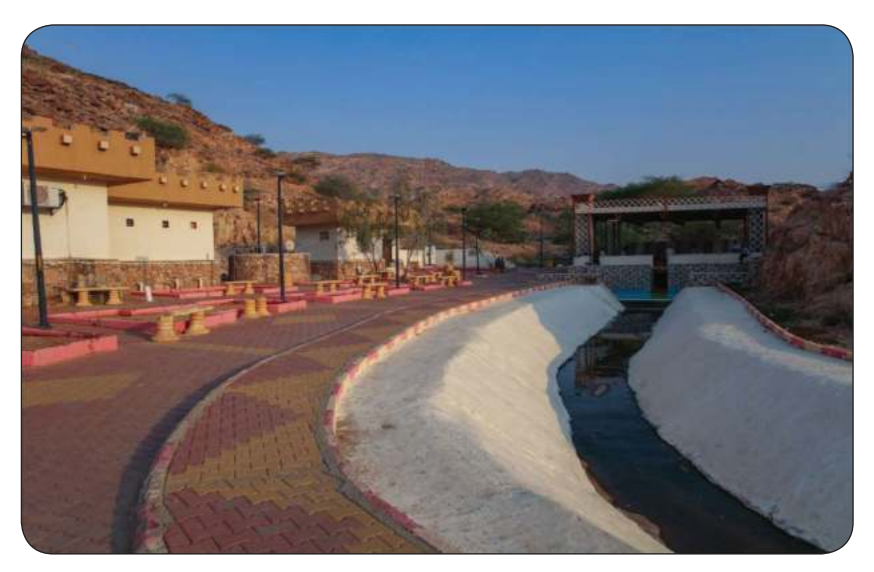
الصورة رقم (١٨٠): مبنى مركز ثربان أحد المراكز التابعة لمحافظة المجاردة



الصورة رقم (١٨١): جزء من وادي يبة في تهامة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٨٢): جبل البكرتين من أشهر الجبال غرب محافظ المجاردة



الصورة رقم (١٨٣): العين الحارة بمركز أحد ثربان في محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٨٤): أحد الجوامع الحديثة وسط مركز أحد ثربان بمحافظة المجاردة



الصورة رقم (١٨٥): الطريق الرئيسي وسط أحد ثربان بمحافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٨٦): المباني القديمة بقرية آل شعثاء بمركز خاط في محافظة المجاردة



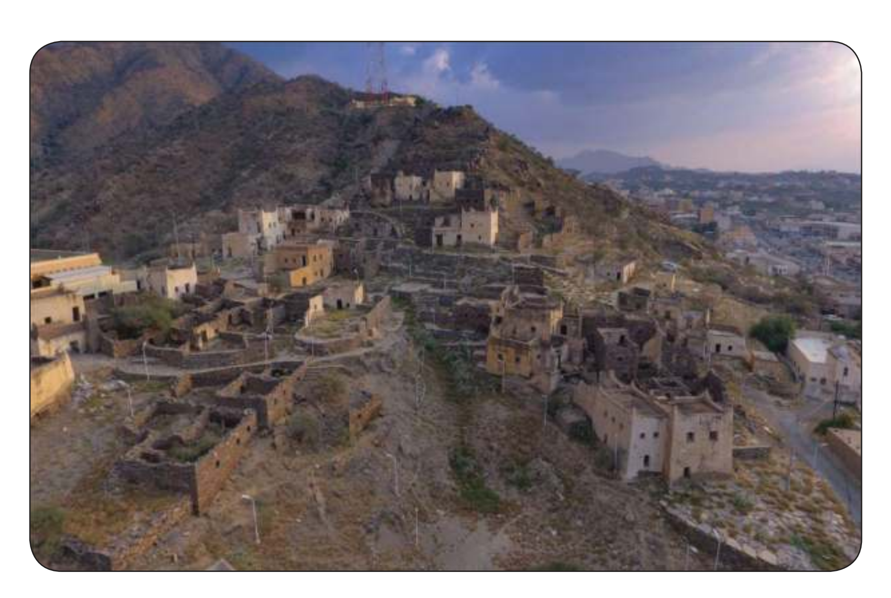
الصورة رقم (١٨٧): أحد السدود بقرى الأفاقمة بمركز خاط في محافظة المجاردة



الصورة رقم (١٨٨): لقطة جوية من وسط خاط بمحافظة المجاردة
عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٨٩): لقطة جوية من مركز خاط في محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



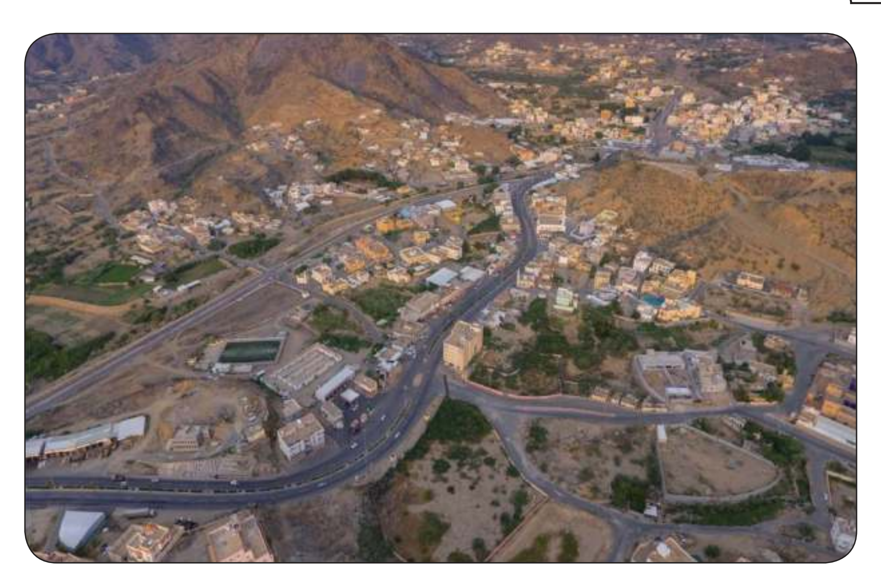
الصورة رقم (١٩٠): إحدى القرى القديمة وسط محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٩١): لقطة جوية لوسط محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٩٢): لقطة جوية لوسط حاضرة المجاردة ويظهر التقاطع وسط المدينة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٩٣): لقطة جوية لوسط محافظة المجاردة ويظهر سوق الأثنين والطريق المودية إليه



الصورة رقم (١٩٤): لقطة جوية لجزء من محافظة المجاردة ويظهر مستشفى المجاردة العام



الصورة رقم (١٩٥): لقطة جوية لوسط محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)



الصورة رقم (١٩٦): لقطة جوية لشارع الفن وسط محافظة المجاردة عام (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)

سيرة ذاتية مختصرة





الاسـم :غيثـان بـن علي بن عبدالله بن جريس الجبيري الشهري

- من مواليد محافظة النماص بلاد بني شهر عام (١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م).
- تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي في محافظة النماص وحصل على الثانوية عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).
- تلقى تعليمه الجامعي في مدينة أبها بفرع جامعة الملك سعود، قسم التاريخ، وتخرج في عام (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
- ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية ودرس درجة الماجستير في جامعة أوستن تكساس (Austin Texas)، ثم انتقل إلى جامعة إنديانا في مدينة بلومينجتون (University of Indiana) وتخرج فيها عام (١٤٠٥هـ /١٩٨٥م) .
- ذهب إلى بريطانيا وحصل على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي عام (١٤٠٩هـ - ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩ -١٩٩٠م)
- عاد إلى جامعته في أبها وعمل في العديد من الأعمال الإدارية والأكاديمية بالإضافة إلى رئاسة القسم حوالي ثلاثة عشر عاماً.
- حصل على درجة الاستاذية في نهاية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) .

ثانياً : عضوية المجالس والمؤسسات المحلية والعربية والعالمية :

- رئيس تحرير مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي في الفترة من عام (١٤١٥هـ - ١٤١٩هـ / ١٩٩٥م - ١٩٩٩م) .
- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .
- عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة .
- عضو الجمعية السعودية التاريخية .
- عضو جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي.
- أول مشرف لكرسي الملك خالد للبحوث العلمية بجامعة الملك خالد.

تابع سيرة ذاتية مختصرة

ثالثاً : المحاضرات العامة، والمؤتمرات، والندوات، والحوارات المحلية والإقليمية والعالمية ، بالإضافة إلى حصوله على بعض الجوائز والتكريم :

- قدم حوالي (١٣٣) محاضرة عامة ، وشارك وقدم أوراقاً علمية في أكثر من (٩٣) ندوة ، أو مؤتمر ، أو لقاء علمي .
- حصل على جائزة عبد الحميد شومان على مستوى العالم العربي، في العلوم الإنسانية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) .
- تم تكريمه من قبل نادي أبها الأدبي في (١٤١٨/٢/٥هـ / ١٩٩٧م) بمناسبة حصوله على درجة الأستاذية بتميز .
- تم تكريمه في عدد من الملتقيات مثل ملتقى بني شهر الأول في الرياض عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، وملتقى زهران العاشر عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).
- تم تكريمه ضمن شوامخ المؤرخين العرب في مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة عام (٢٠١٣ م)، وتاريخ هذا التكريم كان يوم الأربعاء (٢/ محرم/١٤٣٥ هـ الموافق ٦/نوفمبر/٢٠١٣ م) .
- تم تكريمه من قبل وزارة الثقافة والإعلام السعودي في معرض الكتاب الدولي الثامن بالرياض عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م). وفاز كتابه : الوجود الاسلامي في أرخبيل الملايو بجائزة الوزارة في ذلك العام (١٤٣٥ هـ)
- حصل على جائزة معالي مدير جامعة الملك خالد في مستودع الأبحاث الرقمية العلمية يوم الثلاثاء (١٨/٨/١٤٤٠هـ الموافق ٢٣/٤/٢٠١٩م) .
- تم تكريمه في نادي أبها الأدبي كأحد رواد البحث العلمي في مجال التاريخ والحضارة العربية والإسلامية يوم الثلاثاء (١٩/١١/١٤٤٠هـ الموافق ٢٢/٧/٢٠١٩م) .
- زيارة وتكريم مجموعة (أبها عطاء ووفاء) لغيثان بن جريس في منزلة بأبها في (١٧/١١/١٤٤١هـ الموافق ٨/٧/٢٠٢٠م) ، وكان برفقتهم رئيس جامعة الملك خالد وبعض المسؤولين في الجامعة .

رابعاً : النتاج العلمي :

١. ألف ونشر أكثر من (٦١) كتاباً ، أنظرها على الرابط الآتي (prof-ghithan.com)
٢. قام بتحقيق ومراجعة وتقديم العديد من الكتب والمجلات .
٣. نشر حوالي (٣٠٠) بحثاً علمياً في مجلات وكتب علمية ، معظمها باللغة العربية وبعضها باللغة الانجليزية .

History of the South

A Historical and Cultural Encyclopedia

(1th - 15th H. / 7st - 21st G.)



Volume: 25



Prof. Ghithan bin Ali bin Jrais

King Khalid University

First edition

1443 H /2022 G

Riyadh : Al Homaidhi Press